مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين
أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

مكتبة المعارف
الرياض

مصاعد النظر
للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسّر المؤرّخ برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

قدّم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه
الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين
أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام
محمد بن سعود الاسلاميّة بالرياض

الجزء الأول

مكتبة المعارف
الرّياض

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩

الرياض - المملكة العربية السعودية

مَصَاعِدُ النَّظَرِ

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبي الحسن

ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين

أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام

محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

الجزء الأول

مكتبة المعارف

الرياض

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩
الرياض - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمـة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهـرين، والبررة المتقين.

وبعد:

فهذا كتاب «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» للعلّامة المفسر المحدث المؤرخ برهان الدين ابـراهيم بن عمر البقـاعي، قمت بتحقيقه وإخراجه على نمط من التحقيق والدراسة آمل أن يجوز القبول والاستحسان لدى إخواني المشتغلين بدراسة تفسير القرآن الكريم وعلومه.

والذي دفعني إلى تحقيق هذا الكتاب أمران:

الأول: إن الكتاب في ذاته جيد، وقد بذل فيه مؤلفه جهداً مشكوراً يحمد عليه، وهو ـ كما قال صاحب كشف الظنون ـ كالبحر العباب، حوى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالقرآن وعلومه.

ثم إن الموضوع الأصلي للكتاب ـ «وهو: بيان مقاصد سور القرآن» ـ موضوع بكر، وعلى جانب كبير من الأهمية بالنسبة لعلم التفسير، ولم نجد أحداً من القدماء ـ ممن سبق البقاعي ـ وَجَّه إليه اهتمامه عند تفسيره كتاب الله عز وجل، ما خلا نتفاً قليلة في بعض الكتب متناثرة هنا وهناك، وهي محاولات ينقصها الاستيعاب والشمول، بخلاف كتابنا هذا الذي استقصى سور القرآن سورة سورة، وجعله صاحبه كتاباً متكاملاً لبيان هذا الجانب من التفسير.

ولقد ظهرت اتجاهات حديثة في التفسير ترمي إلى إبراز محتوى السورة، وتلخيص ما فيها من موضوعات، وربط كل موضوع بالآخر، مما يجسد الموضوع الأصلي الذي تدور السورة في فلكه، ومن هؤلاء الذين يهتمون ببيان مقصاد سور القرآن:

المرحوم الشيخ محمود شلتوت في تفسيره.

والشهيد سيد قطب في كتابه «ظلال القرآن».

والأستاذ الصابوني في كتابه «صفوة التفاسير» مستعيناً بكتاب الأستاذ سيد قطب آنف الذكر..

والدكتور عبدالله شحاته في كتابه «أهداف كل سورة ومقصادها»... الخ.

الثاني: خلو المكتبات العربية والإسلامية من تراث العلامة برهان الدين البقاعي مطبوعاً، مع أن كتبه من الأهمية والقيمة العلمية بمكان، مما يجعل الدارسين اليوم وكأنهم لا يعرفون عن الرجل وكتبه شيئاً.

وها أنا أقدم الكتاب للمسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها، وقد

قدمت له بمقدمة حوت دراسة مفصلة عن المؤلف وعصره، وحديثاً قصيراً عن شيوخه وتلاميذه، وتعريفاً كاملاً بمؤلفاته.

مع العلم بأنني لم أبخل بشيء من الوقت والجهد في تحقيق مسائل الكتاب وأقواله، وفحص كلماته وأعلامه، وتخريج أحاديثه وآثاره، يعلم ذلك جيداً كل من وقف على هوامش الكتاب، وما أردت بذلك إلا خدمة كتاب الله العزيز، والإسهام في نشر تراث أمتنا المجيد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحقق: دكتور/ عبد السميع محمد أحمد حسنين

الرياض: في غرة محرم لعام ١٤٠٥ هـ

أكتوبر (تشرين أول) لسنة ١٩٨٤ م

الفصل الأول
التعريف بالبقاعي وعصره

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : عصر البقاعي.
المبحث الثاني : نشأته وطلبه العلم.
المبحث الثالث : التعريف ببعض شيوخه وتلاميذه.
المبحث الرابع : آثاره ومنزلته العلمية.
المبحث الخامس : خصومه.

المبحث الأول

عصر البقاعي

وفيه:

الحالة السياسية.

الحالة الاجتماعية ومظاهرها.

الحالة العلمية وأثرها.

عصر البقاعي

يعنى بالعصر:

حقبة من الزمن معلومة البدء والانتهاء، ترتبط بها عوامل وأحداث خاصة.

وقد نشأ البقاعي ـ رحمه الله ـ وعاش في العصر المملوكي، ذلك العصر الذي يبدأ تاريخياً منذ انتهاء دولة الأيوبيين سنة ٦٤٨ هـ، وينتهي بفتح الأتراك العثمانيين لمصر وما جاورها سنة ٩٢٣ هـ.

وقد دأب المؤرخون على تقسيم دولة المماليك إلى دولتين:

الأولى: دولة المماليك البحرية:

التي أسسها الأمير عز الدين أيبك أحد موالي السلطان نجم الدين أيوب، واستمر حكمها للبلاد نحواً من مائتين وثلاثين سنة، تنحصر فيما بين سنتي ٦٤٨، ٨٧٤، وعرف أتراك هذه الدولة بالمماليك البحرية، لأن الملك الصالح أسكنهم قلعة الروضة بجوار نهر النيل.

والثانية: دولة المماليك الجراكسة:

وهذه لا تختلف عن سابقتها في شيء، فكلتاهما من المماليك الذين جلبوا إلى البلاد في عصور مختلفة.

وأصل المماليك من الرقيق الذين كانوا يجلبون إلى البلاد العربية من بلاد آسيا وغيرها بواسطة السرقة والخطف، أو في ظروف حروب وغارات يحدث من جرائها الأسر والسبي، وقد يكون الحصول عليهم في ظروف قحط وغلاء يقع في تلك البلدان، فتهون فلذات الأكباد على الآباء، فيبيع الأب ابنه أو بنته للإبقاء على حياتها وتخفيفاً للبلوى.

ويرجع ظهور المماليك في العالم الإسلامي ـ وبخاصة العالم العربي ـ إلى ما قبل قيام دولتهم بأمد طويل، وكان أول من استخدمهم هو المأمون الخليفة العباسي، فقد كان في بلاطه بعض المماليك المعتوقين، ثم سار على سنته أخوه الخليفة المعتصم بالله، فقد أكثر من استقدام المماليك لتدعيم سلطاته وانصرافاً عن العنصر الفارسي.

فكانت هذه سابقة أولى، نهج نهجها الخلفاء والأمراء فيما بعد فاتخذوا من المماليك عدتهم وجندهم، وجعلوهم السند القوي في تدعيم سلطانهم، وبهذا الأسلوب أخذ سلاطين مصر وأمراؤها، وكان أول من أحضر المماليك إلى مصر الأمير أحمد بن طولون كما ذكر القلقشندي في «صبح الأعشى»[١] فقد أكثر من شراء مماليك الديلم الذين يقيمون جنوب بحر قزوين، وبلغت عدة من أحضرهم أربعة وعشرين ألف مملوك[٢]، ويرجع السبب في ذلك: إلى أن والد الأمير أحمد بن طولون كان من الترك الذين يقيمون بين سيبيريا وتركستان، وقد أسر في بعض الحروب فوقع مع جملة من الرقيق في يد نوح

---

(١) صبح الأعشى ٣/٤٢٤.

(٢) عصر سلاطين المماليك ١/١٣.

بن أسد الساماني فأهداه ومن معه إلى الخليفة المأمون، فظل في خدمة الخليفة حتى لمع نجمه، وصار من كبار قواده[1].

وفي إبّان الدولة الأخشيدية جعل الأمير محمد بن طغج الأخشيدي كل جنده من الأتراك ومن الديالمة، وبلغت عدة ذلك الجيش بمصر نحواً من أربعمائة ألف جندي[2].

ولما انتقلت السلطة إلى الأيوبيين، نهجوا نفس السبيل، فأكثروا من شراء المماليك من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز، وفارس، وآسيا الصغرى، وتركستان، فكانوا خليطاً من الأتارك والجراكسة والروم والروس والأكراد، بالإضافة إلى أقلية من البلاد الأوروبية.

وكان الأيوبيون مخلصين في معاملة المماليك فأحسنوا تربيتهم، واهتموا بإعدادهم إعداداً عسكرياً، وبنوا لهم الثكنات بجزيرة الروضة بجوار النيل.

وعن طريق الأيوبيين انتقلت السلطة المباشرة إلى المماليك، وذلك بعد مقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين في المحرم سنة ٦٤٨ هـ، واعتلت شجرة الدر عرش البلاد وقد كانت زوجة لأبيه السلطان نجم الدين أيوب، وهي امرأة من أصل أرمني، كانت على قدر وافر من الذكاء والجمال، جيء بها هدية إلى السلطان نجم الدين أيوب، ثم تزوج بها، ولهذه المرأة دور كبير في إنقاذ البلاد بعد موت السلطان إبّان الحرب التي كانت دائرة بين المسلمين والصليبيين، فأخفت موته وكانت الأوامر تصدر تباعاً من القصر بإدارة المعركة وتصريف أمور البلاد، وأعلنت أن السلطان مريض، وأرسلت إلى ولده توران شاه الذي كان في حصن كيفا بالموصل، فلما جاء أُعلن موتُ أبيه ونودي به سلطاناً على البلاد، وقاد الحرب ضد الصليبيين في دمياط، وأحرز عليهم

---

(١) تاريخ المماليك البحرية ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق.

نصراً عظيماً، ولكنه سرعان ما تنكر لشجرة الدر، فعمل على إذلالها وإيذائها، واتهمها بسرقة أموال أبيه، ولكنها كانت أسرع منه في الخلاص من الخصم، فدبرت خطة لقتله،وتم قتله في شهر المحرم سنة٦٤٨ هـ،وبقتله انتهى حكم الأيوبيين، ووجدت شجرة الدر الفرصة سانحة فأعلنت نفسها سلطانة على البلاد، ولكن ظهرت معارضة من صفوف الشعب تنادي بعُدُولها عن هذا الأمر، إذ لا يتولى أمر المسلمين امرأة، وكان على رأس المعارضين المعز ابن عبد السلام سلطان العلماء، ولما علم بذلك الخليفة المستعصم بالله أرسل ينكر هذا الإجراء وإزاء هذه المعارضات أسرعت شجرة الدر فتزوجت بعز الدين أيبك وهو من أمراء المماليك المقربين للسلطان قبل موته، ولما تزوجته تنازلت له عن السلطة، وكان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة ٦٤٨ هـ.

وبذلك يكون عز الدين أيبك الذي كان مملوكاً للسلطان نجم الدين أيوب أول سلطان مملوكي حكم مصر وما جاورها من بلاد الشام، وأصبحت السلطة الفعلية في البلاد للمماليك الذين استمر حكمهم إلى أن جاء الأتراك العثمانيون سنة ٩٢٣ أي نحواً من ٢٧٥ سنة[١].

والمقصود من هذه الدراسة في أعماق تاريخ البلاد: التعرف على أحوالها من ثلاث جهات تهم الباحث في كشف شخصية من يدرسه من علماء ذلك العصر وهي: الحالة السياسية، والحالة الاجتماعية، والحالة العلمية.

أولاً: الحالة السياسية:

المراد بالحالة السياسية: علاقة دولة ما بغيرها من الدول سلماً أو حرباً، وما يترتب على ذلك في داخل البلاد.

وقد تعرضت دولة المماليك إلى كثير من هجمات الدول الطامعة في

---

(١) راجع ذلك مفصلاً في: عصر سلاطين المماليك ١/٢١، تاريخ المماليك البحرية ص ٣٧.

أراضيها والتي تريد الاستيلاء عليها، وكانت هناك أخطار من هنا وهناك، ويكمن هذا الخطر في الهجمات التترية الوافدة من بلاد آسيا والشرق الأقصى، وكذلك الهجمات الصليبية الحاقدة الآتية من بلاد أوربا.

والتتار أمم وثنية جاهلة من الجنس المغولي الأصفر تسكن الأطراف الشمالية لبلاد الصين، زحفت هذه الجماعات في جيش كالجراد على أواسط آسيا وغربها، فملكوا كثيراً من البلاد،وقتلوا ما لا يحصى من العباد، ثم تتابعت هجماتهم فأتوا إلى العراق بقيادة هولاكو سنة ٦٥٦ فاستولوا عليها وأبادوا مَنْ فيها، وقتلوا الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين، ونهبوا الأموال، وسبوا النساء، وأحرقوا وأغرقوا كتب العلماء، وكان السبب في مجيئهم إلى العراق، الوزير ابن العلقمي الرافضي، الذي امتلأ حقداً وغضباً على أهل السنة، فأخذ يراسل التتار، ويمنيهم بالاستيلاء على العراق، والقضاء على الخلافة العباسية لكي يستعيد الخلافة الفاطمية.

ولما فرغ التتار من الاستيلاء على العراق، اتجهوا بأنظارهم وجيوشهم نحو مصر وبلاد الشام، فزحفوا أولاً إلى بلاد الشام واستولوا على أكثر مدنها مدينة بعد أخرى، ثم أرسلوا رسلهم وكتبهم إلى السلطان قطز حاكم البلاد آنذاك، وأخذوا يهددونه ويتوعدونه، ولكن قطز كان من الشجاعة بمكان فلم يأبه بوعيدهم ولم يخف تهديدهم، فأعدم رسل هولاكو، وأجمع أمره على مواجهة الجيش التتري الزاحف من الشام، وجمع الرجال والعتاد، وسار بجيشه إلى الصالحية، ومنها إلى فلسطين حتى بلغ عين جالوت، وهناك التقى الفريقان في حرب هائلة انجاب غبارها عن نصر حاسم للمسلمين بقيادة قطز. وانهزم التتار وحل بهم النكال مما لم يكن في حسبانهم، وكان ذلك في رمضان في الخامس والعشرين من سنة ٦٥٨.

ولم تقف مطامع التتار نحو الشرق الإسلامي عند هذا الحد، فعمدوا إلى الإغارة على أطراف البلاد، المرة تلو المرة، والفينة بعد الفينة،وذلك في

عهد السلطان الظاهر بيبرس، فالتقى بهم سنة ٦٥٩ هـ في حرب حامية الوطيس عند الأنبار ببلاد العراق، وفيها تشتت شمل التتار، فولوا الأدبار، ولكنهم عادوا بالليل فتجمعوا، وكروا على جيش بيبرس، فتحولت نتائج المعركة إلى صالحهم.

وظلت سجال الحرب بين التتار والمماليك، مرة لهؤلاء، ومرة لهؤلاء إلى أن خرج تيمورلنك من الشام بعد أن أشعل النار في دمشق وتركها خراباً شاملاً، وحطاماً بالياً، ومات بعد خروجه منها بأيام في سنة ٨٠٤، كما يذكر ابن أياس في حوادث هذه السنة، فهدأ الحال وانقطع الاشتباك فيما بين التتر والمماليك.

الغارات الصليبية:

وفي تلك الأثناء التي انشغل فيها المماليك بمقاومة التتار كان الصليبيون يغيرون بين الحين والآخر على أطراف دولة المماليك في مصر والشام، وكان ذلك امتداداً للحروب الصليبية التي بدأت في عهد دولة الأيوبيين وكان الصليبيون قد اتخذوا مدناً لهم في بلاد الشام، مطلة على ساحل البحر المتوسط، فتمركزوا في تلك المدن، واتخذوا منها منطلقاً للإغارة على دولة المماليك.

ومن أشهر سلاطين المماليك الذين قاوموا الغزو الصليبي الظاهر بيبرس، الذي غزاهم واسترد منهم تلك المدن، فقدهاجمهم في صفر سنة ٦٦٤ واستردها منهم، ثم داهمهم في أنطاكية سنة ٦٦٦، واستولى عليها منهم، ثم أغار عليهم في قيسارية سنة ٦٧٥ واستردها منهم.

كذلك فعل السلطان قلاوون الذي فتح حصن المرقب، وطرهم منه ودخل طرابلس عنوة سنة ٦٨٨، ثم ابنه الأشرف خليل بن قلاوون الذي فتح مدينة عكا سنة ٦٩٠ وخلصها من أيدي الصليبيين بعد أن ضربها بالمناجيق.

ويرى المؤرخون أن استيلاء المماليك على مدينة عكا ومدن الساحل كان نهاية الحروب الصليبية[1].

ولكن في عهد الأشرف قايتباي أخذت جموع من الإفرنج الصليبيين يتلصصون على سواحل مصر الشمالية، ويباغتونها بين الحين والحين، وينهبون ما تقع عليه أيديهم من أموال التجار وغيرهم، ومثال ذلك إغارتهم على مدينة الاسكندرية سنة ٨٨٠، وأسرهم كثيراً من تجارها وخاصتها، فأمر السلطان بالقبض على التجار الإفرنج الذين يقيمون بثغر الاسكندرية، ولم يفرج عنهم إلا بعد الإفراج عن التجار المصريين الذين وقعوا في قبضة الصليبيين، وفعلاً تم له ما أراد.

وبذلك يتضح: أن المماليك مع أنهم غرباء عن البلاد، إلا أنهم حافظوا على استقلالها، ودافعوا عن حوزتها، ومنعوا كل غاز معتد من الدخول في أرضها، وكانت محافظتهم على بلاد الشام مثل محافظتهم على مصر وغيرها من البلاد.

ثانياً: الحالة الاجتماعية:

الحالة الاجتماعية: هي مجموعة النظم والعادات والتقاليد التي يسير عليها شعب أمة من الأمم، ويتبعها في طرق معيشته، وهي وثيقة الصلة بنظم الدولة وإدارتها.

وفي العصر المملوكي كان الناس ينقسمون إلى طبقتين متميزتين:

إحداهما: الطبقة الحاكمة، وتتألف من السلاطين والأمراء والجند، وهم من المماليك الأتراك والجراكسة، وهي طبقة من خارج البلاد كما سبق أن عرفنا، وفي يدها الحكم، وهي التي تملك الأرض والجاه، وتنعم بخيرات البلاد.

---

(١)راجع: تاريخ المماليك البحرية ص ١٧٨ وما بعدها.
عصر سلاطين المماليك ٢/٣٤٨ وما بعدها.

والثانية: الطبقة المحكومة: وتتألف من ستة عناصر كما يرى المقريزي وهم:

١ - أهل اليسار والغنى من التجار، وأولى النعمة.

٢ - الباعة وهم متوسطو الحال من التجار، ويلحق بهم السوقة من أصحاب المهن والحرف.

٣ - الفلاحون وهم المزارعون الذين يسكنون الريف والقرى.

٤ - الأُجرَاء وأصحاب الأعمال المعيشية البسيطة.

٥ - الفقراء وهم معظم الفقهاء وطلاب العلم.

٦ - ذو الحاجة والمسكنة، وهم أهل السؤال الذين يتكففون الناس.

ومن هذه العناصر الستة يتألف الشعب المحكوم، وهي العناصر الكادحة في سبيل العيش، والتي تتحمل الضرائب الباهظة، وتدفع نفقات الحرب ومؤنة الدفاع عن البلاد، وليس لها من أمر الحكم شيء، ولا يُسْتَشَارُونَ في سلم أو حرب، ولا يملكون الأرض التي يزرعونها، وإنما الأرض توزع في شكل اقطاعيات على الطبقة الحاكمة كل واحد منهم يأخذ على حسب رتبته، وهؤلاء الزراع أجراء أو عبيد، وليس لواحد منهم الحق في الالتحاق بالجندية أو المدارس العسكرية، وإنما أمامه المساجد يتلقى فيها تعليمه زلفى من الحكام إلى الله تعالى.

ورؤساء هذه الطائفة الكادحة كالعلماء والفقهاء هم الأقرب إلى الحكام، وليس لهم من الوظائف العامة في الدولة سوى القضاء، أو الكتابة في الدواوين، أو التدريس في الجوامع والمساجد، وما عدا ذلك فلا.

وكانت ثروة البلاد في ذلك الوقت ذات وفرة وضخامة يشهد بذلك ما بناه السلاطين من قصور وعمائر ذات روعة وجمال، وما كان لهم من أساطيل بحرية تجوب البحار المصرية بين آن وآخر، وجيوشهم الجرارة، وما كانت تنعم به من عدة ومأكل وملبس، ولكن القابض على هذه الثروة والمتمتع بها

الطبقة الحاكمة، أما أفراد الشعب فكانوا يعانون شقاء في حياتهم، وحرماناً في عيشهم، ولذا فقد كثرت الشكوى في قصائد شعراء ذلك العصر، كما يقول أبو الحسن الجزار:

لا تَعِبْني بصنعة القصَّاب فهي أذكى من عنبر الآدابْ
كان فضلي على الكلاب فمذ صر ـرتُ أديباً رجوتُ الكلابْ[1]

وابن نباته الذي يقول:

لا عَارَ في أدبي إن لم ينل رتباً إنما العار في دهري وفي بلدي
هذا كلامي وذا حظي فيا عجبا مني لثروة لفظ وافتقار[2] يَدِ

ولم يقتصر الأمر على سوء توزيع الثروة، وإنما كانت تحدث المجاعات المخيفة التي تزيد الحال سوءاً، ويذهب ضحيتها كثير من الناس بموتهم جوعاً ومن أثر تلك المجاعات، تلك المجاعة التي روعت مصر في عهد السلطان كتبغا سنة ٦٩٥، فقد توقف النيل، ونقص منسوب المياه، وجفت الآبار، فندرت المحاصيل، وتعطل معظم الأرض من الزراعة، ومن عجيب ما يذكر في ذاك الوقت أن ريحاً مترية هبت على البلاد فكست الزراعة بالأتربة، ففسدت المزروعات وخاصة الصيفية منها، وهلكت معظم الدواب لعدم وجود الأعلاف اللازمة لها، وسرى البخل بين أكابر الأعيان كالأمراء والأجناد، وبلغت الشدة غايتها فأكل الناس الميتة، وكان الناس يبيعون أولادهم لشراء القوت، وينهب الأهالي الخبز من الأفران.

وقد انتفع من هذه المجاعة الأطباء وحفار القبور، وذهبت ضحيتها أصحاب المزارع، فإن الأمير فخر الدين الطنبغا كان له من بين مزروعاته مائة فدان فولا، وهجم الناس عليها وظلوا يأكلون فولها الأخضر حتى لم يبقوا على شيء، وخرج الأمير ليرى مزرعته، فإذا به يرى تلاً كبيراًمن القشر[3].

---

(١) عصر سلاطين المماليك ٦/٢٩٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) تاريخ المماليك البحرية ص ٤٢٨.

وترتب على تلك المجاعة انتشار الطاعون بين الناس، وساد الحزن جميع البلاد، حتى أنه لم يوجد بيت إلا وفيه صياح على ميت، وفي ذلك يقول حبيب الحلبي:

إن هـذا الطاعـون يفتك في العـا — لم فـتـك امـرىء ظلوم حـقـود
ويـطوف البـلاد شـرقـاً وغـربـاً — ويسـوق العبـاد نحـو اللحـود
كم طوى النشر من أخ عن أخيه — وسهـا عـقـل والـد بـولـيـد
إن أعِشْ بعـده فـإني شكـور — مخلص الحمد للولي الحميد (١).

ولم تكن تلك المجاعة هي الوحيدة من نوعها، فقد تلتها مجاعات كثيرة، والذي يراجع كتب التاريخ القديمة، مثل بدائع الزهور لابن إياس، أو الخطط للمقريزي، فسيقف على أخبار تلك المجاعات (٢).

يضاف إلى ما تقدم كثرة الفتن التي كانت موجودة بين الطبقة الحاكمة، وكذلك المؤامرات التي كانوا يدبرونها لبعض وقتل بعضهم بعضاً، وأول هذه المؤامرات، ما حدث من شجرة الدر بعد تنازلها عن العرش لزوجها عز الدين أيبك، ولقي منها ما أغضبه منها، فأضمرت له السوء وقتلته هي وأعوانها في الحمام سنة ٦٥٥، وكذلك المؤامرة التي حاكها الأمير بيدرا ضد السلطان خليل بن قلاوون والتي انتهت بقتله سنة ٦٩٣.

وفي نفس العام حدثت فتنة كبيرة بين الأمراء أنفسهم انتهت بقتل الوزير سنجر الشجاعي، وعزل الناصر محمد بن قلاوون، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً لا يمكن حصرها في تلك العجالة (٣).

وهناك الكثير من ثورات العربان في شتى الأقاليم، وحوادث السطو

---

(١) راجع تاريخ المماليك البحرية ص ٤٣٠.
(٢) وراجع تفصيل ذلك في عصر سلاطين المماليك ٢/٣٢٢ وما بعدها.
(٣) راجعها في كتاب سلاطين المماليك ٢/٣٠٠.

والنهب التي كانت تقع منهم ومن غيرهم، وهي حوادث مشهورة حفلت بها الكتب والمراجع التي أرخت لذلك العصر[1].

ثالثاً: الحالة العلمية:

المقصود بالحالة العلمية: الاشتغال بالعلوم الإسلامية والعربية وغيرها من العلوم، دراسة وتدريساً، وكتابة وتدويناً، وفي هذا العصر كانت الحالة العلمية نشطة إلى حد كبير في كل من مصر والشام، ويرجع هذا النشاط إلى عدة عوامل وهي:

١ ـ وفود العلماء والأدباء إلى مصر والشام:

ففي ذلك العصر يمم العلماء وجوههم نحو مصر فراراً من الزحف التتري المغولي الذي أوقع بالناس الكثير من البلاء والأذى وصنوف التعذيب والتقتيل، وليس بأدل على ذلك ما حدث ببغداد على أيدي التتار، فرأى العلماء أن مصر والشام خير حمى لهم، إليه يفزعون، وإلى رحابه يلجأون، ومن هؤلاء الوافدين: ابن خلكان الإربلي، وابن مالك الأندلسي، وابن أبي حجلة المغربي، والحافظ رشيد الدين النابلسي، وغير هؤلاء كثير وكثير.

٢ ـ تعظيم السلاطين لأهل العلم:

ومما هو جدير بالذكر: أن السلاطين والأمراء في ذلك العصر أقاموا وزناً كبيراً للعلماء، فقدموهم في مسائل كثيرة، وأنزلوهم من نفوسهم المكانة اللائقة بهم وبمراكزهم،وذلك لما كان لهؤلاء العلماء من سلطان في نفوس العامة، ومتانة الصلة التي تربط بينهم وبين أبناء الأمة، فيذكر الحافظ جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة ١١٣/٢: أن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد حضر مرة عند السلطان لاجين، فقام إليه السلطان وقبَّل يده، فما زاد ابن دقيق العيد على قوله له: أرجو هالك بين يدي الله.

---

(١) راجع: بدائع الزهور، والسلوك للمقريزي، وهي برمتها في عصر سلاطين المماليك ٣٠٤/٢ وما بعدها.

وهذه الحفاوة التي لقيها العلماء من الحكام رغبت الكثير من أبناء الشعب في طلب العلم، والسعي في تحصيله عن حب واخلاص، لكي يصل الأواخر منهم إلى ما وصل إليه الأوائل.

٣ - شعور العلماء بواجبهم وتنافسهم في آدائه:

فلما دالت دولة العلم التي كانت قائمة في بغداد والعراق وأبيدت كتبه، وقطع التتار رقاب علمائه، رأى العلماء في مصر والشام أنهم أمام مسئولية ضخمة تقتضي منهم القيام بواجبهم في نشر الدين، وتجديد العلم، وإحياء ما أبادته أيدي الغزاة الغاشمين، فقاموا بذلك قياماً مشكوراً، وسعوا إليه سعياً حميداً، فكانت حركة إحياء علمية جليلة، وكان بينهم في هذا المجال تنافس شديد في ميدان التأليف والتدوين.

٤ - انشاء دور التعليم:

والمراد بدور التعليم في ذلك العصر: المساجد والمدارس التي بنيت في العصور السابقة، والتي جد بناؤها في تلك الآونة، وأهم هذه المساجد والمدارس التي قصدها طلاب العلم في ذلك العصر:

١ - جامع عمرو بن العاص:

وهذا الجامع أسسه عمرو بن العاص الذي فتح مصر سنة ٢١ هـ وقد عني به سلاطين المماليك عناية فائقة فقاموا بترميم ما تهدم منه، وتجديد محتوياته، وقد حفل هذا الجامع بضروب من الدراسات الإسلامية والعربية وتخرج فيه كثير من الأدباء والعلماء.

٢ - جامع أحمد بن طولون:

وهو ذلك الجامع المشهور بحي القلعة بالقاهرة بدأ ابن طولون في بنائه سنة ٢٦٣ وفرغ منه سنة ٢٦٦، وقد ظل هذا الجامع منارة كبرى يشع منه نور العلم في مصر ردحاً طويلاً من الزمن، وقد اعتنى به السلاطين والأمراء فوقفوا له الأوقاف الواسعة، ورتبوا فيه دروساً للتفسير والحديث، والفقه

والنحو وغير ذلك من العلوم، وأمّه الطلاب من كل صوب، وأتوه من كل فج.

٣ ـ الجامع الأزهر:

وهذا الجامع بناه جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وبدىء في بنائه سنة **٣٥٩**، وتم سنة **٣٩١**، وظل هذا الجامع يؤدي رسالته العلمية في عصر الفاطميين وكذلك في عصر الأيـوبيين إلى أن جاء عصر المماليك، فحظى بعنايتهم من ترميم وتجديد، وحولوه إلى جامعة علمية تليق بتاريخه الحافل، وماضيه المشرق، ولقي شيوخه وطلابه رعاية طيبة، فرصدت له الأموال، ووقفت لأجله الأوقاف، وظل مصدراً للعلوم والمعارف في أرجاء الدنيا إلى يومنا هذا.

٤ ـ جامع الحاكم:

أسسه العزيز بالله الفاطمي، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله سنة **٣٩٣** ولما تهدم سنة **٧٠٢** بواسطة زلزال، جدده الأمير بيبرس، ورتب فيه دروساً للفقه على المـذاهب الأربعة، ودرسـاً للحديث، ودرسـاً للنحو والصـرف والقراءات، وكان بجانبه كتّاب لتعليم الأيتام، وتحفيظهم القرآن.

أما المدارس فكانت كثيرة ومنتشرة في أرجاء البلاد ومنها:

١ ـ المدرسة الصلاحية:

وهذه المدرسة أنشأها صلا الدين الأيوبي سنة **٥٧٢** بجوار مسجـد الإمام الشافعي، وقد عاشت في العصر المملوكي مدة طويلة أدت دوراً هائلاً في تعليم الناشئة من أبناء الأمة، كما يذكر السيوطي في حسن المحـاضرة ١٧٥/٢.

٢ ـ المدرسة القمحية:

وهذه المدرسة أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي أيضاً سنة **٥٦٦**، وكانت بجوار جامع عمرو بن العاص ورتبت فيها الدروس للفقه المالكي

خاصة، وعرفت بالمدرسة القمحية، لما كان يرسل من القمح إلى فقهائها ومدرسيها، وقد أوقفت عليها الأوقاف.

٣ ـ المدرسة الفاضلية:

وأنشأ هذه المدرسة القاضي الفاضل، بجوار داره سنة ٥٨٠ ورتب فيها دروساً للفقه المالكي والفقه الشافعي وأوقف عليها مكتبة تضم نحو مائة ألف مجلد في مختلف العلوم.

٤ ـ المدرسة الصالحية:

أنشأ هذه المدرسة الملك الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الأيوبيين سنة ٦٣٩، وكانت مكونة من أربع مدارس، كل مدرسة منها لمذهب من المذاهب الأربعة، وهي أول مدرسة أنشئت على هذا النمط.

وفي عصر المماليك حظيت هذه المدرسة بعناية بعض السلاطين فأوقفوا لها الأوقاف الواسعة، كما يذكر السيوطي في حسن المحاضرة ٢/١٥٩.

وهناك كثير من المدارس التي يبلغ عددها أربعاً وخمسين مدرسة ذكرها صاحب كتاب «عصر سلاطين المماليك» ٣/٣٧ ـ ٥٨.

وفي هذا العصر عرفت دور الكتب، العامة منها والخاصة، وقد تنافس الأمراء والسلاطين في اقتناء النفيس من الكتب في قصورهم، والحاق عدد منها بالجوامع والمساجد ليكون في أيدي طلاب العلم ممن لا يقدرون على اقتناء الكتاب.

ومن هذه الدور التي عرفت في ذلك العصر:

١ ـ خزانة الكتب بجامع الحاكم بأمر الله.
٢ ـ خزانة الكتب بجامع الخضيري ببولاق.
٣ ـ خزانة كتب جامع المؤيد.
٤ ـ خزانة الكتب التي كانت توجد بالقبة المنصورية.
٥ ـ خزانة الكتب بالمدرسة الناصرية.

٦ ـ خزانة الكتب بالمدرسة الحجازية.

٧ ـ خزانة المدرسة المحمودية التي بناها الاستادار جمال الدين محمود عام ٧٩٧.

قال المقريزي: وعمل فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها.

٨ ـ خزانة كتب المدرسة الظاهرية.

وترتب على نشاط هذهالحركة العلمية في ذلك العصر كثرة المؤلفات في العلوم المختلفة، ووضعت الموسوعات العلمية في شتى العلوم والفنون، ومن رام الوقوف على نتاج هذه الحركة العلمية المزدهرة فليرجع إلى كتاب «عصر سلاطين المماليك» فقد كتب فيه مؤلفه ما يقرب من مائة صفحة حول هذه المؤلفات.

المبحث الثاني

نشأته وطلبه العلم

وفيه:

١ ـ اسمه ونسبه.

٢ ـ مولده.

٣ ـ نشأته وطلبه العلم.

٤ ـ مشاركته في الغزو.

٥ ـ أعماله ومناصبه.

٦ ـ وفاته.

اسمه ونسبه:

هو الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ـ بضم الراء المشددة وتخفيف الموحدة ـ ابن علي بن أبي بكر، البقاعي الخرباوي الدمشقي الشافعي نزيل مصر.

كنيته: أبو الحسن.

ولقبه: برهان الدين.

ونسبته: البقاعي والخرباوي.

والبقاعي نسبة إلى وادي البقاع من أرض لبنان حالياً، ومن الأراضي السورية قديماً قبل أن يقوم الاستعمار بتقسيم بلاد الشام إلى دويلات.

وجاء في معجم البلدان ٦٦٩/١ ومراصد الاطلاع ٢١١/١ ودائرة المعارف للبستاني ٥٢٢/٥: أن وادي البقاع موضع يقال له: بقاع كلب

قريب من دمشق، وهو أررض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كبيرة ومياه غزيرة.

وزاد البستاني: وهو سهل فسيح بين لبنان والجبل الشرقي، يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وطوله نحو سبعين ميلاً، ويختلف عرضه بين ثلاثة وسبعة أميال. اهـ.

وفي معجم ما استعجم ٢٦٣/١: البقاع ـ على لفظ ـ: جمع بقعة والبقاع بالشام، وهي بقاعان: بقاع بعلبك، وبقاع لبنان، قال الطائي:

فلم يبق في أرض البقاعين بقعة وجاد قرى الجولان بالمسبل الوبل

فكلمة «البقاع» في الأصل جمع، مفرده بقعة، بضم الباء في المفرد، وكسرها في الجمع، كما ضبطه صاحب القاموس المحيط ٦/٣.

ويجوز فتح الباء في «بقعة» مع كسرها ـ أيضاً ـ في الجمع فتكون بوزن كلبة وكلاب، كما في المصباح المنير ٩٣/١.

وقال ابن منظور في لسان العرب ١٨/٨: والبقعة والبقعة ـ والضم أعلى ـ قطعة من الأرض على غير هيئة يجتنبها، والجمع: بقع وبقاع بالكسر اهـ. بتصرف.

إذن فالباء من «البقاعي» مكسورة مراعاة للجمع في الكلمة قبل النسبة إليها.

ولكن جاء في فهرس المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة في تونس: «البقاعي» بضم الباء.

وقال السخاوي في الضوء اللامع ١٩١/١١: البقاعي بضم الموحدة ثم قاف، نسبة إلى قرية من البقاع العزيزي من عمل الشام ـ ابراهيم بن عمر ابن حسن، اهـ.

فربما أن السخاوي نظر إلى مفرد الكلمة وهو بقعة بضم الباء، وتبعه على ذلك صاحب فهرس المكتبة العبدلية.

وأما «الخرباوي»: فنسبة إلى «خربة روحا» إحدى قرى سهل البقاع التي ولد فيها رحمه الله.

ويجوز في «خربة» فتح الخاء مع فتح الراء وتسكينها، كما يجوز ضم الخاء مع تسكين الراء.

كذا في مراصد الاطلاع ١/٤٥٧.

وأما «روحا» فبفتح الراء، وتسكين الواو، وحاء مهملة ممدودة في آخرها همز.

كذا في معجم ما استعجم ٢/٦٨١.

ونسبه الكتاني في فهرس الفهارس إلى مصر وخطأه الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه «معجم المؤرخين الدمشقيين» ص ٢٥٩.

والحق: أن البقاعي شامي المولد، والمنشأ والوفاة، فقد ولد في «خربة روحا» بسهل البقاع، وعاش أكثر حياته في دمشق، وبها مات وأما إقامته بمصر فكانت فترة عارضة لطلب العلم بها.

٢ ـ مولده:

أجمعت المصادر التي ترجمت للشيخ رحمه الله، على أنه ولد بقرية «خربة روحا» بوادي البقاع سنة ٨٠٩.

كما أنه ذكر تحديد عام ولادته بهذا التاريخ في تفسير سورة الشورى في نظم الدرر ومصاعد النظر.

ولم أعثر على خلاف عند أحد في تحديد سنة ولادته، إلا أنهم أتبعوا هذا التاريخ بقولهم: تقريباً، ولم يبينوا وجه التقريب وسببه.

٣ ـ نشأته وطلبه العلم:

في أسرة كبيرة يقال لها بنو حسن بقرية «خربة روحا» ولد البقاعي لأبوين فقيرين يعيشان عيشة الكفاف، فقد كانا لا يملكان شيئاً من عرض الدنيا، وفي أحضان هذين الأبوين نشأ البقاعي طفلاً صغيراً يتلمس أول الطريق، وفي ظلال تلك القرية في سهل البقاع الخصيب تعلم القراءة والكتابة، كما حفظ القرآن الكريم على عمه أحمد بن حسن الرباط، فقد كان رجلاً حافظاً للقرآن عارفاً بكافة فروع العلم[١]، وكان البقاعي يملك استعداداً فطرياً ملموساً يجعله متقدماً في تحصيل مبادىء العلم، ولا سيما في حفظ القرآن، فقد ظهرت عليه سمات النباهة، وبدت لديه مخايل النجابة، وفي حوالي العاشرة من عمره حفظ الصبي القرآن الكريم، وتلك غاية يتطلع إليها الناس جميعاً حينما يكون لهم أولاد في تلك السن المبكرة.

وبينما الصبي يواصل دراسته الأولية في كتاب القرية تحت رعاية عمه وبصر أبيه، وقعت أسرته تحت وطأة كارثة هائلة أودت بحياة رجالها، ففي شهر شعبان سنة ٨٢١ هجم على أسرته جماعة يقال لهم «بنو مزاحم» فقتلوا أباه وعميه وأصيب هو بعدة ضربات في جسده كاد من جراءها أن يموت، وكانت سنه إذ ذاك الثانية عشرة من عمره[٢].

ولما حلت تلك النكبة بأسرته، ورزىء في أبيه وعميه وصار يتيماً بفقد أبيه، ولم يطب له المقام بتلك القرية، وكأن الخطر بات محدقاً بأهلها، ينذر بتوالي الحوادث والنكبات في جنباتها[٣] عندئذ أخذه جده لأمه علي بن محمد السلمي ورحل به، وجدّ في السير ممعناً في الاختفاء عن الرقباء والمترصدين

---

١) الضوء اللامع ١/٢٧٤.

(٢) شذرات الذهب ٧/٣٤٠.

(٣) ذكر ابن العماد في الشذرات نقلاً عن البقاعي أن الوقائع استمرت بتلك القرية أكثر من ثلاثين سنة.

حتى وصل إلى دمشق التي كانت في ذلك الوقت إحدى حواضر العالم الإسلامي، يؤمها العلماء من كل صوب، ويقصدها الطلاب من كل فج.

وفي دمشق حط الفتى رحاله، فطاب نفساً، وهدأ بالاً، ولم يكن له من المآرب ما يشغله عن العلم وتحصيله، فاستأنف رحلته مع القرآن، وأخذ يجدد حفظه، فيعيده مرة بعد أخرى، وهناك بدأ في تعلم القراءات على أحد شيوخ دمشق، وغير ذلك من العلوم الشرعية والعربية، ومرت سنوات والفتى على هذا الحال، إلى أن كانت سنة ٨٢٧ وسطع في سماء دمشق نجم من ألمع النجوم، فقد عاد إليها الحافظ شمس الدين بن الجزري الذي تركها منذ سنوات، وهو من المحققين في علم القراءات، وأحد البارعين في علوم العربية، وما أن استقر به المقام حتى هرع إليه البقاعي وكأنه كان ينتظر مقدمه، فأخذ عنه القراءات، واعتبره من كبار شيوخه.

ولكن البقاعي لم يستمر في إقامته بدمشق، فتركها ورحل إلى القدس، وهناك حفظ منظومتي ابن الهائم في الجبر والحساب، وألف بعض كتبه بل وبدأ في عمل منظومته في علمي الحساب والجبر التي سماها «الباحة» وكانت سنه في هذا الوقت ثمانية عشر عاماً، ولكن لم يطل به المقام في القدس، فسرعان ما وصله نبأ وفاة أمه بدمشق، فعاد إليها في العام نفسه، أي في سنة ٨٢٨، فأقام بدمشق وطال مكثه بها، فحفظ النصف الأول من البهجة لابن الوردي، وألف كتابه «كفاية القارىء وغنية المقرىء» في رواية أبي عمرو، كما حضر دروس تقي الدين بن قاضي شهبة ولازم تاج الدين بن بهادر وظل ملازماً له حتى مات سنة ٨٣١.

وفي سنة ٨٣٢ ترك دمشق، ورحل مرة أخرى إلى القدس فمكث بها مدة عامين، حفظ أثناءهاالتحفة للحافظ ابن حجر، ودرس كافية ابن الحاجب في التصريف.

وفي سنة ٨٣٤ شد رحاله، وجد في سيره، حتى ألقى عصا الترحال في القاهرة كعبة العلم ومقصد العلماء في ذلك الوقت، فالتقى بعلمائها وبخاصة

الحافظ ابن حجر العسقلاني فلازمه وكتب عنه، كما كتب له، وانتفع به غاية الانتفاع، ولا سيما في علم الحديث، وأعجب به ابن حجر، فأثنى عليه كثيراً، وعده من كبار تلامذته، بل ومن كبار أصحابه، ووصفه بالعَلّامة، وأثنى على مؤلفاته، وقيَّد عليها عبارات الثناء والاعجاب.

وفي مصر سمع البقاعي كثيراً من علمائها، كالشرف السبكي وشمس الدين الونائي، ورحل إلى كثير من بلادها كالاسكندرية ودمياط بغية تحصيل العلم من الشيوخ الذين ذاع صيتهم، وعمت بين الناس شهرتهم[1].

وفي سنة ٨٤١ وصل البقاعي الأراضي الحجازية، فأدى فريضة الحج، وطاف ببلاد الحجاز، ورحل إلى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي والصلاة فيه، كما ذهب إلى الطائف، ومر بوادي النمل الذي ورد في القرآن ذكره، ففاضت دموعه، وزادت أشجانه كما زار كثيراً من المساجد والمشاهد هناك.

ويتحدث البقاعي في تفسيره عن ذلك الوادي فيقول[2]: «وهو واد بالطائف ـ كما نقله البغوي عن كعب ـ وهو الذي تميل إليه النفس، فإنه معروف إلى الآن عندهم بهذا الاسم، ويسمى أيضاً «نَخِب» بوزن كتف، وقد رأيته لما قصدت تلك الديار لرؤية مشاهدها، والطواف في معابدها ومعاهدها، والتبرك بآثار الهادي في الانتهاء والمبادىء، ووقفت بمسجد قرب سدرة تسمى «الصادرة» مشهور عندهم أن النبي ﷺ صلى به، وهذه السدرة مذكورة في غزوة الطائف من السيرة الهاشمية واقتصر في تسمية الوادي على «نخب»، وأنشدت فيه يوم وقوفي ببابه، وتضرعي على أعتابه:

مـررت بـوادي الـنـمـل يـا صـاح بـكـرة
فـصـحـت وأجـرت الـدمـوع عـلى خـدي

(١) الضوء اللامع ١/١١٠.
(٢) نظم الدرر ١٤/١٤٢.

ويممت منه موقف الهاشمي الذي
ملأ الأرض توحيداً يزيد على العد
وكم موقف أفرشته حرّ جبهتي
وأبديت في أرجائه ذلة العهد

ثم رجع إلى القاهرة وأقام بها لم يبرحها إلا في رحلته إلى حلب بصحبة شيخه الحافظ ابن حجر، ولما عاد من تلك الرحلة ظل مقيماً بمصر لم يفكر في الرحيل عنها إلا في أخريات حياته عندما آذاه بنو قومه من علماء عصره، الذين دب داء الحسد إلى قلوبهم وأعماهم مرض الحقد عن رؤية محاسنه، وذلك عندما ألف كتابه «نظم الدرر» وأغروا به الحكام، وسعوا بينه وبين السلاطين، فتركها إلى دمشق، وكانت هي الرحلة الأخيرة في حياته، وظل بدمشق حتى مات رحمة الله عليه[1].

ومن خلال هذا العرض يدرك القارىء أن الرجل قد رحل في سبيل العلم، وأكثر من الرحلات بين البلاد والأقطار، كما أكثر من التلقي والسماع، فكان ذلك سبباً في غزارة علمه وتنوع معارفه، فضلاً عن استعداده الفطري ومواهبه التي امتاز بها.

وفي تلك المدة الطويلة التي قضاها البقاعي في طلب العلم سواء في زمن البدء والتحصيل، أم زمن الكتابة والتدوين، لم يكن له مصدر مالي ينفق منه، بل لم يكن له أحد يتولى الإنفاق عليه، وإنما كان ينفق على نفسه من عمل يده، فقد رزقه الله حسن الخط، وجودة الكتابة، فكان يكتب لغيره من العلماء نظير أجر معلوم، فمن هذا الأجر، يأكل ويلبس، ويكفي نفسه مؤنة العيش، كما كان يقوم بتعليم الصبيان مبادىء العلوم بجانب القرآن الكريم، وقد عَدَّ السخاوي ذلك نقيصة رمي الشيخ بها[2]، ولكن هيهات هيهات،

---

(١) راجع بدائع الزهور ٣/١٦٩، ومفاكهة الخلان ١/٢٣.
(٢) الضوء اللامع ١/١٠٧.

إنه الحقد على الرجال، والحسد الذي يملأ قلوب العلماء، عندما يرون غيرهم يتفوق عليهم همة وعلماً وعملاً، وفي مقدمة «مصاعد النظر» صرح البقاعي بأنه كان فقيراً لا يملك شيئاً من المال، وأنه كان يديم المكث في المساجد انقطاعاً عن أهل الدنيا، وليجد فيه السكن والمأوى، والمكان اللائق للكتابة والمذاكرة، فقد قال وهو ينعي حظه مع علماء عصره:

«والله الذي جلت قدرته، وتعالت عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما أريد، لكنت أبذل مالاً لمن ينبهني على خطأي، فكلما نبهني أحد على خطأ أعطيته ديناراً».

ويقول:

«فصنيعهم صنع من يريد التشنيع على رجل مسلم مقبل على ما يعنيه تارك لما لا يعنيه منقطع إلى الله تعالى، في بيت من بيوته، يتلو كتابه ويقيم الصلاة، وينفق مما رزقه الله سراً وعلانية، وقد قنع بما آتاه الله».

ويبدو أن فقر البقاعي كان يغرى به أعداءه، فيمعنون في إيذائه، ويتفننون في وسائل الكيد له، ولكنه ـ رحمه الله ـ ما كان يبالي بهم ولم يعبأ بكيدهم وإيذائهم، فقد كان خوفه من الله أكثر، ورهبته من الخالق أكبر، فكان كثير الاعتصام بحبله، دائم اللجوء إلى كنفه، وفي ذلك يقول أثناء عودته من الأراضي المقدسة:

يا رب فانصرني إذا ما استضعفوا حالي، فما أنا من سواك براهب

٤ ـ مشاركته في الغزو:

وكما كان البقاعي عَلَماً في ميدان العلم، ومعلماً يرحل إليه الطلاب من كل صوب، كان ـ أيضاً ـ جندياً معدوداً من جنود المسلمين، شجاعاً لا يرهب العدو، ولا تخيفه كثرة الأعداء، ولذا فقد شارك في الحروب التي وقعت في عصره، وهي التي دارت رحاها بين المماليك والصليبيين، فقد شارك في غزوة رودس وقبرص، ورابط في دمياط وغير ذلك من الوقائع.

وهذه الجندية صفة موروثة لدى البقاعي، فقد ورثها عن آبائه وأجداده فكلهم كانوا فرساناً في الحروب، شجعاناً عند النزال، وبذلك يفخر البقاعي في إحدى قصائده فيقول:

إنّا بنو حسن والناس تعرفنا ... وقت النزال وأسد الحرب في حَنَق[1]
كم جئتُ قفراً ولم يسلك به بشر ... غيري ولا أنس إلا السيف في عنقي[2]

٥ ـ أعماله ومناصبه:

لم تذكر المصادر ـ حسب علمي ـ أن البقاعي تولى أعمالاً عامة سوى التدريس فالذي ورد أنه تولى التدريس والإقراء في بعض المدارس مثل:

١ ـ المدرسة المؤيدية:

فقد تولى التدريس بتلك المدرسة وكان يقوم بإقراء القرآن وتحفيظه مع الاعتناء بتجويده وقراءاته[3].

٢ ـ اقراؤه الحديث بالقلعة:

كما عينه الحافظ ابن حجر لإقراء الحديث من صحيح البخاري بالقلعة في عهد الظاهر جقمق، وكثيراً ما أثنى ابن حجر على قراءته[4].

٣ ـ تولى مشيخة القراء بتربة أم صالح:

وهذه المدرسة بناها السلطان قلاوون بالقرب من قبر السيدة نفيسة سنة ٦٨٢ برسم أم الملك الصالح علاء الدين بن قلاوون.

٦ ـ وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعمل والنشاط، مليئة بالانجازات العلمية الضخمة،

---

(١) الحنق: أشد الغيظ.
(٢) الضوء اللامع ١/١١١.
(٣) معم المصنفين ٣/٢٨٢.
(٤) أنباء الهصر ص ٥٠٨.

وثرية بالمواقف البطولية والشجاعة، يسلم البقاعي روحه إلى ربه، فيموت بدمشق التي بدأ منها نشاطه وكفاحه.

فقد أجمعت المصادر على أنه ـ رحمه الله ـ توفي بدمشق ليلة السبت ١٨ من رجب سنة ٨٨٥ وصلى عليه من الغد بالجامع الأموي، ودفن بالحمرية خارج دمشق من جهة قبر عاتكه[(١)].

رحم الله البقاعي رحمة واسعة، وأدخله فسيح جنته، فقد كان رجلاً، وكان عالماً، مفسراً ومحدثاً، فقيهاً ومؤرخاً، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، وغفر لأولئك الذين ناؤوه وطاردوه، بما كان في قلوبهم من حسد له، وحقد عليه.

---

(١) الضوء اللامع ١/١٠٧. والبدر الطالع ١/٢١. أنباء الهصر ص ٥٠٨. وبدائع الزهور ٣/١٦٩. ومفاكهة الخلان ١/٢٣. وشذرات الذهب ٧/٣٤١.

المبحث الثالث

التعريف ببعض شيوخه وتلامذته

١ ـ شيوخه :

لقد كان طبيعياً أن يكثر شيوخ البقاعي، فرحلاته المتعددة إلى كثير من البلاد والأقطار، أتاحت له اللقاء بكثير من العلماء والأخذ عنهم وهؤلاء الذين أفاد منهم، وعدوا من أساتذته وشيوخه من الكثرة بمكان ولما كان استقصاء ذكرهم في هذه الدراسة أمر يصعب حصوله، فقد رأيت أن أقتصر في التعريف ببعضهم والاقتصار على ترجمة من لهم أثر كبير في حياته، والذين لا يكفُّ عن ترديد أسمائهم في مؤلفاته، ومنهم:

١ ـ الحافظ بن حجر العسقلاني:

هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن محمد، المعروف بابن حجر العسقلاني، الكتاني المصري.

ولد ـ رحمه الله ـ في شعبان سنة ٧٧٣ بمدينة الفسطاط بمصر وتوفي أبوه وهو صغير، فكفله بعض أقاربه وهو الزكي الخروبي، فقد كان أحد الأوصياء

عليه حفظ القرآن صغيراً، وحصل مبادىء العلوم، وتفقه على مذهب الشافعي، ورحل إلى كثير من الأقطار طلباً للعلم. فذهب إلى الشام، والحجاز واليمن، وحج وهو صغير، وما زال دائباً في طلب العلم وتحصيلة حتى أتى عليه زمن لم يكن أحد أحفظ للحديث منه فسمي حافظ عصره.

وفي سنة ٨٢٧ تقلد منصب قاضي القضاة، في عهد السلطان برسباي وظل به حتى سنة ٨٣٠، وأدار هذا المنصب بمهارة وكفاءة، وكان فيه مهيباً جليلاً.

ولقد كانت مجالسه العلمية حافلة بطلاب العلم من الوجهاء والأعيان والعلماء والطلاب، وترك ثروة علمية هائلة، ومؤلفاته كثيرة الفائدة، عظيمة القيمة تبلغ أكثر من مائة وخمسين مصنفاً، في الحديث والفقه والتاريخ.

ومن مؤلفاته:

١ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري.

ويعد هذا الكتاب من أعظم مؤلفات هذا العصر، ومن أجل شروح البخاري.

٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة.

وهو تراجم لأصحاب الرسول ﷺ، رتبه على حروف الهجاء.

٣ ـ إنباء الغمر بأبناء العمر.

وهو كتاب في التاريخ، ذكر فيه حوادث ذلك العصر، وترجم فيه لكثير من أعيانه وعلمائه.

٤ ـ لسان الميزان.

٥ ـ تهذيب التهذيب.

٦ ـ تقريب التهذيب.

وهذه الثلاثة في علم الرجال، وكلها تدل على تمكنه وتضلعه في هذا الفن.

ولقد احتـل ابن حجر مكانه مكينة في قلب تلميذه البقاعي فأحله من نفسه المحل اللائق به، وكذا فعل ابن حجر بتلميذه، فبادله حباً بحب، وتقديراً بتقدير، ولولا أن التلميذ أهل لتقدير أستاذه ما فعل ذلك ابن حجر وهو المحدث الورع، والعالم الوقور.

وكثيراً ما يردد البقاعي ذكر أستاذه في كتبه، وعندما يفعل ذلك فإنما يلقي عليه هالة من التقدير والاعجاب، فما ذكره مرة إلا ويقول: «قال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر».

كما كانت بينهما رسائل متبادلة، وتحدث هذه المراسلة عندما يكـون البقاعي في رحلة من رحلاته، أو مشاركاً في غزوة من غزواته، يدلنا على ذلك رسالة البقاعي التي أرسلها لشيخهوهو في غزوة رودس سنة ٨٤٦ وقد ضمنها البقاعي وصفاً كاملاً للغزوة، لأنه يعلم مدى اهتمام أستاذه ابن حجر بحوادث التاريخ، وهذه الرسالة أثبتها ابن حجر في كتابـه «أنباء الغمـر» ٢٠٠/٩ ط الهند، حوادث سنة ٧٤٧ وقدم للرسالة بقوله: «وقد شرح لي صاحبنا العلامة ابراهيم الوقعة فأثبتها في هذا التعليق».

وهذا إن دل فإنما يدل على ثقة الحافظ ابن حجر في تلميذه وصاحبه البقاعي، وأنه أثير لديه، ثقة عنده فيما يرويه.

وتوفي الحافظ ابن حجر ليلة السبت ٢٨ من ذي الحجة سنة ٨٥٢. راجع ترجمته في:

١ ـ الضوء اللامع للسخاوي ١٠٢/٢.

٢ ـ نظم العقيان للسيوطي ص ٧.

٣ ـ حسن المحاضرة للسيوطي أيضاً ١٥١/١.

٤ ـ بدائع الزهور ٢/١٨.

وقد ألف السخاوي كتاباً بعنوان: الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر.

٢ ـ شمس الدين بن الجزري:

هو شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي، ثم الشيرازي، الشافعي ويعرف بابن الجزري.

ولد بدمشق في ٢٥ رمضان سنة ٧٥١، وتفقه على أعلامها وطلب الحديث والقراءات، وبرع في كل فن، ولكنه عرف باتقانه وتحقيقه لعلم القراءات وعرفه الناس بأنه مقرىء محدث، حافظ مفسر، فقيه مؤرخ، نحوى ناظم، أقرأ الناس وبنى مدرسة للقراء وسماها «دار القرآن» رحل إلى كثير من البلاد مثل مصر والعراق، وينبع والمدينة، وبلاد الروم، وتولى قضاء شيراز فباشره مدة طويلة، ثم رحل إلى اليمن تاجراً، وأقام بها ثم رحل إلى القاهرة، ثم سافر عن طريق الشام والبصرة حتى وصل شيراز فأقام بها إلى أن مات سنة ٨٣٣ في شهر ربيع الأول، ودفن بالمدرسة التي بناها.

وله كثير من المؤلفات القيمة، التي تدل على علو منزلته وبراعته في كافة العلوم، منها: النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء وتذكرة العلماء في أصول الحديث، والتمهيد في التجويد[١].

٢ ـ تلاميذته:

مما لا شك فيه أن عالماً في منزلة البقاعي العلمية، لا بد أن يكثر تلامذته كما أن من طبيعة المورد العذب أن يكثر رواده، والبقاعي كان منهلاً عذباً يكثر عدد تلامذته، ولكن من الصعب استقصاؤهم في مثل هذه المقدمة

(١) راجع؛ طبقات القراء ٢/٢٤٧. والضوء اللامع ٩/٢٥٥. شذرات الذهب ٧/٢٠٤. البدر الطالع ٢/٢٠٧. فهرس الفهارس ١/٢٢٣.

وبخاصة إذا كان كتابه «عنوان الزمان» الذي أورد فيه تراجم تلاميذه غير موجود وقت اعداد هذه المقدمة، ومن هنا فسأكتفي بذكر من عثرت عليه منهم في كتب التراجم الأخرى.

١ ـ شهاب الدين الرملي:

وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن زهير، الرملي ثم الدمشقي، الشافعي المقرىء الشاعر[١].

ولد في ربيع الأول سنة ٨٥٤ بالرملة، ونشأ بها، ثم تحول إلى دمشق فحفظ المنهاج، وألفية ابن مالك في النحو وألفية العراقي في الحديث والشاطبية والدرة في القراءات، ولازم البقاعي لما كان بدمشق فأخذ عنه الحديث، وكتب عنه قطعة من كتاب «نظم الدرر».

ورحل إلى القاهرة وغيرها من البلاد في طلب العلم، وتولى مشيخة الاقراء بجامع بني أمية، واقراء القرآن بتربة أم الصالح بعد البقاعي وكان ديّناً خيّراً.

٢ ـ محيي الدين النعيمي:

هو أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر بن يوسف النعيمي الدمشقي الشافعي[٢].

ولد سنة ٨٤٥، وتتلمذ على برهان الدين البقاعي، وبدر الدين ابن قاضي شهبة، وبرع في الحديث والتاريخ، ورحل إلى كثير من الأقطار لطلب العلم، وله مؤلفات كثيرة تدل على سعة باعه، وكثرة اطلاعه، ومنها:

---

(١) الضوء اللامع ١/٢٢١.
(٢) راجع: الضوء اللامع ٤/٧٧٨. شذرات الذهب ٨/١٥٣.

الدارس في تاريخ المدارس، تذكرة الأخوان في حوادث الزمان العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان، تحفة البررة في الأحاديث المعتبرة، وغير ذلك من الكتب الأمهات.

وتوفي رحمة الله في الرابع من جمادي الأولى سنة ٩٢٧.

المبحث الرابع

آثاره

وفيه:

أ - مؤلفاته.

ب - جوانب ثقافته.

أ ـ مؤلفاته

أما مؤلفات البقاعي فالحديث عنها يطول، فقد نبغ ـ رحمه الله ـ في جميع العلوم التي كانت معروفة في عصره، لأنه حصلها بنهم، وتعلمها بشغف، ولذا فقد ترك ثروة علمية هائلة، تشهد بعلوّ همته، وترفع من مكانته، وتدفع قالة السوء عنه، ولقد ألف في كل فن، وصنف في كل علم، وها هي مؤلفاته:

١ ـ الإباحة في شرح الباحة:

والباحة: منظومة في علمي الحساب والمساحة، نظمها وهو بالقدس سنة ٨٢٧ وسِنُّهُ ثمانية عشر عاماً.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٢١٦.

ومنه نسخة بالمكتبة الخديوية بمصر تقع في نحو ٢٠٠ صفحة.

راجع: جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٩٨.

٢ ـ أحسن الكلام المنتقى من ذم الكلام:

انتقاه من كتاب «ذم الكلام» لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، المتوفي سنة ٤٨١.

راجع: كشف الظنون ١/١٦، ٨٢٨.

٣ ـ أخبار الجلاد في فتح البلاد:

ذكر جورجي زيدان ٣/١٩٨: أنه موجود في مكتبة لا له لي بالأستانة.

وذكر الدكتور صلاح الدين المنجد: أنها تحت رقم ١٩٩٤ تاريخ.

ومنه نسخة أخرى في مكتة داماد ابراهيم بتركيا رقم ٨٨٦.

٤ ـ الإدراك لفن الاحتباك:

ذكره البقاعي في نظم الدرر ١/٧٥ من المخطوطة.

٥ ـ أسد البقاع الناعسة في معتدى المقادسة:

ألفه في ذم بعض أهل القدس.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٨١.

٦ ـ الاستشهاد بآيات الجهاد:

منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٧٦.

٧ ـ أسواق الأشواق من مصارع العشاق:

جمع فيه كتاب «مصارع العشاق في شارع الأشواق» للقاضي أبي المعالي عبد العزيز بن عبد الملك المتوفي سنة ٤٩٤.

وكتاب «الواضح المبين» للحافظ مغلطاي المتوفي سنة ٧٦٢

وكتاب «مغازل الأحباب ومنازه الألباب» لشهاب الدين محمد بن سليمان الحلبي المتوفي سنة ٧٢٥، وقد رتب البقاعي كتابه ترتيباً حسناً وجعله على مقدمة وعشرة أبواب.

راجع: كشف الظنون ٢/١٧٠٣.

ومن هذا الكتاب نسخه بالخزانة العامة بالرباط رقم ٣٣٢٤ وتبلغ ٢٨٠ ورقة، نسخت سنة ٨٧٦ بخط علي بن محمد المنظراوي.

ومنه نسخة مصورة على ميكروفيلم بمكتبة جامعة المللك سعود بالرياض تحت رقم ١/٣٢٠.

وذكر جورجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٩٨ أنه يوجد من هذا الكتاب نسخة بباريس، ونسخه أخرى بمكتبة الاسكوريال.

٨ ـ الإسفار عن أشربة الأسفار:

ألفه سنة ٨٤٤ لما خرج من البحر راجعاً من غزوة قبرص ورودس، ولم يتيسر لهم الفتح.

ذكره في كشف الظنون ١/٨٦.

٩ ـ إشعار الواعي بأشعار البقاعي:

وهو ديوان شعر ضمنه أشعاره.

ذكره في كشف الظنون ١/١٠٤.

١٠ ـ أشلاء الباز على ابن الخباز:

صنفه في الرد على خصمه ناصر الدين بن الزفتاوي أحد النواب.

ذكره في كشف الظنون ١/١٠٥.

١١ ـ الاطلاع على حجة الوداع:

ذكره البقاعي في مصاعد النظر في سورة النصر.

وذكره صاحب كشف الظنون ١/١١٧.

١٢ ـ إظهار العصر لأسرار أهل العصر:

وهو تذييل على كتاب شيخه الحافظ ابن حجر المسمى «إنباء الغمر بأنباء العمر». بدأه بحوادث سن ٨٥٥ وانتهى فيه إلى سنة ٨٧٠.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/١١٨، ١٧١.

ومنه نسخة بخط المؤلف بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، تحت رقم ٨٩ تاريخ وتبلغ ٣٠٠ ورقة.

١٣ ـ الإعلام بسن الهجرة إلى الشام:

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٥١.

ومنه نسخة في مكتبة بلدية اسكندرية تحت رقم ٢٠٢٠ كتبت في حياة المؤلف.

ونسخة في شستربتي رقم ٣/٣٦٦٦ كتبت سنة ٨٨١.

ونسخة بدار الكتب بمصر تحت رقم ٣٥٥١ ح كتبت سنة ٩٩٥.

١٤ ـ الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة:

ذكره في كشف الظنون ١/١٤٠.

قال الشوكاني في البدر الطالع ١/٢٠: وفيه ما يشفي.

ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩ تفسير.

١٥ ـ إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر:

ألفه في شوال سنة ٨٨١ بدمشق، عندما رأى جماعة من العوام مجتمعين

حول شيخ في الجامع يرقصون ويرفعون أصواتهم، فكتبه نهياً لهم عما هم فيه من الابتداع.

وذكره صاحب كشف الظنون ١/ ١٧٠.

١٦ ـ الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان:

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤ م مجاميع.

١٧ ـ بذل النصح والشفقة بصحبة السيد ورقة:

منه نسخة بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٣٧٣٣ في ٦٨ ورقة نسخت سنة ٨٨٤.

قال المؤلف في آخرها: وكان فراغي من تسويدها سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة في منزلي الملاصق للمدرسة البادرائية من دمشق[1].

١٨ ـ بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعه الغناء والسماع:

ذكره صاحب كشف الظنون ١/ ٢٦٠.

١٩ ـ تحذير العباد من أهل العناد ببدعه الاتحاد:

ومنه نسخة بالمكتبة السعودية رقمها ٨٦/٤٧٤ تبلغ ٢٢ ورقة.

وقد نشر هذا الكتاب محققاً مع كتاب «تنبيه الغبي» الآتي تحت عنوان «مصرع التصوف» بتحقيق عبد الرحمن الوكيل عضو جماعة أنصار السنة سنة ١٩٥٢.

٢٠ ـ تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي:

توجد منه نسخة بالمكتبة السعودية تحت رقم ٨٦/٤٧٤ تبلغ سبعين ورقة.

---

(١) راجع: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية وضع محمد ناصر الألباني ص ٣٣٨ ط مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٠.

٢١ ـ تهديم الأركان من ليس في الامكان أبدع مما كان:

وهي رسالة رد فيها على بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة كما ذكر فيها اعتراضات على الغزالي في الإحياء وفرغ من تأليفها سنة ٨٨٣.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٥١٣.

وأورده صاحب كشف الظنون بعنوان: دلالة البرهان على أن ليس في الإمكان أبدع مما كان.

راجع: معجم المصنفين ٣/٢٧٩ وكشف الظنون ٢/٧٥٩.

٢٢ ـ تهذيب جمل الخونجي:

واسم كتاب الخونجي: الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق.

ومؤلفه: محمد بن ناماور بن عبد الملك، المتوفى سنة ٦٢٤.

فهذبه البقاعي وحرر قواعده، وفرغ منه في رجب سنة ٨٦١.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٦٠٢.

٢٣ ـ جواهر البحار في نظم سيرة النبي المختار:

وهو أرجوزة في سيرة النبي ﷺ، وعمل عليها البقاعي شرحاً في مجلدين.

راجع: كشف الظنون ١/٦١٢.

ومنه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٤٣ تاريخ طلعت وتبلغ ٣٨ ورقة.

راجع: فؤاد السيد: فهرس المخطوطات المصوره ٤/١٤٣، وصلاح الدين المنجد معجم المؤرخين الدمشقيين ص ٢٦١.

٢٤ ـ خير الزاد المنتقي من كتاب الاعتقاد:

انتقاه البقاعي من كتاب «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» للحافظ البيهقي صاحب السنن، بعد ما قرأه على شيخه الحافظ ابن حجر، وفرغ منه البقاعي في ذي القعدة سنة ٨٦١.

راجع: كشف الظنون ١/٧٢٧، ٢/١٣٩٣.

٢٥ ـ دلائل البرهان لمنصفي الإخوان على طريق الإيمان:

فرغ منه في جمادي الأولى سنة ٨٧٧، وأرسله إلى بعض إخوانه بالقاهرة. كذا في كشف الظنون ١/٧٥٩.

٢٦ ـ أدلة البرهان القويم على تناسب أي القرآن العظيم:

وهو اختصار ـ لكتاب «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور».

ومن هذا الكتاب نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم ٤٧٢٤ وتبلغ ٤٦٤ لوحة.

٢٧ ـ رفع اللثام عن عرائس النظام:

وهو مختصر في العروض والقوافي، وقد رتبه البقاعي على قسمين:

الأول: في العروض. والثاني: في القافية. وفرغ من تأليفه سنة ٨٤٨.

كذا في كشف الظنون ١/٩١٠.

٢٨ ـ سر الروح:

هو اختصار لكتاب «الروح» لابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١.

كذا في كشف الظنون ٢/١٤٢١.

ومن هذا الكتاب نسخة بالحرم المكي تحت رقم ٦٥٤ تصوف وتبلغ ٦٥ لوحة.

٢٩ ـ السيف المسنون اللماع على المفتي المفتون بالابتداع:

وهو رد على السيوطي لما أفتى بلزوم قراءة الفاتحة عقب الصلوات.

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١٠١٨.

٣٠ ـ شرح جمع الجوامع:

وهو كتاب في الأصول شرح فيه كتاب «جمع الجوامع» للسبكي، ولهذا الكتاب شروح كثيرة من بينها شرح البقاعي.

كذا في كشف الظنون ١/٥٩٦.

٣١ ـ صواب الجواب للسائل المرتاب المعارض المجادل في كفر ابن الفارض.

ويأتي بعنوان: تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد.

وعنوان: تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض.

راجع: كشف الظنون ١/٣٥٥، ٣٨٢، ٢/١٠١٨.

٣٢ ـ ضوابط الإشارات إلى أجزاء علم القراءات:

ذكره في كشف الظنون ٢/١٠٩٠.

ومنه نسخة في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٧٤٢٢، كتبت سنة ٨٦٦ وتبلغ ٨ ورقات.

٣٣ ـ العدة في أخبار الردة:

ذكره في المناسبات ٦/٩٤ أ.

٣٤ ـ عظم وسيلة الاصابة في صنعة الكتابة:

وهو منظومة في الخط والنقط والشكل.

ذكره كشف الظنون ٢/١١٤٢.

٣٥ ـ عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران:

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١١٧٤.
ومنه نسخة في مكتبة كوبرولي بتركيا تحت رقم ١١١٩.
ونسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٠١ تاريخ.
ونسخة في المكتبة الأحمدية بالزيتونة في تونس تحت رقم ٥٠٣٤ تراجم.
ومنه قطعة بخط المؤلف في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٤٣ تاريخ.

وهذا الكتاب قيد التحقيق بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية.

٣٦ ـ عنوان العنوان:

وهو اختصار لكتاب «عنوان الزمان».

؟ ذكر جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٩٨ أن منه نسخة في أكسفورد.

ومنه نسخة في المكتبة التيمورية بمصر تحت رقم ١٤٧٤ تاريخ.

٣٧ ـ الفارض:

قال صاحب كشف الظنون ٢/١٢١٥: ذكره ـ يعني البقاعي ـ في دلالة البرهان وقال: ومن أراد بسط الأدلة في هذه الرسالة فعلية بكتابي «الفارض» فإنه بحر عباب، وذكرى عظيمة، لا يستغني عنه في هذا الزمان متشرع.

٣٨ ـ الفارض في تكفير ابن الفارض:

ذكره البقاعي في كتابه «تحذير العباد» ص ٢٥٧، ولعله هو الكتاب السابق.

٣٩ ـ الفتح القدسي في آية الكرسي:

فرغ منه في شهر شعبان سنة ٨٧٩.

ومنه نسخة في مكتبة تشستربتي تحت رقم ٣٦٦٦/٤.

ونسخة مصورة عن النسخة السابقة بالمكتبة المركزية بجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية بالرياض على ميكروفيلم تحت رقم ٣٦٦٦/ف وتبلغ ٢٨ لوحة.

٤٠ ـ القول المعروف في الرد على منكري المعروف:

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١٣٦٤.

٤١ ـ القول ا لمفيد في أصول التجويد:

ذكره في كشف الظنون ٢/١٣٦٥.

ومنه نسخة في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٧٤٢٣، في ١٦ ورقة نسخت سنة ٨٦٦ هـ.

ونسخة أخرى بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم ١٧٥٥ د.

ونسخة مصورة عن السابقة بمكتبة جامعة الرياض على ميكروفيلم تحت رقم ١٤/٣٣١ ف.

٤٢ ـ كفاية القارىء في رواية أبي عمرو:

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١٥٠٠.

٤٣ ـ مالا يستغني عنه الإنسان من ملح اللسان:

وهو كتاب في النحو أوله: «الحمد لله الذي جعل النحو صلاح الألسنة».

وفرغ منه في جمادي الأولى سنة ٨٣٦ هـ.

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١٥٧٥.

٤٤ ـ مختصر سيرة النبي ﷺ وثلاثة من الخلفاء الراشدين.

ذكره جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٩٨.

وقال الزركلي في الأعلام: ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة عبيد بدمشق.

ومنه نسخة في برلين تحت رقم ٩٦٩٤.

٤٥ ـ مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور:

ويسمى أيضاً: المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى.

قال صاحب كشف الظنون ١٧٠٤/٢: جمع فيه ما لم يحوه كتاب كالبحر العباب.

وهو هذا الكتاب الذي نقوم بتحقيقه.

٤٦ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:

طبع هذا الكتاب لأول مرة محققاً بالهند، وظهر منه حتى الآن ثمانية عشر مجلداً تنتهي بآخر سورة ق.

ونسخه المخطوطة متوفرة وكثيرة، منتشرة في مكتبات العالم، مثل مكتبات مصر وتركيا،! والمدينة المنورة، والرياض، والمغرب، وتونس، ودمشق والعراق، وبلغاريا، وباريس، ولندن.

٤٧ ـ النكت الوفية بما في شرح الألفية:

والألفية منظومة في الحديث للحافظ زين الدين العراقي المتوفي سنة ٨٠٦ لخص فيها كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح.

وبلغ البقاعي في شرحه إلى نصف المنظومة، وأودعه ما استفاده من شيخه الحافظ ابن حجر.

راجع: كشف الظنون ١٥٦/١.

٤٨ ـ النكت والفوائد:

وهو كتاب شرح فيه العقائد لسعد الدين التفتازاني.

ذكره صاحب هدية العارفين ١/٢٢.

٤٩ ـ **الوفيات:**

ذكر فيه أسماء من توفي وتاريخ وفاتهم من سنة الهجرة إلى سنة ٧٤٥هـ.

ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة عاشر أفندي في مجموع تحت رقم ١١٦٢ في ١٤ ورقة.

* * *

هذا، وللشيخ كتب أخرى غير ما ذكرت، تحتاج إلى بحث وتنقيب في مكتبات العالم المختلفة، فقد كان ـ رحمه الله ـ علماً يراه القريب والبعيد، ويشهده القاصي والداني، وكان لكتبه أكبر الأثر في نفوس العلماء وطلاب العلم، مما عمل على ذيوعها وانتشارها، وتعدد نسخها.

وذكر الدكتور صلاح الدين المنجد أنه يوجد في ليدن بألمانيا فهرست لمصنفات البقاعي بخط أحمد بن خليل اللبودي تحت رقم ٢٤٨٣.

راجع: معجم المؤرخين الدمشقيين ص ٢٥٩.

ب ـ جوانب ثقافته

عرفنا مما تقدم أن البقاعي قد أحاط بمعارف عصره، وأنه نبغ في كافة العلوم التي كانت سائدة آنذاك، والناظر في تراثه بإمعان يدرك لأول وهلة أنه أمام شخصية علمية متعددة المواهب، مختلفة الجوانب، فهو مفسر، محدث، مؤرخ، أديب وشاعر.

وفي هذه العجالة من البحث سوف أتحدث عن تلك الجوانب المختلفة للتعرف عليها من جهة، ولبيان مكانته العلمية من جهة أخرى.

أولاً: مكانته في التفسير وعلومه:

لا شك أن البقاعي في مجال التفسير علم من أعلامه، وهو حامل رايته

في حله وترحاله، وكتابه «المناسبات» أشهر من أن يجهله عالم أو طالب علم، سواء كان ذلك في عصره أم في ما تلاه من عصور، وكذلك كتابه، «مصاعد النظر» الذي حوى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بعلوم القرآن، والذي سيأتي عنه الكلام في الفصل التالي على حدة.

وكتاب المناسبات الذي اشتهر به البقاعي يعد أول خطوة من خطوات التجديد في التفسير، والتحرر من العادات التي توارثها المفسرون الأقدمون وتناقلوها طبقة عن طبقة، لأنهم إما مفسر يعتمد على المأثور من القول لا يعدوه إلى غيره حتى ولو كان ضعيفاً أو موضوعاً لا يصلح للأخذ به.

وإما متعصب لمذهب من المذاهب العقائدية أو الفقهية يحاول أن يخضع نصوص القرآن لتأييد مذهبه والحط من المذاهب الأخرى، لا يألو في ذلك جهداً حتى ولو أداه ذلك إلى التكلف وركوب متن الشطط.

وإما مغرق في اللغة. فيصبغ كتابه بالإكثار من الإعراب، والإنسياق في سرد المذاهب النحوية، ورد كل مذهب على الآخر، وبذلك تضيع المعاني، ويضل القارىء طريقه في هذا الحشد من أقوال النحاة، ولا يعرف أهذا كتاب نحو أم كتاب تفسير، وكتاب البقاعي في جملته يخلو من تلك المظاهر المعيبة، والتي لا تمت إلى التفسير بأدنى صلة.

وكان ـ رحمه الله ـ موفقاً في اعتناقه بإبراز المناسبات بين كل آية وآية، بل وبين كل جملة وجملة، وهذا جانب مهم من جوانب التفسير، وإبراز كنوز القرآن التي لا تنضب ولا تنتهي، كما كان موفقاً في اختيار وتحديد المنهج الذي التزمه فيه.

ثانياً: البقاعي محدثاً:

ما من أحد ترجم للبقاعي إلا وصفه بأنه محدث، مبرز في هذا الجانب، بل لقد وصفوه بأنه من الحفاظ.

فمثلاً يقول ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة:

الحافظ العلامة برهان الدين البقاعي[١].

ويقول السيوطي: برهان الدين أبو الحسن العلامة المحدث الحافظ[٢].

ويقول الصيرفي: الإمام العلامة المحدث البقاعي الشافعي خرّج في الحديث العالي والنازل، ورقّاه قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر حتى جعله قارىء البخاري في القصر بقلعة الجبل بحضور السلطان في دولة الظاهر جقمق، وكان يثني على قراءته وفصاحته، وهو كذلك مع الدين والخير[٣].

ويقول ابن أياس: وكان عالماً فاضلاً محدثاً ماهراً في الحديث[٤].

ويقول ابن طولون: المحدث البرهان البقاعي[٥].

وقد ألف البقاعي في مصطلح الحديث فشرح ألفية الزين العراقي، وأتى في هذا الشرح بما يدل على تفوقه في علوم الحديث، وهو معروف لدى العلماء، فقد ذكره وأثنى عليه كل من ترجم للشيخ رحمه الله.

وزعم السخاوي في كتاب له: أن البقاعي سطا على شرح للألفية وضعه الشيخ محمد بن محمد الموصلي بتقييده عن الحافظ ابن حجر[٦].

وعندي أن هذه أكذوبة من أكاذيب السخاوي التي سوّد بها ترجمة العلامة برهان الدين البقاعي في محاولته اليائسة لطمس تاريخ الرجل، وتشويه سيرته وصورته، ولو كان ما ذكره صحيحاً لما خفي أمره على الشيخ الموصلي، بل وما خفي على الحافظ ابن حجر، ولا سيما وأن البقاعي كان كلما عمل

---

(١) النجوم الزاهرة ١٦/٣٤٧.
(٢) نظم العقيان ص ٥٤.
(٣) أنباء الهصر ص ٥٠٨.
(٤) بدائع الزهور ٣/١٦٩.
(٥) مفاكهة الخلان ٢/٦.
(٦) التبر المسبوك ص ٣٧١.

كتاباً، أو وضع رسالة أطلع عليها شيخه الحافظ ابن حجر، وقد صرح البقاعي في مقدمة مصاعد النظر بأن ابن حجر أطلع على تلك الحاشية وكتب له ثناء عليها، وهذا وحده كاف في رد مزاعم السخاوي ومناوراته، ودحض مفترياته.

والذي يطلع على كتب البقاعي، وبخاصة كتابيه: مصاعد النظر، ونظم الدرر، اللذين وقعنا عليهما، يجده في تخريج الأحاديث وما يتعلق بها من بيان درجاتها، وضبط رواتها، وعدالة نقلتها، كالملاح الماهر يخوض في مصنفات الحديث، ويمخر عباب فن الجرح والتعديل، فيستخرج مما يتعلق بالحديث واسناده لآلىء ودرر، حتى أن القارىء ليجد برد الراحة يثلج صدره ويقين العلم يطمئن فؤاده، والبقاعي بما منحه الله من موهبة نادرة، وبما اكتسب من ثقافة واسعة في الحديث وعلومه يرتاد هذا المجال عن تمكن واقتدار.

كما أن كتب البقاعي تشهد بأن له اطلاعاً واسعاً، وإلماماً غير محدود بكتب الحديث، سواء منها الكتب الستة، أم ما ألف قبلها، وما أتى بعدها.

ثم إنه يتتبع الحديث الواحد في جميع مصادره باستيعاب، ويبحث عنه في شتى المصادر باستقصاء، فلا يكل ولا يسأم، من عزوه لكل تلك المصادر، ومن سياقه مرة بعد مرة، لكي يوقف القارىء على كل ألفاظ الحديث التي اختلفت روايتها لدى كل مصنف بزيادة أو نقصان، بتقديم أو تأخير، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابه «مصاعد النظر».

ثالثاً: البقاعي مقرئاً:

سبق أن ذكرت: أن البقاعي اهتم بتحصيل القراءات في مطلع صباه وأنه قرأ على كبار المقرئين في عصره، منهم الامام شمس الدين ابن الجزري ـ رحمه الله ـ، وكان أول كتاب ألفه البقاعي ـ على ما يبدو لي ـ كان في القراءات

سنة ٨٢٧ وكانت سنة إذ ذاك ثمانية عشر عاماً، وهذا الكتاب هو «كفاية القارىء وغنية المقرىء» في قراءة أبي عمرو.

ولما أطلع عليه شيخه الحافظ ابن حجر أعجب به غاية الاعجاب وكتب عليه بخطه:

«فهكذا هكذا تنظم اللآلىء؛ وإلى هنا تنتهي رتب أولى المعالي، إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً، ويا ليت شعري ومن هذه بدايته، فما الذي بلحاق النجم ينتظر»(١).

وليس هذا هو الكتاب الوحيد الذي ألفه البقاعي في القراءات فقد ألف كتباً أخرى تدل على تبحره في هذا الفن، مثل كتاب: «ضوابط الاشارات إلى أجزاء علم القراءات» وكتاب: «القول المفيد في أصول التجويد» ولم يكن البقاعي مصنفاً في القراءات فحسب، وإنما مارس علم القراءات إقراءاً وتدريساً في عدة مدارس، كان يوكل إليه القيام بإقراء الطلاب فيها كما سبق أن ذكرت في ترجمته.

رابعاً: البقاعي مؤرخاً:

وفي التاريخ ألف البقاعي عدة كتب تشهد كلها بتضلعه في هذا الفن، وتدل على تبحره فيه، فقد ذيل بكتاب ضخم على تاريخ شيخه الحافظ ابن حجر المسمى «إنباء الغمر» بدأه بذكر الحوادث التي انتهى عندها شيخه.

كما أنه ترجم لشيوخه وأقرانه وتلاميذه في معجم كبير يدل على تفوقه في هذا الميدان.

ومن آثاره في التاريخ:

١ ـ أخبار الجلاد في فتح البلاد.

---

(١) راجع: ص ٢٢ من كتاب مصاعد النظر.

٢ ـ عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران.

٣ ـ عنوان العنوان، وهو اختصار للكتاب السابق «عنوان الزمان».

٤ ـ إظهار العصر لأسرار أهل العصر.

ذيل به على تاريخ شيخه الحافظ ابن حجر المسمى:

أنباء الغمر.

٥ ـ الوفيات.

ذكر فيه أسماء وتاريخ من توفي، من سنة الهجرة إلى سنة ٧٤٥.

٦ ـ مختصر سيرة الرسول ﷺ وثلاثة من الخلفاء الراشدين.

٧ ـ الاعلام بسن الهجرة إلى الشام.

٨ ـ جواهر البحار في نظم سيرة المختار.

وتدل هذه المؤلفات بأنه قد أحاط بكل نواحي هذا الفن، فألف في كل جانب من جوانبه، وقد انتفع السخاوي في كتاب «الضوء اللامع» بكتاب «عنوان الزمان» للبقاعي، فنقل عنه كثيراً في تراجم علماء ذلك العصر(١).

كما انتفع به جلال الدين السيوطي في كتابه نظم العقبان(٢).

خامساً: البقاعي شاعراً وناظماً:

لم يشتهر البقاعي بأنه شاعر، لأن شهرته في التفسير غطت على هذا الجانب من جوانبه الثقافية، وله ديوان بعنوان «إشعار الواعي بأشعار البقاعي» والذين اطلعوا على هذا الديوان حكموا بأن الجيد من شعر البقاعي متوسط، وقد تناول في شعره الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء قديماً، وفي مقدمة كتاب «مصاعد النظر» كثير من شعره ـ وهذه بعض النماذج منه:

(١) راجع ـ مثلاً ـ ١/٢٠٠، ٢٢٩.

(٢) راجع منه ص ٥، ١٠، ٢٩.

قال رحمه الله يشيد بكتاب فتح الباري لشيخه ابن حجر:

إن كنت لا تصبو لصف عذارى ... دع عنك تهيامي وخلع عذارى
إن الغرامُ له رجال دينهم ... تلف النفوس على هوى الأقمار
خاضوا بحار العشق وقت هياجها ... إذ موجها كالجحفل الجرار
فاستوسقوا درراً تجل نعوتها ... صاروا بها في العاشقين درارى
لله أيام الوصال وطيبها ... لو لم تكن ككواكب الأسحار
ليلات أرتشف الرحيق من الثغو ... رفأنثني من دون شرب عقار
وأدير في روض الوجوه محاجرى ... عجباً فتعييني عن الأنوار
بأبي الخدود نواضرا حسناتها ... كنواظر الغزلان في الدينار
قصدت يكون المسك حسن ختامها ... فتعلمت من ختم فتح الباري
شرح البخاري الذي في ضمنه ... نظمت علوم الشرع مثل بحار
في كل طرس منه روض مزهر ... وبكل سطر منه نهر جاري
وبه زوائد من فوائد جمة ... وفرائد أعيت على النظار
شرح الحديث به فكم من مشكل ... فيه انجلى للعين بالآثار
يأتي إلى طرق الحديث يضمها ... إن العيان مصدق الأخبار
وتزاحمت أفديه في تحصيله ... زمر الملوك فسل من السفار
من فيض أحمد نبعه وله منا ... سبة به اشتهرت لدى الأفكار
إن قلت نهر فهو للحجر انتهى ... ومن الحجارة منبع الأنهار
أو قلت بحر صقلان أصله ... فالناس عالة بحرها الزخار
كم قد رحلت وكم جمعت مصنّفا ... فالدين قد أحييت بالأسفار
وسكنت في العلياء تقي وفضائلا ... أنت الشهاب بك اهتدى السارى
رحلت إليك الطالبون ليقتدوا ... وتتابعوا سبقاً من الأقطار
وتراكضوا خيل الشبيبة حين لم ... تركس بوهن أو بوصف عذارى

---

(١) راجع: كشف الظنون ١/١٠٤. ونظم العقيان ص ٢٤.

فارقت في أرض البقاع عشائري   أطوى إليك فيافيا وصحارى
فارقت منهم كل أروع ماجد   حامي الذمار بسيفه والجار
فمصنفاتك سهلت وتنزهت   من طاعن يرجو قذى أو عار
تربو على مائة ونصف أودعت   دررا تضيء الليل وقت سرار
وتضوع بالمسك الذكي لناشق   حسناً فيخجل أن يضوع الداري
لم تبلغ المقصود من أوصافكم   كلا ولم يقرب من المعشار
فاسلم على كر الليالي راقياً   رتب العلا، تهنأ بفتح الباري(1)

وله أيضاً:

للعبد يجري الأجر بعد الموت في   تسع كما قال النبي المصطفى
اجراء نهر، حفر بئر، غرس نخـ   ـل، نشر علم، والتصدق في الشفا
وبناء بيت لابن السبيل ومسجد   وبتركه ابناً صالحاً أو مصحفاً(2)

---

(1) راجع: فتح الباري للحافظ ابن حجر ١٣/٥٥.
(2) نظم العقيان ص ٢٥.

الفصل الثاني

التعريف بالكتاب

وفيه النقاط التالية:

١ ـ تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف.

٢ ـ وصف نسخ الكتاب الخطية.

٣ ـ منهج المؤلف في الكتاب.

٤ ـ القيمة العلمية للكتاب.

٥ ـ مآخذ على المؤلف في كتابه.

٦ ـ بيان المنهج الذي اتبعته في التحقيق.

الفصل الثاني

التعريف بالكتاب

قبل البدء في تحقيق أي كتاب لا بد من ذكر بعض الأمور المهمة التي تهم من يطالعه، وسوف أحصر الكلام في هذا الفصل عن النقاط الآتية:

١ ـ تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف:

اسم هذا الكتاب: «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور». هكذا جعل المؤلف عنوان الكتاب، ونص عليه في افتتاحيته بقوله: «وبعد»: فهذا كتاب سميته «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» ويصلح أن يسمى: المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى.

كما جاء ذكر اسمه مصرحاً به في كتب التراجم التي ترجمت للمؤلف رحمه الله، ولم أقف على خلاف يعتد به في تلك التسمية، ثم إن نص المؤلف على اسم الكتاب في مقدمته يجعل مظنة الخلاف في ذلك أمراً بعيداً.

وأما نسبة الكتاب إلى المؤلف رحمه الله ـ فلم أعثر على خلاف في ذلك

ولن يصادف الباحث أدنى صعوبة في تحقيق هذه النسبة لأن المصادر القديمة والحديثة تتفق في نسبة الكتاب إلى الشيخ الإمام برهان الدين البقاعي.

كما أنه من أوضح الأدلة على ذلك: أن المؤلف ـ رحمه الله ـ أكثر من ذكره والاحالة عليه في عدة مواضع من كتابه «نظم الدرر» وليس في إمكان أحد أن يماري في نسبة كتاب «نظم الدرر» إليه.

وقد نقل صاحب كشف الظنون عن البقاعي أنه قال وهو بصدد الحديث عما لقيه من أهل عصره لما ألف «نظم الدرر» وصنفت بسبب ذلك كتابي «مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور» ثم صنفت «الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة».

٢ ـ وصف النسخ الخطية للكتاب:

يوجد من هذا الكتاب عدة نسخ موزعة على المكتبات العامة بمصر والرباط ومكتبة الحرم بمكة المكرمة.

منها ثلاث نسخ بدار الكتب المصرية، ونسخة واحدة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.

١ ـ أما نسخة معهد المخطوطات فهي النسخة التي كتبها المؤلف بخطه وذكر في آخرها: أنه بدأ في كتابة مسودته في نصف شوال سنة ٨٧٠ وفرغ منها ليلة الجمعة رابع عشر من جمادي الأولى سنة ٨٧١، وفرغ من النسخة التي بأيدينا الآن ليلة الثلاثاء رابع عشر من شعبان من السنة نفسها بمنزله بالقاهرة.

ويبلغ عدد أوراق هذه النسخة ١٤٦ ورقة، وبالورقة ثلاثة وعشرون سطراً، وخطها نسخ دقيق في كتابته، وعلى هوامشها تكملات للأصل وكتب على الصفحة الأولى: «كتاب مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور».

وتحت العنوان: «من الله به على أحوج الخلائق إلى عفو الخالق،

ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، لطف الله بهم أجمعين، وأسكنهم جنان النعيم، مع النبيين والصديقين والصالحين آمين، آمين، آمين.

وبعد هذا الكلام من ناحية اليسار مكتوب: ابتدأت في مسودة هذا الكتاب في سادس عشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، ووصلت إلى سورة ص حيث أنا في نظم الدرر، وفرغت منه في أثناء سنة احدى وسبعين وفرغت من المبيضة إلى سورة الزمر في سادس عشر ربيع أول في العام المذكور ثم فرغت من المسودة ليلة الجمعة رابع عشر من جمادي الأولى من السنة ثم من المبيضة ليلة رابع عشر من شعبان من السنة.

وعلى يمين هذا الكلام مكتوب: «وفيه من تصنيف البقاعي أيضاً: القول المعروف، والأجوبة السرية، وفيه من غيره نظم متشابه القرآن للعالم السخاوي.

وتحت هذا الكلام مكتوب:

الحمد لله المتفضل بانعامه على من يشاء

بأن دين الله أضحى موضحاً	أسرار قول الله في القرآن
وأتى بما ترك الورى من بعده	تفي الورى أبد مدى الأزمان
فمن ادعى نسجاً على منواله	فقد ادعى ما ليس في الإمكان
وإذا المفسر رام يوماً أنه	بمثاله يأتي بلا اذعان
قلنا له قم وقايس عد ذا	وأما الدليل، عليك بالبرهان

قال ذلك وكتبه أقل تلامذته وأحوجهم إلى عفو الله ومغفرته خليل الذهبي... المقرىء، لطف الله به وبالمسلمين أجمعين آمين.

وبعد هذه الأبيات: «يطلب من الله الغفران إبراهيم بن سليمان».

وعلى الجانب الأيسر كلام مطموس، وفي أعلى الصفحة أختام وكلمات

أغلب الظن أنها وقوف، ولكن الكلام يصعب قراءته فقد خلا من الوضوح.

النسخة الثانية:

وهذه النسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٦٧ تفسير، وتبلغ ٤٧٠ لوحة من الحجم المتوسط وقيل: إنها مصورة من نسخة المؤلف، ولكن عدد لوحاتها ينفي ذلك، لأن عدد أوراق نسخة المؤلف ١٤٦ ورقة كما سبق أن ذكرت.

وهي نسخة رديئة التصوير، يتعذر الانتفاع بها، فكثير من الأوراق يبدو وكأنه مطموس تماماً نظراً لرداءة تصويره، ثم أن بها نقصاً وزيادات.

أما النقص: فاللوحة ٩٠ ساقطة.

وأما الزيادات: فاللوحة ٩٣ مكررة، وكذلك اللوحة ٢٢٢ واللوحة ٤١١ واللوحة ٤٣٠.

وعلى أول ورقة منها مكتوب كلمات بالخط الكوفي يتعذر قراءتها ومربع به كلمات يبدو أنها كلمات فارسية.

وعلى الورقة الثانية منها فهرس للسور، ولكنه ناقص لأنه يبدأ بسورة الفاتحة، وينتهي بسورة ن.

وعلى الورقة الثالثة وقف من السلطان عثمان خان بن السلطان مصطفى خان، وفي نهاية الصفحة من أسفل يوجد ختم مكتوب فيه: بنك لطيف ابر هيم ضيف.

النسخة الثالثة:

وهذه النسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٦٩١ ب، وتبلغ ١٤٩ ورقة من القطع الكبير وبالصفحة الواحدة ٣١ سطراً، ومتوسط كلمات السطر ثلاثة عشر كلمة، ومكتوبة بخط نسخ دقيق في غاية من الدقة والوضوح.

وعلى الورقة الأولى منها مكتوب: «مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور».

وتحت هذا العنوان مكتوب: كتاب مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تأليف مولانا وسيدنا العالم المحقق، والامام المدقق، فريد زمانه، ووحيد عصره وأوانه، الشيخ برهان الدين البقاعي، روح الله روحه وضاعف أجره وبره، بمنه، وكرمه، آمين.

وفي أعلى الورقة من جهة اليسار مكتوب: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور.

وأسفل مكتوب: تملكه العبد الفقير محمد بن محمد القاضي بالجزائر عفى عنهما، بتاريخ ذي الحجة سنة خمس وعشرين واثنى عشر مائة، ثم أن تملكته حبسته على طلب العلم من الحنفية.

وفي آخره كلام غير مقروء.

وفي أسفل الصفحة كتابات غير واضحة، وختم دار الكتب المصرية ومربع يحوي أرقام النسخة: الرقم العام، والرقم الخاص.

وهذه النسخة - كما قلت - مكتوبة بخط نسخ في غاية من الدقة والوضوح، ولكن ليس عليها تاريخ النسخ، ولا اسم الناسخ، ويبدو أن الكاتب كان يكتب بسرعة ومن أجل ذلك سقط منها كلمات وجمل، بل وأسطر كاملة، في مواضع متفرقة منها، كما بينت ذلك في هامش الكتاب وغاية ما يمكن من الانتفاع بها أنها تعين على قراءة نسخة المؤلف لأنها عتيقة وقديمة.

النسخة الرابعة:

وهذه النسخة بدار الكتب المصرية أيضاً: تحت رقم **٢٠٣٢٣** ب،منسوخة عن النسخة السابقة، وتبلغ ٧٢٠ صفحة من القطع الكبير،

وأوراقها نظيفة وخطها نسخ واضح، واسم ناسخها: محمود صدقي النساخ بدار الكتب المصرية، وتم الفراغ من نسخها صباح يوم السبت ٢١ شوال سنة ١٣٥٦ الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٧، والحقت بسجل دار الكتب سنة ١٩٣٨ فهي نسخة حديثة جداً، ولما كانت منسوخة عن النسخة السابقة فإنها توافقها في كل ما فيها من أخطاء أو كلمات وجمل وأسطر ساقطة، إلا أنها تزيد عن سابقتها في عدد الأوراق والصفحات نظراً لحجم الخط الذي كتبت به.

وبعد تصفح هذه النسخ الأربعة رأيت أن نسخة المؤلف تكفي في تحقيق الكتاب لأنها أصل جميع هذه النسخ وغيرها من النسخ الموجودة في بلاد أخرى من العالم، ثم استعنت بالنسخة الثالثة لا لتكون أصلاً وإنما للاستعانة بها في قراءة الكلمات التي عراها شيء من الغموض أو التي حشرت في أماكن ضيقة من السطور، ومع ذلك فقد اعتبرتها وأشرت للأماكن التي تختلف فيها مع نسخة المؤلف، كما نبهت على الكلمات والجمل الساقطة، والألفاظ المغايرة، فكل ما في نسخة المؤلف أثبته في الأصل، وما خالفه من النسخة الأخرى أشرت إليه في الهامش، إلا في ما ندر وكان له وجه.

وللتمييز بين النسختين رمزت لنسخة المؤلف بالحرف «م»، لأنها من معهد المخطوطات، ورمزت للثانية بالحرف «د» لأنها نسخة دار الكتب المصرية.

وللعلم فإنني لم أسع في طلب نسخة الحرم المكي لأنها مصورة عن نسخة المؤلف.

وكذلك نسخة خزانة الكتب بالرباط لأنها كتبت بخط مغربي وليست لي دراية بالخط المغربي، إضافة إلى ما ذكرت سابقاً من أن وجود نسخة المؤلف يغني عما عداها من النسخ الأخرى إذ هي الأصل الذي يعتمد في تخريج ما عداها من النسخ مهما كثرت، ومهما كانت قيمتها زماناً ومكاناً.

٣ ـ منهج المؤلف في الكتاب:

أما منهج البقاعي في الكتاب، فقد نهج فيه نهجاً لم يسبقه إليه أحد من العلماء والذين كتبوا حول القرآن مما يتعلق به، وسوف أوجز الحديث عن هذا المنهج فيما يلي:

١ ـ بدأ الشيخ كتابه ببيان فضائل القرآن عامة، وحشد في تلك الناحية جل ـ بل كل ـ الأحاديث والآثار التي تتناول فضائل القرآن، ورتبها ترتيباً حسناً، يدل على سعة أفق، وتمكن في دراساته في الحديث وعلومه.

٢ ـ بدأ كل سورة ببيان مكيتها أو مدنيتها، لأنه يرى أن نسبة السورة إلى محل نزولها من جملة صفاتها التي يلزم التعريف بها ثم إنه يحكى الإجماع إن وجد، وأما إن كان هناك خلاف في محل نزول السورة فإنه يذكر المذاهب والأقوال منسوبة إلى أصحابها، ثم يدلي برأيه مدعوماً بدليله، وبذلك يقضي على الخلاف.

٣ ـ يهتم ببيان الآيات أو الآية المستثناة من مدنية السورة أو مكيتها، وبيان الخلاف الوارد في ذلك أيضاً، وبيان الراجح من الأقوال.

٤ ـ بيان أسماء السورة إن كان لها أكثر من اسم والربط بين كل اسم وما يدل عليه، كما فعل في سورة البقرة وغيرها من سور أخرى.

٥ ـ بيان عدد آيات السورة عند مذاهب العدد، وذكر الآيات موضع الاختلاف، معتمداً في ذلك على كتاب «البيان» لأبي عمرو الداني.

٦ ـ بيان مقصود السورة، والربط بين هذا المقصود وبين اسمها الذي اشتهرت وعرفت به.

٧ ـ سرد الأحاديث الواردة في فضائل السورة.

٨ ـ بيان درجة الأحاديث والحكم عليها ببيان ما في سندها من حال بعض الرواة والنقلة، لكي يدخل الطمأنينة على قلب القارىء عند كل حديث.

٩ ـ شرح بعض الألفاظ الغامضة في بعض الأحاديث معتمداً في ذلك غريب الحديث لأبي عبيد، والقاموس للفيروز أبادي، والخطابي في معالم السنن، والحافظ المنذري في الترغيب، وابن الأثير في جامع الأصول.

١٠ ـ بيان معاني الأحاديث المشكلة بالاعتماد على أقوال كبار العلماء وبيان الساقط من تلك الأقوال، والادلاء برأيه فيه، مما يجعل الأمر في الذروة من الوضوح.

١١ ـ العناية بأسماء الرواة الذين تتشابه أسماؤهم، وتحديد اسم الراوي بما لا يدخله في اسم غيره.

١٢ ـ إذا كانت السورة مبدوءة بالأحرف المقطعة، فإنه يحاول أن يستنبط من مخارج وصفات هذه الأحرف دلالة على مراحل الدعوة الاسلامية من هبوط وصعود، وانكماش وانتشار، مثل ما ذكره في سورة مريم وطه والشورى ونحوها من السور المبدوءة بتلك الأحرف.

٤ ـ القيمة العلمية للكتاب:

كتاب «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» يعد من أهم الكتب في الدراسات المتعلقة بعلوم القرآن، بما حواه من القضايا العديدة التي تهم دارس القرآن.

ففي الحديث عن فضائل القرآن العامة تناول قضية السجع والفواصل في القرآن، وأشبع فيها الكلام، وأطال فيها من النظر، بعرض لأقوال المشهورين من العلماء، وبين ما فيها من الصواب.

وكذلك تعرض لقضية الشعر «ونفيه عن القرآن أيضاً، ثم عن رسول الله ﷺ، وعرض للأبيات التي كان يتمثل بها النبي ﷺ في بعض المواقف، وكذلك بعض أبيات الرجز التي كانت تجري على لسانه ﷺ في بعض المواطن والغزوات، وبين أن النبي ﷺ ما استقام على لسانه بيت واحد من الشعر

الذي كان يتمثل به، وإنما كان دائماً ينطقه مكسوراً وخالياً من مراعاة الوزن، وذلك بما يقدمه من بعض الألفاظ ويؤخره من البعض الآخر، وقد ألم البقاعي بأطراف هذه القضية من كل جوانبها، فلم يترك فيها قولاً ولا رواية إلا أتى بها وبين ما فيها.

وكذلك بحثه قضية المعوذتين، وما أثير حولها من الأقوال التي تزعم أن عبد الله بن مسعود كان يحذفها من مصحفه بحجة أنهما ليستا من القرآن، ويترتب على ذلك دعوى أن القرآن زيد فيه، ونقص منه، فبين البقاعي أنها دعوى باطلة، وأن عبد الله بن مسعود بريء من نسبة ذلك إليه، وقد أطال فيها الحديث، وأتى على ذلك من البراهين والدلائل التي توضح الحق فيها، مما هو مسطور في موضعه من الكتاب.

ثم إن البقاعي رجل طويل الباع في علم الحديث، عارف بمتونه، عالم بأسانيده، وإذا تعرض لموضوع فإنه يحيط به من كل جانب، ويذكر كل ما ورد فيه من حديث أو أثر، فمثلاً يذكر في سورة البقرة أكثر من مائة حديث أحصاها من كتب السنة المتعددة، ما عرف منها، وما لم يعرف حتى اليوم، ثم يتبع كل حديث منها بما يجلو مرتبته بذكر ما قيل فيه من تحسين أو تضعيف، وبيان حال رواته إن كان بينهم أحد فيه مقال، معتمداً في ذلك على قول أهل الشأن من العارفين بالأسانيد، والضالعين في علم الرجال.

وكل هذا وغيره يشير إلى أن البقاعي من المتمكنين في العلم، والراسخين فيه، الحافظين لأصوله، والعارفين بفروعه، ومن وراء ذلك يتمتع بذاكرة واعية وذهن متوقد، قادر على الإحاطة بنواحي العلوم فضلاً عن معرفته بموطن الداء وموضع الدواء.

وهذا مما يجعل لكتابه شأناً أي شأن، ويعطيه من القيمة العلمية ما ليس لكتاب سواه في هذا الباب، فالكتاب مع أن موضوعه الأصلي بيان مقاصد سور القرآن، إلا أنه يعد موسوعة حافلة بكل النصوص التي تتصل بعلوم القرآن من قريب أو بعيد، والتي هي الأسس والدعائم لعلوم القرآن،

مع أمانة في النقل، ورد كل قول إلى قائله، وتصويبه والثناء عليه إن كان صواباً، ورده في أدب إن كان معيباً.

د ـ مآخذ على المؤلف في كتابه:

إن ما بينته من قيمة الكتاب، وما ذكرته من محاسنه، لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات عليه، والتي رأيت أن أنبه عليها القارىء، ليكون على بينة منها، مقتصراً على ما هو الأهم.

١ ـ ذكره بعض الأحاديث الضعيفة، بل المنكرة، مخالفاً بذلك شرطه في الكتاب، ومتناسياً وعده الذي قطعه على نفسه في المقدمة من أنه لن يذكر حديثاً ضعيفاً أو مردوداً ـ ومثال ذلك:

أ ـ نقل عن سنن أبي داود حديث عائشة في الإفك، أن رسول الله ﷺ جلس وكشف عن وجهه وقال: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم: ﴿ **إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ الآية.

مع أن أبا داود عقب على هذا الحديث في سننه بقوله: هذا حديث منكر.

٢ ـ نقل عن مستدرك الحاكم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل، وسورة النور، يعني النساء.

مع أن الذهبي علق هذا الحديث بقوله: موضوع، آفته عبد الوهاب، قال أبو حاتم: كذاب.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٩٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن ابراهيم الشامي. قال الدارقطني: كذاب.

٣ ـ نقل عن مسند أحمد بن منيع حديث أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر له، ومن قرأ يس فكأنما قرأ القرآن اثنى عشرة مرة... الحديث.

مع أن حديث أبي بن كعب في فضائل سورة القرآن، موضوع باتفاق أهل العلم، وأنه من اختراع أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، كما ذكر السيوطي في اللالىء ١/١١٨، والفتنى في تذكرة الموضوعات ص ٨٢، والذهبي في الميزان ٤/٢٧٩.

٤ ـ نقل عن مسند الفردوس حديث أبي بكر الصديق، أن رسول الله ﷺ قال: سورة يس تدعى في التوراة المعمة.

وهذا الحديث أورده السيوطي بطوله في اللآلىء ١/١٢١، وقال: إنه حديث باطل، أ. هـ.

لأن الحديث من رواية محمد بن عبد الرحمن الجدعاني، وهو منكر الحديث كما قال الذهبي في الميزان ٣/٦١٩ نقلاً عن البخارى. وفي السند ـ أيضاً ـ سليمان بن مرقاع الجندعي، قال العقيلي: منكر الحديث كما ذكر الذهبي في الميزان ٢/٢٢٢، والمغنى ١/٢٨٣.

ثم إن متن الحديث يشهد بنكارته عند من يتأمله، وهذا هو لفظه:

«قال رسول الله ﷺ: سورة يس تدعى في التوراة المعمة. قيل: يا رسول الله وما المعمة؟، قال: تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعى القاضية الرافعة، تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف نور وألف يقين وألف بركة، ونزعت منه كل غل وداء.

فالحديث كما ترى ملىء بالمبالغات التي تدل على نكارته وتشهد بوضعه.

٥ ـ في سورة الزمر نقل عن المعجم الكبير للطبراني حديث إسلام وحشي ابن حرب الطويل، وهو من رواية أبين بن سفيان، وهو رجل مرجىء منكر الحديث كما ذكر الذهبي في الميزان ١/٧٨.

مع أن قصة إسلام وحشي واردة في غزوة أحد من كتاب المغازى في

صحيح البخاري ٣٦/٥ على غير ما يذكره الوضاعون، كما ذكرته في الهامش في الموضع المذكور.

٦ ـ ما نقله في فضائل سورة الواقعة، وسورة التغابن مسنداً إلى أبي بن كعب رضي الله عنه، وقد بينت حال تلك الأحاديث في موضعها من الكتاب.

ب ـ يروي أحاديث صحيحة ويسندها إلى كتب لا تصلح للتخريج مع أن هذه الأحاديث واردة في الكتب الستة أو في أحدها.

مثال ذلك: ما رواه في فضائل سورة التحريم من حديث عبد الله بن عباس ونسبه إلى البغوي في تفسيره، مع أن الحديث وارد في كتاب الطلاق من صحيح مسلم ٨٣/١٠ بشرح النووي.

جـ ـ في بعض السور يأتي بآثار لا تدل على شيء من فضائلها وإنما تدل في الدرجة الأولى على فضائل الأشخاص.

مثال ذلك: ما ذكره في سورة إبراهيم عن سياد بن جعفر قال: دخلت على حبيب أبي محمد فقال: اقرأ علي، فأخذت مصحفه فأول ما وقع في يدي: «واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد» فجعل يقول: واستفتحوا وبكى.

وما ذكره في سورة الشعراء، أن عمر بن عبد العزيز قرأ: **﴿أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾** فجعل يرددها ويبكي.

وما روى أبو نعيم عن عبد الله بن رباح، أن صفوان بن محرز كان إذا قرأ هذه الآية **﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾**بكى حتى يقول: قد اندق قضيض زوره.

وعندي: أن هذه الآثار ونحوها لا تدل على فضيلة للسورة بقدر ما تدل على فضيلة الشخص القارىء، فقد ذكر الله تعالى: أن من صفات

المؤمنين أنهم يبكون عند قراءة القرآن أو سماعهم له، فقال في سورة الأنفال: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليه آياته زادتهم إيماناً. . .﴾.**

وقال في سورة الإسراء: **﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً، ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾.**

د ـ ذكر أحاديث على أنها تدل على فضيلة السورة وليست فيها دلالة على شيء من ذلك، وإنما هي من قبيل التفسير بالمأثور لبعض آيات أو كلمات منها، ومن ذلك: ما ذكره في فضائل سورة القصص فقال: وروى أبو يعلى بسند ـ قال الهيثمي: رجاله ثقات ـ عن سعيد رضي الله عنه أنه سئل عن قول الله تعالى: **﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى ميعاد ﴾** قال: معاده: آخرته.

ورواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «معادك»: الجنة.

وفي رواية: «إلى معاد» قال: الموت.

وما ذكره في فضائل سورة السجدة قال: وروى ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: **﴿ وجلناه هدى لبني إسرائيل﴾** قال: جعل موسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل.

وفي قوله تعالى: **﴿ فلا تكن في مرية من لقائه ﴾** من لقاء موسى ربه عز وجل.

فأنت ترى أن هذه الأحاديث لا تدل بأي حال على فضيلة للسورة، وإنما هي من قبيل التفسير بالمأثور لبعض كلمات، أو إيضاح لبعض المعاني.

وما ينبغي لفت الأنظار إليه: أن تلك الهنات اليسيرة، بجانب المحاسن

العديدة التي انطوى عليها الكتاب، لا تحط من قيمته، ولا تنقص من منزلته، وحسب الرجل ـ رحمه الله ـ أن يكون قد عرض لكافة الموضوعات المتعلقة بكتاب الله تعالى، ووضعها في مصنف جامع، سيبقى مصدراً هاماً وأميناً لكل دارس للقرآن الكريم وعلومه.

والكتاب الجيد هو الذي يبعث قارئه على التأمل والبحث، إذ يترك له مجالاً فسيحاً للتأييد والتفنيد، وما وجدنا في عالم الكتب كتاباً سلم من النقد حتى يسلم كتاب «مصاعد النظر» للحافظ برهان الدين البقاعي.

وكفى بالرجل إنصافاً: أن كثرت محاسن كتابه، بحيث لو أحصيت لظهرت أمامها النقدات، وكأنها تمشي على استحياء وخجل.

٦ ـ منهجي في التحقيق:

تتعدد مناهج التحقيق تبعاً لتعدد أغراض المحققين، ولذا فقد رأيت من الأفضل أن أبين المنهج الذي اتبعته، لكي يكون القارىء على بينة من ذلك، وهذا المنهج يتلخص في الخطوات الآتية:

١ ـ حققت عنوان الكتاب، وأثبت نسبته إلى المؤلف.

٢ ـ اعتمدت في نسخ الكتاب على نسخة المؤلف لأنها الأصل الأول والأهم لما عداها من النسخ الأخرى.

٣ ـ ذكرت مواقع الآيات وأرقامها، وبينت في الهامش مكان كل آية استشهد بها المؤلف، فذكرت سورتها ورقمها في هذه السورة.

٤ ـ خرجت الأحاديث الواردة في الكتاب، وحاولت قدر الإمكان الاستقصاء في التخريج، فذكرت الكتاب والباب، كما ذكرت رقم الحديث إن كان الكتاب الذي يحتويه مرقماً.

٥ ـ شرحت غريب الأحاديث، والألفاظ الغريبة المذكورة في الكتاب، كما علقت على بعضها بما يحتاجه لبيان أحكامه.

٦ ـ تكلمت عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة ببيان أقوال علماء الجرح والتعديل في رواة تلك الأحاديث.

٧ ـ ألزمت نفسي عند النقل من أي مرجع، أو الاستفادة منه، أن أذكر اسمه واسم مؤلفه، وأن أشير إلى الجزء والصفحة، وتاريخ الطبعة، ابتغاء الأمانة في النقل، والدقة في العزو، ولكي يتمكن القارىء من مراجعته متى أراد.

٨ ـ علقت على الكتاب بما هو ضروري لايضاح مقاصده، ورددت عليه فيما رأيت أنه جانب الصواب فيه، كما هو مدون بالهامش.

٩ ـ رجعت إلى مصادره الأصلية التي نقل عنها المؤلف، وذكرت أماكن النقل من تلك المصادر.

١٠ ـ نبهت على التعبير الذي يرد في الكتاب غير متمشٍ مع فصيح اللغة، كما نبهت على الأخطاء النحوية.

١١ ـ عرفت بالأعلام والرواة، وذلك بإيراد ترجمة تحتوى على اسم العلم أو الراوي، وولادته ومذهبه، وبعض كتبه، وتاريخ وفاته.

١٢ ـ ربطت موضوعات الكتاب بعضها ببعض لكي يتمكن القارىء من الإلمام بكل موضوعاته دون عناء.

١٣ ـ عرفت بالمدن والبلدان والمواضع الغريبة التي وردت في الكتاب.

١٤ ـ زدت بعض الكلمات ـ أو الجمل ـ متى اقتضى المقام تلك الزيادة ووضعتها بين قوسين، مع الإشارة إلى مصدر تلك الزيادة من كتب التفسير والحديث، وغيرها.

١٥ ـ وضعت للكتاب فهارس فنية عامة تشتمل على ما يأتي:

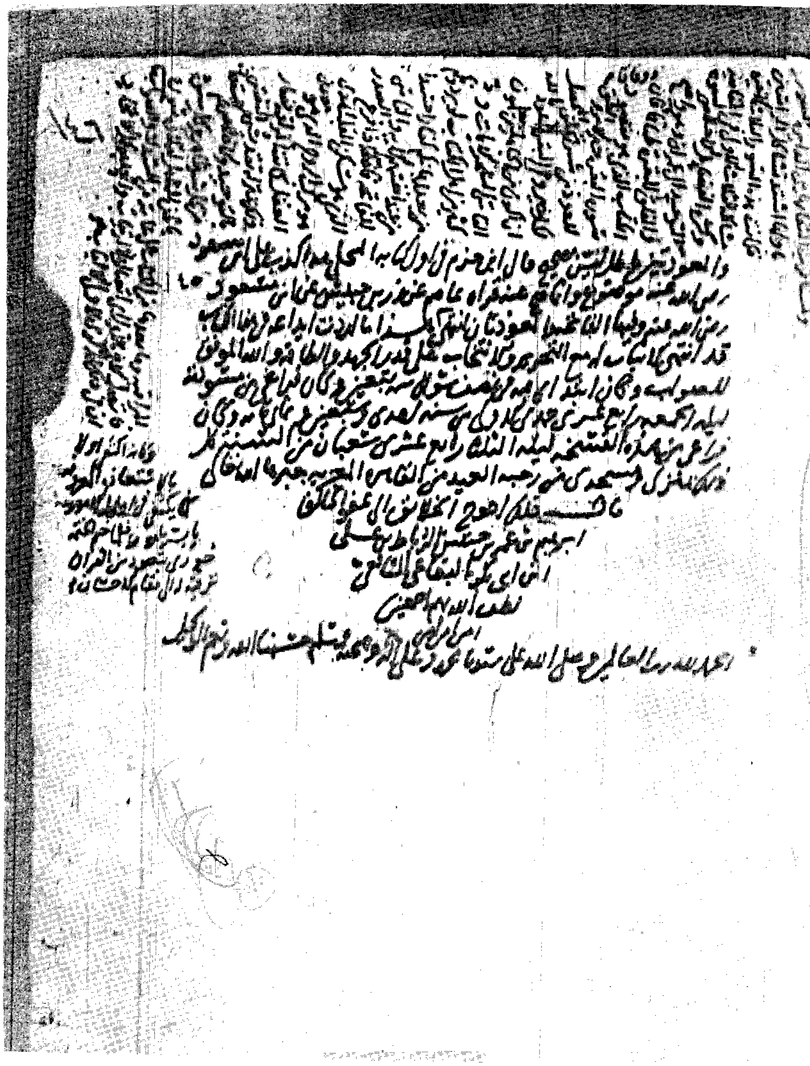
١ ـ فهرس الآيات القرآنية

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية.

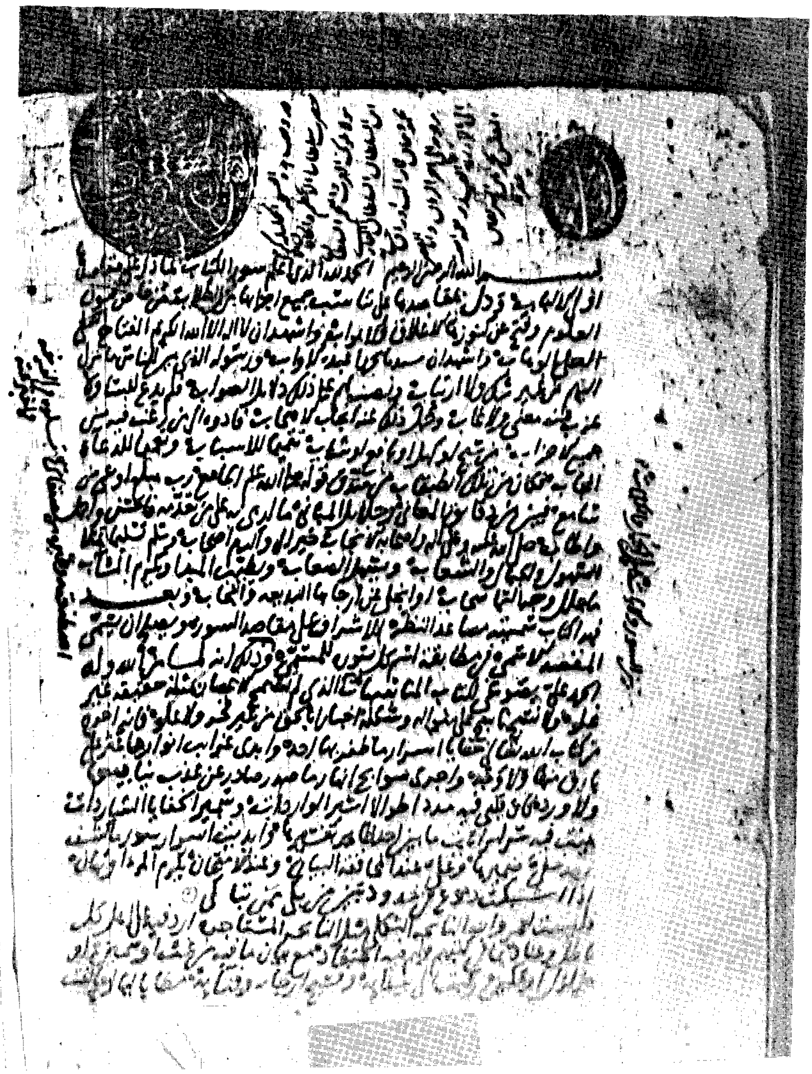
٣ ـ فهرس الآثار.
٤ ـ فهرس القوافي.
٥ ـ فهرس الأعلام.
٦ ـ فهرس القبائل والأمم والجماعات.
٧ ـ فهرس الأماكن والبلدان.
٨ ـ فهرس الكتب.
٩ ـ فهرس الموضوعات.



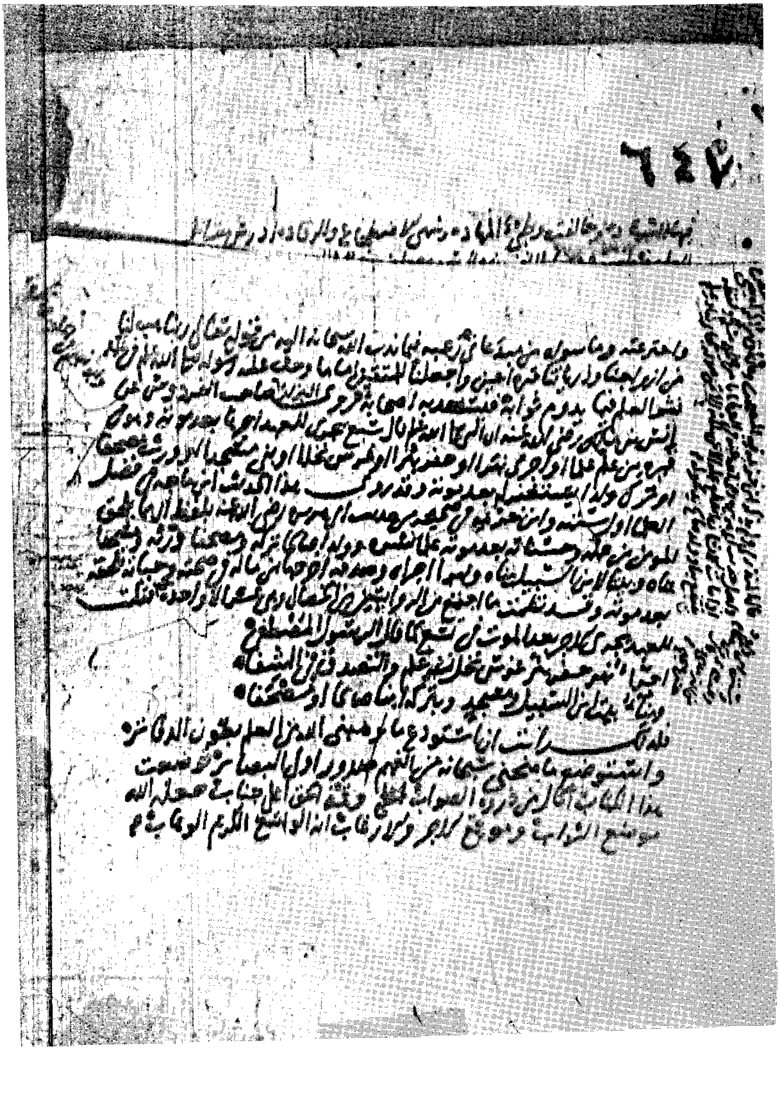
عنوان الكتاب بخط المؤلف



الصفحة الأخيرة من الكتاب بخط المؤلف



الصفحة الأولى بخط المؤلف



الصفحة الثانية بخط المؤلف

مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبي الحسن

ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم)[1]

الحمد لله الذي أعلم سور الكتاب، بما دل على مقاصدها أولو[2] الألباب ودل بمقاصدها على تناسب جميع أجزائها من الطلاب، من خاض فنون العلوم[3] وفتح عن كنوزها الأغلاق والأبواب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الكريم الفتاح، العلي الوهاب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده الأواب، ورسوله الذي بيَّن للناس ما نزل إليهم من غير شك ولا ارتياب، ونصب لهم على ذلك دلائل الصواب، فلم يدع لبساً ولا غرب عنه معنى ولا غاب، وحمل[4] ذلك عنه أنجاب الأصحاب، فأدوه إلى من رغب فيه من جميع الأحزاب، من شيخ، أو كهل (أو يافع)[5] أو شاب،

(١) غير موجودة في نسخة المؤلف.
(٢) في د: أولي.
(٣) في د: العلم.
(٤) في د: وحمل عنه ذلك.
(٥) ساقطة من د.

تتميماً للأسباب وتعميماً للدعاء المجاب، فكان من تلك الطبقات، من صدَّق قوله ﷺ (الجامع)[١]، «رب مبلغ أوعى من سامع»[٢] فبين من دقائق المعاني، وجلائل المباني، ما أربى به على من تقدمه، فأجمل وأحسن وأطاب.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأنجاب، خير آل وأكرم أصحاب وسلم تسليماً يملأ السهول (والجبال)[٣] والشعاب، ويسهل الصعاب ويطيب المبدأ ويكرم المآب، ما جلّل[٤] وجه السماء سحاب، أو انجلى عن أرجائها البديعة وأنجاب.

وبعد: فهذا كتاب، سميته: «مصاعد النظر، للإشراف على مقاصد السور». ويصلح أن يسمى: «المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى».

اصطنعته وغيره من مصنفاتي، واخترعته وما سواه من مبتدعاتي، رغبة فيما ندب الله سبحانه إليه من قوله تعالى: ﴿ **ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[٥]، وحث عليه رسوله ﷺ في عدة نشر العلم، فيما يدوم ثوابه، فيسعد به أصحابه.

روى البزار[٦]، وأبو نعيم في الحلية[٧] - وذكره صاحب

(١) ساقطة من: د.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ٢/١٩١ وكتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى من سامع ١/٢٤ ترجمة.

(٣) ساطلة من د.

(٤) أي غطى وجه السحاب وستره.

(٥) سورة الفرقان آية ٧٤.

(٦) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصري، صاحب المسند الكبير، كانت له رحلات إلى أصبهان وإلى االشام، أثنى عليه الدارقطني، وتوفي بالرملة سنة ٢٩٢ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٦٥٤، تاريخ بغداد ٤/٣٣٤، شذرات الذهب ٢/٢٠٩.

(٧) هو الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى ابن مهران=

الفردوس[1] - عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: سبع يجري للعبد أجرها بعد موته وهو في قبره، من علَّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرْس نخلاً، أو بنى مسجداً «أو ورَّث مصحفاً[2]»، أو ترك ولداً يستغر له بعد موته[3].

وقد روى هذا الحديث ابن ماجة في «فصل العلماء» أول سننه، وابن خزيمة[4] في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ:

= الأصبهاني الصوفي، ولد سنة ٣٣٦ قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣: وأجاز له مشايخ الدنيا نيف وأربعين وثلاث مائة وله ست وستين، اهـ. له «حلية الأولياء» وغيره من المصنفات توفي في المحرم سنة ٤٣٠ وله أربع وتسعون سنة.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣، البداية والنهاية ٤٥/١٢، وشذرات الذهب ٢٤٥/٣.

(١) هو المحدث الحافظ: شيرويه بن شهر دار بن شيرويه، سمع أصحاب الحديث بهمذان، وابن منده بأصبهان، وابن العطاء ببغداد، وكان كيساً، حسن الخلق والخلق، ذكي القلب صلباً في السنة، كثير الصمت توفي سنة ٥٠٩ في ١٩ رجب.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٢٥٩/٤، شذرات الذهب ٢٤/٤، والنجوم الزاهرة ٢١١/٥.

(٢) قوله «أو ورَّث مصحفاً». في النفس شيء من هذه الجملة، لأن المصحف لم يجمع الا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو معروف، فلو كانت ثابتة لكانت بمثابة الاشارة من النبي صلى الله عليه وسلم الى الأمر بجمع القرآن في مصحف، ولما كان ثمة اختلاف بين أعلام الصحابة حول فكرة جمعه كأبي بكر وعمر وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، كما ورد في صحيح البخاري وغيره، وأصل الحديث في الصحيح وليس فيه هذه الجملة، كما سيشير إليه المؤلف عما قريب.

(٣) الحلية ٣٤٤/٢. قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث قتادة.

(٤) هو امام الأئمة: أبو بكر محمد بن اسحاق، بن خزيمة، النيسابوري، مولى مجشر بن مزاحم، ولد في شهر صفر سنة ٢٢٣ ه بنيسابور ورحل الى كثير من البلدان الاسلامية لتلقي العلم عن أعلامه، وسمع من البخاري ومسلم رحمهما الله، وتوفي ليلة السبت الثاني من ذي القعدة سنة ٣١١ هـ ودفن في داره.
راجع: سير أعلام النبلاء ٢٣٥/٩، طبقات القراء ٩٧/٢، البداية والنهاية ١٤٩/١١، تذكرة الحفاظ ٧٢٠/٢.

««إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، ومسجداً بناه، وبيتاً لابن السبيل بناه، ونهراً أجراه وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته»[1].

وقد نظمت ما اجتمع من الروايتين من الخصال، وهي عشرة إلا واحدة فقلت:

للعبد يجري الأجر في تسع كما قال النبي المصطفي
إجراء نهر، حفر بئر، غرس نخل،نشر علم، والتصدق في الشفا
وبناء بيت لابن السبيل ومسجد وبتركه ابناً صالحاً، أو مصحفاً

(قال المنذري: ولم يذكر ابن خزيمة فيه المصحف، فقال: أو نهر أكراه، يعني أجراه، أو حفره[2].

وأصل حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الوصايا من صحيح مسلم، وسنن أبي داود والنسائي، والأحكام من الترمذي وقال: حسن صحيح ولفظه[3]:

(١) سن ابنُ ماجه: المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخَير ١/٨٨ حديث رقم ٢٤٢.
وصحيح ابن خزيمة: أبواب الصدقات والمحبسات ٤/٢١ حديث رقم ٢٤٩٠.
(٢) هو أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، بن عبد الله، بن سلامة الحافظ الكبير، الامام الثبت، ولد في شعبان سنة ٥٨٠ ه وكان بارعاً في علوم الحديث، ومعرفة رجاله وعلله، وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ؟.
راجع: تذكرة الحفاظ ٤/١٤٣٦، البداية والنهاية ١٣/٢١٢، وشذرات الذهب ٥/٢٧٧.
(٣) الترغيب والترهيب: كتاب العلم ١/٩٩. وكتاب الصدقات ٢/٧٣.
(٤) صحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته ١١/٨٥.
وسنن أبي داود: كتاب الأحكام، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ٣/١١٧ حديث رقم ٢٨٨٠.
وجامع الترمذي: كتاب الأحكام، باب الوقف ٢/٤١٨ حديث رقم ١٣٩٠.
قال الامام النووي في شرح مسلم ١١/٨٥: وقال العلماء: معنى الحديث: أن عمل =

«إذا مات الإنسان، انقطع عمله، إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[(١)].

فلذا رأيت (أن أستودع)[(٢)] ما وهبني الله من العلم بطون الدفاتر وأستوضح ما منحني سبحانه من الفهم صدور أولى البصائر، فوضعت هذا الكتاب، الحال من ذروة الصواب، وقمة الحق أعلى جناب، جعله الله موضع[(٣)] الصواب، وموقع الأجر والإرغاب، إنه الواسع الكريم الوهاب.

وذلك أنه لما منَّ الله ـ وله الحمد ـ عليّ بصوغي لكتاب «المناسبات بين السور والآيات» بل الجمل والكلمات، الذي لم تسمح الأعصار بمثله حقيقة غير غلو، ولا نسج ناسج على منواله وشكله، إخباراً بالحق من غير فخر ولا علو، فإنه أخرج من كتاب الله تعالى خفايا أسرار ما ظفر بها أحد، وأبدى غرائب أنوار ما عثر على بارق منها ولا وجد، وأجرى سوانح أنهار ما صدر

= الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له الا في هذه الأشياء الثلاثة، لكونه كان سببها، فان الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه، من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي: الوقف.

وقال: وفيه دليل لصحة أصل الوقف، وعظيم ثوابه، وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والايضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع. اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/٤٤٠: فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه.

والصدقة الجارية ـ كالوقف ونحوه ـ هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: «انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم.... الآية».

والعلم الذي نشره في الناس، فاقتدى به الناس بعده، هو أيضاً من سعيه وعمله، وثبت في الصحيح: من دعا الى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً. اهـ.

(١) ما بين المربعين ساقط من النسخة: م وزدناه من د.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) في د: موقع.

عن عذب ينابيعها ولا ورد، كأن قلبي فيه مدداً طوالاً أسير الواردات، وسمير الخفايا الشاردات، بينت فيه سرائر آيات، ما بيّن أحد ظاهر تفسيرها وأبديت أسرار سور ما كشف أحد خفي ضميرها، وعليّ عند المحاقة البيان وعندالامتحان يكرم المرء أو يهان:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبيّن من بكى ممن تباكي

فليست - لعمرو الله - النائحة الثكلى. مثل النائحة المستأجرة. أرد فيه على أهل كل باطل وعناد، بما في كتبهم ولهم فيه اعتقاد، مع بيان ما فيه من غث أو سمين، أو مزلزل أو مكين، ركبت إلى بيدائه وفسيح أرجائه وفنائه مطايا ليال حالفت فيها السهاد، وخالفت وطيء المهاد، وشهي الاضطجاع والرقاد، أدرس مسائل العلوم، وأسرد وسائل الفنون والرسوم، وأمنع جلائل الهموم، وأمعن النظر في دقائق الفهوم، وأبعد أماني الغرور وأعبد الرب الغفور، وأنفي وساوس الصدور، وأتقي[1] دسائس اللذاذة والسرور، أترقى[2] مما عندي إلى غيره، وأتقوى أشكاله، فأزيل إشكاله، وأسيّره بسيره.

ولم يزل ذلك دأبي واختياري لذلك، ودأب الله لي باضطراري إلى طريقة السالك، حتى انجاب عن قلبي ديجور الشكوك، وامتلأ من نور المعارف والسلوك، ففاضت علي جواهر المعاني، وأقبلت إليّ باختصاصها وجوه التهاني، فقذفت إلى صدري أمواج الأسرار صافية عن زبد، وعطفت إلى فكري أمواج الأنوار،خالية عن نكد رأى أهل العصر، أنه أمر[3] يفوت غالب القوى، ويقف دون عليائه ألباب العقلاء، فإني مهدت لكل جملة مهاداً يدل على الحال الذي اقتضى حلولها بمحلها، وأوجب ترتبها على ما قبلها من شكلها، وما أوجب تأكيدها، أو أعراها وتقييدها، ونحو ذلك من أفانين

(١) في د: وأفنى.

(٢) في د: أتوقى.

(٣) في د: رأي.

الكلام، وأساليب النظام، فأثنى عليه المصنفون، منهم العالمون أولو السجايا الطاهرة، والمزايا الباهرة الزاهرة المتقون، وصوب إليه بالطعن الحاسدون وبالازدراء والثلب الناقصون.

نعم. ولقد انتدب لهذا الكتاب البديع[1]، والديوان العلي الرفيع أقوام من الأغبياء، والأساة القساة الأعتياء، لا يفهمون معانيه ولا يدر كون قواعده ومبانيه، ذكروا أنهم ظفروا فيه بما لا يليق فأخذوا يشنعون عليه، ويصوبون بالطعن إليه، وقسموا فيه الأقوال، وفرقوا وجوه الانتحال، ولم يذكروا شيئاً من محاسنه المحققة، ومعاليه المعجبة المونقة، التي هي بالنسبة إلى ما رأوا وأثبتوا له النقص على ما ادعوا، كالبحر بالنسبة إلى صغير القطر.

فكانوا كما قال النبي ﷺ - فيما أخرجه أبو داود الطيالسي وابن ماجة في الزهد من سننه، وأحمد بن منيع وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب الأمثال عن أبي هريرة رضي الله عنه -: مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة ثم لا يحدث إلا بشرٍّ ما يسمع، كمثل رجل أتى راعياً، فقال: يا راعي أجزرني شاة[2] من غنمك، فقال له: اذهب فخذ بأذني خير شاة فذهب فأخذ كلب الغنم[3].

وكالذين يتبعون المتشابه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

على أن من الأمر المشهور الذي لم يخف على أحد أن الإمام مالكاً

---

(١) يعني بذلك: كتابه المناسبات.

(٢) أجزرني - بجيم وزاي معجمة، ثم راء مهملة - أي أعطني شاة تصلح للذبح من أجل الأكل.

راجع: النهاية ١/٢٦٧.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: كتاب العم، باب الاحتراز في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/٣٧. حديث رقم ٩٠.

وسنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الحكمة ٢/١٣٩٦ حديث رقم ٤١٧٢.

وفي سند الحديث علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، قال البخاري وأبو حاتم: لا يحتج به.

راجع: الميزان ٣/١٢٨.

ـ رحمه الله ـ قال: كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلا صاحب هذا القبر. يعني: النبي ﷺ.

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ صنَّفتُ هذه الكتب، وما آلوت فيها جُهداً، وإني لأعلم أن فيها الخطأ، لأن الله يقول: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»[1].

فكلام هذين الإمامين يدل على أن وجود الخطأ للمُصَنِّف، لا يوجب ترك تصنيفه، ولا الغض عنه، لا سيما إن كان مشهوراً بالدين، غير مغموص عليه ولا مرتاب فيه.

اللهم إلا أن يكون الأمر الذي (فيه)[2] أُخْذَ عليه أمراً محققاً لا جواب عنه ويعرف به ولا يرجع عنه، ولا يحتج له بشيء يقبل، وقل أن يرى مصنِّف إلا وهو يقول:

وإن تجد عيباً فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

أو معنى ذلك.

وبعضهم يأذن في إصلاح الخطأ من كتابه للعالم المتحري، بعد التوقف والتثبت.

وأنا لم أدَّع العصمة فيما قلت، وما تركت أحداً ممن يلم بي، إلا قلت له: المراد: الوقوف على الحق من معاني كتاب الله تعالى، والمساعدة على ما ينفع أهل الإسلام، فمن وجد لي خطأ، فليخبرني به لأصلحه.

ووالله الذي جلَّت قدرته، وتعالت عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما

---

(١) سوة النساء آية ٨٢.

(٢) في م: دال.

(٣) زيادة عن د.

أريد لكنت[1] أبذل مالاً لمن ينبهني على خطأي، فكلما نبهني أحد على خطأ، أعطيته ديناراً.

ولقد نبهني غير واحد على أشياء (فيه)[2] فأصلحتها، وكنت أدعو لهم، وأثني عليهم، وأقول لهم هذا الكلام، ترغيباً في المعاودة إلى الانتقاد، والاجتهادفي الإسعاف بذلك والإسعاد.

فكان طريق هؤلاء - لو أن كلامهم كان عن بصيرة، وكان لله بقصد النصيحة - أن يأتوا إليَّ، أو يرسلوا، لينظروا[3] ما عندي في ذلك الذي ذكروه هل أُبدي لهم، أو لذكرى إياه معنى صحيحاً، أو اعترف بالخطأ، فإن أصلحته كنا قد تعاوناً على البر والتقوى، وإن أبقيته، وجب الطعن حينئذ على حسب ما يستحقه ذلك المعنى.

وحيث لم يفعلوا ذلك، كان طعنهم، إما عن جهل، لأن من جهل شيئاً عاداه:

وكم من عائب معنى صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وأما عن حسد لمن لا يحاسدهم، فصنيعهم صضنع من يريد التشنيع على رجل مسلم، مقبل على ما يعنيه، تارك لما لا يعنيه، منقطع إلى الله تعالى في بيت من بيوته، يتلو كتابه، ويقيم الصلاة، وينفق مما رزقه الله سراً وعلانية، وقد قنع بما آتاه الله، ما زاحم أحداً منهم قط على دنيا، ولا ألحَّ على أحد في سؤال ولا تصدى لعلو في الأرض، وأحواله في ذلك معروفة من أربعين سنة فأكثر والشباب مقبل، والزمان غض، والأمل فسيح، وليس لهم وجه في الكلام (فيمن)[4] هذا حله، إلا تصديق قول النبي ﷺ، الذي رواه

---

(١) في م: كنت.
(٢) ساقطة من د.
(٣) في د: لننظر.
(٤) ساقطة من د.

الطبراني في الأوسط، عن أنس رضي الله عنه: «لو كان المؤمن في جحر ضب، لقيض الله له من يؤذيه[1].

ومالي (من)[2] ذنب عندهم، إلا اعتزالي عنهم، وعدم مشاحنتهم في دنياهم ورضائي بما قسم الله، ومحبتي لإظهار الفائدة فيهم، وشمول الفضل لهم.

فما أجدرهم بما أجاب به ابن عباس رضي الله عنهما بعض من صنع به هذا الصنيع.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام[3] في كتاب «فضائل القرآن» حدثنا

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٤٣٥ حديث رقم ٧٤٦٧، ونسبه إلى الطبراني في معجمه الأوسط، والبيهقي في شعب الايمان، كلاهما عن أنس وهو حديث ضعيف.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٨٦: فيه أبو قتادة بن يعقوب بن عبد الله العذرى، ولم أعرفه، وبقية رجال الطبراني ثقات اهـ.
وله شاهد بمعناه عند ابن أبي شيبة، قال السيوطي: ضعيف.
ومعنى الحديث: قال المناوي في فيض القدير ٥/٣٢٤: لأن المؤمن محبوب الله، وإذا أحبه عرضه للبلاء، وذلك يتضمن ألطافاً على حسب حاله من مقامات الإيمان، إما تكفير لذنوب، أو ابتلاء ليظهر صبره، أو لرفع درجة لا يبلغها إلا بالبلاء، ويبتليه أيضاً في الدنيا بتنويع محنها، لئلا يحبها ويطمئن إلى رخائها، فيشق عليه الخروج منها. اهـ.

(٢) ساقطة من د.

(٣) هو الإمام المجتهد الحافظ: القاسم بن سلّام البغدادي اللغوي الفقيه، سمع ابن عيينة وعباد بن العوام وغيرهما، وحدث عنه الدارمي، والحارث بن أبي أسامة ومحمد ابن يحيى المروزي، وآخرون، وكان حافظاً للحديث وعلله، وعارفاً بالفقه والاختلاف، وإماماً في اللغة والقراءات، مات بمكة سنة ٢٢٤ هـ؟.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٤١٧، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩٠، معجم الأدباء ١٦/٢٥٤، تهذيب التهذيب ٣/١٤٦، معرفة القراء ١/١٤١، البداية والنهاية ١٠/٢٩١.

يزيد ـ يعني ابن هارون ـ عن كهمس بن الحسن[1]، عن عبدالله بن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له رضي الله عنه، أما إنك تشتمني وفيّ ثلاث خصال إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح، وعلى لا أقاضي إليه أبداً وإني لأسمع بالغيث يصيب البلد من بلدان المسلمين فأفرح، ومالي به من سائمة وإني لآتي الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم.

وهو عند البيهقي[2] ـ أيضاً ـ من هذا الوجه.

ولا ريب عند من له أدنى إنصاف (أن)[3] من شنَّع على من هذا حالُه، فقد عرّض نفسه للمقت من الله، واملعن والدعاء بالهلاك من خُلَّص عباد الله، على مدى الأعصار، في كل ارتحال وقرار، وصار[4] ممن قال فيه الإمام الرباني، أبو الحسن الحرالِّي[5]، في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿ ومن

(١) هو أبو الحسن كهمس ـ آخره سين مهملة ـ بن الحسن التميمي الحنفي البصري، العابد، من كبار الثقات حدث عن أبي الطفيل وعبد الله بن بريدة والحسن البصري، وحدث عنه ابن المبارك ويحيى القطان، وخلق، ومات ـ رحمه الله ـ سنة ١٤٩.
راجع: سير أعلام النبلاء ٣١٦/٦، تذكرة الحفاظ ١٤٧/١، ميزان الاعتدال ٤١٥/٣.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حجة في الحديث والفقه الشافعي، ولد سنة ٣٨٤ ه بخسروجرد من قرى بيهق بنيسابور، وكانت له رحلات كثيرة في سبيل العلم وتدوين الحديث، مات بنيسابور سنة ٤٥٨ ه ودفن ببلده، له السنن الكبرى، ودلائل النبوة، وغيرهما.
راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٨٩/٣، شذرات الذهب ٣٠٤/٣، طبقات الشافعية الكبرى ٨/٤.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) فيد: وصاروا.

(٥) هو علي بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم، أبو الحسن الحرالي، الأندلسي والحرالي: نسبة الى حرالّة ـ مشددة اللام ـ من بلاد المغرب.
قال السيوطي في طبقات المفسرين ص ٧٦: كان من أحلم الناس، بحيث يضرب به المثل، ولا يقدر أحد أن يغضبه، اه وله كتاب في التفسير عنوانه: «مفتاح الباب =

يبدل نعمة الله﴾[1]، قال: وأصل هذا التبديل: رد علم العالم عليه، ورد صلاح الصالح إليه، وعدم الاقتداء بعلم العالم وصلاح الصالح، وذلك هوالمتاركة التي تقع بين العامة، وبين العلماء والصالحين، وهو كفر نعمة الله وتبديلها.

«من بعد ما جاءته».

في ضمنه إشعار باعتبار أمر الأمة، بمبتدأ أمرها من أيام النبوة، وأيام الخلافة، وسير الخلفاء الذين هم عقد أزِمَّة رسول الله ﷺ، وحجته على أمته، وأئمة الأزمان، القائمين بأمر الله، الظاهرين على الحق إلى يوم القيامة.

«فإن الله شديد العقاب».

في إشعاره منال عقاب يقع بهم في الدنيا كفارة، وتأخير عقاب يقع[2] بطائفة منهم في الآخرة، انتهى.

والعجب منهم في أنهم أشد الناس خوفاً ونكوصاً، وكَفًّا عمن يتهددهم بأن يصيبهم بعذاب، أو يمسهم بعقاب، من كل مكشوف العورة، أو مرتكب لبعض المناكير المشهورة، وهم يرون من يؤذيني يذهبون واحداً بعد واحد، على هيئات منكرة وصفات مستعظمة مستكبرة، وهم بذلك لا يعتبرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد قلت في حالي وحالهم، واعظاً لنفسي، حذار من حلول رمسي[3]، وهو من الطويل الأول، مطلق مرادف.

= المقفل لفهم الكتاب المنزل» جعله قوانين كقوانين أصول الفقه مات بحماة سنة وثلاثين وستمائة هجرية.

راجع: طبقات المفسرين للداودي ٣٨٦/١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٧٦، ميزان الاعتدال ١١٤/٣، شذرات الذهب ١١٩/٥.

(١) سورة البقرة آية ٢١١.

(٢) في د: يتسعر بهم.

(٣) في د: نفسي.

لسانَك عوّد[1] ذكر ربك[2] لا تكن — بذي غفلة عنه ـ فديت ـ ولا لاغي
وإن سدد الأعداء إليـك سهامهم — فإن نبال العدل تحمي من الباغي
فلا تخشى من كيد إذا كنت ذا تقي — فـربك أخـاذ لكل امـرىء طاغي

على أن حالهم في تشنيعهم ظاهر، فإنه لو كان لهم علم، أو كان كلامهم لله لبدأوا بما في مشاهير التفاسير، التي يتغالى فيها المفاليس منهم والمياسير، من البلايا التي تعم الآذان، وتخرس ذَرِبَ[3] اللسان، فنبهوا عليه، وحذروا منه، وأزالوه منتلك التفاسير، بطريق من الطرق.

وذلك في تفسير قصة يوسف وداود، عليهما السلام، وسورة الحاج، والنجم في قوله تعالى: ﴿ **إلا إذا تَمَنَّى ألقى الشيطان في أُمنيَّته** ﴾[4]، وقوله: ﴿ **أفرأيتم اللاَّت والعُزَّى** ﴾[5].

وفي «الكشاف» من التصريح بخلق أفعال العباد، وذم أهل السنة بمخالفة ذلك في نسبة الأمور كلها إلى الله، وجعلهم مبتدعة، وهجـوهم بالأشعار، وعدهم حمراً موكفة[6].

وفيه في آخر الزخرف عند قوله[7]: «فأنا أول العابدين ﴾[8].

---

(١) في د: عن.
(٢) في م: «مولاك» وهو لا يستقيم وزناً.
(٣) أي سليط اللسان وفاسد المنطق.
قال في النهاية ١٥٦/٢: من قولهم: ذرب لسانه، اذا كان حاد اللسان لا يبالي ما قال.
(٤) سورة الحج: آية ٥٢.
(٥) سورة النجم: آية ١٩.
(٦) قال في اللسان ٣٦٣/٩: وأصل الوكف في اللغة: الميل والجور، والوكف ـ بالتحريك ـ: الاثم. وقيل: العيب والنقص، وقد وكف الرجل، يوكف وكفا، إذا أثم.
(٧) آية ٨١.
(٨) الكشاف ٣٩٧/٣ ط طهران.

وفي سورة براءة عند[1]: «عفا الله عنك لم أَذِنْتَ لهم»[2].

إلى غير ذلك مما أعمى الله أبصارهم، بل بصائرهم، حين تركوا الكلام فيه وفي أمثاله، كسيرة البكري[3]، التي لم تزل على غالب الأزمان تقرأ

---

(1) آية ٤٣.

(2) الكشاف ٢/١٩٢ ط طهران.

وفيه يقول:

(عفا الله عنك): كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت.

و (لم أذنت لهم): بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم، وهلا استأنيت بالإذن؟.

(حتى يتبين لك) من صدق في عذره ممن كذب فيه.

وقيل: شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأساري. فعاتبه الله تعالى. ا.هـ.

راجع رد ابن المنير عليه في موضعه.

(3) البكري هو:

أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري، توفي في أواسط القرن الثالث الهجري، ربما في حدود سنة ٢٥٠ هجرية.

قال عنه الذهبي في الميزان ١/١١٢: ذاك الكذَّاب الدجال، واضع القصص التي لم تكن قط، فما أجهله وأقلَّ حياءه، وما روى حرفا من العلم بسند، ا هـ.

واسم كتابه «تنقلات الأنوار» أو «ضياء الأنوار».

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوي ١٨/٣٥٢: وفيه من أنواع الأكاذيب المفتريات، وغرائب الموضوعات، ما يجل عن الوصف، مثل حديث السبع حصون وهضام بن حجاف، ومثل حديث الدهر، ورأس الغول، وكلندجة، وغير ذلك من كتبه، وغير ذلك من أماكن لا وجود لها، وغزوات لا حقيقة لها، وأسماء ومسميات لا يعرفها أحد من أهل العلم، ورواية أحاديث تخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، وتخالف ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيها من الأقوال والأفعال المضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما برأه الله منه، وهي من جنس أحاديث الزنادقة النُّصَيْرِيَّة وأشباههم، الذين يختلفون ما فيه غلو في علي وغيره. =

في جامع الأزهر جهاراً، مع أن إجماع أهل النقل مُعْتَقَدٌ على أنها مكذوبة على رسول الله ﷺ، ولا يجد قارئها منيزجره، ولا ينهاه ولا يأمره، وصوبوا إلى كتابي الطعن بمجرد الظن، بل الوهم، من غير تحرير ولا فهم، وما ذاك إلا داء عضال، سكن قلوبهم، فصارت كالحجارة قسوة والجبال.

وأما كتب أصول الدين، وكتب الملل والنحل، فملآنة من نقل المذاهب الباطلة والأقوال الزائفة المائلة.

وكان مما قال بعضهم: إن هذا الكتاب لا يحل إبقاؤه بين الناس، لأنه قسمان:

أحدهما: نقل الكتب القديمة، وهي قد بدلت، فلا يحل نقلها.

والثاني: كلام من عنده، لا سلف له فيه، فهو كلام في القرآن

= وفيه من القدح في دين الإسلام والإفساد له ما يوجب إباحة دم من يقول ذلك وإن كان جاهلاً استتيب، فإن تاب، وإلا قتل.

وأقل ما يفعل بمن يروي مثل هذا: أن يعاقب عقوبة تردعه عن مثل ذلك وكذلك يستحق العقوبة من يكريها لمن يقرؤها ويصدّق ما فيها، ومن ينسخها ـ أيضاً ـ كذلك.

ويجب على أهل العلم إظهار ما يعلمون من كذب هذه وأمثالها، فكما يجب بيان كذب ما نقل عنه في الأحاديث كأحاديث البخاري: يجب بيان كذب ما كذب عليه من الأحاديث الموضوعة التي يعلم أنها كذب، كما بين أهل العلم من حال من كان يكذب عليه من الرواة، وبيان ما نقل عنه من الكذب الذي يعلمون أنه كذب.

وكثير من الموضوعات إنما يعلم أنها موضوعة خواص أهل العلم بالأحاديث، وأما مثل ما في «تنقلات الأنوار» من الأحاديث فهو مما يعلمه من له أدنى علم بأحوال الرسول ومغازيه: أنه كذب وعلى ولاة الأمور عقوبة من يروي هذه، أو يعين على ذلك بنوع من أنواع الإعانة. ولولي الأمر أن يحرقها، فقد حرق عثمان رضي الله عنه كتبا هذه أولى بالتحريق منها. اهـ.

راجع: الأعلام للزركلي ١/١٤٨.

ميزان الاعتدال ١/١١٢.

فتاوي شيخ الاسلام ١٨/٣٥١.

بالرأي، لا يحل، وهذا عناد منهم من الألد الفاضل[1]، وتقليد[2] من الشرير الجاهل، ونحو هذا الكلام الذي لا يقوله من في قلبه رائحة من الدين، ولا المروءة، وقد قال الله تعالى: **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب﴾**[3]، **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب﴾**[4]، **﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾**[5].

وقال ﷺ - فيما صح عنه من رواية الشيخين وغيرهما، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما -: حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج[6].

فعند ذلك عرضت الكتاب على قضاة القضاة وغيرهم، من علماء مصر:

---

(١) هكذا في جميع الأصول، ولا أدري ماذا يعني بهذا التعبير.

(٢) في د: تقلية.

(٣) سورة ص آية ٢٩.

(٤) سورة المائدة: آية ٤٨.

(٥) سورة آل عمران آية ٩٣.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٤٥/٤.

وسنن أبو داود: كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل ٣٢٢/٤ حديث رقم ٣٦٦٢، عن أبي هريرة.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٩/٢، ٢٠٢، ٢١٤ عن عبد الله ابن عمرو بن العاص، ج ٥٠٢/٢، ١٣/٣ عن أبي هريرة، ج ٤٦/٣، ٥٦ عن أبي سعيد الخدري.

أما حديث مسلم فعن أبي سعيد رضي الله عنه ولفظه:

«لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج».

وليس فيه: «عن بني اسرائيل».

راجع صحيح مسلم: كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ١٢٩/١٨.

ومسند الإمام أحمد ٣٩/٣.

تقريظ شرف الدين المناوي

فكتب عليه قاضي القضاة، شيخ الإسلام شرف الدين، يحيى بن محمد المناوي[1] الشافعي. أعلى الله درجته، ورفع منزلته، ومات رحمه الله قبل فتنة ابن الفارض[2] بعد الخطبة:

وبعد: فقد وقفت من هذا التأليف الحسن المستجاد[3]، على ما أعرب عن أن مؤلفه إمام علَّامة، في فنون العلم، فإنه قد أحسن وأجاد، وأظهر من مجموع حسن، مجموعاً حسناً، في غاية من الصواب، ولا يقال: قد استوضح في بعض المناسبات بما جاء في التوراة والإنجيل، لأنه اقتدى في ذلك بأئمة الإسلام، أهل الأصول والتأصيل، كالسيد عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في صفة سيد الأنام، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعده الأئمة الأعلام، فتعين القول بالجواز، على من اتضح ذلك لديه، ولامنع على من اشتبه ذلك عليه.

فحق لهذا التأليف أن يُتلقى بالقبول، ولا يُصغَى لقول حاسد فيه ولا

---

(١) فقه أصولي محدّث، نشأ بالقاهرة، وأخذ الفقه والأصول عن ولي الدين العراقي وسمع الحديث منه، وله كثير من التصانيف، منها: شرح مختصر المزني، وحاشية على الروض الأنف للسهيلي، توفي سنة ٨٧١ هجرية.
راجع: الضوء اللامع ٢٥٥/١٠، حسن المحاضرة ٢٥٣/١، شذرات الذهب ٣١٢/٧.

(٢) هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد، الحموي الأصل المصري المولد والوافة، وشهرته ابن الفارض، ولد في ذي القعدة سنة ٥٧٦ ه قالقاهرة، وتوفي يوم الثلاثاء الثاني من جمادي الأولى سنة ٦٣٢ ه.
وفي زمن البقاعي جرت فتنة عارمة حول عقيدة ابن الفارض هذا، كان للبقاعي أثر كبير في إيضاح الحق فيها.
راجع: ابن خلكان ٤٥٤/٣، شذرات الذهب ١٤٩/٥، النجوم الزاهرة ٢٨٨/٦، حسن المحاضرة ٢٢١/١.

(٣) في د: المستجاب.

عذول، والله تعالى يبقى مؤلفه منهلاً للواردين، ويديم النفع به، وبعلومه للمسلمين. في تاسع عشر شعبان، عام ثمانية وستين وثمانمائة.

تقريظ ابن الشحنة

وكتب قاضي القضاة شيخ الإسلام، محب الدين، محمد بن قاضي القضاة، شيخ الإسلام، محب الدين، محمد بن الشحنة، الحلبي الحنفي(١)، وثبت على نصر السنة في فتنة أهل الاتحاد، فأيد الله به الدين، أسبغ الله ظلاله، وزكى أعماله مشيراً إلى أسماء الكتاب الثلاثة: نظم الدرر (من تناسب الآي والسور، وفتح الرحمن في تناسب أجزاء آي القرآن، أو ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان:

الحمد لله ذي الحكم المتناسبة الدرر)(٢) والنعم المتراكبة الدرر، نحمده على ما فتح من الفيض الرحماني، ونشكره على ما أبدى منالتناسب الترجماني ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كلمة حق محققة الإيمان، وقول صدق جاء به الدليل والبرهان، وشهادة عبد أخلص لله نيته ما استطاع، وأصفى طويته، فكشف له عن مخبات الخدود والقناع، ونشهد أن سيد البشر (محمداً) عبده ورسوله، الذي شرف به الأقطار والبقاع، وخصه بنهاية الأوج، وغاية الارتفاع.

صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، الحائزين قصب السباق(٣)، بعزيز حديثه وكريم صحبته، وسلّم تسليماً كثيراً.

---

(١) هو قاضي محب الدين محمد بن محمد، بن محمد، بن محمود، بن غازي الثقفي الحلبي، كان حنفي المذهب، ولد بحلب سنة ٨٠٤ ﻫ، قدم الى مصر فتولى بها عدة مناصب حتى توفي في شهر المحرم سنة ٨٩٠ ﻫ.

(٢) ما بين المربعين ساقط من د.

(٣) في م: الحائزين عن الطاق، بسماع حديثه، وشريف رؤيته، الحائزين قصب السباق... الخ.

أما بعد: فقد وقف العبد الفقير، الضعيف الحقير، على هذا المصنَّف العديم النظير، المشتمل من الورد الصافي على العذب النمير، فوجد مؤلفه قد حلى فيه من أبكار أفكاره المقصورات في الخيام، على الأكفاء الكرام، من ذوي العقول والأفهام، كل خريدة بعيدة المرام، على[1] من قعد عن طلب المعالي ونام، وسلك مسلكاً قل من سلكه من الفحول قبله، وبحث بصائر فكرهِ، عن تحرير ما أورده ونقله واستدل بقوة علمه، وجودة فهمه، بأدلة برهانُها قاطع، وضياؤها ساطع، مقتدياً بما وقع في الكتاب المبين، من قوله تعالى: ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾[2].

ولا ريب أن الاستدلال بغير المبدّل منها، من أقوى الأدلة القاطعة، وأعظم البراهين الساطعة، لا سيما إذا قص الله ـ أو رسوله ـ ذلك علينا، مبيناً من غير إنكار، على أنه شرع لنبينا.

وأي استدلال أَمْيَزُ (وآمن)[3] من كلام الله جل وعز؟.

وقد صرح أصحابنا: أن كلام الله القديم، المصون عن التحريف، والتديل إن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرانية فتوراة، وإن عبر بالسريانية فإنجيل وإن كلامه لا يختلف، وإنما تختلف العبارات، وتتفاوت الأعمال بالنية، وإنما الأعمال بالنيات.

وهذا السيد عمر بن الخطاب، العظيم الشأن، رضي الله عنه، كان يأتي اليهود ويسمع من التوراة، فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن، كما رواه[4] الطبري من طريق الشعبي، في غير ما مكان.

---

(١) في د: عن.

(٢) سورة آل عمران: آية ٩٣.

(٣) في د: وآمز.
في م: وأمزة.

(٤) في د: روى.

وإنما ورد النهي عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم، فيما يتطرق إليه احتمال أحد الأمرين، إلا ما ورد في شرعنا ما يقضي بأحدهما، فيرفع الخلاف من البين.

وقد استدل المؤلف[1] على صنعه من الكتاب والسنة، بأدلة كان المبتكر لها والسابق إليها، فلم أر التعرض لذكرها، ومزاحمته عليها، فالله تعالى يبقيه لإبداء الفوائد، ويجزيه من ألطافه الخفية، على أجمل العوائد، بمنه وكرمه قال ذلك مرتجلاً، وحشفة[2] عجلاً، فقير لطف الله الخفي، محمد بن الشحنة الحنفي، ستر الله ذلله، ورحمه وغفر له، بتاريخ سابع عشر شعبان المذكور.

تقريظ حسام الدين الطهطاوي

وكتب قاضي القضاة، شيخ الإسلام، الشريف حسام الدين، محمد ابن أبي بكر ابن الشيخ الطهطاوي، الحسيني المالكي، الشهير بابن حريز[3]، ومات رحمه الله قبل فتنة أهل الاتحاد، أعلى الله مناره، ورفع مقداره. بعد الخطبة:

وبعد: فقد وقفت على جزء من الكتاب الموسوم بـ «نظم الدرر من تناسب الآي والسور» جمع الشيخ الإمام، العلامة الرَّحالة الحافظ: برهان الدين البقاعي، شرف الله به البقاع، ونشر من فوائده وفوائده، ما تلذ به الخواطر وتتشنف به الأسماع، فرأيته فريداً في بابه، غريباً في إعرابه، بما أتى

---

(۱) فيد: المصنف.

(۲) هكذا في الأصول، ولم أدر لم ذكرها هنا.

(۳) هوقاضي القضاة المالكي، أصل أسرته من بلاد المغرب، ولد سنة ٨٠٤ هـ ونشأ بمنفلوط، وتولى قضاء المالكية بمصر عام٨٦١ هـ وظل في هذا المنصب نحوا من اثني عشر عاماً، حتى توفي في شعبان سنة ٨٧٣ هـ؟
راجع: حسن المحاضرة ٢/ ١٢٤. ابن إياس ٢/ ٥٨، ٨٣، ٩٦، ١٠٦.

على عجمه[1] وأعرابه، قد غاص في بحار العلوم، فاستخرج منها فرائد الدرر، وسبر محاسنها فجمع منها أحاسن الغور، وتتبع شواذ الملح، فجمع منها ما شَتَّ، وأرسل خيله في حلبتها، فحازت قصب السبق، فتصرف فيها كيف شاء، فوهن عند ذلك عضد حاسده، وفيه فتر، أعاد الله من بركاته، ونفعنا بصالح دعواته.

في الخامس من شهر رمضان المعظم قدره، عام ثمانية وستين.

تقريظ القاضي عز الدين الحنبلي

وكتب قاضي القضاة، شيخ الإسلام، عز الدين، أحمد ابن قاضي القضاة برهان الدين: إبراهيم ابن قاضي القضاة ناصر الدين، نصر بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل، المصري الحنبلي[2]، أدام الله نعمته، وفسح مدته، وثبت على نصر السنة في فتنة أهل الاتحاد، وكان من خير الأنصار والأعضاد.

وبعد: فقد وقفت من هذا التأليف العجيب، والتصنيف الغريب، على ما ذكرني بما أعلمه من غزارة علم مصنِّفه، وكثرة فضائله، وحسن إدراكه، وجودة ذكائه ولا يعيب حسنه ما استشهد به من الكتب القديمة.

ففي القرآن والسنة، ونَقْلِ العلماء قديماً وحديثاً، ما يشهد بحسن فعله لكن لكل حسن غائب، ونعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف، والله تعالى يديم لجامعه البقاء، ويطيل له في العلو والارتقاء.

وكُتب في عاشر شهر رمضان، سنة ثمان وستين.

---

(١) في م: عن.

(٢) المولود بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٨٠٠ هجرية، والمتوفي بها في جمادي الأولى سنة ٨٧٦هـ، من تصانيفه: نظم أصول ابن الحاجب، مختصر المحرر في الفقه، شرح الألفية.

راجع مصادر ترجمته: الضوء اللامع ١/٢٠٥، حسن المحاضرة ١/٢٧٧ شذرات الذهب ٧/٣٢١، إيضاح المكنون ١/٣٢٣.

تقريظ الشيخ الأقصرائي

وكتب شيخ الإسلام، بركة الأنام، الشيخ أمين الدين، يحيى بن محمد الأقصرائي الحنفي[1]، شيخ الديار المصرية غير منازَع، ومرجع الناس فيها غير مدافَع أدام الله شمول الإسلام والمسلمين ببركاته، وأعاد علينا جميعاً من صالح دعواته لكنه مال على أهل السنة في فتنة ابن الفارض، وأغنى الله ـ ولد الحمد ـ عنه وما ضر إلا نفسه.

وبعد: فقد شرفت بوقوفي على مواضع من المؤلَّف البديع، المتـوَّج بـ «نظم الدرر من تناسب الآي والسور» تصنيف سيـدنا ومـولانا الإمـام العلامة، الحبر الفهامة المدقق المحقق، ذي التآليف الرفيعة في الأنواح، فتوحاً من رب الأرباب، المستغني عن الإطناب في الألقـاب، خالصـة خلاصـة المتقدمين، ونخبة الأئمة المتأخرين، زاده الله علماً وعملاً، دلتني على علو درجته في أنواع العلوم وأصنافها، وبراعته فيها وكفايته لطلابها وأُلَّافها.

وإذا كانت العلوم منحاً إلهية، وعطايا ربانية، فلا يبعد أن يفتح الله على بعض المتأخرين، ما عسرُ على كثير من المتقدمين.

ومن نظر في مؤلفه بعين الإنصاف، وترك الاعتساف، علم مقدار ما حازه من قصبات السبق في مضمار التحقيق والتوفيق، وما نقله من كلام المخالف وأدلته، لفوائد كثيرة. منها: لردها، والالتزام بها، وتبيين ما انغلق

---

(١) ولد سنة ٧٩٧ هـ؟

قال ابن إياس: كان إماماً عالماً فاضلاً مفتياً، نفع المسلمين، من أجل علماء الحنفية باعا في الفقه، ديناً خَيِّراً، قائماً في الحق. اهـ.

وفي عام ٨٧٩ ه خرج من مصر حاجاً ومعه ابنه أبو السعود محمد وكان من أهل العلم والفضل، فدهمه الموت وهو عائد من مكة، فحزن عليه الشيخ حزناً شديداً، فلم يمكث بعده إلا تسعة أيام، وتوفي في ٢٧ المحرم سنة ٨٨٠ هـ؟.

راجع: حسن المحاضرة ٢٢٧/١، الضوء اللامع ١٠٨/١٠، شذرات الذهب ٣٢٨/٧.

منها، ولعدم فهمهم لها لقصور نظرهم، وسوء اعتبارهم، لما يتعلق بذلك، وربما يظهر من ذلك مطابقتها للشريعة المطهرة، من أعظم الدلائل على براعته في العلوم، وقد وقع ذكر دلائلهم لما ذكر في الكتاب والسنة الشريفة، ولم تزل الكتب الكلامية مشحونة بدلائل المخالفين المعاندين، لما ذكر من الأمور، وغير ذلك من العلوم، ولا ينكر ذلك إلا معاند غير ناظر لطريق الصواب.

والله يجعل ما قاسه في تأليفه خالصاً لوجهه، موجباً للفوز لديه، إنه البَرُّ الجواد المتفضل على جميع العباد.

وكُتب في سادِس عَشَر شهر رمضانَ سنة ثمان وستين.

تقريظ سيف الدين السيرافي

وكتب الإمام العلاَّمة، الشيخ عضد الدين (الحنفي)[1] عبد الرحمن بن الإمام العلاَّمة، نادرة زمانه، الشيخ يحيى ب الإمام العلاَّمة، سيف الدين السيرافي ثم المصري، الحنفي[2]، شيخ البرقوقية[3]، بارك الله في حياته للإسلام، وأدام كونه ملاذاً للخاص والعام، وكان في فتنة ابن الفارض ساكتاً.

وبعد: فقد وقفت على مواضع من المؤلَّف، الذي فاز ـ كمؤلِّفه ـ بالقدح المعلى في رتب الكمال، واشتهر ـ كمصنِّفه ـ بالتفوق على الأكفاء

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) المتوفي سنة ٨٨٠ هجرية، له شهرة في التفسير، ومن مصنفاته: حاشية على خطبة أنوار التنزيل للبيضاوي.

راجع: إيضاح المكنون ١/١٤١، هدية العارفين ١/٥٣٣.

(٣) هيالمدرسة التي أنشأها الظاهر برقوق بين القصرين، ابتدأ بناءها عام ٧٨٦ ﻫ، وانتهى منه عام ٧٨٨ ﻫ، ورتب بها دروساً للمذاهب الأربعة، ودرسا للحديث، ودرسا للقراءات.

راجع: حسن المحاضرة ٢/١٦٣، بدائع الزهور ١/٢٦٤.

والأمثال، وإنه لأرفع قدراً من أن يفتقر إلى تعريف، أو أن يتوقف ظهور مزيّته[1] على تكلُّف إطراء وتوصيف، فلا زال عَلَمُ مصنِّفه مرفوعاً أبداً، وثناء فضله منصوباً بخفض العدا.

بتاريخ سابع عشر شهر رمضان، سنة ثمان وستين وثمانمائة.

تقريظ محيي الدين الكافيجي

وكتب الإمام العلاَّمة، محيي الدين، محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي[2]، شد الله به أزر الدين، ثم كان كالأمن في فتنة ابن الفارض:

الحمد لله الذي جعل العلماء، ورثة الأنبياء، وبعث رسوله أفضل الرسل والأصفياء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجباء الأتقياء. وبعد:

فأقول: هذه مقالة منوطة بأمور مقصودة ههنا[3].

الأمر الأول: أن تأليف الكتب مشروع، لقول الله تعالى: ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** ﴾[4].

ولقول النبي ﷺ: «ما رآه المؤمنون[5] حسناً، فهو عند الله حسن»[6]. ولدلائل أخرى محررة في موضعها.

---

(١) في د: مرتبته.

(٢) كان فقيهاً أصولياً، مفسراً محدثاً، صرفياً نحوياً، بيانياً منطقياً، حكيماً رياضياً، ولد سنة ٧٨٨ هـ في بلاد صروخان، وكانت شهرته بمصر، ولازمه جلال الدين السيوطي، وتوفي بمصر سنة٨٧٩ هـ.

راجع: الضوء اللامع ٢٥٩/٧، حسن المحاضرة ٣١٧/١، البدر الطالع ١٧١/٢.

(٣) فيدد: هنا.

(٤) سورة الكهف آية ٤٦.

(٥) في د: المسلمون.

(٦) أخرجه الإمام أحمد المسند ٣٧٩/١ من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولفظه: «عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد=

الأمر الثاني: أن نقل الأقوال والأخبار، المشتملة على العبرة والعظة، جائز شرعاً سواء كانت الأقوال معلومة الصدق، أولاً[1].

أما نقل الأقوال المعلومة الصدق، فلا غنى عنها، لغاية ماس الحاجة إلى معرفتها.

وأما نقل الأقوال الغير المعلومة الصدق، فليزداد ظهور الأقوال المعلومة الصدق، المخالفة إياها في موجبها ومقتضاها، بسبب الاطلاع على بطلانها، إما في الحال، وإما في الاستقبال.

ولما تقرر في العلوم: أن الأشياء تتبين بالأضداد، والاحتراز بذلك عن الوقوع في الورطة والفساد.

ونظير ذلك: معرفة السموم، وسائر الأمور الضارة، كما قال الشاعر:

عـرفت الشـر، لا لـلشـر، لكـن لتـوقيـه
ومن لم يعـرف الشـر من النـاس يقـع فيـه

ولأجل هذا قال العلماء المحققون: جلب جميع المنافع ليس بواجب

= صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء».

وذكره العلامة ابن القيم في الطرق الحكمية ص ١٣٣ ط المدني موقوفاً ـ أيضاً ـ على ابن مسعود، وقال: رواه عنه الإمام أحمد وغيره، اهـ.

وفي بعض ألفاظه: وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح.

(١) الصواب: أم لا. ومنه قوله تعالى: «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون».

فالمناسب للفظ «سواء» أم، لا أو.

بالاتفاق ودفع المفاسد(١) واجب بالاتفاق(٢).

ومصداقه: عموم حاسة اللمس جميع أعماق البدن، سوى الكبد من بين الحواس دون غيرها من الحواس، على ما فصل في موضعه.

ألا ترى: أن العلماء من الفقهاء وغيرهم ينقلون في مصنفاتهم المذاهب المختلفة والآراء المناقض بعضها لبعض(٣)، سواء كانت حقة، أو باطلة، يشهد به من يطالعها ويفهمها.

الأمر الثالث: أن نقل شيء من التوراة والانجيل وغيرهما، يجوز في التأليف في هذا الزمان، لغرض من الأغراض المعتبرة، كالاعتبار(٤)، والاتعاظ، وإن لم يجز الاستدلال بها على الأحكام والأصول، على ما نص به العلماء في الكتب.

ونظير ذلك: خبر المستور، الذي لم يظهر قبوله ولا رده، فيجوز العمل به وإن لم يجب.

وقريب من هذا قول الحنفيين: شريعة من قبلنا (هي شريعتنا)(٥) ابتداء إذا حكيت لنا بلا إنكار عليها، قال الله تعالى: ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس. . . الآية** ﴾(٦).

---

(١) لعل الصواب: «ودفع جميع المفاسد» ليدل على العموم، كما في سابقة حيث عم في جميع المنافع، ولأنه لا استثناء في المفاسد، لأن الواجب دفعها جميعها، بخلاف المنافع فهي على حساب الاستطاعة، لقوله تعالى:
«فاتقوا الله ما استطعتم» وقوله: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»، ولما هو مقرر من: أن الطاعة على قدر الطاقة. ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان: «إذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم».

(٢) وقد ذكره المؤلف، كما ترى.

(٣) في د: بعضاً.

(٤) في د: للاعتبار.

(٥) في د: كشريعتنا.

(٦) سورة المائدة آية ٤٥.

والحاصل: أن نقل سفر من أسفار التوراة والإنجيل وغيرهما ـ على ما ذكرنا ـ جائز شرعاً، لا شبهة قادحة فيه، وإن كانت منقدحة في الأوهام.

ومعلوم عندك: أن لا اعتبار لها بالإجماع، على ما حُرِّر في أصول الفقه.

. فكيف وقد روى في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو[1] رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: بلغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج[2].

وقال أهل التحقيق من المحدثين في بيان هذا الحديث: المراد منه ههنا: هو الحديث عنهم بالقصص والحكايات، لأن في ذلك عبرة وعظة لأولى الألباب، وأما النهي الوارد عن كتابة التوراة والإنجيل، ففيما عدا القصص والأخبار.

فحصل الجمع والتوفيق بينهما على ما تسمع وترى.

هذا وقيل: كان النهي عنها قبل اشتهار شأن القرآن، حذرا من الالتباس والاشتباه، ولأجل هذا، نهى عن كتابة الحديث قبل اشتهاره، فلما اشتهر شأنه أي اشتهار، رخص فيها، وكذلك الأمر الذي نحن بصدده.

وقال[3] (البيضاوي)[4] في تفسير قول الله تعالى: ﴿إن الله لا يستحي

---

(١) في د: عمر، وهو خطأ.
(٢) تقدم تخريجه حد ١٦.
(٣) ساقطة من: د.
(٤) هو ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي، علم بالتفسير والحديث والفقه والأصول، توفي بتبريز سنة ٦٨٥ هـ ومن مصنفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير، منهاج الوصول إلى علم الأصول، الغاية القصوى ف يدراية الفتوى.
راجع: هدية العارفين ١/٤٦٢، البداية ١٣/٣٠٩، طبقات الشافعية ٥/٥٩.

أن يضرب مثلاً ما ﴾[1]: مثل في الانجيل عن الصدر[2] بالنخالة، والقلوب القاسية بالحصاة، ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير[3].

ومثل (هذا)[4] وقع كثيراً في سائر كتب التفاسير، كالكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للإمام الرازي. (وفي)[5] كتب الحديث كصحيح البخاري وغيره (أيضاً، وفي كتب الكلام، كالصحائف والمواقف وغيرهما، وفي كتب أصول الفقه، كالبزدوي وغيره أيضاً)[6] يشهد بذلك كله من يطالعها ويتأمل فيها.

.لْ. ولقد ذكر (في)[7] التاريخ: أن القصص والأخبار (العجيبة)[8] الغريبة كقصة كقصة عوج بن عنق وغيرها، يجوز كتابتها وحكايتها، وإن كانت غير معلومة الحال لتضمنها عبرة وعظة ومصالح، لقول الله تعالى: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب»[9].

ولما اشقهر عند الناس: أن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فإن العلم بالبعض خير من الجهل بالكل.

قال الله تعالى: ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾[10].

---

(١) ســورة البقرة آية ٢٦.
(٢) في البيضاوي: غلّ.
(٣) تفسير البيضاوي على هامش الشهاب ٨١/٢.
(٤) ساقطة من: د.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٧) ساقطة من: د.
(٨) ساقطة من: د.
(٩) سورة يوسف آية ١١١.
(١٠) سورة طه آية ١١٤.

ومن ههنا نشأ قول من قال:

فكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك

الأمر الرابع: أن نقل القصص والأخبار من التوراة وغيرها، قد شاع بين الناس شيوعاً لاخفاء فيه، فقد حل محل الإجماع السكوتي.

ولهذا[1] وقع كثيراً في كتب السلف بلا إنكار عليه، كما وقع في هذا العصر في هذا التأليف المسمى بـ «نظم الدرر من تناسب الآي والسور». على ما حررنا فيما مر.

فإن قلت: فكيف[2] تقبل هذه الدعوى منك ههنا، وقد ذكر في بعض علم الكلام: أن الكتب السماوية قد نسخت تلاوتها وكتابتها؟.

قلت: لا استبعاد ههنا على ما ذكرنا فيما قبل من التفصيل والتحرير، فيحمل ما ذكرنا ههنا على نسخ كتابة التوراة الدالة على الأحكام المناقضة لأحكام شريعتنا لا على نسخ كتابة التوراة الخالية عن الدلالة عليها.

فحصل الجمع بينهما على ما ترى.

وأنت تعلم: أن العمدة والمدار في أمثال هذا، إنما هو قول الفقهاء والمحققين، لا قول[3] المتكلمين، لما تقرر: أن صاحب البيت أدرى بما فيه، كما تعلم أن نسخ الوجوب، لا يستلزم نسخ الجواز، كصوم عاشوراء، فإنه جائز شرعاً وأن نسخ وجوبه.

وتعلم أيضاً: أن المثبت أولى من النافي.

الأمر الخامس: أن هذا الكتاب «نظم الدرر» كتاب عظيم الشأن،

---

(١) في د: وهذا.

(٢) في د: كيف.

(٣) في د: أقوال.

ساطع البيان مؤسس بحسن ترتيب، وجودة نظام، على أحسن جواهر القواعد، مرصع بأنواع فرائد الفوائد والعوائد، وأنه بحر لا تنقضيّ عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، وموصوف بما تراه محط دائرة الضبط والبيان، وعطية من عطايا الجواد الرحمن.

كتاب في سرائره سرور ... مناجيه من الأحزان ناجي
وكم معنى بديع تحت لغظ ... هناك تزاوجا كل ازدواج

ولقد تأمل العبد الفقير فيه حق التأمل كما ينبغي، في مواضع كثيرة، فوجده ممتلئاً بأجناس درر نفيسة منظومة، متناسبة عالية، ومتوجاً بأصناف فصوص لامعة غالية، ومناسباً صدره عجزه، ومقروناً بلطائف دقائق المعاني والفحوى، مع رعاية السياق والسباق، ولأجل هذا صار مثلاً مشهوراً في البلدان والآفاق ما عام أحد من الفضلاء والعلماء في بحره، سوى العالم العلامة، والبحر الفهامة، الفائق على الأقران، أفصح من سحبان في البيان، الألمعي، العظامي، العصامي بديع الزمان، وقاد الذهن، نقاد الطبع، الأصمعي، منحة الرحمن، الرحالة في الرواية، العمدة في الدراية، أمام الهدى، نوى التقى، شمس الضحى زين الورى فلك العلى، وهو المستحق للمدحة بالوصف الجميل، على جهة التعظيم والتبجيل وليس يزيد الشمس نوراً وبهجة، إطالة ذي وصف، وإكثار مادح، وأنشدت فيه:

وإني لا أستطيع كنه صفاته ... ولو أن أعضائي جميعاً تكلم

---

(١) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة، يضرب به المثل في البيان يقال: «أخطب من سحبان، وأفصح من سحبان». اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام، وكان إذا خطب لا يعيد كلمة، لا يتوقف، ولا يقعد حتى يفرغ، أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية، وتوفي سنة ٥٤ هجرية.

راجع: بلوغ الأرب للألوسي ١٥٦/٣، خزانة الأدب ٣٤٧/٤، ومجمع الأمثال ١٦٧/١.

وأقول: لا شك (أن)[1] قول من قال:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

صادق في شأنه حقاً، وكذلك قول من قال:

ويا من لديه أن كل امرىء له نظير
وإن حاز الفضائل هل له

ونسبة جميع ما ذكرته في تعداد مناقبه ومحاسنه وفضائله، إلى مالم يذكر من سائر كمالاته الجمة، أقل من نسبة قطرة إلى قطران البحر المحيط.

فانظر إلى نظري إليك، فان عنوان ما أخفيت في أحشائي.

نعني بذلك كله الشيخ الإمام الهُمَام، شرف السلف، خير الخلف، المدرس المؤلف المفتي، برهان الدين، أبو الحسن، إبراهيم، الشهير بالبقاعي، خوله الله تعالى بالأبقيين: الذكر الجميل في الأولى، والأجر الجزيل في الأخرى.

ولولا الخوف من سآمة الخواطر بالإسهاب، لأوردنا ههنا أساليب عجيبة، ومعاني نفيسة غريبة.

وكُتب يوم السبت، العشرين من شهر رمضان، سنة ثمان وستين.

تقريظ العلامة تقي الدين الشمني

وكتب الإمام العلامة الصالح، تقي الدين محمد بن الشيخ الإمام العلامة كمال الدين محمد الشمني الحنفي[2]، أدام الله النفع للمسلمين

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) المغربي الأصل، ثم القاهري، محدث، فقيه، أصولي، توفي بالقاهرة سنة ٨٢ هـ، ومن مصنفاته: نظم النخبة لابن حجر.
راجع: الضوء اللامع ٩/٧٤، هدية العارفين ٢/١٨٣.

بعلومه، والهناء للعالمين بالورود في بحور فهومه، وأعلى مناره، وجعل النجاح والفلاح في الدارين داره، بعد الخطبة البديعة، ومات - رحمة الله - قبل الفتنة.

وبعد: فقد وقفت على هذا المصنَّف المعظم، والجوهر المنظم، فإذا هو من الحسن في غاية، ومن التحقيق والتدقيق في نهاية، لم تكتحل عين بمثاله، ولا نسج ناسج على منواله.

وكيف لا، ومؤلفه قد حوى الفنون النقلية والعقلية، والعلوم الشرعية الأصلية والفرعية، عالم عامل، سالك كامل، حافظ ضابط، مجاهد مرابط، نفع الله به ذوي الحاجات والطلاب، وفتح لنا وله من الخير والأبواب، ونفعنا بدعواته، وأعاد علينا من بركاته، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وكتب في خامس عشر (من شهر)[1] رمضان، سنة ثمان وستين.

تقريظ تقي الدين الحصني

وكتب العلامة الشيخ تقي الدين، أبو بكر، محمد (بن)[2] شادي، الحصني الشافعي[3]، بارك الله في حياته للمسلمين، وأدام كونه ملاذاً للطالبين، بعد الخطبة البليغة، ثم مات مع أنصار ابن الفارض.

وبعد: فقد وقفت على المجلد الرابع للمناسبات، فرأيته شاملاً على

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) فقيه محدث، ولد في الحصن من بلاد حوران، سنة ٧٥٢، وتوفي بدمشق سنة ٨٢٩ هـ.

راجع: البدر الطالع ١/١٦٦، شذرات الذهب ٧/١٨٨.

بدائع الآيات، محتوياً على فنون (من)[1] الحجج والبينات، وهو - مع وجازة لفظه - حاوٍ لمنتخب كل مديد وبسيط، جامع لخلاصة كل وجيز ووسيط، مطلع على زبدة مطالب هي نتائج أنظار المتقدمين، مظهر لنخب مباحث، هي أبكار أفكار المتأخرين، فهو بحر محيط بغرر درر الدقائق، وكنز أودع فيه نقود الحقائق، ألفاظه معادن جواهر المطالب الشرعية، وحروفه أكمام أزاهير النكات اللفظية، ففي كل لفظ منه روض من المنى، وفي كل شطر منه عقد من الدرر.

فلله در مؤلفه، قد أبرز ذخائر العلوم والمعارف، وافتلذ[2] الأناسي من عيون اللطائف، وسلك منهاجاً بديعاً في كشف أسرار التحقيق، واستولى على الأمد الأقصى من دفع منار التدقيق، أظهر غرائب مناسبات، مامستها أيدي الأفكار وعجائب نكات، ما فتق رتقها أذهان أولى الأبصار.

فجزاه الله أفضل الجزاء، وجعل له في الدارين أطيب الثناء.

وكُتب في عاشر شوال، سنة ثمان وستين وثمانمائة.

وما كان لي غرض قبل ذلك في[3] عرض الكتاب على أحد، فلما تكلم فيه الحاسدون عرضته هذا العرض، فشهر - ولله الحمد - أمره، وفشا في الفضلاء شأنه وذكره وحمدت عاقبته، وشرح صدره، فكان كما قيل:

وإذا أرد الله نشر فضيلة طويت ... أتاح لها لسان حسود
لو اشتعال النار في جزل الغضا ... ما كان يعرف طيب عرف العود

ثم أظهرت ما كتب لي من قبلهم من العلماء على مصنفاتي، وغيرهم من مدة من السنين، يزيد بعضها على الأربعين.

على أني كنت قليل الاعتناء بأخذ خطوط المشايخ، وكان أصحابي

(١) ساقطة من: د.
(٢) أخرج أحسن ما فيها.
(٣) في د: على.

يلومونني على ذلك، فكنت أقول لهم، إني إذا صرت إلى سن يؤخذ فيه عن مثلي، فإن كنت أهلاً في نفسي، فأنا لا أحتاج إلى شهادة أحد، وإن لم أكن أهلاً، لم تفدني إجازات المشايخ، كما قل التلعفري[1] رحمه الله تعالى:

وعندهم أن الإجازة غاية النهـ ـاية للإقراء ما فوقها اعتلا
فياليت شعري، هل رأيتم إجازة تحج عن القارىء وتتلو إذا تلا

على أن أقول، إن الله تعالى إن كان يعلم أني لا أكون إذ ذاك أهلاً يؤخذ قولي مسلماً، فلا أحياني الله إلى ذلك الزمان.

فأريتهم خط الإمام العلامة، عماد الدين، ابن شرف الدين القدسي الشافعي تلميذ ابن الهائم رحمه الله[2]، على (مفردتي)[3] في أول زياراتي للقدس الشريف وكان سني إذ ذاك دون العشرين، (وذلك في)[4] سنة سبع وعشرين وثمانمائة: «الشيخ الإمام، المقرى المجيد».

وكتب لي شيخ الإسلام حافظ العصر، قاضي القضاة، أبو الفضل، شهاب الدين، أحمد بن حجر المصري[5]، رحمه الله على مفردتي في قراءة أبي

---

(١) هو شهاب الدين أبو المكارم: محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيماني والتلعفري نسبة إلى التل الأعفر بنواحي الموصل، ولد بالموصل سنة ٥٩٣ هـ؟
وقرأ بها، ورحل إلى دمشق ثم إلى حلب، وكانت وفاته بحماة في شوال سنة ٦٧٥ ه، وله ديوان شعر.
راجع: شذرات الذهب ٣٤٩/٥، النجوم الزاهرة ٢٥٥/٧.

(٢) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي المصري، ثم المقدس الشافعي، ويعرف بابن الهائم، كان عالماً بالفرائض والحساب، والفقه والعربية، ولد بالقاهرة سنة ٧٥٦ ـ وقيل: سنة ٧٥٣ ه ـ ثم رحل إلى بيت المقدس وظل بها إلى أن توفي سنة ٨١٥ ه.
راجع: الضؤ اللامع ١٥٧/٢، شذرات الذهب ١٠٩/٧، البدر الطالع ١١٧/١.

(٣) زيددة عن: د.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد، ابن حجر العسقلاني المصري، أصله من ـ

عمرو بن العلاء البصري[1] المسماة: «كفاية القارىء، وغنية المقرىء» وذلك في أول ما أتى إلى القاهرة، سنة أربع وثلاثين، ما من جملته:

فهكذا هكذا تنظم اللآلى، وإلى هنا تنتهي رتب أولى المعالي، إن الهلال إذا رأيت نموه، أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً، ويا ليت شعري، ومن هذه بدايته فما الذي بلحاق النجم ينتظر.

وكتب قاضي القضاة، شيخ الإسلام، سعد الدين بن الديري الحنفي[2]، رحمه الله:

وقفت على هذا المؤلَّف، الموسوم بالكفاية، الجامع بين صحيح الرواية، وغريب الدارية، الشاهد لمصنفه ببلوغ رتبة النهاية في سن البداية.

وكتب قاضي القضاة، شيخ الإسلام، محب الدين، بن نصر الله البغدادي الحنبلي[3]، رحمه الله، وما كان رآني أصلاً[4]، ما أشار إلى ذلك في كتابته:

= عسقلان ببلاد الشام، وإليها ينسب، ولد بمصر ف يشعبان سنة ٧٧٣ هـ وتوفي والده وهو صغير فكفله بعض أقاربه، برع في كثير من العلوم، أشهرها الحديث والتاريخ، وتوفي ليلة السبت ٢٨ من ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ.

(١) اسمه على أشهر الأقوال: زبان بن العلاء بن عمار، أبو عمرو التميمي المازني البصري، قال الحافظ أبو العلاء الهمذاني: هذا الصحيح الذي عليه الحذائق من النساب، اه. وأبو عمرو هذا أحد القراء السبعة، وامام من أئمة اللغة والأدب، واختلف في سنة ولادته، فقيل: سنة ٧٠، وقيل ٦٨ هجرية، كما اختلف أيضاً في سنة وفاته فقيل: سنة ١٥٤، وقيل ١٥٩ وقيل ١٥٦ هـ، كانت ولادته بمكة، ووفاته بالكوفة.

(٢) هو أبو السعادات سعد الدين: سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد ابن أبي بكر بن أبي مصلح بن أبي بكر النابلسي، القدسي، الحنفي ويعرف بابن الديري، مفسر، فقيه، متكلم، وقاضٍ، ولد بمصر سنة ٧٦٨ هـ وتوفي بمصر سنة ٨٦٧ هـ.

(٣) هو أبو الفضل محب الدين أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر ولد ببغداد سنة ٧٦٥، ونشأ بها، وتولي الافتاء والقضاء بمصر، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٤٤ هـ، له حاشية على تنقيح الزركشي في الحديث.

(٤) في د: قط.

وقفت على هذا التصنيف المنيف، المشتمل على كل معنى فائق شريف، فرأيته قد احتوى من علوم القرآن العظيم على معظمها، ومن فضائله على أفضلها وأكرمها[1] وهو مصنف فرد في معناه، لا يشبع من نظره من وقف عليه أو رآه، لكثرة فوائده الغزيرة وعظم نوادره[2] المنيرة، فدعوت لمصنفه ـ شكر الله سعيه الكريم ـ دعاء فائقاً، وأحببته على الغيب حباً صادقاً، فلقد أجاد وأفاد، وارتفع قدره المنيف به وساد.

وكتب العلامة قاضي القضاة، كما الدين، محمد بن العلامة ناصر الدين، محمد ابن البارزي، الحموي الشافعي[3]، وهو كاتب السر بالديار المصرية رحمه الله، على القطعة التي عملتها من كتابي: «جامع الفتاوى لايضاح بهجة الحاوي «وهو كتاب غريب، مزجت فيه كلام البهجة ـ على أنه نظم ـ بكلام الشرح مزجاً، صارا بحيث يظن أن الكلامين متن مستقل، مثل كتاب «الأنوار» للأردبيلي، وهو أكبر عمدى في هذا الشرح:

وقفت متأملاً في محاسن هذا الجامع، متفكراً في فصاحة خطيبه، وما أبدعه فيه من إعجاب الناظر، وإطراب السامع، فألفيته حاوياً لكل حجة، شاملاً للأنوار والبهجة وعلمت تميز مصنفه على أقرانه، وتنبهه على أهل زمانه، أمده الله بالكفاية، وجعل خاتمته بالحسنى وزيادة.

وكتب قاضي القضاة، سعد الدين بن الديري[4]، رحمه الله:

---

(١) يصدق هذا الوصف على كتاب «مصاعد النظر» موضوع دراستنا هذه، فقد حوى في مقدمته على أكثر ما دُوِّن في علوم القرآن.

(٢) ف يد: أنواره.

(٣) ولد بحماة في ١٣ رجب سنة ٨٠٧ ونشأ بها، وسمع بحمص والقاهرة وغيرهما من البلاد، وولي القضاء وكتابة السر بحلب، وحج، وزار بيت المقدس وتوفي في ربيع الثاني سنة ٨٧٥ هجرية.

راجع: الضؤ اللامع ١٠/٢٤، إيضاح المكنون ٢/٤٣ معجم المؤلفين ١١/٣٠٨.

(٤) تقدمت ترجمته قريباً ص.

وقفت علـى تـأليفـه فـألـفتـه | وألفيتـه يفـتر عن نـور بستـان
يضـوع شـذاه عـابقـاً نـاطقـاً بمـا | تضمن من نـثر ونـظم لعقبـان
دعـا بـالمعـاني فـازدلفن تـطيعـه | بـأيســر إيضـاح وأبـلغ تبيـاني
فجازاه رب الخلق من خير ما جزى | لتحقيق إتقـان وتصـديق بـرهـان

ولا غرو أن يحتوي هذا الجامع على معاني الحاوي، وأن تنبهج بنضارته البهجة، وأن ينشرح بهذا الشرح البديع كل صدر، وتثلج به كل مهجة، وقد بلغ من أعلام(١) المباني كل قلّة(٢)، وحل من بحار المعاني بكل لجة، وحققه البرهان الصادق، فهل تبقى لمعاند من حجة.

وكتبت في سنة سبع وأربعين وأنا في غزوة روس(٣) (كتاباً إلى قاضي القضاة ابن حجر،) كتاباً إلى قاضي القضاة شيخ الإسلام، محقق العصر، شمس الدين محمد ابن على القاياتي(٤)، رحمهما الله، فأثبت ابن حجر ذلك الكتاب في تاريخه المسمى «إنباء الغمر بأنباء العمر» وافتتحه بقوله:

«وقد شرح لي صـاحبنا العـلامة إبـراهيم الوقعـة، فأثبتهـا في هذا

---

(١) في د: أعلى.
(٢) في المصباح المنير ٢/٧٩٣: قلة الجبل: أعلاه، والجمع قُلَل وقلال أيضاً مثل بُرْمة، وبرم وبرام، وقلة كل شيء: أعلاه.
(٣) قا ل ياقوت في معجم البلدان ٧٨/٣: هي جزيرة ببلاد الروم مقابل الاسكندرية، وكان أهلها يغيرون منها على بلاد مصر.اهـ ـ بتصرف.
وقد غزاها المسلمون مرتين، الأولى سنة٨٤٦ هـوهي التي عناها المؤلف وفيها انتصروا وأسروا كثيراً من الأعداء، والثانية كانت سنة ٨٦١ ه وكانت الغلبة فيها للأعداء، كما ذكره صاحب النجوم الزاهرة ٣٦٠/١٥.
(٤) هو أبو عبد الله شمس الدين: محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي الشافعي، كان محدثاً، فقيهاً، أصولياً، نحوياً، بيانياً، ولد سنة٧٨٥ هـ، وأخذ عن السراج البلقيني والع بن جماعة، وتولي القضاء بمصر، وتوفي بالقاهرة سنـة٨٥٠ هـ،ومن تصانيفه: شرح منهاج الطالبين، في فروع الفقه الشافعي.

التعليق»[١] ولم أنظر تاريخه، ولا علمت بشيء من ذلك، إلا بعد موته، على أنه قلّ أن يكتب فيه «العلامة» لأحد.

أنظر ترجمته للشيخ شهاب الدين الحناوي[٢]، وقاضي القضاة شمس الدين الونائي [٣] وغيرهما.

وكتب إليّ القاياتي، وهو أعز الناس كتابة، وأعظمهم تثبتاً في أقواله وأفعاله:

«جواب كتابي الشيخ البرهاني، أدام الله بركة علومه على المسلمين، ومن الكتاب ـ والله ـ لقد حصل للعبد غاية (السرور)[٤] بورود شرفكم الكريم، وحمدت الله (تعالى)[٥] على عافيتكم، ومما يشمل الناس من حسن نظركم، وجميل آرائكم وشفقتكم للعامة، ونصحكم للخاصة، وما فيه مما يلائم هذا».

وكتابه هذا، وكتاب ابن حجر، الذي أجابني به عن كتابي، (ما)[٦]

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ٩/ ٢٠٠ /ط الهند سنة ١٩٧٦ حوادث سنة ٨٤٧.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد، بن إبراهيم، الأنصاري الفيشي القاهري المالكي، ويعرف بالحناوي، ولد سنة ٧٦٣ ه بفيشا المنارة إحدى قرى محافظة الغربية بمصر، ثم قدم القاهرة، فطلب العلم على عدد من أفاضلها مثل عز الدين بن جماعة، والشمس الزواوي، والزين العراقي، وتوفي ليلة الجمعة ١٨ جمادي الأولى سنة ٨٤١ ه.
راجع: الضؤ اللامع ٢/ ٦٩ شذرات الذهب ٧ /٢٦٢.

(٣) هو شمس الدين محمد بن اسماعيل بن محمد بن أحمد الونائي، ثم القرافي القاضي، اشتهر بالعلم والفضيلة، وشغل التدريس فترة كبيرة، ثم ولي قضاء دمشق مرتين، وكان مولده في شعبان سنة ٧٨٨ ه، وتوفي في صفر سنة٨٤٩ هـ.
راجع: انباء الغمر ٩/٢٤٢ /ط الهند.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) ساقطة من: د.

هما إلا في جملة ما كتبت فيه مسودة كتابي «نظم الدرر» في سورة يونس عليه السلام.

وكتب لي ابن حجر بسؤاله لأمر دعاه إلى ذلك على كتابي «عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران».

«الشيخ الإمام، العلامة (الأوحد)[1]، المتقن المتفنن، الحافظ المحقق».

وكتب على حاشيتي على شرح ألفية الشيخ زين الدين العراقي[2] نحو هذا.

وكتب لي هو وغيره - أيضاً - على أشياء غير هذا.

منه: ما كتبه العلامة، محقق عصره، الكمال محمد بن الهمام الحنفي[3]، وحاله في ضبط اللفظ والقلم، والمواجهة للملوك وغيرهم بِمُرِّ الحق معروف، على كتاب «الانتصار من المعتدي بالأبصار».

وقفت على ساحل بحر زاخر، إذ وفقت للنظر في هذا المؤلف الباهر،

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) هو زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن إبراهيم الكردي العراقي، المصري الشافعي، كان حافظاً محدثاً، فقيهاً أصولياً، أديباً لغوياً، رحل إلى دمشق وحلب والاسكندرية والحجاز ومن مصنفاته: الألفية في علوم الحديث، نظم الدرر السنية في السيرة الزكية، المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٦ هـ في الثاني من شهر شعبان.
راجع: الضوء اللامع ١٧١/٤، حسن المحاضرة ٢٠٤/١ البدر الطالع ٣٥٤/١.

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد، بن سعود، القاهري، الحنفي كمال الدين، عالم بالفقه والأصول والتفسير، والفرائض، والحساب، والنحو والصرف، وعلوم الطبيعة، ولد بالاسكندرية سنة ٧٩٠ هـ، وقدم القاهرة ورحل الى حلب، وجاور بالحرمين. له «شرح الهداية في الفقه الحنفي» والتحرير في الأصول، وتوفي سنة ٨٦١ هـ.
راجع: البدر الطالع ٢٠١/٢، الضوء اللامع ١٢٧/٨، شذرات الذهب ٢٩٨/٧.

المنتصب على معارضه كالسيف الباتر فلعمري لقد سلك في نظره - بعد سبيل الأبرار - ما يعجز عنه فحول راسخي النُّظَّار، من دقائق زبد أبكار الأفكار، فاستحق أن يقال فيه على رؤوس الأشهاد إلى يوم التناد:

ولا غرو أن أبدي العجائب ربه   وفي ثوبه بر وفي قلبه بحر

فياليت شعري كيف أكون في سن [1] الشباب، أستحق من هؤلاء الفحول هذه الألقاب، ثم أصبر في سن الشيخوخة إلى اعتراض من لم يكن في ذلك الزمان في عداد من يذكر، ولا هو - والله - الآن في عداد من يفهم كلامي الذي اعترض عليه، فلقد صدق - لعمري - القائل:

إذا مضى القرن الذي أنت فيهم   وخلفت في قرن فأنت غريب

وتنقسم[2] الناس بعد ذلك، فمِنْ عارف بمآثري، خالٍ من الحسد، مُتَلٍّ بحلى الدين، فهو مُثْنٍ عليّ بما يعلم، ومن جاهل، فهو مسلّم لأكبر منه، ومن قائل: إني عثرت على شيء غريب لمن تقدمني فنسبته إليّ.

فقلت: من العجب كوني أطلع على شيء من القرآن، لا يعثر غيري على شيء منه.

وأعجب من ذلك: أن يتجدد لي علم ذلك، كلما تجدد من أحد سؤال، أو بدأ في آية إشكال.

وهذا نحو ما قررته في معنى قوله تعالى - في سورة هود عليه السلام -:

﴿ أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾[3].

---

(١) في د: بر الشباب.

(٢) في م: وتقتسم.

(٣) سورة هود الآيتان: ١٣ - ١٤.

وقلت: فما لي أتعبت نفسي في كتابتي للمسودة من أوله إلى آخر سورة هود على نهج لم يرضني، بعد أن علمت سورة يوسف عليه السلام، حتى احتجت إلى أن كررت على ما مضى فأصلحته، فما كان قريباً من سورة يوسف عليه السلام، كان أقل احتياجاً للإصلاح، وما كان بعيداً كالأعراف وما قبلها، صار تصنيفاً آخر، قاسيت في إصلاحه أكثر من الأمور المبتكرة، وجاء المجلد منه في مجلدين بعد الإصلاح. وهذه مسودته فيها مواضع، من عرف يقرؤها، أشهدت على أن الكتاب له دوني.

وكتابي هذا[١] قد نوهت فيه بالنقل عن جماعة، ما عرفهم المصوبون إلا مني منهم الأستاذ أبو الحسن الحرّالي[٢].

والقاعدة التي افتتحت بها كتابي عن الشيخ أبي الفضل المغربي[٣] رحمه الله لم يسمعها منه غيري[٤].

لو كنت ممَّن يتشيَّع بما لم يعط، لم أنسبها إليه، فإنها أحسن من كل ما في كتابي وهي الأصل الذي أبتني ذلك كله عليه.

ولقد سألني بعض أكابر المغاربة أن أسقط ذكره ليكتب الكتاب، ويرسل به إلى الغرب، قال: لأن المغاربة لا يُقرُّون للشيخ أبي الفضل بما أصفه أنابه فلم أجبه إلى ذلك، وامتنع هو من الكتابة، إلا على ذلك الشرط.

فعلمت أن ذلك حسد منهم للشيخ أبي الفضل رحمه الله، على تقدير

---

(١) يعني: نظم الدرر.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد عبد الصمد، بن حسن، بن عبد المحسن المشدالي، البجائي، المغربي، المالكي، ولد سنة ٨٢٠ هـ وتوفي بعينتاب سنة ٨٦٥ هـ.
راجع: معجم المؤلفين ١١/ ٢٥٩.

(٤) راجع نظم الدر للمؤلف ١/ ٨ /ط الهند سنة ١٩٦٩ م.

صحته لأن أهل كل بلد يحسدون من بَزَّهم منهم سبقاً، وعلاهم فوقاً، وأعلاهم فضلاً وأعزهم فصاحة ونبلا، ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ﴾[1]، إنا لله وإنا إليه راجعون.

على أن أكثر المصريين كانوا ـ أيضاً ـ يحسدونه، رحمه الله.

ووالله ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل رأي نفسه.

فلا يعتبْ عليَّ أحدٌ في هذا الكلام، فإنه نفثه مصدور، ورمية معذور، شغله الذباب عن كثير من مقاصده، ونفّر عنه الذباب كثيراً من مصايده، ولقد منع كثيراً من العلماء عن إظهار محاسن أعمالهم، ومعالي أقوالهم وأفعالهم.

نقل الإمام بدر الدين الزركشي، المصري الشافعي[2] في كتابه «البرهان في علوم القرآن» عن القاضي أبي بكر بن العربي[3]، أنه قال في

---

(١) سورة النساء: آية ٥٤.

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبد الله، المصري الشافعي، تركي الأصل، ولد عام ٧٤٥ واشتغل بطلب العلم صغيراً، وأخذ عن جمال الدين الانوي، وسراج الدين البلقيني، وعني بالفقه والأصول والحديث، وألف الكثير من الكتب منها: البحر في الأصول، وشرح البخاري ولم يتمه، وتفسير القرآن وصل فيه إلى سورة مريم، وتوفي سنة ٧٩٤ هـ.

راجع: حسن المحاضرة ٢٠٦/١

الدرر الكامنة ١٠٥٩/٣

شذرات الذهب ٣٣٥/٦

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبد الله، بن محمد، بن عبد الله، بن أحمد، المعافري الأندلسي، الأشبيلي، المالكي، المعروف بابن العربي، عالم بالحديث، وعلوم القرآن، والفقه والأصول، والأدب والنحو، ولد بأشبيلية سنة٤٦٨ هـ، وتولى بها القضاء، ثم رحل إلى بغداد والقاهرة، ثم رجع إلى الأندلس، وتوفي في ربيع الآخر سنة٥٤٣ هـ وله شرح صحيح الترمذي وغيره.

راجع: وفيات الأعيان ١٦٩/١، تذكرة الحفاظ ٨٦/٤، شذرات الذهب ١٤١/٤ نفح الطيب ٣٣٥/١.

«سراج المريدين»: ارتباط آي القرآن العظيم، بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، منسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا (وبين الله)(١)، رددناه إليه(٢).

ومما يصلح إيراده في هذا المضمار، مما يلي من الأشعار، ما قلته في سنة خمسين وثمانمائة، وكنت مرابطاً في ثغر دمياط، فتأملت يوماً أحوالي وأحوال الحسدة، فوجدتها في غاية البعد عن مواقع حسدهم، فإن طلبي غير ما يطلبونه، فلم نتزاحم على مقصد من المقاصد، فانستد تعجبي من أمرهم، فقلت من الطويل الثالث، والقافية متواتر مصمت، مطلق، مرادف:

ألا ربّ شخص قد غدا(٣) لي حاسدا ... يرجّى(٤) مماتي وهو مثلي فان
ويا ليت شعري أن أمت ما يناله ... وماذا عليه لو أطيل زماني
عدوى قاصٍ عنه ظلمى (آمن)(٥) ... من الجور، داني النفع حيث رجاني
وهل لي تراث غير قوس أعدها ... لحرب ذوي كفر، وغير يماني
وما يبتغي الحساد مني وإنني ... لفي شغل عنهم بأعظم شأني
أنكب نفسي عن مخوّف(٦) يومها(٧) ... لعلي أن أحظى بنيل أماني
نعم، إنني عما قريب لميت ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان(٨)

---

(١) زيادة عن البرهان.
(٢) البرهان ١/٣٦.
(٣) في د: أتى.
(٤) في د: يرجو.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) في م: خوف.
(٧) في م: يؤتها.
(٨) تحخكت االدال لضرورة الوزن.

كـأنـك بي أنعى إليـك وعنـدهـا — تــرى خيـراً صمّت لــه الأذنـان
فلا حسد يبقى لديك[1] ولا قلى — فتنــطق في مـدحي بــأي معــان
وتـــنــظر أوصـــافي فـتــعــلم أنها — علت[2] عن مدان في أعز مكـان
ويمسى رجــال قـد تهـدم ركنهم — فـمــدمعـهـم لي دائـم الهـمـــلان
فكم من عزيز (بي)[3] يذل جماحه[4] — ويــطمــع فيـه ذوشقـا وهــوان
فيا رب من يفجأ[5] بهول يؤوده[6] — ولـو كنت مـوجـوداً إليـه دعـاني
ويا رب شخص قد دهتـه مصيبة — لهـا القلب أسى دائم الخـفقـان
فيطلب من يجلو صداها فلا يرى — ولـو كنت، جلتهـا يـدي ولسـاني
وكم ظـالم نـالتـه مني غضـاضــة — لنصـرة[7] مـظلوم ضعيف جنـان
وكم خطة سيمت ذووها معـرة[8] — أعيـذت بضرب من يـدي وطعان
فإن يرثني من كنت أجمع شمله[9] — بتشتيت شمـلي، فالـوفا[10] رثـاني
وإلا نعــاني كــل خلق تــرفـعت — بــه هممي عن شــائن وبـكـاني
إلهـي كــما أوليـتنيهــا تـفـضــلاً — فــأتمم بــإيتــائي نعيم جنـان

وأنه ليعجبني ما حكـاه المسعودي[11] في «مـروج الذهب» في تـرجمة

---

(١) في د: اليك.
(٢) في د: علمت.
(٣) ساقطة من: د.
(٤) في د: جنابه.
(٥) في د: يفىء.
(٦) في د: يورده.
(٧) في د: لنصري.
(٨) في د: خطت سيمت ذروتها.
(٩) في د: جمع.
(١٠) في د: فالوقاد.
(١١) هو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مؤرخ. صاحب كتاب «مروج الذهب» وكتاب «التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم» وكتاب «المقالات في أصول الدينات». وتوفي بمصر سنة ٣٤٥ في شهر جمادي الآخرة.

المنصور، ثاني الخلفاء العباسيين، أنه قال لمعن بن زائدة الشيباني[1]: ما أسرع الناس إلى قومك بالأذى[2]، فقال: يا أمير المؤمنين:

إن الغـرانيق تلقـاهـا محسّـدة ولن تـرى للئام النـاس حساداً[3]

الغرانيق: السادة[4]

أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، وأيضاً:

وإذا أتتـك مـذمتي من نـاقص فهي الشهـادة بـأني كـامـل[5]

وروى الطبراني في الكبير، عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الإسلام ثلاث أبنيات: سفلى، وعليا وغرفة، فأما السفلى: فالإسلام، دخل فيه عامة المسلمين، فلا تسل أحداً منهم إلا قال: أنا مسلم، وأما العليا: فتفاضل أعمال المسلمين، بعضهم أفضل من بعض، وأما الغرفة: فالجهاد في سبيل الله.

هذا، وإن هذا العلم الذي أفاض الله ـ وله الحمد ـ عليّ ـ وأصله:

= راجع: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/١٤١، طبقات الشافعية ٢/٣٠٧، النجوم الزاهرة ٢/٣١٥.

(١) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني، من أشهر أجواد العرب وشجعانهم وكان من الفصحاء المعروفين، عاش في العصرين: الأموي والعباي، ولي إمارة اليمن وسجستان وبها مات مقتولاً سنة ١٥١ هجرية على خلاف بين المؤرخين في سنة وفاته.

راجع: وفيات الأعيان ٢/١٠٨، تاريخ بغداد ١٣/٢٣٥، خزانة الأدب ١/١٨٢.

(٢) في مروج الذهب: ما أسرع الناس إلى حسد قومك؟

(٣) مروج الذهب ٣/٢٩٩.

(٤) وقال في اللسان ١٠/٢٨٧: هي في الأصل: الذكور من الطير، ابن الأنباري: الغرانيق: الذكور من الطير، واحدها غرنيق، سمى به لبياضه. اه.

(٥) قائلة أبو الطيب المتنبي. أنظر ديوانه ٣/٢٦٠ بشرح أبي البقاء المكبري ط دار المعرفة، بيروت سنة ١٣٩٧.

بذل الرقة والانكسار، والتضرع والافتقار ـ لأدق العلوم أمراً، وأخفاها سراً، وأعلاها قدراً.

لأنه في الحقيقة، إظهار البلاغة من الكتاب العزيز، وبيان ذلك في كل جملة (من)[1] جمله.

فإن البلاغة ـ كما أطبقوا ـ مناسبة المقال مقتضى الحال.

وهذا الكتاب لبيان الداعي إلى وضع كل جملة في مكانها، وإقامة حجتها في ذلك وبرهانها، لأن هذا العلم ـ على العموم ـ علم تعرف منه علل الترتيب.

وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب.

وثمرته: الاطلاع على المرتبة[2] التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلحمة النسب.

فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال.

وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة، المطلوب ذلك فيها.

ونسبته من علم التفسير، نسبة علم المعاني والبيان من النحو، فهو غاية العلوم.

قال الإمام بدر الدين الزركشي[3]: قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه: الإمام فخر الدين[4]، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.

---

(١) ليست بالأصل، ولعل ما كان بالأصل: جملة جملة.

(٢) في د: الذي.

(٣) البرهان للزركشي ١/٣٦.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين =

إلى غير ذلك مما يصلح أن يكون ثناء على كتابي، فيعرف بمقداره، ويوضح بدائع أسراره.

على أن الثناء ممن صنف كتاباً، والتعريف به أول الكتاب، مما ندب إليه الأقدمون، في أنهم يرون تصدير الكتاب بالرؤوس الثمانيـة، وهي: الغرض، والمنفعة والسمة، ومن أي علم هو، ومـرتبته، وقسمتـه، ونحو التعليم فيه، والمؤلف.

فأما الغرض: فهو الغاية السابقة في الوهم، المتأخرة في الفعل.

وأما المنفعة: فهو ما يحصل به من الفائدة للنفس، ليتشوقه الطبع، على أن الغرض والغاية والمنفعة واحد، بحسب الذات، وإنما تختلف بالاعتبار.

فمن حيث تطلب بالفعل، تسمى غرضاً.

ومن حيث بتأدي إليها الشيء، ويترتب عليها، تسمى غاية.

ومن حيث حصول الفائدة بها، وتشوق الكل إليها بالطبع، تسمى منفعة.

فيصدر الكتاب بذكر غايته، ليعلم طالبه أنه هل يوافق غرضه، أم لا، وتذكر منفعته ليزداد جدًّاً ونشاطاً في طلبه.

وأما السمة: فهي العنوان الدال بالإجماع على ما فصّل ثمة، وسواء كان ذلك بحد(١)، أو برسم(٢)، تام أو ناقص، أو غير ذلك.

= الرازي: الإمام المفسر، أصله من طبرستان وولد بالري واليها ينسب، ورحل إلى كثير من البلاد منها: خوارزم، وخراسان، وتوفي بهراة سنة ٦٠٦ هجرية. وله كثير من المؤلفات في شتى أنواع العلوم.

راجع: الوفيات ١/٤٧٤، طبقات الشافعية ٥/٣٣.

(١) الحد هو القول الدال على حقيقة الشيء، وهو نوعان:

أ ـ تام: وهو المركب من جنس الحقيقة وفصلها القريبين، كتعريف الانسان بأنـه حيوان ناطق.

ب ـ ناقص: وهو ما كان التعريف فيه بالفصل فقط، كتعريف الإنسان بأنه ناطق.

(٢) الرسم قول يعرف به تمييز الشيء عما سواه، وهو تام وناقص: =

وأما من أي علم هو: فهو نوع العلم الموضوع هناك.

وأما مرتبته: فبيان متى يجب أن يقرأ.

وأما قسمته: فهو بيان ترتيب ذلك الكتاب، وفنونه، وجملة مقالاته، وأبوابه وفصوله.

وأما نحو التعليم: فهو بيان الطريق المسملوك فيه لتحصيل الغاية.

وأما نحو المؤلف: فهو واضع الكتاب، ليُعلم قدره، ويوثق به.

على أن السنة المطهرة قد أشارت إلى ذلك، فلسنا ـ والحمد الله ـ متبعين في الحقيقة إلا إياها.

وذلك في كتب النبي ﷺ، حيث قدم اسمه الكريم، فقال: «من محمد»، ولما كان الغرض الانقياد لما يأمر به من تلك الأمور العظيمة وعدم مجاوزة الحد به، كما فعل بعيسى عليه السلام، وصف نفسه الشريفة بما يحتاج إليه في ذلك فقال: «عبد الله ورسوله».

ثم بين الغرض من الكتاب بقوله: أدعوك بدعاية الإسلام.

ثم ذكر المنفعة ترغيباً وترهيباً بقوله: أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك اثم الأديسيين[1].

ثم أشار إلى الإسلام، بأنه التبرؤ من عبادة ما سوى الله، كائناً (من كان) إلى آخر ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة**

= ـ التام: هو المركب من الجنس القريب والخاصة، كتعريف الإنسان بأنه حيوان ضاحك.

ب ـ والناقص: ما كان التعريف فبه بالخاصة فقط، كتعريف الإنسان بأنه ضاحك.

راجع: حد المنطق لابن حزم ص ١٧.

والتفكير المنطقي للدكتور عبد اللطيف محمد العبد ص ٢٥.

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو =

= يعلمهم الكتاب ٣/٢٣٤، وكتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران ٥/١٦٩ وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم ١٠٧/٢.

و «الأريسيين» قال النووي في شرح مسلم ١٢/١٠٩: واختلفوا في المراد بهم على أقوال، أصحها وأشهرها: أنهم الأكّارون، أي الفلاحون والزَّراعون، ومعناه: أن عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا، لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقياداً فإذا أسلم أسلموا، وإذا امتنع امتنعوا، وهذا القول هو الصحيح وقد جاء به مصرحاً به في رواية رويناها في كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي.

وفي غيره: «فإن عليك إثم الأكارين».

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال: «والا فلا يحل بين الفلاحين وبين الإسلام».

وفي رواية ابن وهب: واثمهم عليك.

قال أبو عبيد: ليس المراد بالفلاحين الزارعين خاصة، بل المراد بهم: جميع أهل مملكته.

الثاني: أنهم اليهود والنصارى، وهم أتباع عبد الله بن أريس الذي تنسب إليه الأروسية من النصارى، ولهم مقالة في كتب المقالات، ويقال لهم: الأروسيون.

الثالث: أنهم الملوك الذين يقودون الناس إلى المذاهب الفاسدة ويأمرونهم بها.

انتهى كلام الإمام النووي رحمه الله تعالى.

وقال ابن الأثير في النهاية ١/٣٨: قد اختلف في هذه اللفظة صيغة ومعنى:

فروى «الأديسَيْنْ» بوزن الكريمَيْنْ. وروى «الأديسين» بوزن الشريبِينَ وروى «الأديسِيِّينَ» بوزن العظيميين، وروى بإبدال الهمزة ياء مفتوحة في البخاري.

وأما معناها فقال أبو عبيد: هم الخدم والخَوَلُ، يعني لصده إياهم عن الدين، كما قال: «ربَّنا إنا أطعنا سادتنا»، أي عليك مثل اثمهم.

وقال ابن الاعرابي: أدس يأْدس أدساً فهو أديس، وأدّس يؤدّس تأديساً فهو أدّيس.

وجمعها أديسون وأدِّيسُون وأدَادِسة، وهم الأكّارون وإنما قال: ذلك لأن الأكّارين كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة النار، فجعل عليه اثمهم.

وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: أصحاب الحديث يقولون: «الأديسيين» منسوباً مجموعاً، والصحيح: الأديسين، يعني بغير نسب، ورده الطحاوي عليه، وقال=

سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله (١).

ثم .نبه على أن ذلك هو الإسلام بقوله: ﴿ فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾.

فإن تولوا، فقولوا، بل نحن لا نتولى، بل اشتهدوا بأنا فاعلون لما أمرنا به في هذه الآية، فنكون بذلك مسلمين.

وإذ قد عرف أن ما ذكرته من الثناء على (كتابي) وغيره سنة قديمة، جاء شرعنا بتحسينها، عرف أنه حسن، لا سيما مع ما دعا إليه، وحمل عليه، فإنه ليس في قوة كل أحد أن يعرف الرجال بالحق، بل أكثرهم إنما يعرف الحق بالرجال فهو كالبهيمة التي لا تعرف إلا ما شخص لها من الأجرام، وتَبَدَّى لبصرها من الأجسام.

وإلا، فكتبي - ولا سيما «نظم الدرر» الذي هذا الكلام بسببه - لا تحوجني إلى ثناء أحد عند العالم المنصف، وقليل ما هي، بل وكذا سائر أفعالي وأحوالي عند من تضلع بعلم السنة، وتطبع بطباع الصحابة، وأين ذلك حيَّاه الله وبَيَّاه (٢)، وأنعشه بروح المعرفة وأحياه.

= بعضهم: إن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأدوسية، فجاء على النسب إليهم. وقيل: إنهم أتباع عبد الله بن أديس - رجل كان في الزمن الأول - قتلوا نبياً بعثه الله إليهم.

وقيل: الأدّيسون: الملوك، واحدهم أدّيس.

وقيل: هم العشارون.

انتهى كلام صاحب النهاية.

وهذا الكلام في جملته لا يخرج عن كونهم رعايا الأمة التابعين لملوكهم وأمرائهم كالزراع والعمال ونحوهم.

(١) سورة آل عمران آية ٦٤.

(٢) قيل: أصله: بَوَّأك - مهموزاً - فخفف وقلب، أي أسكنك منزلاً في الجنة وهيأك له.

وقيل: عجل لك ما تحب.

راجع: النهاية ١/١٧٦، مختار الصحاح ص ٧٣.

وكان مما قال بعضهم في كتابي: إنه لا حاجة إليه، ولا معوَّل عليه.

على أنه قائم بما لولاه لا فتضح أكثرهم، لو وافقه في القرآن مناظر، وحاوره في كثير من الجمل من أهل الملل محاور، في مكان يأمن فيه الحيف، ولا تخشى سطوة السيف، لو قال: أنتم قلتم: إن القرآن معجز، وكذا آية مستقلة توازي الكوثر التي هي أقصر سورة، فما قال في قوله تعالى: **﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كُلًّا هدينا ونوحاً هدينا من قبل، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا، وكلاً فضلنا على العالمين ﴾**(١).

فهذه الآيات بمقدار الكوثر، نحو أربع مرات.

إن قلت: إن المعجز مطلق نظمها بهذه الألفاظ، فأنا أرتب من فيها غير هذا الترتيب.

وإن قلتم: إنه أمر يخص هذا النظم على ما هو عليه من الترتيب فبينوه، لحيَّرهم.

ومثل ذلك سواء قوله: **﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوداً زبوراً، ورُسلاً قد قصصناهم عليك من قبلُ ورسلاً لم نقصصهم عليك وكَلَّم الله موسى تكليماً ﴾**(٢).

وأوضح من ذلك قوله تعالى في سورة (ص): **﴿ كَذَّبَتْ قبلَهم قومُ نوح**

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٤ ـ ٨٦.

(٢) سورة النساء آية ١٦٣ ـ ١٦٤.

وعادٌ وفرعونُ ذو الأوتاد، وثمودُ وقوم لوط وأثحابُ الأيكة أولئك الأحزاب إن كُلٌّ إلا كَذَّبَ الرسلَ فحق عقاب ﴾[١].

وفي سورة ـ ق ـ : ﴿ كذبت قبلَهم قومُ نوح وأصحابُ الرَّسِّ وثمودُ، وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوطٍ، وأصحابُ الأيكة وقومُ تُبَّع كُلٌّ كذَّبَ الرسلَ فحَقَّ وعيدِ ﴾[٢].

فتغاير النظمان، وزاد أحدهما.

فلو أن أحدًّاً رتبهم على ترتيبهم في الوجود، وختم ما في سورة ص بالخالي من التأكيد، كان الإعجاز باقياً، أم لا.

وعلى كل تقدير يختار، يلزم إشكال، إذا ترتل كتابي زاح، وزهق باطله وطاح وبغيره يعسر زواله، ويتعذر إبطاله[٣].

ولقد أخبرني بعض الأفاضل: أن شخصاً من اليهود لقيه خالياً، فقال له: ماذا قال نبيكم في الروح؟. فقال له: أنزل الله عليه فيها قوله تعالى: ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الرُوح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾[٤].

فقال له مستهزئاً: بيان مليح هذا.

قال: فأبهتني ثم تركني وانصرف، وقد بلغ من نكايتي مالا يعلمه إلا الله، وما دريت ما أجيبه.

ولو كان يعرف ما بينه فيها كتابي هذا، الذي صَوَّبوُا إليه من الغض،

---

(١) سورة ص آية ١٢ ـ ١٤.
(٢) سورة ق آية ١٢ ـ ١٤.
(٣) راجع نظم الدرر.
(٤) سورة الاسراء آية ٨٥.

ما يكاد الحبل منه يرفَضُ، غيظاً وينقض، لأخزاه وأخجله، ونكَّس رأسه وجهَّله.

ولما كان ذلك الذي جلبته إليك، وجلوته عليك، مما هو في الغرابة كأنه منام، بل أضغاث أحلام، عملت هذا الكتاب الذي مُحَصَّله: أن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها.

فقد تضمن إبرازه مع ما أفاده بالقصد الأول شحذ الأذهان، ومعاناة لمن استولت عليهم النسوان، وأكثروا لهم من الطعم والدهان، ليعلموا أن العلم من عزة المرام، وعظمة المقام، بحيث لا يهون أبداً، كما أنه قَطُّ ما هَانَ، فيرجعوا عن الفجور والزور والبهتان، فليفتحوا طريق سورة من السور، وإن كانت في غاية الوجازة والقصر فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه.

وهكذا في دليل الدليل، وهلم جراً.

فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لا حم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها.

مثاله: مقصود سورة البقرة: وصف الكتاب المذكور أولها بصريح اسمه، الناظر بأصل مدلوله، إلى جمعه لكل خير، المشير بوصفه إلى ما في آخر الفاتحة من سؤال الهداية، والإبعاد من طريق الضلال، ثم بوصفه في قوله: ﴿ **بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾[1]، المنوِّه آخرها بالذين آمنوا به في قوله: ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه** ﴾[2] إلى آخره.

وذلك هو عين أولها، لكونها تعييناً لرؤوس مَنْ شمله وصف التقوى في فاتحتها وذلك بعد تحقيق قوله: «هدى» (٣) بما بيَّن من دعائم الإسلام الخمس، ضمن محاجة أهل الكتاب، بما تكفل بالدلالة على أكثر مقاصد القرآن، وأعرب عما لزمته البلاغة مما جر إليه الصيام من الأكل والشرب، ببيان المآكل والمشارب، وما يحل النكاح وما يحرمه وما يتبع ذلك على تلك الوجوه الحسان، والأساليب التي علت في رتب البيان على الجوزاء والميزان، فلا لاحِقٌ، ولا مُدانٍ.

وذكر تعالى في أولها أضداد مَنْ آمن به، دليلاً على صحة الدعوى في نسبة معناه إليه سبحانه، وذلك بالتعجيز لهم فيما حكم به من وصفهم، وألزمهم من كفرهم، فلم يقدروا على التكذيب بالتقصي عنه، والبعد منه.

فلما ثبتت قدرته، واتضحت جلالته وعظمته، في أنه لا نِدَّ له ولا مكافىء، ولا عديل ولا منافي، رجع إلى الكتاب، فبين صحة الدعوى في نظمه، كما بينها في معناه فقال: ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** ﴾[4]. ثم هددهم على الإصرار بعد البيان ومر فيما ناسب ذلك ولاَ حَمَةً، واتصل به ولاَءَمَه، مما تكفل ببيانه أصل هذا الكتاب آية آية، بل جملة

---

(١) سورة البقرة آية ٤.
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥.
(٣) سورة البقرة آية ٢.
(٤) سورة البقرة آية ٢٣.

جملة، وفي كثير من الأماكن كلمة كلمة، إلى أن قال: ﴿ **فإمَّا يأتيَنكم مني هدى** ﴾[1].

فرجع إليه بإنذاره بني إسرائيل فقال: ﴿ **وامنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم** ﴾[2] واستمر هكذا يدل على نبل مقصود السورة، وما احتيج إلى الدلالة عليه من تلك المقدمات.

ثم يرجع إلى أمر الكتاب، وبيان ماله من الشرف والصواب، مرة بعد مرة، وكرة في إثر وكرة، حتى عرف أنه مقصودها، وسر معانيها وعمودها، إلى أن قال: ﴿ **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين** ﴾[3]. ثم شرع يدل على كونه ﷺ، ويندب إلى الانفاق على جهاد أعدائه يوم الفصل.

ولما ذكر النفقة التي جعلها وصفاً لمن هداه الكتاب، فحذر مَنْ تَرَكها مِنْ تَرْكِها باليوم الموعود، ووصف الملك الحاكم في ذلك اليوم، وقرر أمر الرجوع إليه، وأعاد ذكر النفقة في سياق النبات الذي هو أدل شيء على بعث الأموات لذلك اليوم وختم بصفة العلم في قوله تعالى: ﴿ **والله واسع عليم** ﴾[4]، كان ذلك مَحَزّاً بديع الإشكال لذكر الكتاب، فعبر بما يشمله، ويشمل كل ما دعا إليه، وحث عليه من النفقات وغيرها فقال: ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء** ﴾[5].

واستمر في النفقات، وما جَرَّ إليه ذكرها، من إخلاصها من شوائب الخبث ودل على بعض الآداب في تلك.

---

(١) سورة البقرة آية ٣٨.
(٢) سورة البقرة آية ٤١.
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٢.
(٤) سورة البقرة آية ١١٥.
(٥) سورة البقرة آية ٢٦٩.

وختم بعد صفة العلم بصفة القدرة، فقال: ﴿ **إن الله على كل شيء قدير**﴾[1]. فختم بما به بدأ، حيث قال بعد أمثال المنافقين: ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾[2].

ثم أخبر بأن خلص عباده آمنوا بما دعا إليه عموم الناس عند الآية الأولى من قوله: ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** ﴾[3]، وما تبع ذلك فقال: ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون** ﴾[4] إلى آخرها.

فكان آخرها نتيجة أولها.

ولأجل اختلاف مقاصد السور، تتغير نظوم القصص وألفاظها، بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد.

مثال: مقصود سورة آل عمران: التوحيد.

ومقصود صورة مريم عليها السلام: شمول الرحمة.

فبدئت آل عمران بالتوحيد، وختمت بما بني عليه من الصبر، وما معه مما أعظمه التقوى، وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات، الجامع لجميع الصفات، فيها تكريراً لم يكرر في مريم[5]

فقال في قصة زكريا عليه السلام: ﴿ **كذلكَ الله يفعل ما يشاء** ﴾[6].

وقال في مريم: ﴿ **كذلكَ قال ربُّكَ هو عليَّ هيِّنٌ، وقد خلقتُك من قبلُ ولم تَكُ شيئاً** ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٨.
(٢) سورة البقرة آية ٢٠.
(٣) سورة البقرة آية ٢١.
(٤) سورة البقرة آية ٢٨٥.
(٥) تكرر في سورة آل عمران ٢٠٣ مرات، وفي سورة مريم ٧ مرات.
(٦) سورة آل عمران آية ٤٠.
(٧) آية ٩.

وقال في آل عمران في قصة مريم عليها السلام: ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه - إلى أن قال: كذلك الله يخلق ما يشاء** ﴾[1].

وفي مريم: ﴿ **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنتَ تقيّاً، قال: إنما أنا رسولُ ربكِ لأهبَ لكِ غلاماً زكياً، قالت أنَّى يكونُ لي غلامٌ ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيّاً، قال كذلكِ قال ربكِ هو عليَّ هيِّنٌ** ﴾[2].

وغير ذلك، بعد أن افتتح السورة بذكر الرحمة لعبد من خُلَّص عباده، وختمها بأن كل من كان على نهجه في الخضوع لله يجعل له وُدّاً، وأنه سبحانه يَسَّرَ هذا الذكر بلسان أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وأجملهم كلاماً، وأحلاهم نطقاً.

وكرر الوصف بالرحمن - وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى - في أثناء السورة تكريراً يلائم مقصودها، ويثبت قاعدتها وعمودها.

فسبحان من هذا كلامُه، وعز شأنه، وعلا مرامه.

هذا يسير من إجمال ما فصله كتاب نُظم الدرر، وحصَّله من أفانين البلاغة والسور.

فذلك البحر الخضم، والطود العالي الأشم، فمن أراد التبحر في هذا الفن فليربط نظره، وليحط بفنائه همه، ويقف بأرجائه فكرهُ، والله الهادي.

وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون.

---

(١) آية ٤٥ - ٤٧.

(٢) آية ١٨ - ٢١.

قال أبو عبيد في كتاب «الفضائل»: حدثنا معاذ، عن عوف، عن عبد الله بن مسلم ابن يسار، عن أبيه قال: إذا حدَّثت عن الله حديثاً، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.

وروى عبد الرزاق عن ابن عيينة، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا، فليسله عما قبلها[1].

يريد ـ والله أعلم ـ: أن ما قبلها يدله على تحرير لفظها، بما تدعو إليه المناسبة.

وروى الحارث بن أبي أسامة[2]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه حدَّث: أن قوماً يدخلون النار ثم يخرجون منها، فقال له القوم: أو ليس الله تعالى يقول: ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾[3]؟ فقال لهم أبو سعيد رضي الله عنه: اقرأوا ما فوقها: ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثلَه معه ليفتدوا به من عذابِ يوم القيامة ما تُقُبِّلَ منهم ولهم عذاب أليم، يريدون أن يخرجوا... الآية** ﴾[4].

---

(١) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٥ حديث رقم ٥٩٨٨.

(٢) هوأبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة، التميمي البغدادي، الحافظ صاحب المسند. ولد سنة ١٨٦ هـ، سمع يزيد بن هارون، وعلي بن عاصم، وروح ابن عبادة وكثيرين، وأخذ عنه خلق عظيم منهم: أبو جعفر الطب ي، وأبو بكر الشافعي. وتوفي في يوم عرفة سنة ٢٨٢ هـ عن سبع وتسعين سنة.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/١٧٥، شذرات الذهب ٢/١٧٨، ميزان الاعتدال ١/٢٠٥.

(٣) سورة المائدة آية ٣٧.

(٤) سورة المائدة آية ٣٦.

وفي التفسير: أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿ **فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم** ﴾[1]، فأبدله القارىء بأن قال: غفور رحيم.

فقال الأعرابي ـ ولم يكن قرأ القرآن ـ : إن كان هذا كلام الله هكذا، إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه.

إذا تقرر ذلك، فتعريف هذا العلم، اسم هذا الكتاب المصنَّف فيه.

فهو: علم يعرف منه مقاصد السور.

وموضوعه آيات السور، كل سورة على حيالها.

وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة.

ومنفعته: التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير.

ونوعه: التفسير، ورتبته: أوله.

فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له، من حيث أنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً.

وأقسامه: السور.

وطريقة السلوك في تحصيله: جمع جميع فنون العلم.

وأقل ما يكفي من كل علم مقدمة تعرف باصطلاح أهله، وما لا بد من مقاصده ولا سيما علم السنة، فكلما توغل الإنسان فيه، عظم حظه من هذا العلم، وكلما نقص، نقص.

فلذلك أذكر كثيراً من فضائل القرآن، ولا سيما ماله تعلق بفضائل السور، ليكون معيناً على المقصود، وأذكر كون السورة مكية، أو مدنية، لأن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٩.

نسبتها إلى محل النزول من جملة صفاتها، وعدد آياتها من كمال التعريف بذاتها.

فلأجل هذا (ذكرت)[1] ذلك، موضحاً ما فيه من اختلاف العادين من أهل الممالك، والله المستعان.

---

(١) ساقطة من: د.

سورة الفاتحة

قال النووي[1] في «التبيان»: في السورة لغتان: الهمز، وتركه. والترك أفصح وهو الذي جاء به القرآن، وممن ذكر اللغتين ابن قتيبة[2] في «غريب الحديث». انتهى[3].

(١) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٠: الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامي الحوراني الشافعي صاحب التصانيف النافعة. اهـ. ولد في المحرم سنة ٦٣١ هـ، وتوفي بنوى في شهر رجب سنة ٦٧٦ هـ؟.

(٢) هوأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِيْنُوري، كان عالماً في اللغة والأدب والنحو والشرع والحديث والتفسير، وكان ثقة دَيِّناً فاضلاً، ولد في بغداد، واشتغل بالتدريس، وله كثير من المصنفات الحسان، مثل: عيون الأخبار والمعارف، وتأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث. توفي سنة ٢٧٦ هجرية، وقيل سنة ٢٧٠ هـ.

(٣) التبيان ص ١١٨.

وقال الزركشي في البرهان ١/٢٦٣: قال القنبيي: السورة تهمز، ولا تهمز فمن همزت جعلها من أسأرت، أي أفضلت من السؤر وهو ما بقي من الشراب في =

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مكية.

قال الأصفهاني: وهو قول قتادة[1]، وأبي العالية[2]، وعليه أكثر العلماء.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه، ومجاهد، وعطاء: مدنية.

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن إبليس رَنَّ حين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة.

ومثل هذا لا يقال بالرأي، فله حكم الرفع.

قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[3].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة، من كنز تحت العرش.

وفي البخاري في حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه: أن أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم[4].

= الإناء، كأنها قطعة من القرآن.

ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم، وسهل همزتها.

(١) هو قتادة بن دُعَامة بن عزيز بن عمرو، أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ، وكان ضريراً، يضرب به المثل في الحفظ. قال الإمام أحمد: كان أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً في الغريب والعربية وأيام العرب ١٠ هـ. توفي سنة ١١٧ هجرية، وقيل: سنة ١١٨ هـ.

(٢) هو رفيع بن مهران البصري الرياحي، من كبار التابعين، أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، ودخل على أبي بكر، وصلى خلف عمر قال الطبري: هو ثقة مجمع على توثيقه، روى له البخاري ومسلم، مات سنة تسعين هجرية، وقيل: سنة ٩٦ هـ.

راجع: النهاية في طبقات القراء ١/٢٨٤، شذرات الذهب ١/١٠٢ تذكرة الحفاظ ١/٦١، وطبقات القراء للذهبي ١/٤٩.

(٣) مجمع الزوائد ٦/٣١١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ما جاء في تفسير سورة الفاتحة ٦/٢١ وباب تفسير سورة الحجر ٦/١٠٢.

وسورة الحِجْر مكية بالاتفاق.

وقال ابن إسحاق[1] في سيرته: حدثنا يونس، عن يونس بن عمرو، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ـ هو الهمداني الكوفي، ثقة: أن رسول الله ﷺ قال: لخديجة رضي الله عنها: إني إذا خلوت وحدي، أسمع نداء، وقد ـ والله ـ خشيت أن يكون هذا أمراً، فقالت: معاذ الله، ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر رضي الله عنه، وليس رسول الله ﷺ ثَمَّ، ذكرت خديجة حديثه له، فقالت: اذهب يا عتيق مع محمد إلى ورقة[2]، فلما دخل رسول الله ﷺ، أخذ أبو بكر بيده، فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة فانطلقا إليه، فقصا عليه، فقال: إذا خلوتُ وحدي، سمعتُ نداء خلفي: يا محمد يا محمد، فأنطلق هارباً في الأرض، فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فأثبت حتى تسمع ما يقول: ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا،

---

(١) ابق اسحاق هو: أبو بكر ـ وقيل: أبو عبد الله ـ محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة، المعروفة بسيرة ابن هشام، توفي سنة ١٥١ هجرية على المشهور. قال عنه ابن خلكان: كان ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير، فلا تجهل إمامته فيها.

راجع: وفيات الأعيان ٤/٦١٢، تاريخ بغداد ١/٢١٤، ميزان الاعتدال ٣/٤٦٨، تذكرة الحفاظ ١/١٧٢.

(٢) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى، كان ممن اعتزل عبادة الأصنام في الجاهلية، وطلب الدين، وقرأ الكتب السماوية السابقة وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان، وكان يتعبد على ملة ابراهيم عليه السلام، وكان يدعو إلى التوحيد، وهو القائل:

لتعبدوا إلهاً غير خالقكم ... فإن دعوكم قولوا بيننا حُدَدُ
سبحان ذي العرش سبحاناً نعوذ به ... وقبل قد سبح الجودى والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له ... لا ينبغي أن يناوىء ملكه أحد
لا شي مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المال والولد

راجع: الأغاني ٣/١١٩، سيرة ابن كثير ١/٢٧٠، بشائر النبوة الخاتمة ص ٥٦.

ناداه: يا محمد، قل بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين» حتى بلغ: «الضالين». قل: لا إله إلا الله.

فأتى ورقة فذكر له ذلك، فقال (له)[1] ورقة: أبشر، ثم أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بَشَّر به ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل، فإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك، فلما توفي ورقة، قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القسّ في الجنة عليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدقني»، يعني: ورقة. انتهى[2].

وعندي: أنها نزلت مرتين، من كل من البلدين مرة، فإن ذلك لائق بجلالها وعظمتها، ومناسب لتسميتها بالمثاني، فهي مكية مدنية معاً وبه قال بعض العلماء[3]، حكاه الأصفهاني.

---

(١) زيادة عن دلائل النبوة.

(٢) قال البيهقي في دلائل النبوة ١/٤١٣: فهذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه «اقرأ باسم ربك» و «يا أيها المدثر».

(٣) يضاف إلى ذلك ما قاله القرطبي في التذكار، قال ـ رحمه الله ـ قول مجاهد: وأنزلت بالمدينة، فقد روى ذلك عن أبي هريرة وعطاء بن يسار والزهري.

وقيل نزلت بمكة، قال ابن عباس وقتادة وأبو العالية، وهو أصح، لقوله تعالى: «ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم».

والحجر مكية بإجماع، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كان في الإسلام صلاة قط بغير «الحمد لله رب العالمين».

وفي صحيح مسلم ابن عباس قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب في السماء فتح، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه مَلَكٌ، فقال: هذا ملَك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته.

فهذا الحديث يدل على أنها مدنية، وأن جبريل لم ينزل بها، وليس كذلك بل نزل بها جبريل عليه السلام بمكة لقوله تعالى: «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المرسلين». وهذا يقتضي جميع القرآن، فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها بمكة، ونزل الملك بفضلها وثوابها بالمدينة، فتتفق الآثار. اهـ.

وحكى أبو الليث السمرقندي[1]: أنه نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة.

ضابط المكي والمدني

وكل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي.

وكل ما نزل بعدها فهو مدني، ولو كان النبي ﷺ وقت نزوله في بلد أخرى[2].

قال الإمام برهان الدين الجعبري[3]، المقرىء الشافعي، في كتابه «حسن المدد في معرفة العدد»: ولمعرفته طريقان: سماعي، وقياسي.

فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله بإحداهما[4].

والقياسي: قال علقمة عن عبدالله: كل سورة فيها «يا أيها الناس» فقط، بخلاف الحج، أو «كَلَّا» أو أولها حرف تَهَجٍّ، سوى الزهراوين، والرعد في وجه، أو فيها قصة آدم عليه السلام، وإبليس أعاذنا الله منه - سوى الطولي - فهي مكية.

وكل سورة فيها «يا أيها الذين آمنوا» فقط، أو ذكر المنافقين فهي مدنية.

---

(١) هو أبو الليث أحمد بن عمر السمرقندي، الحنفي، فقيه له كثير من المصنفات، مات ببغداد سنة ٥٥٢ هجرية بعد عودته من أداء فريضة الحج.
راجع: النجوم الزاهرة ٥/٣٢٦
معجم المؤلفين ٢/٣٢.

(٢) راجع البرهان للزركشي ١/١٨٧ وما بعدها. والاتقان للسيوطي ١/١٢.

(٣) هو الإمام إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس أبو محمد الرَّبْعي الجعبري السلفي - بفتحتين نسبة إلى طريقة السلف، وهو من المحققين الثقات، شرح الشاطبية والرائية، وله كثير من المصنفات في مختلف العلوم، ولد رحمه الله سنة ٦٤٠ هـ بربض قلعة جعبر، وقرأ للسبعة وللعشرة، واستوطن بلد الخليل حتى توفي في شهر رمضان سنة ٧٣٢ هـ.
راجع: الطبقات ١/٢١ ترجمة ٨٤.

(٤) أي بمكة أو بالمدينة.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: كل سورة فيها قصص الأنبياء، والأمم الخالية والعذاب، فهي مكية.

وكل سورة فيها فريضة، أو حد، مدنية.

رواه أبو داود عن عروة فقال: حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: ما كان من حد، أو فريضة، فإنه أنزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والعذاب، فإنه أنزل بمكة[١].

وروى الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نزل المفصل بمكة فمكثنا حججاً نقرأ، لا ينزل غيره.

قال الهيثمي: وفيه خديج بن معاوية، وثقة أحمد وغيه، وضعفه جماعة[٢].

ولم يأت ما نزل في شيء من البلدين مرتباً في نسق واحد، لأن ترتيب النزول كان باعتبار الحاجة والوقائع، ثم نسخه ترتيب المصحف العثماني المنقول من المصحف التي استنسخها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، المنقول من الرقاع المكتوبة بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ بأمره، وعلى حسب ما أمر بترتيبه كما أمره الله به سبحانه، حيث ك كان يقول ـ أذا أنزلت عليه الآية ـ: ضعوها في سورة كذا بين آية كذا، والتي قبلها.

قال الإمام الفراء أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني[٣] في كتابه: «البيان عن اختلاف أئمة أهل الأمصار واتفاقهم في عدد آي القرآن».

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٢٣/١٠ حديث رقم ١٠١٩٨، والداني في البيان ورقة ٤٥ ب.

(٢) مجمع الزوائد ١٥٧/٧.

(٣) هو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الداني، الأموي القرطبي، قال ابن الجزري: الإمام العلامة، الحافظ، أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين. اهـ. توفي سنة ٤٤٤ هـ وشيعه جمع عظيم.

حدثنا فارس بن أحمد، فا احمد بن[1]... بنا أحمد بن عثمان. بنا الفضلابن شاذان، بنا ابراهيم بن موسى، أنا يزيد بن زُرَيْع[2]، بنا سعيد، عن قتادة قال: المدني: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا[3]، وأنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ويا أيها النبي لم تحرم، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر، ولم يكن الذين كفروا، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله والفتح، مدني، وما بقي مكي.

وذكر أن من أول النحل إلى ذكره الهجرة مكي[4]، وسائر ذلك مدني.

وذكر أن أول[5] «ألم أحسب الناس» إلى قوله: «وليعلمن المنافقين»[6] مدني وسائرها مكي.

وذكر أن[7] الآيتين اللتين في إبراهيم: «ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله» إلى قوله: «وبئس القرار»[8] مدني، وسائرها مكي.

﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ﴾ إلى هذه الآية: **﴿ حتى يأتي وعد الله ﴾**[9] مدني، وسائرها مكي.

---

(١) هكذا بالأصل.

(٢) بتقديم الزاي المعجمة على الراء المهملة مصغراً، كذا ضبطه الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/٢٦٤.

(٣) سورة محمد.

(٤) الآية ٤١ وهي قوله تعالى: «والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون».

(٥) هي سورة العنكبوت.

(٦) الآيات ١ - ١١.

(٧) في د: أن أول الآيتين.

(٨) الآيتان ٢٨ - ٢٩.

(٩) سورة الرعد: آية ٣١، وهكذا أورد المؤلف تلك الآية ولم يشر الى سورتها.

وذكر في الأعراف (وهذه الآية)[1]: ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر** ﴾ [2] مدنية.

وفي الحج: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته» إلى قوله: «أو يأتيهم عذاب يوم عقيم» مكي[3].

حدثنا فارس بن أحمد، ثنا أحمد بن محمد، نا أحمد بن عثمان، نا الفضل نا أحمد بن يزيد، نا أبو كامل فضيل بن حُصَيْن ثنا حسَّان بن إبراهيم، نا أمية الأزدي، عن جابر بن زيد قال: أنزل على النبي ﷺ من القرآن أول ما أنزل بمكة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، ثم ن والقلم، ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر، ثم تَبَّتْ يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كُوِّرت، ثم سبِّح اسمَ ربِّك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك الكوثر، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيت الذي كُذِّب بالدين، ثم قل يا أيها الكافرون، ثم ألم تر كيف فعل ربك، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم قل أعوذ برب الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنَّجْم إذا هوى، ثم عبس وتولى، ثم إنا أنزلناه، ثم والشمس وضحاها، ثم والسماء ذات البروج، ثم والتين والزيتون، ثم لإيلاف قريش، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم الهُمَزَة، ثم المرسلات، ثم ق والقرآن، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء والطارق، ثم اقتربت الساعة، ثم ص والقرآن، ثم الأعراف، ثم الجن ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم طس النمل، ثم طسم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم التاسعة - يعني يونس - ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم والصافات ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حم

(١) زيادة عن: م.

(٢) آية ١٦٣.

(٣) وراجع: البيان للداني. ورقة ٤٦.

الزخرف ثم حم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم والذاريات، ثم هل أتاك حديث الغاشية، ثم الكهف، ثم حم عسق، ثم إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم النحل أربعين آية[1]، وبقيتها بالمدينة، ثم تنزيل السجدة، ثم إنا أرسلنا، ثم والطور، ثم المؤمنون، ثم تبارك الذي بيده الملك، ثم الحاقة، ثم سأل سائل، ثم عم يتساءلون ثم والنازعات، ثم إذا السماء انفطرت، ثم إذا السماء انشقت، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين.

فذلك ما أنزل عليه ﷺ بمكة، خمس وثمانون سورة إلا من سورة النحل، فإنه نزل بمكة أربعون آية، وبقيتها بالمدينة[2].

وما أنزل بالمدينة، ثمان وعشرون سورة، سوى سويرة النحل، فإنه أنزل بمكة من سورة النحل أربعون آية، وبقيتها بالمدينة.

وأنزل عليه بعد ما قدم المدينة: سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم الأنفال ثم الأحزاب، ثم المائدة، ثم المُمْتَحَنَة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت، ثم الحديد ثم سورة محمد، ثم الرعد، ثم الرحمن، ثم هل أتى على الإنسان، ثم سورة النساء القصرى[3]، ثم لم يكن الذين كفروا، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله والفتح، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم يا أيها النبي لم تحرم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم سبح الحواريون[4]، ثم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ثم التوبة، خاتمة القرآن[5].

فذلك ثمان وعشرون سورة.

---

(١) الى آخر قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء أذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾.

(٢) البيان ورقة ٤٦.

(٣) هي سورة الطلاق.

(٤) هي سورة الصف.

(٥) سميت خاتمة القرآن لاشتمالها على آخر الآيات نزولاً، وهي قوله: فإن تولوا فقل حسبي الله... الخ. كما سيذكره المؤلف بعيد قليل، ولكن على خلاف واسع وطويل في تحديد آخر الآيات أو السور نزولاً.

وآخر آية أنزلت[1]: ﴿ **فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** ﴾[2].

هكذا عد المطففين في المكي، وسيأتي ما يرده.

وقال البيهقي[3] في دلائل النبوة: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ[4]، أخبرني أبو محمد زياد العبدلي[5]، ثنا محمد بن اسحاق، نا يعقوب بن ابراهيم الدَّوْرَقِي نا أحمد بن نصر بن مالك الفراحي، نا علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، حدثني يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قال: (أول)[6] ما أنزل الله من القرآن بمكة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق».

فذكره على ترتيبه، غير أنهعطف الكل بالواو، لا بثم.

ولما قال: حم المؤمن، خالف الترتيب، فقال: حم الدخان، وحم السجدة وحم عسق، وحم الزخرف، والجاثية، والأحقاف، والذاريات، والغاشية، وأصحاب الكهف، والنحل، ونوح، وإبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، وألم السجدة، والطور وتبارك الذي بيده الملك، والحاقة، وسأل سائل، وعم يتساءلون، والنازعات، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت، والروم والعنكبوت.

---

(١) في د: نزلت.

(٢) سورة التوبة آية ١٢٩.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي، نسبة إلى بيهق، إحدى قرى نيسابور. ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. وكان في الحديث واسع الحفظ، وافر المحصول، وله: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، ودلائل النبوة، وشعب الإيمان، والأسماء والصفات، وكانت في شعبان ٤٥٨ هـ ودفن في بيهق مسقط رأسه.

(٤) في م: العدل.

(٥) في م: الخزاعي.

(٦) ساقطة من: م وزدناها من د.

وقال: وما أنزل بالمدينة: ويل للمطففين، والبقرة.

فساقه كما رتب في رواية أبي عمرو، ولم[1] يخالفه إلا في ذكر المطففين فيما نزل بالمدينة، كما هو أقرب وأصوب.

وقد ورد به حديث أخرجه ابن ماجة، وابن حبان (في صحيحه)[2]، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا أخبثَ الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل بعد ذلك[3].

ولما وصل إلى التحريم، خالفه في الترتيب، مع أنه لا يعطف إلا بالواو، فقال: والصف، والجمعة، والتغابنُ، والفتح، وبراءة.

وأسقط ذكر الفاتحة والأعراف ومريم، مما نزل بمكة، فنبه عليه البيهقي، ثم ساق سنده إلى مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن أول ما أنزل الله على نبيه ﷺ: (من القرآن)[4] اقرأ باسم ربك.

فذكر معنى هذا الحديث، وذكر السورة التي سقطت من الرواية الأولى في ذكر ما نزل بمكة، وقال: ولهذا الحديث شاهد في تفسير مقاتل[5]، وغيره من أهل التفسير.

---

(١) في م: لم. بدون الواو.

(٢) ساقطة من د.

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب التجارات، باب التوفي في الكيل والوزن ٧٤٨/٢ حديث رقم ٢٢٢٣.

قال في الزوائد: إسناده حسن.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، الخرساني، المروزي، مفسر متكلم، عالم بالقراءات واللغة، وأصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة، ثم بغداد، وتوفي بالبصرة سنة ١٥٠ هجرية. ومن مؤلفاته: التفسير الكبير والوجوه والنظائر في القرآن، والآيات المتشابهات، وكان غير ثقة في رواية الحديث.

راجع: ميزان الاعتدال ١٧٣/٤، وفيات الأعيان ١٤٧/٢.

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الفضائل»: حدثنا عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة.

فذكر ما تقدم، لكنه رتبه على ترتيب المصحف، وأسقط الرعد والحجرات والرحمن والجمعة، والمنافقون والإنسان.

فلا أدري، أأسقطها الكاتب، أو هي ساقطة من الرواية.

وزاد الفجر، والليل إذا يغشى، وأنا أنزلناه في ليلة القدر، فذكرها في المدني.

وقال الإمام أبو عمرو الداني : حدثنا خلف بن إبراهيم، نا أحمد بن محمد ثنا علي بن عبد العزيز، نا القاسم بن سلام، نا هشيم، ثنا أبو بشر، عن سعيد ابن جبير[1]، في قوله عز وجل: ﴿ **ولقد ءاتيناك سبعاً من المثاني** ﴾[2] قال: هي السبع الطوال[3]: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس[4].

---

(١) هو: أبو عبد الله ـ وقيل: أبو محمد ـ سعيد بن جبير بن هشام الكوفي من كبار أئمة التابعين في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهما من كبار الصحابة، قتله الحجاج ابن يوسف بواسط سنة ٩٥ هجرية، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاجُ سعيدَ ابن جُبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

راجع: حلية الأولياء ٢٧٢/٤، وفيات الأعيان ١١٢/٢

(٢) سورة الحجر آية ٨٧.

(٣) في م: الطول.

(٤) القول بأن سورة يونس من السبع الطوال تساهل، ومبني على أساس غير دقيق، ولعل فيه تَقَوُّلاً على سعيد بن جبير، لأن قبلها سورة التوبة وهي تبلغ ١٢٩ آية. وبعدها سورة النحل وآياتها ١٢٨ آية، أما هي فعدد آياتها ١٠٩ آيات، فالأولى: اعتبار إحدى هاتين السورتين من السبع الطوال.

قال: وقال مجاهد:(١) هي السبع الطوال.

ذكر علماء العدد

وأما عدد آي الفاتحة: فهي سبع عند جميع أهل العدد، وهم خمسة: مدني، ومكي، وكوفي، وبصري، وشامي.

١ ـ فالمدني:

رواه شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي، المدني القارىء(٢)، مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، ورضي عنها.

وأبو جعفر يزيد بنالقعقاع، المدني القارىء(٣)، مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي(٤).

---

(١) هو مجاهد بن جبر ـ ويقال: جبير بالتصغير ـ، أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم، من أعلام التابعين، وأئمة المفسرين، قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها، بلغ من العمر ثلاثاً وثمانين سنة، ومات سنة ١٠٣ هجرية. وقيل: سنة ١٠٤.
راجع: طبقات القراء ٢/٤١، معجم الأدباء ٦/٢٤٢.
شذرات الذهب ١/١٢٥، حلية الأولياء ٣/٢٧٩.

(٢) قال ابن الجزري في الطبقات ١/٣٢٩: إمام ثقة مقرىء المدينة مع أبي جعفر وقاضيها ومولى أم سلمة مسحت على رأسه ودعت له بالخير، قال: وهو أول من ألف في الوقوف، وكتابه مشهور. اهـ. ومات ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٠ هـ في خلافة مروان بن محمد، وقيل سنة ١٣٨ في خلافة المنصور.
راجع: طبقات القراء لابن الجزري ١/٣٢٩، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/٦٤.

(٣) هو الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي، أحد القراء العشرة تابعي مشهور جليل القدر، ويقال: اسمه جندب بن فيروز، أخذ القراءة عن مولاه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، رضي الله عنهم قال الذهبي ١/٥٨: عن قرائتهم على أبي بن كعب.
واختلف في سنة وفاته، فقيل سنة ١٣٠ هـ، وقيل ١٢٩ هـ، وقيل غير ذلك.
راجع: طبقات القراء ٢/٣٨٢، معرفة القراء الكبار ١/٥٨.

(٤) هو عبد الله بن عَيَّاش بن أبي ربيعة عمرو أبو الحارث المخزومي، التابعي الكبير، ولد =

وهو مذهب أول وأخير.

أ ـ فالأول: رواه عنهما نافع بن أبي نعيم(١).

قال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي، الشافعي، المقرىء نزيل دمشق(٢)، في كتابه «جمال القراء»: وبه أخذ القدماء من أصحاب نافع.

ب ـ والأخير: رواه اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المدني(٣)، عن سليمان ابن مسلم بن جماز عنهما(٤).

= بالحبشة، قرأ القرآن على أبي بن كعب، وسمع من عمر وابن عباس: وأبيه عياش، وكان أقرأ أهل المدينة في زمانه، توفي سنة ٦٩ بالبصرة في طاعون الجارف.

راجع: طبقات القراء ١/٤٣٩، ومعرفة القراء الكبار ١/٤٩.

(١) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أحد القراء السبعة وأصله من أصبهان، انتهت إليه رياسة القراء بالمدينة، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، توفي بالمدينة سنة ١٥٩ هـ، وقيل سنة ١٦٩ وهو الأصح.

راجع: طبقات القراء ٢/٣٣٠، ومعرفة القراء الكبار ١/٨٩.

(٢) ولد سنة ثمان ـ أو تسع ـ وخمسين وخمسمائة بسخا من بلاد مصر، وقرأ القراءات على أبي القاسم الشاطبي، وأبي الفضل الغزنوي، قال ابن الجزري ١/٥٦٩: وكان إماماً علّامة محقّقاً، مقرئاً مجوّداً، بصيراً بالقراءات وعللها، إماماً في النحو واللغة، والتفسير والأدب، وكان عالماً بكثير من العلوم غير ذلك، مفتياً أصولياً، مناظراً، وكان مع ذلك ديّناً خيراً متواضعاً، حلو المحاضرة، حسن النادرة، وافر الحرمة، كبير القدر، شرح الشاطبية وسماه «فتح الوصيد» فهو أول من شرحها، بل هو ـ والله أعلم سبب شهرتها في الآفاق، وكتاب التفسير، وصل فيه إلى الكهف، وهو كتاب نفيس. اهـ مختصراً.

وتوفي رحمه الله سنة ٦٤٣، ودفن بقاسيون، وهو غير السخاوي صاحب كتاب: «الضوء اللامع» المتوفي في الثامن والعشرين من شعبان سنة ٩٠٢ هـ.

(٣) هو أبو إسحاق ـ ويقال: أبو إبراهيم ـ إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، المدني، مولاهم، جليل ثقة، ولد سنة ١٣٠ هـ، ووقرأ على شيبة بن نصاح، ونافع، وقرأ عليه الكسائي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والدوري وغيرهم. وتوفي ببغداد سنة ١٨٠ هـ، وقيل: ١٧٧، وقيل: ٢١٠ هـ.

(٤) هو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز، وقيل: سليمان بن سالم بن جمّاز. =

قال السخاوي: وعليه الآخذون بقراءة نافع اليوم، وبه ترسم الأخماس[1]، والأعشار وفواتح السور، في مصاحف أهل المغرب. انتهى.

قال الإمام أبو عمرو الداني: وقد اختلف أبو جعفر وشيبة في ست آيات، عد منهن أبو جعفر آية، ولم يعدها شيبة، وعد شيبة خمساً، ولم يعدهن أبو جعفر وكان اسماعيل يأخذ فيهن بقول شيبة، وسيذكرن فيما بعد.

أي في الفرش إن شاء الله تعالى.

٢ - والمكي:

يروى عن عبدالله بن كثير[2]، وغيره من أهل مكة.

ورواه عبدالله بن كثير عن مجاهد بن جبر، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب رضي الله عنه، موقوفاً عليه.

وأسند الداني (عن) الفضل بن شاذان[3] قال: كتب إليّ ابن أبي[4] بزة

= - بجيم، ثم ميم مشددة، بعدها ألف، ثم زاي - الزهري المدني - مقرىء جليل ضابط، أخذ القراءات عن أبي جعفر وشيبة، ثم عرض على نافع، ومات سنة نيف وسبعين ومائة هجرية.
راجع: الطبقات لابن الجزري ١/٣١٥.

(١) الأخماس: وضع علامة بعد كل خمس آيات.
والأعشار: وضع علامة مغايرة على رأس عشر آيات.

(٢) هو أبو معبد عبد الله بن كثير بن المطلب، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي، أمام المكيين في القراءة، فارسي الأصل، أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وحدث عن عبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن مطعم، وغيرهم. قال ابن مجاهد: ولم يزل عبد الله هو الامام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة.
راجع: معرفة القراء للذهبي ١/٧١، وغاية النهاية لابن الجزري ١/٤٤٥.

(٣) هو أبو العباس الفضل بن شاذان بن عيسى، الرازي، أحد الأعلام، وشيخ القراء بالري، أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن يزيد الحلواني، ومحمد بن ادريس الأشعري، وروى عن أبي عمرو الدوري، قال أبو عمرو الداني: لم يكن في دهره مثله في عمله وفهمه وعدالته، وحسن اطلاعه. اهـ. ومات - رحمه الله - في حدود سنة ٢٩٠ هـ.
راجع: معرفة القراء ١/١٩١، غاية النهاية ٢/١٠.

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، أستاذ محقق ضابط =

بخـــطه وقـال: أدُّوه عني، عن عكـرمـة بن سليمــان[١]،عن شبــل[٢] واسماعيل[٣]، عن عبدالله بن كثير عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.

٣ ـ والكوفي:

عن حمزة بن حبيب الزيات[٤]، عن ابن أبي ليلى[٥] عن (أبي)[٦] عبد

= متقن، قرأ على أبيه، وعبد الله بن زياد، وعكرمة بن سليمان، وقرأ عليه خلق كثير، وكانت وفاته سنة ٢٥٠ عن ثمانين سنة.

(١) هو أبو القاسم عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر المكي، قال الذهبي: شيخ مستور ما علمت أحداً تكلم فيه، كان إمام أهل مكة في القراءة بعد شبل وأصحابه وقد تفرد عنه البَزِّي بحديث التكبير من الضحى. اهـ. وكانت وفاته قبيل المائتين.

(٢) هو أبو داود شبل بن عباد المكي، مقرىء مكة، ثقة ضابط، وهو أَجَلُّ أصحاب ابن كثير، عرض القراءة على عبد الله بن كثير، وابنه داود، وعكرمة بن سليمان وعبد الله بن زياد. ومات في حدود سنة ٢٦٠ هـ.

(٣) هو أبو اسحاق إسماعيـل بن عبدالله بن قسـطنطين، المخـزومي، المكي المعروف بالقسط، مقرىء مكة، قرأ على عبد الله بن كثير، وكان ثقة ضابطاً قرأ عليه الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه. مات سنة ١٧٠ هـ.

(٤) هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الكوفي، مولى آل عكرمة الزيات، أحد القراء السبعة، وسمى بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، قرأ على محمد بن أبي ليلى، والأعمش، وطلحة ابن مُصرِّف، وقرأ عليه الكسائي وهو من أجلِّ أصحابه. قال الذهبي:

وكان ـ يعني حمزة ـ إماماً حجةً، قيِّما بكتـاب الله تعالى، حـافظا للحـديث بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً، قانتاً لله، ثخين الورع عديم النظير. اهـ.

ومات رحمه الله سنة ١٥٦ هـ بحلوان ودفن بها.

(٥) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، الأنصاري، الكوفي القاضي، أحد الأئمة الأعلام، أخذ القـراء عن طلحة بن مُصَـرِّف، والمنهال ابن عمـرو، والشعبي، والأعمش، وغيرهم، وأخذ عنه حمزة الزيات، والكسائي وخلق كثير. قال القاضي أبو يوسف: ما ولى القضاء أحد أفقه في دين الله ولا أقرأ لكتاب الله، ولا أقوَلَ حقاً بالله، ولا أعف عن الأموال، من ابن أبي ليلى. اهـ.

ومات في رمضان سنة ١٤٨ هـ.

(٦) ساقطة من: د.

الرحمن، عن عبدالله بن حبيب السلمي الكوفي المقرىء[1].

وأبو عبد الرحمن بسند بعضه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، موقوفاً عليه.

قال الداني: وأهل الكوفة رووا العدد عن أهل المدينة، ولم يسم أهل الكوفة في ذلك أحداً بعينه يسندون إليه، وهوعندهم الأول.

وقد خالفت رواية إسماعيل - يعني ابن جعفر المدني - عن أهل المدينة رواية أهل الكوفة عنهم في سبع وخمسين آية، يذكرن في مواضعهن من الأبواب والسور.

وقال أبو عمرو: إن عدد أهل الكوفة رواه الكسائي[2]، وسليم[3]، عن حمزة.

يعني بالسند الماضي.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى، الضرير، مقرىء الكوفة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولأبيه صحبة، أخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، رضي الله عنهم أجمعين، وقرأ عليه خلق كثير وكان ثقة كبير القدر، وحديثه مخرج في الكتب الستة. مات سنة ٧٤ هجرية وقيل: ٧٣.

(٢) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن الكسائي الأسدي، الكوفي المقرىء، احد الأعلام، أخذ القراءة عن حمزة الزيات، وعيسى بن عمر الهمداني، وابن أبي ليلى، وأبي بكر بن عياش، وأخذ عنه كثير من أئمة القراءات، منهم المقلون، ومنهم المكثرون، وألف في القراءات والنحو والأدب والعدد،وتوفي بالرى سنة ١٨٩ هـ. قال الذهبي: وهو الصحيح.

(٣) هو سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب بن سعيد بن سليم، الكوفي المقرىء، كان ضابطاً حاذقاً، عرض القرآن على حمزة، وكان أخص أصحابه وأضبطهم، قال يحيى بن عبد الملك: كنا نقرأ علي حمزة ونحن شباب، فإذا جاء سليم، قال لنا حمزة: تحفظوا وتثبتوا، فقد جاء سليم.
توفي سنة ١٨٨ هـ، وقيل: ١٨٩ هـ.

قال: وذكره سليم عن سفيان، عن عبد الأعلى[1]، عن أبي عبد الرحمن[2]، عن علي رضي الله عنه.

وذكر عن نصير بن يوسف النحوي[3]، أنه قال: سمعت العدد من الكسائي مراراً.

٤ ـ والبصري:

عن المُعَلَّى[4] بن عيسى[5] عن عاصم بن أبي الصباح ميمون الجُحْدُري[6].

---

(١) هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر، الغساني، الدمشقي أحد شيوخ دمشق، أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، ونافع بن أبي نعيم وروى عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو زرعة الدمشقي، مات محبوساً بالعراق سنة ٢١٨ عنه شهر رجب، وكان سبب حبسه: الفتنة التي اشتعلت نارها بسبب القول بخلق القرآن.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلَمي، تقدمت ترجمته قريباً.

(٣) هو أبو المنذر نصير بن يوسف بن أبي نصر، الرازي، البغدادي، النحوي أستاذ كامل، ثقة، أخذ القراءة عن الكسائي، وأبي محمد اليزيدي. وروى عنه محمد بن عيسى الأصبهاني، وداود بن سليمان صاحب السنن، وغيرهما كثير. توفي سنة ٢٤٠ هـ تقريباً.

(٤) في د: عن.

(٥) هو معلي بن عيسى ـ ويقال: ابن راشد ـ البصري، الورّاق الناقط، روى القراءة عن عاصم الجحدري، وعون العُقَيْلي، وروى عنه عبد الرحمن بن عطاء وعبيد بن عقيل، وغيرهما، وهو الذي روى عدد الآي والأجزاء عن عاصم الجحدري، قال الداني: وهو من أثبت الناس فيه.

(٦) هو عاصم بن أبي الصباح العجاج، الجحدري، البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة، عن ابن عباس، وقرأ على الحسن ونصر ابن عاصم، وقرأ عليه المعلي بن عيسى، وأبو المنذر سلام بن سليمان قال ابن الجزري: وقراءته في الكامل والاتضاح فيها مناكيرﷺ ولا يثبت سندها، والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءته على سلام عنه.

ومات سنة ١٢٨ هـ.

قال الداني: موقوفاً عليه، وبه كان يعد أيوب بن المتوكل[(١)]، ويعقوب ابن اسحاق الحضرمي[(٢)]، غير أن أيوب خالف عاصماً في آية واحدة، وهي قوله تعالى في سورة ص: ﴿ قال فالحقُّ والحقَّ أقولُ ﴾[(٣)] عدها عاصم ولم يعدَّها أيوب.

٥ ـ والشامي:

عن عبدالله بن ذَكْوان[(٤)]، عن أيوب بن تميم[(٥)]، عن يحيى بن الحارث الذِّمَاري[(٦)] [(٧)].

---

(١) هو أيوب بن المتوكل الأنصاري البصري، إمام ثقة، ظابط، له اختيار تبع فيه الأثر، قرأ على الكسائي وحسين الجعفي، ويعقوب الحضرمي، وروى عنه محمد بن يحيى القطيعي وكان أجل أصحابه. توفي سنة ٢٠٠ هـ.

(٢) هو يعقوب ابن اسحاق بن يزيد بن عبد الله، أبو محمد، الحضرمي، البصري أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة، قرأ على سلام الطويل، ومهدي ابن ميمون، وروى عن حمزة والكسائي. وأخذ عنه خلق كثير. قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف، والا ختلاف في القرآن، وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروي الناس لحروف القرآن. اهـ.
مات سنة٢٠٥ هـ عن ثمان وثمانين سنة.
قال ابن الجزري: ومات أبوه عن ثمان وثمانين سنة، وكذلك جده، وجد أبيه.

(٣) سورة ص آية ٨٤.

(٤) هو أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشر ـ وقيل: بشير ـ بن ذكوان بن عمرو القرشي الفهري، الدمشقي، إمام، أستاذ، راوٍ ثقة، أخذ القراءة عن أيوب ابن تميم، وقرأ على الكسائي لما قدم الشام. قال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق، ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان، في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه. توفي في شوال سنة ٢٤٢ هـ.

(٥) هو أبو سليمان أيوب بن تميم بن سليمان بن أيوب التميمي الـدمشقي. ضابط مشهور، قرأ عليه عبد الله بن ذكوان، وكثير من أئمة القراءات، وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ، وقيل ٢١٩ هـ.

(٦) في د: الرمادي. وهو خطأ.

(٧) هوأبو عمرو ـ ويقال: أبو عمر ـ يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى بن سليمان بن =

قال أبو عمرو: موقوفاً عليه، وبعضهم يوقفه على عبدالله بن عامر اليحصبي القارىء[1].

فصارت مذاهب العدد ستة.

وموجب اختلافهم: التوقيف كالقراءة.

قال أبو عمرو: وهذه الأعداد، وإن كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة، فإنما لها - لا شك - مادة تتصل بها، وإن لم نعلمها، إذا كان كل واحد منهم قد لقي غير واحد من الصحابة، وشاهده وسمع منه، أو لقي مَنْ لقي الصحابة، مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واختراع، بل كانوا أهـل تمسك واتباع[2].

وبالله التوفيق.

وقال السخاوي ما معناه: ولو كان ذلك راجعاً إلى الرأي لعد الكوفيون «الر» آية، كما عدوا «الم»، ولعدوا «المر» كما عدوا «المص»، ولعدوا «طس» كما عدوا «يس»، ولعدوا «كهيعص» آيتين، كما فعلوا في «حم عسق»، ولعد الشامي «إنما نحن مصلحون»[3]، كما عد «غشاوة ولهم عذاب عظيم»[4]، ومثل ذلك كثير، انتهى.

نفي السجع عن القرآن

ومن هنا تعلم يقيناً: أنه[5] لا سجع في كتاب الله أصلاً، فإنه لا ريب

= الحارث، الغساني، الذماري، ثم الدمشقي، إمام الجامع الأموي، وشيخ القراءة بدمشق، بعد ابن عامر، معدود من التابعين، فقد لقى واثلة بن الأسقع وروى عنه وقرأ عليه، والذماري: نسبة الى ذمار قرية باليمن قرب صنعاء، أخذ عن سعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله، وأخذ عنه صدقة بن عبد الله، والوليد بن مسلم، وأيوب بن تميم. مات سنة ١٤٥ هـ وله من العمر تسعون سنة.

(١) البيان للداني ورقة ٢٦ أ.

(٢) البيان ورقة ٢٤ ب.

(٣) سورة البقرة آية ١١.

(٤) سورة البقرة آية ٧.

(٥) في د: أن.

عند من له أدنى مزاولة لذلك: أن طس، أوفق عند الساجعين لمبين، من يس للحكيم. فلو كان السجع مقصوداً، لما وقع الإجماع من العادِّين على أن «طس» ليست بآية، وعد بعضهم «يس» آية[1].

ولما وقعت فاصلة واحدة بين فواصل كثيرة، مخالفة لها في الوزن والروي. فلا ينبغي الاغترار بما يوجد في بعض كتب الأماثل[2] من المتأخرين، كالبيضاوي[3] والتفتازاني[4]، من تخريج بعض الفواصل على السجع، لأنه خولف فيها النظم الذي ورد في سورة أخرى، مثل: «هارون[5] وموسى».

أو عَدَل عن عبارة[6] إلى عبارة أخرى، لمثل ذلك، نحو قوله تعالى في سورة يس: ﴿ **فما استطاعوا مُضِياً ولا يَرجِعون** ﴾[7].

قال البيضاوي: إن الأصل كان: ولا رجوعاً، فغير لموافقة الفواصل[8].

---

(١) قال الزركشي في البرهان ١/٢٦٨: وقال بعضهم: إنما عدوا «يس» آية ولم يعدوا «طس» لأن طس تشبه المفرد، كقابيل في الزنة والحروف، ويس تشبه الجملة من جهة أن أوله ياء، وليس لنا مفرد أوله ياء اهـ.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٦١٥: فلان أمثل بني فلان، أي أدناهم للخير، وهؤلاء أماثل القوم، أي خيارهم.

(٣) تقدمت ترجمة ص ٢٦.

(٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، عَلَم في النحو والصرف والمعاني والبيان، والفقه والمنطق، ولد بتفتازان سنة ٧١٢ هـ، وتوفي بسمر قند سنة ٧٩١ هـ، ومن تصانيفه: «شرح تلخيص المفتاح» في المعاني والبيان، وحاشية على الكشاف في التفسير، والمقاصد في علم الكلام.

راجع: شذرات الذهب ٦/٣١٩، مفتاح السعادة ١/١٦٥.

(٥) في الأصل قارون.

(٦) في م: عن عبارة، عن معنى، إلى...

(٧) آية: ٦٧.

(٨) تفسير البيضاوي ٢/٣١٦ وعبارته هكذا:

«ولا يرجعون»: ولا رجوعا، فوضع الفعل موضعه للفواصل.

وهذا أمر عظيم، لا تليق نسبته إلى جلال الله، فهي زلة عالم حقيقة، يشتد النفور عنها، والبعد منها[٢].

قال الإمام فخر الدين الرازي - فيما نقله عنه أبو حيان في «النهر» - في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ولا الظِّلُّ ولا الحَرُور﴾[٣] إنه لا يقال في شيء من القرآن: إنه قدم أو أخر لأجل السجع، لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ، بل فيه وفي المعنى[٤].

يعني: ومتى حُوِّل اللفظُ لأجل السجع، عما كان يتم به المعنى بدون سجع، نقص المعنى، والله أعلم.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني[٥] في كتابه «إعجاز القرآن»: ذهب

---

(١) في م: بشدة.

(٢) في هامش النسخة د: أقول: لوقيل: ولا رجوعاً لما أفاد عدم رجوعهم في نفس الأمر، إذ النفي حينئذ: عدم استطاعتهم الرجوع، ولا يلزم منها نفي الأمرين أعني استطاعتهم، وعدم رجوعهم في نفس الأمر، فما أبلغ كلام رب العزة سبحانه. كتبه محمد بن العناي.

(٣) سورة فاطر آية ٢١.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ٣٠٩/٧.

وتفسير الرازي ١٧/٢٦ وفيه يقول:

وفي مثل هذا يقول المفسرون: إنه لتواخي أواخر الآي، وهو ضعيف، لأن تواخي الأواخر راجع إلى السجع، ومعجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ.

فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع، فيكون اللفظ حاملاً له على تغيير المعنى، وأما القرآن فحكمة بالغة، والمعنى فيه صحيح، واللفظ فصيح، فلا يقدم - ولا يؤخر - اللفظ بلا معنى، اهـ.

(٥) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، ثم البغدادي الباقلاني، ولد بالبصرة سنة ٣٣٨ هـ، وسكن بغداد، وسمع بها الحديث وتوفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ لسبع بقين من ذي القعدة. له «إعجاز القرآن» و «الانتصار»، وتمهيد الأوائل، وتلخيص الدلائل.

راجع: تاريخ بغداد ٣٧٩/٥، النجوم الزاهرة ٢٣٤/٤، شذرات الذهب ١٦٩/٣.

أصحابنا ـ يعني الأشاعرة ـ كلهم إلى نفي السجع عن القرآن، وذكره أبو الحسن الأشعري [1] (في غير موضع) [2] من كتبه.

وذهب كثير ممن نخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس، والالتفات، وما أشبه ذلك، من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة.

وأقوى ما يستدلون به عليه: اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون، عليهما السلام، ولمكان السجع، قيل في موضع: هارون وموسى. ولما كانت الفواصل في مواضع أخر بالواو والنون، قيل: موسى وهارون.

قالوا: وهذا يفارق أمر الشعر، لأنه لا يجوز أن يقع الخطاب إلا مقصوداً إليه، وإذا وقع غير مقصود إليه، كان دون القدر الذي نسميه شعراً، وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه.

ويبنون الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع.

قال أهل اللغة: هو موالاة الكلام على وزن واحد.

قال ابن دريد [3]: سجعت الحمامة، أي رددت صوتها، وأنشد:

---

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله الأشعري اليماني، البصري، عالم متكلم، تنسب إليه طائفة الأشعرية ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ، وسكن بغداد، وكانت له مواقف مشهورة في الرد على الملحدة والشيعة، والجهمية والخوارج وغيرها، توفي ببغداد سنة ٣٣٠ هـ، ومن تصانيفه: الفصول في الرد على الملحدين، التبيين عن أصول الدين.

راجع: تاريخ بغداد ٣٤٦/١١، البداية لابن كثير ١٨٧/١١ شذرات الذهب ٣٠٣/٢.

(٢) ساقط من: د.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، من أئمة اللغة والأدب، ولد =

طَـربْــتَ فَــأبكــتــكَ الحـمــام الـســواجــعُ
تمــيــل بهــا ضَــحْــواً غــصــونٌ نــوائــع

النوائع: الموائل، من قولهم: (جائع)[1] نائع، أي متمائل ضعفاً.

وهذا الذي يزعمونه غير صحيح، ولو كان القرآن سجعاً، لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها، لم يقع بذلك إعجاز، ولو[2] جاز أن يقال: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز. وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات، وليس كذلك الشعر.

وقد روى: أن النبي ﷺ قال للذين حاوروه وكلموه في شأن الجنين: كيف فدى من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد يطل[3]، فقال: أسجاعة كسجاعة الجاهلية.

وفي بعضها: أسجاعه كسجع الكهان[4].

= في البصرة سنة ٢٢٢ هـ، وبها تعلم ونشأ، وانتقل إلى عمان عند ظهور الزنج سنة ٢٥٧هـ فأقام بها اثني عشر عاماً، وله كتاب «الجمهرة في علم اللغة»، وقصيدته المشهورة «المقصورة» وصفة السرج واللجام. والمجتني. وكانت وفاته سنة ٣٢١ بعد اصابته بفالج وهو في التسعين من عمره.

راجع: خزانة الأدب ١/٤٩٠، ميزان الاعتدال ٢/٣٦٢، تاريخ بغداد ٢/١٩٥.

(١) زيادة عن كتاب الاعجاز للباقلاني.

(٢) في د: ولو كان جاز.

(٣) في الأصل: يطل. بياء تحتية بعدها طاء مهملة. وهي أيضاً صحيحة. قال النووي في شرح مسلم ١١/١٧٨: وأما قوله «فمثل ذلك يطل» فروى في الصحيحين وغيرهما بوجهين:

أحدهما: «يطلّ» بضم الياء المثناة وتشديد اللام، ومعناه: يُهدر ويُلغي ولا يُضمن.

والثاني: «بَطَل» بفتح الباء الموحدة وتخفيف اللام على أنه فعل ماضٍ من البطلان، وهو بمعنى الملغي أيضاً، وأكثر نسخ بلادنا بالمثناة، ونقل القاضي: أن جمهور الرواة في صحيح مسلم ضبطوه بالموحدة. اهـ.

(٤) سيأتي تخريجه ص ٩٤.

فرأى ذلك مذموماً.

والذي يقدرونه أنه سجع، فهو وَهْمٌ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه، دون بعض لأن السجع من الكلام، يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع.

وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى.

وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود منه[1] وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ.

ومتى ارتبط المعنى بالسجع، كان إفادة السجع كإفادة غيره.

ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع، كان مستجلباً لتحسين الكلام، دون تصحيح المعنى.

ثم قال: ويقال لهم: لو كان الذي في القرآن ـ على ما تقدرونه ـ سجعاً لكان مذموماً مرذولاً، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه، واختلفت طرقه، كان قبيحاً من الكلام. وللسجع منهج مرتب محفوظ، وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إن خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً، وكان شعره مرذولاً، وربما أخرجه عن كونه شعراً، وقد علمنا: أن بعض ما يدعونه (شعراً)[2] سجعٌ متقارب الفواصل، متداني المقاطع وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير، وهذا في السجع غير مرض، ولا محمود.

---

(١) في إعجاز القرآن للباقلاني: فيه.

(٢) ساقطة من نسخة المؤلف وزدناها عن د.

وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع، وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع، ولتساوي مقاطع الكلام، فليس بصحيح، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه.

وهي : أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً، من الأمر الصعب، الذي[1] تظهر فيه الفصاحة، وتبين فيه البلاغة، وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، ونبهوا بذلك على عجزهم، عن الاتيان بمثله مبتدأ ومكرراً.

ولو كان فيهم تمكن من المعارضة، لقصدوا تلك القصة، فعبَّروا عنها بألفاظ لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها، وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما جاء به، كيف وقد قال لهم: ﴿ **فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** ﴾[2].

فعلى هذا يكون القصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها، إظهار الإعجاز على الطريقين جميعاً، دون السجع الذي توهموه[3].

هذا ما قاله في سر التكرار، وتبعه[4] عليه كل من رأينا كلامه في هذا.

وقد بينت في كتابي «نظم الدرر» أن الأمر على غير هذا، وأن مقصد القرآن مما هو في العلو عن هذا الغرض بمراتب لا تنالها يد المتناول، ويقصر عن عليائها كل متطاول.

وذلك أن كل سورة لها مقصد معين ـ كما سيوضحه هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى ـ تكون جميع جمل تلك السورة دليلاً على ذلك المقصد.

---

(١) في الأصل: التي، والتصويب عن الباقلاني.
(٢) سورة الطور: آية ٣٤.
(٣) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٨٩ ـ ٩٥/ط صبيح بتحقيق الدكتور محمد خفاجي.
(٤) في الأصل: تتبعه.

فلذلك يقتضي الحال ـ ولا بد ـ ما أتى عليه فيها نظم المقال، ومن هنا تغايرت الألفاظ في القصص، واختلفت النظوم، وجاء الإيجاز تارة، والأطناب أخرى والتفصيل مرة، والإجمال أخرى.

فسورة طه لها نظر عظيم إلى الوزير، والإرشاد إلى طلبه. ولذلك كانت سبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصرح فيها على لسان موسى عليه السلام بطلب الوزير بلفظه، فلذلك كانت العناية به أكثر، فقدم في الذكر تنبيهاً على ذلك.

ولذلك قيل فيها: ﴿ **إنَّا رسولاَ ربِّك** ﴾[١] بالتثنية. وفي الشعراء بالأفراد[٢]، لأنه لا عناية فيها بذلك.

وقد بينت كل موضع ذكروه، بما أفاد أنه لا يجوز في مذاهب البلاغة، ووجوه البيان، أن يعبر عنه بذلك[٣] الأسلوب، وما أوجب القول بالتقديم والتأخير، والتحويل والتغيير، لأجل الفواصل، ألا ترى ما ذكره العلماء، أن نصف العلم هو: لا أدري. فصار كل من ورد عليه سؤال لا يعرف الجواب الحق فيه، قال برأيه، ما لم يتحقق مشيه على شواهد الكتاب والسنة، وأسرار اللغة.

والذي لا يدع عندك لبساً في هذا: أن أبا حيان بعد أن نقل في سورة فاطر عن الرازي ما قدمته عنه، نسيه في أول الصافات على قرب العهد، وقال: «مارد»[٤] اسم فاعل، وفي النساء: «مريد»[٥] للمبالغة، وموافقة

---

(١) سورة طه آية ٤٧.

(٢) سورة الشعراء آية ١٦، وهي قوله تعالى:
﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾.

(٣) في م: بغير.

(٤) سورة الصافات آية ٧، وهي قوله تعالى: ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾.

(٥) سورة النساء آية ١١٣، وهي قوله تعالى:
﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً وان يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾.

الفواصل هناك. انتهى (١).

والواقع: أن المعنى الذي قصد في كل من السورتين، لا يتم إلا بما عبر له فيها ولو قيل غيره لفسد. وموافقة كل منهما في موضعه للفواصل، تزيده حسناً، لا أنه يصح التعبير بالآخر، وما خص هذا إلا للفاصلة.

وبيان ذلك في تفسيري فراجعه، واحرص عليه، فإنك لم تظفر بمثله، وإن أمعنت في مطالعته، بأن لك سرُّه، والله الهادي.

وسبب وقوع هؤلاء الأكابر في مثل هذا، أشار إليه الإمام علم الدين السخاوي في «شرح الرائية»، عند مدح الشاطبي (٢) للباقلاني بكتابي الإعجاز والانتصار، فقال: إنه لولا كتاب الانتصار، لخالطت شبه المبتدعة العقول، وتشكك الناس في الإسلام واستأصلهم المبتدعة، وأكثر ضعفاء القراء وغيرهم اليوم ينطقون بتلك الشبه التي ألقاها المبتدعون ويعتقدونها، وإن كانوا لا يدرون ما تحتها من الغوائل، ولا يعلمون ما يلزمهم منها. انتهى.

ولا يستبعد هذا، فإن الشبهة ربما كان المراد بها غامضاً، ولها ظاهر له نوع قبول، فيقولها بعض من لم يفهم معناها، غير قاصد شراً، فيأخذها بعض الأكابر، لما أعجبه من ظاهرها، فتشتهر عنه، كما وقع في سبب اعتقاد أن التوراة نزلت جملة، وفي أن المراد بـ «أنهم إليهم لا يرجعون﴾ في سورة يس (٣): الرجوع إلى الدنيا، ونحو ذلك كثير، والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٧ /٣٥٢.

(٢) هو أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني، الأندلسي، الشاطبي ولد بشاطبة سنة ٥٣٨ وكان ضريراً، وكان متبحراً في القراءات، والتفسير والحديث، والنحو، وكان ناظماً، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٠ هـ. ومن تصانيفه: حرز الأماني في القراءات السبع، عقيلة القصائد في أسنى المقاصد.

راجع: طبقات القراء ٢/ ٢٠، شذرات الذهب ٤/ ٣٠١، حسن المحاضرة ١/ ٢٨٤.

(٣) سورة يس آية ٣١.

ولم يحصر القاضي أبو بكر السجع بمعيار يضبطه، وزمام يربطه، بحيث يميزه عن غيره.

وهو عندي: تكلف الإتيان بالكلام على روي واحد، وقافية متزنة، من غير أن يكون موافقاً لشيء من أنحاء[1] الشعر، وقل ما يكون ذلك.

كما أن الشعر: تكلف الإتيان بالكلام على روي واحد، وقافية واحدة، مع التقييد بالوزن من بحر واحد.

وهنا يضطر الشاعر والساجع - ولا بد - إلى اتباع المعنى اللفظ، فيصبح اللفظ على ذلك النوع الذي التزمه، لئلا يَعُدَّه الناظمون والساجعون عاجزاً وعن الاقتدار على صوغ الكلام قاصراً، فينتقص المعنى لهذا الالتزام، في كثير من المواضع غصباً عليه، فيصير أسير الألفاظ، وعبد الأوزان.

هذا ما لا بد منه لكل شاعر، وإن تفاوت الناس فيه، وليس - قطعاً - كذلك القرآن وسيأتي لذلك مزيد تفصيل وبيان.

ولهذا فرق النبي ﷺ في بعض الكلام[2]، بين الدخيل في ذلك والأصيل، الذي صارت له فيه ملكة صيرت قدرته عليه أشد من قدرة غيره.

قال أهل المغازي - وذكره عنهم الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة - لما كانت عزوة الخندق، وعمل النبي ﷺ في الخندق بنفسه الشريفة رأى المسلمون أنه إنما بطش معهم ليكون أجدَّ لهم، وأقوى لهم بإذن الله عز وجل فجعل الرجل يضحك من صاحبه إذا رأى منه فترة، وقال النبي ﷺ: «لا يغضب اليوم أحدٌ من شيء ارتجز به، ما لم[3] يكن قول كعب[4]، أو

(١) في د: أنهار.

(٢) في د: الأحكام.

(٣) في د: مما لم.

(٤) هو كعب بن مالك بن عمرو بن القَيْن الانصاري، الخزرجي، الصحابي، كان من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم، وممن أدرك الجاهلية والإسلام، وحضر يوم عثمان وحاول نجدته، وعمي في آخر حياته، مات سنة ٥٠ هـ، وعمره سبع وسبعون سنة.

حسان»[1]، رضي الله عنهما، فإنهما يجدان من ذلك قولاً كثيراً، أو نهاهما أن يقولا شيئاً يخفضان به أحداً.

فالمعنى ـ من غير شك ـ: أنهما إذا قالا شيئاً، كان قولهما له ظاهراً في أنهما قصدا معناه، وأن غيرهما ليس كذلك، بل يكون الرَّوِيُّ والقافية قد حكما عليه بمعنى لم يرده، على أن حسان رضي الله عنه ـ وهو أشعر الذين فضلهما النبي ﷺ في الشعر ـ قد اضطره الوزن إلى ما لم (يكن)[2] يريده قطعاً.

فإنه قال في غزوة الغابة ـ وهي غزوة ذي قرد[3] ـ وكان النبي ﷺ قد أمَّرَ على مَنْ سبق فيها سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه، ثم لحقهم النبي ﷺ، وكان مما قيل فيها من الشعر قول حسان بن ثابت رضي الله عنه[4].

لولا الذي لاقت[5] ومسّ نسورها[6] بجنوب ساية[7] أمس في التقواد

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، ومات بالمدينة المنورة سنة ٥٤ هجرية.
راجع: الإصابة ١/٣٢٦، خزانة الأدب ١/١١١.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) عزوة ذي قرد كانت في السنة السادسة من الهجرة، وتسمى غزوة الغابة، وقرد ـ بفتح القاف والراء وبالدال المهملة ـ قال النووي في شرح مسلم ١٢/١٧٣:
ماء على نحو يوم من المدينة، مما يلي غطفان. اهـ.
وقال السمهودي في الوفا ٤/١٢٨٨: ذي قرد ماء لطلحة بن عبيد الله، اشتراه فتصدق به على مارة الطريق. اهـ.

(٤) بعض أبيات ذكرها ابن هشام في السيرة ٢/٢٨٥.

(٥) الضمير المؤنث المستتر عائد على الخيل، فقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر.

(٦) النسور: ما يكون في باطن حافر الدابة، مثل الحصى والنوى، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٥/٤٢٥: نسر الحافر: ما في بطنه، كأنه النوى والحصى.

(٧) ساية: اسم مكان. قال في معجم البلدان ٣/١٨٠: اسم واد من حدود الحجاز.

للقينكم يحملن كل مدجّج حامي الحقيقة، ماجد الأجداد
ولسرّ أولاد اللقيطة أننا سلم غداة فوارس المقداد

قال(١): فلما قالها حسان رضي الله عنه، غضب عليه سعد بن زيد رضي الله عنه وحلف ألا يكلمه أبداً.

قال: «انطلق إلى خيلي وفوارسي، فجعلها للمقداد.

فاعتذر إليه حسان وقال: والله ما ذاك أردت، ولكن الروي وافق اسم المقداد وقال أبياتاً يرضى بها سعداً رضي الله عنه:

إذا أردتم الأشَدَّ الجلْدَا أو ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يُهَدُّ هَدَّا

فلم يقبل منه سعد، ولم يغن شيئاً، رضي الله عنهما وأرضاهما(٢).

ومثل ذلك كثير في الشعر جداً، يعلمه كل من زاول ذلك.

وأما السجع: فقد روى البخاري في الطب وغيره من صحيحه، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قضى في الجنين يقتل في بطن أمه، بغُرَّة: عبد، أو وليدة. فقال الذي قضى عليه: كيف أغرم ما لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، فمثل ذلك بَطَل. فقال النبي ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان» من أجل سجعه الذي سجع.

وفي رواية: فقال النبي ﷺ)(٣): سجع كسجع الأعراب(٤).

---

(١) القائل: ابن هشام.

(٢) راجع: السيرة لابن هشام ٢/٢٨٧.

(٣) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الكهانة ٧/١١٧.

وصحيح مسلم: كتاب القسامة، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ ١١/١٧٧.

=

(ذلك)[1] والله أعلم: أنه لو كان نظره إلى المعنى وتصحيحه، لأغنى عن هذا السجع، أن يقول: كيف أغرم ما لا حياة له.

ولو قصد السجع، وتهذيب المعنى، لأتى بما يدل على نفي الحياة التي جعلها مَحَطَّ أمره، فإنَّ ما أتى به، لا يستلزم نفيها.

ولو تقيد بالصحة، لاعتنى بنفي النطق عن نفي الاستهلال، فإنه أعم، وبنفي الأعم، ينتفي الأخص.

فصح بهذا أنه دائر مع تحسين اللفظ، صح المعنى، أم لا، لئلا يعيبه أهل صناعة السجع.

ولا ينطبع في عقل عاقل: أن يكون النبي ﷺ يذم السجع وهو يرتكبه في القرآن والسنة، ولو كان ذلك لأسرعوا للرد عليه، وتصويب الطعن إليه، ولو ظفروا منه بما يشبه ذلك، لأكثروا به التشنيع، ولملأوا الأرض من التوبيخ والتقريع، ولأغناهم ذلك عما كانوا يتعلقون به من الذم، الذي لا يشك في أنه كذب من النسبة إلى الشعر والسحر، وقد كان ﷺ أشرف همة، وأعلى مقداراً، من أن يذم شيئاً، وينحو نحوه، على ما هو معروف من أخلاقه،

= وسنن أبي داود: كتاب الديات، باب دية الجنين ١٩٢/٤ حديث رقم ٤٥٧٦ ولفظ الحديث ـ كما في صحيح البخاري ـ: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ا امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهي حامل، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم... الحديث.

وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود: أن هاتين المرأتين كانتا ضرتين، ضربت امرأة ضرتها بعمود فسطاط وهي حبلى فقتلتها... الحديث.

قال الإمام النووي في شرح مسلم ١٧٨/١١: إنما ذم سجعه لوجهين: أحدهما: أنه عارض به حكم الشرع، ورام إبطاله.

والثاني: أنه تكلفه في مخاطبته. وهذان الوجهان من السجع مذمومان.

(١) ساقطة من: د.

ومشهور من شمائله وأعراقه، بل قد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السجع قسيماً للخبر.

روى أصحاب فتوح البلاد في فتح مكران من بلدان فارس: أن الحكم بن عمرو[1] لما فتحها، أرسل بالأخماس مع صحار[2] العبدي، فلما قدم على عمر رضي الله عنه سأله عن مكران، وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه، فقال له: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤ ها وشل[3] وتمرها دقل[4]، وعدوها بطل وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها[5] شر منها، فقال: أَسَجَّاع أنت أم مخبر؟ قال: لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت.

فقد جعل الفاروق السجع قسيماً للخبر، ولم يَرُدَّ عليه ذلك[6] أحد ممن حضر فدل على أن التقيد به عيب لإخلاله بالفائدة، أو بتمام الفائدة.

---

(١) هو الحكم بن عمرو بن مجدّع الغفاري، صحابي، حديثه في البخاري وغيره، صحب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن مات، وانتقل إلى البصرة في أيام معاوية، ثم أقام بمرو وبها مات سنة ٥٠ هجرية.
راجع: الاصابة ٢/٢٩، تاريخ الاسلام ٢/٢٢٠.

(٢) هو صحار بن عياش بن شراحيل بن منقذ العبدي، من بني عبد القيس، كان خطيباً مفوهاً وكان من شيعة عثمان. وله صحبة. وممن شهدوا فتح مصر ولما قتل عثمان كان ممن طالب بدمه، وشهد صفين مع معاوية، وسكن البصرة وفيها مات سنة ٤٠ هجرية تقريباً.
راجع: الإصابة ٢/١٧٠ ترجمة رقم ٤٠٤٠.

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٦/١١٣: الوشل: الماء القليل وجمعه أوشال. اهـ.

(٤) قال الزمخشري في الفائق ٢/٤: الدقل: تمر رديء لا يتلاصق، فإذا نثر تفرق وانفردت كل ثمرة عن أختها. اهـ.
وراجع: النهاية ٢/١٢٧.

(٥) في د: وماؤ ها.

(٦) في د: ولم يرد ذلك عليه أحد.

ولعله إنما جوز أن يكون مخبراً، لأنه انفك عن السجع في آخر كلامه، وكرر لفظ «قليل» فكان ما ظنه.

لأنه لو أراد السجع، لأمكنه أن يقول: والكثير بها ذليل، والقليل بها ضائع كليل، وما وراءها شر منها يا قوم قيل.

ولقد نفي الله سبحانه (وتعالى)[1] عن هذا القرآن العظيم، تصويب النظر إلى السجع، كما نفي عنه قرض الشعر. فإنه قال تعالى:[2] ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكَّرون** ﴾[3].

فكما أن قول الشاعر إتيانه بالكلام (موزوناً بالقصد، فكذلك قول الكاهن اتيانه باكلام)[4] مسجوعاً، والقرآن منزه عن هذا، كما هو منزه عن ذلك، وإن وقع فيه كل الأَمْرَيْن[5]، فغير مقصود إليه، ولا معول عليه، بل لكون المعنى انتظم به على أتم الوجوه، فأتى به لذلك، لا لأجل السجع، ثم يبين أنه غير مقصود بالانفكاك عنه في كثير من الأماكن، بقرينة ليس لها[6] مجانس[7] في اللفظ، لتمام المعاني المرادة عندها.

فيعلم قطعاً: أن ذلك غير مقصود أصلاً، لأن مثل ذلك لا يرضى به أقل الساجعين، بل يراه عجزاً، وضيقاً عن تكميل المشاكلة ونقصاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإذا تأملت الفواصل في الاتيان بها تارة متناظرة ـ (تارة)[8] بكثرة

---

(١) زيادة عن: د.

(٢) كان الأحسن أن يقول: «فإنه تعالى قال» إلا إن جعل الضمير للشأن، فإنه يستقيم.

(٣) سورة الحاقة الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٤) ساقط من: د.

(٥) في د: وان وقع فيه كل من الأمرين من الأماكن بقرينة.

(٦) في د: بها.

(٧) في د: محاسن.

(٨) ساقطة من: د.

وأخرى بقلة ـ وتارة منفكة عن التناظر بالكلية، بل يؤتى في كل آية بفاصلة لا توافق الأخرى، لا روياً، ولا وزناً، كما «لكافرون» علمت أن هذا المذاهب هو الصوابِ ولا سيما آخر سورة اقرأ.

وإذا تبحرت في علم العدد، أتقنت الدليل على[1] ذلك والمستند.

فإياك أنْ تجنح إلى موافقة من قال بمراعاة السجع في موضع من آيات الكتاب فتكون قد أبعدت عن الصواب، ويتوب الله على من تاب.

وهذا كله لا ينفي أن يكون في السجع والشعر ما هو حسن جداً وبليغ، وعليه ينطبق قوله ﷺ، الذي رواه البخاري، وأبو داود، وابن ماجة عن أبي بن كعب رضي الله عنه. والبزار عن عائشة رضي الله عنها: إن من الشعر حكمة[2].

وكذا ما رواه الدارقطني من وجه ضعيف، عن عائشة رضي الله عنها، أنه ذُكر عند رسول الله ﷺ الشعرُ فقال: هو كلام فحسنه كحسنه وقبحه كقبيحه[3].

ورواه الشافعي عن عروة (عنها)[4] مرسلاً[5].

---

(١) في د: في.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ٨/٢٩.
وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر ٤/٣٠٣ حديث رقم ٥٠١٠.
وسنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب الشعر ٢/١٢٣٥ حديث رقم ٣٧٥٥ ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/١٢٤.

(٣) سنن الدار قطني: باب خبر الواحد يوجب العمل ٢/١٥٥، ولفظه هكذا: هو كلام، فحسنه حسن، وقبيحة قبيح.
أما المتن الذي ذكره المؤلف فهو من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، رضي الله عنهم.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) مسند الشافعي ص ٤٦٦.

ورواه أبو يعلى عن عائشة (أيضاً)[1] رضي الله عنها، ولفظه: «هو كلام فحسنه حسن، وقبيحه قبيح.

وروى الحارث بن أبي أسامة، عن رجل من هذيل، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: إن هذا الشعر جزل[2] من كلام العرب، يعطي به السائل، ويكظم به الغيظ، وبه يتبلغ القوم في ناديهم.

فصار في كل منهما مذمومٌ وممدوحٌ.

فالمذموم: التكلف بالتقيد به، وجعل المعنى تابعاً للفظ.

والممدوح: قبول الطبع له، وسهولته عليه، حتى يرمي (به)[3] من غير قصد إليه ولا تعويل عليه، رمي العارف به، والمقتدر عليه، المطبوع فيه.

وذلك إذا لم يتأتَّ المعنى الأحسن، والمنحى الأبلغ الأتقن، إلا به، فيكون حينئذ المطبوع في ذلك متمكناً من نقد الشعر والسجع، بصيراً بتمييز قبيحه من حسنه.

ومعنى «وما علمناه الشعر»[4]: وما علمناه بإنزال هذا القرآن الشعر، وما جعلناه قائلاً لشيء من أنحائه، قاصداً له. وما علمناه أن يتكلف استحضار القوافي، وبناء الكلام عليها، والقصد في صوغه إليها، بحيث تكون هي المقصودة بالذات.

فالمنفى تعليمه: هو العلم الصناعي، وهو الحاصل من التمرن على العمل وهذا لا ينفي أن يكون الوزن في طبعه.

ولو أريد نفيه لقيل: وما طبعناه عليه، أو نحو ذلك ما يؤدي معناه،

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) قال في النهاية ١/ ٢٧٠: كلام جزل: أي قوي شديد.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) سورة يس آية ٦٩.

بدل: «وما علمناه»، فإن الوزن ليس[1] مما يتكسب بالتعليم، بل هو غريزة يخلقها[2] الله في طبع من يريد.

وأدل دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾[3]، فنفي ما يخص الشاعر من الاستجداء بشعره، ونفي التكلف في قرضه ثم أثبت ما يخص القرآن من الصفة التي فَاقَ وفارق فيها جميع الكلام، فقال[4]: ﴿ **إن هو إلا ذكرٌ للعالمين** ﴾[5].

أي كلهم يشترك في أصل فهمه - مع أنه أعلى من جميع الكلام - الذكى منهم والغبي، والبليغ والعيى، وإن اختلفت فيه فهومهم، وتفاوتت في دقائقه علومهم.

وأما الشعر والسجع، فإنما يفهمها خواص العالمين، مع أنهما دون هذا القرآن، بما لا يجهله ذو لسان، وإن كان قاصراً في البيان.

والدليل على ما قدمته: أن النبي ﷺ كان يتمثل بالشعر فتارة يكسره، وتارة يتركه على وزنه، وتارة يأتي بالكلام من عند نفسه فيقع موزوناً وتارة - وهو الأغلب - لا يكون موزوناً، وتارة يأتي مسجوعاً، وتارة - وهو الأغلب أيضاً - لا يكون كذلك، وما ذلك إلا لإرادته الأمر على صحة المعاني التي يأمره الله (تعالى)[6] بها في الكلام البليغ، من غير تعريج على قصد نظم ولا سجع.

(روى[7] الإمام أبو محمد البغوي بسنده من طريق أبي إسحاق

---

(١) في د: فليس الوزن مما.
(٢) في د: خلقها.
(٣) سورة ص آية ٨٦.
(٤) في د: قال.
(٥) سورة ص آية ٨٧.
(٦) ساقطة من د.
(٧) ما بين المربعين ساقط من د.

الثعلبي، عن الحسن رحمه الله: أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت:

.... كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا[1]

فقال له أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله، إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال أبو بكر - أو عمر[2] - رضي الله عنهما: أشهد أنك رسول الله، يقول الله عز وجل: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾[3].

ورواه الدينوري في الجزء العاشر من «المجالسة» من وجه آخر، عن الحسن رحمه الله، وفيه: فجعل أبو بكر رضي الله عنه يقول: الشيب والإسلام، والنبي ﷺ (يقول)[4]: بالإسلام والشيب.

فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله حقاً، ما علمك الله الشعر وما ينبغي لك.

وروى (البغوي)[5] أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنه قيل لها: (هل)[6] كان النبي ﷺ يتمثل شيئاً من الشعر؟. قالت: (كان)[7] يتمثل من شعر عبدالله بن رواحة.

قالت: وربما قال: ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

(و)[8] قال معمر: بلغني أن عائشة رضي الله عنها سئلت: هل كان

---

(١) هذا البيت لسحيم عبد بني الحسحاس، وهو في ديوانه ص ١٦، وتمامه:

عميرة ودِّع ان تجهزت غازياً كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

(٢) في تفسير البغوي: «وعمر» بواو العطف، وفي تفسير ابن كثير ٥٧٨/٣: أو عمر.

(٣) تفسير البغوي على هامش الخازن ١٢/٦. وهو حديث مرسل.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) زيادة عن تفسير البغوي.

(٨) ساقطة من: د.

النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟. قالت: كان أبغض الحديث إليه.

قالت: ولم يتمثل بشيء من الشعر، إلا ببيت أخي بني قيس طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول: ويأتيك من لم تزود بالأخبار.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: إني لست بشاعر ولا ينبغي لي[1].

وقال شيخنا حافظ عصره، أبو الفضل ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس: أخرجه أبو يعلى عن عكرمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها.

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكذا أورد ابن الجوزي[2] التمثل[3] بهذا البيت بغير اسناد إلا أنه قال: ويأتيك من لم تزوده بالأخبار[4].

فزاد الضمير.

وللترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول: ويأتيك بالأخبار من لم تزوده. قال: وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، هذا حديث حسن صحيح، انتهى[5].

---

(١) تفسير البغوي: الموضع السابق.

(٢) هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن الجوزي، القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، ولد ببغداد سنة ٥٠٨ وقيل: سنة ٥١٠هـ، كان إمام عصره في التاريخ والحديث والوعظ والجدل، له نحو ثلاثمائة مصنَّف، في كافة العلوم، قال ابن قنفذ: ابتدأ التأليف وهو ابن عشر سنين. اهـ. وتوفي سنة ٥٩٩ هـ.

(٣) في د: التمثيل.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٣٥/٧.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في إنشاد الشعر ٢١٨/٤ حديث رقم ٣٠٠٦.

وروى مسدد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استزاد خَبَراً، تمثل ببيت طرفة:

ويأتيك بالأخبار من لم تزوده

قال شيخنا الحافظ: شهاب الدين البوصيري[1]: ورواه النسائي في «اليوم والليلة».

ولأبي بكر بن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يتمثل من الأشعار:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

هذا ما وقفت عليه من طرق هذا الخبر.

وحقيقة ما كان يعبِّر به النبي ﷺ عن هذا البيت:

ويأتيك من لم تزوده بالأخبار

بزيادة ضمير في «تزود»، أو بغير زيادة مع تقديمها على «بالأخبار».

وأما من روى البيت كما هو، فذكر المتمثل به، ولم يذكر هيئة العبارة عنه، ومن قدم قوله: «بالأخبار»، وزاد ضميراً في تزود: مشى على جادَّة البيت، ظاناً أن المقصود مجرد كسره، وهو حاصل بزيادة الضمير، وخفي عليه المعنى الذي غيره النبي ﷺ لأجله، كما سيأتي بيانه.

فبهذا تترجح رواية من قدم «من لم تزود» على ما هو الأولى بالمسند إليه كما يعرف ذلك أهل النقد للأخبار، وأرباب المزاولة للآثار.

وروى الشيخان: البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجة، عن أبي

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن أبي بكر محمد بن اسماعيل بن سليم بن قيماز بن عثمان البوصيري الشافعي، نزيل القاهرة، والمتوفي بها سنة ٨٤٠، وله كتاب: أطراف المسانيد العشرة.

راجع: الرسالة المستطرفة ص ١٣٩.

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر: (كلمة لبيد)[١].

ألا كل شيء ما خلا الله باطل[٢]

ورواه اليونارتي[٣] في جزئه[٤] عنه فقال: أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: إن أصدق كلمة تكلمت بها العرب، كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وللشيخين وغيرهما: عن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق، حتى اغبر بطنه، ويقول:

والله لولا أنت[٥] ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... (وثبت الأقدام إن لاقينا)[٦]
إن الأولى قد بغو[٧] علينا ... إذا أرادوا فتنة أَبَيْنَا

---

(١) زيادة عن صحيح مسلم وسنن ابن ماجة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ٢٩/٨.
وصحيح مسلم: كتاب الشعر ١٢/١٥ ـ ١٣.
وصحيح الترمذي: كتاب الشعر، باب ما جاء في انشاد الشعر ٢١٨/٤.
حديث رقم ٣٠٠٧.
وسنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب الشعر ١٢٣٦/٢ حديث رقم٣٧٥٧. ومعنى «باطل» قال النووي في شرح مسلم ١٢/١٥: الفاني المضمحل. اهـ.

(٣) هو الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم بن أحمد الأصبهاني، واليونارتي: نسبة الى يونارت احدى قرى أصبهان، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ١٢٨٧/٤: كان سريع الكتابة حسن القراءة، مليح التخريج، اهـ. ولد سنة ٤٦٦، ومات في شوال سنة ٥٢٧ هـ.

(٤) في د: حزبه.

(٥) وفي رواية للبخاري ومسلم: لولا الله.

(٦) زيادة عن البخاري.

(٧) وفي رواية لمسلم: إن الملأ قد أبوا علينا.

يرفع بها صوته: أبينا، أبينا[1].

وروى عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند»، وأبو يعلى الموصلي، عن الأعشى المازني[2] رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فأنشدته:

يا مالك الناس وديّان[3] العرب   إني لقيت ذربة (من)[4] الذرب[5]
غدوتُ أبغيها الطعام في رجب   فخلفتني بنزاع وهَرَبْ
أخلفت العهد ولَطّتْ[6] بالذَّنَبِ   وهُنَّ شَرٌّ غالِبٌ لمن غَلَبْ

قال: فجعل رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٣/٣٢.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب ١٢/١٧١.

(٢) في الإصابة ٢/٢٦٧: اسمه عبد الله بن الأعور المازني، الأعشى الشاعر.
وفي الاستيعاب لابن عبد البر ٢/٢٥٩: وقيل: عبد الله بن الأطول الحرمازي المازني.
قال: وكانت عنده امرأة يقال لها مُعَاذة، فخرج يَمير أهله من هجر، فهربت امرأته بعده ناشزة عليه، فعاذت برجل منهم يقال له مطرِّف بن نَهْصَل، فجعلها خلف ظهره، فلما قدم الأعشى لم يجدها في بيته، وأُخْبِر أنها نشزت وأنها عاذت بمطرف بن نهصل، فأتاه فقال: يا ابن عم عندك امرأتي معاذة فادفعها إليَّ. فقال: ليست عندي ولو كانت عندي لم أدفعها إليك، وكان مطرف أعز منه فخرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فعاذ به وأنشأ يقول. . . الأبيات.

(٣) قال في النهاية ٢/١٤٨: هو فعّال، من: دان الناس، إذا قهرهم على الطاعة، يقال: دِنْتُهم فدانوا، أي قهرتهم فأطاعوا.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) قال في النهاية ٢/١٥٦: كنى عن فسادها وخيانتها بالذربة، وأصله من ذرب المعدة وهو فسادها. وقيل: أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها من قولهم: ذرب لسانه إذا كان حاد اللسان لا يبالي ما قال.

(٦) قال في النهاية ٤/٢٥٠: أراد منعته بضعها، من لطت الناقة بذنبها، إذا سدت فرجها به إذا أرادها الفحل. وقيل: أراد: توارت وأخفت شخصها عنه كما تخفى الناقة فرجها بذنبها.

. . . . وهن شـــر غـــالب لمن غلب[1].

وذكر أصحاب السير، والبيهقي في دلائل النبوة: أن النبي ﷺ قسم غنائم حنين، وأكثر في المؤلفة قلوبهم، وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس مائة، وأعطى العباس بن مرداس رضي الله عنه دون المائة، فأنشد يقول:

كـانت نُهابا تـلافيتهـا بِكَـرِّي ... عـلى المُـهْـرِ في الأجْـرُع
وإيـقـاظـى الحـيّ أن يـرقـدوا ... إذا هـجـع الـنـاس لم أهـجـع

فأصبح

وفي رواية:

أتجعـل نُهْبِي[2] ونُهْب العُـبَـيْـ ... ـدِ[3] بـين عـيـيـنـةَ والأقـرع
فـما كـان حـصـنٌ ولا حـابسٌ ... يـفـوقـان مـرداسَ في مَجْـمَـعٌ
وقـد كنتُ في الحرب ذا تُـدْرَأ[4] ... فـلم أُعْطَ شـيـئـاً ولم أمـنـع[5]
ومـا كـنتُ دون امـرىء منهـما ... ومـن تضـع الـيـوم لا يُـرفـع

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أنت القائل: أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟.

فقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)[6]: بأبي وأمي أنت، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر وما ينبغي لك، وما أنت براويه.

---

(١) مسند الامام أحمد ٢/٢٠١.
(٢) النهب: النصيب من الغنيمة.
(٣) العبيد ـ مصغراً ـ اسم فرس العباس.
(٤) تدرأ ـ بضم التاء ـ واسكان الدال، وفتح الراء، بعدها همز ـ: من الدَّرْءِ، وهو الدفع.
(٥) أي لم أعط شيئاً ذابال، ولم أمنع من الاعطاء، لأني أعطيت شيئاً قليلاً.
(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.

قال: فكيف؟. فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: سواءهما، ما يضرك بأيهما بدأت، بالأقرع أم عيينة؟. فقال النبي ﷺ: اقطعوا عني لسانه، فأعطى حتى رضي[1].

هذا ما اطلعت عليه مما تمثل به النبي ﷺ من الشعر.

وأما ما وقع من كلامه ﷺ موزوناً:

فروى الشيخان عن البراء رضي الله عنه في غزوة حنين أن النبي ﷺ لما هرب عنه أصحابه - رضي الله عنهم - شرع يركض بغلته نحو هوازن ويقول:

أنا النبي لا كذب[2] أنا ابن عبد المطلب[3]

وروى البخاري ومسلم أيضاً: والترمذي، والنسائي، من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان في بعض المشاهد، وقد دميت أصبعه.

وفي رواية: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فعثر، فدميت أصبعه فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت[4] وفي سبيل الله ما لقيت[5]

---

(١) الروض الأنف للسهيلي ٧/٢٨٥، وخزانة الأدب ١/١٠٥.

(٢) أي: أنا النبي حقاً.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قوله تعالى، ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ٣/٦٦.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ١٢/١٢٠.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ١٢/١٥٥: الرواية المعروفة «دميت، ولقيت» بكسر التاء، وأن بعضهم أسكنها.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز ٨/٢٩.
وصحيح مسلم: كتاب الغزوات: باب ما لقى النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين ١٢/١٥٥.

قال الزمخشري: ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف، إلا أنه اتفق من غير قصد إلى ذلك، ولا التفات منه إليه إن جاء موزوناً، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة، ولا يسميها أحد شعراً، ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنه شعر[١]، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك، وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز. انتهى[٢].

قلت: وأبين من ذلك في الحجة: أنه قد أخرج بعض الناس البحور الستة عشر من القرآن العظيم[٣]، وما اعترض أحد من العرب عليه ﷺ ﴿بشيء من ذلك﴾[٤]، مع أنهم كانوا لا يجدون مساغاً لشيء يعترضون به، إلا بادروا إليه.

فلولا أنه مشهور عند صغيرهم وكبيرهم: أن الشعر لا يكون إلا مع القصد لأوسعوا القول في ذلك، وألزموا به التناقض.

والذي دعا إلى الاتيان به موزوناً: إنما هو صحة المعنى، وكمال انتظامه به دون غيره، فإن «لا» النافية لكل كذب في «لا كذب»، (لا)[٥] يقوم غيرها مقامها.

وشهرته ﷺ بعبد المطلب أعظم من شهرته بغيره مع أنه أقرب أجداده[٦]، فنظره ﷺ مقصور على المعنى.

---

(١) في الكشاف: أنها.
(٢) تفسير الزمخشري ٣/٣٢٩.
(٣) راجع: العمدة لابن رشيق ١/١١٩.
(٤) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) قال النووي في شرح مسلم ١٢/١١٩، كانت شهرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجده أكثر، لأن أباه عبد الله توفي شاباً، وكان عبد المطلب مشهوراً شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيد أهل مكة، وكان كثير من الناس يدعون النبي صلى الله عليه وسلم ابن =

وأما في الأصبع: فكذلك لا عبارة غير ما قال تؤدي ذلك المعنى، فإن تقديم الجار المفيد للاختصاص، في أحق مواضعه وأتمها.

ولم ينقل[1] أحد أنه ﷺ أشبع كسرة التاء حتى تولد منها ياء[2] ويكفي في صرفه عن الشعر، عدم الإشباع.

وأما الأبيات الماضية: فتقديم الأقرع على عيينة أولى، لأن عيينة ارتد في أيام الردة، بل أقر أنه لم يكن أسلم قبل ذلك[3].

وأما الأقرع فكان إسلامه حسناً، ولم يرتد بعد ذلك، ولكنه كان شريفاً، فكان التأليف لغيره بواسطته.

ولذلك اعتذر ﷺ بقوله: لا يضرك[4] بأيهما بدأت.

= عبد المطلب ينسبونه إلى جده لشهرته، ومنه حديث همام بن ثعلبة في قوله: «أيكم ابن عبد المطلب؟».

وقد كان مشتهراً عندهم: أن عبد المطلب بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه سيظهر، وسيكون شأنه عظيماً، وكان قد أخبره بذلك سيف بن ذي يزن.

وقيل: ان عبد المطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك مشهوراً عندهم، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم تذكيرهم بذلك وتنبيههم بأنه صلى الله عليه وسلم لا بد من ظهوره على الأعداء، وأن العاقبة له، لتقوى نفوسهم. اهـ.

راجع: فتح الباري ٣١/٨.

(١) في د: يقل.

(٢) في د: عنها.

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ٢٨٧/٧: فإن الأقرع حسن إسلامه، وعيينة لم يزل معدوداً في أهل الجفاء، حتى ارتد وءامَنَ بطليحة، وأُخِذَ أسيراً فجعل الصبيان يقولون له ـ وهو يساق إلى أبي بكر ـ: ويحك يا عدو الله ارتددت بعد إيمانك؟ فيقول: «والله ما كنتُ آمنتُ»، ثم أسلم في الظاهر، ولم يزل جافياً أحمق حتى مات. اهـ.

(٤) في د: ما.

وأما شعر الأعشى: فلا يتأتى المعنى على حال السداد والكمال، إلا بقوله: «وهن شر غالب لمن غلب»، فأتى به كما هو من غير تغيير.

وكذا شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: والله لولا أنت ما اهتدينا.

ولما كانت «الألى» - بضم الهمزة بمعنى الجماعة - يجوز فيها المد والقصر وكان المد لا يلتزم هنا إلا لأجل الوزن، وكان انتظام المعنى به مقصوراً، كانتظامه به ممدوداً، قصره ﷺ، لأنه لا نظر له إلى غير تصحيح المعنى بالألفاظ الكاملة.

فإن قيل: المد ربما أفهم تعظيماً لم يفده القصر؟.

قيل: وهذا موجب الاتيان به مقصوراً، لأن المقام لا يقتضي تعظيم الظالمين.

وأما قول لبيد: فلا يتأتى المعنى - مع أنه في غاية الصحة - إلا به، فلم يغيره.

وأما قول طرفة: فلما كان قد يلزمه الكذب من تقديم الجار، في قوله: «بالأخبار» نطق به ﷺ على أتم أحواله، بأن قدم «من لم تزود» الذي هو عمدة الكلام، سواء كان بضمير، أم لا[1].

وأما «كفى الشيب والإسلام»: فإنه لا يليق بذلك السياق الذي للنهى عن المساوىء والوعظ، أن يُقدَّم فيه شيء على الإسلام، الذي هو أعظم واعظ، وأقوى زاجر، وتأكيد المعنى بالجار أحسن، فأتى[2] به كذلك.

فتأمل ما يرد عليك[3] من مثل ذلك حق التأمل، وأعطه ما يليق به.

---

(١) في م: أو.
(٢) في د: وأتى.
(٣) في د: عليه.

ثم إن وراء ذلك: أن القوافي[1] المطلقة الموصولة[2] بحروف العلة، لا يُعَدُّ البيتُ شعراً إلا بوصلها، وإلا نقص الوزن، ومتى نقص، لم يعد شعراً.

ولا رواية مصرحة بأنه صلى الله عليه (وسلم)[3] وصل شيئاً من ذلك.

فالظاهر: أنه سكَّن اللام من «باطل» من شعر لبيد للوقف، كما تقدم في دميت، وكذا كل ما جاء من مثله.

وأما ما «حرف»[4] الوصل فيه من (نفس)[5] الكلمة فيأتي به لكون الكلمة لا تصح إلا به لا لكونه وصلاً.

وأما من كان يقول له ﷺ: «ليس هكذا قال الشاعر»، من الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يعلمون أن الشاعر إذا قدَّم شيئاً، أو أخره، لم يفعل ذلك لقصد المعنى الذي أدى إليه التقديم والتأخير، وإنما هو للاضطرار، وأن ذلك لازم في صنعة الشعر، لا يحلو إلا به، فيلزم الذي يقصد الشعر أن يأتي به ليصح النظم معه، وكذا من يقصد روايته عن قائله، لتصح له الرواية.

وأما النبي ﷺ: فلما لم يكن للوزن عنده اعتبار، لم يلتفت إليه، ورأى: أن التقديم والتأخير مُخِلٌّ بالمعنى فنطق به ﷺ على الصواب، ولم يلتفت بوجه إلى الوزن، ولا نحا أصلاً نحوه، لأنه ليس للشعر عنده حرمة من حيث كونه شعراً، فليس هو بشاعر، ولا راوية للشعر، حتى يقصد الاتيان بالبيت كما هو، لئلا ينكسر، بل قصده المعنى ليس غير، لأنه إذا أدار الأمر بين أن يأتي بمعنى معيب في لفظ مزوَّق، فهو في الظاهر حلو، وفي الحقيقة معيب كما هو حال كل شيء للشيطان فيه حظ. وأن يأتي بالمعنى خالصاً ممدّحاً في لفظ

---

(١) في د: لقول.

(٢) في د: الموصلة.

(٣) ساقطة من: م وزدناها من د.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) ساقطة من: د.

جليل سالم، وجب أن يأتي به سالماً، لأنه لاحظ للتزويق منه ﷺ في قول، ولا (في)[1] فعل، ولا حال أصلاً، ولم يكن أحد ممن كان يحاوره في ذلك يساويه في البلاغة حتى يذوق هذا الذوق من قبل أن ينبهه ﷺ. والله الهادي.

. وأعلم أن هذا القول[2]، وهو: أن النبي ﷺ عالم بأصل الغريزة بأنحاء الشعر، معرض عن استعمال ذلك، لما فيه من المعايب، غير معول على شيء منه، لما يوقع فيه من النقائص ما لا بد من اعتقاده، ولأدى الحال إلى أمر فظيع.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «الاعجاز» ما معناه: «إن من كان ناقصاً في نوع من أنواع البلاغة في شيء من وجوه الخطاب، لم تقم عليه الحجة بالقرآن حتى يعلم عجزه الكامل في ذلك النوع، ثم قال: فأما من كان متناهياً في معرفة وجوه الخطاب، وطرق البلاغة، والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة، فهو متى سمع القرآن، عرف إعجازه.

وإن لم نقل ذلك، أدى الحال إلى أن يقال: إن النبي ﷺ لم يعرف إعجاز القرآن حين أوحى إليه، حتى سَبَرَ الحالَ، بعجز أهل اللسان عنه، وهذا خطأ من القول.

فصح من هذا الوجه: أن النبي ﷺ حين أوحى إليه القرآن عرف كونه معجزاً، (وعرف)[3] بأن قيل له: إنه دلالة وعلم على نبوتك.

إنه كذلك من قبل أن يقرأه على غيره، أو يتحدى إليه سواه.

ولذلك قلنا: إن المتناهى في الفصاحة، والعلم بالأساليب التي يقع فيها التفاصح متى سمع (القرآن)[3]، عرف أنه معجز، لأنه يعرف من حال

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) في د: القرآن.

(٣) ما بين المربعين موجود بالأصل، وغير موجود في كتاب البلقلاني.

نفسه: أنه لا يقدر عليه، ويعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه، فيعلم أن عجز غيره كعجزه هو، وإن كان يحتاج بعد هذا إلى استدلال آخر على أنه علم على نبوة، ودلالة على رسالة، بأن يقال له: إن هذا آية النبي، وأنها ظهرت عليه، وادَّعاها معجزة له، وبرهاناً على صدقة. انتهى[1].

ولا يُظَنُّ أني لم أسبق بالقول بأن النبي ﷺ عالم بالوزن، كما أنه قادر على السجع، غير أنه لا يصوِّب إلى[2] شيء منهما همته الشريفة، لما يجرُّ إليه التقيد بذلك من التكلف والنقص اللذين برأه الله منهما، وأبعده عنهما.

فقد قال قاضي الشافعية بمصر: صدر الدين السُّلَمي المناوي الشافعي[3] في كتابه «تخريج أحاديث المصابيح»: وقد ذهب جمع من العلماء إلى أنه ﷺ لم يكن يُحْسِنُ الشعر - وهو الأصح - حتى قيل: إنه لم ينشد بيتاً تاماً قط، ألا ترى أنه حين ذكر بيت طرفة قال: ويأتيك من لم تزوده بالأخبار؟

وذهب قوم إلى أنه ﷺ كان يحسن الشعر، ولكن لا يقوله وتأولوا قوله تعالى: ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾[4] إنه رد على المشركين في قولهم: ﴿ **بل هو شاعر** ﴾[5] ومن ذكر بيتاً واحداً، لا يلزمه هذا الاسم[6]. انتهى.

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥١.

(٢) في د: على.

(٣) هو أبو المعالي صدر الدين محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن السلمي الشافعي، كان محدّثاً، ولد سنة ٧٤٢ بمصر، وتولى الإفتاء، ثم القضاء بمصر، ومات غريقاً في الفرات سنة ٨٠٣ هـ، ومن آثاره: المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح.

راجع: الضوء اللامع ٢٤٩/٦، شذرات الذهب ٣٤/٧.

(٤) سورة يس آية ٦٩.

(٥) سورة الأنبياء: آية ٥.

(٦) في م: الأثم.

فإن كنت ممن يدور مع البرهان، فقد ذكرت (لك)[1] من ذلك ما فيه مقنع، وإن كنت مقيداً بالسلف، فهذا كلام بعضهم، وإن خالفه غيره.

وقوله: إنَّ الأول أصح، منظور فيه.

والأصح ـ بل الصواب ـ: هذا الثاني، لما ذكرت من الدلائل، وأقمت من الحجج.

هذا تحرير القول إجمالاً في نفي السجع عن القرآن، وإن[2] أردت التفصيل، فانظر كل موضع ادعى فيه كل مدع شيئاً من ذلك من كتابي: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» تجد فيه ـ بحمد الله ـ ما يفكك من تلك العهدة، ويخلص مما لزم من الورطة، وإنه ما سيق على ذلك النظم، إلا لحال[3] دعا إليه، لا يبلغ الكلام ذروة البلاغة إلا به، فهو جار على ما اقتضاه من الحال، لا على التفنن في المقال.

والله الهادي من الضلال، الموفق لمن اختاره إلى أشرف الأقوال والأعمال.

عدد آيات الفاتحة

إذا تقرر هذا، فعدد آي الفاتحة: وإن وقع الاتفاق على إجماله، فقد حصل الاختلاف في تفصيله.

عد الكوفي والمكي «بسم الله الرحمن الرحيم»، وأسقطا «أنعمت عليهم»، وعكس المدنيان، والبصري والشامي.

هكذا حكي الإجماع ـ على أنها سبع ـ المصنِّفون في العدد.

---

(١) زيادة عن: د.

(٢) في د: اذا.

(٣) في د: بحال.

وقال الإمام نجم الدين أبو حفص عمر النسفي في تفسيره «التيسير»: هي ثماني آيات في قول الحسن البصري، وست في قول الحسين الجعفي[1]، وسبع في قول الجمهور.

فالحسن عد البسملة و«أنعمت عليهم» آيتين، وتركهما الجعفي.

وحكى الأصفهاني في تفسيره: أن عمر بن عبيد[2] عدها أيضاً ثمانية، لأنه جعل ﴿ **إياك نعبد** ﴾ آية.

قال: وهو شاذ، وكذا القول بأنها ست.

رويها - أي الحرف الذي هو نهاية فواصلها - : حرفان، يجمعهما: من.

وفيها شبه الفاصلة: ﴿ **إياك نعبد** ﴾، قاله الداني.

و﴿ **صراط الذين** ﴾ قاله الجعبري.

وروى الداني بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه (أنه)[3] كان يقول: هي - أي البسملة - آية من كتاب الله، ثم يقول أبو هريرة: عُدُّوا إن شئتم فاتحة الكتاب، يعني: بسم الله الرحمن الرحيم[4].

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن فتح الجعفي، مولاهم، الكوفي، الزاهد قرأ علي حمزة، وأبي بكر بن عياش، وأبي عمرو بن العلاء، وقرأ عليه خلق كثير، وكان إماماً في القراءات. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أفضل من حسين الجعفي. وتوفي - رحمه الله - في ذي القعدة سنة ٢٠٣ ه عن أربع وثمانين سنة.
راجع: طبقات القراء ٢٤٧/١.

(٢) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب، البصري، روى الحروف عن الحسن البصري وسمع منه، وأخذها عنه بشار بن أيوب الناقد. مات في ذي الحجة سنة ١٤٤ ه.
راجع: غاية النهاية ٦٠٢/١.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) البيان للداني ورقة ١٧ أ.

قال أبو عمرو: وعدها آية في الحمد من أئمة الأمصار، أهل مكة، وأهل الكوفة، وكل من رأي قراءتها في صلاة الفرض من الصحابة رضي الله عنهم والتابعِين ومن بعدهم من الفقهاء، فهي عنده آية(١).

مقصود سورة الفاتحة

ومقصودها: مراقبة العباد لربهم.

فإن التزام اسمه تعالى وحده - كما دل عليه تقديم الجار - في كل حركة وسكون داع إلى ذلك، وعلى ذلك دلت أسماؤ ها.

وهكذا اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال بالإجمال على تفصيل ما فيه.

وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه السلام، عند العرض على الملائكة عليهم السلام ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها.

فهذه السورة اسمها - مع الفاتحة - أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني والأساس، والمثاني، والكنز، والشافية، والكافية، والواقية، والشفاء، والرُّقْيَة والحمد، والشكر، والدعاء، والصلاة(٢).

فمدار هذه الأسماء - كما ترى - على أمر خفي، كاف لكل مراد، وذلك هو المراقبة، وكل شيء لا يفتتح بها، لا اعتداد به.

= وأخرجه الدار قطني في سننه: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك ١/٣٠٠٦ وفيه: اقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب فإنها الآية السابعة.

(١) البيان للداني ورقة ١٧ ب.

(٢) قال السيوطي في الاتقان ١/٩٠: وقد وقفت لها على نيفٍ وعشرين اسماً، وذلك يدل على شرفها، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى.
وقال الزركشي في البرهان ١/٢٦٩: ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً.

وهي أم كل خير، وأساس كل معروف، ولا يعتد بها إلا إذا ثُنِّيت، فكانت دائمة التكرار، وهي كنز لكل مُنىً، شافية لكل داء، كافية لكل مُهِمٍّ، وافية بكل مرام[1] (واقية من كل سوء، شافية من كل سقام، رقية لكل مسلم، وهي إثبات الحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال، والشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء فإنه التوجه إلى المدعو، والمراقبة أعظم توجه)[2]، وأعظم مجامعها الصلاة.

وعلى قدر المقصود من كل سورة، تكون عظمتها، ويعرف ذلك مما ورد في فضائلها ويؤخذ من ذلك أسماؤ ها، ويدل على فضلها كثرتها.

فلا سورة في القرآن أعظم من الفاتحة، لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها.

وهي جامعة لجميع معاني القرآن، ولا يلزم من ذلك اتحاد مقصودها مع مقصوده بالذات، وإن توافقا في المآل، فإنه فرق بين الشيء وبين ما جمع ذلك الشيء.

فمقصود القرآن، تعريف الخلق بالمَلِكِ، وبما يرضيه.

ومقصود الفاتحة: غاية ذلك، لكونها غاية له، وذلك هو المراقبة المذكورة، المستفادة من التزام ذكره تعالى في كل حركة وسكون، لاعتقاد أنه لا يكون شيء إلا به.

وعلى جلالة هذا المقصد، جاءت فضائلها[3].

---

(١) في م: لكل.
(٢) ساقط من: د.
(٣) وقال ابن القيم في مدارج السالكين ١/٢٤: وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، هما التوسل بالحمد، والثناء عليه وتمجيده، والتوسل اليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب، وهو الهداية ـ بعد الوسيلتين فالداعي به حقيقي بالاجابة.

ولكونها جامعة، ناسب أن يذكر فضائل القرآن الإجمالية أولها، ويذكر اهتمام الصحابة بترتيبة وجمعه، وتهذيبه[1]، فإن ذلك من فضائله.

وليعلم أني لا أذكر (من ذلك)[2] إن شاء الله في الفضائل، إلا ما صح أو حسن، أو جاز ذكره إن كان ضعيفاً[3]، فلم ينزل إلى درجة الموضوع[4]، ولم أذكر شيئاً من الحديث الموضوع على أبي وابن عباس، رضي الله عنهم، في فضائل كل السور: سورة، سورة، كما ذكره الواحدي[5] والزمخشري، ومن تبعهما، لأن الموضوع لا يحل ذكره، إلا على سبيل القدح فيه. والله الموفق.

---

(١) لعله يقصد بتهذيبه: تخليصه مما ليس منه: فقد كان الصحابة يكتبون مع القرآن التفسير والحديث.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) الحديث الضعيف: كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن.

ولا يجوز العمل بالحديث الضعيف إلا بشروط:

الأول: أن يكون الضعف في الحديث غير شديد، وهذا متفق عليه عند المحدّثين.

الثاني: أن يكون مندمجاً تحت أصل عام في الدين، فيخرج المخترع الذي لم يكن له أصل معمول به.

الثالث: أن لا يُعتَقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط، لئلاً ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله.

راجع: دكتور محمد أديب الصالح: لمحات في أصول الحديث.

(٤) الحديث الموضوع: هو المختلق المصنوع والمنسوب افتراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، نسبة الى الواحد ابن الديل بن مهرة، كان عالماً بالتفسير واللغة والأدب، وأصله من نيسابور، بها ولد وعاش ومات، وقد لازمه المرض مدة طويلة. توفي سنة ٤٦٨هـ. ومؤلفاته: البسيط، والوسيط، والوجيز، وأسباب النزول، وكلها في التفسير.

راجع: شذرات الذهب ٣/٣٣٠، وفيات الأعيان ٢/٤٦٤.

كيفية نزول الوحي

روى البخاري في بدء الوحي، ومسلم في فضائل النبي ﷺ والترمذي في المناقب، والنسائي في الصلاة، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟، قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس[1] وهو أشده عليّ، فينفصم عني[2]، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وأن جبينه ليتفصَّدُ[3] عرقاً[4].

---

(١) الصلصلة: صوت الملك بالوحي، قال النووي في شرح مسلم ١٥/٨٨: الصلصة ـ بفتح الصادين ـ هي الصوت المتدارك، قال الخطابي: معناه: أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يقرع سمعه حتى يفهمه من بعد ذلك. اهـ.

(٢) روى: فينفصم ـ بنون قبل الفاء ـ ويفصم بدون نون، وكلاهما بمعنى واحد. والفصم ـ بالفاء والصاد ـ القطع من غير إبانة. والقصم ـ بالقاف والصاد ـ: القطع مع الإبانة والإنفصال.

والأول أنسب بالمقام، وأوجه بلاغة، ذلك لأن معنى الحديث: أن الملك يفارق النبي صلى الله عليه وسلم على أن يعود، ولا يفارق مفارقة قاطع لا يعود.

(٣) يتفصد: قال الزمخشري في الفائق ٣/١٢١: أي يتصبب.

قال الحافظ في الفتح ١/٢١: مأخوذ من الفصد، وهو قطع العرق لإسالة الدم، شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق.

ويشهد لهذا المعنى ما رواه مسلم في صحيحه ١٥/٨٨: عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان لينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقاً.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الوحي ١/٢.

وصحيح مسلم: كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك به ١٥/٨٨.

والترمذي: كتاب المناقب، باب ما جاء كيف ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥/٢٥٨ حديث رقم ٣٧١٣. =

وسيأتي في سورة القيامة حديث ابن عباس رضي الله عنهما في شدة الوحي.

والحكمة في جعل صوت الوحي كالصلصلة - والله أعلم - ما بين صاحبي الصوتين: الوحي، والحديد، من الشّبه في البأس الشديد والمنافع والثقل، والشدة والصلابة، والحدة والصفاء، والنفع والإبانة، والقطع والتأثير، دون التأثر، وغير ذلك مما يكشفه التدبر، والتأمل، والتفكر، مع ما فيه من تقريب إسماع كلام الله تعالى من غير حرف، بل ولا صوت(١).

وكذلك جاء في الحديث الآخر، الذي رواه البخاري، وأبو داود، عن أبي هريرة، ومسلم عن ابن عباس، عن رجال من الصحابة رضي الله

= وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ما جاء في القرآن ٢/١٤٦.
وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن ١/٢٠٢.
وابن حبان في صحيحه: كتاب الوحي، باب ذكر وصف نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/١٨١.

(١) وقال النووي في شرح مسلم ١٥/٨٨: قال العلماء: والحكمة في ذلك: أن يتفرغ سمعه صلى الله عليه وسلم، ولا يبقى فيه ولا في قلبه مكان لغير صوت الملك. اهـ.
قال الحافظ في الفتح ١/٢٠: فإن قيل: المحمود لا يُشَبَّه بالمذموم إذ حقيقة التشبيه: إلحاق ناقص بكامل، والمشبه: الوحي، والمشبَّه به: صوت الجرس، وهو مذموم، لصحة النهي عنه، والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، كما أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟.
والجواب: أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها بل ولا في أخص وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا: بيان الجنس، فذكر ما أَلِفَ السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم.
والحاصل أن الصوت له جهتان: جهة قوة، وجهة طنين. فمن حيث القوة وقع التشبيه به. ومن حيث الطرب وقع التنفير عنه، وعُلِّلَ بكونه مزمار الشيطان. اهـ. ونقله السيوطي في شرح سنن النساء ٢/١٤٧.

عنهم، أن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء، سمع أهل السماء (للسماء صلصلة)[١] كجر السلسلة على الصفا[٢].

ولما كان النبي ﷺ أكمل الخلق، ظهر له في وقع الحديد بعضُه على بعض فإنه أقوى من الوقع على الحجر.

ولما كان هذا الصوت للوحي، وكان الموحي واحداً لا شريك له، شرع توحيد وحيه أيضاً، بهذا المظهر، تشريفاً له، ولئلا يلبس نوع لَبْسٍ. ولو

---

(١) زيادة عن صحيح ابن حبان، وأبي داود.

(٢) هذه الرواية ليست في البخاري ولا في مسلم كما ذكر المؤلف، ولكنها من رواية ابن حبان عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أما حديث البخاري عن أبي هريرة (كتاب التفسير، باب سورة الحجر ١٠٠/٦ وسورة سبأ ١٥٢/٦) فلفظه: اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كالسلسلة على صفوان.

وبهذا اللفظ أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة أيضاً ١٧٧/١.

والترمذي: كتاب التفسير، باب تفسير، باب تفسير سورة سبأ ٤٠/٥ حديث رقم ٣٢٧٦ وقال: حسن صحيح.

أما حديث ابن عباس عند مسلم فلفظه: . . . ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً، سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونوهم. . . الحديث.

والمراد بصلصلة السماء: ما يكون من ضرب الملائكة بأجنحتها، كما جاء في حديث البخاري، أو من تسبيحها كما جاء في حديث مسلم.

وتخريج الحديث:

صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الحجر ٢٢١/٥، وسورة سبأ ٢٨/٦ وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ١٩٤/٨.

وسنن أبي داود: كتاب السنة، باب في القرآن ٢٣٥/٤ حديث رقم ٤٧٣٨

وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة ٢٢٥/١٤

والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٨٩

والبيهقي في الأسماء والصفات ١٥٣

والخطيب في تاريخ بغداد ٣٩٢/١١.

على وجه بعيد فنهى عن الجرس، ولو كان مزمار الشيطان، لتعرضه لإلباس الوحي، وتقرب منه الملائكة غيرة على هذا المقام العالي (المرام)، والواجب الاكرام والإعظام، وجعل ما يخطفه الجنى من الوحي كقرقرة الدجاجة، التي هي من أضعف الحيوان، وهو من أضعف الأصوات وأسمجها. والله الموفق.

نزول الكتب السماوية في رمضان

وروى الامام أحمد في المسند، وأبو عبيد في الفضائل، والبيهقي في الشعب والأسماء والصفات، وأبو القاسم الأصفهاني في الترغيب، والثعلبي في التفسير عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: أنزلت صحف ابراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان (وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من شهر رمضان)[1]، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان[2].

ولفظ أبي عبيد: أنزلت صحف ابراهيم عليه السلام أول ليلة من شهر رمضان ونزلت التوراة على موسى عليه السلام في ست من شهر رمضان، ونزل الزبور على داود عليه السلام في اثنتي عشرة من شهر رمضان، ونزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في ثماني عشرة من شهر رمضان، وأنزل الله تبارك وتعالى الفرقان على محمد ﷺ في أربع وعشرين من شهر رمضان.

وأخرجه أبو يعلى الموصلي في الجزء الثاني عشر من مسنده، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أنزل الله تعالى صحف ابراهيم عليه السلام في أول ليلة من (شهر)[3] رمضان، وأنزلت التوراة على موسى عليه السلام

---

(١) قوله: «وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من شهر رمضان»، غير موجود في متن الحديث في المسند.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٠٧/٤ والأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٣٤.

(٣) زيادة عن: د.

لست خلون من رمضان وأنزل الزبور على داود عليه السلام في إحدى عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن[1] على محمد ﷺ في أربع وعشرين خلت من رمضان.

هكذا رواه موقوفاً، ومثله لا يقال بالرأي.

قال الإمام أبو شامة[2] في كتابه «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»[3]: ووقع في تفسير الماوردي[4] وغيره: أنزل الزبور لاثنتي عشرة والإنجيل لثمان عشرة.

(وكذلك هو في كتاب أبي عبيد.

وفي بعض التفاسير عكس هكذا، الإنجيل لاثنتي عشرة والزبور لثماني عشرة)[5].

واتفقوا على أن صحف إبراهيم عليه السلام لأول ليلة، والتوراة لست مضين والقرآن لأربع وعشرين خلت.

---

(١) في د: الفرقان.

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم بن عثمان، المقدسي ثم الدمشقي، المعروف بأبي شامة، لأنه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة قال ابن الجزري: الشيخ الإمام العلامة الحجة، والحافظ ذو الفنون. اهـ. صنف كتباً كثيرة في مختلف العلوم، وكان أوحد زمانه، توفي رحمه الله سنة ٦٦٥ في شهر رمضان، ودفن بدمشق خارج باب الفراديس.

(٣) ص ١٥.

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، نسبة إلى بيع ماء الورد من أكابر الفقهاء الشافعيين، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤ هـ، وتعلم بها وانتقل إلى بغداد، وتولى منصب القضاء في كثير من البلاد، حتى صار قاضي القضاة، وله تصانيف كثيرة منها: أعلام النبوة، والأحكام السلطانية والعيون والنكت في تفسير القرآن، والحاوي في الفقه الشافعي. توفي في بغداد سنة ٤٥٦ هـ.

راجع: طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٦٧، تاريخ بغداد ١٢/١٠٢.

(٥) ساقطة من: د.

قال أبو عبد الله الحليمي[1]: يريد ليلة خمس وعشرين.

وفي (كتاب)[2] الأسماء والصفات للبيهقي: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سأله عطية بن الأسود فقال: قد وقع في قلبي الشك في قول الله تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن**﴾[3]. وقوله: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**﴾[4]، وقد أنزل في شوال، وذي القعدة، وذي الحجة، يعني: وغير ذلك من الأشهر؟.

فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة، جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم، رسلاً[5] في الشهور والأيام.

قال البيهقي في معنى قوله: «أنزل القرآن لأربع وعشرين»: إنما أراد - والله أعلم - نزول المَلَك بالقرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا[6].

وقال في معنى قوله: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾[7]، يريد - والله أعلم - إنا أسمعناه الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك متنقلاً به من علو إلى سفل[8].

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي ولد سنة ٣٣٨ هـ بجرجان، وقيل: ببخاري، قال الذهبي: العلامة البارع، رئيس أهل الحديث بما وراء النهر... وكان من أذكياء زمانه ومن فرسان النظر. اهـ. حدث عنه أبو عبد الله صاحب المستدرك، وتوفي في ربيع الأول سنة ٤٠٣ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣/١٠٣٠.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٤) سورة الدخان آية ٣.

(٥) ضبطه في النهاية ٢/٢٢٢: بفتح الراء والسين، ومعناه: التفرق والتتابع.

(٦) الأسماء والصفات ص ٢٣٤.

(٧) سورة القدر آية ١.

(٨) الأسماء والصفات ص ٢٣٥.

ولأبي عبيد في الفضائل، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك نجوماً إلى النبي ﷺ في عشرين سنة، وقرأ: [﴿ **ولا يأتونك بمَثَل إلا جئناك بالحق وأحسنَ تفسيراً** ﴾][1] [2]، و﴿ **وقرآنا فَرَقْنَاه لتقرأه على الناس على مُكْثٍ ونزَّلناه تنزيلاً** ﴾ [3].

قال أبو شامة: أخرجه الحاكم أبو عبد الله في كتاب «المستدرك» وقال: حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه[4].

وأخرج أبو القاسم الأصفهاني في الترغيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن في النصف من (شهر)[5] رمضان إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة ثم أنزل على رسول الله ﷺ في عشرين سنة[6]، جواب كلام الناس.

---

(١) سورة الفرقان آية ٣٣.

(٢) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٣) سورة الاسراء آية ١٠٦.

(٤) المستدرك: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر الى السماء الدنيا ٢/٢٢٢.
وأقره الذهبي في التلخيص.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) اختلف العلماء، في مدة نزول القرآن، هل هي عشرون سنة، أو ثلاث وعشرون، أو خمس وعشرون؟
وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف في مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة، هل كانت عشر سنين، أو ثلاث عشرة، أو خمس عشرة؟.
وقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٢٢٤/ط بيروت) عن بعض الصحابة والتابعين هذه الأقوال الثلاثة في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة.
قال الشيخ عبد الوهاب غزلان في «البيان» ص ٦١: والذي يهدي إلى الصواب في =

وللحاكم وقال: صحيح على شرطهما، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عنه أيضاً[1]، والطبراني في الكبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ إنَّا أنزلناه في ليلة القَدْر ﴾ قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم، وكان ينزل على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض قال: «وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملةً واحدةً كذلك لِنُثَبِّت به فؤادك ورتَّلْناه ترتيلاً»[2].

= هذه المسألة، هو: أنه لا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم نبيء وهو ابن أربعين سنة، ولا خلاف ـ أيضاً ـ: في أنه أقام بالمدينة عشر سنين، فإذا ثبت: أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، تعين أن مدة إقامته بمكة بعد النبوة كانت ثلاث عشرة سنة، وهذا هو ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في باب وفاته صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر ابن سعد في كتاب الطبقات ثلاث روايات في سنه صلى الله عليه وسلم عند الوفاة، هل كانت ستين سنة، أو ثلاثاً وستين، أو خمساً وستين؟.

إلا أن كونها ثلاثاً وستين، أورده من روايات كثيرة، منها ثلاث طرق عن ابن عباس، وطريقان عن عائشة، وطريقان عن سعيد بن المسيِّب، ثم قال عقب هذه الروايات الكثيرة: وهذا هو الثبت إن شاء الله.

وقد ذكر صاحب الفتح ١٥١/٦: الأقوال الثلاثة المتقدمة في سنه صلى الله عليه وسلم عند الوفاة، وعزا إلى الجمهور القول بأنها ثلاث وستون ثم قال: والحاصل: أن كل من رُوي عنه من الصحابة ما يخالف المشهور ـ وهو ثلاث وستون ـ جاء عنه المشهور، وهم: ابن عباس، وعائشة، وأنس، ولم يختلف على معاوية أنه عاش ثلاثاً وستين، وبه جزم سعيد بن المسيب والشّعْبي ومجاهد. وقال أحمد: هو الثبت عندنا.

وقد جمع السهيلي بين القول بأن مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة، وبين القول بأنها عشر فقط فقال: جاء في بعض الروايات المسندة: أن مدة الفترة سنتان ونصف سنة، ومدة الرؤيا ستة أشهر فمن قال: مكث عشر سنين، حذف مدة الرؤيا والفترة، ومن قال: ثلاث عشرة سنة أضافهما.

(١) يعني: عن الحاكم.

(٢) المستدرك: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ٢٢٢/٢
والأسماء والصفات ص ٢٣٤.

وأسند البيهقي في الدلائل والشعب، والواحدي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فرق في السنين، وتلا الآية: ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ قال: نزل متفرقاً.

قال أبو شامة: هو من قولهم: نَجَّم عليه الدية، أي قطَّعها، فلما قطع الله سبحانه وتعالى القرآن، وأنزله متفرقاً، قيل لتقاربه: نجوم، ومواقعها: مساقطها وهي أوقات نزولها.

وروى أبو العباس أحمد بن علي المَوْهبي بسند حسن إن شاء الله، عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: تَعَلَّموا القرآن خمساً خمساً، فإن جبريل نزل به خمساً خمساً.

وفي الطبراني الكبير، وفي كتاب المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه والأسماء والصفات للبيهقي عن الحاكم، عن ابن عباس - أيضاً - رضي الله عنهما قال: فُصِل القرآن من الذكر(١)، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل يُنَزِّله على النبي ﷺ يرَتِّله ترتيلاً(٢).

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة(٣) في كتاب «ثواب القرآن» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ قال:

---

(١) يعني: اللوح المحفوظ.

(٢) المستدرك: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر الى السماء الدنيا ٢/٢٢٣.
والأسماء والصفات ص ٢٣٤.

(٣) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، الكوفي، صاحب المسند والمصنّف، سمع الحديث من ابن المبارك وابن عيينة، وشريك القاضي، وطبقتهم، وروى عنه أبو زرعة، والبخاري، ومسلم وأبو داود وابن ماجه، وغيرهم من أعلام المحدثين، ومات - رحمه الله - في المحرم سنة ٢٣٥ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٤٣٢، البداية والنهاية ١٠/٣١٥.

دفع إلى جبريل في ليلة القدر جملة، فوضع في بيت العزة، ثم جعل ينزل تنزيلاً.

وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» من طريق أبي داود، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فقال: ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجلّ[1].

فضل كلام الله على سائر الكلام

وروى الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ، فخرج علينا فقال: ما هذا الذي تكتبون؟، فقلنا: ما نسمع منك. فقال: أَكِتَاب مع كتاب الله؟. امحضوا[2] كتاب الله وأخلصوه[3]، قال: فجمعنا ما كتبناه في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار، فقلنا: أنتحدث عنك؟ قال: نعم. تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار، قال: قلنا: يا رسول الله، أنتحدث

---

(١) الأسماء والصفات ص ١٨٧.
وسنن أبي داود: كتاب السنة، باب في القرآن ٤/٢٣٤ حديث رقم ٤٧٣٤.
وأخرجه الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ماجاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ٤/٢٥٥ حديث رقم ٣٠٩٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
والدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب القرآن كلام الله ٢/٤٤٠.
والامام أحمد في المسند ٣/٣٩٠.
وابن ماجه: المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ١/٧٣ حديث رقم ٢٠١
قال المنذري في مختصر السنن ٧/١٢٣: وأخرجه النسائي.
وذكره ابن الأثير في جامع الأصول ١١/٢٩١ حديث رقم ٨٨٦٥.
(٢) هذا اللفظ يفسره ما بعده، فهو بمعنى أَخْلِصُوه.
(٣) في المسند: «أو أخلصوه» على الشك من الراوي.

عن بني إسرائيل؟، قال: نعم[1] فحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنكم لا تَحَدَّثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه[2].

وروى الشيخان والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ما من الأنبياء (نبي)[3] إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن[4] عليه البشر[5] وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ[6]، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة[7].

وروى مسلم في صفة النار، والنسائي في «فضائل القرآن»، عن عياض

---

(١) قال ابن العربي في شرح الترمذي ١٠/١٣٦: أذن في الحديث عن بني إسرائيل مما سمع عنهم مما فيه عبرة، ويورث خشية، ويأتي بموعظة، فقد أخبر الله في كتابه عنهم، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم بما أوحى إليه. اهـ.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/١٢.

(٣) زيادة عن صحيح البخاري.

(٤) في رواية للبخاري: أُومن، أو أمِنَ.

(٥) قال الحافظ في الفتح ٩/٦: والمعنى أن كل نبي أعطى آية أو أكثر، من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها، و «عليه» بمعنى اللام، أو الباء الموحدة، والنكتة في التعبير بها، تَضمُّنُها معنى الغلبة، أي يؤمن بذلك مغلوبا عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه، لكن قد يجحد فيعاند، كما قال الله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً» اهـ.

(٦) قال في الفتح ٩/٦: أي أن معجزتي التي تحدَّيتُ بها، الوحي الذي أنزل عليَّ وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات من تقدمه، بل المراد: أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره، اهـ.

(٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ٦/٢٢٤ وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: بعثت بجوامع الكلم ٩/٧٥.
وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/١٨٦.

بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوماً في خطبته: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا[1]، كل مال نَحَلْتُه عبداً حلالٌ[2]، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم[3]، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم[4]، وحرمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وأن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وَعجمهم[5]، إلا بقايا من أهل الكتاب[6] وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك[7]، وأنزلت عليك كتاباً، لا يغسله الماء[8]، تقرأه نائماً ويقظان[9].

---

(١) قال النووي: في الكلام حذف، أي قال الله تعالى: كل مال أعطيته عبداً فهوا حلال.

(٢) قال النووي: المراد منه: إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحام، وغير ذلك، وأنها لم تصر حراماً بتحريمهم، وكل مال ملكه الله العبد فهو حلال، حتى يتعلق به حق.

(٣) قال النووي: أي مسلمين، وقيل: طلهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين بقبول الهداية، وقيل: المراد: حين أخذ عليهم العهد في الذروقال: ألست بربكم.

(٤) قال النووي: أي استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل.

(٥) المقت: أشد البغض، والمراد بهذا المقت والنظر: ما كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قاله النووي.

(٦) المراد ببقايا أهل الكتاب: الباقون منهم على التمسك بدينهم الذي دلهم عليه أنبياؤهم «من غير تبديل منهم ولا تحريف.

(٧) قال النووي: معناه: لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة، وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده، والصبر في الله تعالى وغير ذلك، وأبتلي بك من أرسلتك إليهم، فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعته، ومن يتخلف ويتأيد بالعداوة والكفر، ومن ينافق. اهـ.

(٨) قال النووي: معناه: محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليف الذَّهاب، بل يبقى على مر الأزمان.

(٩) صحيح مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب صفة أهل النار ١٧/١٩٧.
ومسند الإمام أحمد ٤/١٦٢.

وروى الشيخان، والترمذي، والنسائي، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار .

وللطبراني والبيهقي في كتاب «الزهد»، عن معاذ رضي الله عنه قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فمشى ميلاً، ثم قال: أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم وحفظ الجار، وكظم الغيظ، ولين الكلام، وبذل السلام، ولزوم الإمام، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل، وأنهاك أن تشتم مسلماً، أو تصدق كاذباً، أو تكذِّب صادقاً، أو تعصي إماماً عادلاً، أو أن تفسد في الأرض، يا معاذ، أذكر الله عند كل شجر وحجر، وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر، والعلانية بالعلانية.

وروي الترمذي: والدارمي، عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليٍّ رضي الله عنه فأخبرته فقال: أو قد فعلوها؟. قلت نعم. قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتابُ الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن ٣/٣٣٢ وكتاب التمني، باب تَمني القرآن والعلم من حديث أبي هريرة ٩/٦٩.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٦/٩٧.
وصحيح الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد ٣/٢٢١ حديث رقم ٢٠١.

المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به[1] الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبة وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم[2].

ورواه الإمام أحمد، والدارمي، وأبو يعلى بلفظ: أن علياً رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعدك، فقلت: فأين المخرج يا جبريل؟، قال: كتاب الله، به يقصم الله كل جبار، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك ـ مرتين ـ قول فصل. الحديث[3].

ولفظ الدارمي: الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه[4] الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، ومن ولى هذا الأمر من جبار فحكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين. الحديث[5].

ورواه الطبراني بسند ـ قال الهيثمي: فيه عمرو بن واقد، وهو

---

(١) في د: «فيه». وما أثبتناه موافق لما في الترمذي.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن ٤/٢٤٥ حديث رقم ٣٧٠. وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، واسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٣١٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ١/٩١
وتمامه: وليس بالهزل، لا تختلقه الألسن، ولا تفني أعاجيبه، فيه نبأ ما كان قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبر ما هو كائن بعدكم.

(٤) في د: لم.

(٥) سنن الدرامي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٣١٣.

متروك[1] ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً الفتن فعظمها وشددها، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله. الحديث جميعه.

وروى أبو عبيد في الفضائل، والترمذي في الأمثال من جامعة وقال: حسن غريب والنسائي في التفسير، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول: أدخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يقول من فوق الصراط ـ قال الترمذي: والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ـ فإذا أحد فتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويلك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فإن الصراط: الإسلام والستور حدود الله ـ قال: الترمذي: فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر ـ والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط، القرآن والذي من فوقه: واعظ الله في قلب كل مسلم[2].

وسيأتي في سورة الأنعام عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعن العرباض رضي الله عنه.

وروى الطبراني في الصغير ـ من وجه ضعيف ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من أصبح حزيناً على الدنيا، أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به، فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغني لينال مما في يده، أسخط الله عز وجل، ومن أعطى القرآن فدخل النار فأبعده الله[3].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده ٤/٢٢٢ حديث رقم ٣٠١٩ مختصراً.

(٣) المعجم الصغير ١/٢٥٧.

ولمسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها(١).

وقال ابن هشام في السيرة في أوائل الهجرة، قال ابن اسحاق: ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى، فقال: إن الحمد لله، أحمده وأستعينه نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله (تبارك وتعالى)(٢). قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا ما (أحب الله)(٣)، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تَمَلّوا كلام الله وذكره ولا تقسُ عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي، فقد سماه الله خيرته من الأعمال، ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حق تقاته، وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابُّوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن يُنكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ٣/١٠٠

ومعنى قوله: «كل الناس يغدو...» الخ:

قال الإمام النووي في شرح مسلم: معناه: كل إنسان يسعى بنفسه، فمنهم من يبيعها لله بطاعته، فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى، باتباعها فيوبقها، أي يهلكها. اهـ.

(٢) زيادة عن ابن هشام.

(٣) زيادة عن ابن هشام.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٠١.

وقال الحافظ زين الدين: عبد الرحمن بن رجب في كتاب «الاستغناء بالقرآن»: وخرج الطبراني في الطولات بإسناد ضعيف، أن النبي ﷺ كتب للعلاء بن الحضرمي[1] حين بعثه إلى البحرين عهداً، وذكر فيه: كتاب الله، فيه تبيان لما كان قبلكم، وما هو كائن بعدكم، ليكون حاجزاً للناس، حجز الله بعضهم عن بعض، وهو كتاب الله، مهيمن على الكتب، مصدق لما فيها من التوراة والانجيل والزبور، ويخبركم الله فيه بما كان قبلكم مما فاتكم دركه في آبائكم الأولين، الذين أتتهم رسل الله وأنبياؤه، كيف كان جوابهم لرسله، وكيف كان تصديقهم بآيات الله وكيف كان تكذيبهم بآيات الله، فأخبركم الله في كتابه هذا شأنهم وأعمالهم، وأعمال من هلك منهم بذنبه، لتجتنبوا مثل ذلك أن تعملوا به، لكي لا يحل عليكم من سخطه ونقمته، مثل الذي حل عليهم من سوء أعمالهم، وتهاونهم بأمر الله، وأخبركم في كتابه هذا بأخبار من نجا ممن كان قبلكم، لكي تعملوا مثل أعمالهم، فكتب لكم في كتابه هذا تبيان ذلك كله، رحمة منه لكم، وشفقة من ربكم عليكم، وهو هدى الله من الضلالة، وتبيان من العمى، وإقالة من العثرة، ونجاة من الفتنة، ونور من الظلمة، وشفاء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان ما بين الدنيا والآخرة، فيه كمال دينكم.

فذكره حتى قال: من عمل بما فيه نجا، ومن اتبع ما فيه اهتدى، ومن خاصم به فلح، ومن قاتل به نصر، ومن تركه ضل، حتى يراجعه، تعلموا ما فيه، وأسمعوه آذانكم، وأودعوه أجوافكم، واستخلصوه قلوبكم، فإنه نور للأبصار، وربيع للقلوب، وشفاء لما في الصدور.

وروى أحمد، والترمذي، والنسائي، عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ثلاث يحبهم الله، حتى قال: وقوم ساروا ليلتهم، حتى إذا

---

(١) قال الذهبي في التجريد ١/٣٨٨: العلاء بن الحضرمي ـ اسم الحضرمي عبد الله بن عباد، أو ابن عمار ـ معروف. مات سنة ٢١ هجرية.

كان النوم أحب إليهم مما يعدل بـه، فوضعـوا رؤوسهم، فقام أحـدهم يتملقني(١) ويتلوا آياتي(٢).

وللبيهقي عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله ﷺ خطب بعد ما قدم المدينة، فقال في خطبته: إن أحسن الحديث كتاب الله، أفلح من زيَّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، وأحبو الله من كل قلوبكم.

وقال الإمام الغزالي (٣) في كتاب «فضل القرآن من الأحياء»: وقال إلا ما أحمد ابن حنبل: رأيت الله عز وجل في المنام، فقلت: يا رب ما أفضل ما

---

(١) الملق بالتحريك، قال في النهاية ٣٥٨/٤: الزيادة في التودد، والدعاء والتضرع.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٥٣/٥.
وصحيح الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة ٤ /١٠٠ حديث رقم ٢٦٩٦ وقال: هذا حديث صحيح.
وسنن النسائي: كتاب قيام الليل، باب فضل صلاة الليل في السفر ٢٠٧/٣ ونص الحديث: ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قوماً فسألهم بالله، ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعيانهم فأعطاه سراً، لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب اليهم مما يعدل به، فوضعوا رؤوسهم قام رجل يتملقني ويتلو آياتي، ورجل كان في سَرِيَّة فلقى العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل، أو يفتح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله : الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم.

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغَزَالي، المعروف بحجة الإسلام ولد سنة ٤٥٠ هـ بمدينة طوس إحدى مدن خراسان، ودرس الفقه والأصول والجدل والكلام وغيرها على أبي المعالي عبد الملك الجويني إمام الحرمين وعمل مدرساً بالمدرسة النظامية سنة ٤٨٤ هـ، وزار دمشق والقاهرة ومكة والمدينة، ثم انقطع إلى العبادة في آخـر حياته، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ بمدينة طوس مسقط رأسه.
راجع: الأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك.

يتقرب به المتقربون إليك؟، قال: كلامي يا أحمد، قال: قلت: يا رب بفهم، أم بغير فهم؟، قال: بفهم وبغير فهم[1].

وسيأتي في الأعراف ويس ما يتصل بهذا عن حمزة الزيات.

وللإمام أحمد - وهذا لفظه - وأبي داود، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وصححه - وقال الدارقطني: اسناده صالح، وعلق البخاري بعضه في صحيحه[2] - عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة[3] (من نجد)[4] فغشينا داراً من دور المشركين، فأصبنا امرأة رجل منهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً، وجاء صاحبها وكان غائباً، فذكر له مصابُها، فحلف لا يرجع[5] حتى يهريق[6] من أصحاب رسول الله ﷺ دماً، فلما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق نزل في شِعْب من الشِّعَاب، فقال: من رجلان يكلأننا[7] في ليلتنا هذه من عدونا؟ فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، نحن نكلؤك يا رسول الله، فخرجنا إلى فم الشعب دون العسكر، ثم قال الأنصاري للمهاجري، أتكفيني أول الليل وأكفيك آخره، أم تكفيني آخره وأكفيك أوله؟. فقال المهاجري: بل أكفني أوله وأكفيك آخره، فنام المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، وافتتح بسورة من القرآن، فبينما هو فيها يقرؤها، جاء زوج المرأة، فلما رأى الرجل

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٤٩٧/ط الشعب.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين من القبل والدّبر ١/٢٨٠. قال الحافظ في الفتح ١/٢٨٠: هذا التعليق وصله سعيد بن منصور والدارقطني وغيرهما، اهـ.

(٣) جاء في البخاري وصحيح ابن خزيمة، وسنن أبي داود والدار قطني، وسيرة ابن هشام، ورواية عند احمد: أنها غزوة ذات الرقاع.

(٤) زيادة عن مسند أحمد.

(٥) وفي رواية لأحمد: ألا ينتهي.

(٦) في مسند أحمد: في.

(٧) في رواية لأحمد وأبي داود والحاكم وابن خزيمة: من رجل يكلؤنا.

قائماً يصلي، وعرف أنه ربيئة[1] القوم، فنزع له بسهم فوضعه فيه، قال: فينزعه فيضعه[2] وهو قائم يقرأ السورة التي هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر فوضعه فيه، فانتزعه فوضعه وهو قائم يصلي في السورة التي هو فيها، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، ثم عاد له زوج المرأة الثالثة بسهم فوضعه فيه فانتزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: اقعد فقد أُتيتُ[3] فجلس المهاجري، فلما رآهما صاحب المرأة هرب وعرف أنه قد نذر به[4]، قال: وإذا الأنصاري يفوج[5] دماً من رميات صاحب المرأة، فقال له أخوه المهاجري: يغفر الله لك، ألا كنت آذنتني[6] أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة من القرآن قد افتتحتها أصلي بها، فكرهت أن أقطعها وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها[7].

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٢/٥٦ وجامع الأصول ٧/٢٠٤: الربيئة: الذي يحفظ القوم، ويتطلع لهم خبر العدو لئلا يهجم عليهم.

(٢) الضمير عائد على الرجل الأنصاري الذي قام يصلي.

(٣) في سنن الدار قطني ومستدرك الحاكم وسيرة ابن هشام: أُثْبِتُ ومعناها: جُرحت.

(٤) نذر به ـ من باب علم ـ إذا علم به وعُرف مكانه.

(٥) في مسند أحمد: يموج.

(٦) في رواية لأحمد والحاكم وابن خزيمة: أَهْبَبْتَني.
وعند أبي داود وفي رواية للدار قطني: أنبهتني. والكل بمعنى واحد.

(٧) مسند الإمام أحمد ٣/٣٤٥، ٣/٣٥٩.
وسنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب الوضوء من الدم ١/٥٠ حديث رقم ١٩٨.
ومستدرك الحاكم: كتاب الطهارة، باب عدم انتقاض الصلاة من سيلان الدم ١/١٥٦.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الوضوء، باب ذكر الخبر الدال على أن خروج الدم من غير مخرج الحدث لا يوجب الوضوء ١/٢٤ حديث رقم ٣٦.
وسنن الدار قطني: كتاب الطهارة، باب جواز الصلاة مع خروج الدم السائل من البدن ١/٢٢٣.

وقيل: إن الرجلين: عمار بن ياسر، وعبّاد بن بشر، رضي الله عنهما[٢].

وروى ابن المبارك في الزهد، عن أبي ريحانة[٢]- وكان من أصحاب

= وأخرجه ابن المبارك في الجهاد ص ١٥١.
وابن هشام في السيرة ٢٠٨/٣.
وهو في مختصر سنن أبي داود للمنذري ١٤٢/١ حديث رقم ١٨٦.
وجامع الأصول لابن الأثير ٢٠٣/٧ حديث رقم ٥٢٢٦.
وفيه محمد بن اسحاق، احتج به مسلم في صحيحه. وصححه الحاكم في المستدرك والذهبي في التلخيص، وابن خزيمة في صحيحه.
قال الخطابي في معالم السنن ١٤٢/١: وقد يحتج بهذا الحديث من لا يرى خروج الدم وسيلانه من غير السبيلين ناقضاً للطهارة، ويقول: لو كان ناقضاً للطهارة، لكانت صلاة الأنصارى تفسد بسيلان الدم أول ما أصابته الرمية ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يركع ويسجد وهو مُحدِث، والى هذا ذهب الشافعي. اهـ.
أقول: وروى الدار قطني في سننه ١٥٢/١: أن عمر صلى وجرحه يثغب دماً. وروى البخاري عن أبي هريرة: أنه قال: لا وضوء إلا من حدث. وعن ابن عمر: أنه عصر بثرة فخرج منها الدم ولم يتوضأ، وعن ابن أبي أوفى: أنه بزق دماً فمضى في صلاته.
وروى البخاري عن الحسن أنه قال: ما زال المسلمون يصلون في جراحاتهم.

(١) قاله الواقدي في المغازي ٣٩٧/١، وابن هشام في السيرة ٢٠٨/٣ وفي هامش مختصر سنن أبي داود للمنذري: هما عمار بن ياسر وعباد ابن بشر، أو يقال: الأنصاري هو عمارة بن حزم، والمشهور الأول، والمصلي: هو عباد بن بشر، والسورة: هي سورة الكهف، حكاه أبو بكر البيهقي. اهـ.
قال الحافظ في الفتح ٢٨١/١: وأخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر وسمى الأنصاري المذكور: عباد بن بشر. والمهاجري: عمار بن ياسر، والسورة: الكهف. اهـ.

(٢) هو شمعون بن يزيد بن خنافة أبو ريحانة الأنصاري الأزدي، وقيل: كان قرظياً حليفاً للأنصار، وكان مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنته ريحانة سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مشهور بكنيته. وكان من النجباء الزاهدين في الدنيا، قدم مصر في مَنْ قدم إليها من الصحابة، وسكن بيت المقدس، وروى عنه الشاميون.
راجع: الإصابة ١٥٣/٢، الاستيعاب على هامش الإصابة ١٥٨/٢، تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٢٥٩/١، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٨٨/٤.

رسول الله ﷺ - أنه قفل[1] من بعض غزواته، فلما انصرف أتى أهله فتعشى، ثم دعا بوضوء[2] فتوضأ منه، ثم قام إلى مسجده، فقرأ سورة ثم أخرى، فلم يزل ذلك مكانه كلما فرغ من سورة افتتح أخرى، حتى إذا أذن المؤذن شدّ عليه ثيابه، فأتته امرأته فقالت: يا أبا ريحانة، قد غزوتَ فتعبتَ في غزوك، ثم قدمت، ألم يكن لي حظ ونصيب؟. فقال: بلى، والله ما خطرتِ لي على بال، فلو ذكرتكِ لكان عليّ حق، قالت: فما يشغلك يا أبا ريحانة؟ قال: لم يزل يهوى قلبي فيما وصف الله عز وجل في جنته من لباسها وأزواجها، ونعيمها ولذاتها، حتى سمعت المؤذن[3].

وروى الحافظ أبو عبدالله بن منده[4]، عن اسماعيل بن طلحة بن عبيدالله، عن أبيه رضي الله عنه قال: أردت مالي بالغابة[5]، فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبدالله بن عمرو بن حزام رضي الله عنه، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له،

---

(١) قال في النهاية ٩٢/٤: قفل يقفل: إذا عاد من سفره.

(٢) وضوء بفتح الواو، قال في اللسان ١٩٤/١: الوضوء - بالفتح -: الماء الذي يتوضأ به.

(٣) كتاب الزهد ص ٣٠٤ أثر رقم ٨٧٦.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٨/٢.
وابن حجر في الإصابة ١٥٣/٢.

(٤) هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد، بن يحيى، بن منده واسم منده: ابراهيم بن الوليد، الأصبهاني، ولد سنة ٣١٠ هـ، وسمع أباه وابن القطان، والكرماني، وعدة الشيوخ الذين أخذ عنهم ألف وسبعمائة شيخ. قال الحافظ الذهبي: وما بلغنا أن أحداً من هذه الأمة سمع ما سمع، ولا جمع ما جمع، وكان ختام الرحالين، وفرد المكثرين، مع الحفظ والمعرفة والصدق وكثرة التصانيف. اهـ، وتوفي رحمه الله في ذي القعدة سنة ٣٩٥ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٣٤/٣.

(٥) قال السمهودي في وفاء الوفا ١٢٧٥/٢: الغاية في أسفل سافلة المدينة وهي مغيض أوديتها. اهـ.

فقال: ذلك عبدالله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم، فجعلها في قناديل من زبرجد، وياقوت، وعلقها وسط الجنة، فإذا كان الليل رُدَّت إليهم أرواحهم، فلا تزال كذلك، حتى إذا طلع الفجر، رُدَّت أرواحهم إلى مكانهم التي كانت (فيه)[(1)].

ويأتي في العنكبوت قراءة ميت[(2)].

وروى من طريق الحافظ أبي بكر الخطيب قال: أنا محمد بن جعفر بن علان أنا عيسى بن محمد الطوطري قال: رأيت أبا بكر بن مجاهد المقرىء في النوم كأنه يقرأ، وكأني أقول له: يا سيدي أنت ميت وتقرأ؟، فكأنه يقول لي: كنت أدعو في دبر كل صلاة، وعند ختم القرآن، أن يجعلني ممن يقرأ في قبره.

وروى أبو بكر الخلال[(3)] في كتاب «السنة» عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمن يعطي مصحفاً في قبره يقرأ فيه.

وذكر أبو الحسن بن البراء في كتابه «الروضة» عن ابراهيم الحفار قال: حفرت قبراً، فبدت لَبِنَةٌ من القبر، فشممت رائحة المسك، حين انفتحت اللَّبِنَة فإذا بشيخ جالس في قبره يقرأ.

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول

---

(١) زيادة عن: د.

(٢) في د: الميت.

(٣) هو العلامة المحدث أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي مؤلف عِلْم الإمام بن حنبل ومُرتِّبه وجامعه، سمع أبا بكر المروزي وصنف كتاب «السنة» وكتاب «العلل» وكتاب «الجامع». قال الذهبي: وتصانيفه تدل على سعة علمه.
وتوفي الخلال في شهر ربيع الأول سنة ٣١١ هجرية، ودفن الى جنب أبي بكر المروزي.
راجع: تذكرة الحفاظ ٧٨٥/٢.

الله ﷺ: نمت (في فراشي)[1]، فرأيت الجنة، فسمعت صوت قارىء يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان، فقال النبي ﷺ: كذاك البَرُّ، كذاك البَرُّ، وكان أبر الناس بأمه[2].

قال ابن رجب: أخرجاه.

وذكر أبوالشيخ الأصبهاني الحافظ[3]، عن صالح بن حبان، عن عبدالله بن بريدة قال: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبَّار جل جلاله، فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه، على منابر الدر والياقوت والزبرجد، والذهب، والزمرد، فلم تَقَرَّ أعينهم بشيء، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين، قريرة أعينهم، إلى مثلها من الغد.

قال: وذكر يحيى بن سلام[4] قال: أخبرني رجل من أهل الكوفة، عن داود بن أبي هند، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل يوم جمعة، على كثيب من كافور، لا يرى طرفاه، وفيه نهر جار، حافتاه المسك، عليه جوار يقرأن القرآن بأحسن أصوات الأولون والآخرون.

---

(١) لا وجود لها في المسند.

(٢) مسند الإمام أحمد ٦/١٥١ ـ ١٦٧.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، الأنصاري، الأصبهاني ويعرف بأبي الشيخ، كان محدثاً حافظاً، مفسراً مؤرخاً، توفي في أواخر المحرم سنة ٣٩٩ هـ، له من الكتب: التفسير، كتاب عظمة الله، التاريخ كتاب الثواب، طبقات المحدثين.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣/١٤٧، شذرات الذهب ٣/٦٨.

(٤) هو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي، البصري، كان مفسراً فقيهاً، عالماً بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم، ولد بالكوفة سنة ١٢٤هـ، وانتقل إلى البصرة، فنشأ بها وإليها ينسب، ورحل إلى مصر، ومات بها أثناء عودته من الحج، سنة ٢٠٠ هجرية.
راجع: ميزان الاعتدال ٣/٢٩٠، لسان الميزان ٦/٢٥٩ طبقات القراء ٢/٣٧٣.

وقال ابن وهب(١): حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: قال رجل لابن شهاب(٢): هل في الجنة سماع؟، قال: أي والذي نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات، يتغنين بالقرآن، يقلن: نحن الناعمات فلا نيأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً، فلا يدري أأصوات الجواري أحسن، أم أصوات الشجر.

وروى أبو عبيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لقارىء القرآن أن يعرف إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس يفطرون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون.

قال: وأحسبه قال: وبحزنه إذ الناس يفرحون.

وروى أبو نعيم عن أبي حازم(٣) قال: كنت ترى حامل القرآن في

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري، المصري، فقيه مالكي، صحب الإمام مالك عشرين سنة، جمع بين الفقه والرواية والعبادة، وله تصانيف كثيرة طلبه الخليفة ليتولى قضاء مصر، فاختبأ ولزم بيته، وتوفي بمصر سنة ١٩٧ هـ ومن كتبه: الجامع في الحديث، والموطأ، في الحديث أيضاً.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٢٧٩، لسان الميزان ٦/٦٠٤.

(٢) هو أبو بر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني أول من دَوَّن الحديث، وأحد أكابر الفقهاء المحدثين، ومن أعلام التابعين، ولد بالمدينة سنة ٥٠ هجرية على خلاف في ذلك، ورأى عشرة من الصحابة، وروى عنه مالك، والسفيانان: الثوري، وابن عيينة، واستقر بالشام، وتوفي سنة ١٢٤ أو ١٢٥ هـ.
راجع: غاية النهاية ٢/٢٦٢، وفيات الأعيان ٣/٣١٧.

(٣) هو أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي المدني مولاهم، الواعظ الزاهد كان فقيهاً ثبتا، كثير العلم، كبير القدر، سمع سهل بن سعد الساعدي وسعيد بن المسيب، والنعمان ابن أبي عياش. وتوفي سنة ١٤٠ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٣٣، والحلية ٣/٢٢٨.

خمسين رجلاً فتعرفه، قد خضعه[1] القرآن، فأدركت القراء الذين هم القراء، فأما اليوم فليسوا بقراء، ولكنهم خراء[2].

وروى ابن أبي الدنيا[3] في كتاب «المعروف» عن الفضيل بن عياض[4] معضلاً قال: بلغني أن نبي الله ﷺ قال: إذا عظَّمت أمتي الدينار والدرهم، نُزِع منها هيبةُ الإسلام. وإذا تركوا الأمر بالمعروف، حرموا بركة الوحي.

قال الغزالي[5]: قال الفضيل: يعني: حرموا فهم القرآن، فقد شرط الله الإنابة في الفهم، فقال: «وما يتذكروا إلا من ينيب»[6].

ولمسلم وابن ماجة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين[7].

---

(١) في الحلية: «مصعه» بالصاد والعين المهملتين، والمراد: أضعفه.

(٢) الحلية ٣/٢٤٦.

(٣) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، بن سفيان، بن أبي الدنيا، القرشي الأموي البغدادي، مولاهم، المحدث العالم الصادق، صاحب التصانيف ولد سنة ٢٠٨ وسمع علي بن الجعد، وخلف بن هشام، وخلائق عدة. وحدث عنه ابن خزيمة، وأبو بكر الشافعي، والحارث بن أبي أسامة مع تقدمه وتوفي سنة ٢٨١ هـ في جمادي الأولى.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٦٧٧.

(٤) هو الإمام القدوة أبو علي الفصيل بن عياض التميمي اليربوعي المروزي، شيخ الحرم، قال الحافظ الذهبي: سكن مكة وكان إماماً ربّانيّاً، صمدانياً قانتاً، ثقة كبير الشأن، اهـ.

حدث عنه ابن المبارك والشافعي ويحيى القطان، وخلق كثير، وتوفي سنة ١٨٧ هـ وقد نَيَّف على الثمانين.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/٢٤٥.

(٥) الإحياء ١/٥١٥ /ط الشعب.

(٦) سورة غافر آية ١٣.

(٧) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٦/٩٨ وسنن ابن ماجة: المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ١/٧٩ حديث رقم ٢١٨.

ولمسلم والترمذي والنسائي، وابن ماجة، عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءة ـ وفي رواية: للقرآن ـ فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سناً ـ وفي رواية: سِلْماً ـ، ولا يؤمَّن الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته[1] إلا بإذنه[2].

ولعبد بن حميد[3] عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إذا اجتمع ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم.

ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم هجرة، فإن كانوا في ذلك سواء، فليؤمهم أحسنهم وجهاً.

قال أبو عبيد: لا أراها إلا أرادت حسن السمت والهدى[4].

وللبخاري، وأبي داود وهذا لفظه، والنسائي، عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: كنا بحاضر[5] يمر بنا الناس إذا أتوا إلى النبي ﷺ،

(١) التكرمة: الفراش ونحوه، مما يبسط لصاحب المنزل ويختص به.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب من أحق بالامامة ٥/١٧٢.
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة ١/١٤٩ حديث رقم ٢٣٥.
وسنن النسائي: كتاب الإمامة، باب من أحق بالإمامة ٢/٧٦.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب من أحق بالإمامة ١/٣١٣ حديث رقم ٩٨٠.

(٣) هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر، الكِسِّي نسبة إلى «كس» مدينة.

(٤) الغريب ٤/١٩٣.

(٥) قال في النهاية ١/٣٩٩: الحاضر: القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه. =

فكانوا إذا رجعوا مروا بنا، فأخبرونا أن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا وكنت غلاماً حافظاً، فحفظتُ من ذلك قرآناً كثيراً، فانطلق أبو وافد إلى رسول الله ﷺ في نفر من قومه، فعلَّمهم الصلاة وقال: يؤمكم أقرؤكم.

وفي رواية: لما أرادوا أن ينصرفوا، قالوا: يا رسول الله من يؤمنا؟. قال: أكثركم جمعاً للقرآن ـ أو أخذا للقرآن ـ، فلم يكن أحد جمع ما جمعت، فقدَّمُوني وأنا غلام عليَّ شملة[1] لي.

وفي رواية: فكنت أقرأهم لما كنت أحفظ، فقدَّموني، فكنت أؤمهم وعليَّ بردة[2] لي صغيرة صفراء.

وفي رواية: موصلة فيها فتق، فكنت إذا سجدت خرجت إستي[3].

وفي رواية: فكنت إذا سجدت تكشَّفَتْ عني، فقالت امرأة من النساء: وَارُوا عنا عورة قارئكم، فاشتروا لي قميصاً عُمانِيًّا، فما فرحت بشيء ـ بعد الإسلام ـ فرحي به، فكنت أؤمهم وأنا ابن سبع سنين، أو ثماني سنين.

وفي رواية: ما شهدت مَجْمعاً من جَرْم[4] إلا كنت إمامهم، (وكنت[5] أصلي على جنائزهم إلى يومي هذا)[6].

= ويقال للمناهل: المحاضر للاجتماع والحضور عليها. اهـ، وقال الخطابي في معالم السنن ١/٣٠٥: الحاضر: فاعل بمعنى مفعول.

(١) في النهاية ٢/٥٠١ الشملة: كساء يتغطى به، ويتلفف فيه.

(٢) في النهاية ١/١١٦: البردة: الشملة المخططة، وقيل: كساء مربع فيه صغر، تلبسه الأعراب وجمعها برد.

(٣) يعني: دبره.

(٤) جاء في هامش مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ١/٣٠٥: جرم هذا ـ بفتح الجيم، وسكون الراء المهملة، وبعدها ميم ـ هو جرم ابن ربّان من قضاعة، وربان ـ بفتح الراء المهملة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعد الألف نون ـ وفي بجيلة: جرم. وفي عاملة: جرم أيضاً، وفي طيء: جرم أيضاً. اهـ.

(٥) ما بين المربعين زيادة عن سنن أبي داود.

(٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب وقال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب ٥/٩٥.

وقريب من هذا: ما وقع لزيد بن ثابت رضي الله عنه.

قال شيخنا(1) في «الإصـابة في أسـماء الصحابـة»؛ وروى البخاري تعليقاً، والبغوي وأبو يعلى موصولاً، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد(2)، عن أبيه رضي الله عنه قال: أُتِي بي النبيَّ ﷺ مقدمه المدينة، فقيل: هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك(3).

وقال: وقتل أبوه يوم بغاث(4)، قبل الهجرة بخمس سنين، وله يومئذ ست سنين(5). وسيأتي بقية ما يتم به هذا في سورة البقرة إن شاء الله تعالى.

وفي التبيان للنووي: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان القراء أصحـاب مجلس عمر رضي الله عنـه ومُشَاوَرتـه، كُهـولاً وشُبَّـانـاً. رواه البخاري(6).

= وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من أحق بالامامة ١/٢٢٧ حديث رقم ٥٨٥.
وسنن النسائي: كتاب الامامة، باب امامة الغلام قبل أن يحتلم ٢/٨٠.

(1) يعني: الحافظ ابن حجر العسقلاني.

(2) هو ابن ثابت.

(3) وأصرح من ذلك: ما ذكره ابن حجر في الاصابة أيضاً: أن راية بني النجار كانت مع عمارة بن حزم فأخذها منه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعها لزيد بن ثابت فقال عمارة: يا رسول الله، أبلغك عني شي؟. قال؛ لا، ولكن القرآن مقدم.
وأقره الذهبي في التجريد ١/١٩٧.
ولكن قال ابن عبد البر في الاستيعاب على هامش الإصابة ١/٥٣٢: وهذا عندي خبر لا يصح.

(4) لم يقل بغاث ـ بالغين المعجمة ـ إلا الخليل بن أحمد، والأكثرون يقولون: بعاث. وهو مكان على بعد ليلتين من المدينة. ويوم بعاث: وقعة كانت بين الأوس والخزرج.
راجع: معجم ما استعجم ١/٢٥٩.

(5) الإصابة ١/٥٤٣.

(6) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الأعراف ٥/١٩٧، وكتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨/١٤١.

وفيه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنْزِل الناس منازلهم.

رواه أبو داود في سننه(1)، والبزَّار في مسنده.

قال الحاكم أبو عبدالله في «علوم الحديث»: هو حديث حسن صحيح(2).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، عن الله تبارك وتعالى قال: من آذى وليا، فقد آذنته(3) بالحرب، رواه البخاري(4).

وثبت في الصحيحين(5) عنه ﷺ أنه قال: من صلى الصبح، فهو في ذمة الله(6)، فلا يطلبنَّكم الله بشيء من ذمته(7).

---

(1) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ٤/٢٦١ حديث رقم ٤٨٤٢.

(2) معرفة علوم الحديث للحاكم: النوع السادس عشر ص: ٤٩ ط بيروت.

(3) قال الحافظ في الفتح ١١/٣٤٢: أي أعلمته، والإيذان: الإعلام.

(4) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع ٨/٨٩.

قال الفاكهاني: في هذا تهديد شديد لأن من حاربه الله أهلكه، وهو من المجاز البليغ، لأن من كرِه مَنْ أحبَّ خَالَفَ الله ومن خالف الله عانده، ومن عانده أهلكه. اهـ. من الفتح.

(5) لم أعثر عليه في صحيح البخاري، ونسبه ابن الأثير في جامع الأصول ٩/٣٩٨ والنووي في رياض الصالحين ص ٤١٧ إلى مسلم فقط.

(6) كلاءته وحفظه.

(7) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر ٥/١٥٨.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٣١٢، ٣١٣.

والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة العشاء والفجر في جماعة ١/١٤٢ حديث رقم ٢٢٢.

كلهم من حديث جندب بن عبد الله البَجلي القسري العلقي.

وأخرجه الإمام أحمد ٥/١٠ وابن ماجة ٢/١٣٠١ من حديث سمرة بن جندب. =

وعن الإمامين الجليلين: أبي حنيفة والشافعي، قالا: إن لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي.

وقال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر(1) رحمه الله: اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك وجعلنا ممن يخشاه، ويتقيه حق تقاته ـ: أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، وإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة** ﴾(2) الآية. انتهى ما في التبيان(3).

ولأحمد، والترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني في معاجمه الثلاث، عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه في الكبير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة، لا يهولهم الفزع، ولا يفزعون حين يفزع الناس: رجل تعلم القرآن فقام به يطلب وجه الله وما عنده،

= وأخرجه الترمذي: كتاب الفتن ٣/٣١٤ حديث رقم ٢٢٥٣ من حديث أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن غريب.

وتمام الحديث ـ واللفظ لمسلم ـ: فإنه من يطلبه من ذمته بشي يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم.

معنى الحديث: قال في النهاية ٢/١٦٨: أي أن لكل أحد من الله عهداً بالحفظ والكلاءة، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة، أو فعل ما حرم عليه، أو خالف ما أمر به، خذلته ذمة الله تعالى. اهـ.

(1) هو الإمام الحافظ محدث الشام أبو القاسم علي بن الحسن، بن هبة الله، بن عبد الله بن الحسين، بن عساكر، الدمشقي الشافعي. ولد سنة ٤٩٩ هـ.

قال الذهبي: قال السمعاني: أبو القاسم حافظ ثقة، متقن ديِّن، خيِّر حسن السمت، جمع بين معرفة المتن والإسناد، وكان كثير العلم، غزير الفضل صحيح القراءة متثبتاً، رحل وتعب، وبالغ في الطلب، وجمع ما لم يجمعه غيره وأربى على الأقران، اهـ. وتوفي سنة٥٧١ هـ الحادي عشر من رجب.

راجع: تذكرة الحفاظ ٤/١٣٢٨. والبداية والنهاية ١٢/٢٩٤.

(2) سورة النور آية ٦٣.

(3) التبيان ص ٣٤.

ورجل نادى في كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب وجه الله وما عنده، ومملوك لم يمنعه رق الدنيا عن طاعة ربه(١).

وللبخاري وأصحاب السنن الأربعة، عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، ويقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن، فإذا أشير إلى أحدهما: قدمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يغسلهم، ولم يصل عليهم(٢).

وقال عبد الرزاق في جامعه: أخبرنا معمر وابن عيينة، عن أيوب، عن حميد ابن هلال، أخبرني هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنه قال: قتل أبي يوم أحد فقال النبي ﷺ: احفروا وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر، وقدموا أكثرهم قرآناً، فكان(٣) أبي ثالث ثلاثة، وكان أكثرهم قرآناً فَقدِّم(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٦.
وسنن الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة ٤/١٠٠ حديث رقم ٢٦٩٢.
والمعجم الصغير للطبراني ٢/١٢٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب من يقدم في اللحد ٢/٩٤، وكتاب المغازي: باب من قتل من المسلمين يوم أحد ٥/٣٨
وسنن الترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في قتلى أحد ٢/١٤١ حديث رقم ١٠٢.
وسنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب في الشهيد يغسل ٣/١٩٦ حديث رقم ٣١٣٨.
وسنن النسائي: كتاب الجنائز، باب دفن الجماعة في القبر الواحد ٤/٨٣ عن هشام بن عامر.
وسنن ابن ماجة: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم حديث رقم ١٥١٤.

(٣) في د: وكان.

(٤) المصنف: كتاب الجنائز ٢/٥٤٠ حديث رقم ٦٦٣٣، وكتاب الجهاد ٥/٢٧٢ حديث رقم ٩٥٨٠.
وأخرجه الترمذي: كتاب الجهاد، باب ما جاء في دفن الشهداء ٣/١٢٨ حديث رقم =

وأخرجه أبو عبيد عن اسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب به، ولفظه:

قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ القَرْحَ[1] يوم أحد، وقالوا: كيف تأمر بقتلانا؟. قال: احفروا وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا في القبر الاثنين والثلاثة، وقدموا أكثرهم قرآناً، فقدم أبي بين يدي اثنين.

وللشيخين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود[2] ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[3].

= ١٧٦٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
والنسائي: كتاب الجنائز، باب من يقدم ٤/ ٨٣.
والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ١١ من طريق عبد الرزاق.

(١) قال في النهاية ٤/ ٣٥: هو بالفتح والضم: الجرح، وقيل: هو بالضم: الاسم بالفتح: المصدر. أراد ما نالهم من القتل والهزيمة يومئذٍ.

(٢) قال النووي في شرح مسلم ١٥/ ٦٩: روى برفع «أجود» ونصبه، والرفع أصح وأشهر. اهـ.
وقال السندي في شرح النسائي ٤/ ١٢٥: قال ابن الحاجب: الرفع في «أجود» هو الوجه، لأنك إن جعلت في كان ضميراً يعود إلى النبي ﷺ، لم يكن «أجود» بمجرده خبراً، لأنه مضاف إلى «ما يكون» وهو كون، ولا يستقيم الخبر بالكون عما ليس بكون، ألا ترى أنك لا تقول: زيد أجود ما يكون؟. فيجب أن يكون إما مبتدأ خبره قوله «في رمضان» والجملة خبر أو بدلاً من ضمير في كان فيكون من بدل اشتمال، كما تقول: كان زيد عمله حسناً. وان جعلته ضمير الشأن تعين رفع «أجود» على الابتداء والخبر وان لم يجعل في كان ضمير، تعين الرفع على أنه اسمها، والخبر «في رمضان». اهـ.

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ١/ ٥. وكتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ في رمضان ٣/ ٣٣. وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٤/ ٨١. وكتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٤/ ١٦٥. وكتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ٦/ ١٠١.
وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب جوده ﷺ ١٥/ ٦٨.

ولفظ عبد بن حميد: كان رسول الله ﷺ يَعْرِض الكتاب على جبريل عليه السلام في كل رمضان، فإذا أصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي يَعْرِضُ فيها ما يَعْرِض، أصبح وهو أجودُ من الريح المرسلة، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، فلما كان الشهر الذي تُوُفِّيَ بَعْدَهُ، عرض عليه عرضتين.

وللشيخين عن عائشة رضي الله عنها في حديث الوفاة، وأن النبي ﷺ أَسَرَّ إلى فاطمة رضي الله عنها ما أخبرتها به بعد موته ﷺ: أنه قال لها: إن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضه الآن مرتين، قال: وإني لا أرى الأجل إلا وقد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك(١).

وللشيخين ـ وهذا لفظ مسلم ـ عن أنس رضي الله عنه، أن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله ﷺ(٢).

قال أبو شامة: يعني عام وفاته، أو يوم وفاته، يريد: أيام مرضه كلها، كما يقال: يوم الجمل، ويوم صفين(٣).

وفي جامع الأصول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين، وعلم الآخرين، وعلم ما كان، وعلم ما يكون، والعلم بالخالق جل جلاله في أمره وخلقه(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها ١٦/٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي ٦/٢٢٤. وصحيح مسلم: كتاب الأيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢/٢٠٦، وكتاب التفسير ١٨/١٥٢.

(٣) ويدل له لفظ البخاري: عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه: أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفي رسول الله ﷺ بعد.
قال الحافظ في الفتح: أي الزمان الذي وقعت فيه وفاته كان نزول الوحي فيه أكثر من غيره من الأزمنة.

(٤) جامع الأصول ٨/٤٦٤ حديث رقم ٦٢٣٣.

ولمسلم وأبي داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد بن منيع عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله في من عنده[(1)].

وروى عبد الرزاق في جامعه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه حث الناس على السواك، وقال: إن الرجل إذا قام فصلى، دنا الملك يستمع القرآن، فما يزال يدنـو، حتى أنه ليضع فاه علي فيه، فما يلفظ من آية إلا وقعت[(2)] في جوف الملك قال: فطيبوا[(3)] ما هنالِك[(4)].

ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي.

أي فحكمه الرفع. والله أعلم.

قال المنذري: بإسناد جيد لا بأس به، فرفعناه عن علي رضي الله عنه، أنه أمر بالسواك وقال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد إذ تسوك ثم قام يصلي، قام المَلَك خلفه، فيستمع لقراءته، فيدنو منه ـ أو بكلمة نحوها ـ حتى يضع فاه علي فيه، فما يخرج من فيه من شيء من القرآن، إلا صار في جوف الملك، فطَهِّروا أفواهكم للقرآن.

قال المنذري: وروى ابن ماجة بعضه موقوفاً، ولعله أشبه، انتهى[(5)].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١٧/٢١.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ثواب قراء القرآن ٢/٧١. حديث رقم ١٤٥٥.

(٢) في المصنف: وقع.

(٣) في المصنف: «فطبنوا».

قال في النهاية ٣/١١٥: أصل الطبن والطبانة: الفطنة.

(٤) المصنف: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٧ حديث رقم ٤١٨٤.

(٥) الترغيب والترهيب: كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك ١/١٦٧.

ورواه أبو نعيم في الحلية، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أفواهكم طرق القرآن، فطيبوها بالسواك[1].

قال العراقي في تخريجه للإحياء: وكلاهما - أي المرفوع والموقوف - ضعيف[2].

وروى ابن رجب من طريق علي بن أحمد الحمامي، عن الزهري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا تسوك أحدهم، ثم قام يقرأ، طاف به المَلَك يستمع القرآن حتى جعل فاه على فيه، فلا تخرج آية من فيه إلا في المَلَك، وإذا قام ولم يتسوك طاف به الملك ولم يجعل فاه على فيه.

وهذا مرسل جيد، يقوِّي المرفوع والموقوف، في أنه في حكم المرفوع، والله أعلم.

ولأبي نعيم في الحلية، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: إن لكل شيء شرفاً يتباهى به، وإن بهاء أمتي وشرفها القرآن[3].

ولأحمد في المسند، والطبراني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وابن حبان في صحيحه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني قال: عليك بتقوى الله فإنها[4] رأس الأمر كله. قلت: يا رسول الله زدني. قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل، فإنه نور لك في الأرض وفخر لك في السماء قلت: يا رسول الله زدني. قال: عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك في أمر دينك. قلت: زدني: قال: إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه، قلت: زدني. قال: قل

---

(١) الحلية ٤/٢٩٦.
(٢) إحياء علوم الدين ١/٢٣٥/ ط الشعب.
(٣) حلية الأولياء ٢/١٧٥.
(٤) في د: فإنه.

الحق ولو كان مُرًّا، قلت: زدني. قال: لا تخف في الله لومة لائم، قلت: زدني: قال: ليحجزنَّك عن الناس ما تعلم من نفسك[1].

وللدارمي عن عبد الله بن عمرو[2] رضي الله عنه[3] (عن رسول الله ﷺ)[4] أنه قال: القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض، ومَنْ فيهن[5].

وروى الحافظ ابن رجب في كتاب «الفردوس» من رواية شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقرأ الله القرآن، فكأنهم لم يسمعوه، فيحفظه المؤمنون، وينساه المنافقون.

وللبيهقي في الشُّعب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن[6].

وقال الغزالي في كتاب فضل القرآن: وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ثلاثة يزدن في الحفظ، ويذهبن البلغم: السواك، والصوم، وقراءة القرآن[7].

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٥٩/٥.
(٢) في الأصل: عمر. وهو خطأ.
(٣) في الأصل: عنها.
(٤) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام ٣١٧/٢ حديث رقم ٣٣٦١.
(٦) مختلف فيه، راجع الميزان ٢٨٣/٣.
(٧) إحياء علوم الدين ٤٩٧/١ / ط الشعب.

النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو

وللشيخين وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، وأبي عبيد، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى أن يُسَافرَ بالقرآن إلى أرض العدو(١).

قال مالك: أُرَاهُ مخافة أن يناله العدو(٢).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ١٦٨/٣.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب النهي عن أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو ١٣/١٣.
وسنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في المصحف يسافر به إلى أرض العدو ٣٦/٣ حديث رقم ٢٦١٠.
وسنن ابن ماجه: كتاب الجهاد، باب النهي عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ٩٦١/٢ حديث رقم ٢٨٧٩، ٢٨٨٠.
وعلة النهي مذكورة في الحديث عند مسلم وابن ماجه.
فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان ينهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.
وفي رواية لهما: فإني لا آمن أن يناله العدو.
قال الإمام النووي في شرح مسلم ١٣/١٣: فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث، وهي: خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة، ولا منع منه حينئذ لعدم العلة، هذا هو الصحيح، وبه قال أبو حنيفة والبخاري وآخرون اهـ.

(٢) الموطأ: كتاب الجهاد، باب النهي عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ٤٤٦/٢.
وسنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو ٣٦/٣.
غير أن تحديد هذه العلة ليست من كلام مالك رحمه الله. فقد جاء مصرحاً به من قول الرسول ﷺ، كما جاء في حديث مسلم وابن ماجه السابق.
قال الإمام النووي: هذه العلة المذكورة في الحديث هي من كلام النبي ﷺ، وغلط بعض المالكية فزعم أنها من كلام مالك اهـ. من شرح مسلم ١٣/١٣.
وقال الخطابي في معالم السنن ٤١٥/٣: وقد رفع هذه الكلمات أيوب السختياني والليث بن سعد، والضحاك بن عثمان الحزامي، عن نافع عن ابن عمر.
وقال بعضهم: يحتمل أن مالكاً شَكَّ، هل هي من قول النبي ﷺ فجعل ـ لتحريه ـ =

ورواه عبد بن حميد، وأبو بكر الشافعي في الجزء السابع من الغِيلاَنِيَّات، عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: قال رسول الله ﷺ: لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو، فإني أخاف أن ينالوا منه (شيئاً)[1].

وسيأتي في أحاديث جمع القرآن سرّ هذا الخوف.

رفع القرآن

ولابن عبد الحكم في كتاب «الفتوح»، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن والذكر[2] أو الركن[3].

= هذه الزيادة من كلامه على التفسير؟. وإلا فهي صحيحة من قول النبي ﷺ من رواية الثقات اهـ.

وقال الحافظ في الفتح ٦/١٣٤ وهذه الزيادة رفعها ابن إسحاق - أيضاً - كما تقدم، وكذلك أخرجها مسلم والنسائي وابن ماجه من طريق الليث عن نافع ومسلم من طريق أيوب بلفظ: «إني لا آمن أن يناله العدو». فصح أنه مرفوع وليس بمُدْرَج، ولعل مالكاً كان يجزم به، ثم صار يشك في رفعه، فجعله من تفسير نفسه اهـ.

وقال المرحوم الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على معالم السنن ٣/٤١٥: رواه أحمد (المسند ٦/٢، ١٠) من طريق أيوب مرفوعاً كلُّه، بلفظ: «لا تسافروا بالقرآن، فإني أخاف أن يناله العدو». وهذه اللفظة لا تحتمل التأويلات التي جاءت من شك مالك اهـ.

هذا، والمراد بالقرآن ههنا: المصحف. وليس المراد النهي عن السفر بالقرآن ذاته لمن كان حافظاً له. (الفتح ٦/١٣٣ ومعالم السنن ٣/٤١٥).

ونيل العدو له: استخفافه به، وامتهانه إياه.

قال الحافظ: واستدل به على منع بيع المصحف من الكافر، لوجود المعنى المذكور فيه، وهو التمكن من الاستهانة به، ولا خلاف في تحريم ذلك.

(١) ساقطة من: د.

(٢) المراد بالذكر: العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وحديث البخاري (كتاب العلم، باب رفع العلم ١/٢٣): إن أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل.

ولأن العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

(٣) فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٤/ ط ليدن.

شك ابن عبد الحكم.

وهو في الفردوس بنحوه من وجهين.

وللدارمي عن عبد الله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه قال: أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع، قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الرجال؟. قال: يسري عليه ليلاً، فيصبحون منه فقراء، وينسون قول لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع عليهم القول[1].

ورواه عنه عبد الرزاق عنه بنحوه[2].

وزاد: (ثم قرأ)[3]: **﴿ ولئن شئنا لنذهبَنَّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً[4] ﴾**.

ورواه الطبراني في الكبير - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير شداد ابن معقل وهو ثقة[5] - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لَيُنْزِعنَّ هذا القرآن من بين أظهركم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن ألسنا نقرأ القرآن، وقد ثبَّتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري على القرآن ليلاً، فلا يبقى في قلب عبد، ولا في مصحفه منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله: **﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً ﴾**.

وهذا وإن كان موقوفاً، فمثله لا يقال من قبل الرأي.

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ٢/٣١٥.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٢ حديث رقم ٥٩٨٠.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) سورة الإسراء: آية ٨٦.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٥١.

ومثله ما روي الدارمي عنه أيضاً رضي الله عنه، أنه قال: ليسرين على هذا القرآن ذات ليلة، فلا تترك آية في مصحف، ولا في قلب أحد، إلا رفعت[1].

ومثله ما رواه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سيبلي القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرأونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصرًّوا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا سيفغر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئاً[2].

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مُطَوَّلاً، وعن ابن عمر رضي الله عنهما مختصراً وقال: حديث حسن ـ وهذا لفظ أبي هريرة ـ قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج في آخر الزمان رجال يَخْتِلُون[3] الدنيا بالدين، يلبسون جلود الضأن من اللِّين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله عز وجل: أبي يفترون، أم عليَّ يجترؤ ون. فبى حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيران[4].

وروى مسلم والترمذي وابن ماجه، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: القرآن حجة لك أو عليك[5].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ٢/٣١٥.
(٢) سنن الدارمي: الموضع السابق.
(٣) أي يطلبون الدنيا بالآخرة. (راجع النهاية ٢/٩).
(٤) صحيح الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر ٣/٣٠ حديث رقم ٣٠١٥.
(٥) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ٣/١٠٠.
وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب (٩١) ٥/١٩٦ حديث رقم ٣٥٨٣.
وسنن ابن ماجه: كتاب الطهارة، باب الوضوء شطر الأيمان ١/١٠٢ حديث رقم ٢٨٠.

وللترمذي وأحمد - قال المنذري: ورواته رواة الصحيح[1] - عن شداد بن أوس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله، إلا وكَّل الله به مَلَكاً، فلا يقربه شيء يؤذيه، حتى يهب متى هب[2].

ولا بن ماجه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خير الدواء القرآن[3].

قال النووي في التبيان: وعن طلحة بن مصرِّف[4]: أنه كان يقال: إن المريض إذا قرىء عنده القرآن، وجد لذلك خفة، فَدَ خَلْتُ على خيثمة وهو مريض فقلت: إني أراك صالحاً، فقال: إنه قرىء عندي القرآن[5].

ما ينبغي لحامل القرآن

وعند الطبراني، والحاكم وصحح سنده، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن، فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحي إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يَجِدَ مع من يجد، ولا يجهل مع من جهل، وفي جوفه كلام الله[6].

---

(١) عبارة المنذري في الترغيب ١/٤١٥: ورواة أحمد رواة الصحيح.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في من يقرأ من القرآن عند المنام ١٤٢/٥ حديث رقم ٣٤٨.
ومسند الإمام أحمد ٤/١٢٥.

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب الطب، باب الاستشفاء بالقرآن ٢/١١٥٨ حديث رقم ٣٥٠١، ٢/١١٦٩ حديث رقم ٣٥٣٣.
وفيه الحارث بن عبدالله الهمداني الأعور. وفيه كلام، وحديثه في السنن الأربعة راجع: الميزان ١/٤٣٥.

(٤) في التبيان: «مطرف» بالطاء، وهوخطأ.

(٥) التبيان ص ١٢٦.

(٦) المستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/٥٥٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: صحيح.

ومعنى «يَجِد فيمن يَجِدُ»: أي يجد في نفسه شيئاً لا يليق، أو يجد شيئاً من الدنيا، أو يحصله.

وفي بعض النسخ: «يَجِدُّ فيمن جدّ»، مضاعفاً.

أي يعظم فيمن عظمَ، أي يتكبر، ويطلب أن يحظى، أو يكون كثير الرزق.

ورواه الطبراني من طريق فيه إسماعيل بن رافع - قال الهيثمي: وهو متروك[1] - ولفظه: من قرأ القرآن، فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحي إليه ومن قرأ القرآن، فرأى أن أحداً أُعطي أفضل ما أُعطي، فقد عظَّم ما صغَّر الله وصغَّر ما عظَّم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يَسْفَهَ فيمن يَسْفَهُ، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتدَّ فيمن يحتدُّ، ولكن يعفو ويصفح، لفضل القرآن.

(وروى أبو عبيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لقارىء القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس يفطرون، وببكائه إذ الناس يضحكون وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

قال: وأحسبه قال: وبحزنه إذ الناس يفرحون.

وروى أبو نعيم عن أبي حازم[2] قال: كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلاً فتعرفه قد خضعه[3] القرآن، فأدركت القراء الذين هم القراء، وأما اليوم فليسوا بقراء، ولكنهم خراء[4].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٥٩

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٣.

(٣) في الحلية: «مصعه» بالصاد والعين المهملتين، والمعنى: أضعفه.

(٤) الحلية ٣/٢٤٦.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «المعروف»، عن الفضيل بن عياض مُعْضَلاً، قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: إذا عظَّمت أمتي الدينار والدرهم، نزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحي.

قال الغزالي[1]: قال الفضيل: يعني حرموا فهم القرآن، وقد شرط الله الإنابة في الفهم فقال: «وما يتذكر إلا من ينيب»[2].

وروى الطبراني بسند ـ قال الهيثمي: فيه حُيَيٌّ، وثقة جماعة، وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: إن زوجي مسكين، لا يقدر على شيء فقال النبي ﷺ لزوجها: أتقرأ من القرآن شيئاً؟. قال: أقرأ سورة كذا، وسورة كذا، فقال النبي ﷺ: بَخٍ بَخٍ، زوجك غنى فلزمت المرأة زوجها، ثم أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله قد بسط الله علينا وَرَزَقنا.

وللبزار عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن، يكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يَقِلُّ خيره.

قال البزار: لم يروه إلا أنس، وفيه عمر[3] بن نبهان، وهو ضعيف[4].

وفي الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن، فكأنما شافهني وشافهته.

وللطبراني في مجامعه الثلاث، بإسناد لا بأس به، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا ينالهم

(١) الأحياء ١/٥١٥/ ط الشعب.

(٢) من أول حديث أبي عبيد عن ابن مسعود: «ينبغي لحامل القرآن... الخ» إلى هنا مكرر في د. فقط.

(٣) في د: عمرو. وهو خطأ (راجع الميزان ٢/٢٢٧).

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٧١.

الحساب[1]، هم على كثيب من مسك[2] حتى يُفْرَغَ من حساب الخلائق: رجلٌ قرأ القرآن ابتغاءَ وجه الله، وأمَّ به قوماً وهم به راضون. الحديث[3].

ولأبي عبيد عن يحيى بن (أبي)[4] كثير قال: مرّ رسول الله ﷺ على إبل لحَيٍّ يقال لهم بنو المُلَوَّح - أو بنو المصطلق - قد عَبَسَتْ[5] أبوالُها من السِّمنَ فَتَقَنَّع بثوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عيْنَيْك إلى ما متَّعنا به أزواجاً منهم زَهْرَةَ الحياة الدنيا[6]... (إلى آخر الآية)[7].

وروى أبو يَعْلَى في مسنده عن أنس رضي الله عنه، والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: القرآن غنىً لا فَقْرَ بعده ولا غِنَى دونَه.

قال الهيثمي: وفيه يزيد بن أَبَانَ الرَّقاشي، وهو ضعيف[8]

حفظ الله للقرآن

روى الإمام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والبَغَوى في «شرح السُّنَّة»،

---

(١) أي لا يصيبهم العقاب.

(٢) قال في النهاية ٤/٩: الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. اهـ.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢/١٢٤. وتمامه:
«وداع يدعو إلى الصلوات الخمس ابتغاء وجه الله، وعبدٌ أحسن فيما بينه وبين مواليه».

(٤) ساقطة من: د.

(٥) قال أبو عبيد: يعني أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها، وذلك إنما يكون من كثرة الشحم. اهـ.
وقال الزمخشري في الفائق ٢/١٠٧: العَبَسُ للإبل كالوَذَح للغنم، وهو ما يَبِسَ على مآخيرها من البول والثَّلْطِ اهـ.

(٦) سورة طه آية ١٣١.

(٧) زيادة عن أبي عبيد: غريب الحديث ٣/٩، ١٠.

(٨) مجمع الزوائد ٧/١٥٨.

والدارمي والطبراني في الكبير، وأبو عبيد، عن عقبة بن عامر الجُهَني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: لو كان القرآن في إهَابٍ(١) ما مسَّتْه(٢) النار(٣).

وفي رواية: لو أن القرآن جُعِل في إهاب، ثم ألقى في النار، ما احترق(٤).

قال أبو عبد الرحمن: تفسيره: أن من جَمَع القرآن، ثم دخل النار فهو شَرٌّ من الخنزير.

وقال أبو عبيد: وجه هذا عندنا: أن يكون أراد بالإهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن(٥).

---

(١) قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٠١: الإهاب: الجلد الذي لم يدبغ.

(٢) في م: ما أكلته.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٥١.

وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٤٣٠.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/١٥٥.

(٥) للعلماء في بيان المراد بهذا الحديث أقوال متباينة، وتأويلات مختلفة، وقد تأوله جماعة من أكابر العلماء، منهم: ابن قتيبة، وابن القاسم الأنباري والشريف المرتضى العلوي.

فذكر ابن قتيبة في تأويله ثلاثة وجوه:

الأول: أن من تعلم القرآن من المسلمين، لم تحرقه النار يوم القيامة، إن ألقي فيها الذنوب.

واحتج ابن قتيبة لهذا الوجه بما رواه سليمان بن محمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: اقرؤوا القرآن، ولا تغرنكم هذه المصاحف، فإن الله لايعذب قلباً وعي القرآن، بأن جعل الجسم ظرفاً للقرآن كالإهاب.

الثاني: أن معنى الحديث محمول على عصر النبي ﷺ، فقد كان هذا عَلَماً للنبوة، ودليلاً على أن القرآن كلام الله تعالى، ومن عنده نزل، أَبَانَهُ الله تعالى بهذه الآية في وقت من تلك الأوقات، عند طعن المشركين فيه، ثم زال ذلك بعد عصر النبي ﷺ كما تكون الآيات في عصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دليلاً على نبوتهم، من ميت

= يحيا، وذئب يتكلم، وبعير يَشْكُو، ثم ينقطع ذلك بذهابهم، ويُعْدَمُ بفوات أزمانهم.
الثالث: أن يكون الإحراق إنما نفي عن القرآن، لا عن الاهاب، ويكن معنى الحديث: لو كتب القرآن في جلد، ثم ألقي في النار، لاحترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن لأن الله تعالى يرفعه منه، ويصونه عن النار منعاً له من الإحراق.

ورد ابن الأنباري هذه الوجوه، ولم يَرَها شيئاً فقال: اعتبرت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كلّه فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً. وتبعه الشريف المرتضى.
وبَيَّنَ ابن الأنباري فساد ما ذهب إليه ابن قتيبة على النحو التالي:
أما الوجه الأول فقال: كيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه أن النار لا تحرق من قرأ القرآن، ولا خلاف بين المسلمين في أن الخوارج وغيرهم ممن يلحدون في دين الله سيحرقون بالنار، وهم من قراء القرآن وحُفَّاظه.
وأما احتجاجه بخبر أبي أمامة «إن الله لا يعذب قلباً وعي القرآن» فمعناه: من قرأ القرآن وعمل به، فأما من حفظ ألفاظه، وضيَّع حدوده، فإنه غير واعٍ له.
وزاد الشريف المرتضى فقال: لوكان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة، لكان النبي ﷺ قد أغرانا بالذنوب، لأنه إذا أمِنَ حافظ القرآن من النار والعذاب فيها، ركن المكلّفون إلى تعلم القرآن والإقدام على القبائح غير خائفين، وهذا لا يجوز عليه ﷺ، والمعنى في قول أبي أمامة: «إن الله لا يعذب قلباً وعي القرآن» على نحو ما ذكره ابن الأنباري.
وأما فساد الوجه الثاني فقال ابن الأنباري: فأما قوله إنه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده، فما روى هذا الحديث أحد على أنه كان من دلائله عليه السلام، ولو أراد ذلك دليلاً لكان ﷺ يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه في النار، فلا يحترق.
وبسط الشريف المرتضى العبارة فقال: فمن أين لابن قتيبة أن ذلك مختص بزمانه ﷺ، وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه وأقوى ما يبطله: أنه لو كان لما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين رَوَوْا جميع معجزاته عليه السلام وضبطوها؟.

وأما بيان ما في الوجه الثالث فقد قال ابن الأنباري: وقولُ ابن قتيبة الثالث: لاحترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن «غير صحيح، لأن الذي يصحح هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب، وهذا محال، لأن المكتوب في المصحف هو القرآن، بدليل قوله تعالى: ﴿ إنه لقرآنٌ كريمٌ، في كتاب مكنونٍ، لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرون ﴾.
ثم ذهب ابن الأنباري إلى أن معنى الحديث: أنه لو أُحرق الجلد الذي كُتب فيه القرآن، لما كان للإحراق أثرٌ على إبقاء القرآن موجوداً، إذ لا يؤدي ذلك إلى محوه، وإعفاء أثره، لكونه محفوظاً في القلوب، وموجوداً في الصدور. =

. . . .

= فقد قال رحمه الله: والقول عندنا في تأويل هذا الحديث: أنه أراد لو كان القرآن في جلد، ثم ألقي في النار، ما أبطلته، لأنها ـ وإن أحرقته ـ فلن تَدْرُسَه، إذ كان الله قد ضَمَّنَه قلوبَ الأخيار من عباده، والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي ﷺ فيما روى عنه: إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان، فلم يرد تعالى: أن القرآن كتب في شيء، ثم غسل بالماء، لم ينغسل، وإنما أراد: أن الماء لا يبطله ولا يدرسه، إذا كانت القلوب تعيه وتحفظه.

ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى، وفي لغة العرب، قال الله تعالى: ﴿ يومئذ يَوَدُّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تُسَوَّى بهم الأرضُ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾.

فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا: «والله ربِّنا ما كنا مشركين»، وإنما أراد: ولا يكتمون الله حديثاً في حقيقة الأمر، لأنهم وإن كتموه في الظاهر، فالذي كتموه غير مستتر عنه.

* * *

لكن هذا التأويل الذي ذهب إليه ابن الأنباري، لم يعجب الشريف المرتضي، فرد عليه بقوله: فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه، لأنه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشِعْرٍ في العالم، لأنا نعلم أن الشِّعْر والكلام المحفوظ في صدور الرجال، إذا كُتب في جلد ثم أحرق، أو غسل، لم يذهب ما في الصدور منه، بل يكون ثابتاً بحاله، فأي مزية للقرآن في هذا على غيره؟. وأي فضيلة؟.

فإن قال: وجه المزية: أن غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار، والقرآن إذا كان الله تعالى هو المتولى لإيداعه الصدورَ لا يتم ذلك فيه.

قلنا: الكل سواء، لأن غير القرآن، إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مُودَعاً للصدور، ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل باحتراق الجلد، وهكذا القرآن، لو لم يحفظ في الصدور، لبطل الاحتراق، ولكنه لا يبطل بهذا الشرط، فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته، كالشرط في بطلان القرآن وثباته، فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خُصَّ به من أن النار لا تمسه.

* * *

ويرى الشريف المرتضى أن الجواب السديد في بيان معنى هذا الحديث هو أن هذا من كلام النبي ﷺ على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن، والإخبار عن جلالة قدره وعظم خطره. =

وفي سند الطبراني ابن لهيعة، وفيه خلاف، قاله الهيثمي[1].

وللطبراني عن عصمة هو ابن مالك الأنصاري الخُلَيْمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، لو جمع القرآنُ في إهاب ما أحرقته النار.

قال الهيثمي: وفيه الفضل بن المختار، وهو ضعيف[2]

وله فيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار.

= والمعنى: أنه لو كتب في إهاب، وألقى في النار، وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلوِّ شأنه، وجلالة قدره، لم تحرقه النار.

ولهذا نظائر في القرآن، وكلام العرب وأمثالهم، كثيرة ظاهرة على من له أدنى أُنْسٍ بمذاهبهم، وتصرُّف كلامهم.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتَهُ خاشِعاً متصَدِّعاً من خشية الله وتلك الأمثالُ نضربُها للناس لعلهم يتفكرون﴾.

ومعنى الكلام، أننا لو أنزلنا القرآن على جبل، وكان الجبل مما يتصدع اشفاقاً من شيء، أو خشية لأمر، لتصدع مع صلابته وقوته، فكيف بكم يا معشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم، وأنتم أوْلَى الخشية والإشفاق.

وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج المَثَل بقوله: وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون.

ومثله قوله تعالى: ﴿تكاد السموات يَتَفطَّرْنَ منه وتَنْشَقُّ الأرض وتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا﴾.

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة، يقولون: هذا كلام يفلق الصخر، ويَهـدُّ الجبال، ويصرع الطير، وليس ذلك بكذب منهم، بل المعنى: أنه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور، لو تأتَّتْ، ولو كانت مما يسهل ويتيسر لشيء من الأشياء لتسهلت به من أجله.

راجع: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٢٠٠ ـ ٢٠٢ / ط مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٦٦.

وأمالي المرتضى ١/٤٢٦ ـ ٤٣٣ / ط عيسى الحلبي سنة ١٩٥٤ م.

(١)كلام الهيثمي في الزوائد ١٥٨/٧ هكذا: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفيه ابن لُهَيْعة وفيه خلاف.

(٢) مجمع الزوائد ١٥٨/٧.

قال الهيثمي: فيه عبد الوهاب بن الضحاك، وهو متروك[1].

فضل القرآن وقارئه

وفي الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن، وعرف تأويله ومعانيه، ولم يعمل به، تَبَوَّأ مضجعه من النار.

وللطبراني في الصغير، عن أنس رضي الله عته، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن[2][يقوم به أناء الليل والنهار، يُحلُّ حلاله، ويُحرِّم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار، وجعله رفيق السفرة ِالكرام البررة، حتى إذا كان يوم القيامة، كان القرآن حجة له[3].

وللبيهقي في الشُّعَب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن، فقام به أناء الليل والنهار، يُحلُّ حلاله، ويُحرِّم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرامِ البررة، وإذا كان يوم القيامة، كان القرآن حجة له.

ورواه أبو عبيد في كتاب «الفضائل»، عن كعب الأحبار، عن التوراة، ولفظه: أن الفتى إذا تعلم القرآن وهو حديث السن، وحَرَص عليه، وعمل به وتابعه، خلطه الله بلحمه ودمه، وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة، فإذا تعلم الرجل القرآن وقد دخل في السن، فحرص عليه وهو في ذلك يتابعه ويتفلَّت منه، كُتب له أجره مرتين.

ولأبي عبيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: القرآن شافع مُشَفَّع، ومَاحِلٌ[4] مصدِّق، من شفع له القرآن يوم القيامة نجا،

(١) مجمع الزوائد: الموضع السابق.
(٢) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢/١٢٥.
(٤) قال ابن الأثير ٤/٣٠٣: أي خصم مجادل مصدَّق. وقيل: ساعٍ مصدق، من قولهم: =

ومن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة كبَّه الله (في النار)[1] على وجهه[2].

ورواه الطبراني.

قال الهيثمي: وفيه الربيع بن بدر، وهو متروك[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: القرآن شافع مُشَفَّع، وَما حِلٌ مصدَّق، من جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه، ساقه إلى النار[4].

وقال الشيخ محيي الدين في التبيان[5]: وروى الدارمي بإسناده، عن

= محل بفلان إذا سعى إلى السلطان. يعني: أن من اتبعه وعمل بما فيه، فإنه شافع له مقبول الشفاعة، ومصدِّق عليه فيما يرفع من مُسَاءَتِه إذا ترك العمل به. اهـ.
وراجع: الفائق للزمخشري ٣/٣٤٩.

(١) ساقطة من: د.

(٢) غريب القرآن لأبي عبيد ٤/١٧٤.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٤.
وقال الذهبي في الميزان ٢/٣٩: وقال ابن عدي: عامة روايته لا يتابع عليها. اهـ.
وقال ابن حجر في التقريب ١/٢٤٣: متروك.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب العلم، باب البيان بأن القرآن من جعله إمامه قاده إلى الجنة ١/٢٨٥ من حديث جابر.
ونسبه السيوطي في الجامع الصغير ٤/٥٣٥ حديث رقم ٦١٨٢ إلى الطبراني والبيهقي في الشُعب.
والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٦٤، ونسبه إلى البراز والطبراني، وقال: وحديث جابر المرفوع رجاله ثقات.
والحافظ المنذري في الترغيب ٧/٢٠٧.
وأخرجه عبد الرزاق في المصنَّف: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٢ حديث رقم ٦٠١٠ موقوفاً على ابن مسعود.

(٥) التبيان ص ٣١.

ابن مسعود رضي الله عنه (عن النبي ﷺ)[1]: اقرأوا القرآن فإن الله لا يُعذِّب قلبا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مَأْدُبَةُ الله[2]، فمن دخل فيه فهو آمِنٌ ومن أحب القرآن فليبشر[3].

وللبيهقي في الشعب، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: قراءة القرآن في الصلاة، أفضل من قراءته[4] في غير الصلاة.

وللطبراني - قال الهيثمي: وفيه (أبو)[5] سعيد بن عوذ[6]، وثقه ابن معين في رواية، وضعفه في أخرى[7] - والبيهقي في الدعوات، عن أوس

---

(١) زيادة عن التبيان.
(٢) قال القرطبي في التذكار ص ٣٠: شبه القرآن بصنيع صنعه الله عز وجل للناس، لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه.
يقال: مأدُبة، ومأدَبة، فمن قال مأدبة - يعني بالضم - أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس.
ومن قال: مأدَبة - يعني بالفتح - فإنه يذهب به إلى الأدب، بجعله مفعلة اهـ.
(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٤٣٢ موقوفاً على أبي أمامة.
(٤) في الأصل: «قراءتها»، وهو لا يستقيم، إلا إذا كان المراد القراءة، لا القرآن.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) في د: عوف، وفي البرهان للزركشي ١/٥٣٠: عون، وكلاهما خطأ. واسمه: رجاء ابن الحارث بن عَوْذِ المُكتِب، ضعيف الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، كما في الميزان ٤/٥٣٠ ترجمة رقم ١٠٢٤٣.
والحق: أن الحديث موضوع، لأن المصحف لم يكن موجوداً في حياة النبي ﷺ، ولو أن هذا الحديث ثابت مااختلف العلماء هل الأفضل القراءة في المصحف أم عن ظهر قلب، بل إن العز بن عبد السلام اختار القراءة عن ظهر قلب لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى: ﴿ ليتدبروا آياته ﴾ والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود، فهل غاب هذا الحديث عن ابن عبد السلام لو كان ثابتاً؟.
ومعلوم أن قول ابن عبد السلام مبني على أن المرء حافظ للقرآن ويريد التلاوة.
(٧) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.

الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: قراءة الرجل في غير المصحف بألف درجة وقراءته في المصحف تضعف على ذلك إلى ألفي درجة.

تجريد القرآن مما ليس منه

وروى عبد الرزاق عن الثوري، عن سَلَمَة بن كَهْل، عن أبي الزعراء قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه، جَرِّدُوا القرآن، (يقول)[1] لا يلبسوا فيه ما ليس منه[2].

ورواه الطبراني من طريقه، ولفظه: جَرِّدوا القرآن، لا تلبسوا به ما ليس منه.

قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير أبي الزعراء وقد وثقه ابن حبان وقال البخاري وغيره: لا يتابع في حديثه[3].

ورواه أبو عبيد من طريقه بلفظ: جردوا القرآن، ولا تخلطوه بشيء.

وروى عن مسروق، عن عبد الله، أنه كان يَحُكُّ التعشير من المصحف[4].

وله عن يحيى بن أبي كثير قال: ما كانوا يعرفون شيئاً مما أحدث في هذه المصاحف.

---

(١) ساقطة من د، وهي موجودة عند عبد الرزاق.
(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف ٣٢٢/٤ حديث رقم ٧٩٤٤.
(٣) مجمع الزوائد ١٥٨/٧.
(٤) وأخرجه عبد الرزاق: كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف ٣٢٢/٤ حديث رقم ٧٩٤٢.

وله عن يحيى بن أبي كثير: إلا هذه النقط الثلاث، عند رؤوس الآيات.

كراهة تصغير حجم المصحف

وروى عبد الرزاق عن الثوري، عن الأعمش، عن ابراهيم، أن علياً رضي الله عنه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغاراً[1].

وروى أبو عبيد عن أبي حكيمة العبدي قال: كنت أكتب المصاحف، فبينا أنا أكتب مصحفاً إذ مر بي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقام ينظر إلى كتابي فقال: أجلل (من)[2] قلمك، فقضمت من قلمي قصمة، ثم جعلت أكتب. فقال: نعم هكذا، نوّره كما نوره الله.

وله عن علي رضي الله عنه ـ أيضاً ـ: أنه كان يكره (أن يكتب)[3] القرآن في الشيء الصغير.

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه وجد مع رجل مصحفاً قد كتب بقلم دقيق، فقال: ما هذا؟. فقال: القرآن كله، فكره ذلك وضربه، وقال: عظموا كتاب الله.

قال: (وقد)[4] كان عمر رضي الله عنه، إذا رأى مصحفاً عظيماً سرَّه.

كتابة القرآن في الشيء الطاهر

وله عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لاتكتبوا القرآن إلا في شيء طاهر.

---

(١) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصيام، باب ما يركه أن يصنع في المصاحف ٤/٣٢٣ حديث رقم ٧٩٤٦.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) ساقطة من: د.

وقال أبو (عبيد: حدثنا)[1] يزيد، حدثنا محمد بن اسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر قال: كتب رسول الله ﷺ لجدي: أن لا يمس القرآن إلا طاهر.

تحريم قراءة القرآن منكوساً

وروى عبد الرزاق عن الثورى، (والدارمي عن محمد بن يوسف، عن سفيان ـ وهو الثورى ـ)[2]، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس تعلموا القرآن، فإن أحدكم لا يدري متى يُخْتَلُ إليه، قال فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، أرأيت رجلاً يقرأ القرآن منكوساً؟. قال: ذلك منكوس القلب، قال: وأتى بمصحف قد زُيِّن وذُهِّب، فقال عبد الله، أحسن ما زيِّن به المصحف تلاوته بالحق[3].

تفسير نكس القرآن[4]

ورواه أبو عبيد في الغريب، وقال: يختل، أي يحتاج، من الخلة والحاجة[5].

ونكس القرآن، قال: يتأوله كثير من الناس، أنه يبدأ الرجل من آخر السورة فيقرؤها إلى أولها، وهذا شيء ما أحسب (أن)[6] أحداً يطيقه، ولا كان هذا في زمان عبد الله، ولكن وجهه عندي: أن يبدأ من آخر القرآن من المعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة، كنحو ما يتعلم الصبيان في الكُتَّاب، لأن السنة

(١) ساقطة من: د.
(٢) زيادة عن: د.
(٣) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف ٣٢٣/٤ حديث رقم ٧٩٤٧.
(٤) ساقطة من: د.
(٥) غريب الحديث ١٠٣/٤.
(٦) ساقطة من: د.

بخلاف هذا وإنما جاءت الرخصةُ في تَعْلِيم الصبي والعَجَمِي من المُفَصَّل، لصعوبة السور الطوال عليهما، (فهذا عذر، فأما من قرأ القرآن وحفظه، ثم تعمد أن يقرأه من آخره إلى أَوَّلِهِ، فهذا النكس المنهي عنه)[١]. وإذا كرهنا هذا النكس، فنحن[٢] للنكس من آخر السورة إلى أولها أشد كراهية، إن كان ذلك يكون[٣].

وقال النووي في التبيان: ولو خالف الموالاة، فقرأ سورة لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب فقرأ سورة، ثم قرأ سورة قبلها جاز، فقد جاء بذلك آثار كثيرة، وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح الكهف، وفي الثانية بيوسف.

وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف، روى ابن أبي داود عن الحسن أنه كان[٤] يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف.

وبإسناده الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له: إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً، فقال: ذاك منكوس القلب.

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعاً متأكداً، فإنه يذهب بعض ضروب الإعجاز[٥]، ويزيل حكمة ترتيب الآيات. انتهى[٦].

ثواب قراءة القرآن

وللحافظ أبي محمد الخلال[٧] في «كرامات الأولياء»: عن أبي حمزة نصر

---

(١) زيادة عن غريب الحديث لأبي عبيد.
(٢) في د: نحن. والتصويب عن م. والغريب.
(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ١٠٣/٤.
(٤) في د: قال.
(٥) بل يذهب بكل ضروب الإعجاز، وأي أنواع الإعجاز تبقى للقرآن إذا اختل نظمه، وانفرط عقده؟.
(٦) التبيان ص ٧٤.
(٧) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي، المعروف بالخلال. =

ابن الفرج الأسلمي قال: كان أبو معاوية الأسود يقرأ في المصحف، فذهب بصره، وكان إذا جاء وقت قراءته وفتح المصحف، رجع إليه بصره فيقرأ، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره.

وروى عبد الرزاق عن الثورى، عن عاصم بن بَهْدَلَة، عن زِرِّ بنِ حَوْشَبْ قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف، فإذا اختلفتم في ياء وتاء، فاجعلوها يا[1]، واذكروا القرآن[2].

وروى الطبراني مثله[3].

ولعبد الرزاق عن معمر، عن لَيْث، عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال رسول الله ﷺ: البيت الذي يقرأ فيه القرآن، يكثر خيره، ويوسع على أهله ويحضره الملائكة، ويهجره الشياطين، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه، يضيق على أهله، ويقل خيره ويهجره الملائكة، ويحضره الشياطين، وإن البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويثّور[4] فيه، يضيء لأهل السماء، كما يضيء النجم لأهل الأرض[5].

= قال صاحب الرسالة: مؤلف علم أحمد بن حنبل وجامعه ومرتبه، توفي سنة ٣١١ هـ. أ هـ.
وكتابه يقع في ثلاث مجلدات، وله كتاب في العلل في عدة مجلدات.
راجع: الرسالة المستطرفة ص ٣٣.

(١) في المصنف: فاجعلوها ذكروني في القرآن.

(٢) المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣٦٢/٣ حديث رقم ٥٩٧٩.

(٣) قال الهيثمي ١٦٥/٧: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد ابن أبي مريم وهو ضعيف.

(٤) أي يذكر فيه معانيه.

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣٦٩/٣ حديث رقم ٥٩٩٩.

قال معمر: وسمعت رجلاً من أهل المدينة يقول: إن أهل السماء ليتراءون البيت الذي يقرأ فيه القرآن، ويصلي فيه، كما يتراءى أهل الدنيا الكوكب الدري في السماء.

وفي أمالي (أبي)[1] الحسين بن شمعون، عن أنسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الأنبياء سادة أهل الجنة، والشهداء قادة أهل الجنة، وحملة القرآن عُرفاء أهل الجنة.

وروى الطبراني عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة.

قال الهيثمي: وفيه إسحاق بن ابراهيم بن سعيد المدني، وهو ضعيف[2].

ولأبي عبيد في الفضائل، والدارمي، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح - كما قاله المنذري[3] - عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: إن لله تبارك وتعالى أهْلِين من الناس، قيل من هم يا رسو لالله؟. قال: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته[4].

ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

---

(١) ساقطة من: د.
(٢) مجمع الزوائد ٧/١٦١.
(٣) في د: الهيثمي.
(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٣١١.
وسنن ابن ماجه: المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ١/٧٨ حديث رقم ٢١٥.
والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ١/٥٥٦.

ولأبي عبيد عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: إنِ الله جواد يحب الجواد، ويحب معالي الأخلاق ويُبغِضُ ـ أو قال: يكره ـ سفسافها، وإن من تعظيم جلال الله، إكرام ثلاثة: الإمام المقسط، وذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه.

وسيأتي في تخريج أبي داود لآخره[1].

وروى أبو عبيد عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأ ظاهراً، كفضل الفريضة على النافلة.

(وله)[2] عن عمر رضي الله عنه، أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ.

وله عن ابن مسعود رضي الله عنه، إنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه، نشروا المصحف فقرأوا، وفسر لهم.

ولمسلم وابن ماجه، والدارمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خَلِفَات[3] عظام سمان؟. (قلنا[4]: نعم. قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خير له من ثلاث خلفات عظام سمان)[5].

---

(١) أخرجه أبو داود ـ مختصراً ـ: كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ٢/٢٦١ حديث رقم ٤٨٤٣ عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) الخلفات ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام ـ: الحوامل من الإبل، وتسمى خلفات إلى أن ينتهي نصف مدة الحمل.
أفاده النووي في شرح مسلم ٦/٨٨.

(٤) ما بين المربعين ساقط من الأصل، وزدناه عن صحيح مسلم.

(٥) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة ٦/٨٩. =

ولمسلم - أيضاً - وأبي داود، وأبي عبيد في كتاب الفضائل، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ونحن في الصُّفَّة، فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان[1] - أو قال: إلى العقيق[2] - فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوَيْنِ[3] زهراوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟. قالوا: كلنا يا رسول الله قال: فلأن يغدو أحدكم كلَّ يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، وأعدادهن من الإبل[4].

وروى البزار بسند - قال الهيثمي: فيه إسحاق بن إبراهيم الثقفي وهو ضعيف

والطبراني في الأوسط بسند فيه حفص بن سليمان الغاضري وهو متروك[5]، ووثقه أحمد في رواية، وضعفه في غيرها[6] - عن كليب بن شهاب قال: كان علي رضي الله عنه في المسجد - أحسبه قال: مسجد الكوفة - فسمع ضجة شديدة، فقال: ما هذا؟. قال: قوم يقرأون القرآن، أو يتعلمون القرآن، فقال: طوبي لهؤلاء.

= وسنن ابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٣٤٣ حديث رقم ٣٧٨٢.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٣١٠.

(١) بطحان: اسم واد يتوسط بيوت المدينة.

(٢) العقيق: واد على مسافة ميلين من المدينة، وسمى عقيقاً لحمرة موضعه.
راجع: وفاء الوفا للسمهودي ٣/١٠٣٩، ٣/١٠٧١.

(٣) الكومان: تثنية كوماء بفتح الكاف: وهي من الإبل: العظيمة السنام.
راجع: شرح مسلم ٦/٨٩.

(٤) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة ٦/٨٩.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ثواب قراءة القرآن ٢/٧١ حديث رقم ١٤٥٦.

(٥) قال الذهبي في الميزان ١/٥٥٨: كان ثبتاً في القراءة، واهياً في الحديث لأنه كان لا يتقن الحديث ويتقن القرآن ويجوده. أ. هـ.

(٦) مجمع الزوائد ٧/١٦٦.

وعزاه النووي لابن أبي داود عن علي رضي الله عنه ساكتاً عليه، (وزاد)[1]: أما إنهم كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

ولأحمد بسند ـ قال الهيثمي: فيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح[2] ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذُكر رجل عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أولم[3] تـروه يتعلم القرآن[4].

ولمسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)[5] قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب، احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومسَّاكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، (ويقرن بين أصبعيه: السبابة والوسطى ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير)[6] الهَدْيِ: هَدْيُ محمد ﷺ، وشَرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة[7].

ولأبي عبيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قيل له: إنك لتُقِلُّ الصوم؟. قال: إنه ليضعفني عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب إليّ.

وللترمذي عن ابن مسعود ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ حرفاً من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر

---

(١) ساقطة من: د.
(٢) مجمع الزوائد ٧/١٦٢.
(٣) في د: أوما.
(٤) مسند الإمام أحمد ٦/٦٦.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٧) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب خطبته ﷺ في الجمعة ٦/١٥٣.

أمثالها، لا أقول: «ألم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف[1].

معنى الحرف المقابل بالحسنة

قال أبو عمرو الداني في كتاب «العدد»: إن هذا على حال صور الكَلِم في الرسم، دون استقرارهن في اللفظ، ألا ترى أن صورة «الم» في الكتابة ثلاثة أحرف، وهي في التلاوة تسعة أحرف، فلو كانت الكلمة إنما تعد حروفها على حال استقرارها في اللفظ دون الرسم، لوجب أن يكون لقارىء «الم» تسعون حسنة.

فلما قال: إنها ثلاثة أحرف، وإن لقارئها ثلاثين حسنة، لكل حرف منها عشر حسنات، ثبت أن حروف الكلمة إنما تُعدُّ على حال صورهن في الكتابة دون التلاوة، وأن الثواب جارٍ على ذلك[2].

قال: والكلمة هي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات، والحرف هو الشبهة[3].

قال: وأطول الكلم في كتاب الله، ما بلغ عشرة أحرف، نحو قوله: «ليستخلفنهم»[4] و «أنلزمكموها»[5].

فأما قوله: «فأسقيناكموه»[6] عشرة في الرسم، وأحد عشر في اللفظ، وحروف الهجاء في الفواتح كلمات، لا حروف، لأن الحروف لا يسكت

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب في من قرأ حرفاً من القرآن ٣٤٨/٤ حديث رقم ٣٠٧٥. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) البيان للداني: ورقة ٢٨.

(٣) البيان للداني: ورقة ٣٩.

(٤) سورة النور: آية ٥٥.

(٥) سورة هود: آية ٢٨.

(٦) سورة الحج: آية ٢٢.

عليه[1]،ولا ينفرد وحده في السورة،وهذه الحروف مسكوت عليها،منفردة.انتهى

وهو مشكل، فإن العامل إنما يثاب على عمله، لا على عمل غيره، فالقارىء إنما يثاب على تحريك أعضائه بالحرف[2]، سواء كتب، أو لا، وكان مما يكتب إذا كتب أو مما يسقط في الرسم.

والذي قاله، يلزم منه أن تعطل بعض الحروف التي ينطق بها، ويعملها بلسانه، أو حلقه أو شفتيه، وهذا لا يرضاه أحد، فإن ثوابه على بعض عمله دون بعض تَحكُّم.

والذي يُكشف به معنى الحديث: حمل الحرف على الكلمة، فلما كانت «الم» مرسومة على صورة كلمة واحدة، بيَّن الحديث أنها ثلاث كلمات، فإن المنطوق به: إنما هو أسماء الحروف، في مسمياتها، وكل اسم منها كلمة، لا شك في ذلك.

وهذا الذي ظهر لي، نقله شيخنا علامة الإقراء شمس الدين الجزري في آخر كتابه النشر[3]، عن شيخه الحافظ عماد الدين ابن كثير[4]، وارتضاه ونصره، وذكر أن ابن مفلح[5] ذكره في فروعه[6]، عن شيخه أبي العباس ابن

---

(1) ربما يعني: أنه لا يوقف عليه.

(2) في م بالحروف.

(3) النشر ٣/٤٣٢/ط مكتبة القاهرة.

(4) هو أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير، بن ضوء بن كثير، الدمشقي الشافعي مفسر، محدث، فقيه مؤرخ، ولد بجندل من أعمال بُصْرَى، ثم انتقل إلى دمشق ونشأ وعاش بها إلى أن توفي سنة ٧٧٤ هـ ودفن قريباً من شيخه أبي العباس ابن تيمية، ومن مصنفاته: البداية والنهاية في التاريخ، وتفسير القرآن، وجامع المسانيد.
راجع: البدر الطالع ١/١٥٣، الدرر الكامنة ١/٣٧٣، شذرات الذهب ٦/٢٣١.

(5) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرِّج المقدسي الصالحي، الحنبلي، كان فقيهاً أصولياً، محدثاً، نشأ ببيت المقدس، وسمع المِزِّي والذهبي والسبكي، وتوفي في الثاني من رجب سنة ٧٦٣ هجرية ودفن بالروضة قريباً من قبر الشيخ موفق الدين.
راجع: شذرات الذهب ٦/١٩٩، الدرر الكامنة ٤/٢٦١.

(6) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/٣٣٩.

تيمية[1] [وعزاه إلى المحققين.

ويؤيد ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة][2] والبزار، في مسنديهما، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفاً من كتاب الله، كتبت له حسنة، لا أقول: «الم» حرف، ولكن الحروف مقطعة، الألف حرف واللام حرف، والميم حرف[3].

قال شيخنا البوصيري رحمه الله، ومدار الإسناد على موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف[4].

ورواه الطبراني في الأوسط والكبير من طريقه ولفظه: من قرأ حرفاً من القرآن كتبت له حسنة، ولا أقول: «الم ذلك الكتاب» حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف، والذال حرف، والكاف حرف.

إعراب القرآن بمعنى توضيحه

وله عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعربوا القرآن[5]، فإنه من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف عشر حسنات وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات[6].

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحِرَّاني الدمشقي الحنبلي محدث حافظ. مفسر فقيه مجتهد، ولد بحران في ربيع الأول، ثم قدم إلى دمشق مع والده صغيراً، وقد امتحن وأوذى وحبس كثيراً، وتوفي بقلعة دمشق في عشرين ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤، البداية والنهاية ١٣٢/١٤، الدرر الكامنة ١٤٤/١.

(٢) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٣) قال ابن الجزري في النشر ٤٥٤/٢: حديث ضعيف.

(٤) راجع ترجمته في الميزان ٢١٣/٤ ترجمة رقم ٨٨٩٥: وفيه أنه مات سنة ١٥٣ هـ.

(٥) قال في المصباح ٦١١/٢: أعربت الشيء وأعربت عنه وعربته ـ بالتثقيل ـ وعربت عنه، كلها بمعنى التبيين والإيضاح.
راجع: النهاية ٢٠٠/٣.

(٦) قال الهيثمي ١٦٣/٧: رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل وهو متروك.

وروى أحمد بسند ـ قال المنذري: فيه زبَّان بن فايد، وهو ضعيف[1] ـ عن معاذ بن أنس رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: من قرأ القرآن في سبيـل الله، كتب مع الصـديقين والشهـداء والصالحين، وحسن أولئـك رفيقاً[2].

وروى أبو عبيد في الفضائل، والطبراني من طريق رجال بعضها رجال الصحيح، إلا ليث بن أبي سليم، ففيه ضعف ـ قاله الهيثمي[3] ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: أعربوا القرآن، فإنه عربي، وسيأتي قوم يثقفونه[4]، وليسوا بخياركم.

ومثله لا يقال بالرأي، فله حكم المرفوع.

وروى الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن عبيد، بن آدم، بن أبي إياس ـ قال الهيثمي: وقد ذكره الذهبي في الميزان، ولم أجد لغيره فيه كلاماً وبقية رجاله ثقات[5] ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: القرآن ألف ألف حرف، وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابراً محتسباً، كان له بكل حرف زوجة من الحور العين[6].

---

(١) الحديث في الترغيب والترهيب للمنذري عن الحاكم ٢٦٧/٢ ولم يصرح فيه بضعف زبان، وربما ذكره في كتاب آخر.
وفي الميزان للذهبي ٦٥/٢: أنه مختلف فيه. قال أحمد: أحاديثه مناكير وقال أبو حاتم: صالح، وقال ابن يونس: كان على مظالم مصر، وكان من أعدل ولا تهم. مات سنة خمس وخمسين ومائة.

(٢) المسند ٤٣٧/٣ ولفظه:
«من قرأ ألف آية في سبيل الله تبارك وتعالى... الحديث».

(٣) مجمع الزوائد ١٦٤/٧.

(٤) يثقفونه: يفهمونه.
قال الزمخشري في الفائق ٣٢٥/٣: الثَّقِفُ: الفطن.

(٥) مجمع الزوائد ١٦٣/٧، والميزان للذهبي ٦٣٩/٣ ترجمة رقم ٧٩١٨.

(٦) قال الذهبي في الميزان ٦٣٩/٣: خبر باطل.
قلت: وهو خبر ظاهر البطلان.

ولعل هذا العدد كان قبل أن ينسخ شيء من القرآن، وقبل أن يقتصر على حرف واحد من السبعة، فإن حروفه الآن لا تبلغ هذا العدد، ولا تقاربه[1].

وقد روى أبو عبيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا يقولَنَّ أحدكم: قد أخذت القرآن كله، وما تدريه ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: أخذت ما ظهر منه.

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ القرآن فله بكل آية عشر حسنات، ولا نقول: «الم» عشر، ولكن ألف ولام وميم ثلاثون حسنة[2].

وروى أبو يعلى بسند ـ قال الهيثمي: فيه عبد الله بن سعيد، بن أبي سعيد المقبري، وهو متروك[3] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه.

ولأبي عبيد وعبد الرزاق، والطبراني ـ قال الهيثمي: وفيه إبراهيم بن

---

(١) ذكر الزركشي في البرهان ١/٢٤٩: عن الإمام أبي بكر بن مهران المقرىء: أن الحسن وأبا العالية، ونصر بن عاصم، وعاصماً الجحدري ومالك ابن دينار، أجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً. وعن مجاهد: ثلاثمائة ألف واحد وعشرون ألف حرف.
وذكر أن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكُتَّاب وسألهم عن حروف القرآن فأجمعوا على أنها ثلاثمائة وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٧ حديث رقم ٥٩٩٣.
وأخرجه الترمذي مرفوعاً: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ من القرآن ماله من الأجر ٤/٢٤٨ حديث رقم ٣٠٧٥ وقال: حديث حسن صحيح غريب.
قال الترمذي: ورفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٣.

مسلم الهَجَري وهو متروك ـ[1] كذا قال شيخنا: فيه لين الحديث، رفع موقافات، وعزاه ابن رجب إلى الحاكم في المستدرك[2]، عن عبد الله ـ أيضاً ـ رضي الله عنه أنه قال: إن هذا القرآن مأدُبة الله[3]، فتعلموا (من) مأدبته ما استطعتم، إنَّ هذا القرآن هو حبل الله الذي أمر به، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن اعتصم به، ونجاة لمن تمسك به[4].

وقال أبو عبيد: عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّم ولا يَزيغ فَيُستَعْتَب[5]، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن رد[6].

وقال أبو عبيد: على كثرة الرد، أتلوه فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات لم أقل ـ وفي رواية: لا أقول لكم ـ: «الم» حـرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف[7].

(فلفظ)[8] أبي عبيد: ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر.

مجمع الزوائد ٧/١٦٤، واسمه في مجمع الزوائد هكذا: مسلم بن ابراهيم الهجري. والصواب: ما ذكره المؤلف: ابراهيم بن مسلم الهَجَرِي. كما ذكره ابن حبان في كتاب المجروحين من المحدثين ١/٨٦، والذهبي في الميزان ١/٦٥. والهَجَرِي ـ بفتح الهاء والجيم ـ نسبة إلى هَجَر.

(٢) المستدرك: كتاب فضائل القرآن، باب القرآن مأدبة الله ١/٥٥٥ وقال: صحيح الإسناد.
قال الذهبي في التلخيص: لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف.

(٣) قال في النهاية ١/٣٠: يعني مدعاته، شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع.

(٤) المصنف لعبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٥ حديث رقم ٦٠١٧.

(٥) الاستعتاب: الاسترضاء.

(٦) وكذا هو عند عبد الرزاق.

(٧) كذا عند عبد الرزاق.

(٨) ساقطة من: د.

وروى ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» عن شعبة، عن محمد بن سيف قال: سألت الحسن عن الخط ينقط بالعربية؟. قال: (لا بأس به)[1]؛ أما[2] بلغك كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن تَفَقَّهوا في الدين، وأحسنوا عبارة الرؤيا وتعلموا العربية[3].

ورواه عبد الرزاق في مصنفه: عن عبدالله بن كثير، (عن شعبة)[4]، أخبرني محمد بن سيف أبو رجاء[5]، قال: سألت الحسن عن المصحف يُنْقَطُ بالعربية؟. قال: لا بأس به، أما بلغك كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فذكره، ثم قال: وسألت ابن سيرين فقال: أخشى أن يُزاد في الحروف.

وفي «أخبار النحويين» لأبي طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم المقرىء[6]، عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: لأن أقرأ وأنقط، أحب إليّ من أقرأ وألحن.

قال: وقال عمر رضي الله عنه: من قرأ القرآن فأعربه، فمات، كان له عند الله يوم القيامة كأجر شهيد.

---

(١) زيادة عن: د.
(٢) في م: أو.
(٣) كتاب المصاحف لابن أبي داود ١٤٢/٤.
(٤) ساقطة من: د.
(٥) قال ابن الجزري في الطبقات ١٥٢/٢: محمد بن سيف بن علي، روى قراءة الحسن عن المبارك بن الحسن الثقفي عن الحسن،! وهو وشيخه مجهولان.
(٦) قال ابن الجزري في طبقات القراء ٤٧٥/١: الأستاذ الكبير، الامام النحوي العلم الثقة، اهـ. أخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، وأبي عثمان الضرير، وغيرهما، ومات في شوال سنة ٣٤٩ هـ.

وروى أبو عبيد عن أبي هـريرة رضي الله عنـه قال: قـال رسول الله ﷺ: أعربوا القرآن .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: أعربوا القرآن فإنه عربي[٢].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لأن أعرب آية من القرآن، أحب إليّ من أحفظ آية.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: تعلموا إعراب القرآن، كما تَعَلَّمُون حفظه.

وعن أبيّ رضي الله عنه مثل ذلك.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تعلموا اللحن[٣] والفرائض والسُّنن، كما تَعَلَّمون القرآن[٤].

وعن الوليد بن محمد بن بن زيد قال: سمعت أبا جعفر يقول: قال رسول الله ﷺ: أعربوا الكلام كما تعربون القرآن[٥].

وعن أبي رجاء محمد بن سيف[٦] قال: قلت للحسن: ما تقول فيمن تعلم العربية، أيخاف أن يكون ذلك يزيد في الهجاء؟ فقال: لا بأس به، قال

---

(١) قال في الزوائد ١٦٣/٧: رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك.

(٢) قال في الزوائد ١٦٤/٧: رواه الطبراني من طرق وفيهـا ليث بن أبي سليم وفيه ضعف، وبقية رجال أحد الطرق رجال الصحيح.

(٣) قال في النهاية ٢٤١/٤: يريد تعلموا لغة العرب بإعرابها.
وقال: اللحن: اللغة والنحو، واللحن أيضاً: الخطأ في الإعراب، فهو من الأضداد.

(٤) قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ١٣٨/٢: رواه أبو بكر بن أبي شيبة وهو منقطع.

(٥) لعل هذا الحديث من المقلوب متنه، وأصله: أعربوا القرآن كما تعربون الكلام.

(٦) تقدمت ترجمته قريباً.

عمر ابن الخطاب: عليكم بالتفقه في الدين، والتفهم في العربية، وحسن العبادة.

وعن يحيى بن عتيق قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟. فقال: حسن يا ابن أخي فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية بوجهها فيهلك.

وعن خليل البصري(١) قال: لما ورد علينا سلمان رضي الله عنه أتيناه نستقرئه القرآن، فقال: إن القرآن عربي، فاستقرئه رجلاً عربياً، قال: فكان زيد بن صوجان يقرئنا، ويأخذ عليه سلمان رضي الله عنه، فإذا أخطأ ميَّز عليه وإذا أصاب قال: أيم الله.

أخرج هذا كله أبو عبيد في الفضائل.

وروى الكلاباذي(٢) في أواخر شرحه لمعاني الأخبار، بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: من قرأ القرآن، فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأ بغير إعراب، كان له بكل حرف عشر حسنات.

وأسند ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله مَلَكا، فإذا قرأ العبد القرآن، فلم يقرأ مُقَوَّما، قَوَّمه المَلَكُ فرفعه مُقَوَّماً.

---

(١) هو الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي، مؤسس قواعد علم العروض والقافية روى القراءات عن عاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير، توفي سنة ١٧٠ هـ.
راجع: طبقات القراء ١/٢٧٥.

(٢) هو أبو بكر محمد بن ابراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، كان محدثاً، ومن مصنفاته: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار. والأمالي في الحديث. توفي سنة ٣٨٤ هـ.
راجع: هدية العارفين ٢/٥٤.

وحمل ذلك على الأعجمي الذي يكون عاجزاً عن إخراج الحروف من مواضعها، والألثغ ونحوهما.

أو أن القارىء يسكِّن رؤوس الآي، ولا يُبَيِّنْ إعرابها.

وروى الطبراني عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن ظاهراً، أو نظراً حتى يختمه، أعطى شجرة في الجنة، لو أن غراباً أفرخ تحت ورقة منها، ثم أدرك ذلك الفرخ فنهض، لأدركه الهَرَمُ قبل أن يقطع تلك الورقة من تلك الشجرة(١).

ورواه البزار وقال: لو أن غراباً أفرخ في غصن من أغصانها ثم طار، لأدركه الهَرَم قبل أن يقطع ورقها.

قال الهيثمي: وفيه محمد بن محمد الهجيمي ولم أعرفه، وسعيد بن سالم القداح مختلف فيه، وبقية رجال الطبراني ثقات، وإسناد البزار ضعيف(٢).

ثواب من علم ولده القرآن

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه(٣) ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من علَّم ابنه القرآن نظراً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهراً، بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر، ويقال لابنه، اقرأ، فكلما قرأ آية، رفع الله عز وجل بها الأب درجة، حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن.

وللترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) ذكره الذهبي في الميزان ١٣٩/٢ في ترجمة سعيد بن سالم القداح، رقم ٣١٨٦ وقال: هذا خبر منكر، ونسبه إلى معجم الطبراني الكبير.

(٢) مجمع الزوائد ١٦٥/٧.

(٣) مجمع الزوائد ١٦٦/٧.

يقول: ما أَذِنَ الله لشي[1]، ما أَذِنَ لعبد يقرأ القرآن في جوف الليل، وإن البِرَّ لَيُذَرُّ على رأس العبد ما دام في مصلاه، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه.

قال أبو النضر: يعني القرآن، منه بدأ، وإليه يرجع الحكم فيه[2].

وللطبراني في الأوسط بسند فيه جابر بن سليم ـ قال الهيثمي: ضعفه الأزدي[3] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، يبلغ به النبي ﷺ قال: ما من رجل يعلم وَلَدَهُ القرآن في الدنيا (إلا تُوِّج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهلُ الجنة بِتَعَلُّم ولدِه القرآن في الدنيا)[4].

من أفضل الأعمال تلاوة القرآن

وللترمذي ـ أيضاً ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله «أي الأعمال أفضل؟. قال: الحالّ المُرتحِلِ، قال: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرُب القرآن إلى آخره، كلما حلَّ ارتحل[5].

ورواه الدارمي عن زرارة بن أبي أوفى رضي الله عنه ولفظه: يضرب

---

(١) قال في النهاية ١/٣٣: أي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن ٤/٢٤٩ حديث رقم ٣٠٧٨ ولفظه: «ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما... الحديث.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٦.
وراجع: الميزان ١/٣٧٧ ترجمة رقم ١٤١٣.

(٤) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب القراءات، باب ٤/٢٦٧ حديث رقم ٤٠١٨ ولفظه: «قال رجل يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله؟. قال: الحال المرتحل» وليس فيه الباقي.
وأما ما ذكره المؤلف فهو من رواية الحاكم في المستدرك بطريقين ١/٥٦٨، ٥٦٩ وفي الأولى صالح المري وهو متروك. وفي الثانية مقدام بن داود بن تليد الرعيني ضعيف.

من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله، وكلما حلَّ ارتحل[1].

وللترمذي أيضاً وقال: حسن غريب، والدارمي، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكرى ومسئلتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه[2].

وهو عند ابن شاهين[3]، بلفظ: يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي، أعطيته ثواب الشاكرين

وروى أبو عبيد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلى، فإذا فإذا مر بآية فيها ذكر النار، قال: أعوذ بالله من النار[4].

ولأبي بكر الشافعي[5] في الجزء الثامن من «الغيلانيات»، عن أبي سلمة

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب ختم القرآن ٢/٤٦٩.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن ٤/٢٥٥ حديث رقم ٣٠٩٤.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام ٢/٤٤١.

(٣) هو الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ، المعروف بابن شاهين، كان من كبار الحفاظ. بلغت تصانيفه ٣٣٠ مصنفاً، وكلها ذات قيمة علمية كبيرة. توفي سنة ٣٨٥ هـ.
راجع: الرسالة ص ٣٤، تذكرة الحفاظ ٣/٩٨٧.

(٤) له أصل في الصحيح من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٥) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم البغدادي الشافعي، الإمام الحجة المفيد، وكتابه أحد عشر جزءاً، وسمي بالغيلانيات لأن ذلك هو القدر المسموع لأبي طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان المتوفي سنة ٤٤٠ هـ. وهي من أعلى الحديث وأجوده، توفي رحمه الله سنة ٣٥٤ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٠، والرسالة المستطرفة ص ٧٨.

بن عبد الرحمن قال: قال رسول الله ﷺ: أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن، وأن أفضل العبادة الدعاء.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا قام أحدكم من الليل(1)، فاستعجم(2) القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول فليضجع(3).

ولأبي داود، وأحمد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وأبي يَعْلَى والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجُهَني، عن أبيه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ القرآن فأكمله وعمل به - وفي رواية: بما فيه(4) - أُلبس والداه(5) تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا(6).

قال الهيثمي: في إسناد (أحمد)(7) زبّان بن فايد وهو ضعيف(8).

---

(1) في د: من القرآن.

(2) قال النووي في شرح مسلم ٦/٧٤: أي استغلق عليه، ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس.

وقال ابن الأثير في النهاية ٢/١٨٧ وجامع الأصول ٢/٤٦٩: أي ارتج عليه، فلم يقدر أن يقرأه، كأنه صار به عجمة.

(3) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته بأن يرقد حتى يذهب عنه ذلك ٦/٧٤.

(4) هي رواية أحمد والحاكم.

(5) عند أحمد: «والديه» على المفعولية، وبناء الفعل للفاعل.

(6) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، أبواب الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن ٢/٧٠ حديث رقم ١٤٥٣.

ومسند الإمام أحمد ٣/٤٤٠.

ومستدرك الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ١/٥٦٧.

(7) ساقطة من: د.

(8) مجمع الزوائد ٧/١٦٢.

قلت: زبّان بن فايد في إسناد أبي داود والحاكم أيضاً، فمدار الحديث عليه عندهم.

وللترمذي وقال: غريب وليس له إسناد صحيح، وابن ماجه، وأحمد بن حنبل وأحمد بن منيع، وأبي يعلى، عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله، وحرّم حرامه، أدخله الله (به)[1] الجنة، وشفعه في عشرة[2] من أهل بيته، كلهم قد وجبت له النار[3].

وللترمذي وحسنه ـ وقال ابن رجب: إنه صححه ـ وابن ماجه، والحاكم وصحح إسناده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حلِّه، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حُلَّة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقول: قد رضيت عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويعطي بكل آية حسنة[4].

وقد ظهر مما مضى، أن المراد هنا بالآية: الكلمة.

---

(١) زيادة عن الترمذي.

(٢) في د: عشرين.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن ٤/٢٤٥ حديث رقم ٣٠٦٩.
وسنن ابن ماجه: المقدمة، باب فضل من تعلم االقرآن وعلمه ١/٨٧ حديث رقم ٢١٦.
ومسند الامام أحمد ١/١٤٨، ١٤٩.
وهو حديث ضعيف كما قال الترمذي في جامعه، فإن فيه كثير بن زاذان له مناكير. وعمرو بن عثمان الرِّقي يحدث من حفظه بمناكير أيضاً.
راجع: الميزان ٣/٢٨٠، ٤٠٣.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من يقرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر ٤/٢٤٨ حديث رقم ٣٠٧٦.
ومستدرك الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب أخبار فضائل القرآن جملة ١/٥٥٢ قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

ثم رواه الترمذي من طريق أخرى موقوفاً على أبي هريرة، وقال: هذا أصح عندنا[1].

قال ابن رجب: ورواه زائدة عن عاصم موقوفاً.

ولأحمد، وأبي داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي، وأبي عبيد وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يقال لصاحب القرآن، اقرأ وارق، ورتل كما ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها[2].

وقال ابن رجب: ورواه ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن عمرو موقوفاً.

قال الخطيب: وكذلك رواه أبو جعفر الرازي[3]، عن عاصم عن زر، عن عبدالله غير منسوب، فهو منسوب في غير هذا الحديث.

ولأبي عبيد، وابن أبي شيبة، والدارمي، عن بريدة رضي الله عنه بإسناد ـ قال شيخنا البوصيري: حسن ـ أن النبي ﷺ قال: إن القرآن يَلْقَى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر، كالرجل الشاحب[4]، فيقول: هل

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر ٤/٢٤٩.

(٢) مسند أحمد ٢/٧١٩٢

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٣.

حديث رقم ١٤٦٤.

وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ١٨ ـ ٤/٢٥٠ حديث رقم ٣٠٨١.

وسنن ابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٢٤٢ حديث رقم ٣٧٨٠.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي، بن عبد العزيز الرازي. فقيه أصولي، أقام بالموصل، وتوفي بها سنة ٦١٥ هـ.

راجع: هدية العارفين ٢/١٠٩.

(٤) قال السندي في شرح سنن ابن ماجة ٢/٤١٦ ـ نقلاً عن السيوطي ـ وكأنه يجيء على هذه الهيئة ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا، أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه في الدنيا لأجل القيام بالقرآن، كذلك القرآن لأجله في السعي يوم القيامة، حتى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة ا. هـ.

تعرفني؟فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صحبك القرآن، الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرتُ ليلك، إن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك - وفي نسخة: وإني - اليوم من وراء كل تجارة، قال: فيعطي المُلْكَ بيمينه، والخُلْد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسي والداه حُلَّتين، لا تقوَّم لهما الدنيا وما فيها.

وفي رواية: لا يُقَوَّم بهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟. فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها. قال: فهو في صعود ما دام يقرأ، هذًّا كان، أو ترتيلا[1].

قال الهيثمي: وروى ابن ماجه طرفاً منه[2].

ولأحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ فاصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى آخر شيء معه[3].

وهو عند الحاكم وصححه على شرط مسلم بلفظ: من قرأ القرآن وتعلمه، وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسي والداه حلتين لا تُقَوَّم بهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن[4].

قال شيخنا البوصيري: ورواه ابن ماجة في سننه، من أوله إلى قوله: أسهرت ليلك[5] (وأظمأت نهارك)[6].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة وآل عمران ٢/٤٥١.
(٢) مجمع الزوائد ٧/١٥٩.
(٣) مسند الامام أحمد ٣/٤٠.
(٤) المستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/٥٦٧.
(٥) زيادة عن سنن ابن ماجة.
(٦) سنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٢٤٢ حديث رقم ٣٧٨١.
قال السندي في شرح سنن ابن ماجه ٢/٤١٦: وفي الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

ورواه الطبراني في الأوسط، في ترجمة محمد بن عبدالله الحضرمي[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الهيثمي: وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف[2].

وروى الترمذي بعضه.

ولأبي عبيد في الفضائل، وأبي عمرو الداني في «البيان في تعداد آي القرآن» عن أم الدرداء قالت: سألت عائشة رضي الله عنها، عمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن ما فضله على من لم يجمعه، فقالت: إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن، فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن، فليس فوقه أحد.

وروى الحارث في مسنده عن سعيد بن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن شارة، وأحسن هيئة، فيقول: يا رب قد أعطيت أجر كل ما عامل عمله، فأين أجر عملي؟. قال: فيكسي صاحب القرآن حلة الكرامة، ويتوج تاج الملك، فيقول: يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أعظم من هذا، فيعطي الخلد بيمينه، والنعيم بشماله، ففيقول له: أرضيت؟ فيقول: نعم أي رب.

وقال الحارث: وحدثنا أبو عبد الرحمن المقرىء، ثنا داود أبو بحر، عن صهر له يقال له مسلم بن مسلم، عن مورق العجلي، عن عبيد بن عمير الليثي قال: قال عبادة الصامت رضي الله عنه: إذا أقام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته، فإنه يطرد بجهر قراءته الشيطان وفُسَّاق الجن، وإن الملائكة في الهواء وسكان الدار يسمعون لقراءته ويصلون بصلاته، فإذا مضت هذه الليلة، أو مضت الليلة المستأنفة فيقول: نبهيه لساعته، وكوني عليه خفيفة، فإذا حضرته الوفاة، جاءه القرآن موقوفاً عند رأسه وهم يغسلونه، فإذا فُرغ منه، دخل حتى صار بين صدره وكفنه، فإذا وضع في حفرته وجاءه منكر

---

(١) قال الذهبي في الميزان ٣/٦٠٧: وثقه الناس، توفي سنة ٢٩٧ هـ.

(٢) مجمع الزوائد ٧/ ١٦٠.

ونكير، خرج القرآن، حتى صار بينه وبينهما، فيقولان له: إليك فإنا نريد أن نسأله، فيقول: والله ما أنا بمفارقه.

قال أبو عبد الرحمن: وكان في كتاب معاوية بن حماد: «حتى أدخله الجنة»، هذا الحرف: فإن كنتما أمرتما فيه بشيء فشأنكما، ثم ينظر إليه فيقول: هل تعرفني؟ . فيقول: لا، فيقول: أنا القرآن الذي كنت أُسْهِرُ ليلَك، وأُظمىء نهارك، وأمنعك شهوتك، وسمعك وبصرك، فتجدني من الأخلَّاء خليلَ صدق، ومن الإخوان أخَ صدق، فابشر، فما عليك بعد مسألة منكر ونكير (من)[1] همٌّ ولا حزن، ثم يخرجان عنه، فيصعد القرآن إلى ربه، فيسأل له فراشاً ودثاراً.

قال: فيؤمر له بفراش ودثار، وقنديل من الجنة، وياسمين من ياسمين الجنة فيحمله إليه ملك من مقربي السماء الدنيا.

قال: فيسبقهم إليه القران فيقول: هل استوحشت بعدي، فإني لم أزل بربي الذي خرجت منه، حتى أمر لك بفراش ودِثَار، ونور من نور الجنة، فيدخل عليه الملائكة فيحملونه، ويفرشونه ذلك الفراش، ويضعون الدّثار تحت قلبه، والياسمين عند صدره، ثم يحملونه حتى يضعوه على شقه الأيمن، ثم يصعدون عنه، فيستلقي عليه، فلا يزال ينظر إلى الملائكة حتى يلحقوا بالسماء، ثم يرفع القرآن في ناحية القبر، فيوسع عليه ما شاء الله أن يوسَّع من ذلك.

قال أبو عبد الرحمن: وكان في كتاب معاوية بن حماد: فيوسَّع مسيرة أربعمائة عام، ثم يحمل الياسمين من عند صدره، فيجعله عند أنفه، فيشمه غضاً، إلى يوم يُنفخ في الصور، ثم يأتي أهله في كل يوم مرة، أو مرتين، فيأتيه بخبرهم، فيدعو لهم بالخير والإقبال، فإن تعلم أحد من ولده القرآن،

---

(١) ساقطة من: د.

بشره بذلك، وإن كان عقبه عقب سوء، أتى الدار غدوة وعشية، فبكى عليه إلى يوم ينفخ في الصور، أو كما قال.

هذا أثر شريف، لا يقال مثله من قبل الرأي. فله حكم الرفع.

ورواه البزار عن معاذ رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وقال المنذري: إن ابن أبي الدنيا وغيره رووه عن عبادة موقوفاً، قال: ولعله أشبه. وقال: إنه منكر(١).

والله أعلم.

وروى الطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه جعفر بن الحارث، وهو ضعيف(٢) ـ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لقارىء القرآن إذا أَحَلَّ حلاله، وحرَّم حرامه، أن يشفع في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت له النار(٣).

وروى محمد بن أبي عمر العدني(٤)، وأبو يعلى الموصلي، في مسنديهما، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ ثلث القرآن، أُعطي ثلث النبوة، ومن قرأ نصف القرآن، أُعطي نصف النبوة، ومن قرأ ثلثيه أُعطي ثلثي النبوة، ومن قرأ كله، أُعطي النبوة كلها، ويقال له يوم القيامة اقرأ وارق بكل آية درجة، حتى يُنْجِزَ ما معه من القرآن، ويقال له:

---

(١) عبارة المنذري في الترغيب ٤٣٤/١: في إسناده من لا يعرف حاله، وفي متنه غرابة كثيرة، بل نكارة ظاهرة، وقد تكلم فيه العقيلي وغيره، ورواه ابن أبي الدنيا وغيره عن عبادة بن الصامت موقوفاً عليه، ولعله أشبه.

(٢) مجمع الزوائد ١٦٢/٧.

(٣) تقدم هذا الحديث من رواية الترمذي وابن ماجه.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني المكي، كان محدثاً حافظاً، مُسنداً، تولى مشيخة الحرم، وروى عن الفضيل بن عياض وخلق كثير، وتوفي بمكة في ذي الحجة سنة ٢٤٣ هجرية، ومن آثاره: المسند، وكتاب الإيمان.
راجع: سير أعلام النبلاء ١٦٨/٨، شذرات الذهب ١٠٤/٢.

اقبض فيقبض، فيقال له (هل)[1] تدري ما في يدك؟. في يدك اليمنى الخلد، وفي الأخرى النعيم.

وفي الباب عن ابن مسعود وأنس، رضي الله عنهما.

وروى[2] إسحاق بن راهويه بسند فيه سعيد بن عبد العزيز.

قال شيخنا البوصيري: وهو ضعيف.

كذا قال، وليس ذلك مطلقاً، بل هو إمام كبير، كان بعضهم يقدمه على الأوزاعي، ولكنه اختلط في آخره عمره[3].

وللطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك، وأثنى عليه هشيم خيراً، وبقية رجاله ثقات[4] ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: من قرأ القرآن وعمل بما فيه، ومات في الجماعة، بُعث يوم القيامة مع السَّفَرة والحكام ـ وقال إسحاق: والبررة ـ ومن قرأ القرآن وهو يَتَفَلَّت منه آتاه الله أجره مرتين، ومن كان حريصاً عليه ولا يستطيعه ولا يدعه، بعثه الله مع أشراف خلقه[5]، وفضلوا على سائر الخلائق، كما فضلت النسور على سائر الطيور، وكما فضلت عين في مرجة[6]

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) كذا بالأصل، ولعل الصواب: ورواه اسحاق... الخ.

(٣) في الميزان ٢/١٤٩: قد قرأ القرآن على ابن عامر، وسمع من مكحول وطائفة، وعنه عبد الرحمن بن مهدي وأبو مسهر، وأبو نصر التمار، وخلق وكان يحفظ، فإنه قال: ما كتبت حديثاً قط، وقال أحمد: ليس بالشام أصح حديثاً منه. وقال الوليد بن مزيد، كان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وسعيد بن عبد العزيز حاضر، قال: سلوا أبا محمد.

توفي سنة ١٦٧ هـ. أ. هـ. بتصرف.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٦٠.

(٥) في مجمع الزوائد: أهله.

(٦) قال في النهاية ٤/٣١٥: المرج: الأرض الواسعة ذات نبات كثير، تمرح فيها الدواب، أي تخلي تسرح مختلطة كيف شاءت.

على ما حولها، ثم ينادي مناد: أين الذين كانوا لا تلهيهم (رعاية)[1] الأنعام[2] عن تلاوة كتابي، فيقومون، فيلبس أحدهم تاج الكرامة، ويعطي الفوز - وفي رواية: النعيم بيمينه، والخلد بشماله. وفي رواية: بيساره - ثم يكسى أبواه[3] إن كانا مُسْلِمِيْنَ حُلَّة[4] خيراً من الدنيا وما فيها، فيقولان: أنّى لنا هذا وما بلغته أعمالنا؟. فِيقال: إن ولدكما يقرأ القرآن.

وفي رواية: بما كان ولدكما يقرأ.

ورواه الدارمي موقوفاً على وهب الزماري وقال: مع السفرة والحكام[5].

(قال سعيد: السفرة: الملائكة. والحكام)[6]: الأنبياء.

وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل (الشاحب)[7] يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أُسْهِر ليلَك، وأظْمِىءُ نهارَك، هذا أجرك، وأنَّ كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطي الملك بيمينه، والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسي والداه حلتين لا تقوم بهما الدنيا وما فيها فيقولان: أنى لنا هذا؟. فيقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي: عند الترمذي بعضه[8].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو يعلي، في مسنديهما، بإسناد حسن

---

(١) ساقطة من: د.
(٢) في د: الأغنام.
(٣) في د: والداه.
(٤) في د: حلتين.
(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من يقرأ القرآن وهو يشتد عليه ٢/٤٤٤.
(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٧) ساقطة من: د.
(٨) مجمع الزوائد ٧/١٦٠.

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يتمثل القرآن يوم القيامة، فيؤتي بالرجل قد كان حمله فيتمثل خصماً دونه فيقول: يا رب حملته آياتي فشر حامل، تعدى حدودي، وضيع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه الحجج حتى يقال له: فشأنك به، فيأخذ بيمينه ـ وفي رواية: بيده ـ ما يرسله حتى يكبه على منخره[1] في النار.

قال: ويؤتي بالعبد الصالح قد كان حمله، فحفظ أمره، فيتمثل خصماً دونه فيقول: يا رب حمّلته آيـاتي، فخير حـامل، حفظ حـدودي، وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي، وعمل بطاعتي وما يزال يقذف له بالحجج، حتى يقال له: شأنك به، فيأخذ بيمينه، فما يرسله حتى يكسوه حلة الاستبرق، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر[2].

قال الهيثمي: وفي سنده ابن اسحاق، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقية رجاله ثقات[3].

وللطبراني بسند ـ قال الهيثمي: رجاله ثقات[4] ـ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من تعلم آية من كتاب الله، استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه.

وللشيخين وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الماهر بالقرآن، مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران[5].

---

(١) في د: شجرة.

(٢) في مجمع الزوائد: الملك.

(٣) مجمع الزوائد ١٦١/٧.

(٤) المرجع السابق.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة عبس ٨٠/٦.

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن ٨٤/٦.

ولأحمد بن منيع والترمذي وابن ماجه، وأبي يعلى، عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن واستظهره[1] وحفظه، أدخله الله الجنة[2].

= وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن ٢/٧٠ حديث رقم ١٤٥٤.
وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل قارىء القرآن ٤/٣٤٤ حديث رقم ٣٠٦٨.
وابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٢٤٢ حديث رقم ٣٧٧٩.

مفردات الحديث:

السفرة: قال النووي في شرح مسلم ٦/٨٤: السفرة: جمع سافر ككاتب وكتبة، والسافر: الرسول. والسفرة: الرسل، لأنهم يسفرون إلى الناس برسلات الله.

وقيل: السفرة: الكتبة. وهم الملائكة الحفظة، قاله ابن الأثير في الجامع ٨/٥٠٣.

والبررة: المطيعون، من البر، وهو الطاعة.

والماهر: ـ قال النووي ما حاصله ـ: الحاذق الكامل الحفظ، الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه واتقانه. ومعنى كونه مع الملائكة: أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة لا تصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى.

ومعنى «يتتعتع عليه» أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه. قال القرطبي في التذكار ص ٥٢: التتعتع في القرآن: هو التردد فيه عَيّاً وصعوبةً وإنما كان لـه أجران: أجر بتلاوته، وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته.

قال النووي: وليس معناه: أن الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر به أفضل وأكثر أجراً، لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره.

وقال القرطبي في مقدمة التفسير ١/٦: ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأنه قد كان متتعتعاً عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى شُبِّه بالملائكة.

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٨/٥٠١: استظهر القرآن: أي حفظه، يقول قرأت القرآن عن ظهر قلبي أي قرأته من حفظي.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، حديث رقم ٢٩٠٧.
ومسند الامام أحمد ١/١٤٨: ١٤٩.

وللطبراني وأبي نعيم في الحلية، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول ﷺ قال: من قرأ القرآن فأعربه، كانت له عند الله دعوة مستجابة، إن شاء عجَّلها[1] في الدنيا، وإن شاء أخرها إلى يوم القيامة[2].

ورواه[3] الطبراني في الأوسط، عن جابر رضي الله عنه: ولفظه: من قرأ القرآن ـ أو قال: جمع القرآن ـ كانت له دعوة مستجابة، إن شاء عجلها في الدنيا وإن شاء ادخرها له في الآخرة.

قال الهيثمي: وفيه مقاتل بن دُوَال[4] دُوز، فإن كان هو مقاتل بن حَيَّان كما قيل، فهو من رجال الصحيح، وإن كان ابن سليمان، فهو ضعيف[5]، وبقية رجاله ثقات[6].

ولأبي عبيد عن بكير بن الأخنس قال: كان يقال: إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن، كتبه المَلَكُ كما أنزل.

وللستة والدارمي، وعبد بن حميد، عن أبي موسى رضي الله عنه وأبي داود عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجه، ريحها طيِّب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الثمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق ـ وفي

---

(١) في م: أعد له.
(٢) الحلية لأبي نعيم ٦/٣٤٩.
(٣) في د: ورواية.
(٤) في مجمع الزوائد: «دواك»، بكاف في آخره، وهو خطأ.
(٥) قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/٢٧٢: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي، نزيل مرو، ويقال له: ابن دوال دوز، كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم.
مات سنة خمس ومائة.
وقال الذهبي في ميزان ٤/١٧٢: هذا في عداد من يجهل حاله.
(٦) مجمع الزوائد ٧/١٦٣

رواية، الفاجر ـ الذي يقرأ القرآن، كمثل الرَّيْحَانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل الفاجر ـ وفي رواية: المنافق ـ الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلَة، طعمها مر، ولا ريح لها[(١)].

زاد أبو داود: ومثل الجليس الصالح، كمثل صاحب المسك، إن لم يصبك منه شيء، أصابك من ريحه. ومثل جليس السوء، كمثل صاحب الكير، إن لم يصبك من سواده، أصابك من دخانه.

وقال ابن رجب في كتاب «الاستغناء بالقرآن»: وروينا بإسناد فيه نظر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا من اشتاق إلى

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٦/٢٣٤، وباب من راءى بقراءة القرآن ٦/٢٤٤، وكتاب التوحيد باب قراءة الفاجر والمنافق ٩/١٢٩.
وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب فضيلة حافظ القرآن ٦/٨٣.
وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ٤/٢٥٩ حديث رقم ٤٨٢٩.
وصحيح الترمذي: كتاب الأمثال، باب ما جاء مثل المؤمن القارىء للقرآن وغير القارىء ٤/٢٢٧ حديث رقم ٣٠٢٥.
وسنن النسائي: كتاب الإيمان، باب مثل الذي يقرأ القرآن من مؤمن ومنافق ٨/١٢٤.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ٢/٣١٨.
وأحمد في المسند ٤/٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٨.
وابن حبان: كتاب العلم، باب وصف من أعطى القرآن والإيمان ١/٢٨٤.
قال السندي في شرح النسائي ٨/١٢٥: الأترجة ـ بضم الهمزة وتشديد الجيم ـ هي من أفضل الثمار، لكبر جرمها، وحسن منظرها، وطيب طعمها، ولين ملمسها، ولونها يسر الناظرين. وفيه تشبيه الإيمان بالطعم الطيب لكونه خيراً باطنياً لا يظهر لكل أحد، وتشبيه القرآن بالريح الطيب ينتفع بسماعه كل أحد، ويظهر سمحاً لكل سامع. أهـ. بتصرف.

الجنة، فليستمع كلام الله، فإن مثل القرآن كمثل جراب مسك، أي وقت فتحته فاح ريحه[1].

فضل من تعلم القرآن وعلمه

وللترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: تعلَّموا القرآن، فاقْرَءُوه (وأَقْرِءُوه)[2] وارقدوا، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، وقام به، كمثل جراب مملوء مسكاً، يفوح ريحه من كل مكان، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه، كمثل جراب أوكي[3] على مسك[4].

وقد روى عن عطاء مرسلاً، وقيل: إنه أصح.

وللستة وغيرهم عن عثمان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: خيركم - وفي رواية عبد الرزاق: أفضلكم - من تعلم القرآن وعلمه[5].

---

(١) ذكره علاء الدين الهندي في كنز العمال ٥٥١/١ حديث رقم ٢٤٧٢ ونسبه إلى الديلمي، ولفظه: ألا من اشتاق إلى الله... إلخ.

(٢) زيادة عن الترمذي.

(٣) الإيكَاءَ: الرَّبْط والشَّدُّ على الوعاء ليظل محتفظاً بما فيه.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب سورة البقرة وآية الكرسي ٢٣٣/٤ حديث رقم ٣٠٤١، وقال: هذا حديث حسن.
وأخرجه عبد الرزاق ٣٧٦/٤ حديث رقم ٦٠١٨.

(٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٢٣٦/٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن ٧٠/٢ حديث رقم ١٤٥٢.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن ٢٤٦/٤ حديث رقم ٣٠٧١.
وسنن ابن ماجه: المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلَّمه ٧٦/١ حديث رقم ٢١١.
=

ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» عن عثمان رضي الله عنه، وزاد: وفضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله عز وجل على خلقه، وذاك أنه منه[١].

وللطبراني في الصغير ـ بسند فيه محمد بن سنان القزاز، وثقه الدارقطني وضعفه جماعة[٢] ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خياركم من تعلم القرآن وعلمه[٣].

وعن عبد الله رضي الله عنه رفعه: خِيارکم من قرأ القرآن وأَقْرَأَهُ.

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناده فيه شريك وعاصم وكلاهما ثقة، وفيهما ضعف[٤].

وللدارمي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه[٥].

وله عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خياركم من تعلم القرآن وعلم القرآن[٦].

= ومصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٧ حديث رقم ٥٩٩٥.

(١) الأسماء والصفات ص ٢٣٧.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/١٦٧: محمد بن سنان بن يزيد القزار وأبو بكر البصري، نزيل بغداد: ضعيف. مات سنة سبعين ومائتين. انتهى. بتصرف.
وقال الذهبي في الميزان ٣/٥٧٥: رماه أبو داود بالكذب، وابن خراش يقول: ليس بثقة، وأما الدارقطني فمشاه، وقال: لا بأس به.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ١/١٣٦.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٦٦.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب خياركم من تعلم القرآن وعلَّمه ٢/٤٣٧.

(٦) سنن الدارمي: الكتاب والباب السابقين.

وذكر المنذري عن ابن أبي الدنيا والبيهقي، بصيغة «روى» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أشراف أمتي حَمَلَةُ القرآن، وأصحابُ الليل[1].

ورواه الطبراني.

(قال)[2] الهيثمي: وفيه سعد بن سعيد الجُرجاني، وهو ضعيف[3].

وروى أبو داود عن أبي إسحاق رضي الله عنه قال: إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، واكرام ذي السلطان المقسط[4].

وبه تقدم[5] تخريج أبي عبيد له بزيادة.

قال النووي في التبيان: وهو حديث حسن[6].

وسيأتي تفسير الغالي بأنه: المُفَرِّط المتناهي. والجافي بأنه: المُفْرِط المُتَداني.

وللترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم وصحح إسناده، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب[7].

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري: كتاب النوافل، باب الترغيب في قيام الليل ١/٤٣١ حديث رقم ٢٧ من الباب.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦١.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم ٤/٢٦١ حديث رقم ٤٨٤٣.

(٥) في د: تقديم.

(٦) التبيان ص ٣٣.

(٧) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ١٨ ـ ٤/٢٥٠ حديث رقم ٣٠٨٠. =

ولابن ماجة بإسناد - قال المنذري: حسن[1] - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر لأن تغدُوَ فتتعلَّم (آية من كتاب الله، خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغـدُوَ فتتعلّم)[2] بابا من العلم، عُمِلَ به أو لم يُعْمَلْ به، خير من أن تصلِّي ألف ركعة[3].

[ولأبي[4] داود الطيالسي في مسنده، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني امرؤ مقبوض، فتعلموا القرآن وعلّموه الناس، فإني مقبوض، فإنه سيقبض العلم، وتظهر الفِتَن، حتى يختلف الإثنان في الفريضة، فلا يجد أن من يفصل بينهما][5].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، والحارث في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه والدارمي، وأبو عبيد، والنسائي في الفضائل عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: كنا في المسجد نتعلم القرآن، فدخل علينا رسول الله ﷺ، فسلَّم علينا، فرَدَدْنَا عليه السلام، فقال: تعلَّموا القرآن وأَعْرِبوه واعتنوا به - وفي رواية: تَغَنَّوا به واقتنوه - والذي نفسي بيده، لهو أشد تفلُّتا من المخاض في العُقُلِ[6].

= والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب من ليس في جوفه من القرآن شيء كالبيت الخرب ١/٥٥٤.

(١) الترغيب والترهيب: كتاب العلم، باب فضل طلب العلم ١/٩٧ حديث رقم ١٧.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سنن ابن ماجة: المقدمة باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ١/٧٩ حديث رقم ٢١٩.

(٤) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٥) منحة المعبود: كتاب العلم، باب الحث على تعلم المعلم وتعليمه وآدابه والتيسير على المتعلم ١/٣٥ حديث رقم ٧٦ من حديث جابر بن عبد الله.

(٦) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن باب في تعاهد القرآن ٢/٤٣٩.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٤٦، ١٥٠، ١٥٣.

ولأبي بكر بن أبي شيبة، وعبدِ بن حُميد في مسنديهما، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تسمكتم به لن تضلوا، الخليفتَيْن: كتاب الله، وعتْرَتي، وأنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظر كيف تَخْلُفُوني فيهما.

وروى من أوجه كثيرة عن عِدَّة من الصحابة، رضي الله عنهم في خطبة حَجَّة الوداع، أنه ﷺ قال: وقد تركت فيكم أيها الناس ما إن اعتصمتم به، لن تضلوا، كتابَ الله وسُنَّةَ نبيه[1].

وروى البزار بإسناد ضعيف، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: إني خَلَّفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً ما أخذتم بهما: كتاب الله وسُنَّتي، لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحَوْضَ.

ولأبي نعيم بإسناد ضعيف، عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي تُوفِّيَ فيه، ونحن في صلاة الغداة فقال: إني تركت فيكم كتابَ الله وسُنَّتي، فاستَنْطِقُوا القرآنَ بسنتي، فإنه لن تعمى أبصارُكم، ولن تَزِلَّ أقدامكم ما أخذتم بها[2].

واستدل أبو نعيم بذلك على أنه أراد بقوله: وعِتْرتي، سنَّتَهُ وبَيَانَهُ للقرآن.

وعترته من أعلم الناس بأحواله وأفعاله، وأحكامه وسننه، فلذا حضَّ على الاقتداء بهم، والأخذ عنهم[3].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ ٢/١٨٢ حديث رقم ١٦٠٥ عن جابر.

وسنن ابن ماجة: كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ ٢/١٠٢٢ حديث رقم ٣٠٧٤ عن جابر أيضاً.

(٢) غير موجود بالحلية. فربما نقله المؤلف عن كتاب آخر لأبي نعيم.

(٣) هذا على أن المراد بعترته: أهل بيته ﷺ، لا على أن المراد سننه.

ذكر ذلك ابن رجب، والدارمي، ومسلم، والنسائي، وعبد بن حميد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فيناً خطيباً بماء يدعى خُمًّا[1]، بين مكةَ والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتِيَني رسولُ ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْنْ[2]، أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به. فحثَّ على كتاب الله ورَغَّب فيه. وفي رواية: قال: هو حَبْلُ الله، من استمسك به وأخذ به، كان على الهُدَى، ومَنْ أخطأه ضَلَّ[3].

وفي رواية: من اتَّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة.

ثم قال: وأهل بيتي، أذكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي، أذكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي.

قال الدارمي: ثلاث مرات[4].

ولأبي بكر الشافعي في الجزء السادس من «الفوائد الغِيلَانِيَّات» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، خلَّفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتابَ الله، و؟سنَّتي، ولن يفترقا على يَرِدَا عليَّ الحوضَ.

ولمالكٍ في المُوطَّأ ـ مُعْضَلاً ـ قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: تركت

---

(١) قال النووي في شرح مسلم ١٥/١٧٩: هو: بضم الخاء وتشديد الميم: اسم لغَيْضَةٍ فيقال: غدير خُمٌّ. أ. هـ.
والحسنة: جبل قرب يَنْبُع، قاله ياقوت في معجم البلدان ٢/٢٥٩.

(٢) قال النووي ١٥/١٨٠: سميا ثَقَلَيْنْ لعِظَمِها وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/٣٦٧ و٣/٥٩ عن أبي سعيد الخدري.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٤٣١.
وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ١٥/١٧٩

(٤) وكذا عند مسلم وأحمد.

فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتابَ الله، وسنَّةَ رسوله[1].

وللطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من تَعَلَّم كتاب الله، ثم اتبع ما فيه، هداه الله به من الضلالة في الدنيا، وَوَقَاهُ الله يوم القيامة سوءَ الحساب.

ولرَزِين وعبد الرزاق في جامعه عنه ـ أيضاً ـ رضي الله عنه، أنه قال: من اقتدى بكتاب الله، لا يضل (في الدنيا)[2]، ولا يشقى[3] (في الآخرة، ثم تلا هذه الآية[4]: ﴿ فمن اتَّبع هُدَايَ فلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى ﴾[5].

ولأبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي سُرَيْح الخُزَاعي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أبشروا، أبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟. قالوا: نعم. قال: فإن هذا القرآن سبب، طَرَفُه بيد الله، وطَرَفُه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً[6].

ورواه عبد بن حميد، وابن حبان في صحيحه، كلاهما من طريقه.

ورواه أحمد بن منيع، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) الموطأ: كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر ٨٩٩/٢ حديث رقم ٣ من الباب.

(٢)،(٣) ساقطة من: د.

(٤) سورة طه: آية ١٢٣.

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣٨٢/٣ حديث رقم ٦٠٣٣. ولفظه عنده هكذا.

ومن قرأ القرآن فاتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة في الدنيا، ووقاه يوم القيامة الحساب، وذلك أن الله تعالى يقول: من اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى.

(٦) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة: كتاب فضائل القرآن، باب في التمسك بالقرآن ٤٨١/١٠ حديث رقم ١٠٠٥٥.

وللشيخين والترمذي، والنسائي، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: استذكروا القرآن. فإنه أشد تفصياً(١) من صدور الرجال من النعم(٢)

وللشيخين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تعاهدوا القرآن، فوالذي نَفْسُ محمد بيده، لهو أشد تَفَلُّتاً من الإبل في عُقُلِها(٣).

ولمالكٍ والشيخين، والنسائي، وأبي عبيد، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إنما مثل صاحب القرآن ـ وقال أبو عبيد: مثل القرآن ـ كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها ـ وقال أبو عبيد: إذا عاهد صاحبها على عَقْلِها ـ أمسكها، وإذا أطلقها ـ (وقال أبو عبيد: وإذا أغفلها)(٤) ـ ذهبت(٥).

---

(١) قال النووي في شرح مسلم ٦/٧٧: قال أهل اللغة: التفصي: الانفصال وهو بمعنى الرواية الأخرى: «أشدُّ تَفَلُّتا». والنَّعِم أصلها: الإبل والبقر والغنم. والمراد هنا: الإبل خاصة، لأنها التي تعقل أ. هـ.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهُدِهِ ٦/٢٣٨.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعاهد القرآن ٦/٧٦.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٥.

(٣) الصحيحين: الكتابين والبابين السابقين.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) موطأ مالك: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن ١/٢٢.
وصحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن ٦/١٣٧.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن والأمر بتعهـده ٦/٧٥.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ما جاء في القرآن ٢/١٥٤.
قال الحافظ في الفتح ٩/٧٩: المُعَقَّلة ـ بضم الميم. وفتح العين المهملة، وتشديد القاف ـ أي المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير، شَبَّه درس =

وللطبراني في الكبير، والإمام أحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[1] ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تَعَلَّمُوا كتاب الله وتعاهدوه، وتَغَنَّوا به، فوالذي نفسي بيده، لهو أشد تَفَلُّتاً من النَّعِم في العُقُل[2].

وقال الطبراني، لهو أشد تفلتا من النعم في العقل.

وللطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات، إلا شيخه أحمد، فإن كان ابن الخليل، فيهو ضعيف، وإلا فلم أعرفه[3] ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّياً[4] من صدور الرجال، من الإبل المُعَقَّلة إلى[5] إعْطَائِها.

وللطبراني في الثلاثة ـ قال الهيثمي: ورجال الصغير والأوسط ثقات[6] ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: تعاهدوا القرآن، تعاهدوا القرآن[7].

قال في الكبير: فإنه وحشي.

= القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يُخشى منه الشِّراد، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ. وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسى نفوراً وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة. أ.هـ.

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٢) مسند أحمد ٤/١٤٦، ١٥٠، ١٥٣.
وأخرجه الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن ٢/٤٣٩.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٤) التفصي: التفلت.

(٥) العطن: مبرك الإبل ومكان بياتها، كما جاء في المعجم الصغير: أوطانها.

(٦) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٧) المعجم الصغير للطبراني ١/١١٠ من حديث عبد الله بن مسعود.

وقال في غيره: فهو أشد تفصياً من صدور الرجال [من نـوازع[1] الطير.

وهو عند البخاري والدارمي، وأبي عبيد في الغريب، مرفوعاً، ومسلم موقوفاً[2] بلفظ: بئس ما لأحدهم أن يقول: نَسِيتُ[3] آية كَيْتَ وكَيْتَ[4]، بل هو نُسِّيَ[5] واستذكروا القرآن، فلهو أشد تَفَصِّياً من صدور الرجال][6] من النَّعِم في عُقْلِها[7].

---

(1) النوازع: جمع نازع: والنازع من الطير: التي تَحِنُّ وتشتاق إلى وطنها فيحملها الشوق إلى شدة الفَرَار إليها.
راجع: اللسان ٨/٣٥٠.

(2) ومرفوعاً أيضاً.

(3) قال الحافظ في الفتح ٩/٨٠: بفتح النون وتخفيف السين اتفاقاً.

(4) قال الحافظ في الفتح ٩/٨٠: قال القرطبي: كيت وكيت يعبر بهما عن الجمل الكثيرة، والحديث الطويل، ومثلها زيت وزيت، وقال ثعلب: كيت للأفعال وزيت للأسماء، وحكى ابن التين عن الداودي: أن هذه الكلمة ـ يعني كيت ـ مثل كذا، إلا أنها خاصة بالمؤنث.

(5) قال النووي في شرح مسلم ٦/٧٦: ضبطناه بتشديد السين أ هـ.
ووجه الذم: قال أبو عبيد في الغريب ٣/١٤٩: إن وجه هذا الحديث، إنما هو على التارك لتلاوة القرآن، الجافي عنه، ومما يبين ذلك قوله: «استذكروا القرآن»، وفي حديث آخر: «تَعَهَّدُوا القرآن»، فليس يقال هذا إلا للتارك وكذلك حديث الضحاك بن مزاحم: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه، إلا بذنب يُحْدِثُه، لأن الله تبارك وتعالى يقول: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وأن نسيان القرآن من أعظم المصائب.
قال: إنما هذا على الترك، فأما الذي هو دائب في تلاوته، حريص على حفظه، إلا أن النسيان يغلبه، فليس من ذلك في شيء.
ومما يحقق ذلك: أن رسول الله ﷺ قد كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره، ومن ذلك حديث عائشة: أن النبي ﷺ سمع قراءة رجل في المسجد فقال: ماله ـ رحمه الله ـ لقد أذكرني آيات كنت نسيتها من سورة كذا وكذا. أ هـ.

(6) ما بين المربعين ساقط من: د.

(7) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعَاهُدِه ٦/١٠٩.

ولفظ أبي عبيد: ليس هو نَسِيَ، لكن نُسِّيَ.

وفي رواية في الصحيحين عنه قال: قال النبي ﷺ: لا يقل أحدكم: نَسِيتُ آية كذا وكذا، بل هو نُسِّي[1].

المنع من أخذ أجرة على قراءة القرآن

ولأبي داود عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والأعجمي، فقال: اقرأوا، فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح[2]، يتعجلونه، ولا يتأجلونه[3].

= وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن والأمر بتعهده ٦/٧٦ مرفوعاً، ورواه موقوفاً من طريق يحيى بن يحيى.
وغريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٤٨/ط الهند.

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن ٦/٢٣٩.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعاهد القرآن ٦/٧٦.
قال ابن الأثير في النهاية ٤/١٥٠: كره نسبة النسيان إلى النفس لمعنيين:
أحدهما: أن الله تعالى هو الذي أنساه إياه، لأنه المقدّر للأشياء كلها. والثاني: أن أصل النسيان: الترك، فكره له أن يقول: تركت القرآن، أو قصدت إلى نسيانه، ولأن ذلك لم يكن باختياره. يقال: نسّاه، وأنساه. ولو روى: نسي - بالتخفيف - لكان معناه: ترك من الخير وحرم - اهـ.
قلت، ومنه قوله تعلى: «وكذلك اليوم تنسى»، أي تترك.

(٢) القدح - بكسر القاف وسكون الدال -: السهم. وجاء في حديث سهل ابن سعد الساعدي عند أبي داود أيضاً: يُقيمونه كما يقوّم السهم.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يجزىء الأمي والأعجمي من القراءة ١/٢٢٠ حديث رقم ٨٣٠.
ومعنى «يتعجلونه» قال المناوي في فيض القدير ٢/٦٦: أي يطلبون بقراءته: العاجلة، من عرض الدنيا، والرفعة فيها.
«ولا يتأجلونه»: أي لا يريدون به الآجلة، وهو جماء الآخرة. اهـ.

ورواه أحمد بن منيع في مسنده ولفظه: أن النبي ﷺ رأى قوماً يقرأون القرآن، فقال: اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه.

قال شيخنا البوصيري: وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند أحمد بن حنبل في مسنده قال: بينا نحن نقرأ، فينا العربي، والعجمي والأسود - وفي رواية: والأحمر والأبيض - إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أنتم في خير، تقرأون كتاب الله، وفيكم رسول الله ﷺ وسيأتي على الناس زمان يَثْقِفُونه كما يَثْقِفُ القِدْحَ[١]، يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها[٢].

وفي التبيان للنووي: وروى ابن أبي داود: أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يدرس القرآن مع نفر يقرؤ ون جميعاً، فِعْلَ الدارسة مجتمعين، عن جماعات من أفاضل السلف والخلف، وقضاة المتقدمين[٣].

وفي الفردوس عن بريدة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن يتأكل به الناس، جاء يوم القيامة، ووجهه عظم، ليس عليه لحم.

ورواه أبو عبيد عن زاذان بلفظه.

ومعلوم أنه لا يقال بالرأي، فله حكم الرفع، فهو مرسل، يعضد المرفوع.

وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من قرأ عند أمير جائر كتاب الله لعنه (الله)[٤] بكل حرف قرأ عنده لعنة.

---

(١) تفسره الرواية السابقة عند أبي داود: «يقيمونه كما يقام القدح».

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/١٤٦، ١٥٥.

وفي بعض ألفاظه: يتثقفونه كما يثقف القدح.

(٣) التبيان ص ٧٦.

(٤) ساقطة من: د.

ولأبي عبيد عن الحسن رحمه الله قال: قرأ القرآن ثلاثة أصناف:

صنف[1] اتخذوه بضاعة (يأكلون به)[2].

وصنف أقاموا حروفه، وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم واسْتَدَرُّوا به الولاة، كثُر هذا الضرب من حملة القرآن، لا كَثَّرهَم الله.

وصنف عمدوا إلى دواء القرآن، فوضعوه على داء قلوبهم، فركدوا به في محاريبهم، وخَفُّوا به في بَرانِسهم، واستشعروا الخوف وارْتَدَوُا الحزن، فأولئك الذين يُسقى بهم الغيثُ، ويُنْصَربهم على الأعداء، والله لَهَذَا الضَّرْبُ في حملة القرآن، أعز من الكبريت الأحمر[3].

ولأبي داود، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي عبيد، عن سهل ابن سعد الأنصاري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقترىء القرآن: يقرىء بعضنا بعضاً، فقال: الحمد لله، كتاب الله واحد وفيكم الأحمر، وفيكم الأبيض، وفيكم الأسود، اقرأوه قبل أن يقرأه، قوم يقيمونه كما يقوَّم السهم، يتعجلونه ولا يتأجلونه[4].

ولفظ ابن أبي شيبة: يقيمون حروف القرآن، كما يُقام السهم، لا يجاوز تَراقِيَهم، يتعجلون ثوابه، ولا يتأجلونه.

ولفظ عبد: فقال: الحمد لله، كتاب الله واحد، وفيكم الأخيار، وفيكم الأحمر والأسود، ثم قال: اقرأوا، اقرأوا، اقرأوا، قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه كما يقام السهم، لا يجاوز تَـرَاقِيَهم، يتعجلون أجره، ولا يتأجلونه.

---

(١) في د: نصف. وهو تحريف.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) وعزاه أبو شامة في المرشد ص ٢٠٩ إلى السخاوي في جمال القراء.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يجزىء الدمى والأعجمي من القراءة ١/ ٢٢٠ حديث رقم ٨٣١.

ولأبي عبيد: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ نحوه.

النهي عن تلحين القرآن

وروى أبو عبيد، عن عِبْسٍ - وفي رواية: عابس[١] - الغفاري رضي الله عنه، أنه رأى الناس يخرجون في الطاعون. فقال: مَالِ هؤلاء؟. فقالوا: يفرون من الطاعون. فقال: يا طاعون خذني، فقالوا: تتمنى الموت، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يتمنين أحدكم الموت؟. قال: إني أُبادِر خصالاً سمعت رسول الله ﷺ يَتَخَوَّفُهُنَّ على أمته: بَيْعُ الحكم والاستخفافُ بالدم، وقطيعةُ الرَّحِم، وقوماً يتخذون القرآن مَزَامِيرَ، يُقَدِّمون أحدهم ليس بِأَفْقِهِهِم ولا أَفْضَلِهِم، إلا ليغنِّيَهُم به غِنَاءً، وذكر خلتين أخريين[٢].

ورواه أبو عبيد - أيضاً - في كتاب الغريب بلفظ: أن النبي ﷺ ذكر أشراط الساعة فقال: بَيْعُ الحكم، وقطيعةُ الرحم، والاستخفاف بالدم وكثرة الشُّرَط[٣]، وأن يتخذ القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء[٤].

---

(١) قال الذهبي في التجريد ١/٢٨١: عابس بن عبس الغفاري. وقال ابن حجر في الإصابة ٢/٢٣٤: عابس بن عابس الغفاري، ويقال له: عبس بن عابس، قال البخاري: له صحبة.

(٢) وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٩٤.
وقال في الإصابة ٢/٢٣٤: رواه الطبراني وابن شاهين. من طريق موسى الجُهنى عن زاذان.
قال الذهبي في الميزان ٤/٢٠٩: موسى بن عبدالله الجُهنمي، من ثقات الكوفيين وعُبَّادِهم، حدث عنه شعبة، والقطات، ووثقة أحمد وابن معين.
وقال في الميزان ٢/٦٣: زاذان أبو عمر الكندي مولاهم الكوفي، وثقة ابن معين، اهـ. مختصراً.

(٣) قال في النهاية ٢/٤٦٠: شرط السلطان: نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده.

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٤١.

وذلك بعد أن حمل الأمر بتزيينه بالصوت على التحزين، على ما فسرته الأحاديث الواردة فيه[1].

وروى النيسابوري في «مناقب مالك» ـ قال ابن رجب: بإسناده ـ عن عبد الله بن مطرِّف بن يوسف الضبي، ومطرف بن عبد الله، قالا: سمعنا مالكاً يقول: من قرأ بالتمطيط والتمديد والألحان، ضُرب ضرباً وجيعاً، وحبس حتى يتوب من ذلك.

وإنما هؤلاء قوم رفعوا أنفسهم عن الغناء، فجعلوا كتاب الله يتغنَّوْن به، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإنهم لهذا أشد كراهية من الغناء ولا (أدري)[2] أي شيطان ألقي في أفواه الناس هذا[3].

---

(١) ونص عبارته: وقوله: «يتغنى بالقرآن»، إنما مذهبه عندنا: تحزين القراءة. ولكنه قال في ص ١٦٩ في حديث: وليس منا من لم يتغن بالقرآن»: كان سفيان بن عيينة يقول: معناه: من لم يَسْتَغْنِ به ولا يذهب به إلى الصوت. وليس له عندي وجه غير هذا.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) قال الرافعي في إعجاز القرآن ص ٥٩: أول من قرأ بالتلحين عبيد الله ابن بكرة، وكانت قراءته حزناً ليست على شيء من ألحان الغناء والحداء فورث ذلك عنه حفيده عبد الله بن عمر بن عبيد الله ـ فهو الذي يقال له قراءة ابن عمر ـ وأخذها عنه الأباضي، ثم أخذ سعيد بن العلّاف وأخوه عن الأباضي، وصار سعيد رأس هذه القراءة في زمنه وعُرفت به، لأنه اتصل بالرشيد فأعجب بقراءته وكان يحظيه ويعطيه، حتى عرف بين الناس بقارىء أمير المؤمنين.

وكان القراء بعده ـ كالهيثم وأبان، وابن أعين، وغيرهم ممن يقرءون في المجالس أو المساجد ـ يُدخلون في القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية، فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دسّاً خفياً، ومنهم من يجهر به حتى يسلخه، فمن هذا قراءة الهيثم: «أما السفينة فكانت لمسكين». فإنه كان يختلس المد اختلاساً فيقرؤها «لمسكين». وانما سلخه من صوت الغناء كهيئة اللحن في قول الشاعر:

أما القطاة فإني سوف أنعتها ... نعتاً يوافق عندي بعض «مَفِيهَا»

أي ما فيها.

وكان ابن أعين يدخل الشيء من ذلك ويخفيه، حتى كان الترمذي محمد ابن سعيد في=

وروى الإمام أحمد عن ابن سيرين[1]، أنه سئل عن هذه الأصوات التي يقرأ بها، فقال: هو مُحْدَثٌ.

ونص الإمام أحمد على كراهة قراءة الألحان، وقال: يُحسِّنه بصوته من غير تكلُّف.

وروى أبو عبيد - أيضاً - في الفضائل، وعبد الرحمن بن الحكم في «فتوح مصر» عن مالك بن عبادة الغافقي أبو موسى[2]، خادم رسول الله ﷺ، أنه سمع عطية بن عامر[3] رضي الله عنه (يَقُصُّ)[4] يقول: قال رسول الله ﷺ، فقال مالك: إن صاحبكم (هذا)[5] لغافل[6]، أو هالك، إن رسول الله ﷺ عهد إلينا في حجة الوداع فقال: عليكم بالقرآن، فإنكم سترجعون إلى قوم يشتهون الحديث عني، فمن عقل[7] شيئاً فليحدث به،

= المائة الثالثة، وكان الخلفاء والأمراء يومئذٍ قد أولعو ا بالغناء وافتنّوا فيه، فقرأ محمد هذا على الأغاني المولدة المحدثة سلخها في القراءة بأعيانها.
وقال صاحب جمال القراء: إن أول ما غُنّي به القرآن قراءة الهيثم «أما السفينة» كما تقدم. فلعل هذا أول ما ظهر منه.
ولم يكن يُعرف من مثل هذا شي لعهد النبي لْا ولا لعهد أصحابه وتابعيهم. اهـ.
وممن أشار إليه من القدماء ابن قتيبة في كتابه «المعارف» ص ٥٣٣ ط/دار الكتب سنة ١٩٦٠ م. فراجعه إن شئت.

(١) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، تابعي، كان إمام وقته في علوم الإسلام، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، سمع أبا هريرة، وعبد الله بن عمر، وعمران بن حصين، وطائفة من الصحابة. توفي في شوال يوم جمعة سنة عشر ومائة.
راجع: الحلية ٢/٢٦٣، وفيات الأعيان ٣/٣٢١، طبقات ابن سعد ٧/١٤٠.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة ٤/١٨٧: ويقال مالك بن عبد الله.

(٣) قال الذهبي في التجريد ١/٢٨٢: روى عنه شريح بن عبيد، وانما هو عقبة ابن عامر، فصحف.

(٤، ٥) زيادة عن ابن عبد الحكم.

(٦) في الأصل: لعاقل، والتصريب عن ابن عبد الحكم والإصابة وعند أحمد في المسند: لحافظ أو هالك.

(٧) وعي وحفظ.

ومن قال عليّ ما لم أقل ـ وقال ابن عبد الحكم: من افترى عليّ ـ فليتبوأ بيتاً، أو قال: مقعداً من جهنم.

قال[1]: لا أدري أيهما قال[2].

ولأبي عبيد أيضاً، عن المُهَاجِر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: ي أهل القرآن، لا تَوَسَّدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته، أناء الليل والنهار وتغنَّوْه واتقنوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون.

ذم نسيان القرآن

ولأبي داود، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي عبيد في الفضائل والغريب، والدارمي، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه، إلا لقي الله يوم القيامة وهو أجذم[3].

وقال أبو عبيد: الأجذم: المقطوع اليد[4].

---

(١) القائل مالك بن عبادة.

(٢) فتوح مصر ص ٣٠٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٣٤.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التشديد في من حفظ القرآن نسيه ٢/٤٣٧.
وغريب الحدي ث لأبي عبيد ٣/٤٨.
وأخرجه عبد الرزاق في المصنّف: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٥ حديث رقم ٥٩٨٩.
ومدار الحديث على يزيد بن أبي زياد الكوفي وهو ضعيف. كما أن فيه انقطاعاً، لأن عيسى بن فايد لم يسمع سعد بن عبادة.
راجع: الميزان ٤/٤٢٣، ٣/٣١٩، ومختصر سنن أبي داود للمنذري ٢/١٣٩.

(٤) غريب الحديث ٣/٤٨.
وقال الخطابي في معالم السنن ٢/١٣٩: وقال ابن الأعرابي: معناه: أنه يلقي الله خالي اليدين عن الخير، كنى باليد عما تحويه اليد. وقال آخر: معناه: لقى الله لا حجة له. اهـ.

زاد رزين: واقرأوا (إن شئتم)[1]: ﴿ **قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾[2].

ولأحمد بن حنبل - قال الهيثمي: ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف[3] - عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أمير عشيرة، إلا جيء يوم القيامة مغلولةً يدُه إلى عنقه، حتى يطلقه الحق أو يوبقه[4]، ومن تعلم القرآن ثم نسيه، لقي الله تبارك وتعالى وهو أجذم[5].

ولأبي داود، والترمذي، وابن ماجة، وأبي عبيد، وابن خزيمة في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: عُرضت عليَّ أُجُور أمتي، حتى القذاةُ يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي، فلم أر فيها ذنباً أعظم - وقال أبو عبيد: أكبر - من سورة من القرآن، أو آية، أوتيها رجل، ثم نسيها[6].

وروى أبو عبيد عن سلمان رضي الله عنه نحوه.

وروى أبو عبيد - أيضاً - في الغريب عن الضحاك بن مزاحم قال: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه، إلا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وما

---

(١) زيادة عن جامع الأصول لابن الأثير ٨/٥٠٩ حديث رقم ٦٣٠١.
(٢) سورة طه آية ١٢٥، ١٢٦.
(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٧.
(٤) أي يهلكه، بمعنى أنه يكون سبباً في هلاكه، كما أنه سبب في إطلاقه.
(٥) مسند الإمام أحمد ٥/٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٣، ٣٢٨.
(٦) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في كنس المساجد ١/١٢٦ حديث رقم ٤٦١.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ١٩ - ٤/٢٥٠ حديث رقم ٣٠٨٣.
وغريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٤٩.
وصحيح ابن خزيمة: أبواب فضائل المساجد وبنائها وتعظيمها، باب فضل إخراج القذي من المسجد ٢/٢٧١ حديث رقم ١٢٩٧.

أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ﴾[1]. وأن نسيان القرآن من أعظم المصائب[2].

نهي صاحب القرآن عن أن يسأل به الناس

وللترمذي عن عمران بن حُصين رضي الله عنه، أنه مر على قارىء يقرأ القرآن ثم يسأل الناس به،فاسترجع[3] وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ القرآن، فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرأون القرآن ويسألون به الناس[4].

حب المؤمن للقرآن دليل حبه لله

وروى أبو عبيد، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يُسْألُ عَبْدٌ عن نفسه إلا بالقرآن، فإن كان يحب القرآن، فإنه يحب الله ورسوله.

ورواه الطبراني - قال الهيثمي: ورجاله ثقات[5] - عن عبد الله رضي الله عنه ولفظه: من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر، فإن كان يحب القرآن [فهو يحب الله ورسوله.

وفي رواسة: فإن كان يحب القرآن][6] ويعجبه، فهو بخير.

---

(١) سورة الشوري آية ٣٠.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٤٩.

(٣) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ٢٠ - ٤/٢٥٠ حديث رقم ٣٨٤. وقال: حديث حسن.

(٥) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.

(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.

وللترمذي عن صهيب رضي الله عنه، وعبد بن حميد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما آمن بالقرآن من استحل محارمه(١).

وللبخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: يا معشر القراء، استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيداً(٢).

استحباب تحسين الصوت بالقرآن

ولأحمد وأبي داود والنسائي، وابن ماجة، والدارمي، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن البراء رضي الله عنه موصولاً، وللبخاري عنه معلقاً مجزوماً، وللبزار عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهعنه قالا: إن رسول الله ﷺ قال: زينوا القرآن بأصواتكم(٣).

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ٢٠ - ٢٥٢/٤ حديث رقم ٣٠٨٥.
قال الترمذي: هذا حديث ليس بذاك.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤٠/٨.
قال الحافظ في الفتح ٢٥٧/١٣: القُرَّاءُ - بضم القاف، وتشديد الراء مهموز - جمع قارىء، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة، العُبَّاد. اهـ.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٩٦/٤.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٧٤/٢ - حديث رقم ١٤٦٨.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت ١٧٩/٢.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن ٤٢٦/١ حديث رقم ١٣٤٢.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٤٧٤/٢.
وصحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ٢١٤/٨.

وزاد الدارمي قال: الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً(١).

ورواه عبد الرزاق في جامعه، عن البراء رضي الله عنه من طريقين: قال في إحداهما:

زيِّنوا القرآن بأصواتكم(٢).

كرواية الجماعة.

وفي الأخرى: أن رسول الله ﷺ قال: زينوا أصواتكم بالقرآن(٢).

وكلا المعنيين صحيح، فإن من حسّن صوته بالقراءة(٣)، زاد صوتُه القرآنَ حُسْناً وزاد القرآنُ صوتَه حُسْناً.

وللطبراني في الكبير باسنادين ـ قال الهيثمي: في أحدهما عبدالله بن خراش وثقة ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وضعفه البخاري(٤) وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: زَيِّنوا ـ وفي رواية: حسِّنوا ـ أصواتكم بالقرآن.

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي، وفيه اسماعيل بن عمرو البجَلى، وهو ضعيف(٥) ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبزار ـ قال الهيثمي: وفيه عبدالله ابن محرز(٦)، وهو متروك ـ عن أنس رضي الله عنه، قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء حليةٌ وحليةُ القرآن حسن الصوت.

قال أنس: وحلية القرآن الصوت الحسن.

وروى البزار بسند ـ قال الهيثمي: فيه سعيد بن زَرْبِي(٧)، وهو

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٢/٤٧٤.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٤ حديث رقم ٤١٧٥، ٤١٧٦.

(٣) في د: بالقرآن.

(٤) لفظ الهيثمي في الزوائد ٧/١٧٠: ووثقة البخاري وغيره.

(٥) (٦) مجمع الزوائد: سعيد بن رزق.

(٧) قال ابن حجر في التقريب ١/١٩٥: سعيد بن زربي ـ بفتح الزاي وسكون الراء، =

ضعيف[1] عن عبدالله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن حسن الصوت تزيين للقرآن.

قال ابن رجب: وروى عنه موقوفاً عليه، وهو أشبه.

وروى ابن أبي الدنيا عن الهيثم القارىء قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: أنت الهيثم القارىء، الذي تزين القرآن بصوتك؟. قلت: نعم. قال: جزاك الله خيراً.

وقال بحر بن نصر[2]: ما رأيت ولا سمعت في عصر الشافعي، كان أحسن صوتاً منه (بالقرآن)[3].

وللشيخين، وأبي داود، والنسائي، والدارمي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به[4].

= بعدها موحدة مكسورة ـ الخزاعي البصري العَبَادَانِي أبو عبيدة، أو أبو معاوية، منكر الحديث. اهـ.

(١) مجمع الزوائد ١٧١/٧.

(٢) هو أبو عبد الله بحر بن نصر بن سابق الخولاني المصري، ثقة، مات سنة سبع وستين، وله سبع وثمانون سنة.
راجع: تقريب التهذيب ٩٣/١.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن ٢٣٥/٦ وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٦٨/٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٧٥/٢ حديث رقم ١٤٧٣.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت ٧٨/٢.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٣٤٩/١.
ومعنى «أذن» قال النووي ٧٨/٦: لا يجوز أن تحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء، فإنه يستحيل على الله تعالى، بل هو مجاز، ومعناه الكناية عن تقريبه القارىء واجزال ثوابه، لأن سماع الله تعالى لا يختلف، فوجب تأويله. اهـ.

وللطبراني في الأوسط، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: لم يأذن الله كَأَذَنِه لمترنِّم بالقرآن.

قال الهيثمي: وفيه سليمان بن داود الشاذَكُوني، وهو كذاب[1].

وللشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن[2].

ورواه أبو يعلى الموصلي والبزار، عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: من لم يتغن بالقرآن، فليس منا.

ورواه البزار ـ قال الهيثمي: وفيه محمد بن ماهان، قال الدارقطني: ليس بالقوي. وبقية رجاله ثقات[3] ـ عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما.
ورواه الدارمي وأبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[4].

والبزار (والطبراني، ورجال البزار) رجالُ الصحيح ـ قال الهيثمي[5] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والبزار بسند فيه أبو أمية بن يعلى ـ قال الهيثمي: وهو ضعيف[6] ـ عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن.
بلفظ أبي هريرة، إلا قوله: القرآن.
قال النووي في التبيان، وفي إسناد سعد اختلاف لا يضر[7].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.
(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ ٩/١٢٣.
(٣) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.
(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٤ حديث رقم ١٤٦٩.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٢/٣٤٩.
(٥، ٦) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.
(٧) التبيان ص ٨١.

ورواه أبو عبيد في الفضائل والغريب، عن عبدالله بن أبي نهيك قال: دخلت على سعد[1] رضي الله عنه، فرأيته رث المتاع، رث المثال[2]، فقال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن[3].

ورجح أبو عبيد أن المراد بالتغني، ضد الفقر[4].

قال: ومنه الحديث الآخر: «من قرأ القرآن، فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى، فقد عظَّم صغيراً، وصغَّر عظيماً. انتهى[5].

ولا شك أنه محمل حسن، ولكنه لا ينفي المعنى الآخر، الذي نقله النووي عن جمهور العلماء، للأحاديث الصريحة في تحسين الصوت، فيكون المراد بالتغني الأمران معاً: الغناء: والغنى.

ورواه أبو داود، والطبراني - قال الهيثمي: ورجاله ثقات[1] - عن ابن

---

(١) هو سعد بن مالك، كما صرح به عبد الرزاق في المصنف، والحاكم في المستدرك في رواية.

(٢) أي بالي الثوب، خلق الرداء.

(٣) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب الصلاة، باب النائم والسكران والقراءة على الغناء ٢/٤٨٣ حديث رقم ٤١٧١.

وغريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٧٠.

وأخرجه أحمد في المسند ١/١٧٢، ١٧٥، ١٧٩ وفيه: أن سعدا هذا هو سعد بن أبي وقاص.

والحاكم في المستدرك عن سعد بن أبي وقاص، ورواية عن سعد بن مالك من طريق الليث ١/٥٦٩.

(٤) قال: فذكره رثاثة المتاع والمثال عند هذا الحديث ينبيك أنه إنما أراد الاستغناء بالمثال القليل، وليس الصوتُ من هذا في شيء، ويبين ذلك حديث عبد الله: من قرأ سورة آل عمران فهو غَنيّ.

(٥) غريب الحديث ٢/١٧١: وعلّق عليه بقوله:

ومعنى الحديث: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحداً من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها. اهـ.

(٦) مجمع الزوائد ٧/١٧١.

أبي مليكة[1] قال: قال عبيدالله بن أبي يزيد: مر بنا أبو لُبابة، فاتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رثُّ البيت، رث الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن. قال: فقلت لابن أبي مليكة، يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟. قال: يحسنه ما استطاع[2].

وروى ابن ماجة عن أبي موسى رضي الله عنه، والحاكم عن البراء رضي الله عنه وعبد الرزاق عن عائشة وبريدة رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ استمع قراءة أبي موسى رضي الله عنه فقال: لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود[3].

وروى أبو يعلى الموصلي ـ قال الهيثمي: وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف[4] ـ عن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها مرّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثم إنهما مضيا، فلما أصبح، لقي أبا موسى رضي الله عنه، فقال: يا أبا موسى، مررتُ بك البارحة ومعي عائشة وأنت تقرأ في بيتك، فقمنا واستمعنا، فقال أبو موسى: أما إني يا رسول الله لو علمت، لحبَّرتُه[5] لك تحبيراً.

---

(1) في الأصل: عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: وقال الراوي: قال رسول الله ﷺ... الخ. وهو تركيب خطأ، ونقلنا الحديث بسنده ومتنه عن سنن أبي داود.

(2) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٤. حديث رقم ١٤٧١.

(3) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٥ حديث رقم ١٣٤١.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٥ حديث رقم ٤١٧٧.
والمستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب أبي موسى الأشعري ٣/٤٦٦.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

(4) مجمع الزوائد ٧/١٧١.

(5) قال في النهاية ١/٣٢٧: يقال: حبّرت الشيء تحبيراً، إذا حسنته.

وروى أحمد بن منيع في مسنده عن أنس رضي الله عنه، أن أبا موسى رضي الله عنه، كان يقرأ ذاتَ ليلة، ونساءُ النبي ﷺ يستمعن، فقيل له. فقال: لو علمتُ لحبَّرت تحبيراً، ولشوقت تشويقاً.

ولأبي عبيدة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فسمع قراءة رجل، فقال: من هذا؟، فقيل: عبدالله بن قيس فقال: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود عليه السلام[1].

وله عن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى رضي الله عنه قال: ذكِّرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده[2].

وقال النووي في التبيان[3]: وروى الدارمي[4] وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ذكِّرنا ربنا، فيقرأ عنده (القرآن)[5].

وروى الطبراني بسند فيه سعيد بن زَرْبِي[6] وهو ضعيف[7]، عن

---

(١) وأخرجه ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٥ حديث رقم ١٣٤١.

(٢) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٢/٤٨٦ حديث رقم ٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١.

(٣) التبيان ص ٨٣.

(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٢/٤٧٢، ٤٧٣.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٦ حديث رقم ٤١٧٩.

(٥) زيادة عن التبيان.

(٦) في د: رزين. وفي مجمع الزوائد: رزق. والصواب: ما أثبتناه.
وهو سعيد بن زَرْبي أبو عبيدة البصري. ذكره الذهبي في الميزان ٢/١٣٦ ترجمة رقم ٣١٧٧، وعَدَّ هذا الحديث من مناكيره.

(٧) راجع: مجمع الزوائد ٧/١٧١.

علقمة قال: كنت رجلاً (قد)[1] أعطاني الله حسن الصوت، فكان ابن مسعود رضي الله عنه يرسل إليّ فأقرأ عليه القرآن، فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا، فداك أبي وأمي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: حسن الصوت زينة القرآن.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ القرآن، فقال: رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية قد كنت أسقطها[2] من سورة كذا وكذا[3].

وفيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا (بالنهار)[4]، ومنهم حكيم[5] إذا لقي الخيل ـ أو قال: العدو ـ قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم[6].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) المراد بالإسقاط: النسيان، كما في رواية أخرى عند البخاري أيضاً بلفظ: كنت أنسيتها.

قال الحافظ في الفتح ٩/٨٦: فكأنه قال: أسقطتها نسياناً لا عمداً.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب من لم يرَ بأساً أن يقول سورة كذا وكذا ٦/٢٤٠.

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن والأمر بتعهده ٦٥/٧٥.

(٤) زيادة عن صحيح مسلم.

(٥) قال في الفتح ٧/٤٨٧ هو صفة لرجل منهم. وقال أبو علي الجياني: هو اسم علم على رجل منهم.

(٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٥/٨٠.

وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل الأشعريين ١٦/٦١.

وقوله: ﴿تنظروهم﴾ قال في الفتح ٧/٤٨٧: أي تنتظروهم من الانتظار ومعناه: أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو، بل يواجههم، ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلاً: انتظروا الفرسان حتى يأتوكم ليثبتهم على القتال.

تحريم التلحين في قراءة القرآن

وللطبراني في الأوسط، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ المدّ، ليس فيه ترجيع.

قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه[1].

ولأبي عبيد في الفضائل، والطبراني في الأوسط، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأوا القرآن بلحون العرب[2] وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين[3]، وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم[4] مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبه شأنهم.

قال الهيثمي: وفيه بقية[5]، وراوٍ لم يسمَّ[6].

وللدارمي عن الأعمش قال: قرأ رجل عند أنس رضي الله عنه بلحن من هذه الألحان، فكره ذلك أنس رضي الله عنه[7].

ما جاء في الإسرار والجهر بالقراءة في الصلاة وغيرها

ولأبي داود ـ قال النووي في شرح المهذب: بإسناد صحيح[8] ـ

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٢) أي بلغتهم.

(٣) قال في النهاية ٤/٢٤٢: اللحون والألحان: جمع لحن وهو الصوت، ويشبه أن يكون أراد هذا الذي يفعله قراء هذا الزمان من اللحون التي يقرأون بها النظائر في المحافل فإن اليهود والنصارى يقرأون كتبهم نحواً من ذلك. اهـ. بتصرف.

(٤) سيأتي تفسيره قريباً في حديث مسلم ص ٢٢١.

(٥) هو بقية بن الوليد بن صائد الحميري الكلاعي. ولد سنة ١١٠هـ. وتوفي سنة ١٩٧ هـ. قال ابن المبارك: صدوق، لكن يكتب عمن أقبل وأدبر. وقال أبو مسهر: أحاديث بقية ليست نقية، فكن منها على تقية.

راجع: الميزان ١/٣٣١ ترجمة رقم ١٢٥٠.

(٦) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٧) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب كراهية الألحان في القرآن ٢/٤٧٤.

(٨) المجموع للنووي ٣/٣٩٢ /ط منير.

والنسائي وعبد بن حميد، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، وهو في قبة له، فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم يناجي ربه فلا يؤذِينَّ بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة، أو قال في الصلاة[1].

ورواه أحمد بنحوه، عن ابن عمر رضي الله عنهما[2].

ورواه أحمد من طريق مالك[3].

وفي التبيان للنووي[4]، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال عبدالله رضي الله عنه: هذًّا كهذِّ الشعر[5]؟.. إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم[6]، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم[7].

ورواه أبو عبيد، من طريق مالك أيضاً، عن أبي حازم التمار، عن البياضي قال: خرج رسول الله ﷺ على الناس وهم يصلون، وقد علت

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٢/٣٨ حديث رقم ١٣٣٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/٣٦، ٦٧، ١٢٩.

(٣) المسند ٤/٣٤٤.

(٤) التبيان ص ٧٤.

(٥) الهذُّ بتشديد الذال: شدة الاسراع، والإفراط في العَجَلةِ، وفي الحديث النهي عن الهذ، والحث على الترتيل والتدبر، وبه قال جمهور العلماء.

(٦) قال النووي في شرح مسلم ٦/١٠٥: معناه أن قوماً ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقُّله وتدبُّره بوقوعه في القلب اهـ.

(٧) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ ٦/١٠٤.
وصحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة ٦/٢٤٠.

أصواتهم، فقال: إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه[1]، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن.

ولأبي عبيد عن علي رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل صوته بالقراءة في الصلاة، قبل العشاء الآخرة، وبعد،يُغَلِّطُ أصحابه.

وله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سمع رسول الله ﷺ عبدالله بن حذافة رضي الله عنه، يقرأ في المسجد، يجهر بقراءته في صلاة النهار، فقال: يا ابن حذافة سمِّع الله، ولا تُسَمِّعنا[2].

وله عن يحيى بن أبي بكر قال: قيل للنبي ﷺ: إن ههنا قوماً يجهرون بالقراءة في صلاة النهار؟. فقال: ارموهم بالبعر[3].

وعن عمر بن عبد العزيز مثل ذلك.

وله عن لقمان بن عامر[4] قال: صلى رجل إلى جنب أبي مسلم الخولاني[5]، فجهر بالقراءة، فلما فرغ أبو مسلم من صلاته، قال: يا ابن أخي أفسدت عليَّ وعلى نفسك.

وللترمذي وحسَّنه، وأبي داود، والنسائي، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الجاهر بالقرآن، كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن، كالمسر بالصدقة[6].

---

(١) في د: بم.

(٢) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب الصلاة، باب قراءة النهار ٢/٤٩٤. حديث رقم ٤٢٠٧ عن الزهري.

(٣) فيه تحقير لهم، ورد لفعلهم.

(٤) هو أبو عامر لقمان بن عامر الوصابي - بتخفيف الصاد المهملة - الحمصي. قال الحافظ في التقريب ٢/١٣٨: صدوق.

(٥) هو عبدالله بن ثُوَب، أو أثْوَب على وزن أحمر. وقيل: اسمه يعقوب بن عوف شامي ثقة عابد، رحل إلى النبي ﷺ فلم يدركه، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٤٧٣، تذكرة الحفاظ ١/٤٩.

(٦) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل الجاهر بالقرآن=

قال الترمذي: معناه: أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل، ثم قال: لكي يأمن الرجل[1] من العجب[2].

وعند البيهقي في الشعب عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: يَفْضُلُ عملُ السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً.

وللنسائي، وأبي عبيد، عن أم هانىء رضي الله عنها قالت: كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ، وأنا على عريشي[3].

وقال أبو عبيد: عرشي. وقال: تعني بالليل.

وروى ابن رجب: عن حذيفة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ لأصلي بصلاته، فافتتح الطُّول، فقرأ قراءة ليس بالخفيضة، ولا بالرفيعة قراءة حسنة. يرتل فيها، يسمعنا.

ولأبي داود الطيالسي[4]، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت

= ٤/٢٥٢ حديث رقم ٣٠٨٦. وقال: هذا حديث حسن غريب.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٢/٣٨ حديث رقم ١٣٣٣.

وسنن النسائي: كتاب الزكاة، باب المسر بالصدقة ٥/٨٠.

(١) في الأصل: الإنسان. والتصويب عن الترمذي.

(٢) وقال ابن العربي في شرح سنن الترمذي ١١/٤١: ولا شك في أن العلانية أفضل، إلا أنها أخطر لما يدخلها من العجب والرياء، وتخليصها يصعب، فإذا خلصت فهي أفضل، وقد كشف الله القناع عن ذلك على لسان رسوله: فقال: قال الله: من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه، اهـ.
وسيذكر المؤلف مزيد بيان لهذه المسألة ص ١٦٦.

(٣) سنن النسائي: كتاب بالافتتاح، باب رفع الصوت بالقرآن ٢/١٧٨.
والعريش: قال السندي في شرح سنن النسائي ٢/١٧٩: كل ما يستظل به، ويطلق على بيوت مكة لأنها كانت عيداناً تنصب ويظلل عليها اهـ.

(٤) هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، الحافظ الكبير فارسي الأصل، مولى آل الزبير، سمع شعبة وهشام الدستوائي، وروى عنه أحمد وخلائق. مات سنة ٢٠٤ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٣٥١. وتقريب التهذيب ١/٣٢٣.

أسمع قراءة رسول الله ﷺ من البيت وأنا في الحجرة[1].

وللترمذي وقال: حسن صحيح غريب[2]، ولأبي عبيد في كتاب «الفضائل»، وأبي داود والنسائي، عن عبدالله بن (أبي)[3] قيس قال: سألت عائشة رضي الله عنها: كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ، أكان يُسِرُّ بالقراءة، أم يجهر؟. فقالت: كل ذلك قد كان يفعل، ربما أسر بالقراءة، وربما جهر. فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة[4].

وروى محمد بن أبي عمر[5] في مسنده عن يحيى بن يعمر قال: سألنا عائشة رضي الله عنها، فذكر نحوه.

---

(١) لم أهتد إليه في مسند أبي داود الطيالسي.

(٢) عبارة الترمذي: حسن غريب. وليس فيها لفظ «صحيح».

(٣) ساقطة من: د.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ٢٥٤/٤، حديث رقم ٣٠٩٢.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في وقت الوتر ٦٦/٢ حديث رقم ١٤٣٧.
وسنن النسائي: كتاب الغسل والتيمم، باب الاغتسال قبل النوم ١٩٩/١ مختصراً.
وأخرجه أحمد في المسند ٧٣/٦.
وأخرجه أبو داود عن غضيف بن الحارث: كتاب الطهارة، باب في الجنب يؤخر الغسل ٥٨/١ حديث رقم ٢٢٦.
وأحمد في المسند ٤٧/٦.
وابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ٤٣٠/١ حديث رقم ١٣٥٤.
وأخرجه أحمد ١٦٧/٦ ولم يسمِّ الرجل الذي سأل عائشة. من طريق عبد الرزاق.

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن يحيى بن أبي عمر، العدني الدراوردي، ويقال له: ابن أبي عمر. كان عالماً بالحديث ورجاله، جاور مكة، وتولى قضاءعدن، وحدَّث عن فضيل بن عياض وطبقته، وسمع منه مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، والترمذي، وحج ٧٧ حجة ماشياً، وله مسند. توفي سنة ٢٤٣ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ ٧٦/٢. وشذرات الذهب ١٠٤/٢، والعبر ٤٤١/١.

ولأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يرفع طوراً، ويخفض طوراً[1].

قال في التبيان: قال الغزالي: وطريق الجمع بين الأخبار في هذا: أن الإسرار أبعد من الرياء، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء، فالجهر ورفع الصوت أفضل، لأن العمل فيه أكبر، ولأن فائدته تتعدى إلى غيره. والنفع المتعدي أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارىء، ويجمع همه إلى الفكر فيه، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط، ويوقظ غيره من نائم أو غافل وينشّطه.

قالوا فمهما حضره شيء من هذه النيات، فالجهر أفضل، فإن اجتمعت هذه النيات، تضاعف الأجر. انتهى[2].

وقال في موضع آخر: وهذا كله فيمن لايخاف رياء ولا إعجاباً، ولا نحوهما من القبائح، ولا يؤذي جماعة يُلْبِسُ (عليهم)[3] صلاتهم، ويخلطها عليهم. انتهى[4].

وأخرج أبو بكر الشافعي في الجزء الرابع من الغيلانيات، عن أنس رضي الله عنه قال: ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت، وكان رسول الله ﷺ حسن الصوت، غير أنه لا يُرَجِّعُ.

المراد بحسن الصوت

ولابن ماجة عن سعد[5] بن أبي وقاص، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ

(١) سنن أبو داود: كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٣٧/٢ حديث رقم ١٣٢٨.
(٢) التبيان ص ٧٨.
(٣) زيادة عن التبيان.
(٤) التبيان ص ٧٩.
(٥) في د: سعيد. وهو خطأ.

قال: إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتَبَاكَوْا وتغنَّوا به، فمن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا[١].

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه اسماعيل بن سيف، وهو ضعيف[٢] ـ وأبي يعلى عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بالحزن، فإنه نزل بالحزن».

ولابن ماجة عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن، الذي إذا سمعته يقرأ، رأيت أنه يخشى الله[٣].

وهو عند الطبراني في الكبير، وفيه ابن لَهِيْعة ـ قال الهيثمي: وهو حسن الحديث وفيه ضعف[٤] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: إن أحسن الناس قراءة، من إذا قرأ القرآن يتحزن به.

وهو عند أبي عبيد عن طاووس مرسلاً، ولفظه: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ فقال: الذي إذا سمعتَه، رأيته يخشى الله.

ورواه عبد بن حميد في مسنده موصولاً عن طاووس، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قيل له: أي الناس أحسن قراءة؟. قال: الذي إذا سمعتَ قراءته، رأيتَ أنه يخشى الله عز وجل.

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٤ حديث رقم ١٣٣٧.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٥ حديث رقم ١٣٣٩.

اقال السندي في شرح سنن ابن ماجة ١/٤٠٣: أي المطلوب من تحسين الصوت بالقرآن: أن تنتج قراءته خشية الله، فمن رأيتم فيه الخشية فقد حسَّن الصوت بالقرآن المطلوب شرعاً، فيُعَدُّ من أحسن الناس صوتاً اهـ.

وفي إسناده ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع وهو ضعيف.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.

وكذا رواه الطبراني في الأوسط، والبزار، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه، ولفظه: سئل رسول الله ﷺ: من أحسن الناس صوتاً بالقرآن؟. قال: من إذا سمعتَ قراءته، رأيتَ أنه يخشى الله عز وجل.

قال الهيثمي: وفيه حميد بن حماد بن خوار، وثقة ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وبقية رجال البزار رجال الصحيح[1].

وقال المزني[2] ـ في الشهادات عن الشافعي ـ: يحسن صوته بأي وجه كان وأحب ما يقرأ إليّ حدراً[3] وتحزيناً[4].

قال النووي في التبيان: قال أهل اللغة: يقال: حدرت بـالقراءة، أدرجتها ولم تمططها[5].

ثواب من يستمع القرآن

وفي الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن في صلاة قائماً، كان له بكل حرف مائة حسنة، ، ومن استمع إلى كتاب الله، كان له بكل حرف حسنة.

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.

(٢) هو أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو، بن مسلم، المزني ـ نسبة إلى مزينة باليمن ـ المصري الشافعي، صحب الشافعي وحدَّث عنه، وتوفي بمصر سنة ٢٦٤ في الرابع والعشرين من شهر رمضان، له مصنفات في الفقه والحديث.
راجع: سير أعلام النبلاء ٨/٢٥٩، شذرات الذهب ٢/١٤٨، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٢٨٥.

(٣) الحدر ـ مصدر حدر بالفتح، يحدر بالضم، إذا أسرع ـ عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها.
راجع النشر ١/٢٠٧.

(٤) الأم للشافعي ٨/٣١١ / ط بيروت.

(٥) التبيان ص ٨٢.

وروى أحمد - بسند فيه عبَّاد بن ميسرة، ضعفه أحمد وغيره، ووثقه ابن معين في رواية، وضعفه في أخرى، ووثقه ابن حبان[1] - عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى، كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة[2].

قال النووي في التبيان: وروى الدارمي باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من استمع إلى آية من كتاب الله، كانت له نوراً[3].

تحزيب القرآن

ولأبي داود، وابن ماجة[4]، عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال: (قدمنا على) رسول الله ﷺ في وفد ثقيف: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له في المسجد - أو قال: بين المسجد وبين أهله.

قال مسدد: وكان - يعني: أوساً - في الوفد الذي قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف، فكان كل ليلة يأتينا بعد العشاء فيحدثنا قائماً - وقال أبو عبيد: وهو قائم - حتى إنه ليراوح بين رجليه من طول القيام، وكان أكثر ما يحدثنا به ما لقي من قومه قريش - قال أبو عبيد: وكان أكثر ما يحدثنا شكايته قريشاً - ثم يقول: ولا سواء[5]، كنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد:

---

(١) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٢/٧.
(٢) مسند الإمام أحمد ٣٤١/٢.
(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من استمع إلى القرآن ٤٤٤/٢.
(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٥٥/٢ حديث رقم ١٣٩٣..
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٤٢٧/١ حديث رقم ١٣٤٥.
(٥) في تفسير ابن كثير ٢٢٠/٤: «لا أساء»، وفي مختصر السنن للمنذري: «لا أنسى»، وكلاهما غير محفوظ. والمنقول: «لا سواء» كما في سنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد ٩/٤، ٣٤٣، وسنن ابن ماجة ٤٢٧/١ حديث رقم ١٣٤٥. =

بمكة ـ فلما خرجنا إلى المدينة، كانت سجال[1] الحرب بينناوبينهم، نُدَال عليهم، ويدالون علينا.

وقال أبو عبيد: فلما قَدِمْنا المدينة، انتصفنا من القوم، وكانت سجال الحرب بيننا، علينا ولنا. [فلما كانت ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه. فقلنا[2]: يا رسول الله لقد أبطأت علينا الليلة][3]. قال: إنه طرأ عليَّ حزبي[4] من القرآن فكرهت أن أجيء[5] حتى أتمه ـ وقال أبو عبيد: أن أخرج من المسجد حتى أمضيَه ـ قال أوس: وسألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف ـ (وقال أبو عبيد: فقلنا لأصحاب رسول الله ﷺ: إنه قد حدثنا أنه طرأ عليه حزبه من القرآن فكيف)[6] تحزبون القرآن؟ قالوا ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشر وثلاث عشر، وحزب المفصل (وَحْدَهُ)[7].

وقال أبو عبيد: ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وحزب المفصل ما بين ق فأسفل[8].

= وجامع الأصول لابن الأثير ٢/٤٧٤ حديث رقم ٩٣٥.

ومعنى «لا سواء»: أن حالنا الآن غير ما كانت عليه قبل الهجرة.

(١) أي مرة لنا ومرة عليهم.

(٢) في د: فقلت.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٤) في سنن أبي داود، ومختصر السنن للمنذري ٢/١١٤، وجامع الأصول لابن الأثير ٢/٤٧٤ حديث رقم ٩٣٥: جزئي.

وأما لفظ «حزب» ففي مسند أحمد ٤/٩، ٣٤٣ وفيه: «قال: طرأ عليّ حزب من القرآن». وسنن ابن ماجة ١/٤٢٧ حديث رقم ١٣٤٥ وفيه: «إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن».

(٥) في د: أخرج.

(٦) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٧) زيادة عن سنن أبي داود.

(٨) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ١٣/٤٠٨: ورواه الطبراني في معجمه: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول ﷺ يحزب القرآن؟. فقالوا: كان رسول الله ﷺ يجزئه ثلاثاً، وخمساً، . . . فذكره.

فهذا الذي من هذه الأعداد الوترية ـ من ثلاث، إلى ثلاثَ عشرة ـ ثمانٍ وأربعون، وهي من أول البقرة، إلى آخر الحجرات. فإذا أضفت إلى ذلك الفاتحة مع ثمان أخرى، ليكون سبعاً وخمسين سورة ـ وهو النصف من عدد السورة القرآنية ـ كان ذلك إلى آخر سورة الحديد. وهو أربع وخمسون حزباً[١]، وهي تسعة أعشار القرآن.

ومن أول الواقعة إلى آخره عشر، وهو ستة أحـزاب. وذلك سبـع وخمسون سورة، نصف عدد السور[٢].

فينتظم من ذلك لغز، وهو: شيء يكون عشره مثل تسعة أعشاره سواء من غير زيادة.

---

(١) لعله يقصد بالحزب الحزب الذي يقدر بأربعة أرباع. وهو الذي يكون نصف جزء، فإن نهاية سورة الحديد ختام الحزب الرابع والخمسين فعلاً «وليس مراداً به التحزيب المأثور الوارد في الحديث السابق». وهو تكوين الحزب من عدة سور.

(٢) أوضح المرحوم الشيخ شاكر بيان تلك الأحزاب الواردة في الحديث على هذا النمط:

رقم الحزب	عدد سوره	أول كل سورة
١	٣	البقرة
٢	٥	المائدة
٣	٧	يونس
٤	٩	الإسراء
٥	١١	الشعراء
٦	١٣	الصافات
٧	٦٥	ق

ثم قال: فهذه ١٣ سورة عدا الفاتحة، ولعل عدم عدِّ الفاتحة منه بأنها يُستفتح بها القراءة في كل مرة. أما التجزئة الحـديثة المشهـورة الآن بين النـاس، فإنها غـير مرادةيقيناً، لأنه ليس لكل جزء منها يشتمل على سور بل إن بعض السور الطوال تشتمل على أجزاء، بل إن الأجزاء التي فيها ثلاث سور كاملة فأكثر، هي الأجزاء العشرة الأخيرة، أي الثلث الثالث من القرآن. انتهى من تعليقه على صحيح ابن حبان ١/١١٠.

وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تُوفِّي رسول الله ﷺ، وقد قرأت المفصل[1].

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ١٣/٤٠٩: وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبدالله بن عمرو، في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع ولهذا جعلوه سبعة أحزاب، ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة. وفيه: أنهم حزَّبوه بالسور، وهذا معلوم بالتواتر، فإنه قد علم أن أول ما جزىء القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين، وهذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة، وأثناءالقصة، ونحو ذلك، كان في زمن الحجاج، وما بعده. وروى أن الحجاج أمر بذلك، ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك.

قال: وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن، لوجوه:

أحدها: أن هذه التحزيبات المحدَثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف عليه، دون المعطوف، فيحصل القارىء في اليوم الثاني مبتدئاً بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ﴾، وقوله: ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله ﴾. وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض ـ حتى كلام المتخاطبين ـ حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾.

ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي، ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء، أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي، لم يسغ باتفاق العلماء ولو تأخر القبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين ولم يسغ ذلك بلا نزاع اهـ.

وراجع: سورة ق فهناك إضافات لما ههنا.

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن.

قال الحافظ في الفتح ٩/٨٤: المراد بالمفصل: السور التي كثرت فصولها. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٢/٣٠٧: وفي تسميته بالمفصل للعلماء أربعة أقوال:

أحدها: لفصل بعضها عن بعض.

الثاني: لكثرة الفصل بينها ـ أي السور ـ ببسم الله الرحمن الرحيم.

الثالث: لإحكامه.

الرابع: لقلة المنسوخ فيه.

وفي رواية أنه قال: جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ.
قال سعيد بن جبير: فقلت له: وما المحكم؟. قال: المفصل[1].

ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: إني لأقرأ حزبي - أو قالت: سبعي - وأنا جالسة على فراشي، أو قالت: على سريري.

وفي الموطأ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أنه قيل له: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟. فقال زيد: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر، أو عشر أحب إليّ لكي أتدبره وأقف عليه[2].

وللشيخين، وعبد الرزاق في جامعه، وأبي داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ألم أُخْبَرْ أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة؟. قلت: بلى يا نبي الله[3]، ولم أُرِدْ بذلك إلا الخير. قال: فصم صوم داود عليه السلام وكان أعبد الناس، واقرأ القرآن في كل شهر. قلت: يا نبي الله إني أُطيق أفضل من ذلك؟. قال: فاقرأه في عشر. قلت: يا نبي الله إني أُطيق أفضل من ذلك. قال: فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك.

وفي رواية: فإن لزوجك عليك حقاً. (ولزُوَّارك عليك حقاً)[4]. ولجسدك عليك حقاً. قال: فشدَّدت، فَشدِّد عليَّ، وقال: إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر. قال: فصرت إلى الذي قال النبي ﷺ، فلما كبرتُ وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ.

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٨٤/٩: فيه تفسير المفصل بالمحكم. والمراد بالمحكم: الذي ليس فيه منسوخ، ويطلق المحكم على ضد المتشابه، وهو اصطلاح أهل الأصول اهـ. بتصرف.

(٢) الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في تحزيب القرآن ٢٠١/١.

(٣) في د: يا رسول الله.

(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.

وفي رواية: أنه سأل رسول الله ﷺ في كم يقرأ القرآن؟ قال: في أربعين. ثم قال: في شهر. ثم قال: في عشرين. ثم قال: في خمسة عشر يوماً. ثم قال: في عشر. ثم قال: في سبعة. ولم ينزل من سبعة.

وفي رواية: قلت: أجد بي قوة «فناقصني وناقصته» إلى أن قال: اقرأه في سبع لا تزد على ذلك، قلت: إني أجد بي قوة، قال: فإنه لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث[(1)].

ولأبي عمرو الداني بسنده في كتاب «العدد» عن قيس بن أبي صعصعة رضي الله عنه، أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟. فقال: في كل خمسة عشر، فقال: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: ففي كل جمعة.

ولأبي عبيد: في كتاب الفضائل، عن حبان بن واسع[(2)]، عن أبيه، عن سعد ابن المنذر الأنصاري رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ فقال: نعم إن استطعت، قال: فكان يقرؤه كذلك حتى تُوُفِّي.

ورواه أحمد، وفي سنده ابن لَهِيعة، عن حبان بن واسع به[(3)].

وحديث ابن لهيعة حسن، وفيه ضعف.

ولأبي عبيدة عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث.

هذا الأولى، لكونه أرفق من الختم في أقل، وهو ﷺ مشرِّع ما أحب إليه ما خفَّ على أمته.

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الصوم ٢/٣٦ ـ وكتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن ٦/٢٤٢.

وصحيح مسلم: كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر ٨/٤٢.

(2) جاء في الإصابة ٢/٣٦ في ترجمة سعد بن المنذر: واسع بن حبان.

(3) وأخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٤٥٢ حديث رقم ١٢٧٤.

وقد روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن في ركعة، وكذا تميم الداري رضي الله عنه.

ورواه عنهما أبو عبيد، وكذا عن تميم.

وروى عن سليمان بن عتر التجيبي[1] أنه كان يختم القرآن في الليلة ثلاث مرات، ويجامع ثلاث مرات، فلما مات، قالت امرأته: رحمك الله، إنْ[2] كنت لتُرضي ربك وتُرضي أهلك، قالوا: وكيف ذلك؟ قالت: كان يقوم من الليل فيختم القرآن ثم يُلِمُّ بأهله، ثم يغتسل، فيعود[3] ويقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله ثم يغتسل فيعود ويقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله ثم يغتسل، فيخرج لصلاة الصبح[4].

وفي تبيان النووي عن مسلم بن يسار قال: قال أبو أسيد رضي الله عنه: نمت البارحة عن وردي حتى أصبحت، فلما أصبحت استرجعت، وكان وردي سورة البقرة فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن ص ٩٤: كان سليمان بن عتر تابعياً، جليلاً ثقة، نبيلاً، وكان قاضياً أيام معاوية. قال أبو حاتم: روى عن أبي الدرداء، وابن زحر، وكان من خير التابعين. وذكره ابن يونس في تاريخ مصر. اهـ بتصرف واختصار.

(٢) في د: إنك.

(٣) في د: ويعود.

(٤) رحم الله المؤلف، ما كان ينبغي له ـ وهو الناقد الحصيف، والمميز البصير ـ أن يذكر في كتابه مثل هذه المبالغات التي لا يصدقها عقل. ولا يقرها شرع وأين هذا من سلوك سيد المرسلين ﷺ. وقد مر حديث عبدالله بن عمرو وفيه: أن النبي ﷺ لم يرخص له في قراءة القرآن في أقل من ثلاث.

وفي جامع الترمذي: أنه ﷺ قال: لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث.

وهل نزل القرآن إلا لنتدبر آياته، ونفقه أحكامه، ونقف على أسراره؟.

وهل يمكن الوصول إلى تلك المنافع بتلك السرعة الهائلة في القراءة؟.

وقد ذكر ابن كثير هذا الأثر في كتاب فضائل القرآن ص ٩٤ وقال: من أغرب ما ههنا.

رواه ابن أبي داود.

وروى ابن أبي الدنيا عن بعض حفاظ القرآن، أنه نام ليلة عن حزبه فأُرى في المنام كأن قائلاً يقول:

عجبتُ من جسم ومن صحة ومن فتى نام إلى الفجر
والموت لا تؤمن خطفاته في ظلم الليل إذا يسري

منع الجنب من قراءة القرآن

ولأبي عبيد عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال، إلا الجنابة[1].

ولأبي عبيد - أيضاً - والبيهقي بإسناد - قال النووي: ضعيف[2] - عن ثعلبة ابن أبي الكنود، عن مالك بن أبي جنادة الغافقي - وفي رواية: عبدالله بن مالك الغافقي - رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعمر رضي الله عنه: إذا توضأت وأنا جنب، أكلت وشربتُ، ولا أصلي، ولا أقرأ، حتى اغتسل[3].

وروى أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم والدارقطني، والبزار، والبيهقي، من طريق شعبة عن عمرو بن مرة، عن عبدالله ابن سَلِمة[4]، عن علي رضي الله عنه قال: لم يكن يحجب - وفي رواية: يحجز - النبي ﷺ عن القرآن شيء سوى الجنابة[5].

---

(١) وأخرجه الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في الرجل يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً ١/ ٩٨ حديث رقم ١٤٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) المجموع للنووي ٢/ ١٥٩.
(٣) سنن البيهقي ١/ ٨٨.
(٤) قال النووي في المجموع ٢/ ١٥٨: بكسر اللام.
(٥) مسند الإمام أحمد ١/ ٨٤، ١٠٧، ١٢٤.
وسنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب في الجنب يقرأ القرآن ١/ ٥٩. حديث رقم = ٢٢٩.

وصحح الحديث الترمذي: وابنُ السَّكَن[١]، وعبد الحق[٢]، والبغوي في شرح السنة[٣].

وروى الدارقطني عن علي رضي الله عنه موقوفاً: اقرأوا القرآن، ما لم يصب أحدكم جنابة، فإن أصابته فلا، ولا حرفاً[٤].

وروى الترمذي، وابن ماجة، والبيهقي، وغيرهم، عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن[٥].

= وسنن النسائي: كتاب الطهارة، باب حجب الجنب من قراءة القرآن ١/١٤٤.
وسنن ابن ماجة: كتاب الطهارة، باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة ١/١٩٥ حديث رقم ٥٩٤.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الطهارة، باب الرخصة في قراءة القرآن وهو أفضل الذكر على غير وضوء ١/١٠٤ حديث رقم ٢٠٨.
وسنن الدارقطني: كتاب الطهارة، باب في النهي للجنب والحائض عن قراءة القرآن ١/١١٩.
وسنن البيهقي ١/٨٨.
والمستدرك للحاكم ٤/١٠٧.

(١) هو الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان، بن سعيد، بن السكن، البغدادي نزيل مصر، والمتوفي بها سنة ٣٥٣ من الهجرة، وكتابه يسمى: «الصحيح المنتقي»، أو السنن الصحاح المأثورة عن النبي ﷺ. وهو كتاب محذوف الأسانيد، جعله أبواباً في جميع ما يحتاج إليه من الأحكام.
راجع: الرسالة المستطرفة ص ٢٢٣.

(٢) هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن، بن عبدالله، بن حسين، الأزدي الأشبيلي، ولد سنة ٥١٠ هجرية، وكا فقيهاً حافظاً، عالماً بالحديث وعلله ورجاله، موصوفاً بالخير والصلاح، وهو صاحب كتاب «الجمع بين الصحيحين» توفي سنة ٥٨٢ هـ.
راجع: تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٩٣، والرسالة المستطرفة ص ١١٢.

(٣) شرح السنة ١/٥٣٣.

(٤) سنن الدارقطني: كتاب الطهارة، باب في النهي للجنب والحائض عن قراءة القرآن ١/١١٨. وقال هو صحيح.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في الجنب والحائض أنهما لا =

والحديث ضعيف[1]، لكن اجتماع هذه الشواهد أوصله إلى حيز الحجية.

فضيلة إحياء الليل بتلاوة القرآن

وللترمذي والطبراني، وأبي نعيم، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ ثلاثين آية في ليلة، لم يضره تلك الليلة سبع ضارٍ، ولا لص طارق، وعوفي في نفسه وأهله وماله، حتى يصبح[2].

وفي الباب عن عوف بن مالك، وابن عمر.

وروى الدارمي عن الحسن مرسلا، وصاحب الفردوس عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة مائة آية، لم يحاجه القرآن تلك الليلة، ومن قرأ في ليلة مائتي آية، كتب له قنوت ليلة، ومن قرأ في ليلة خمسمائة آية إلى الألف، أصبح وله قنطار من الأجر، قالوا: وما القنطار؟ قال: اثنا عشر ألفاً[3].

وأخرجه أحمد وأبو يعلى، والنسائي في اليوم والليلة، والطبراني، وأبو الشيخ عن تميم رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة مائة آية، كتب له قنوت ليلة[4].

= يقرءان القرآن ١/٨٧ حديث رقم ١٣١.
وسنن ابن ماجة: كتاب الطهارة، باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة ١/١٩٦ حديث رقم ٥٩٦.

(١) لأن مداره على اسماعيل بن عياش. قال البخاري: يروى عن أهل الحجاز وأهل العراق أحاديث مناكير، قاله الترمذي في صحيحه ١/٧٨.
ونقله الذهبي في ترجمة اسماعيل بن عياش في الميزان ١/٢٤٢ عن عبد الله بن الإمام أحمد أنه سأل أباه عن هذا الحديث فقال: هذا باطل.

(٢) لم اهتد إلى هذا الحديث عند الترمذي ولا عند الطبري وأبي نعيم.

(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ من مائة آية إلى الألف ٢/٣٣٤ حديث رقم ٣٤٦٢.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/١٠٣.

وللدارمي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: من قرأ ألف آية كتب له قنطار من الأجر، والقيراط من ذلك القنطار، لا تفي به دنياكم[(١)].

وللطبراني في الكبير والأوسط، باسناد - قال المنذري: حسن[(٢)] - عن فضالة (بن)[(٣)] عبيد، وتميم الداري، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: من قرأ عشر آيات في الليلة، كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها فإذا كان يوم القيامة يقول ربك: اقرأ وارق، لكل[(٤)] آية درجة، حتى ينتهي إلى آخر آية معه[(٥)]، فيقول الله عز وجل للعبد: اقبض. فيقول العبد بيده: يا رب أنت أعلم، يقول: لهذه الخلد، ولهذه النعيم.

ولأبي داود، وابن خزيمة، وابن حِبَّان في صحيحه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية، كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين[(٦)].

قال المنذري: من سورة المُلْك إلى آخر القرآن، ألف آية[(٧)]، والله أعلم.

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ ألف آية ٢/٣٣٥. حديث رقم ٣٤٦٤.

(٢) الترغيب والترهيب ١/٤٣٩، وفيه اسماعيل بن عياش مختلف فيه.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) في د: بكل.

(٥) في د: منه.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٢/٥٧ حديث رقم ١٣٩٨.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب فضل قراءة ألف آية في ليلة إن صح الخبر ٢/١٨١ حديث رقم ١١٤٤.

(٧) الحديث في الترغيب والترهيب ١/٤٣٩، وليس فيه هذه العبارة، وكذا هو في مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ٢/١١٥ حديث رقم ١٣٥٢ وليس فيه قول المنذري هذا.

ولمالك والستة - إلا البخاري - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من نام عن حزبه من الليل، أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل(1).

النهي عن الغلو في القرآن

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، والإمام أحمد، وأبو يعلى، في مسانيدهم، والبزار وأبو عبيد في الفضائل، عن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرأوا القرآن، ولاتغلوا فيه، ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به(2).

وفي نسخة، ولا تستأثروا به.

وشك أبو عبيد (فقال)(3): أو تستكثروا به.

قال الهيثمي: ورجال أحمد ثقات(4).

الغُلُوُّ: المبالغة المؤدية للملل، وهي ضد الجفوة.

والمراد: التوسط والرفق، والاقتصاد.

---

(1) موطأ مالك: كتاب القرآن: باب ما جاء في تحزيب القرآن ١/ ٢٠٠.

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ٦/ ٢٩.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من نام عن حزبه ٢/ ٣٤ حديث رقم ١٣١٣

وسنن النسائي: كتاب قيام الليل، باب متى يقضي من نام عن حزبه من الليل ٣/ ٢٥٩.

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن نام عن حزبه من الليل ١/ ٤٢٦ حديث رقم ١٣٤٣.

(2) مسند الإمام أحمد ٣/ ٤٢٨ - ٤٤٤.

(3) ساقطة من: د.

(4) مجمع الزوائد ٧/ ١٦٨.

يُبيِّنُهُ ما رواه أبو عبيد في الغريب، عن علي رضي الله عنه قال: خير هذه الأمة: النمط الأوسط، يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي[1].

النمط: الطريق. والغالي: المتعمق حتى يخرجه ذلك إلى إكفار الناس كنحو من مذاهب الخوارج، وأهل البدع.

والجافي عنه: التارك له[2]، وللعمل به.

ولكن القصد بين ذلك.

وروى أبو عبيد في الغريب ـ أيضاً ـ عن حذيفة رضي الله عنه، أن من أقرأ الناس للقرآن منافقاً لا يدع واواً ولا ألفاً، يَلْفِتُه بلسانه، كما تلفت البقرة الخَلَى[3] بلسانها[4].

اللَّفْت: اللَّي[5].

وفي حديث آخر: «إن الله (عز وجل)[6] يبغض البليغ من الرجال، الذي يلفت الكلام كما تلفت البقرة الخلاء بلسانها.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٤٨٢. وهو في الفائق ٣/١٣١.
والنمط: الطريقة، وأيضاً: النوع من الأنواع.
والمعنى: خير الطرق الطريق الأوسط، البعيد عن الغلو والتقصير.

(٢) في د: عنه.

(٣) الخلي ـ مقصوراً ـ: الرَّطْبُ من النبات، فإذا يبس فهو حشيش.
راجع: النهاية ٢/٧٥.

(٤) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٤ حديث رقم ٥٩٨٧ من قول أبي الدرداء.

(٥) قال الزمخشري في الفائق ٣/٣٢٤: ومن ذلك قولهم: فلان يلفت الكلام لفتاً، أي يرسله على عواهنه، لا يبالي كيف جاء.
والمعنى: يقرؤه من غير روية ولا تبصر بمخارج الحروف، وتعمد للمأمور به من الترتيل والترسل في التلاوة غير مبال بمتلوه كيف جاء، كما تفعل البقرة بالحشيش إذا أكلته. وأصل اللفت: ليّ الشيء عن الطريقة المستقيمة. اهـ.

(٦) ساقطة من: د.

وروى أبو يعلى عن حذيفة أيضاً، عن النبي ﷺ قال: إن في أمتي قوماً يقرأون القرآن، ينثرونه نثر الدقل[1]، يتأولونه على غير تأويله.

وروى أبو يعلى بسند ـ قال الهيثمي[2]: فيه أبو معشر نجيح، وهو ضعيف يُعتَبر بحديثه[3] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لهذا القرآن شرة[4]، وللناس عنه فترة، فمن كانت فترته إلى القصد[5] فنعما هي، ومن كانت فترته إلى الإعراض، فأولئك هم (قوم)[6] بور.

وروى الشيخان، وأبو داود، والنسائي ـ وهذا لفظ مسلم في أواخر باب الزكاة من روايات جمعتُ بينها ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن عليا رضي الله عنه بعث إلى النبي ﷺ وهو باليمن بذُهَيْبَةٍ في تربتها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر: الأقْرَعُ بن حابِس الحَنْظَلِيُّ، وعُيَيْنَةُ ابنُ بَدْرٍ الفَزارِيُّ، وعَلْقَمةُ بنُ عُلاثَةَ العامِرِيُّ، ثم أحد بن كِلَاب، وزَيْدُ الخَيْر الطائي ثم أحد بني نبهان. فغضبت قريش فقالوا: يعطي صناديد[7] نجدٍ ويدعنا؟. فقال رسول الله ﷺ: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم. فجاء رجل

---

(١) قال في النهاية ٢/١٢٧: هو رديء التمر ويابسه، فتراه ـ ليبسه وردائته ـ لا يجتمع ويكون منثوراً. اهـ بتصرف.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٣) قال الحافظ في التقريب ٢/٢٩٨: ضعيف أسَنَّ واختلَطَ.

(٤) قال في اللسان ٤/٤٠١: الشرة: النشاط والرغبة، ومنه الحديث الآخر: لكل عابد شرة. اهـ.

وانظر: النهاية لابن الأثير ٢/٤٥٨.

(٥) القصد التوسط بين الطرفين.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) قال في النهاية ٣/٥٥: هم أشرافهم وعظماؤهم ورؤساؤهم، الواحد صنديد، وكل عظيم غالب صنديد.

كث اللحية، مشرف الوجنتين[1]، غائر العينين، ناتىء الجبـين[2]، محلوق الرأس، مَشَمَّرُ الإزار.

وفي رواية: فأتاه ذو الخويصرة. وهو رجل من بني تميم فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: فمن يطيع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟. ثم أدبر الرجل، فاستأذن خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في قتله.

وفي رواية: إن الذي استأذن في قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال رسول الله ﷺ: دَعْهُ، فإن له أصحاباً يَحْقِر أحدُكم صلاته مع صلاتهم.

وفي رواية: إنَّ مِنْ ضِئْضِىءِ[3] هذا قوماً أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ[4]، سُفَهَاءُ الأحلام[5]، (يقولون: مِنْ خَيْرِ قَولِ البَرِيَّة)[6]، يقرأون القرآن ـ وفي رواية: يتلون كتـاب الله رطبا[7]، لاِ يجـاوز حناجـرهـم، يقتلون أهل الإسـلام، ويدعون أهل الأوثان.

وفي رواية: يمرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[8].

---

(١) أصل الشرف: ما علا من الشيء، والمراد: بارز الوجنتين.

(٢) قال في اللسان ١/١٦٤: نتأ الشيء ينتأ نتأ ونتوءاً: انتبر وانتفخ، وكل ما ارتفع من نبت وغيره فقد نتأ، وهو ناتىء.

(٣) قال في النهاية ٣/٦٩: الضئضيء: الأصل، يريد أنه يخرج من نسله وعقبه، اهـ. مختصراً.

(٤) قال في النهاية ١/٣٥١: حداثة السن: كناية عن الشباب وأول العمر.

(٥) قال في جامع الأصول ١٠/٨٢: الأحلام: العقول. والسفه: الخفة في العقل والجهل.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) قال النووي: سهلا لكثرة حِفْظِهِمْ.

(٨) وفي رواية: ثمود.

قال النووي ٧/١٦٢: أي قتلا عاماً مستأصلاً، كما قال تعالى: ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾.

وفي رواية عن أبي سعيد: يخرج في هذه الأمة ـ ولم يقل: منها ـ قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم.

وفي رواية: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم.

وفي رواية: ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن (يحسبون أنه لهم وهو عليهم. وفي رواية: يقرأون القرآن)[1] لا يجاوز حلوقهم ـ أو حناجرهم ـ يمرُقون من الدين مروق السهم من الرميَّة، فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نصله، إلى رصافه[2]، فيتمادى في الفوقة[3]، هل علق بها شيء من الدم، آيتهم[4] رجل أسود، إحدى عضديه (مثل ثدي المرأة، أول مثل البَضْعة تَدَرْدَرُ[5]، يخرجون)[6] على حين فُرْقَةٍ من الناس، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق[7].

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمس

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) قال النووي في شرح مسلم ١٦٥/٧: أما الرِّصاف فبكسر الراء وبالصاد المهملة وهو: مدخل النصل من السهم، والنصل هو حديدة السهم.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ١٦٥/٧: الفُوق والفُوقة ـ بضم الفاء ـ هو الحز الذي يجعل فيه الوتر.

(٤) علامتهم وأمارتهم.

(٥) قال النووي ١٦٦/٧: البضعة ـ بفتح الباء لا غير ـ وهي القطعة من اللحم وتدردر: معناه: تضطرب وتذهب وتجيء.

(٦) ما بين القوسين زيادة عن صحيح مسلم.

(٧) وفي رواية: يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق.
وفي أخرى: أولى الطائفتين إلى الحق.
وفي أخرى: يلي قتلهم أولاهم بالحق.
راجع: صحيح مسلم ١٦٨/٧.

فوجد، فأُتي به، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت[1].

وروى الطبراني عن جندب رضي الله عنه قال: لما فارقت الخوارج عليا رضي الله عنه، فخرج في طلبهم، وخرجنا معه، فانتهينا إلى عسكر القوم، وإذا لهم دوي كدوي النحل، من قراءة القرآن، وإذا فيهمم أصحاب الثَّفِنات، أو أصحاب البرانس.

أي لأنهم صارت لهم في وجوههم ـ من كثرة السجود ـ ثفنات البعير. وهو ـ بالمثلثة والفاء محركة ـ ركبته وما مس من الأرض من كركرته، فصار غليظا.

وكان رئيسهم يقال له: ذو الثفنات. والله الموفق.

وروى ابن رجب عن عمر ضي الله عنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: منافقٌ يقرأ القرآن، لا يخطىء منه واواً ولا ألفاً، يجادل الناس أنه أعلم منهم ليضلهم عن الهدى.

وذلةُ عالمٍ.

وأئمة مضلون.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم. وباب التحريض على قتل الخوارج ١٥٩/٧ ـ ١٧٥.

قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن: ومضمون هذه الأحاديث: التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القُرَب، كما جاء في الحديث: «واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه» يعني: القرآن.

والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد هم الخوارج، وهم الذين لا يجاوز ايمانهم حناجرهم، وقد قال في الرواية الأخرى: «يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم، وصلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم» ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مراءون في أعمالهم في نفس الأمر، وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك، إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقادٍ غير صالح، فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله: «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين» اهـ ص ٩٧.

وفي رواية: إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأول القرآن على غير تأويله ورجل ينافس الملك على أخيه.

وروى عن معاذ نحوه موقوفاً عليه. ومرفوعاً من وجوه، غير وجه.

وعن أبي الدرداء، وسلمان، رضي الله عنهما.

وروى عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

وفي بعض رواياتهم: وأباحوا النفاق بالقرآن. فإن للقرآن مناراً كمنار الطريق.

ولأحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هلاك أمتي في الكتاب واللِّين[1]. (قالوا: يا رسول الله، ما الكتاب واللين؟، قال: يتعلمون القرآن[2]) فيتأولونه على غير ما أنزل الله (عز وجل)[3] ويحبون اللين، فيدعون الجماعات والجمع[4].

حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن

ولأبي عبيد في الفضائل، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: تعلموا القرآن، واسألوا الله به، قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به[5]. ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله تعالى[6].

---

(١) في المسند: اللبن.

(٢) ما بين القوسين زيادة عن المسند.

(٣) زيادة عن المسند.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/١١٥.

(٥) أو يرائي به الناس، ويفتخر به عليهم.

(٦) وله شاهد عند عبد الرزاق في المصنف ٢/٣٧٠ حديث رقم ٦٠٠٠ من طريق عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير مرفوعاً:

«أن النبي ﷺ قال: سيقرأ القرآن ثلاثة: رجل يقرؤه ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه=

وله عن عبادة بن الصامت قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم عليه مهاجر، دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إليَّ رجلاً، فكنت أقرئه القرآن، فأهدى إليَّ قوساً، فأخبرت بذلك النبي ﷺ فقال: جمرة بين كتفيك تقلَّدتها[1].

وله عن أم الدرداء[2]، عن أبي الدرداء[3]، أن أُبَيَّ بن كعب - رضي

= من الله، فذلك ثوابه على الله، ورجل يقرؤه رياء وسمعة ليأكل به في الدنيا، فذلك عليه ولا له، ورجل يقرؤه فلا تجاوز قراءته ترقوته». وعمر بن راشد مختلف فيه. فهو ضعيف.

راجعه: في الميزان ١٩٣/٣ ترجمة رقم ٦١٠١.

(١) وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم ٢٦٥/٣ حديث رقم ٣٤١٧.

وفيه بقية بن الوليد، وهو متكلم فيه.

وأخرجه أبو داود من وجه آخر (حديث رقم ٣٤١٦) وفي إسناده المغيرة بن زياد أبو هاشم الموصلي، وهو متكلم فيه أيضاً.

قال الإمام أحمد: ضعيف الحديث، حدث بأحاديث مناكير، وكل حديث رفعه فهو منكر.

راجع: مختصر سنن أبي داود للمنذري ٧٠/٥.

(٢) اسمها: هُجيمة. وقيل: جهيمة - الأوصابية الدمشقية. قاله في التقريب.

وفي الإصابة ٢٨٨/٤، والتجريد ٣١٩/٢: أن اسمها خيرة بنت أبي حدرد أم الدرداء الكبرى. توفيت قبل أبي الدرداء في خلافة عثمان سنة ٨١ هـ. وأما هجيمة - أو جُهيمة - فهي أم الدرداء الصغرى، وسماها ابن عبد البر: بجيمة، بنت حيى الوصابية.

وقال في الاستيعاب ٤٣٠/٤ على هامش الإصابة: هي أيضاً زوج أبي الدرداء. ولا أعلم لها خبراً يدل على صحبة أو رواية ،ومن خبرها: أن معاوية خطبها بعد أبي الدرداء فأبت أن تتزوجه، اهـ.

راجع: الإصابة ٢٨٨/٤، تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٣١٩/٢ تقريب التهذيب ٦٢/٢، الاستيعاب لابن عبد البر ٤٣٠/٤ على هامش الإصابة.

(٣) مشهور بكنيته، واختلف في اسمه، فقيل: عويمر. وقيل: عامر. واختلف في اسم أبيه =

الله عنهم ـ أقرأ رجلاً من أهل اليمن سورة، فرأى عنده قوساً، فقال: بعنيها. فقال: بل هي لك. فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فقال: إن كنت تريد أن تقلَّد قوساً من نار فخذها[1].

وفي رواية: لو تقوستها، لتقوست قوساً من نار.

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لأبي رضي الله عنه: ألم أنهك عن فلان، فاردد القوس عليه، قال: فرددتهاعليه[2].

وزاد في هذه الرواية عن أبي رضي الله عنه، أنه قال: كنت أختلف إلى رجَل مكفوف أقرئه القرآن، فكنت إذا أقرأته، دعا لي بطعام فأكلت منه، فحاك في نفسي منه شيء، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقلت: يا رسول الله، إني أتاني فلان ابن فلان، فأقرئه القرآن، فيدعو لي بطعام، لا آكل مثله بالمدينة[3]، فقال رسول الله ﷺ: إن كان ذلك الطعام طعامه وطعام أهله الذين يأكلون (فكل)[4]، وإن كان طعاماً يتحفك به[5]، فلا تأكل. قال: فأتيته نحواً مما كنت آتيه، فلما فرغ قال: يا جارية هلمي طعام أخي فقلت له: أهذا طعامك وطعام أهلك الذي تأكل ويأكلون، فقال: لا، ولكني أتحفك به.

= أيضاً، فقيل: عامر. أو مالك. أو ثعلبة. أو عبدالله. أو زيد. وأبوه ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب ابن الخرج، الأنصاري، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً، وفيها أبلى بلاء حسناً، مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان.

راجع: الإصابة ٣/٤٦، التجريد ٢/١٦٣، التقريب ٢/٩١.

(١) قال القرطبي في التذكار ص ١٠٦: روى عن أبي بن كعب من حديث موسى ابن علي، عن أبيه، عن أبي. وهو منقطع.

(٢) وذكره العلامة علاء الدين الهندي في كنز العمال ٢/٣٤٢ حديث رقم ٤١٩٣ ونسبه إلى النسائي والروياني والمعجم الصغير للطبراني.

(٣) في د: في المدينة.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) يعني: يخصك به ويتكلفه لك. =

قال: قلت: إن رسول الله ﷺ قد نهاني عنه[1].

(١) قال القرطُبي في التذكار ص ١٠٦: ذكره الحليمي في كتاب «منهاج الدين» له. اهـ.
وقد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن.
فذهب جماعة من العلماء إلى ظاهر تلك الآثار، ورأوا أن أخذ الأجرة والعوض على تعليم القرآن غير مباح، ومنهم الزهري وأبو حنيفة وأصحابه واسحاق بن راهويه، وقالوا: لا يجوز أخذ الأجرة على ذلك لأن تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها إلى نية التقرب والاخلاص، فلا يؤخذ عليها أجرة كالصلاة والصيام، واحتجوا بحديث عُبَادة، وحديث أُبَيٍّ وبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: معلموا صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة باليتيم، وأغلظهم على المسكين، وبما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما تقول في المعلمين؟. قال: درهمهم حرام، وثوابهم سحت، وكلامهم رياء.
وذهب جماعة إلى الجواز، أي جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، منهم مالك والشافعي، وأحمد، وأبو ثور، وكثير من العلماء.
واحتجوا بحديث ابن عباس عند البخاري: أن النبي ﷺ قال: إن أحق ما أخذتم عليه أجراء كتاب الله. وحديث سهيل بن سعد عند أبي داود: أن رجلاً زوجه النبي ﷺ امرأة ولم يجد لها مهراً، فقال له النبي ﷺ: زوجتكها بما معك من القرآن.
فهذا نص يرفع الخلاف ينبغي أن يُعَوَّل عليه. وأما ما احتج به المانعون من القياس على الصلاة والصيام ففاسد لأنه قياس في مواجهة النص، وهذا غير جائز، ثم إن بينهما فرقاً وهو أن الصلاة والصيام عبادة مختصة بالعامل لا يتعدى أثرها إلى غيره، وأما تعليم القرآن فعبادة متعدية لغير المعلم، فتجوز الأجرة على محاولة النقل كتعليم الكتابة، والحياكة وغير ذلك من الأمور.
وأما الأحاديث: فليس منها حديث يصح عند أهل العلم بالحديث.
أما حديث ابن عباس فرواه سعيد بن طريف عن عكرمة، وسعيد متروك.
وأما حديث أبي هريرة فرواه علي بن عاصم عن حماد بن سلمة، وهو حديث لا أصل له.
وأما حديث عُبادة فمداره على المغيرة بن زياد الموصلي، قال ابن عبد البر: معروف بحمل العلم، ولكن له مناكير هذا منها.
قال القرطبي: وليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل. اهـ.
وقال الحافظ في الفتح ٤٥٢/٤: إن الأحاديث المذكورة ليس فيها ما تقوم به الحجة، فلا تعارض الأحاديث الصحيحة.
هذا والله تعالى أعلم.

وللبخاري والنسائي، عن أنس رضي الله عنه،أن النبيﷺ قال: إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينصرف، حتى يعلم ما يقرؤه[1].

ولمسلم عن علي رضي الله عنه قال: نهاني رسول الله ﷺ أن أقرأ راكعاً، أو ساجداً[2].

ورواه البيهقي في الدعوات، من طريق الشافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: إني نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه في الدعاء فقمن[3] أن يستجاب لكم.

(ورواه[4] أبو عبيد في الغريب، ولفظه: إني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود، فأما الركوع فعظموا الله فيه، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم)[5].

ورواه الدارمي في الصلاة من مسنده ـ عن ابن عباس أيضاً ـ ولفظه قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله

(١) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم ١/ ٦٠.
وسنن النسائي: كتاب الغسل والتيمم، باب الأمر بالوضوء من النوم ١/ ١١٦.
وكتاب الطهارة: باب النعاس ١/ ٩٩ عن عائشة.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراء القرآن في الركوع والسجود ٤/ ١٩٨.

(٣) قال الزمخشري في الفائق ٣/ ٢٢٥: القَمَنُ والقَمِنُ والقَمين: الجدير.
وقال في النهاية ٤/ ١١١: أي خليق وجدير.
قال النووي في شرح مسلم ٤/ ١٩٨: وفيه الحث على الالدعاء في السجود فيستجيب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح.

(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ١٩٧.

عنه فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له، ألا إني نهيت أن أقرأ راكعاً، أو ساجداً[1].

فذكره.

البكاء عند قراءة القرآن

وفي جامع الأصول، عن أسماء رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا قرأالقرآن كثير البكاء، في صلاة وغيرها[2].

ولأبي عبيد في الفضائل والغريب، عن ابن مهدي[3]، عن حماد بن سلمة[4] عن ثابت البناني[5]، عن مطرف بن عبدالله بن الشخير[6]، عن أبيه رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المِرْجل، من البكاء[7].

وأخرج الحديث أبو داود (في الصلاة)[8]، والترمذي في الشمائل، من هذه الطريق، والنسائي في الصلاة والرقائق من غيرها، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما[9].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب النهي عن القراءة في الركوع والسجود ٣٠٤/١.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير ٤٦٦/٢ رقم ٩٢٣.

(٣) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري.
قال الحافظ في التقريب ٤٩٩/١: ثقة ثبت، حافظ، عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. مات سنة ثمان وتسعين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

(٤) ترجمته في الحلية ٢٤٩/٦. وتذكرة الحفاظ ٢٠٩/١، الخلاصة ص ٧٨.

(٥) له ترجمة في الحلية ٣١٨/٢. وتذكرة الحفاظ ١٢٥/١، الخلاصة ص ٤٧.

(٦) له ترجمة في الحلية ١٩٨/٢. وتذكرة الحفاظ ٦٤/١، وشذرات الذهب ١٠١/١.

(٧) غريب الحديث لأبي عبيد ٢٢١/١.

(٨) ساقطة من: د.

(٩) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة ٢٣٨/١ حديث رقم ٩٠٤. =

وفي رواية أبي داود، كأزيز الرحا.

والأزيز يُعْنَى به، غليان جوفه بالبكاء، وأصل الأزيز: الالتهاب والبكاء[1].

وللطبراني عن جرير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إني قارىء عليكم سُورةً، فمن قدر أن يبكي، وإلا فلْيَتَبَاكَ.

ورواه أبو عبيد في الفضائل، عن عبيد بن عمير مرسلا، أنه ﷺ أعادها عليهم ثلاث مرات، فلم يبكِ أحد، فقال في الثالثة: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكَوْا.

ولأبي عبيد، عن سليمان بن سحيم قال: أخبرني من رأى عمر رضي الله عنه يصلي، وهو يترجح، ويتمايل، ويتأوه، حتى لو رآه (غيره)[2] ممن يجهله لقال: أصيب الرجل، وذلك لذكر النار، إذا مر بقوله تعالى: ﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِك ثُبُوراً، لا تدعو اليوم ثبوراً واحداً ﴾[3] وشِبْه ذلك[4].

ما يفعله مدعو الأيمان عند سماع القرآن

وله عن أبي حازم قال: مَرَّ ابنُ عمر رضي الله عنهما برجل من أهل العراق ساقط والناس حوله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: إذا قرىء عليه القرآن،

= وسنن النسائي: كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة ٣/١٣.

وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب الدليل على أن البكاء في الصلاة لا يقطع الصلاة ٢/٥٢ حديث رقم ٩٠٠.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٤/٢٥، ٢٦.

(١) قال في نهاية ١/٤٥: مأخوذ من أزيز المرجل وهو الغليان.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سورة الفرقان: آية ١٣ ـ ١٤.

(٤) من الآيات التي تذكِّر بالنار وتحذر من الوقوع فيها.

أو سمع الله يذكر، خَرَّ من خشية الله، فقال ابن عمر: والله إنا لنخشى الله، وما نسقط.

وله عن عكرمة قال: سألت أسماء - يعني: بنت أبي بكر رضي الله عنهما -: هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف؟ فقالت: لا، ولكنهم كانوا يبكون.

وله عن أنس رضي الله عنه، أنه سئل عن القوم يُقرأ عليهم القرآن فيصعقون؟ فقال: ذاك فعل الخوارج.

وله عن محمد بن سيرين وسئل عن رجل يقرأ عنده القرآن فيصعق، قال: ميعاد ما بيننا وبينهم: أن يجلس على حائط، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن وقع، فهو كما قال.

وقال ابن الجوزي في تفسير (سورة)[1] الزمر من «زاد المسير»: وهو عند ابن رجب عن أبي نعيم[2].

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير[3]: جئت أبي فقال: أين كنت؟، فقلت: وجدت قوماً ما رأيت خيراً منهم قط، يذكرون الله عز وجل، فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل، فقعدت بينهم، فقال: لا تقعد معهم بعدها.

قال: فرآني كأنه لم يأخذ ذلك فيَّ، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يتلوان القرآن فلا يصيبهم هذا من خشية الله، أفتراهم أخشى لله من أبي بكر وعمر؟.

قال: فرأيت أن ذلك كذلك، فتركتهم.

---

(١) ساقطة من: د.
(٢) لم أجده في زاد المسير في الموضع المشار إليه، ط / المكتب الإسلامي.
(٣) له ترجمة في الحلية ٣/١٦٦.

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجدّتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرىء عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم. فقلت: إن ناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن، خرّ أحدهم مغشياً عليه؟. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وكان خوات[1] يرعد عند الذكر. فقال له إبراهيم: إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتدّ بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك.

وفي التبيان للنووي عن ابن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجعلوا يقرأون القرآن ويبكون. فقال أبو بكر رضي الله عنه: هكذا كنا.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه صلى بالجماعة الصبح، فقرأ سورة يوسف عليه السلام، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته.

وفي رواية: فبكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف. انتهى[2].

وقال ابن رجب: إن ابن عمر رضي الله عنهما قيل له: إن قوماً إذا قرىء عليهم القرآن يرقد أحدهم من خشية الله؟. قال: كذبت. قال المخبر له: بلى والله، قال: ويحك إن كنت صادقاً، فإن الشيطان ليدخل جوف أحدهم والله ما هكذا أصحاب محمد ﷺ.

قال: وكذلك أنكر ذلك من التابعين خلق، منهم: ابن سيرين، وقتادة

---

(١) هو خوات بن جُبَيْر الأنصاري، صحابي. مات سنة أربعين هجرية.
راجع: تقريب التهذيب ٢٢٩/١، والتجريد ١٦٢/١ ترجمة رقم ١٦٩٠. وفي زاد المسير ١٧٧/٧: جوّاب. وهو خطأ.

(٢) التبيان ص ٦٨.

وتلى قوله تعالى: ﴿ تقشعر[1] منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾[2].

ثم قـال: هذا نعت أوليـاء الله: تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنما هذا من أجل البدع، وهذا من الشيطان.

ثم قال ما حاصله: إن ذلك قد يحصل للصالح، لكن حال الصحابة رضي الله عنهم: أنهم يحملون ما يَرِدُ عليهم لقوة علمهم وإيمانهم، فلم يظهر

---

(١) سورة الرمز آية ٢٣.
(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٥٠: أي هذه صفات الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمونـه منه من الـوعد والـوعيد، والتخـويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف وثَمَّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفُجّار من وجوه:
أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسمـاع أولئك نغمـات الأبيات من أصوات القينات.
الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا، بأدب وخشية ورجاء، ومحبة وفَهْمٍ وعِلْم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلتْ قلوبُهم، وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، الـذين يقيمون الصلاة ومما رزقنـاهـم ينـفقـون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجاتٌ عند ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم ﴾. وقال تعالى: ﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُمًّا وعُمْياناً ﴾.
أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين ولا هين عنها، بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها، فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.
الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون بما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون، والأدب والخشية، ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة.

ما يظهر على من ضعف حاله، فإن كان مغلوباً لا تَسَبُّبَ له في ذلك، فهو معذور[1].

كراهة الجمع بين سورتين فأكثر في الركعة الواحدة

ولأبي عبيد عن ابن سيرين، أنه حدَّث أبا العالية، أن ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ عشر سور في ركعة، فقال: قد كنت أفعله، حتى حدثني مع سمع النبي ﷺ يقول: لكل سورة حَظُّها من الركوع والسجود.

وله عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رجلاً أتاه فقال: قرأت القرآن في ليلة ـ أو قال: في ركعة ـ فقال ابن عمر: أفعلتموها؟، لو شاء الله لأنزله جملة واحدة، وإنما فصله لِتُعْطَى كلُّ سورة حظَّها من الركوع والسجود.

وله عن غياث[2] بن رزين، عن شيخ من المعافر، ذكر منه صلاحاً وفضلاً حدثه أن رجلاً يُقال له: عَبَّاد، كان يلزم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وكان امرءاً صالحاً، فكان يقرأ القرآن، ويَقْرِن بين السور في الركعة الواحدة، فبلغ ذلك عبد الله بن عمرو، فأتاه عباد يوماً، فقال عبد الله بن عمرو: يا خائن أمانته ثلاث مرات، فاشتد ذلك على عباد، فقال: غفر الله لك، أي أمانة (بلغك)[3] أني خنتها؟.

فقال أُخبرت أنك تجمع بين السورتين في الركعة الواحدة، فقال: إني

---

(١) قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٢/٣٣١: ولعمري إن الصادق منهم عظيم القدر، لأنه لولا حضور قلب حي، وعلم معنى المسموع وقدره واستشعار معنى مطلوب يتلمح منه، لم يحصل ذلك. لكن الحال الأول أكمل، فإنه يحصل لصاحبه ما يحصل لهؤلاء وأعظم، مع ثباته وقوة جنانه، رضي الله عن الجميع، لكن كثير من المتأخرين لا يُصَدَّق في هذا الحال، فسبحان علام الغيوب، ونعوذ بالله من كل رياء وسمعة. اهـ.

(٢) في فتوح مصر: قباث.

(٣) ساقطة من: د.

لا أفعل ذلك، فقال: فكيف يوم تأخذك كل سورة بركعتها وسجدتها، أما إني لم أقل لك إلا ما قال لي رسول الله ﷺ.

ورواه ابن عبد الحكم - أيضاً - في فتوح مصر بنحوه(١).

وقد صح أن النبي ﷺ جمع بين سور في ركعة، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في سورة النساء.

فيجمع: بأن هذا أولى(٢).

وذلك(٣) لبيان الجواز، أو لعلة اقتضت ذلك(٤).

---

(١) فتوح مصر ص ٢٥٧.

(٢) أي أن إفراد كل ركعة بسورة أولى من الجمع بين السورتين فأكثر في الركعة الواحدة.

(٣) يعني ما ورد من الجمع بين سورتين في ركعة.

(٤) قال النووي في التبيان ص ٩٢: لا بأس بالجمع بين سورتين في ركعة واحدة، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في الركعة، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قراءة الختمة في ركعة واحدة.

وقال في المجموع ٣٨٥/٢: ويجوز أن يجمع بين سورتين فأكثر في ركعة للحديث السابق. اهـ.

وفرق ابن قدامة - من فقهاء الحنابلة - بين صلاة الفرض وصلاة النافلة فقال في المغني ٤٩٤/١: ولا بأس بالجمع بين السور في صلاة النافلة فإن النبي ﷺ قرأ في ركعة سورة البقرة وآل عمران والنساء وقال ابن مسعود: لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين في ركعة متفق عليه، وكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة. وروى ذلك عن جماعة من التابعين.

وأما الفريضة: فالمستحب أن يقتصر على سورة مع الفاتحة من غير زيادة عليها، لأن النبي ﷺ هكذا كان يصلي أكثر صلاته، وأمر معاذاً أن يقرأ في صلاته كذلك. وإن جمع بين سورتين في ركعة ففيه روايتان:

أحداهما: يكره لذلك.

والثانية: لا يكره، لأن حديث عبدالله بن مسعود مطلق في الصلاة فيتحمل أنه أراد الفرض. وقد روى الخلال باسناده عن ابن عمر: أنه كان يقرأ في المكتوبة بالسورتين في ركعة. اهـ.

(والله أعلم)[1]

ما جاء في الصعق عند قراءة القرآن

وفي جامع الأصول عن أسماء رضي الله عنها قالت: القرآن أكرم من أن يزيل عقول الرجال، ما كان أحد من السلف يغشى عليه، ولا يصعق عند قراءة القرآن وإنما كانوا يبكون ويقشعرون، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله[2].

ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها نحوه، ولفظه: أنه قيل لعائشة رضي الله عنها أن قوماً إذا سمعوا القرآن صعقوا، فقالت: القرآن أكرم من أن تنزف[3] عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **تَقْشَعِرُّ منه جلُود الذين يَخْشَوْن ربهم ثم تَلِينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله** ﴾.

ذم الرياء بقراءة القرآن

ولمسلم والترمذي، والنسائي وابن خزيمة، وابن حبان، في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ أنه إذا كان يوم القيامة، وكلُّ أمةٍ جاثيةٍ[4]، فأول[5] من يدعو به الله تعالى للقضاء: رجلٌ

(١) ساقطة من: د.

(٢) جامع الأصول ٢/٤٦٦، ٤٦٧ حديث رقم ٩٢٤ من كلام عائشة وحديث رقم ٩٢٥ من كلام أسماء.

(٣) أي لا تغيب وتذهب عنه عقولهم بسببه.
راجع: التهذيب ١٣/٢٢١.

(٤) المراد بالأمة: أهل كل ملة. والجاثي: المستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أنامله.
وذلك يكون من الناس عند الحساب، قال القرطبي ١١/١٣٢: لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم، فيجثون على ركبهم جثّوا. اهـ.

(٥) في د: فكل.

جمع القرآن، ورجلٌ قُتل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المال، فيقول الله عزّ وجل للقارىء: ألم أعلِّمْك ما أنزلت على رسولي فما عملت فيما علمتَ؟. قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله عز وجل له: كذبتَ، وتقول الملائكة له: كذبتَ. ويقول الله تعالى: بل أردتَ أن يقال: فلان قارىء، وقد قيل ذلك.

وذكر الباقي إلى أن قال: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي وقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة(١).

وروى الطبراني في الجزء الذي انتقاه عليه أبو بكر بن مردويه، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: الزبانية أسرع إلى فَسَقَة قراء القرآن، منهم إلى عبدة الأوثان. فيقولون(٢): يُبْدَأُ بنا قبل عبدة الأوثان؟. فيقال لهم: ليس مَنْ عَلِمَ كمَنْ لا يعلم.

وروى الطبراني في الأوسط - وفيه بكير بن شهاب الدامغاني، قال الهيثمي: وهو ضعيف(٣) - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو يقول: عوذوا بالله من جُبِّ الحزن، قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟. قال: جب في واد في قعر جهنم، تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة، أعد للقراء المرائين بأعمالهم، وأن أبغض الخلق إلى الله، قارىء يُزَوِّرُ العمل.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة ١٣/ ٥٠.
وصحيح الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة ٤/ ١٩ حديث رقم ٢٤٨٩.
(٢) في د: فيقول.
(٣) مجمع الزوائد ٧/ ١٦٨.

لا يتكلم القارىء بكلام آخر وهو يقرأ

قال النووي في التبيان: وليعتد[1] بما رواه ابن أبي داود عن (ابن)[2] عمر رضي الله عنهما، أنه كان إذا قرأ القرآن، لا يتكلم حتى يفرغ مما أراد أن يقرأه[3].

ورواه البخاري في صحيحه وقال: لم يتكلم حتى يفرغ منه.

ذكره في كتاب التفسير[4] في قول الله تعالى: ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾[5].

ولأبي داود ـ قال الإمام صدر الدين المناوي[6] في «تخريج أحاديث المصابيح»: وسنده جيد، وله شواهد في صحيح مسلم وغيره ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين، إن بعضهم ليستتر ببعض من العرى، وقارىء يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام

---

(١) في د: فليعتد.
(٢) ساقطة من د وزيدت عن م. والبخاري وابن أبي داود.
(٣) لم أعثر عليه في التبيان.
(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لك ﴾ ٦/٧٣٥
(٥) سورة البقرة آية ١٢٣.
قال الإمام أبو عبدالله القرطبي في التذكار: يستحب إذا أخذ في سورة لم يُشْغَلْ عنها حتى يفرغ منها، إلا من ضرورة، وكذلك إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة، ولا يخللها بكلام الآدميين من غير ضرورة، فإن فيه استخفافاً بالقرآن، كما لو قطع مكالمة أحد فيحدث غيره ممن هو دونه فإن فيه استخفافاً بذلك، ولأن في اتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من البهجة ما يظهر عند الاتباع، ويخفي عند التقطيع، وفي سلب زينة القرآن فلذلك كان مكروهاً اهـ. ص ١٠٩.
(٦) هو قاضي القضاة صدر الدين أبو المعالي محمد بن ابراهيم بن اسحاق ابن ابراهيم بن عبد الرحمن المناوي، توفي غريقاً في الفرات سنة ٨٠٣ هـ.
راجع: الرسالة المستطرفة ص ١٥٢.

علينـا، فلما قام[1] رسـول الله ﷺ سكت القـارىء، ثم قـال: مـا كنتم تصنعون؟ قلنا: كنا نستمع إلى كتاب الله، فقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أُمرت أن أصبر نفسي معهم، قال: فجلس وسطنا، ليعدل بنفسه فينا، ثم قال بيده: هكذا فتحلقوا، وبرزت وجوههم، فقال: أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمسمائة سنة[2].

الوقت الذي يستحب فيه ختم القرآن

وروى الدارمي عن جماعة ـ منهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ـ قالوا: إذا قرأ الرجل القرآن نهاراً، صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإن قرأه[3] ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح.

قال سليمان ـ يعني الأعمش ـ: فرأيت أصحابنا يعجبهم أن يختموه أول النهار وأول الليل[4].

ولفظ سعد رضي الله عنه: إذا وافق ختم القرآن أول الليل، صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن وافق ختمه آخر الليل، صلت عليه الملائكة حتى يمسي فربما بقي على أحدنا الشيء فيؤخره حتى يمسي، أو يصبح[5].

قال أبو محمد: هذا حسن عن سعد، انتهى[5].

---

(١) في د: قدم. والتصويب عن م وسنن أبي داود.
(٢) سنن أبي داود: كتاب العلم، باب في القصص ٣/٣٢٣ حديث رقم ٣٦٦٦.
(٣) في د: وإذا.
(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن ٢/٣٣٧ حديث رقم ٣٤٨٠.
(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن ٢/٣٣٧ حديث رقم ٣٤٨٦.

ومن المعلوم: أن مثل هذا، لا يقال من قبل الرأي، فهو مرفوع حكماً، والله الموفق.

ورواه أبو عبيد في الفضائل، فقال: حدثنا هشيم، أنبأنا العوام، عن ابراهيم التيمي قال: كان يقال: الرجل يختم القرآن في أول النهار صلت عليه الملائكة بقية يومه، وإذا ختمه أول الليل، صلت عليه الملائكة بقية ليلته قال: فكانوا يستحبون أن يختموا في أول النهار، أو في أول الليل.

وله في الفضائل ـ أيضاً ـ عن أبي قلابة[1] مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: من شهد خاتمة القرآن، كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن، كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله.

فضيلة الدعاء عند ختم القرآن

وله عن ابن[2] مسعود رضي الله عنه قال: من ختم القرآن، فله دعوة مستجابة فكان عبد الله إذا ختم القرآن جمع أهله، ثم دعا وأمنوا على دعائه.

وله عن قتادة قال: كان بالمدينة رجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره، على أصحاب له، فكان ابن عباس رضي الله عنهما يضع عليه الرقباء، فإذا كان عند الختم، جاء ابن عباس رضي الله عنهما فشهد (ذلك)[3].

وفي التبيان للنووي: أنه رواه الدارمي[4]، وابن أبي داود[5].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٤١٧: هو عبدالله بن زيد ابن عمرو ـ أو عامر ـ الجرمي، أبو قلابة البصري، ثقة فاضل، كثير الإرسال مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة.

وقال الذهبي في الميزان ٢/٤٢٦: ثقة في نفسه، إلا أنه يدلس عمن لحقهم، وعمن لم يلحقهم.

(٢) في د: أبي.

(٣) زيادة عن التبيان.

(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن ٢/٣٣٦ حديث رقم ٣٤٧٥.

(٥) لم أعثر عليه في كتاب المصاحف لابن أبي داود.

وقال: وروى ابن أبي داود عن عمرو[1] بن مرة التابعي قال: كانوا يحبون أن يختم القرآن[2] من أول الليل، أو من أول النهار.

وعن طلحة بن مصرِّف التابعي الجليل قال: من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار، صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح.

وعن مجاهد نحوه[3].

وقال: وروى ابن أبي داود بأسانيده الصحيحة عن الحكم بن عتيبة[4] التابعي الجليل قال: أرسل إليَّ مجاهد وعنده ابن أبي لبابه[5]، فقالا: إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن.

وفي بعض الروايات الصحيحة، أنه كان يقال: إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن. انتهى[6].

وللطبراني عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ صلَّى صلاةً فرضيةً فله دعوةٌ مستجابةٌ، ومن خَتَم القرآن فله دعوة مستجابة.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف[7]. ؟

وله عن ثابت، أن أنس بن مالك رضي الله عنـه، كان إذا ختم القرآن، جمع أهله وولده، فدعا لهم.

---

(١) في د: عمر.

(٢) في د: الختم. والتصويب عن م والتبيان للنووي.

(٣) في التبيان: مثله.

(٤) في التبيان: عيينة.

(٥) في التبيان: أرسل إلى مجاهد وعتبة بن لبابة.

(٦) التبيان ص ١١١.

(٧) مجمع الزوائد ١٧٢/٧.

وراجع: ترجمة عبد الحميد في الميزان ٥٤١/٢ ترجمة رقم ٤٧٧٧.

قال الهيثمي: رجاله ثقات[1].

ورواه ابن أبي داود - كما قال النووي في التبيان[2] - بإسنادين صحيحين عن قتادة قال: كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن، جمع أهله ودعا.

قال: وروى الدارمي بإسناده عن حميد الأعرج قال: من قرأ القرآن ثم دعا أمَّن على دعائه أربعة آلاف ملك. انتهى[3].

إنزال القرآن من سبعة أبواب

ولأحمد والطبراني، وابن أبي داود في كتاب المصاحف، عن فلفلة الجعفي قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله[4] في المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكن جئنا (حين)[5] راعنا هذا الخبر؟. فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو قال: حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، معناهما واحد[6].

قال الهيثمي: وفيه عثمان بن حسان العامري، ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه، ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات. انتهى[7].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٧٢.
(٢) التبيان للنووي ص ١١١.
(٣) التبيان ص ١١٢.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن ٢/٣٣٧.
حديث رقم ٣٤٧٤.
(٤) هو عبد الله بن مسعود، كما في المصاحف لابن أبي داود ص ١٨.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٥.
وكتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٨.
(٧) مجمع الزوائد ٧/١٥٢.

وحديث الأبواب هذا روى من أوجه كثيرة.

رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده.

وكذا أبو يعلى الموصلي في مسنده، ومن طريقه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في كتاب المدخل.

ومثله لا يقال بالرأي، فهو مرفوع حكماً.

وفي بعض الطرق التصريح برفعه إلى النبي ﷺ، وفيه تفسير السبعة الأحرف: بزاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال(١).

ورواه الإمام أحمد عن ابن مسعود مختصراً(٢).

---

(١) نقل الطحاوي عن أحمد بن أبي عمران أنه قال: من قال في تأويل السبعة الأحرف هذا القول فتأويله فاسد، لأنه محال أن يكون الحرف منها حراماً لا ما سواه، أو يكون حلالاً لا ما سواه، لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله، أو حرام كله، أو أمثال كله.

قال أبو شامة: وعندي لهذا الأثر - أيضاً - تأويلان آخران:

أحدهما: ذكره أبو علي الأهوازي في كتاب «الإيضاح»، والحافظ أبو العلاء في كتاب «المقاطع»: أن قوله ﴿زاجر وآمر - إلى آخره - استئناف كلام آخر، أي هو كذلك، ولم يرد به تفسير الأحرف السبعة وانما توهم ذلك من توهمه، لاتفاقهما في العدد، وهو السبعة. وروى: زاجراً، وآمراً، بالنصب، أي نزل على هذه الصفة من سبعة أبواب على سبعة أحرف، ويكون المراد بالأحرف غير ذلك.

التأويل الثاني: أن يكون ذلك تفسيراً للأبواب، لا للأحرف، أي هذا سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه وأنواعه، أي أنزله الله تعالى كائناً من هذه الأصناف، لم يقتصر به على صنف واحد، بخلاف ما يحكى أن الإنجيل كله مواعظ وأمثال.

راجع: المرشد ص ١٠٨.

(٢) المسند ١/٤٤٥ ولفظه:

فقال - يعني ابن مسعود -: إن هذا القرآن نزل على نبيكم ﷺ من سبعة أبواب، على سبعة أحرف - أو قال: حروف - وان الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد، على حرف واحد.

وعزاه شيخنا العلامة مقرىء زمانه شمس الدين محمد، بن محمد، بن محمد ابن علي، بن الجزري، الدمشقي الشافعي، في أوائل كتابه[1] «النشر في القراءات العشر» إلى الطبراني، من حديث عمر بن أبي سلمة المخزومي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لابن مسعود: إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد، وإن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وضرب أمثال، وأمر وزجر، فأحل حلاله، وحرم حرامه، واعمل بمحكمة، وقف عند متشابهه، واعتبر أمثاله، فإن كُلاً من عند الله وما يذكّر إلا ألوا الألباب[2].

وكذا أخرجه الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني، عن عمر بن أبي سلمة به، وقال: وفيه عمار بن مطر، وهو ضعيف جداً[3]، وقد وثقه بعضهم. انتهى[4].

---

(١) في د: كتاب.

(٢) قال أبو شامة في المرشد الوجيز ص ١٠٧ - نقلاً عن ابن عبد البر -: هذا حديث عند أهل العلم لم يثبت، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود. وابنه سلمة ليس ممن يحتج به، وهذا الحديث مجتمع على ضعفه من جهة إسناده، وقد رده قوم من أهل النظر، منهم أحمد بن أبي عمران، فيما سمعه الطحاوي منه. اهـ.
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٩/٩: وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم، وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود. وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري، عن أبي سلمة مرسلاً، وقال: هذا مرسل جيد اهـ.

(٣) قال الذهبي في الميزان ١٦٩/٣: هالك، وثقة بعضهم، ومنهم من وصفه بالحفظ.
قال: وقال العقيلي: يحدث عن الثقات بمناكير.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٩٤/٦: سمع منه أبي وسألته عنه فقال: كتبت عنه وكان يكذب. اهـ.
ونقل الذهبي عن ابن عدى قوله: أحاديثه بواطيل.

(٤) مجمع الزوائد ١٥٣/٧.

وَقَد عَدَّ الحروف سبعاً، فلما سَبَّب عنها قوله: «فأحل حلاله» إلى آخره، جعلها خمساً، فأسقط الأمر والنهي، لدخولهما في الحلال والحرام.

وذلك موافق لما رواه البيهقي في فضل القرآن من «الشُّعب» عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: نزل القرآن على خمسة أوجه: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال.

والمراد - والله أعلم - بالباب: الحسي. وبالحرف الواحد من الكتاب الأول: اللغة التي هي الروايات في الألفاظ.

فتصير خاصة القرآن في هذا الحديث: نزوله من سبعة أبواب من أبواب السماء. والمراد بالحروف التي فُصِّل إليها القرآن في هذا الحديث: الوجوه المذكورة[١].

والمراد بها في الأحاديث الآتية: اللغات التي خص القرآن من بيت الكتب السالفة بجواز القراءة بها، على أنها (قراءة)[٢]، لا ترجمة وتفسير، تبنيها على عموم الدعوة، وشرف اللغة التي نزل بها واتساعها، والتخفيف على أهلها.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير في مقدمة التفسير: كل كتاب تقدم نزوله كتابنا فإنما نزل بلسان واحد، متى حُوِّل إلى غيره، كان ترجمة له وتفسيراً لا تلاوة، وكتابنا أنزل بألسن سبعة، بأي واحد منها تلاه التالي، كان تالياً له على ما أنزل الله، ولا يصير مترجماً له (ولا)[٣] مفسراً، حتى يتحول عن جميع تلك الألسن السبعة إلى غيرها.

فهذا معنى قوله ﷺ: كان الكتاب الأول ينزل على حرف واحد، ونزل القرآن على سبعة أحرف[٤].

---

(١) تقدم قريباً الاعتراض على هذا التفسير للأحرف السبعة.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) تفسير ابن حرير ١/٣١.

لكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع

وروى البغوي في «شرح السنة»، عن علي بن زيد، عن الحسن البصري مرسلاً أن النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية ظهر وبطن، ولكلٍّ حد ومطلع(١).

ورواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى ورجاله ثقات، والبزار(٢).

قال ابن رجب: وابن حبان في صحيحه، وابن جرير(٣).

وفي رواية للطبراني: أن عبد الله(٤) رضي الله عنه قال: إن هذا القرآن ليس منه حرف، إلا له حد، ولكلٍّ حدٌّ مطلع.

وسياق ابن رجب: قال رسول الله ﷺ: لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله، وإن القرآن نزل على سبعة أحرف، لكل آية ظهر وبطن، ولكلٍّ حدٌّ ومطلع.

وقال: غريب جداً.

ولعل آخر الحديث مُدْرَجٌ من قول ابن مسعود(٥) رضي الله عنه، فإنه قد روى من قوله من وجه آخر، أخرجه أبو نعيم بإسناد غريب.

وذكر الظهر والبطن روى من أوجه كثيرة.

---

(١) شرح السنة ١/٢٥٠ حديث رقم ١٢٠.
وما ذكره المؤلف فهو من رواية عبد الله بن مسعود، كما في شرح السنة وأما رواية الحسن فسيوردها بعد قليل عن أبي حاتم الرازي وأبي عبيد.
(٢) قال في مجمع الزوائد ٧/١٥٢: ورجال البزار أيضاً ثقات.
(٣) تفسير ابن جرير ١/٧٢.
(٤) هو عبد الله بن مسعود.
(٥) وهذا أوجه ما يقال فيه، لأن لصدر الحديث أصلاً في الصحيح، وأما عجزه فلا علاقة له بصدره.

منها: عند ابن حميد ـ ونحوه ـ في كتاب «الأدب»، عن عبد الرحمن بن عوف القرشي[1]، وليس أحد العشرة، بل غيره.

قال أبو حاتم الرازي[2] وغيره: ورواه أبو عبيد في الفضائل والغريب عن الحسن رحمه الله، ولفظه: ما أنزل الله آية، إلا لها ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌّ، ولكلِّ حد مطلع[3].

تفسير الظهر والبطن والحد والمطلع

وقال الحسن: الظهر هو الظاهر، والبطن هو السر، من قول الجاهلية: ضربت أمري ظَهْراً لِبَطْنٍ.

والحد: هو الحرف الذي فيه علم الخير والشر.

---

(١) كذا بالأصل: «القُرشي»، ولعله عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي قاضي حمص، مذكور في عداد الصحابة. ونقل ابن حجر في الإصابة ٣/٩٨ والذهبي في التجريد ١/٣٥٣: أنه من تابعي أهل حمص وهو من الثقات. وأما عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري، صحابي مشهور.

(٢) هو أبو حاتم محمد بن ادريس بن المنذر، الرازي الحنظلي، قال في الرسالة المستطرفة: الحافظ المشهور، من أقران البخاري ومسلم، المتوفي سنة خمس ـ أو سبع ـ وسبعين ومائتين. اهـ.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٢.
وذكره البغوي في شرح السنة ١/٢٥٠.
قال ابن جرير في مقدمة التفسير ١/٧٢: وقوله: ﴿وان لكل حد من ذلك مطلعاً﴾ فإنه يعني أن لكل حد من حدود الله التي حدها من حلال وحرام، وسائر شرائعه، مقداراً من ثواب الله وعقابه، ويعاينه في الآخرة ويطلع عليه، ويلاقيه في القيامة، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء، لافتديت به من هول المطلع﴾، يعني بذلك: ما يطلع عليه، ويهجم عليه من أمر الله بعد وفاته.

والمطلع: الأمر والنهي.

وفي رواية أنه قيل: إنها المطلع. قال: يطلع قوم يعملون به[1].

وقال أبو عبيد في الغريب: أحسبه - يعني: الحسن - ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما من حرف - أو قال: آية - إلا قد عمل[2] بها قوم، أو: لها قوم سيعملون[3] بها.

فإن كان هذا إلى هذا، فهو وجه.

وإلا، فإن المطلع في كلام العرب، هو المأتي الذي يؤتى منه، حتى يعلم علم القرآن من ذلك المأتي.

والمصعد: يصعد إليه في معرفة علمه.

وقال في كتاب الغريب أيضاً في تفسير «هول المطلع»: قال الأصمعي: المطلع: موضع الاطلاع من إشراف[4] إلى نجد[5].

قال أبو عبيد: فشبه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك.

وقد يكون المطلع: المصعد من أسفل إلى المكان المشرف، وهذا من الأضداد.

وقال أبو عمرو: مطلع: مأتى، يؤتى منه.

---

(١) في د: يعلمون.
(٢) في د: علم.
(٣) في د: سيعلمون.
(٤) الشرف: كل نَشَزٍ من الأرض قد أشرف على ما حوله.
والنجد: الارتفاع، وهو خاص بما ارتفع من الأرض وكان صلباً.
راجع: تهذيب اللغة ١٠/٦٦٢، ١١/٣٤٤.
(٥) غريب الحديث ٢/١٢.

وهو شبيه المعنى بالقول الأول. يقال: مطلع هذا الجبل من مكان كذا أي مصعده ومأتاه.

والظهر والبطن: قال الحسن: العرب تقول: قلَّبت أمري ظَهْراً لِبَطْن.

وقال غيره: الظهر: لفظ القرآن، والبطن: تأويله[1].

وفيه قول ثالث ـ وهو عندي أشبه الأقاويل بالصواب ـ وذلك: أن الله تعالى قد قص أنباء القرون الظالمة، فأخبر بذنوبهم، وما عاقبهم به، فهذا هو الظهر.

إنما هو حديث حدثك به عن قوم، فهو في الظاهر خبر.

وأما الباطن منه: فإنه صيَّر ذلك الخبر عظة لك، وتحذيراً وتنبيهاً أن تفعل فعلهم، فيحل بك ما حل بهم من عقوبة، انتهى[2].

فصار الذي تحصل من هذا أن الظهر: ما كان فهمه ظاهراً من الكلام.

والبطن: ما اختص بفهمه الفَطِنُ من المعاني التي لا يوصل إليها إلا بالتأمل.

والحد: غاية ما ينتهي إليه من الظاهر والباطن.

فإن الحد: طرف الشيء. والمطلع: الطريق الموصل إلى ذلك الحد.

(فالمراد منه: أن الله سبحانه لم يخاطبنا بشيء إلا وفهمُه ممكنٌ، إما للكافة أو للخاصة، أو لخاصة الخاصة الذين يطلعهم الله تعالى على ذلك الطريق الموصل إلى الحد)[3] والله أعلم.

---

(١) راجعه في شرح السنة للبغوي ١/٢٥١.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٣.

راجع: شرح السنة للبغوي ١/٢٥١.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

وقال الإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي[1] في الباب الثاني من كتاب «عوارف المعارف» بعد رواية أثر عبد الله بن مسعود هذا: وهذا الكلام محرض لكل صاحب همة، أن يصغي إلى موارد الكلام، ويفهم دقائق معانيه، وغامض أسراره من قلبه.

فللصوفي ـ بكمال الزهد في الدنيا، وتجريد القلب عما سوى الله تعالى ـ مطلع من كل آية، وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد، وفهم عتيد، وله بكل فهم عمل جديد.

فَفَهْمُهُمْ يدعو إلى العمل، وعملهم يجلب صفاء الفهم، ودقيق النظر في معاني الخطاب. فمن الفهم علم، ومن العلم عمل، والعلم والعمل يتناوبان فيه، وهذا العمل آنفاً، إنما هو عمل القلوب، غير عمل القالب، وأعمال القلوب ـ للطفها وصقالتها ـ مشاكلة للعلوم، لأنها نيات وطويات، وتعلقات روحية وتأدبات قلبية، ومسامرات سرية، وكلما أتوا بعمل من هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم، وأطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد.

ويخالج سرى أن يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر في الآية، ولكن المطلع: أن يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها لأنها مستودع وصف من أوصافه، ونعت من نعوته، فتتحدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها، ويصير له مراء[2] منبئة عن عظيم الجلال.

---

(١) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله، بن محمد، بن عبد الله، القرشي التيمي، البكري، الشافعي، صوفي، فقيه، ولد بسهرورد بفارس، وقدم إلى بغداد، وعمي في آخر حياته. ومن تصانيفه: رغبة البيان في تفسير القرآن، عوارف المعارف، بهجة الأبرار. وتوفي في أول المحرم سنة ٦٣٢ هجرية.

راجع: البداية والنهاية ١٣/١٣٨، شذرات الذهب ٥/١٥٣، وفيات الأعيان ١/٤٨٠.

(٢) جمع مرأي.

ولقد نقل عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال: لقد تجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون.

فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه.

فالحد: حد الكلام.

والمطلع: الترقي عن الكلام إلى شهود المتكلم.

وقد نقل عن جعفر الصادق ـ أيضاً ـ: أنه خرَّ مغشياً عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال: ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها.

فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد، وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى، صار بين يدي الله حاضراً شهيداً، يرى لسانه ـ أو لسان غيره ـ في التلاوة كشجرة موسى عليه السلام، حيث أسمعه الله منها خطابه إياه بأني «أنا الله»، فإذا كان سماعه من الله تعالى، واستماعه إلى الله، صار سمعُه بصرَه، وبصرُه سمعَه، وعلمُه عمله، وعمله علمه، وعاد آخره أوله، وأوله آخره.

ومعنى ذلك: أن الله تعالى خاطب الذر بقوله: ﴿ **ألست بربكم** ﴾[1] فسمعت النداء على غاية الصفاء، ثم لم تزل الذرات تتقلب في الأصلاب، وتنتقل إلى الأرحام، قال الله تعالى: ﴿ **الذي يراك حين تقوم، وتقلبك في الساجدين** ﴾[2]. يعني: تقلب ذرتك في أصلاب أهل السجود من آبائك الأنبياء، فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت إلى أجسادها، فاحتجبت بالحكمة عن القدرة، وبعالم الشهادة عن عالم الغيب، وتراكم ظلماتها بالتقلب في الأطوار.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٢.

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٨ ـ ٢١٩.

فإذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفياً صافياً، لا يزال يرقيه في رتب التزكية والتحلية، حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجف[1] الحكمة، فيصير سماعه بـ ﴿ألست بربكم﴾ كشفاً وعياناً، وتوحيده وعرفانه تبياناً وبرهاناً، وتندرج له ظلم الأطوار في لوامع الأنوار. انتهى[2].

وقال الإمام ولي الدين محمد بن أحمد الملّوى[3] في كتاب «تبيين معادن المعاني»: قال بعض الصديقين: فالحد والمطلع يدق أمرهما ويغمض، ويختص بدركهما الأكابر العارفون، وقد يضيق عن كثير منه نطاق النطق.

والظهر: سهل لكل وارد، وفيه يتكلم علماء الرسوم.

وأما البطن: فيكاد يختص به أرباب القلوب، وعلماء الحقائق، قد علم كل أناس مشربهم. ثم (قال)[4]: إن مطلع كل حرف هو المأتى الذي يؤتى منه. انتهى.

اشتمال القرآن على جميع العلوم

وروى أبو عبيد أيضاً عن عبد الله ـ هو ابن مسعود رضي الله عنه ـ قال: إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين.

---

(١) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٣/١٣٦: السَّجْف والسِّجف: ستر الحجلة. اهـ.
وفي النهاية ٢/٣٤٣: السجف: الستر. اهـ.

(٢) عوارف ١/١٦٤ ـ ١٦٦ /ط/ دار الكتب الحديثة.

(٣) هو أبو عبد الله ولي الدين محمد بن أحمد بن عثمان العثماني، الملوي.
نسبته إلى ملوى بقرى صعيد مصر. فقيه أصولي. مفسر نحوي. سافر إلى دمشق والروم، ثم عاد إلى مصر. وتوفي بها سنة ٧٧٤ هجرية.
راجع: معجم المؤلفين ٨/٢٨٩.

(٤) ساقطة من: د.

ورواه الطبراني - قال الهيثمي بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح[1] - ولفظه: من أراد العلم فليثور القرآن[2]، فإن فيه علم الأولين والآخرين.

وعزا ابن رجب في كتاب «الاستغناء بالقرآن» هذا اللفظ إلى يعقوب بن أبي شيبة في مسنده.

(وروى يعقوب بن أبي شيبة عنه - أيضاً - رضي الله عنه أنه قال: إن الله عز وجل أنزل في هذا القرآن تبيان كل شيء، وأن علمنا يقصر عنه.

وروى أبو خيثمة زهير بن حرب[3] في كتاب «العلم» عن مسروق قال: ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء، إلا وعلمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه.

وروى عبد بن حميد[4] في تفسيره عن علي رضي الله عنه قال: ما من شيء إلا علمه في القرآن، ولكن رأى الرجال يعجز عنه.

وروى البزار في مسنده من طريق شهر، عن عبد الرحمن بن غنم، أن الحارث ابن عميرة بكى عند معاذ رضي الله عنه حين احتضر معاذ، وقال له: إنما أبكي لما يفوتني منك من العلم، فقال معاذ: إن الذي تبغي من

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.

(٢) قال في النهاية ١/٢٢٩: أي لينقّر عنه، ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته.

(٣) هو زهير بن حرب بن شداد، أبو خيثمة النسائي، نزيل بغداد، كان من الحفاظ الثقات. قال الحافظ ابن حجر في التقريب ١/٢٦٤: ثقة ثبت روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث.

وقال ابن الجزري في الطبقات ١/٢٩٥: حدث عنه البخاري.

توفي سنة ٢٣٤ هـ عن أربع وسبعين سنة.

(٤) هو عبد - بدون إضافة - بن حميد بن نصر الكِسِّي - بكسر الكاف وتشديد السين المهملة - نسبة الى كِسّ، مدينة قرب سمرقند، ثقة حافظ، له مسندان: أحدهما كبير، وثانيهما صغير ويسمى: المنتخب. توفي سنة ٢٤٩ هـ.

راجع: الرسالة المستطرفة ص ٥٦.

العلم بين لوحي المصحف، فإن أعياك تفسيره، فأطلبه من ثلاثة: عويمر أبي الدرداء أو سلمان الفارسي، أو ابن أم عبد[1]. وإياك وذلة العالم، وجدال منافق بالقرآن.

وللبخاري عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟. قال: لا والذي فلق الحب، وبرأ النسمة[2] ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟. قال: العقل[3]. وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر[4].

قال الحافظ زين الدين بن رجب: سبب هذا السؤال: أن غلاة الشيعة زعمت أن القرآن جزء يسير من الوحي، وأن جميعه عند علي، وأنه اختص بعلم تلك الأجزاء كلها هو وذريته، فلذا كان إذا سئل - هو أو أحد من ذريته - اشتد نكيره.

وللشيخين عن طلحة بن مُصرِّف قال: سألت ابن أبي أوفى[5]: أأوصى النبي ﷺ ؟. قال: لا. قلت: كيف كتب على الناس الوصية ولم يوص؟. قال: أوصى[6] (بكتاب الله عز وجل)[7].

---

(١) هو عبد الله بن أم مسعود رضي الله عنه.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٥/٤٩: أي خلق ذات الروح، وكثيراً ما كان يقولها إذا اجتهد في يمينه.

(٣) قال في النهاية ٣/١٢٧٨: العقل: الديّة، وأصله: أن القاتل إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول: أي شدها في عقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه. فسميت الدية عقلاً بالمصدر. اهـ.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم ١/٢٨.

(٥) هوعبد الله بن أبي أوفي علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، بايع تحت الشجرة، وهو آخر الصحابة بالكوفة.

راجع: التجريد للذهبي ١/٢٩٩ ترجمة رقم ٢١٥٩.

(٦) زيادة عن الصحيحين.

(٧) صحيح البخاري: كتاب الوصايا، باب قول النبي ﷺ: وصية الرجل مكتوبة عنده ٣/١٨٥.

=

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قعدوا يتحدثون في الفقه، كانوا يأمرون أن يقرأ رجل سورة[1])

ولأبي عبيد عن مسروق قال: ما يسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا يقصر عنه.

وله عن الحسن ـ رحمه الله ـ قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيما أنزلت، وما أراد بها.

وله عن عمرو بن مرة قال: إني لأمرٌّ بالمثل من كتاب الله لا أعرفه فأغتم به لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[2].

وله عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لو أَعْيَتْني آية من كتاب الله، فلم أجد أحداً يفتحها عليَّ إلا رجلاً بِبَرْكِ الغِمَاد لرحلت إليه.

قال: وهو أقصى حِجْر باليمن.

هذا، ولما لم يجمع كتاب من الكتب السالفة هذه الحروف التي فصل إليها هذا الحديث الذي رواه ابن مسعود، وكانت جامعة لصلاح الدارين، أفرد كتابنا بالذكر، ففصل ما فيه، ولم يذكر أحوال الكتب الماضية في ذلك، لأنه لم يجمع كتاب منها جميع هذه الأحرف السبعة.

= وصحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس لـه شيء يوصي بـه ٨٧/١١.

قوله: ﴿أوصى بكتاب الله﴾ قال النووي: أي بالعمل بما فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.

قال الحافظ في الفتح ٣٦١/٥: ولعله أشار ـ يعني ابن أبي أوفي ـ لقوله ﷺ: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا: كتاب الله. اهـ.

(١) ما بين القوسين زيادة عن: د.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٤٣.

والمدعي أن الأنجيل جمعها، وسلم ذلك، لم يقدر أحد أن يقول: إنه فصلها تفصيلاً يكفي أهل ذلك الدين جميعَ ما ينوبُهم من غير احتياج إلى شيء آخر بخلاف القرآن، فإنه كاف، والله الهادي.

ولأجل أن الكتب الأُوَل لم تكن كافية لمن أنزلت عليهم في كل أمر ينوبهم كانت تبعث فيهم الأنبياء لتسوسهم وتُعرِّفَهُم كل ما يجب عليهم.

وإنما نحن فكتابنا كافٍ، ونزول عيسى عليه السلام إلينا في آخر الزمان، إنما هو لفتنة الدجال ويأجوج ومأجوج، ومثل ذلك مما لاتحتمله القوى.

وقد طعن الحافظ أبو عمر بن عبد البَرّ[1] في هذا الحديث[2]، وعلى تقدير صحته يزول عنه ـ بما قَـرَّرتُه ـ الإشكال، بأن في التوراة الحلال والحرام، وفي الإنجيل الأمر والنهى، وفي كل منها المحكم والمتشابه. وفي الإنجيل والزبور الأمثال، فهي مفرقة في الكتب السالفة غير مجموعة في واحد منها. والله أعلم.

إنزاله على سبعة أحرف

وروى الإمام أحمد والطبراني في الكبير، وأبو بكر بن أبي شيبة في

---

(١) هو الإمام المحدّث الفقيه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، من كبار حفاظ الحديث، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هجرية وروى الحديث عن كبار علمائها، ثم تجول في بلاد الأندلس. وتولى قضاء لِشبونة، وسكن دانية وبلنسية، وتوفي بشاطبة سنة٤٦٤ هـ. قال أبو الوليد الباجي: أبو عمر أحفظ أهل المغرب.
ومن كتبه: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار والاستيعاب وغيرها.
راجع: وفيات الأعيان ٦/٦٤، الصلة ٢/٦٧٧، شذرات الذهب ٣/٣١٤.

(٢) تقدم كلام ابن عبد البر على هذا الحديث في هامش ص ١٨٦.

(٣) في د: مما.

مسنديهما[١] عن سَمُرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف[٢].

وفي رواية: على سبعة أحرف[٣].

ورواه البزار في مسنده ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نقرأ القرآن كما أُقْرِأْنَاهُ، وقال: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف، فلا تختلفوا فيه ولا تجافوا عنه.

وفي رواية: ولا تحاجوا فيه، فإنه مبارك كله، اقرأوه كما أُقرِئْتُموه.

ورواه الطبراني وقال: ولا تحاجوا فيه. بدل: تجافوا عنه.

قال الهيثمي: ورجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني والبزار رجال الصحيح[٤].

ولا يخالف هذا ما يأتي من إنزاله على سبعة أحرف، لأن في تلك الأحاديث: أن السبعة ما كانت إلا بعد مراجعة، فربما حمل سمرة رضي الله عنه هذا الحديث عند الثالثة[٥]، فاستمر يرويه ثم استمرت المراجعة إلى تمام السبعة، ولم يسمع تمام المراجعة. أو سمعها ـ كما في إحدى رواياته ـ ورأى أن الثلاثة لا تنافي[٦] ما فوقها فإنه ليس فيها نفي له.

وروى الطبراني عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ[٧].

---

(١) الضمير عائد على الإمام أحمد وأبي بكر بن أبي شيبة، لأنهما من أصحاب المسانيد.

(٢) المسند ٥/٢٢. وأخرجه الحاكم: كتاب التفسير ٢/٢٢٣ وقال: صحيح وليس له علة.

(٣) المسند ٥/١٦.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥٢.

(٥) في د: الثلاثة.

(٦) في د: تنفي.

(٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٥٣: فيه ميمون أبو حمزة وهو متروك.

ورواه الطبراني ـ أيضاً ـ عن معاذ بن جبل موقوفاً عليه. ومثله لا يقال بالرأي. قال الهيثمي: ورجاله ثقات[1].

ولمسلم وغيره عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن النبي[2] ﷺ كان عند أضاة[3] بني غفار، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإني أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة ـ فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيُّما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[4].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٥٤.

(٢) في د: رسول الله.

(٣) الأضاة: قال النووي في شرح مسلم ٦/١٠٤: هي بفتح الهمزة وبضاد معجمة مقصورة وهي الماء المستنقع كالغدير، وجمعها: أضا. كحصاة وحصا. وإضاء ـ بكسر الهمزة والمد ـ كأكمة وأكام. اهـ.

وقال ابن الأثير في النهاية ١/٥٣: الأضاة ـ بوزن الحصاة ـ الغدير. وجمعها: أضى وإضاء، كأكم واكام.

وقال الزمخشري في الفائق ١/٤٦: أضاة: الغدير. اهـ.

قال الحافظ في الفتح ٩/٢٨: وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار، لأنهم نزلوا عنده. اهـ.

(٤) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٦/١٠٣.

وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ما جاء في القرآن ٢/١٥٢.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٧٦ حديث رقم ١٤٧٨.

وفي رواية لابن جرير: فمن قرأ منها حرفاً، فهو كما قرأ[1].

وفي رواية لأبي داود: قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبي إني أقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف أو حرفين؟. فقال الملك الذي معي: قل على حرفين، فقلت: على حرفين. فقيل لي: على حرفين أو ثلاث؟. فقال الملك الذي معي: قل على ثلاث، فقلت: على ثلاث، حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب[2].

وفي رواية الترمذي وقال: حسن صحيح: أن أُبَيّـاً رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقالوا: يا جبريل بعثت إلى أمة أميين، فيهم العجوز والشيخ الكبير، والغلام،و والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، فقال لي: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف[3].

ورواه أبو داود الطيالسي عن أبي رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ عند أحجار المِرَا. فقال: يا جبريل.

فذكر نحوه[4].

ورواه ابن جرير عن أبي رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عند أحجار المرا. فقال: إني بعثت إلى أمة أميين، منهم الغلام والخادم، والشيخ العاسي[5]، والعجوز، فقال جبريل عليه السلام:

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٧.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٧٦ حديث رقم ١٤٧٧.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب القراءات، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥/١٩٤ حديث رقم ٢٩٤٤.

(٤) مسند أبي داود الطيالسي: كتاب القرآن، باب أول ما نزل من القرآن وسبب قول النبي ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٨ حديث رقم ١٩١٢.

(٥) عند ابن جرير: الفاني.

فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف[1].

وروى الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المرا.

فذكره[2].

وفي بعض طرقه: إن أمتك يقرأون القرآن على سبعة أحرف.

وفي رواية: إن من أمتك الضعيف، فمن قرأ منهم على حرف، فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه.

وفي رواية: فلا يتحول منه إلى غيره رغبة عنه.

ورواه البزار ـ قال الهيثمي: وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح[3] ـ ولفظه: أن رسول الله ﷺ لقي جبريل عليه السلام عند أحجار المرا فقال: إني أرسلت إلى أمة أمية وإلى من لم يقرأ كتاباً قط، فقال جبريل إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف، فقال: ميكائيل عليه السلام: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف.

ورواه أبو عبيد في الفضائل، وأحمد، عن حذيفة رضي الله عنه، ولفظه: لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المرا، فقلت: يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية (فيهم)[4] الرجل، والمرأة والغلام، والجارية، والشيخ الفاني ـ وقال أحمد: العاسي[5] ـ الذي لم يقرأ كتاباً قط، فقال: إن القرآن أنزل على سبعةأحرف.

---

(١) تفسير ابن جرير: ١/١٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/٣٨٥، ٤٠٠، ٤٠٥.
قال الهيثمي ٧/١٥١: فيه راو لم يسم.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٥٠.

(٤) زيادة عن: د.

(٥) أي الضعيف الذي تقدمت به السن.

ورواه الطبراني والبزار بنحوه.

والمرا: قال عبد الغافر الفارسي[1] في «مجمع الغرائب» وابن الأثير في النهاية[2]: بكسر الميم: هي قباء، انتهى[3].

وقال في القاموس: وأحجار المرا: قباء خارج المدينة، وأحجار الزيت: موضع داخل المدينة.

وهذا بناء منه على أن المدينة: الموضع الذي فيه قبر النبي ﷺ خاصة، وليس كذلك، بل هي اسم لجميع المحال التي كانت قبائل الأنصار مفرقة بها، فيما بين أُحُد وعَيْر[4]، وبني النضير وقريظة.

فيكون المكان داخل المدينة.

ويوجد في كثير من الكتب «أحجار المرى» بياء بعد الراء ممدوداً، كما هو الظاهر جمع مروة، مثل فروة وفرا. فنوع من الحجارة صلب براق، فكتابته بالياء وهم.

وإن كان مقصوراً، جارت كتابته بالياء. والله أعلم.

---

(١) هو أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي كان إماماً في الحديث واللغة والأدب والتاريخ. فارسي الأصل من أهل نيسابور، أخذ الفقه عن إمام الحرمين، ورحل إلى كثير من البلاد. ومات بنيسابور سنة ٥٢٩ هـ. وله من الكتب: المفهم لشرح غريب مسلم. مجمع الغرائب. السياق في تاريخ نيسابور. وغير ذلك.

(٢) هو أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، الشافعي، مجد الدين ابن الأثير، محدث، لغوي، أصولي قال ابن خلكان: كان ورعاً عاقلاً مهيباً ذا برّ وإحسان. اهـ.
له جامع الأصول في أحاديث الرسول، والنهاية في غريب الحديث. توفي سنة ٦٠٦ هـ عليه رحمة الله.

(٣) النهاية ٤/٣٢٣.

(٤) قال السمهودي في وفاء الوفا ٣/١٢٦٩: بالفتح وسكون المثناة تحت آخره راء: حمار الوحش، اسم للجبل الذي في قبلة المدينة شرقي العقيق.

وسيأتي إن شاء الله بيان المراد بقوله: سميعاً علياً، عزيزاً حكيماً، في سورة النحل.

بيان المراد بالأحرف السبعة

واختلفوا في المراد بسبعة أحرف[1].

فقال المعظم: هي لغات.

واختلفوا في معنى سبعة، هل هو الحصر، أو المبالغة؟.

واختلف من قال بالحصر في التعيين:

فعن أبي عبيد القاسم بن سلام: إنها لغة قريش، وهذيل ، وثقيف، وهوازن وكنانة، وتيمم واليمن.

وعند بعضهم: خزاعة.

وعند آخرين: الأزد، وربيعة.

وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم: أنه أنزل بلغة كل حي من أحياء العرب. وهذا يدل على أنهما فَهِمَا أن المراد بالسبعة: المبالغة، لا الحصر. قال أبو شامة في كتابه «المرشد الوجيز»: وهذا هو الحق[2]، لأنه إنما

---

(١) قال القرطبي في التذكار ص ٢٤: اختلف العلماء في المراد بالسبعة الأحرف على أقوال عديدة، جماعها خمسة وثلاثون قولاً. اهـ.
والسبب في اختلافهم إلى هذا الحد ما قاله أبو بكر بن العربي ونقله عنه أبو شامة في المرشد الوجيز ص ٩٧ أنه: لم تتعين هذه السبعة بنص من النبي ﷺ، ولا بإجماع من الصحابة.

(٢) يعني أن العدد المذكور في الأحاديث لا يفيد الحصر، وإنما يفيد المبالغة، وقد ذكر الواسطي في كتابه الذي وضعه في القراءات العشر: أن في القرآن من أربعين لغة عربية وهي: قريش وهذيل، وكنانة، وخثعم، والخزرج، وأشعر، ونمير، وقيس عيلان، وجرهم، واليمن، وأزد شنوءة، وكندة، وتميم، وحمير، ومدين، ولخم وسعد العشيرة، وحضرموت، وسدوس، والعمالقة، وأنمار، وغسان ومذحج، وخزاعة، وغطفان، =

أبيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغي أن يوسع على قوم دون قوم، انتهى(١).

وهذا في غاية الموافقة للأحاديث الذاكرة أن السبب في المراجعة: التخفيف على الأمة، والله الهادي(٢).

= وسبأ، وعمان، وبنو حنيفة، وثعلب وطيِّء، وعامر بن صعصعة، وأوس، ومزينة، وثقيف، وجذام، وبَلِيّ وعذرة، والنمر، واليمامة.
وقد ذكر ذلك الزرقاني في المناهل ١٧٤/١.
وهذا العدد الكثير من لغات تلك القبائل المختلفة لا يعارضه ما ورد من أن القرآن أنزل بلغة قريش، كما ورد في الصحيح عن عثمان رضي الله عنه.
قال أبو شامة في المرشد ص ٩٢: يعني أول نزوله قبل الرخصة في قراءته على سبعة أحرف.

(١) المرشد الوجيز ص ٩٧.

(٢) ظاهر صنيع المؤلف ـ رحمه الله ـ: أنه يرى ـ تبعاً لأبي عبيد ـ أن المراد بالأحرف السبعة: لغات لعدة قبائل من قبائل العرب نزل بها القرآن سواء كان هذا العدد يفيد الحصر، أم يفيد المبالغة.
لكن بالتأمل في الأحاديث الواردة يتضح أن ذلك غير المراد، وأن سياق الألفاظ المذكورة في تلك النصوص والتي تدل على مراجعة النبي ﷺ لجبريل في طلب المزيد من التخفيف يأبى هذا التأويل، وكذلك ما حدث بين عمر بن الخطاب وبين هشام بن حكيم وهما قرشيان من قبيلة واحدة. ولهجتهما واحدة، يدل على أن السبعة أحرف الواردة لا تنطبق تماماً على القول بأنها سبع لغات لسبع قبائل من قبائل العرب، اشتهرت بفصاحة القول وسلامة التعبير.
قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر في التمهيد ٦٣/٤: وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبي ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف» سبع لغات. وقالوا: هذا لا معنى له، لأنه لو كان كذلك، لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر، لأنه من كانت لغته شيئاً قد جبل وطبع عليه، وفطر به لم ينكر عليه، وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، كلاهما قرشي مكي، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته، كما محال أن يقرىء رسول الله ﷺواحداً منهما بغير ما يعرفه من لغته والأحاديث الصحاح المرفوعة كلها تدل على نحو ما يدل عليه حديث عمر هذا. اهـ.

وذهب جماعة إلى أن المراد بالأحرف السبعة، وجوه التغاير السبعة، التي قع فيها الاختلاف. وهي:

١ ـ اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث. مثل قوله تعالى: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ بجمع أمانات. وقرىء بـإفراده فيقـال: أمانتهم.

٢ ـ الاختلاف في وجوه الإعراب.

مثل قوله تعالى: ﴿ ما هذا بشرا ﴾، قرىء بنصب «بشرا» على أن ما عاملة عمل ليس في لغة أهل الحجاز. وقرأ ابن مسعود: «ما هذا بشر» على إهمال ما. وهي لغة بني تميم.

٣ ـ الاختلاف في التصريف.

مثل قوله تعالى: ﴿ فقالوا ربَّنا باعد بين أسفارنا ﴾. قرىء بنصب «ربنا» على أنه منادى مضاف، و «باعد» بصيغة الأمر.

وقرىء: «ربُّنا» بالرفع، و «بَاعَد» على أنه فعل ماض.

وقرىء: «بعَّد» مع رفع «ربنا» أيضاً.

٤ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير.

إما في الحرف مثل قوله تعالى: «أفلم ييأس». وقرىء: أفلم يأيس.

وإما في الكلمة مثل قوله تعالى: «فيُقتلون ويَقتلون». ببناء الفعل للمعلوم في الأول. وللمجهول في الثاني. وقرىء بالعكس في الفعلين.

٥ ـ الاختلاف بالإبدال:

إما إبدال حرف بحرف مثل قوله تعالى: «طَلْح مَنْضُود» قرىء: «طلع منضود.

وإما إبدال لفظ بلفظ. مثل قوله تعالى: «كالعِهْن المَنْفُوش» قرىء: كالصوف المنفوش.

٦ ـ الاختلاف بالزيادة والنقص:

الزيادة مثل قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ﴾ قرىء: تجري من تحتها الأنهار.

والنقصان مثل قوله تعالى: ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ قرىء: والذكر والأنثى. بدون خلق.

٧ ـ اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل، والإشمام. ونحو ذلك.

فالإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾. قرىء بإمالة «أتى وموسى» وفتحها.

....

= والترقيق في قوله تعالى ـ مثلاً ـ : فاسأل به خبيراً. قرىء بترقيق الراء، وتسهيل الهمزة في نحو قوله تعالى: قد أفلح المؤمنون.
وقد شاع هذا المذهب. فقال به جماعة من العلماء. منهم ابن قتيبة في كتابه: «تأويل مشكل القرآن»، والإمام ابن الجزري في كتابه: «النشر في القراءات العشر. والإمام المشهور مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه: «الإبانة عن معاني القراءات». والإمام أبو الفضل الرازي في اللوائح. وذكره المرحوم الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني في كتابه: «مناهل العرفان» وارتضاه واحتج لتأييده، ورأى أنه الصواب، ولا صواب فيما ذهب إليه الآخرون.
وعندي ـ والله أعلم ـ أن المراد بالأحرف السبعة: أنها سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد. أي أنها سبعة أوجه من الألفاظ المختلفة تدل في جملتها على معنى واحد، وإن اختلفت أجراسها والنطق بها لاختلاف ألفاظها، نحو: هلمّ، وأقبل، وتعال، وعجّل، وأسرع وقصدي، ونحوي.
فهذه ألفاظ سبعة معناها واحد، هو طلب الإقبال.
قال الشيخ الزرقاني في المناهل ١٦٧/١: وهذا القول منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث، منهم سفيان ـ يعني سفيان بن عيينة ـ وابن وهب وابن جرير الطبري، والطحاوي اهـ.
وقال الإمام أبو عبدالله القرطبي في التذكار ص ٢٤: الذي عليه أكثر أهل العلم ـ كسفيان بن عيينة، وعبدالله بن وهب، والطبري، والطحاوي، وغيرهم ـ أن المراد: سبعة أوجه من المعاني المتقاربة، بألفاظ مختلفة نحو: أقبل، وتعال. وهلم. اهـ.
وقال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد ٦٣/٤: إنما معنى السبعة الأحرف: سبعة أوجه من المعاني المتفقة، المتقاربة بألفاظ مختلفة. نحو: أقبل، وتعال. وهلم. وعلى هذا أكثر أهل العلم. اهـ.
واستند أصحاب هذا المذهب في اختيارهم إلى ما ورد صريحاً في حديث أبي بكرة في مسند الإمام أحمد ٥١/٥ بإسناد جيد، ورواه أبو عبيد وابن أبي شيبة وابن جرير والطبراني: أن جبريل عليه السلام قال: يا محمداقرأالقرآن على حرف، قال ميكائيل عليه السلام: استزده. فاستزاده. قال: اقرأه على حرفين. قال ميكائيل: استزده. فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف. قال: كلٌّ شاف كاف، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال، وأقبل وهلم. واذهب وأسرع وأعْجِلْ.
قال الحافظ ابن عبد البر: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها، وأنها معان متفق مفهومها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا =

وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب اهـ.

وروى الإمام أبو جعفر الطبري في مقدمة تفسيره ٢٢/١ عن محمد بن سيرين - مرسلاً - أنه قال: نبئت أن جبريل وميكائيل أتيا النبي ﷺفقال له جبريل: اقرأ القرآن على حرفين. فقال له ميكائيل: استزده. قال: حتى بلغ سبعة أحرف، لا تختلف في حلام ولا حرام، ولا أمر ولا نهي وهو كقولك: تعال. وهلم. وأقبل.

وجاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقرأ: ﴿كُلَّمَا أضاء لهم مَشَوْا فيه﴾: كلما أضاء لهم مروا فيه. كلما أضاء لهم سعوا فيه.

وكان يقرأ قوله تعالى: ﴿ ويوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظرونا... ﴾ للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخِّرُونا، للذين آمنوا أرجئونا.

ذكره القرطبي في تفسيره ٤٢/١ والحافظ ابن كثير في فضائل القرآن ص ٣٧.

وروى عن الأعمش أنه قال: قرأ أنس هذه الآية: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا﴾. فقال: إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا. فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة: إنما هي: وأقوم. فقال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٦/٧: رواه أبو يعلى والبزار. ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات.

وذكر ابن عبد البر في التمهيد أن عبدالله بن وهب ذكر في كتاب الترغيب من جامعه أنه قيل لمالك: «أترى أن يقرأ بمثل ما قرأ به عمر بن الخطاب: ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾؟ قال: ذلك جائز، قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه» مثل تعلمون ويعلمون، فهذا وأمثاله من الآثار الواردة عن الصحابة والتي هي من قبيل المرفوع، بمثابة التفسير الصريح والأمين في تحديد المراد بالأحرف السبعة، وأن الأخذ بها أولى من اجتهادات العلماء وحصرها في أوجه الاختلاف السبعة التي قال بها ابن قتيبة وابن أبي طالب وأبو الفضل الرازي ومن لفَّ لفهم. ونحا نحوهم. لأن ما ذكروه هو في الواقع تعيين لوجه واحد من الحروف السبعة، وهو الحرف ابذي كتب عليه مصحف عثمان.

قال الإمام شهاب الدين أبو شامة في المرشد الوجيز ص ١٢٦: معنى الحديث: أنهم رخص لهم في إبدال ألفاظه بما يؤدي معناها، أو يقاربه من حرف واحد إلى سبعة أحرف، ولم يلزموا المحافظة على حرف واحد لأنه نزل على أمة أمية لم يعتادوا الدرس والتكرار، وحفظ الشيء على لفظة مع كبر أسنانهم، واشتغالهم بالجهاد والمعاش، فرخص لهم في ذلك ومنهم من نشأ على لغة يصعب عليه الانتقال عنها إلى غيرها،

= فاختلفت القراءات بسبب ذلك كله، ودلنا ما ثبت في الحديث من تفسير ذلك بنحو: هلم. وتعال. على جواز إبداله باللفظ المرادف، ودلنا ما ثبت من جواز «غفوراً رحيماً». «موضع عزيزاً حكيماً» على الإبدال بما يدل على أصل المعنى دون المحافظة على اللفظ، فإن جميع ذلك ثناء على الله سبحانه، هذا كله فيما يمكن القارىء عادة التلفظ به، وأما ما لا يمكنه لأنه ليس من لغته فأمره ظاهر، ولا يخرج إن شاء الله شيء من القراءات عن هذا الأصل. وهو إبدال اللفظ بمرادف له أو مقارب في أصل المعنى، ثم لما رسمت المصاحف هجر من تلك القراءات ما نافي المرسوم، وبقي ما يحتمله. ثم بعض ما يحتمله خط المصحف اشتهر، وبعضه شذت روايته. وهذا أولى من حمل جميع الأحرف السبعة على اللغات، إذ قد اختلف قراءة عمر بن الخطاب وهشام ابن حكيم رضي الله عنهما، وكلاهما قرشي مكي، لغتهما واحدة. اهـ.

ويدلنا هذا الكلام على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرأون القرآن بلغات مختلفة الألفاظ، متفقة المعاني، وظلوا على هذا الحال حتى كان ما كان من شدة الخلاف الذي بلغ أوجه في عهد عثمان رضي الله عنه، ورأى أن يجمع الناس على حرف، يتفق الناس كلهم على القراءة به منعاً للمراء والجدال في القرآن، فأثبت في المصحف القرآن المتّفق على إنزاله والمقطوع بأنه كتب بين يدي النبي ﷺ، والمنع عما عداه.

قال أبو شامة في المرشد ص ١٣٨: وأما ما لم يرسم فهو مما كان جوز به القراءة، وأُذِن فيه، ولما أنزل ما لم يكن ذلك اللفظ، خير بين تلك الألفاظ، توسعة على الناس وتسهيلاً عليهم، فلما أفضى ذلك إلى ما نقل من الاختلاف والتكثير، اختار الصحابة رضي الله عنهم الاقتصار على اللفظ المنزل المأذون في كتابته، وترك الباقي للخوف من غائلته، فالمهجور هو ما لم يثبت إنزاله، بل هوالضرب المأذون فيه بحسب ما خف وجرى على ألسنتهم اهـ.

والذي حمل الصحابة على ترك الأحرف الأخرى - مع ما تقدم من داعي تجنب الخلاف -: أن تلك الأحرف نسخت بالعرضة الأخيرة، ولم يتبق من الأحرف السبعة إلا ذلك الحرف الذي كتب عليه المصحف.

قال ابن سيرين: نبئت أن القرآن كان يعرض على النبي ﷺ كل عام مرة في شهر رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه، عرض عليه مرتين. قال: فيرون - أو يرجون - أن تكون قراءتنا هذه أحدث القراءات عهداً بالعرضة الأخيرة.

وعنه عن عبيدة السلماني قال: القراءة التي عرضت على رسول الله ﷺ في العام الذي قبض فيه، هي التي يقرؤها الناس اليوم. =

= راجع: المرشد الوجيز ص ١٧٠.

وقال البغوي في شرح السنة ٤/٥١١: المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله ﷺ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع الناس عليه، وأذهب ما سوى ذلك قطعاً لمادة الخلاف فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع.

ونقل أبو شامة وابن حجر في الفتح ٩/٣٠ عن أبي العباس بن عمار أنه قال في شرح الهداية: أصح ما عليه الحذاق أن الذي يقرأ الآن بعض الحروف السبعة المأذون في قراءتها، لا كلها، وضابطه: ما وافق المصحف فأما ما خالفه مثل «أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج». ومثل: «إذا جاء فتح الله والنصر» فهو من تلك القراءات التي تركت اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: والحق أن الذي جمع في المصحف هو المتَّفق على إنزاله، المقطوع به، المكتوب بأمر النبي ﷺ وفيه بعض ما اختلف فيه من الأحرف السبعة، لا جميعها، كما وقع في المصحف المكي «تجري من تحتها الأنهار» في آخر براءة، وفي غيره بحذف من، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض وعدة ها آت، وعدة لا مات، ونحو ذلك. وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معاً، وأمر النبي ﷺبكتابته لشخصين، أو أعلم بذلك شخصاً واحداً، وأمره باثباتها على الوجهين، وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس وتسهيلا. فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان، وكفر بعضهم بعضاً اختاروا الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته، وتركوا الباقي، اهـ.

وقال مكي بن أبي طالب القيسي في كتاب الإبانة ص ٢٢: إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان، الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه واطرح ما سواه، مما يخالف خطه، فقرىء بذلك لموافقة الخط، لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه، وبعث بها إلى الأمصار، وجمع المسلمين عليها، ومنع من القراءة بما خالف خطها، اهـ.

وإزاء هذه النقول من أقوال نوابغ العلماء وثقاتهم، لا يمكن التسليم للقول بأن الحروف السبعة هي تلك الوجوه السبعة المبثوثة في القرآن، ولا يجوز القول بأنها تلك اللغات القبلية التي احتى القرآن بعضاً منها، وأنها لقبائل مخصوصة أو غير مخصوصة، ولا يمكن =

وروى ابن جرير في مقدمة التفسير، وأبو عبيد في الغريب والفضائل، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم، وإياكم والاختلاف والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال، وإنه من قرأ منكم على حرف، فلا يتحولن عنه إلى غيره[1].

وقال ابن جرير: فمعلوم أن عبدالله رضي الله عنه لم يعن بقوله هذا من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي، فلا يتحول[2] إلى قراءة ما فيه من الوعد (والوعيد)[3] ونحو ذلك.

وإنما عني: أن من قرأ بحرف، فلا يتحول[4] منه إلى غيره رغبة عنه، وحرفه: قراءته.

= أن تكون الأوجه التي ذكرت في حديث عبدالله بن مسعود. وهي: حلال وحرام. ومحكم ومشتابه. ونحو ذلك. ولم يبق إلا القول بأنها ألفاظ مترادفة. تختلف في اللفظ وتتفق في المعنى. وبسببها نشأ الخلاف واحتدم الجدال بين المسلمين في الأمصار المختلفة تبعاً لهذا الاختلاف الفظي، وكان ذلك من أدْعى الدواعي لحمل عثمان رضي الله عنه على جمع المصحف على حرف واحد يتضمن وجوهاً من القراءات هي بعض الأحرف السبعة التي كانت رخصة وتيسيراً في بادىء الأمر، والتي رفع أكثرها بالعرضة الأخيرة، كما تقدم، وإذا لم يكن الأمر كذلك فليس ثمة من داع لجمع القرآن في عهد عثمان، وقد جمعه أبو بكر رضي الله عنه. ولم يترك منه صغيرة ولا كبيرة إلا وضعت في موضعها بعد التثبت الدقيق من قرآنيتها بشهادة الشهود الموثوق بهم، كما ورد في أحاديث الجمع.

وأما الأقوال الأخر الواردة في بيان المراد بالسبعة أحرف. فهي أقوال متهافتة، وقد أشبعها تفنيداً فضيلة المرحوم الشيخ الزرقاني في المناهل.

والله سبحانه وتعالى أجل وأعلم، وهو بكل شيء محيط ومنه الهدى والتوفيق.

(١) تفسير ابن جرير ٢٢/١.

(٢) في م: يتحولن.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) في م: يتحولن، والتصويت عن تفسير ابن جرير.

تقول العرب لقراءة الرجل: حرف فلان، ولواحد من حروف الهجاء المقطعة: جرف، كما تقول للقصيدة: كلمة.

فمن قرأ بحرف أبي، أو بحرف زيد، أو غيرهما من القراء، من أصحاب الله ﷺ، فلا يتحول[1] منه إلى غيره رغبة عنه، فإن الكفر ببعضه كفر بجميعه، والكفر بحرف من ذلك، كفر بجميعه[2].

وروى البزار، وأبو يعلى، وابن جرير واللفظ له، عن أنس رضي الله عنه أنه قرأ: «إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا» فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي: «وأقوم قيلا». فقال: أقوم، وأصوب، وأهدى واحد[3].

وفي رواية غيره، سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: «وأقوم قيلا» قال: وأصدق قيلا. فقيل له: إنما تقرأ: وأقوم. فقال: أقوم وأصدق واحد.

قال الهيثمي: ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات[4].

وللشيخين، وأبي عبيد، وابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبريل على حرف ـ قال ابن جرير: فاستزدته فزادني، وقال الشيخان ـ فراجعته فزادني، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[5].

(١) في م: يتحولن. والتصويب عن تفسير ابن جرير.
(٢) تفسير ابن جرير ١/٢٢.
(٣) تفسير ابن جرير: الموضع السابق.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٥٦: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات.
(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥٦.
(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب إنزال القرآن على سبعة أحرف ٦/٢٢٧ =

قال ابن شهاب[1]: بلغني أن تلك الأحرف إنما هي في الأمر يكون واحداً لا يختلف في حلال، ولا حرام.

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه جعفر لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات[2] ـ عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: أتى محمداً ﷺ المَلَكانِ، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، فقال الآخر: زده، فما زال يستزيده حتى قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف.

ولأبي عبيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، والإمام أحمد، والطبراني، وابن جرير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: اقرأ القرآن على حرف، فقال له ميكائيل: عليه السلام: استزده. فاستزاده، فقال: على حرفين، فقال ميكائيل عليه السلام: استزده، فقال له: زدني، قال: خذه على ثلاث أحرف، حتى بلغ سبعة أحرف فسكت ميكائيل، فقال جبريل: على سبعة أحرف، كلها كاف شاف، كقولك، هلم وتعال، وأقبل، واذهب[3].

وفي رواية: أدبر وأسرع وأعجل،ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة.

= وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٦/١٠١.
وتفسير ابن جرير ١/١٤.

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، وكنيته: أبو بكر. قال الحافظ في التقريب ٢/٢٠٧: متفق على جلالته واتقانه. اهـ. وكان رحمه الله من أعلام التابعين، فقد رأى عشرة من الصحابة، وتوفي سنة ١٢٤ هجرية.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٥٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/٤١، ٥١، ١١٤، ١١٢.
وتفسير ابن جرير ١/١٨.

قال الهيثمي: وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة سيء الحفظ، وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح[١].

ورواه مُسَدِّد[٢] في تفسيره ولفظه: قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل عليه السلام ومعه ميكائل عليه السلام، فقال جبريل: خذ القرآن على حرف. فأومأ إليه ميكائيل: أن استزده، فقال: زدني، قال: خذه على حرفين فقال: استزده، فقال زدني، قال: خذه على ثلاثة أحرف، فكل مرة يومىء إليه: أن استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، قال: فسكت ميكائيل، فقال جبريل: خذه على سبعة أحرف، كلها كاف شاف، كقول الرجل: هلم وأقبل، واذهب وأدبر ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو عذاب[٣] برحمة.

وأخرجه الإمام أحمد بإسنادين ـ قال الهيثمي: رجال أحدهما رجال الصحيح[٤] ـ والبزار، وأبو جعفر بن جرير الطبري في أول تفسيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، عليم حكيم غفور رحيم[٥].

وفي رواية: أنزل القرآن على سبعة أحرف، فالمراء في القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه[٦].

---

(١) مجمع الزوائد ١٥١/٧.

(٢) وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي البصري، كان من الحفاظ الثقات. يقال: إنه أول من صنَّف المسند بالبصرة. ويقال: إن اسمه عبد الملك بن عبد العزيز، ومسدد لقب له. مات سنة ٢٢٨ هجرية.
راجع: تقريب التهذيب ٢٤٢/٢، الرسالة المستطرفة ص ٥٣.

(٣) في م: ولا.

(٤) مجمع الزوائد ١٥١/٧.

(٥) مسند الإمام أحمد ٣٣٢/٢، ٤٤٠، وتفسير ابن جرير ١٢/١.

(٦) مسند الإمام أحمد ١٨١/٢، ١٨٥، ٣٠٠.

وفي رواية: فاقرأوا ولا حرج، ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة .

ورواه عنه ـ أيضاً ـ أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده، وابن حبان في صحيحه ولفظه: أنزل القرآن على سبعة أحرف: علياً حكياً، غفوراً رحيماً.

وروى الإمام أحمد، والحميدي، وأبو يعلى، في مسانيدهم، وابن جرير والطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات[٢] ـ عن أم أيوب الأنصارية رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قْرأت، أصبت[٣].

وروى الإمام أحمد، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر، في مسنديهما عن عمرو ابن العاص، رضي الله عنه، أن رجلاً قرأ آية من القرآن، فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، لغير ما قرأها الرجل، قال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ حتى أتياه، فقال: يارسول الله، آية كذا، وكذا، فقرأها عليه فقال: صدقت، فقال الآخر: أليس أقرأتنِيها ـ على نحو ما قرأها على صاحبه ـ فرد صاحبه عليه، فقال رسول الله ﷺ: بلى، أنزل القرآن على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأت، فقد أصبت[٤].

وفي رواية: فأي حرف قرأتم، فقد أصبتم، ولا تتماروا فيه، فإن المراء فيه كفر.

ورواه الإمام أحمد، وأبو عبيد في الفضائل، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص قال: سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ آية من القرآن، فقال:

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٩ .
(٢) مجمع الزوائد ٧/١٥٤.
(٣) مسند الإمام أحمد ٦/٤٦٣ .
ومسند الحميدي ١/١٦٣ .
(٤) مسند الإمام أحمد ٤/٢٠٤ .

من أقرأكها؟. قال رسول الله ﷺ، قال: فقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غيرهذا. فذهب إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله آية كذا وكذا، ثم قرأها، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت وقال الآخر: يا رسول الله، فقرأ على رسول الله ﷺ وقال: أليس هكذا يا رسول الله؟. فقال: هكذا أنزلت، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم، ولا تماروا فيه، فإن المراء فيه كفر، أو آية الكفر به(١).

قال الحافظ الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، إلا أنه مرسل(٢).

وللبخاري والنسائي، وأبي عبيد، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع رسول الله ﷺ يقرؤها على خلاف ذلك. قال: فأخذت بيده فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: اقرأ فكلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا(٣).

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو يعلى، في مسنديهما، عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف.

زاد أبو يعلى: ولكل آية منها ظهر وبطن.

ورواه الطبراني عنه، ولفظه: قال رسول ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن صاحبكم خليل الله، ونزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٢٠٥.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٥٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ٦/٢٤٥.

وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جاء مع ما جاء في القرآن ٢/١٥٣.

(٤) سبق أن ذكره المؤلف، ونقل عن ابن رجب أنه ضعفه. وقال ـ أي المؤلف ـ: يبدو أن آخره مدرج (راجع: ص ١٨٧.

ورواه ابن جرير الطبري في مقدمة التفسير عنه أيضاً ولفظه: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد. (ولكل حد)(١) مطلع(٢).

ورواه ابن جرير ـ أيضاً ـ عن عبدالله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ(٣).

النهي عن المراء والجدال في القرآن

ولابن جرير عنه ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: اختلف رجلان في سورة، فقال هذا: أقرأني النبي ﷺ. وقال هذا: أقرأني النبي ﷺ فأتى النبي ﷺ، فأخبره بذل، قال: فتغير وجهه وعنده رجل فقال: اقرأوا كما علمتم ـ فلا أدري: أشيء أمر به، أم شيء ابتدعه من قِبَل نفسه ـ فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم. قال: فقام كل رجل منا وهو يقرأ على قراءة صاحبه(٤). نحو هذا، أو معناه.

ورواه أبو عبيد عنه رضي الله عنه وقال: فأتيت رسول الله ﷺ وعنده رجل أنتم له كذا وكذا ـ يعني: عليا رضي الله عنه ـ فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال علي ـ فلا أدري أشيء أسرَّه إليه رسول الله ﷺ لم أسمعه، أم علم الذي في نفسه فتكلم به ـ: قال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل أحد كما عُلّم.

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) تفسير ابن جرير ١/١٢.

(٣) تفسير ابن جرير ١/١٩.

(٤) تفسير ابن جرير الموضع السابق.

وهذا الحديث ضعيف، بل مكذوب، وسيوجه له نقد في آخر رواية منه، بعد قليل، فتنبه.

وروى عن عبدالله أيضاً رضي الله عنه قال: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون، أو ست وثلاثون (آية)[1] قال: فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فوجدنا عليا رضي الله عنه يناجيه، قال: فقلنا: إنا اختلفنا في القراءة؟. قال: فاحمر وجه رسول الله ﷺ وقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، قال[2]: ثم أسرَّ إلى علي رضي الله عنه أشياء، فقال لنا علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما عُلِّمتم.

وروى الطبراني في الكبير، والطبري في مقدمة التفسير، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه سورة أقرأنيها زيد رضي الله عنه وأقرأنيها أبي بن كعب رضي الله عنه، فاختلفت قراءاتهم، بقراءة أيهم آخذ؟. قال: فسكت رسول الله ﷺ، قال: وعلي رضي الله عنه إلى جنبه، فقال علي: ليقرأ كل إنسان بما عُلِّم، كل حسن جميل[3].

ولأحمد، وابن جرير وهذا لفظه وسياقه، عن علقمة قال: لما خرج

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) في د: ثم قال.

(٣) تفسير ابن جرير ١/١٢.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٥٤: فيه عيسى بن قرطاس وهو متروك. اهـ.

وقال المرحوم الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري: هذا حديث لا أصل له، رواه رجل كذاب، هو عيسى بن قرطاس، قال فيه ابن معين: ليس بشيء لا يحل لأحد أن يروى عنه. وقال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات لا يحل الاحتجاج به. وقد اخترع هذا الكذاب شَيْخاً له وسماه «زيد القصار»، لم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكراً في شيء من المراجع، اهـ.

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة عيسى بن قرطاس ٣/٣٢٢: قال النسائي: متروك الحديث.

وقال العقيلي: كان من الغلاة في الرفض، اهـ مختصراً.

عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه من الكوفة، اجتمع إليه أصحابه، فودعهم ثم قال: لا تنازعوا في القرآن، فإنه لا يختلف، ولا يتلاشى، ولا يتغير لكثرة الرد، وأن شريعة الإسلام واحدة، وحدوده وفرائضه فيه واحدة، لو كان شيء من الحرفين ينهي عن شيء مما أمر به الآر، لكان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع ذلك كله، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض، ولا شيء من شرائع الإسلام، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله ﷺ، فيأمرنا فنقرأ عليه، فيخبرنا أنا كلنا محسن. ولو أعلم أحداً أعلم بما أنزل على رسول الله ﷺ مني لطلبته حتى أزداد علْمَهُ (إلى)[1] علمي، ولقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة، وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان، حتى كان عام قبض، فعرض عليه مرتين، فكان إذا فرغ أقرأ عليه، فيخبرني أني محسن، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعها رغبة عنها، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف، فلا يدعنَّهُ رغبة عنه، فإنه من جحد بآية - وفي رواية: بحرف منه - جحد به كله[2].

ورواه الطبراني عن عبد الرحمن بن عابس، حدثنا رجل من همذان، من أصحاب عبدالله - وما سماه لنا - قال: لما أراد عبدالله أن يأتي المدينة، جمع أصحابه فقال:[3] والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح فيكم من الفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه، والعلم بالقرآن. إن هذا القرآن لا يختلف، ولا يستشنأ[4] ولا ينفذ لكثرة الرد، فمن قرأ على حرف، فلا يدعه رغبة عنه، فإنه من يجحد بآية منه، يجحد به كله، فإنما هو كقول أحدكم لصاحبه: أعجل وحيهلا[5].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) تفسيران جرير ١٤/١.

(٣) في د: وقال.

(٤) في مجمع الزوائد: «يستشنى» وهو من الشنأ بمعنى البغض، ومنه قوله تعالى: «إن شانئك هو الأبتر».

(٥) قال الهيثمي ١٥٣/٧: وفيه راوٍ لم يسمَّ وبقية رجاله رجال الصحيح.

وروى أبو عبيد في غريب الحديث، عن عمر بن الخطاب، وأبي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها كاف شاف[1].

قال: وبعضهم يرويه: فاقرأوا كما علمتم.

وروى هذا الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، من طريق البخاري مثل رواية أبي يعلى.

ورواه الإمام أحمد مختصراً[2].

وروى الإمام أحمد - أيضاً - وهذا لفظه، والحارث في مسنديهما، وابن جرير في مقدمة التفسير، وأبو عبيد في الغريب والفضائل، عن أبي الجهم - ويقال: أبو الجهيم - الأنصاري رضي الله عنه: أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، قال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ، وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ، فسألا النبي ﷺ فقال: القرآن يقرأ على سبعة أحرف[3].

وفي رواية للحارث: أن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ تماريا في آية من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ، وكلاهما ذكر لرسول الله ﷺ أنه سمعها منه.

ذكر أن رسول الله ﷺ قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر،

قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح[4].

وروى الحارث بن أسامة، وأبو يعلى في مسنديهما بسند منقطع، أن عثمان رضي الله عنه قال على المنبر: أُذَكِّرُ الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول:

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٥٩.
(٢) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٥.
(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٦٩.
(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥١.

إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلهن كاف شاف، لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك، ثم قال عثمان: وأنا أشهد معكم لأنا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك[1].

وسيأتي في سورتي النحل والفرقان أحاديث كثيرة من هذا.

ويأتي هناك عن أبي عبيد: أنها متواترة المعنى.

وللشيخين، وأبي عبيد، والدارمي، عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: اقرأوا القرآن ما اتفقت - وفي رواية: مائتلفت - عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه[2].

---

(١) قال الهيثمي ١٥٢/٧: رواه أبو يعلى في الكبير وفيه راو لم يسم.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ٢٤٤/٦.

وصحيح مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ٢١٨/١٦.

وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب إذا اختلفتم في القرآن فقوموا ٣١٨/٢ حديث رقم ٣٣٦٢، ٣٣٦٣، ٣٣٦٤.

قال النووي في شرح مسلم: وفي هذا الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع، ومن يتبع المشكلات للفتنة، فأما من سأل عما أشكل عليه منها للاسترشاد، وتلَطَّف في ذلك، فلا بأس عليه، وجوابه واجب وأما الأول فلا يجاب، بل يزجر ويُعزَّر، كما عزر عمر بن الخطاب رضي الله عنه صبيح بن عسل حين كان يتبع المتشابه.

وقال: والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز، أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز، كاختلاف في نفس القرآن، أوفي معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة أو فتنة وخصومة، أو شجار، ونحو ذلك.

وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه، ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة، أو إظهار الحق، واختلافهم في ذلك، فليس منهياً عنه بل هو مأمور به، وفضيلة ظاهرة. وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن، والله أعلم.

ولأبي عبيد عن نافع بن سهيل قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم يَنْهَكَ فَلَسْتَ تقرأ(١).

أو قال: فلا تقرأه.

وقال ابن رجب: وروى يعقوب بن أبي شيبة، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه.

وروى عن الحسن ومكحول، من قولهما.

وروى مرفوعاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بإسناد لا يصح.

وروى مسلم في القدر(٢)، والنسائي في فضائل القرآن والمواعظ، وأبو داود الطيالسي، ومُسَدِّد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والحارث بن أبي أسامة، في مسانيدهم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: هجَّرت(٣) إلى رسول الله ﷺ يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الغضبُ، فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم على أنبيائهم(٤).

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/١٩٨ حديث رقم ١٣٣٣ من حديث عبدالله بن عمرو، ونسبه إلى الديلمي في مسند الفردوس، ولم يرمز إليه بشيء.

(٢) هذا سهو من الشيخ رحمه الله، فإن الحديث في كتاب العلم من صحيح مسلم، لا في كتاب القدر.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ١٦/٢١٨: أي بكرت. اهـ.

وقال ابن الأثير في النهاية ٥/٢٤٦: التهجير: التبكير إلى كل شي والمبادرة إليه. يقال: هجّر يهجر تهجيراً، فهو مهجّر، وهي لغة حجازية. اهـ.

(٤) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ١٦/٢١٨.

ومسند أبي داود الطيالسي: كتاب القرآن، باب ما جاء في القراءات والنهي عن الجدال في القرآن ٢/٦ حديث رقم ١٩٠٢.

قال النووي: والمراد بهلاك من قبلنا هنا: هلاكهم في الدين بكفرهم وابتداعهم، فحذر رسول الله ﷺ من مثل فعلهم. اهـ.

وفي رواية: تنازعنا ـ أي القرآن ـ على عهد رسول الله ﷺ فقال قائل: ألم يقل الله كذا وكذا؟. فأجابه الآخر: ألم يقل الله كذا وكذا؟.

وفي رواية (أبي بكر) بن أبي شيبة: جئت يوماً، فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس[1] بفناء رسول الله ﷺ، وكنت من ورائهم، وكنت من أصغر القوم، فقال رجل: يا فلان فيم أنزلت آية كذا وكذا؟. فاختلفوا وعلت أصواتهم.

وفي رواية (له)[2] كنا جلوساً عند باب النبي ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟. وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟.

وفي رواية الحارث: جلست من رسول الله ﷺ مجلساً، ما جلست قبله ولا بعده، أغبط عندي منه. قال: قعد من وراء حجرته قوم يتجادلون بالقرآن فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فخرج مُغْضَباً كأنما فقيء في وجهه حب الرمان.

وفي رواية الحارث: فخرج محمرةً وجْنتَاه كأنما يقطران دماً، فقال: يا قوم أبهذا أمرتم، أبهذا بعثتم. إن تضربوا[3] كتاب الله بعضه ببعض، ولا تجادلوا بالقرآن، إنما ضل من كان قبلكم بجدالهم.

وفي رواية: دعوا المراء في القرآن، إنما هلك الأمم قبلكم بهذا.

وفي رواية: قال: الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا في القرآن، إن القرآن لم ينزل ليكذِّب بعضُه بعضاً، ولكن نزل ليصدِّق بعضُه بعضاً، فانظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوه.

وفي رواية: فما كان من محكم[4] فاعملوا به، وما كان من متشابهه

---

(١) في م: جلوساً.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) كذا بالاصل. ولعل الصواب: «لا تضربوا» فحرف.

(٤) في د: حكمه.

فآمنوا به ولستم مما ههنا في شيء، فإن المراء - وفي رواية: فكل مراء - في القرآن كفر.

وفي رواية: لا تجادلوا في القرآن، فإن جدالاً فيه كفر(١).

وفي رواية أبي عبيد في الفضائل من طرق كثيرة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: صلينا - وفي رواية: صليت - مع رسول الله ﷺ الغداة، فتنحى ناس من أصحابه في بعض حجر أزواجه يقرأون القرآن، فتنازعوا في شيء منه، وأنا منتبذ(٢) عنهم - وفي رواية: فجلست ناحية - فخرج عليهم رسول الله ﷺ مُغْضَباً فقال: إن القرآن يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، ما علمتم منه فاقبلوه، وما لم تعلموا فَكِلُوه إلى عالمه.

قال: قال عبدالله بن عمرو: فما اغتبطت بشيء اغتباطي بانتباذي عنهم إذ لم تصبني عينا رسول الله ﷺ.

قال شيخنا البوصيري بعد سوق هذه الروايات مفصلة: ورواه ابن ماجة في سننه مختصراً، بإسناد صحيح، من طريق أبي(٣) معاوية عن داود - يعني: ابن أبي هند - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه(٤).

---

(١) أخرجها أبو داود الطيالسي ٢/٧ حديث رقم ١٩٠٧.

(٢) أي منفرد بعيداً عنهم.

(٣) في د: ابن معاوية.

(٤) رواية ابن ماجه هكذا:

حدثنا علي بن محمد، ثنا أبو معاوية، ثنا داود بن أبي هند، عن عمرو ابن شعيب، عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: أبهذا أمرتم - أولهذا خلقتم -. تضربون القرآن بعضه ببعض؟. بهذا هلكت الأمم قبلكم. قال: فقال عبد الله ابن عمرو: ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلُّفي عنه.

سنن ابن ماجة: المقدمة، باب القدر ١/٣٣ حديث رقم ٨٥.

قال الهيثمي: هذا إسناد صحيح. رجاله ثقات.

وساقه ابن رجب من هذه الطريق، وقال فيه: لا تجادلوا، فإنما هلكت الأمم من قبلكم بهذا، جادلوا القرآن بعضه ببعض، فما كان فيه من حلال فاعملوا به، وما كان فيه من حرام فدعوه وانتهوا عنه، وما كان فيه من متشابه فآمنوا به.

وروى مسدد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم.

وروى أبو داود: وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني وغيره عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: المراء في القرآن كفر(١).

قال أبو عبيد في غريب الحديث: ليس المراد بهذا المراء في التأويل بل في اللفظ، (على)(٢) أن يقرأ الرجل القرآن على حرف، فيقول له الآخر: ليس هو كذا، ولكنه هكذا، على خلافه، وقد أنزلهما الله (تعالى)(٣) جميعاً. انتهى(٤).

وهو في المراء، الذي يلزم منه ـ لا محالة ـ الكفر، لأن مطلق الجدال منهي عنه كما دل عليه حديث عبد الله بن عمرو الماضي وغيره، سواء كان في اللفظ أو المعنى لأنه لا يأتي إلا من ارتكاب الهوى.

ومتى ترك حظ النفس، حصل الاتفاق على ما يظهر من النصوص، لأنه لا اشتباه فيه أصلاً.

---

(١) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن ٤/١٩٩ حديث رقم ٤٦٠٣.
وصحيح ابن حبان: كتاب العلم، باب الزجر عن تتبع المتشابه من القرآن ١/٢٣٢.
(٢) زيادة عن غريب الحديث لأبي عبيد.
(٣) ساقطة من: د.
(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١١.

وإن تعارض الظاهران، صرف أحدهما إلى أقرب ما يحتمله من ظاهر آخر وأن أشكل الحال، وجب أن نكف، ويقال: آمنا به، كل من عند ربنا.

وروى أبو بكر بن أبي عاصم[1]، عن النواس بن سمعان، عن النبي ﷺ قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، ولا تكذّبوا بعضه ببعض، فوالله إن المؤمن ليجادل بالقرآن فيُغْلَبُ، وإن المنافق - أو قال: الفاجر - ليجادل بالقرآن فَيَغْلِب.

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس بن عبيد قال: كتبت إليَّ ميمونُ بن مهران، فأتاني كتابه، فذكر فيه أشياء ومنها:

ولا تمارينَّ عالماً ولا جاهلاً، فإنك إذا ما ريت الجاهل خشن[2] بصدرك، (أولم يطعك)[3]، وإذا ما ريت العالم خزن عنك علمه، ثم لم يبال[4] ما صنعت.

ورواه الدارمي في أوائل مسنده قال: أخبرنا سعيد بن عامر عن اسماعيل ابن ابراهيم فذكره بمعناه[5].

خطأ من يقول في القرآن برأيه

وروى أبو داود في العلم، واالترمذي في التفسير وقال: غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهل بن أبي حزم. والنسائي في فضائل القرآن،

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الصحاك بن مخلد الشيباني البصري. قاضي أصبهان. المتوفي سنة ٢٨٧ هجرية.
راجع: الرسالة ص ٣٤.

(٢) قال في اللسان ١٤١/١٣: اخشوشن عليه صدره. وخشن عليه صدره، إذا وجد عليه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٤) في د: لا.

(٥) مسند الدارمي: كتاب العلم، باب من قال: العلم الخشية وتقوي الله ٩٠/١.

وابن جرير في مقدمة التفسير، عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ(١).

والمعنى: أخطأ في إقدامه على الكلام بالرأي.

وروى هؤلاء الأربعة أيضاً في الأبواب المذكورة، وقال الترمذي: حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار(٢).

وقد كفت في بيان المعنى الرواية التي فيها «بغير علم» فبينت أن المنهى عنه: الكلام بمحض الرأي، من غير استناد إلى شيء من قوانين العلم.

وأما من تدبر كما أمره الله، وتكلم بما أدى إليه اجتهاده، فيما يعلم من لسان العرب، وسنة النبي ﷺ، وأقوال السلف، فأظهر المعنى، لم يُسبق إليه، جارياً على تلك القوانين، غير مخالف لها، فلقد أجاد كل الإجادة وأفاد أعظم الإفادة(٣).

---

(١) سنن أبي داود: كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم ٣/٣٢٠ حديث رقم ٣٦٥٢.
وجامع الترمذي: كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ٤/٢٦٨ حديث رقم ٤٠٢٤.
وتفسير ابن جرير ١/٣٥.

(٢) سنن أبي داود: كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله ﷺ ٣/٣١٩ حديث رقم ٣٦٥١.
وجامع الترمذي: كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ٤/٢٦٨ حديث رقم ٤٠٢٣.

(٣) وقال الإمام أبو عيسى الترمذي في جامعه ٤/٢٦٩: وهكذا روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يُفسِّر القرآن بغير علم. وأما الذي روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم: أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن ـ أو فسروه ـ بغير علم، أو من قِبَل أنفسهم، وقد روى عنهم ما يدل على ما قلنا: إنهم لم يقولوا من قِبَل أنفسهم بغير علم. اهـ.

وروى ابن جرير، وأبو يعلي، والبزار، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما كان النبي ﷺ يفسر شيئاً من القرآن برأيه، إلا آياً تعد، علمهن إياه جبريل عليه السلام[١].

وهذا الحديث ضعيف.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه راو لم يحرر اسمه عند واحد منهما، أما البزار فقال: عن حفص - أظنه ابن عبد الله - عن هشام بن عروة وقال أبو يعلي: عن فلان بن محمد، بن خالد، عن هشام. انتهى[٢].

وأما ابن جرير فسماه: جعفر بن محمد الزبيري، وقال: إنه ممن لا يعرف في أهل الآثار، فلا يجوز الاحتجاج بخبره. انتهى[٣].

فقد كفانا ضعفُه مؤنتَه.

وعلى تقدير صحته، فالمراد: آي من المغيبات. ونحو ذلك، مما لا سبيل للبشر إلى الإطلاع عليه، إلا بالوحي.

وإلا، كان ذلك - كما قال ابن جرير[٤] - مخالفاً لقول الله تعالى: ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم** ﴾[٥].

فلو اقتصر على آيٍ معدودة، لم يكن مبيناً لهم ما نزل إليهم، بل بعضه ولكان مخالفاً لما رواه ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) تفسير ابن جرير ١/٣٧.
(٢) مجمع الزوائد ٦/٣٠٣.
(٣) تفسير ابن جرير ١/٣٧.
(٤) تفقير ابن جرير ١/٢٧.
(٥) سورة النحل آية ٤٤.

قال: كان الرجل إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن، حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

وغير ذلك مما شابهه عنه، وعن غيره من الصحابة، وكلام ابن عباس البحر في التفسير، وتوسعه فيه معروف، والله الموفق.

ولأبي عبيد ـ أيضاً ـ عن ابراهيم التيمي قال: خلا عمر رضي الله عنه ذات يوم فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، (فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فسأل: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد)[1] وقبلتها واحدة؟. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أُنزل علينا القرآنُ فقرأناه، وعلمنا فيم نزل وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن، ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأى، فإذا كان لهم فيه رأى اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا.

قال: فزبره[2] عمر رضي الله عنه وانتهره، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده عليه، فعرف عمر قوله.

وروى أحمد، وابن عبد الحكم في الفتوح، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هلاك أمتي في الكتاب واللبن، قالوا: يا رسول الله: وما الكتاب واللبن؟، قال: يتعلمون الكتاب فيتأولونه على غير ما أنزله الله، ويحبون اللبن، فيدعون الجماعات والجُمَع[3].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.
(٢) أي نهره وأغلظ له القول.
(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٥٥
وفتوح مصر ص ٢٩٣.
وفيه عبد الله بن لهيعة. وحديثه حسن.

جمع الصحابة رضي الله عنهم للقرآن

١ ـ جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه[١].

وروى البخاري، والترمذي، وأبو عبيد في الفضائل، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه قتل أهل اليمامة[٢]، وعنده عمر رضي الله عنه، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر[٣] يوم اليمامة بالناس ـ وفي رواية: بقراء القرآن ـ وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلا أن تجمعوه، وإني لأرى: أن يجمع القرآن.

قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟. فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه، حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر.

قال زيد بن ثابت: وعمر جالس عنده لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل عاقل شاب، ولا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال، ما كان أثْقَلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟. فقال أبو بكر: هو ـ والله ـ خير. فلم أزل أرجعه، حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر.

وفي رواية: فلم يزل يراجعني في ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، حتى شرح الله صدري، للذي شرح له صدرهما.

---

(١) غير موجود بالأصل هذا العنوان.

(٢) كانت في السنة الثانية عشرة من الهجرة بقيادة خالد بن الوليد لمقاتلة المرتدين وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب، وفيها قتل سبعون من القراء.

(٣) أي كثر وعظم، وهو استفعال من الحر، لأن المكروه غالباً يضاف إلى الحر.

فقمت فتتبعت القرآن، أجمعه من الرِّقاع، والأكتاف والعُسُب، واللِّخَاف - يعني الخزف -، وقال أبو بكر بن أبي داود: اللخف واللخاف: الحجارة الرقاق - وقال: ومن الأضلاع، يعني: الأكتاف. وصدور الرجال، حتى وجدتِ من سورة التوبة آيتين مع (خزيمة بن ثابت، أو)[١] أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مكتوبتين مع أحد غيره: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾[٢] فكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله (ثم عند عمر رضي الله عنه حتى توفاه الله)[٣]، ثم عند حفصة بنت عمر، رضي الله عنهم[٤].

ولأبي بكر بن أبي شيبة، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ، فرق[٥] أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد ابن ثابت رضي الله عنهما: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.

أي بشاهدين يشهدان أن الذي أتى به كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

وروى اسحاق بن راهوية[٦]، وأحمد بن منيع، عن ابن عباس، عن

---

(١) ساقط من: د.
(٢) الأيتان: ١٢٨ - ١٢٩.
(٣) في د: وكانت.
(٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب جمع القرآن ٦/٢٢٥.
وسنن الترمذي: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة ٥/٢٨٣ حديث رقم ٣١٠٣.
(٥) أي خاف وفزع.
(٦) هو أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم بن مطر، المعروف بابن راهوية، التميمي الحنظلي المروزي، توفي سنة ٢٣٨ هـ، وسئل: لم قيل له ابن راهوية، فقال: إن أبي ولد في الطريق، فقالت المراوزة: راهوية، يعني ولد في الطريق.
وكان رحمه الله من كبار الحفاظ، ويدل على ذلك أنه أملى المسند في التفسير من حفظه، وكان يحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلب.
راجع: الرسالة ص ٥٥.

أبي بن كعب رضي الله عنهم قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ الآية.

ورواه عبد الله بن أحمد بلفظ: آخر آية نزلت: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾الآية.

وتقدم في أوائل هذه الفضائل في آخر ما نزل غير هذا.

وروى عبد الله بن الإمام أحمد[1]، وعبد الله بن أبي داود، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أنهم جمعوا القرآن في مصاحف ـ وقال ابن أبي داود: في مصحف ـ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان رجال يكتبون، ويملي عليهم أُبيٌّ بن كعب رضي الله عنهم أجمعين، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿ **ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾[2] فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن فقال لهم أبي بن كعب رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ أقرأني آيتين: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم ـ إلى قوله ـ: وهو رب العرش العظيم** ﴾[3]. قال: هذا آخر ما أنزل من القرآن.

فختم (الأمر) بما فتح الله به: بالله الذي لا إله إلا هو، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾[4].

---

(١) هو أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، الإمام الحافظ الحجة محدث العراق، ولد سنة ٢١٣، وسمع من أبيه وقرأ عليه، وسمع من يحيى بن عبد ربه صاحب شعبة.
قال الخطيب: كان ثقة ثبتا فهما. اهـ.
وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٩٥ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/٦٦٥.

(٢) سورة التوبة آية ١٢٧.

(٣) سورة التوبة آية ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٥.
كتاب المصاحف ص ٩.

وروى عبد الله بن الإمام أحمد ـ أيضاً ـ والطبراني في الكبير، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: آخر آية نزلت: ﴿ **لقد جاءكم رسول امن أنفسكم** ﴾ الآية.

قال الهيثمي: وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات[1].

وروى عبد الله بن الإمام أحمد، وأبو بكر بن أبي داود، عن عباد بن عبد الله ابن الزبير قال: أتى الحارث بن خزيمة[2] رضي الله عنه بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ إلى عمر بن الخطاب، فقال: من معك على هذا؟. قال: لا أدري، والله إني لسمعتها من رسول الله ﷺ ووعيتها وحفظتها، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات، لجعلتها سورة على حدة، فانظروا أي سورة من القرآن فضعوها فيها، فوضعها في آخر براءة[3].

وروى ابن أبي داود، عن عبد الرحمن بن يحيى بن حاطب، أن عثمان رضي الله عنه قال: من كان عنده شيء من كتاب الله فليأتنا به، وكان لا يقبل شيئاً من ذلك حتى يشهد عليه شاهدان، فجاء خزيمة بن ثابت فقال:

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٣٦.

(٢) عند البخاري: أبو خزيمة الأنصاري.

(٣) كتاب المصاحف ص ٣٠.

وأشار الحافظ في الفتح ٩/١٥: إلى أنه حديث غير محفوظ.

والحق أن عجز هذا الحديث يثير في النفس الريبة والشك، لأنه يدل على أن الصحابة تصرفوا في القرآن حسب أهوائهم، وأنهم جعلوا ترتيب آياته وسوره على وفق آرائهم، لأن قوله: ﴿لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة﴾ صريح في ذلك. وقد ذكر الله سبحانه في كتابه أنه تكفل بحفظ القرآن من خطر الأهواء، واجتهادات المخلوقين، فالأولى استبعاد صدور هذه الكلمة من زيد رضي الله عنه.

إني قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، قيل: وما هما؟. قال: تلقيت من رسول الله ﷺ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ إلى آخر السورة، فقال عثمان رضي الله عنه: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين ترى أن نجعلهما؟. فقال: اختم بهما آخر ما نزل من القرآن، فختمت بهما براءة[1].

٢ ـ جمع عثمان رضي الله عنه.

وروى البخاري والترمذي، وابن أبي داود عن أنس رضي الله عنه، أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قدم على عثمان رضي الله عنه، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان، مع أهل العراق.

وفي رواية: كان يغازي أهل الشام مع أهل العراق، في فتح أرمينية وأذربيجان.

وقال ابن أبي داود: في فرج أرمينية، وقال الفرج: الثغر[2].

وفي رواية له: وكان يغزو قِبَلَ أرمينية وأذربيجان، وأهل الشام، فتنازعوا في القرآن.

وفي رواية: اجتمع لغزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق، فتذاكروا القرآن، فاختلفوا فيه، حتى كاد يكون بينهم فتنة، فأفزع حذيفة رضي الله عنه اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما ـ وفي رواية: فركب حذيفة بن اليمان لما رأى من اختلافهم إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

قال ابن أبي داود: ففزع لذلك عثمان فزعاً شديداً، فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها: أن أرسلي إلينا بالصحف ـ وفي رواية: بالمصحف ـ

---

(١) كتاب المصاحف ص ٣١.
(٢) كتاب المصاحف ١/١٨.

ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة (رضي الله عنها)[1] إلى عثمان (رضي الله عنه)[2]، فأمرا زيداً بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم، فنسخوا في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة رضي الله عنها، وأرسل إلع كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن ـ في كل صحيفة أو مصحف ـ أن يُحْرَق.

وقال ابن أبي داود، وقال غيره: أن يُخَرَّق.

أي بالمعجمة.

وفي رواية له: وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به، فذلك زمان حرقت المصاحف بالعراق بالنار[3].

وروى ابن جرير عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه اجتمع في غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق، فتذاكروا القرآن، فاختلفوا فيه، حتى كاد يكون بينهم فتنة، فركب حذيفة ـ لما رأى اختلافهم في القرآن ـ إلى عثمان رضي الله عنهما فقال: إن الناس اختلفوا في القرآن، حتى إني خشيت أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف.

قال: ففزع لذلك فزعاً شديداً، فأرسل إلى حفصة رضي الله عنها، فاستخرج الصحيفة التي كان أبو بكر رضي الله عنه أمر زيداً رضي الله عنه بجمعها، فنسخ منها مصاحف، فبعث بها إلى الآفاق[4].

---

(١)(٢) زيادة عن: د.

(٣) كتاب المصاحف ١/٢٠.

(٤) تفسير ابن جرير ١/٢٧.

وروى الإمام أبو عمرو الداني في كتابه «المقنع في الرسم» عن حذيفة رضي الله عنه، أنه قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ما كنت صانعاً إذا قال الناس: قراءة فلان، وقراءة فلان كما صنع أهل الكتاب؟، فاصنع الآن فجمع عثمان الناس على هذا المصحف، وهو حرف زيد رضي الله عنه(١).

حرق عثمان الصحف بعد نسخ المصحف

ولابن أبي داود في كتاب المصاحف، عن سالم وخارجه: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيداً بن ثابت (رضي الله عنه)(٢) النظر في ذلك، فأبي حتى استعان عليه بعمر رضي الله عنه، ففعل، فكانت تلك الكتب عند أبي بكر رضي الله عنه، حتى توفي، ثم عند عمر رضي الله عنه حتى توفي، ثم عند حفصة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها، فأرسل إليها عثمان رضي الله عنه، فأبت أن تدفعها، حتى عاهدها ليردنها إليها، فبعثت بها إليه، فنسخها عثمان في هذه المصاحف، ثم ردها إليها، فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان، فأخذها فحرقها(٣).

وفي رواية: فلما كان مروان أمير المدينة، أرسل إلى حفصة رضي الله عنها يسألها عن الصحف ليحرقها.

وفي رواية أبي عبيد: ليمزقها، وخشى أن يخالف(٤) بعض الكُتَّاب بعضاً فمنعته إياها.

قال ابن شهاب: فحدثني سالم بن عبد الله قال: فلما توفيت حفصة، أرسل إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعزيمة ليُرسلنَّ بها ساعة رجعوا

---

(١) المقنع ص ١٦.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) كتاب المصاحف ٢/٩، ١٠.

(٤) في م: يخالفه، بزيادة ضمير في آخره. ولا معنى له.

من جنازة حفصة فأرسل بها عبد الله بن عمر إلى مروان فغشاها[1]، وحرقها.

وفي رواية أبي عبيد: فمزقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان رضي الله عنه.

وفي رواية: فأمر بها فشقت.

وقال مروان: إنما فعلت هذا، لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت ـ إن طال بالناس زمان ـ أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان منها شيء لم يكتب.

وروى الطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح ـ عن سالم أن مروان[2] كان يرسل إلى حفصة رضي الله عنها (يسألها عن المصحف الذي نسخ منه القرآن)[3] فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، فلما دفنا حفصة، أرسل مروان إلى إبن عمر رضي الله عنهما أرسل إليَّ بذلك المصحف. فأرسلها إليه.

وقال أبو عبيد في الفضائل ـ بعد أن روي الحديث ـ: لم تسمع في شيء من الحديث أن مروان هو الذي مزق المصحف إلا في هذا الحديث.

وروى أبو عبيد عن عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة قال: أتى عليّ رجل وأنا أصلي فقال: ثكلتك أمك، ألا أراك تصلي، وقد أمر بكتاب الله أن يمزق؟. قال: فتجوزت في صلاتي، وكنتُ لا أُحْبَسُ، فدخلت الدار فلم أحبس، ورقيت فلم أحبس فإذا أنا بالأشعري، وإذا حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهم يتقاولان، وحذيفة يقول لابن مسعود: ادفع إليهم المصحف. فقال:

---

(١) في هامش م: لعله: فشقها.

(٢) في د: ابن، وهو خطأ.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

والله لا أدفعه، فقال: ادفعه إليهم فإنهم لا يألون أمة محمد ﷺ خيراً، فقال: والله لا أدفعه، أقرأني رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ثم أدفعه إليهم؟. والله لا أدفعه إليهم.

وللبخاري وأبي عبيد وعبد بن حميد، عن خارجة بن زيد بن ثابت، أنه سمع زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما نسخنا الصحف في المصحف، فقدت آية من سورة الأحزاب، كنتُ كثيراً أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري.

وفي رواية: فالتمسناها، فوجدناها مع خزيمة الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين:

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[1]

وفي رواية: مع خزيمة، فألحقناها في سورتها في المصحف.

قال عبد في روايته: وكان خزيمة يُدعى ذا الشهادتين[2]، فقتل يوم صفين، مع عليّ رضي الله عنه.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٢٢٦/٦.

(٢) أخرج الإمام أحمد في المسند ٢١٥/٥. وأبو داود في السنن: كتاب الأقضية، باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز أن يحكم به ٣٠٨/٣ حديث رقم ٣٦٠٧. والنسائي في السنن: كتاب البيوع، باب التسهيل في ترك الإشهاد على البيع ٣٠١/٧ ـ واللفظ لأبي داود ـ عن عمارة بن خزيمة، أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابيُّ رسول الله ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال: أوليس قد ابتعتُه منك؟. فقال الأعرابي: لا. والله ما بعتكه، فقال النبي ﷺ: بلى قد ابتعته منك، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بعتكه. فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة =

وفي الأثر الأول دلالة على أنه كان لما أمره الصديق رضي الله عنه ألا يكتب إلا إذا كان قد وجد مكتوباً بحضرة النبي ﷺ وأمره، وقابله - مع ذلك - على المحفوظ في صدور الرجال.

وفي هذا الأخير دليل من قوله: «نسخنا الصحف في المصاحف» إلى آخره أنه أعاد التتبع كما فعل أولاً، ليصح قوله: «فقدت آية من سورة الأحزاب». لأن افتقادها فرع العلم بها، ومن أبعد البعيد: أن يكون سمع النبي ﷺ كثيراً يقرؤها ولا يحفظها، ولا سيما وهو مذكور فيمن جمع القرآن في حياة النبي ﷺ.

والظاهر من هذا التتبع الذي لا يجوز لمن مارس أمثال هذه الهمم أن يفهم غيره: أن يكون لا ينقل آية، إلا إذا وجد من صفاتها على حسب ما هي مكتوبة عدد التواتر، ولارادة (حفظاً)[1] هذا المكتوب بحضرة النبي ﷺ وبأمره إذا جاز له لمثل هذه النازلة، نهى ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، فلا يوجد مثل هذه الواقعة، فلا تكون الثقة به وإن كان محفوظاً في الصدور، كالثقة به إذا وجد ما كتب منه

= فقال: بم تشهد؟. فقال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

قال ابن القيم في أعلام الموقعين ١٣٨/٢: وهذا التخصيص إنما كان لمخصص اقتضاه، وهو مبادرته دون من حضر من الصحابة إلى الشهادة لرسول الله ﷺ أنه قد بايع الأعرابي، وكان فرض على كل من سمع هذه القصة أن يشهد أن رسول الله ﷺ قد بايع الأعرابي، وذلك من لوازم الإيمان، والشهادة بتصديقه ﷺ وهذا مستقر عند كل مسلم، ولكن خزيمة تفطن لدخول هذه القضية المعينة تحت عمون الشهادة لصدقه في كل ما يخبر به، فلا فرق بين ما يخبر به عن الله، وما يخبر به عن غيره، في صدقه في هذا وهذا، ولا يتم الإيمان إلا بتصديقه في هذا وهذا. فلما تفطن خزيمة دون من حضر لذلك، استحق أن تجعل شهادته بشهادتين، أ هـ.

(١) ساقطة من: د.

بحضرته[1] ﷺ، وكأنه لم يكن كالذي فعله الصديق رضي الله عنه من كل وجه.

وروى الإمام أحمد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: طوبي للشام. قيل: ولم ذلك (يا)[2] رسول الله؟. قال: إن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليها[3].

الذين جمعوا القرآن من الصحابة

وروى الشيخان، والترمذي، وأبو عبيد، وأبو داود الطيالسي، عن أنس رضي الله عنه قال: جَمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة، كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد. يعني زيد بن ثابت[4]. رضي الله عنهم. قيل لأنس[5]: من أبو زيد؟. قال: أحد عمومتي.

وفي رواية للبخاري عنه: مات النبي ﷺ، ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبي الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد: ونحن ورثناه[6].

واسمه سعد بن عبيد[7].

---

(١) في د: بحضرة النبي.
(٢) ساقطة من الأصل.
(٣) مسند الإمام أحمد ١٨٥/٥.
(٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٢٣٠/٦.
وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بن كعب ١٩/١٦.
(٥) القائل قتادة كما صرحت به رواية مسلم.
(٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٢٣٠/٦.
(٧) قال النووي في شرح مسلم ١٩/١٦: أبو زيد هذا هو: سعد بن عبيد بن النعمان

وهذا الحصر بالنسبة إلى علم أنس رضي الله عنه، أو بالنسبة إلى الأنصار رضي الله عنهم.

قال الإمام أبو شامة في كتاب «المرشد الوجيز»: وقد أشبع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في كتاب «الانتصار» الكلام في حملة القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وأقام أدلة كثيرة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدّة المذكورة وأن العادة تحيل خلاف ذلك، ويشهد لصحة (ذلك)[1] كثرة القراء المقتولين يوم مسيلمة باليمامة، وذلك في أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وما في الصحيح من قتل سبعين من الأنصار يوم بئر معونة، كانوا يسمون القراء.

وقد قال عبد ار بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة، فقال لي رسول الله ﷺ: اقرأه في شهر، الحديث[2].

وعبد الله غير مذكور في هذه العِدَّة، فدل على أنها ليست للحصر، وما كان من ألفاظها للحصر، فله تأويل.

قال: وقد ذكر القاضي له تأويلات سائغة، منها:

= الأوسي من بني عمرو بن عوف، بدري يعرف بسعد القارىء استشهد بالقادسية سنة خمس عشرة، في أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أ هـ.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: هذا هو قول أهل الكوفة، وخالفهم غيرهم فقالوا: هو قيس بن السكن الخزرجي من بني عدي بن النجار، بدري. قال موسى بن عقبة: استشهد يوم جيش أبي عبيدة بالعراق سنة خمس عشرة أيضاً، أ هـ.

وفي التجريد للذهبي ٢١٦/١: سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس الأنصاري الأوسي من بني أمية بن زيد أبو زيد القارىء، أ هـ.

فتسميته «سعد» أولى لأنه المشهور عند علماء التراجم، وأما تسميته بقيس فربما جاء من إطلاق اسم أحد جدوده عليه. والله أعلم.

(١) زيادة عن المرشد لأبي شامة.

(٢) تقدم هذا الحديث مخرجاً ص ١٧٠.

أنه لم يجمعه على جميع وجوهه، والأحرف والقراءات التي نزل بها، وأخبر رسول الله ﷺ أنها كلها شاف كاف، إلا أولئك النفر (فقط)[1].

ثم قال: المازري[2]: وإن لم يكمل القرآن سوى أربعة، فقد حفظ جميع أجزائه مئون، لا يحصون، وما من شرط كونه متواتراً أن يحفظ الكلُّ الكلَّ[3].

وقال النووي في أواخر التبيان: أعلم أن القرآن العزيز، كان مؤلَّفاً في زمن النبي ﷺ على ما هو في المصاحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعاً في مصحف، بل كان محفوظاً في صدور الرجال.

فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كلَّه، وطوائف يحفظون أبعاضاً منه، فلما كان زمن أبي بكر رضي الله عنه (وقتل[4] كثير من حملة القرآن، خاف موتهم، واختلاف من بعدهم، فاستشار الصحابة رضي الله عنهم في جمعه في مصحف، فأشاروا بذلك)[5].

يعني خاف عليه فجمعه.

وروى البخاري في المناقب عن عبد الله بن عمرو، أنه ذُكر عنده عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فقال: ذلك رجل لأزال أحبه بعد ما سمعت

---

(١) زيادة عن المرشد الوجيز.

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميم المازري، من كبار أئمة المالكية في عصره، ولد سنة ٤٥٣ هـ، ونسبته إلى مازر بجزيرة صقلية، وتوفي بالمهدية سنة ٥٣٦ هـ، عن ثلاث وثمانين سنة. ومن تصانيفه: المعلم بفوائد كتاب مسلم، وايضاح المحصول في علم الأصول.
راجع: وفيات الأعيان ٤١٣/٣.

(٣) المرشد الوجيز ص ٣٨ ـ ٤٠.

(٤) زايدة عن التبيان.

(٥) التبيان للنووي ص ١٢٧.

رسول الله ﷺ يقول: استقرؤوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهم(١).

وروى ابن أبي داود عن مسروق قال: قال عبد الله - حين صنع بالمصاحف ما صنع -: والذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة إلا أعلم حيث أنزلت، وما من آية إلا أعلم فيم أنزلت، ولو أني أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل لأتيته(٢).

ورواه عنه أبو عبيد، ولفظه: قال: لو أعلم أحداً تبلغنيه الإبل، أحدث عهداً بالعرضة الأخيرة مني لأتيته.

أو قال: لتكلفت أن آتيه.

وروى ابن أبي داود عن زر قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وأن لزيد ابن ثابت ذؤ ابتين(٣) (يلعب(٤) مع الصبيان)(٥).

وروى أبو بكر - أيضاً - عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه، وهو بعرفة فقال: يا أمير المؤمنين جئتك من الكوفة، وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب، قال: فغضب عمر رضي الله عنه وانتفخ حتى كاد (أن يملأ)(٦) ما بين شعبتي الرجل، قال: من هو ويحك؟. قال: هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: فما زال يطفأ ويتسري عنه الغضب،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود ٢/٣٠٧.
(٢) كتاب المصاحف لابن أبي داود ١/١٤ - ١٦.
(٣) الذؤابة: الشعر المضفور من شعر الرأس. النهاية ٢/١٥١.
(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.
(٥) كتاب المصاحف ١/١٤.
(٦) ساقطة من: د.

حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ثم قال: ويحك، والله ما أعلم بفتى من الناس أحداً هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر الليلة، كذلك في الأمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ يمشي، وخرجنا معه نمشي، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله ﷺ: من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما نزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول: سل تعطه، سل تعطه، فقال عمر رضي الله عنه: فقلت: والله لأغدون فلأبشرنه.

قال: فغدوت لأبشره، فوجدت أبا بكر رضي الله عنه قد سبقني إليه فبشره ولا ـ والله ـ ما سابقته[1] قط إلى خير، إلا سبقني إليه[2].

ورواه أبو عبيد ولفظه: عن علقمة، عن عمر رضي الله عنه قال: سمرنا ليلة عند أبي بكر رضي الله عنه في بعض ما يكون من حاجة رسول الله ﷺ فخرجنا ورسول الله ﷺ يمشي بيني وبين أبي بكر، فلما انتهينا إلى المسجد، إذا رجل يقرأ، فقام يستمع، فقلت: يا رسول الله أَعْتَمْتَ؟، فَغَمَزني بيدِهِ، فسكتُّ، فقرأ وركع وسجد، وجلس يدعو ويستغفر، فقال رسول الله ﷺ: سَلْ تعطه، ثم قال: من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأ كما قرأه ابن أم عبد.

قـــال:

علمت أنا وصاحبي أنه عبد الله فلما أصبحت غدوت عليه لأبشره فقال: قد سبقك أبو بكر رضي الله عنه، قال: وما سابقته إلى خير قط، إلا سبقني إليه[3].

---

(١) يعني أبا بكر رضي الله عنه.

(٢) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٣٧.

(٣) كتاب المصاحف ص ١٣٧.

وروى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة(١).

دقة المسلمين في جمع القرآن

وروى الإمام أبو عمرو الداني في كتابه «المقنع» عن أبي قلابة، عن رجل من بني تميم يقال له ـ فيما أحسب ـ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: اختلفت المعلمون في القرآن حتى اقتتلوا، وكان بينهم قتال، فبلغ ذلك إلى عثمان رضي الله عنه فقال: أعندي تختلفون وتكذّبون وتلحنون فيه يا أصحاب رسول الله ﷺ؟. اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً يجمعهم، فكانوا في المسجد فكثروا، فكانوا إذا تماروا في الآية يقولون: إنه إقرأها رسول الله ﷺ فلان بن فلان وهو على رأس أميال من المدينة، فيُبْعث إليه من المدينة فيجيء، فيقولون: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟. فيقول كذا وكذا. فيكتبون كما قال(٢).

وله من رواية أخرى عن أبي قلابة قال: حدثنا من كان يكتب معهم ـ قال حماد: أظنه أنس بن مالك القشيري رضي الله عنه ـ قال: كانوا يختلفون في الآية فيقولون: أقرأها رسول الله ﷺ فلان ابن فلان، فعسى أن يكون على رأس ثلاث ليال من المدينة.

---

(١) أخرجه الترمذي ـ بهذا اللفظ ـ : كتاب المناقب، باب عبد الله بن مسعود ٣٣٨/٤ حديث رقم ٣٨٩٨.
وأخرجه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب سالم، ومناقب عبد الله بن مسعود ٢١٨/٤، ومناقب معاذ بن جبل ومناقب أبي بن كعب ٢٢٨/٤، وكتاب فضائل القرآن، باب القرءُ من أصحاب النبي ﷺ ١٠١/٦.
ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود ١٨/١٦
(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ١٧.

فذكره نحو ما مضى(١).

ولابن أبي داود، وابن جرير، عن أبي قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: فلا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراء بعض، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه وتنحتون(٢)، فمن نأى عنى من الأمصار(٣) أشد فيه اختلافاً، وأشد بحثاً، فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً.

قال أبو قلابة: فحدثني مالك بن أنس(٤) قال: كنت فيمن أملي عليهم، فربما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائباً، أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدَعْون موضعها، حتى يجيء، أو يرسل إليهم، فلما فرغ من المصحف، كتب عثمان رضي الله عنه إلى أهل الأمصار: إني قد صنعت كذا، وصنعت كذا، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم(٥).

وقد ساق ابن جرير خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه في جمعه المصحف، وخبر عثمان رضي الله عنه في مثل ذلك سياقاً واحداً، حسناً شافياً، بسند رجاله رجال الصحيح، فقال:

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، بنا(٦) عبد العزيز بن محمد الدراوردي،

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ١٧

(٢) كذا. ولعل الصواب: تلحنون.

(٣) في د: الأنصار.

(٤) هكذا في كتاب المصاحف: وعند ابن جرير: أنس بن مالك.

(٥) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢١.
وتفسير ابن جرير ١/٢٧.

(٦) عند ابن جرير: قال: حدثنا.

عن عمارة ابن غُزِيَّة، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه زيد رضي الله عنه قال: لما قتل أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة، دخل عمر ابنالخطاب على أبي بكر، رضي الله عنهما فقال: إن أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة، تهافتوا تهافُتَ الفراش في النار، (وإني)[1] أخشى أن لا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك، حتى يُقْتَلُوا وهم حملة القرآن، فيضيع القرآن ويُنسى، فلو جمعته وكتبته؟. فنفر منها أبو بكر رضي الله عنه وقال: أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ؟.

فتراجعا في ذلك، ثم أرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه.

قال زيد: فدخلت عليه، وعمر رضي الله عنه عنده، فقال أبو بكر: إن هذا قد دعاني إلى أمر فأَبَيْتُ عليه، وأنت كاتب الوحي، فإن تكن معه أوافقكما[2]، وإن توافقني لا أفعل.

قال: فاقتص أبو بكر قول عمر، وعمر ساكت، فنفرت من ذلك فقلت: أنفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ؟. إلى أن قال عمر كلمة: وما عليكما لو فعلتما؟.

قال: فذهبنا ننظر، فقلنا: لا شيء، والله ما علينا في ذلك شيء.

قال زيد: فأمرني أبو بكر فكتبته في قِطَع الأُدُم[3]، وكِسِرَ الأكتاف، والعُسُب[4] فلما هلك أبو بكر وكان عمر، كتب ذلك في صحيفة واحدة،

---

(١) زيادة عن ابن جرير.
(٢) عند ابن جرير: اتبعتكما.
(٣) يعني قطع الجلد.
(٤) قال أبو عبيد في الغريب ١٥٦/٤: العسب واحدها عسيب وهو: سعف النخل، وأهل الحجاز يسمونه الجريد.
وراجع: النهاية ٢٣٤/٣.

فكانت عنده، فلما هلك كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي ﷺ، ثم إن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم من غزوة غزاها بمَرْج أرمينية[1]، فلم يدخل بيته، حتى أتى عثمان ابن عفان رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس، قال عثمان: وما ذاك؟. قال: غزوت مَرْج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه، فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام، فيكفرهم أهل الشام، قال زيد رضي الله عنه: فأمرني عثمان بن عفان رضي الله عنه أن أكتب له مصحفاً وقال: إني مدخل معك رجلاً لبيباً فصيحاً، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إليَّ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص.

قال: فلما بلغنا ﴿ **إن آية مُلْكِه أن يأتيكم التَّابُوتُ** ﴾[2]. قال زيد: فقلت: «التابوه» وقال أبان: «التابوت» فرفعنا ذلك إلى عثمان، فكُتِبَت «التابوت».

قال: فلما فرغت عرضته (عرضة)[3]. فلم أجد فيه هذه الآية: ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وما بدَّلوا تبديلاً** ﴾[4]. فاستعرضت المهاجرين أسألهم فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت فكتبتها، ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجد فيه هاتين

---

(١) عند ابن جرير: فرج أرمينية.
(٢) سورة البقرة آية ٢٤٧.
(٣) زيادة عن ابن جرير.
(٤) سورة الأحزاب آية ٢٣.

الآيتين ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾[1] إلى آخر السورة.

فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم (عنها)[2] فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها مع رجل آخر - أيضاً - يدعى خزيمة[3]، فأثبتها في آخر براءة، ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة[4].

ثم عرضته عريضة أخرى، فلم أجد فيه شيئاً، ثم أرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردنها إليها، فأعطته إياها فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء، فردها إليها وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف، فلما ماتت حفصة رضي الله عنها، أرسل إلى عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيفة بعزمة، فأعطاهم إياها، فغسلت غسلاً[5].

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سيأتي بعد قليل أن يذكر المؤلف الفرق بين الرجلين.

(٤) في النفس شيء من نسبة هذه العبارة «ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة» إلى زيد رضي الله عنه، لأنها توحي أن الصحابة رضي الله عنهم قد تصرفوا في القرآن حسب أهوائهم، وما تمليه عليه اجتهاداتهم، وأنهم وضعوا كل سورة - بل وكل آية - وفق ما يعن لهم، وهذا أمر بعيد، بل هو المحال بعينه، فوضعهم السور كل سورة عقب أختها، أرجح الأقوال فيه: أنه توقيفي، وأما وضع الآيات في سورها فهذا من المقطوع به أنه توقيفي بترتيب رسول الله ﷺ، فقد كان كما نزلت عليه آية قال لكتاب الوحي: ضعوها في سورة كذا، بعد آية كذا، ومات ﷺ والقرآن مرتب الآيات، متماسك الأواصر، فمن أبعد البعيد، أن يضع زيد آية في سورة ليست منها، أو يؤلف سورة مكونة من عدة آيات على هوى نفسه، وباجتهاده هو، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»؟.

(٥) تفسير ابن جرير ١/٢٦.

وقوله: «لم يفعله رسول الله ﷺ» لعله يعني: كاملاً وإلَّا فقد كان النبي ﷺ لا ينزل عليه شيء، سواء كان آية، أو بعض آية، أو آيات، أو سورة كاملة إلا دعى كُتَّاب الوحي فيكتبونها، أو من يكتبها منهم.

وقد روى الإمام أحمد، والبيهقي رضي الله عنه في كتاب «المدخل» والدلائل عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا حول رسول الله ﷺ نؤلِّف القرآن من الرقاع، إذ قال: طوبى للشام، فقيل: ولم؟. قال: إن ملائكة الرحمة(١) باسطوا أجنحتها عليهم(٢).

قال أبو شامة: ثم قال - يعني البيهقي -: وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما أنزل من الآيات المتفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ، ثم كانت مثبتة في الصدور، مكتوبة في الرقاع واللخاف(٣)، والعسب، فجمعها منها في مصحف بإشارة أبي بكر وعمر، ثم نسخ ما جمعه في الصحف في مصاحف بإشارة عثمان بن عفان رضي الله عنه، على ما رسم المصطفى ﷺ(٤).

وأخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرك، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(٥).

---

(١) في الجامع الصغير للسيوطي ٤/٢٧٤ بشرح المناوي عن الطبراني: الرحمن.

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/١٨٤، ١٨٥/ط الحلبي.

(٣) قال أبو عبيد في الغريب ٤/١٥٦: اللخاف واحدتها لخفة، وهي حجارة بيض رقاق. وقال صاحب النهاية ٤/٢٤٤: ومنه حديث جارية كعب بن مالك: فأخذت لخافة من حجر فذبحتها بها.

(٤) هذا هو الكلام اللائق بأهمية هذا العمل، واعتقاد أن ترتيب القرآن وجمعه كان على نمط ما أشار به النبي ﷺ عند كتابة القرآن وقت نزوله. ويستحيل قطعاً أن تكون آية منه وضعت تلقائياً في سورة من السور لأن ما يجوز على آية واحدة من التلفيق والاتفاق، يجوز على جميع آيات القرآن وحاشا أصحاب رسول الله ﷺ أن يرتبوا آيات القرآن على حسب أهوائهم.

(٥) مستدرك الحاكم ٢/٢٢٩.

قال: وفيه البيان الواضح: أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد[1] جمع بعضه بحضرة النبي ﷺ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والجمع الثالث، وهو ترتيب السور، كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنهم أجمعين[2].

قال أبو شامة: وخزيمة هذا ـ يعني صاحب آية الأحزاب ـ غير أبي خزيمة الذي وجد معه آخر براءة.

ذاك أبو خزيمة بن أوس بن زيد، من بني النجار، شهد بدراً، وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه [3].

وهذا خزيمة «بن ثابت» بن الفاكه، من الأوس، شهد أُحُداً وما بعدها، وقتل يوم صفين[4]. وقيل غير ذلك[5].

قال ابن جرير: فإن قيل: فما بال الأحرف الستة غير موجودة، أنسخت فرفعت بعد ما أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ، وأقرأها ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، أم نسيتها الأمة، فذلك تضييع لما أُمِرَتْ بحفظه؟.

قيل: لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة، وهي مأمورة بحفظها، ولكنها

---

(١) في د: بل.

(٢) المرشد الوجيز ص ٤٥.

والكلام من قوله: «قال وفيه البيان الواضح» إلى «أجمعين» نقله ابن شامة من المستدرك فهو من كلام الحاكم ٢/٢٢٩ كتاب التفسير، باب جمع القرآن لم يكن مرة واحدة.

(٣) ترجمته في التجريد ٢/١٦٢ ترجمة رقم ١٨٩٧.

والاصابة ٤/٥٢ ترجمة رقم ٣٤٤ من باب الكنى.

(٤) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٢٢٣: ذو الشهادتين من كبار الصحابة شهد بدراً، وقتل مع علي يوم صفين، سنة سبع وثلاثين.

(٥) المرشد الوجيز ص ٥١.

أمرت بحفظ القرآن وخُيِّرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت، كما أمرت -إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة- أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت: إما بعتق، أو إطعام، أو كسوة.

فلو اجتمع[1] جميعها على التكفير بأي الكفارات الثلاث شاء المكفر، كانت مصيبة حكم الله: مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله.

فكذلك (الأمة)[2] أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت، فرأت علة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد، ورفض القراءة بالستة الباقية، ولم يحظر على أحد قراءته بجميع حروفه، على ما أذن له فيه[3].

وروى أبو عمرو الدانيعن عامر قال: (قال صعصعة)[4]: استخلف الله أبا بكر رضي الله عنه، فأقام المصحف[5].

وعن هشام بن عروة (عن أبيه أن)[6] أبا بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن في المصحف حين قتل أهل اليمامة وعثمان رضي الله عنه الذي جمع المصاحف على مصحف واحد[7].

وروى أبو عبيد في الفضائل عن المطلب بن زياد عن السدي، عن عبد خير[8] قال: أول من جمع القرآن بين اللوحين أبو بكر.

---

(١) عند ابن جرير: أجمع.
(٢) زيادة عن ابن جرير.
(٣) تفسير ابن جرير ١/٢٥.
(٤) زيادة عن المقنع.
(٥) المقنع ص ١٨.
(٦) ساقطة من: د.
(٧) المقنع ص ١٨.
(٨) هو عبد خير بن يزيد الهمداني، أبو عمارة الكوفي، قال الحافظ في التقريب ١/٤٧٠: ثقة، لم يصح له صحبة.

وله عن عبد خير، عن علي رضي الله عنه قال: رحم الله أبا بكر، كان أول من جمع القرآن.

وروى الداني عن ابن وهب[1]، عن مالك رحمه الله، أنه قال: إنما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ[2].

تأييد الناس عثمان في حرق الصحف

وعن سويد بن غَفَلة[3] قال: قال لي علي رضي الله عنه: لو وُلِّيت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه[4].

وروى أبو عبيد، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف، عن سويد بن غفلة الجعفي، قال: قال علي رضي الله عنه في المصاحف - وفي رواية: حين حرق عثمان رضي الله عنه المصاحف -: لو لم يصنعه عثمان رضي الله عنه لصنعته[5].

وفي رواية: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً - أوقولوا له خيراً - في المصاحف واحراق المصاحف، فوالله ما فعل (الذي فعل)[6] في المصاحف إلا

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، المصري، الفقيه.
قال الحافظ في التقريب ١/٤٦٠: ثقة حافظ عابد، صاحب مالك، مات سنة سبع وتسعين. أ هـ.

(٢) المقنع ص ١٨.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في التقريب ١/٣٤١: سويد بن غفلة - بفتح المعجمة والفاء - أبو أمية الجعفي، مخضرم. من كبار التابعين، قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ، وكان مسلماً في حياته، ثم نزل الكوفة، ومات سنة ثمانين، وله مائة وثلاثون سنة. أ هـ.

(٤) المقنع ص ١٨.

(٥) كتاب المصاحف ص ٢٣.

(٦) ساقطة من: د.

عن ملأ منا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟. قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا (تكون)[١] فرقة، ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.

قال: فقيل: أي الناس أفصح، وأي الناس أقرأ؟. قالوا: أفصح سعيد ابن العاص، وأقرؤهم زيد بن ثابت، فقال: ليكتب أحدهما، ويملي الآخر، ففعلا وجمع الناس على مصحف واحد.

قال علي رضي الله عنه: والله لو وليت لفعلت الذي فعل[٢].

ورواه من طريق مصعب بن سعد، وقال في آخره: فما رأيت أحداً عاب ذلك عليه.

وقال النووي في التبيان: وكان فعله ـ أي عثمان رضي الله عنه ـ أي الذي ذكر في جمع المصحف، واتلاف ما سواه ـ باتفاق منه ومن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسائر الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم.

وإنما لم يجمعه النبي ﷺ (في مصحف واحد)[٣]، لما كان يتوقع من زيادة[٤]، أو نسخ بعض المتلو، ولم يزل ذلك التوقُّع إلى وفاته ﷺ[٥].

وروى ابن أبي داود ـ أيضاً ـ عن أبي المحياة[٦] عن بعض آل طلحة بن مصرف قال: دفن عثمان المصاحف بين القبر والمنبر.

---

(١) زيادة عن ابن أبي داود.

(٢) كتاب المصاحف ١/٢٢.

(٣) زيادة عن التبيان.

(٤) في التبيان: زيادته.

(٥) التبيان ص ١٢٧.

وقال النووي بعد ذلك: فلما أَمِنَ أبو بكر وسائر أصحابه ذلك التوقع واقتضت المصلحة جمعه، فعلوه رضي الله عنهم.

(٦) أبو المحياة ـ بضم الميم وفتح الحاء المهملة، وتشديد الياء التحتانية، وهاء بعدها ـ =

وروى ابن أبي داود، وأبو بكر بن أبي شيبة، عن عبد خير، أنه قال: قال علي رضي الله عنه: يرحم الله أبا بكر، هـو أول من جمع مـا بين اللوحين[١].

وفي السنن الكبرى للبيهقي عن علي رضي الله عنـه قال: اختلف الناس في القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه، فجعـل الرجـل يقول للرجل: قراءتي خير من قراءتك فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فجمعنا أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: إن الناس قد اختلفوا اليوم في القراءة وأنتم بين ظهرانيهم، (فقد رأيت)[٢] أن أجمعهم على قراءة واحدة، قال: فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك.

قال: وقال علي رضي الله عنه: لو وليت مثل هذا الذي ولى، لصنعت مثل الذي صنع.

وفي رواية: يرحم الله عثمان، لو كنت أنا لصنعت في المصاحف ما صنع عثمان رضي الله عنه.

أخرجه البيهقي في المدخل.

وروى الداني، وأبو عبيد، وابن أبي داود، عن مصعب بن سعد - يعني: ابن أبي وقاص - قال: أدركت الناس - قال ابن أبي داود -: متوافرين - حـين شقق عثمان المصـاحف، فأعجبهم ذلـك. أو قال: لم يعب ذلـك أحد[٣].

= هو: يحيى بن يعلى التيمي، الكوفي. ثقة.
راجع: تقريب التهذيب ٢/ ٣٦٠.

(١) المصاحف لابن أبي داود ١/ ٥ بطرق مختلفة.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) المقنع ص ١٨.
وكتاب المصاحف لابن أبي داود ١/ ١٢.

وقال أبو عبيد: وقال مصعب بن سعد[1]: أدركت الناسَ حين فعل عثمان رضي الله عنه ما فعل، فما رأيت أحداً أنكر ذلك.

يعني من المهاجرين والأنصار. وأهل العلم.

عدد المصاحف التي نسخها عثمان

قال أبو عمرو: وأكثر العلماء على أن عثمان رضي الله عنه، لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن. فوجه إلى الكوفة إحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة.

وقد قيل: إنه جعله سبع نسخ[2]، ووجَّه من ذلك ـ أيضاً ـ نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين[3].

والأول: أصح، وعليه الأئمة، انتهى[4].

وقد روى ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» القول الأول عن حمزة الزيات وقال: فبعث بمصحف منها إلى الكوفة، فوضع عند رجل من مراد، فبقي حتى كتبت[5] مصحفي[6] عليه[7].

والقول الثاني رواه عن أبي حاتم السجستاني[8].

---

(١) هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص، أبو زرارة المدني، تابعي، من الثقات وكان كثير الحديث، توفي سنة ١٠٣ هجرية.
راجع: الطبقات الكبرى ١٦٩/٥، تهذيب التهذيب ١٦٠/١٠.

(٢) أشار مكي بن أبي طالب في الإبانة ص ٤٩ بأن رواته أكثر.

(٣) نسبه أبو شامة في المرشد ص ٧٣ إلى أبي حاتم السجستاني، وسينبه عليه المؤلف بعد قليل.

(٤) المقنع ص ٩.

(٥) في د: كتب.

(٦) في د: مصحفه.

(٧) (٨) كتاب المصاحف ص ٣٤.

وتصديق ما مضى من النقول عن الصحابة رضي الله عنهم بموافقة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: أنه ببركته وحسن نيته، وقع الحفظ لهذه الأمة، فانقطعْ ما كان به الخلاف بحفظ ما أثبته على سبيل التواتر، وذهاب ما أمر بتركه، فلم ينقل منه شيء من وجه يصح، واجتمعت الأمة على حظر قراءته، والمنع الشديد من تلاوته.

المنع من القراءات الشاذة

قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح المهذب: ولا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة[(١)]، لأنها ليست قرآناً، فإن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر فلو خالف وقرأ بالشاذ، أنكر عليه.

---

(١) القراءة الشاذة - في مصطلح علماء القراءات - هي التي تروى آحاداً، وتخالف خط المصحف العثماني، وقد تكون صحيحة السند، موافقة للعربية.

ومن أمثلة هذه القراءات:

القراءة المنسوبة إلى إبن عباس: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم» «في مواسم الحج».

والقراءة المنسوبة إلى عائشة وحفصة: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» «صلاة العصر».

والقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبي وقاص: وله أخ أو أخت «من أم».

والقراءة المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود: إن كانت إلا «زقية» واحدة.

وفي كتب التفسير والحديث والنحو أمثلة كثيرة من هذه القراءات، مثل تفسير الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان، والفتح القدير للشوكاني.

وقد اختلف العلماء في حكم القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف العثماني.

فنقل الزركشي في البرهان ٣٣٢/١ عن ابن الصلاح أنه قال: إن ما خلا القراءات العشر المتواترة والمستفيضة يقيناً وقطعا - على ما تقرر وتمهد في الأصول - ممنوع على العالم وغير العالم القراءة به منع تحريم، لا منع كراهة في الصلاة وخارج الصلاة، وواجب على من قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك، ويجب منع القارىء بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه وأن لم يمنع عزر. =

وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ[1].

ونقل الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر إجماع المسلمين على أنه[2] لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يُصَلَّى خلف من قرأ بها[3].

قال العلماء: فمن قرأ بالشاذ ـ إن كان جاهلاً به وبتحريمه ـ عُرِّف ذلك فإن عاد إليه بعد ذلك، أو كان عالماً به، عُزِّز تعزيزاً بليغاً، إلى أن ينتهي عن ذلك، ويجب على كل مكلَّف قادر على الإنكار أن ينكر عليه.

فإن قرأ الفاتحة في الصلاة بالشاذ، فإن لم يكن فيها تغيير معنى، ولا زيادة حرف ولا نقصه، صحت صلاته، وإلا، فلا[4].

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ١٣/٣٩٤: وهو قول أكثر العلماء لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة. أ هـ.

وذهب الإمام ابن الجزري إلى جواز القراءة بالشاذ من القراءات بشرط استفاضتها واشتهارها، فإذا لم تبلغ حد الاشتهار فلا يجوز القراءة بها. ونقل في ذلك كلاماً عن بعض أئمته في النشر ١/١٥.

والحق: أن ذلك قد يفتح باباً خطيراً تدخل منه المطاعن إلى التواتر القرآني، ويتخذ منه أعداء الإسلام سلاحاً يتهجمون به على كتاب الله تبارك وتعالى.

وقد فطن المسلمون الأول إلى هذا فجمعوا القرآن في مصحف واحد وتركوا ما يخالف رسمه من القراءات، وجعلوا سدودا واقية بين القرآن، وبين أسباب التشكك فيه.

وقد كان عبد الله بن مسعود يقرىء الناس بلسان هذيل، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن القرآن نزل بلسان قريش، فاقرىء الناس بلغة قريش. لا بلغة هذيل.

راجع: الجمع الصوتي الأول للقرآن للدكتور لبيب السعيد ص ٢٨٩.

(١) البرهان للزركشي ١/٣٣٣.

(٢) في د: أنها، وهو مخالف لما في المجموع.

(٣) التمهيد ٤/٦٥.

(٤) إلى هنا ينتهي كلام النووي في المجموع ٢/٣٩٢ /ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

ترك البسملة بين الأنفال وبراءة

روى أحمد وأبو داود، والترمذي وقال: حسن، وأبو عبيد في الفضائل وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف، والحاكم وصححه على شرط الشيخين، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطول، ما حملكم على ذلك؟.

فقال عثمان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان، وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، وكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها - وقال أبو عبيد: في الموضع الذي يذكر فيه - كذا وكذا، فإذا نزلت عليه الآية يقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، فإذا نزلت عليه الآية يقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت - براءة من أواخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أمرها[1].

وفي رواية: أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتها في السبع الطول[2].

---

(١) كيف وقد قال الله تعالى: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون؟.

(٢) في النفس من هذا الحديث شيء، وفي نسبته إلى عثمان رضي الله عنه شك وريب.
قال العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد ١/٣٢٩: في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له، يدور إسناده في كل رواياته على يزيد الفارسي، الذي رواه عن ابن عباس. تفرد به عنه =

. . . .

عوف بن أبي جميلة الأعرابي وهو ثقة. فقد رواه أبو داود ١/٢٨٧ ـ ٢٨٨. والترمذي ٤/١١٣ وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. وفي نسخة الترمذي طبعة بولاق ٢/١٨٢ ـ ١٨٣: حسن صحيح.

وزيادة التصحيح خطأ، فإن النسخ الصحيحة التي في شرحه للمباركفوري ليس فيها هذا.

وكذلك لم يذكر في مخطوطتنا الصحيحة من الترمذي، التي صححها الشيخ عابد السندي محدث المدينة في القرن الماضي، وهي التي وضعتها في ص ١٣ من مقدمة شرحي على الترمذي.

وأيضاً: فلم ينقل المنذري والسيوطي عن الترمذي إلا تحسينه.

أنظر شرح أبي داود، والدر المنثور ٣/٢٠٧. ورواه ـ أيضاً ـ ابن أبي داود في كتاب المصاحف ٣١ ـ ٣٢ بثلاثة أسانيد.

والحاكم في المستدرك ٢/٢٢١ ـ ٣٣٠ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢/٤٢.

كلهم من طريق عوف، عن يزيد الفارسي.

ونسبه السيوطي أيضاً في الدر المنثور لابن أبي شيبة، والنسائي ولم أجده فيه، وابن المنذر، وابن حبان، وغيرهم.

ويزيد الفارسي هذا اختلف فيه: أهو يزيد بن هرمز، أم غيره؟.

قال البخاري في التاريخ الكبير ٢/٤/٣٦٧: قال لي علي: قال عبد الرحمن: يزيد الفارسي هو ابن هرمز. قال: فذكرته ليحيى فلم يعرفه. قال: وكان يكون مع الأمراء.

وفي التهذيب ١١/٣٦٩: قال ابن أبي حاتم: اختلفوا هل هو ـ يعني ابن هرمز ـ يزيد الفارسي، أو غيره؟. فقال ابن مهدي وأحمد: هو ابن هرمز.

وأنكر يحيى بن سعيد القطان أن يكونا واحداً، وسمعت أبي يقول: يزيد بن هرمز هذا ليس بيزيد الفارسي، هو سواه.

وذكره البخاري أيضاً في كتاب الضعفاء الضغير ص ٣٧، وقال نحواً من قوله في التاريخ الكبير.

فهذا يزيد الفارسي الذي انفرد برواية هذا الحديث، يكاد يكون مجهولاً حتى شبه على مثل ابن مهدي وأحمد والبخاري أن يكون هو ابن هرمز أو غيره، ويذكره البخاري في الضعفاء، فلا يقبل منه هذا الحديث ينفرد به. وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي: قراءة، وسماعاً وكتابة في المصاحف. =

. . . .

وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وحاشاه من ذلك.
فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له، تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث.
قال السيوطي في تدريب الرواي ص ٩٩ في الكلام على أمارات الحديث الموضوع: أن يكون منافياً لدلالة الكتاب القطعية، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي.
وقال الحافظ ابن حجر ابن حجر في شرح التحفة: ومنها ما يؤخذ من حال المروي كأن يكون مناقضاً لنص القرآن، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي.
وقال الخطيب في كتاب «الكفاية» ص ٤٣: ولا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المحكم، والسنة المعلومة، والفعل الجاري مجرى السنة، وكل دليل مقطوع به.
وكثيراً ما يضعف أئمة الحديث راوياً لانفراده برواية حديث منكر يخالف المعلوم من الدين بالضرورة، أو يخالف المشهور من الروايات.
فأولى ان نضعف يزيد الفارسي هذا بروايته هذا الحديث منفرداً به، إلى أن البخاري ذكره في الضعفاء، وينقل عن يحيى القطان: أنه كان يكون مع الأمراء.
ثم بعد كتابة ما تقدم وجدت الحافظ ابن كثير نقل هذا الحديث في التفسير ٤/١٠٦، ١٠٧ وفي كتاب «فضائل القرآن» المطبوع في آخر التفسير ص ١٧ - ١٨. ووجدت أستاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا - رحمه الله - علق عليه في الموضوعين.
فقال في الموضع الأول بعد الكلام على يزيد الفارسي: فلا يصح أن يكون ما انفرد به معتبراً في ترتيب القرآن الذي يطلب فيه التواتر.
وقال في الموضع الثاني: فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر.
وهذا يوافي ما ذهبنا إليه، فلا عبرة بعد هذا كله في هذا الموضوع بتحسين الترمذي، ولا بتصحيح الحاكم، ولا بموافقة الذهبي، وانما العبرة للحجة والدليل، والحمد لله على التوفيق.
انتهى كلام الشيخ أحمد شاكر عليه رحمه الله، وهكذا ذكره بنصه في تعليقه على صحيح ابن حبان حديث رقم ٤٢.
وقد بحث هذا الحديث أستاذنا الجليل: الأستاذ الدكتور أحمد محمد يوسف القاسم في كتابه «الإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم وسوره» فقال: استدل البيهقي =

= والسيوطي، وابن كثير في فضائل القرآن، وغيرهم، بهذا الحديث، على أن ترتيب سور القرآن ثابت بالتوقيف، إلا الأنفال وبراءة.

قال القرطبي: وفي قول عثمان ﴿قبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها﴾ دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه، وأن براءة وَحْدَهَا ضمت إلى الانفال من غير عهد من النبي ﷺ، لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك، وكانتا تدعيان القرينتين، فوجب أن تجمعا وتضم إحداهما إلى الأخرى، للوصف الذي لزمهما من الاقتران ورسول الله ﷺ حي.

ويقول ابن حجر: ولما لم يفصح النبي ﷺ بأمر براءة، أضافها عثمان إلى الأنفال، اجتهاداً منه رضي الله عنه.

وهذا غير مُسَلَّم، إذ كيف نثبت في المصحف أمراً قائماً على مجرد الظن ومن عثمان وحده؟. وقد قال الخطيب في كتابه «الكفاية»: لا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المحكم، والسنة المعلومة والفعل الجاري مجرى السنة، وكل دليل مقطوع به.

وقوله: ﴿إن رسول الله لا كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، يدل في الجملة على التوقيف في القرآن.

وقوله: «فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها»، بعيد إذ الأنفال نزلت في السنة الثانية عقب غزوة بدر، وسورة التوبة نزلت في أواخر السنة التاسعة بعد غزوة تبوك، وبعد خروج أبي بكر على رأس المسلمين إلى الحج، فكيف يعقل أن يظل رسول الله ﷺ زهاء خمسة عشر شهراً، ولا يبين للناس أنها منها، أو غيرها؟. إنه بذلك يكون قد تأخر عن البيان في وقت الحاجة إليه، بل وما تقبل البيان، وحاشاه ﷺ أن يفعل ذلك، ثم إن إطلاق الاسم على كل منها واختلافه فيهما مما يعين أن هذه غير تلك، فقد سمى النبي ﷺ كلاً منهما.

فنسبة كل منهما باسم مستقل يدل أن مدلول كل منهما مختلف، ولكن لأنهما متحدان في الموضوع، وهو وضع الأسس التي بها يقوم الكيان الإسلامي الداخلي والخارجي، وفي الهدف وهو: معالجة شئون المسلمين، وان اختلفت هـذا الشئون لاختـلاف زمن نزولهما، أقول: نظراً لاتحاد السورتين في الموضوع والهدف، فوق ما هنالك من وجوه المناسبات بينهما الواضحة قيل إنهما سورة واحدة، والمراد: كالسورة الواحدة، من باب التشبيه البليغ، فالتوبة كالمتممة للأنفال.

ثم إن عثمان رضي الله عنه يقول: «فظننت أنها منها» وظنُه هذا ليس حجة في أمر =

. . . .

= القرآن، فإنه وان لم يقف على ما يفيده القطع في براءة والأنفال، وفعل ما فعل بناء على ظنه، إلا أن غيره وقف، وقبل ما فعله ولم يتوقف.

وأيضاً فإن هذا الظن لم يمنعه من ترك فاصل بينهما، دون كتابة سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ولم لا يكون علم بعد ذلك، بدليل موافقة أبي بن كعب وغيره من أصحاب المصاحف على ترتيب مصحف عثمان.

أما قوله: ﴿فمن ثم قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

فإن «بسم الله الرحمن الرحيم» لا تخضع لهوى الكاتب يثبتها أو يحذفها كما يشاء.

أخرج أبو داود والحاكم وابن حبان وصححاه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى ينزل «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي رواية: فإذا نزلت «بسم الله الرحمن الرحيم» علموا أن السورة قد انقضت.

قال الحافظ أبو شامة: هذا حديث حسن.

وانما لم تذكر في أول براءة:

قيل: لأنها جاءت بنقض العهود، أو لأن البسملة أمان، أو لغير ذلك من الوجوه التي ذكرها القرطبي والعيني وغيرهما من أئمة التفسير والحديث. والصحيح: ما رواه الإمام القشيري حيث قال: جرد الله سبحانه هذه السورة عن ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم»، ليعلم أنه يخص من يشاء وما يشاء بما يشاء، ويفرد من يشاء وما يشاء بما يشاء، ليس لصنعه سبب، وليس له في أفعاله غرض ولا أدب، واتضح للكافة: أن هذه الآية أثبتت في الكتاب لأنها منزلة، وبالأمر هنالك محصلة.

ثم ضعف الوجوه الأخرى التي ذكروها.

فالحاصل: أن البسملة لم ينزل بها جبريل عليه السلام، وما ذكروه فهو التماس للحكمة، مثلما قاله محمد بن الحنفية وسفيان بن عيينة، وما رواه أبو الشيخ، وابن مردوية، عن ابن عباس عن علي أنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

هذا وقد قام الإجماع على أن سورة الأنفال سورة مستقلة، غيرها غير سورة التوبة، ومن هنا كان قول الزركشي: إن سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع أهل الحل والعقد.

وقال السيوطي: أما سورة فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به.

قال الفخر الرازي: قال القاضي: يبعد أن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام لم يبين كون هذه السورة تالية لسورة الأنفال، لأن القرآن مرب من قِبَل الله تعالى ومن قِبَل رسوله ﷺ على الوجه الذي نقل.

انتهى كلام أستاذنا الدكتور احمد قاسم، وهو من الوضوح والشمول بمكان. =

وروى البخاري عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: الآية التي في البقرة: ﴿ **والذين يُتَوَفَّون منكم ويَذَرُون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحَوْل غيرَ إخراج** ﴾ـ[1] لم تكتبها وقد نسختها الآية الأخرى[2]؟ قال: يا ابن أخي لا أُغَيِّر شيئاً (عن)[3] مكانه[4].

بدعة تزيين المصحف

وروى ابن أبي داود، عن أبي بن كعب، وأبي ذر، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، رضي الله عنهم، أن كلا منهم قال: إذا حليتم مصاحفكم، وزوقتم مساجدكم فعليكم الدثار[5].

وروى ـأيضاً ـ عن برد بن سنان قال: ما أساءت أمة العمل، إلا زَيَّنَتْ مصاحفها[6] (ومساجدها)[7].

وروى أيضاً عن شقيق، وأبي وائل من طريقين، أن كلا منهما قال: مرَّ عليٌّ عبدالله بمصحف، قد زين بالذهب، فقال: إن أحسن ما زُيِّنَ به المصحف، تلاوته في الحق[8].

وعن أبي وائل قال: جاء رجل إلى عبدالله فقال: الرجل يقرأ القرآن منكوساً. فقال: منكوس القلب[9].

= وبهذا يتبين لنا أن الحديث مردود من أصله، لأن متنه تدور حوله الإشكالات، وتوجه إليه الانتقادات، التي تطعن في صحته، أضف إلى ذلك أن أسناده ضعيف متهافت لا يصح الاحتجاج برجاله. والقرآن فوق ذلك كله.

(١) الآية: ـ٢٤.

(٢) هي الآية ٢٣٤ من نفس السورة.

(٣) زيادة عن البخاري.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب سورة البقرة ٣٦/٦.

(٥) في الأصل: الديار، والتصويب عن كتاب المصاحف.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) كتاب المصاحف ص ١٥٠ ـ ١٥١.

(٨)(٩) كتاي المصاحف ص ١٥٠ ـ ١٥١.

ورواه أبو عبيد بسند صحيح.

وللطبراني برجال - قال الهيثمي: ثقات(1) - عن عبدالله رضي الله عنه، أنه جاءه (رجل)(2) فقال: يا أبا عبد الرحمن، أرأيت رجلاً يقرأ القرآن منكوساً؟. قال: ذاك منكوس القلب، فأتى بمصحف قد زُيِّن وذُهِّب، فقال عبدالله: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته في الحق.

وقد تقدم في أوائل الفضائل.

وتقدم كلام أبي عبيد عليه في غريب الحديث(3).

النهي عن خلط سورة بسورة في القراءة

وفي مصنف عبد الرزاق في الجامع عن ابن عيينة(4)، عن عبد الرحمن بن حرملة: سمعت بن المسيب(5) يقول: مر النبي ﷺ بأبي بكر رضي الله عنه وهو يصلي وهو يخافت، ومر بعمر رضي الله عنه وهو يجهر، ومر ببلال رضي الله عنه وهو يخلط فأصبحوا فاجتمعوا عنده فقال: مررت بك يا أبا هريرة وأنت تخافت، قال: أجل بأبي وأمي، إني أسمع من أناجي. قال: ارفع شيئاً. قال: مررت بك يا عمر وأنت تجهر. قال: أجل بأبي وأمي، أسمع الرحمن، وأوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان. قال: اخفض شيئاً. قال:

---

(1) مجمع الزوائد ١٦٨/٧.

(2) ساقطة من: د.

(3) راجع ص ١٣٤.

(4) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي المكي. قال ابن حجر في التقريب ٣١٢/١: ثقة حافظ فقيه امام حجة، مات في رجب سنة ثمان وتسعين، وله احدى وتسعون سنة.

(5) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران القرشي المخزومي.
قال ابن حجر في التقريب ٣٠٦/١: أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه. اهـ.

ومررت بك يا بلال وأنت تخلط. قال: أجل بأبي وأمي، أخلط الطَّيِّب بالطَّيِّب. قال: اقرأ كل سورة على نحوها[1].

ورواه أبو عبيد عن يحيى بن سعيد، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد ابن المسيب، وقال: قال لبلال: مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: أخلط الطيب بالطيب. فقال: اقرأ السورة على وجهها.

ورواه عن عمر[2] مولى غُفْرة وقال: قال لبلال: إذا قرأت السورة فانفذها.

وروى هذا الحديث أبو داود بإسناد ـ قال النووي في شرح المهذب: صحيح[3] ـ عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة، فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يصلي يخفض من صوته، ومر بعمر رضي الله عنه وهو يصلي رافعاً صوته، فلما اجتمعا عند النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك. قال (قد)[4] أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول الله، وقال لعمر رضي الله عنه: مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك؟. فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان. فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً. وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً[5].

---

(١) المصنف: كتاب الصلاة، باب قراءة الليل ٢/٤٩٥ حديث رقم ٤٢٠٩ مرسلاً.

(٢) هو عمر بن عبد الله المدني، مولى غفره ـ بضم الغين المعجمة، وسكون الفاء ـ كان كثير الإرسال. تقريب التهذيب ٢/٩٥.

(٣) المجموع ٣/٣٩١ ط محمد منير الدمشقي.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراء في صلاة الليل ٢/٣٧ حديث رقم ١٣٢٩.

قال النووي: ورواه أبو داود - أيضاً - بإسناد صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه بهذه القصة، ولم يذكر قوله: «فقال لأبي بكر» وزاد:

«وقد سمعتك يا بلال تقرأ من هذه السورة، ومن هذه السورة. قال: كلام طيب يجمعه الله بعضه إلى بعض، فقال النبي ﷺ: كلكم قد أصاب»[1].

هذا ما أردت جمعه من فضائل القرآن، وحَمَلَته، وآدابه، والاعتناء بجمعه على العموم.

---

(١) سنن أبي داود: الكتاب والباب السابقين، حديث رقم ١٣٣٠.

وعندي: أن الحديث الأول أولى بالمصير إليه، ويجب العمل به من الحديث الثاني الوارد في سنن أبي داود.

قال الإمام بدر الدين الزركشي في البرهان ٤٦٨/١ نقلاً عن البيهقي: وأحسن ما يحتج به أن يقال: إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ، وأخذه عن جبريل، فالأولى بالقارىء: أن يقرأه على التأليف المنقول المجمع عليه. وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم.

ونقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية من كل سورة، وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ مر بأبي بكر وهو يقرأ يخفض بصوته، وبعمر يجهر بصوته». وذكر الحديث، وفيه فقال: «وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة؟. فقال: كلام طيب يجمعه الله بعضه إلى بعض. فقال: كلكم قد أصاب».

وفي رواية لأبي عبيد في «فضائل القرآن»: قال بلال: أخلط الطيب بالطيب. فقال: اقرأ السورة على وجهها - أو قال: نحوها، وهذه زيادة مليحة.

وفي رواية: إذا قرأت سورة فأنفذها.

وروى عن خالد بن الوليد أنه أمّ الناس فقرأ من سُور شتى، ثم التفت الى الناس حين انصرف، فقال: شغلني الجهاد عن تعلّم القرآن.

ثم قال أبو عبيد: الأمر عندنا على الكراهة في قراءة القراء هذه الأبيات المختلفة، كما أنكر رسول الله لْا لى بلال، وكما اعتذر خالد عن فعله ولكراهة ابن سيرين له.

وقال الزركشي نقلاً عن الحكيم الترمذي: فبلال رضي الله عنه كان يقصد آيات الرحمة وصفات الجنة فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة كما أنزل الله =

فضائل القرآن بخصوص السور [1]

وأما بخصوص السور :

ما جاء في الاستعاذة [1]

فروى أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، عن أبي سعيد

= تعالى، فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم، ولو شاء لصنّفهم أصنافاً، وكل صنف على حدة، ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يمل، انتهى بتصرف.

وقال الشيخ غزلان: والقراءة على هذا النحو بدعة ذميمة جرى عليها القراء في هذا الزمان، والذي يحملهم عليها أمران:

أحدهما: حبهم أن يُسْمعوا الناس آيات البشارة والرحمة، دون آيات الوعيد والتهديد، والتخويف بالنار والعذاب. وذلك حمق منهم وجهل، فإن الحكمة تقضي بالجمع بين التبشير والتخويف، دون الاقتصار على أحدهما، فان التبشير والترغيب علاج اليائسين والخائفين، والتهديد والوعيد علاج الغافلين والمغرورين، فلا بد من الجمع بينهما، ليكون في القرآن علاج للناس جميعاً، لا لبعض دون بعض، وليكون فيه أيضاً تحذير للمتقين عاقبة المذنبين وتثبيت لهم على حالهم. وترغيب للمذنبين في أن يسلكوا سبيل المتقين ليفوزوا بثمرات أعمالهم الطيبة في الدنيا والآخرة.

فظهر بذلك أنه لا غنية لأحد عن الترغيب والترهيب، فمن أعرض عن قراءة الآيات التي فيها ذكر النار وأهوالها، أو فيها أوصاف الكفار والعصاة وذمهم وتهديدهم وانذارهم بسوء العاقبة، فقد أهمل جانباً كبيراً مما جاء القرآن لأجله، ويشتد الخطب في ذلك ويعظم إذا اعتقد أن في هذه الآيات من البشاعة ما يقضي باستحسان عدم قراءتها واسماعها للناس.

والأمر الثاني الذي يحملهم على ترك بعض آيات السورة: هو كونهم أقدر على إجادة النغم في بعض الموضوع دون بعض، فيعرضون عن قراءة أجزاء متفرقة منها، ويعمدون إلى قراءة أجزاء أخرى متفرقة لهذا الغرض.

فيتبين من ذلك كله: أن الدافع لهم في كل من الحالتين ذميم مرذول، وأن قراءة القرآن على هذا الوجه تخل ببلاغته، وبالأغراض المقصودة من تلاوته. اهـ. ص ٢٩٦ من كتاب البيان في علوم القرآن.

(١) غير موجود بالأصل.

الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل كبَّر. ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك [1]، ثلاثاً، تبارك اسمك، وتعالى جدك [2]، ولا اله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله، ثلاثاً، ثم يقول: الله أكبر كبيرا، ثلاثاً، أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفخه، ونفثه [3].

قال النووي: ولكن الحديث ضعيف [4].

ورواه أبو عبيد في غريب الحديث، ولفظه:

«كان إذا استفتح القراءة في الصلاة قال: أعوذ بالله من الشيطان

---

(١) قال الخطابي في معالم السنن ٣٧٥/١: أخبرني ابن خلاد قال: سألت الزجاج عن دخول الواو في «وبحمدك»؟. فقال معناه: وبحمدك سبحانك.

(٢) قال السندي في شرح سنن النسائي ١٣٢/٢: أي على جلالك وعظمتك.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من رأي الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ٢٦/١ حديث رقم ٧٧٥.

وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ١٥٣/١ حديث رقم ٢٤٢.

وسنن النسائي: كتاب الإمامة، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة ١وبين القراءة ١٣٢/٢ه.

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب افتتاح الصلاة ٢٦٤/١ حديث رقم ٨٠٤.

ومدار الحديث على عليّ بن علي بن نجاد بن رفاعة الرفاعي البصري، وكنيته أبو اسماعيل، قال الحافظ المنذري في السنن ٣٧٥/١: وثقة غير واحد، وتكلم فيه غير واحد، اهـ.

وراجع الميزان ١٤٧/٣ ترجمة رقم ٥٨٩٥.

(٤) راجع الأذكار ص ٤٣، والمجموع ٣٢٣/٣، كلاهما للإمام النووي.

وسبب ضعفه: أن فيه علي بن علي بن نجاد بن رفاعة البصري أبو اسماعيل رمي بالقدر.

راجع: الخلاصة ص ٢٧٦، والميزان ١٤٧/٣، ومختصر سنن أبي داود ٣٧٥/١.

الرجيم من همزه ونفثه ونفخه ، فقيل : يا رسول الله ، ما همزه ونفثه ونفخه ؟. فقال : أما همزه : فالموتة. وأما نفثه : فالشعر . وأما نفخه : فالكبر [١] .

قال أبو عبيد : المُوتَة : الجنون . وانما سمَّاه همزاً لأنه جعله من النَّخْس والغمز ، وكل شيء دفعته فقد همزته .

وسمى الشعر نفثاً ، لأنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه ، مثل الدقيقة ونحوها وأما الكبر فإنه سمي نفخاً ، لما يوسوس إليه الشيطان في نفسه ، فيعظمها عنده ويحقر الناس في عينه حتى يدخله الكبر ، والتجبر والزهور [٢] .

لكن المختار لجميع القراء العشرة ، وعامة الفقهاء ، في لفظ التعوذ : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » من غير زيادة ، موافقة لما ورد في سورة النحل من قوله تعالى : ﴿ **فإذا قَرَأْتَ القرآنَ** ـ أي أردت قراءته ، إرادةً قاربت الشروع فيها [٣] ـ **فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ [٤] .

وموافقة لما في الصحيحين عن سليمان بن صُرَد [٥] رضي الله عنه قال : استبّ رجلان عند النبي ﷺ ، وأحدهما يسب صاحبه مُغْضَباً ، قد

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٧٧.
وراجع : الفائق للزمخشري ٣/٢١٣.
(٢) غريب الحديث لأبي عبيد: الموضوع السابق.
(٣) ساقط من: د.
(٤) سورة النحل آية ٩٨.
(٥) قال الحافظ في التقريب ١/٣٢٦: سليمان بن صرد ـ بضم المهملة وفتح الراء ـ ابن الجون الخزاعي، أبو مطرّف الكوفي، صحابي. قتل بعين الوردة، سنة خمس وستين. هجرية.

احمر وجهه ، فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها ، لذهب عنه ما يجده ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم [١] .

ورواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي في اليوم والليلة ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه [٢] .

ورواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه [٣] .

قال شيخنا العلامة مقرىء زمانه شمس الدين بن الجزري في كتابه النشر ، وقد روى الطبراني في الكبير ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ـ فذكر حديثاً يأتي في سورة الحجر ـ إلى أن قال : ثم قرأ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بد ء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده ٤/٩٣، وكتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ٧/٩٩.
وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند ١٦/١٦٣.

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/١٤٠، ١١٤.
وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب ٤/٢٤٨ حديث رقم ٤٧٨٠. كلاهما عن معاذ بن جبل: من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه.

(٣) جامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول عند الغضب ٥/٥٠٤ حديث رقم ٣٤٥٢ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.
وراجع: النشر ١/٢٤٤ حيث نص فيه على رواية معاذ.
قال الترمذي: وهذا حديث مرسل. عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل، ومات معاذ في خلافة عمر بن الخطاب، وقتل عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام ابن ست سنين.
قال الحافظ المنذري في مختصر سنن أبي داود ٧/١٦٦: وما قاله الترمذي ظاهر جداً، فإن البخاري ذكر ما يدل على أن مولد عبد الرحمن بن أبي ليلى سنة سبع عشرة، وذكر غير واحد: أن معاذ بن جبل توفي في الطاعون سنة ثمان عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة.
وقد أخرج النسائي هذا الحديث من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ابن كعب، وهذا متصل، اهـ.

رسول الله ﷺ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . الر [1] : ﴿ **تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ، ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ [2] .

وروى أبو الفضل الخزاعي [3] ، من طريق يعقوب الحضرمي [4] ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال : قرأت على النبي ﷺ فقلت : أعوذ بالله السميع العليم . فقال لي : يا ابن أم عبد قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أخذته عن جبريل ، عن ميكائيل ، عن اللوح المحفوظ .

وقال : حديث غريب جيد الإسناد من هذا الوجه .

وذكر [5] (شيخنا) [6] له طرقاً غير هذه [7] ، ثم قال : ورواه الخزاعي - أيضاً - في كتابه « المنتهى » [8] بإسناد غريب ، عن عبدالله بن

---

(١) سورة الحجر آية ١ - ٢ .

(٢) قال الهيثمي ٧/٤٥ : فيه خالد بن نافع الأشعري ، قال أبو داود : متروك - قال الذهبي : هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك ، فقد حدث عنه أحمد ابن حنبل وغيره - وبقية رجاله ثقات .

(٣) هو أبو الفضل محمد بن جعفر ، بن عبد الكريم ، بن بديل ، الخزاعي الجرجاني مؤلف كتاب «المنتهي في القراءات العشر» يشمل على مائتين وخمسين رواية وكتاب «تهذيب الأداء في السبع» ، قال ابن الجزري : إمام حاذق مشهور من أئمة القراء الموثوق بهم ، وتوفي سنة ٤٠٨ هجرية .

راجع : النشر ١/٣٤ وطبقات القراء ٢/١٠٩ ترجمة رقم ٢٨٩٣ .

(٤) المتوفي سنة ٢٠٥ هجرية عن ثمانين عاماً ، قال ابن الجزري في النشر ١/١٨٦ : كان إماماً كبيراً ، ثقة عالماً ، صالحاً ديِّناً ، انتهت إليه رياسة القراءة بعد أبي عمرو .

وراجع : طبقات القراء ٢/١٠٩ .

(٥) زيادة عن : د .

(٦) يعني به شيخه شمس الدين ابن الجزري صاحب النشر .

(٧) راجع النشر ١/٢٤٤ .

(٨) قال ابن الجزري في النشر ١/٩٣ : المنتهى في القراءات العشر .

وقال عنه في طبقات القراء ٢/١٠٩ : المنتهي في الخمسة عشر .

مسلم بن يسار قال : قرأت على أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت : أعوذ بالله السميع العليم . فقال : يا بني عمن أخذت هذا ؟. قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، كما أمر الله عز وجل (١) .

وأورد شيخنا عن أبي عمرو الداني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما نزل جبريل على رسول الله ﷺ علمه الاستعاذة ، فقال : يا محمد قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم (٢) .

ورواه ابن جرير بلفظ : ﴿ **أستعيذ بالله من السميع العليم** ﴾ من وجه ضعيف ومنقطع (٣) .

ما جاء في البسملة

وروى ابن مردويه (٤) في تفسيره بسند ـ قال ابن رجب : ضعيف ـ عن بريدة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : أنزلت عليَّ آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود عليه السلام وغيري ، وهي : بسم الله الرحمن الرحيم .

---

(١) النشر ١/٢٤٤.

(٢) النشر ١/٢٤٧.

ونقل ابن الجزري عن شيخه الحافظ ابن كثير أنه أورده وعقب عليه بقوله: وهذا اسناد غريب، وانما ذكرناه ليُعرف، فإن في سنده ضعفاً وانقطاعاً.

(٣) تفسير ابن جرير ١/٤٠.

(٤) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردوية الأصبهاني، صاحب التاريخ والتفسير المسند، والمعروف بأن مردوية الكبير، جد ابن مردوية الصغير توفي سنة ٤١٦هـ، أما حفيده فهو الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد ابن أحمد بن موسى بن مردوية المتوفي سنة ٤٩٨ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٣/١٠٥٠، والرسالة المستطرفة ص ٢٤.

وروى أبو داود عن ابن عباس ، والبراء ، رضي الله عنهم ، وصحح الحاكم حديث ابن عباس قال : كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة ، حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم (1) .

ورواه البزار - قال الهيثمي : بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح (2) - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ لا يعرف خاتمة السورة ، حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا نزل ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ، علم أن السورة قد ختمت ، واستقبلت - أو ابتدأت - سورة أخرى .

قال ابن رجب : وروى أبو ذر الهروي في معجمه (3) بإسناد ضعيف ، عن أبي بريدة (رضي الله عنه) (4) ، أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ، فسردها عشرين مرة .

فضل سورة الفاتحة

وروى الإمام أحمد في المسند ، عن ابن جابر رضي الله عنه ، أن النبي

---

(1) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من جهر بها ١/٢٠٩ حديث رقم ٧٨٨.
والمستدرك: كتاب الصلاة، باب كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ١/٢٣١.

(2) مجمع الزوائد ٢/١٠٩.

(3) في د: أبو داود الهروي في مجمعه، وهو خطأ.
وأبو ذر هو: عبد - بدون إضافة - بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الأنصاري، الهروي - نسبة إلى هراة من بلاد خراسان - المالكي، العابد الزاهد الورع، وكتابه هذا كالمستخرج على سنن الدار قطني. مات أبو ذر سنة ٤٣٤ هجرية على خلاف في ذلك.
راجع: الرسالة المستطرفة ص ٢١.

(4) ساقطة من: د.

ﷺ قال : ألا أخبرك يا عبدالله بن جابر بأخْيَر [١] سورة في القرآن ؟. قلت : بلى يا رسول الله ، قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين ، حتى تختمها [٢] .

قال الهيثمي : وفيه عبدالله بن محمد بن عقيل ، وهو سيء الحفظ ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات [٣] .

وروى البخاري ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، والدارمي ، عن أبي سعيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه قال : كنت أصلي بالمسجد ، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، ثم أتيته فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي ، قال : ألم يقل الله عز وجل : ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم** ﴾ ؟ ، ثمّ قال : لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ، قبل أن تخرج من المسجد ، فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله إنك قلت : لأعلمنّك سورة هي أعظم سورة في القرآن ، قال : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ، هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته [٤] .

ولابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ في مسير فنزل ، ونزل رجل إلى جانبه ، فالتفت النبي ﷺ وقال : ألا أخبرك بأفضل القرآن ؟. قال : بلى ، فتلا : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ [٥] .

---

(١) في المسند: بخير.

(٢) المسند ٤/١٧٧ حديث عبد الله بن جابر رضي الله عنه.

(٣) مجمع الزوائد ٦/٣١٠.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب ٦/٢٠ وكتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب ٦/٢٣١.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب ٢/٧١ حديث رقم ١٤٥٨.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تأويل قول الله تعالى: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ٢/١٣٩.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ٢/٤٤٥.

(٥) مستدرك الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب شفاء المجنون بقراءة فاتحة الكتاب عليه ثلاثة أيام ١/٥٦٠.

وروى مالك في الموطأ عن أبي سعيد بن المُعَلَّى ـ أيضاً ـ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب رضي الله عنه وهو يصلي ، فلما فرغ من صلاته لحقه ، قال أبي : فوضع رسول الله ﷺ يده على يدي فقال : إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد ، حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان (١) مثلها ، قال أبي : فجعلت أبطىء في المسجد (٢) رجاء ذلك ، (فلما دَنَوْتُ)(٣) قلت : يا رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟. قال : كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟. قال أبيٌ : فقرأت ـ الحمد لله رب العالمين ـ حتى أتيت على آخرها ، فقال رسول الله ﷺ : هي هذه السورة ، وهي السبع المثاني ، والقرآن العظيم ، الذي أعطيت (٤) .

وأخرجه إسحاق (٥) في المسند عن أبي نفسه رضي الله عنه .

وعند ابن خزيمة (٦) ، وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم باختصار ، وقال : على شرط مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (٧) .

---

(١) في الموطأ والحاكم: القرآن.

(٢) في الموطأ: المشي.

(٣) ما بين القوسين ليس موجوداً بالموطأ.

(٤) موطأ مالك: كتاب الصلاة، باب ما جاء في أم القرآن ١/٨٣.

(٥) هو أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج النيسابوري الحافظ، سمع سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح وعبد الرزاق، قال الذهبي: وروى عنه الجماعة سوى أبي داود. وأبو العباس السرّاج، وابن خزيمة وأحمد بن حمدون الأعمشي اهـ. وتوفي سنة ٢٥١ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٥٢٤، والرسالة ص ٦٠.

(٦) صحيح ابن خزيمة ١/٢٥٢ حديث رقم ٥٠٠.

(٧) مستدرك الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب ما أنزلت في التوراة والإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلُ فاتحة الكتاب ١/٥٥٧.

وعند الترمذي وقال : حسن صحيح [1] .

وعبد بن حميد عن أبي هريرة نفسه رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج على أبيٍّ بنِ كعب رضي الله عنه فقال : يا أبي - وهو يصلي - فالتفت أبي فلم يجبه ، وصلى أبي فخفَّف ، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وعليك السلام ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ؟.

فقال : يا رسول الله إني كنت في الصلاة . قال : أفلم تجد فيما أنزل الله إليّ ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ [2] ؟. قال : بلى ، ولا أعود إن شاء الله .

قال : أتحب أن أعلِّمك سورة لم ينزل في التوراة ، ولا في الانجيل ، ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلُها ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : لعلك أن لا تخرج من ذلك الباب حتى أخبرك بها .

قال : فقمت معه ، فجعل يحدثني ويدي في يده ، فجعلت أتباطأ ، كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها ، فلما دنوت من الباب ، قلت : يا رسول الله ، السورة التي وعدتني ، فقال رسول الله ﷺ : كيف تقرأ في الصلاة ؟، فقرأت أم الكتاب ، قال : هي ، هي ، وهي السبع المثاني التي قال الله عز وجل : ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ [3] ، الذي أوتيت .

وفي رواية غيره قال : فقرأت أم القرآن ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٥٥/٥ حديث رقم ٢٨٧٥.
(٢) سورة الأنفال آية ٢٤ .
(٣) سورة الحجر: آية ٨٧.

والذي نفسي بيده ، ما أُنزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها ، وأنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته .

ولأحمد في المسند ، والدارمي ، وأبي عبيد في الفضائل والغريب ، بسند صحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال ـ وقرأ عليه أبي رضي الله عنه أم القرآن ـ فقال : والذي نفسي بيده ، ما أنـزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ـ قال الدارمي : والزبور ، وقال أبو عبيد : ولا في الزبور ـ ولا في الفرقان مثلها [١] ، وأنها السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أعطيت [٢] .

ورواه أبو داود ، والدارمي ، عنه أيضاً ، وقال : (قال) [٣] : رسول الله ﷺ : الحمد لله أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني [٤] .

وللطبراني عن أبي زيد [٥] رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة ، فسمع رجلاً يتهجد ، ويقرأ بأم القرآن ، فقام رسول الله ﷺ فاستمع حتى ختمها ، ثم قال : ما في القرآن مثلها .

وفي الفضائل لأبي عبيد ، عن الحسن رحمه الله رفعه : من قرأ فاتحة الكتاب ، فكأنما قرأ التوراة والإنجيل ، والزبور والقرآن .

---

(١) لفظ الدارمي : والقرآن مثلها، وانها السبع المثاني. . . الخ.

(٢) مسند الإمام أحمد ط/٣٥٧.

وسنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ٢ /٣٢٠.حديث رقم ٣٣٧٦.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب ٢ /٧١ حديث رقم ١٤٥٧ وسنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ٢ /٤٤٦.

(٥) هو أبو زيد الأنصاري، عمرو بن أخطب، صحابي جليل، نزل البصرة، مشهور بكنيته.

وقال الذهبي في التجريد ٢ /١٦٩ : أبو زيد: عمرو بن أخطب الأنصاري له صحبة ورواية، وهو جد عزرة بن ثابت.

وراجع : التقريب ٢ /٦٥.

وللبخاري ، وأبي داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الحمد لله رب العالمين أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني [1] .

ورواه الطبراني ولفظه : أن النبي ﷺ كان يقول : الحمد لله رب العالمين ، سبع آيات ، إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم ، وهي السبع المثاني ، والقرآن العظيم ، وهي أم القرآن ، وفاتحة الكتاب .

ولمسدد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : السبع المثاني : فاتحة الكتاب .

ولأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني الطُّوَل ، وأوتي موسى عليه السلام ستاً ، فلما ألقى الألواح ، رفعت ثنتان ، وبقي أربع [2] .

ولإسحاق بن راهوية عن علي رضي الله عنه ، أنه سئل عن فاتحة الكتاب ، فقال : حدثنا نبي الله ﷺ أنها نزلت من كنز تحت العرش .

وعَزَاه ابن رجب في كتاب « الاستغناء بالقرآن » إلى مسند يعقوب بن أبي شيبة بسند منقطع .

وهو في كتاب الفضائل لأبي عبيد بإسناد ضعيف .

وروى الطبراني في الأوسط ـ (بإسناد) [3] قال الهيثمي : فيه الوليد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير، سورة الحجر ١٠٢/٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب ٧١/٢ حديث رقم ١٤٥٧ وسنن الترمذي: كتاب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٥٥/٥ حديث رقم ٢٨٧٥ .

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من قال هي من الطول ٧٢/٢ حديث رقم ١٤٥٩ .

(٣) ساقطة من: د.

ابن الوليد ، وثقه أبو حاتم ، وابن حبان ، وتركه جماعة ، وبقية رجاله ثقات [(١)] - عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مولود يولد ، إلا وهو مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من فاتحة الكتاب .

وللترمذي ، والنسائي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم عن أبي هريرة ، عن أبي ابن كعب - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل (مثل أم القرآن) [(٢)] ، وهي السبع المثاني ، وهي مقسومة بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل [(٣)] .

ولمسلم ، والأربعة ، وعبد الرزاق في مصنفه الجامع ، وأبي عبيد في الفضائل عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن، فهي خداج (ثلاثاً)[(٤)] غير تمام، فقيل لأبي

---

(١) مجمع الزوائد ٣١١/٦.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ٢٣١/٤ حديث رقم ٣٠٣٦. وقال: حسن صحيح.

وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تأويل قول الله تعالى: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ١٣٩/٢.

والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثل فاتحة الكتاب ٥٥٧/١، وليس فيه: وهي مقسومة... الخ.

وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب فضل قراءة فاتحة الكتاب ٢٥٢/١ حديث رقم ٥٠١.

(٤) زيادة عن صحيح مسلم.

وعند النسائي وأبي داود: فهي خداع، فهي خداع، فهي خداع، هي خداع.

والخداع بكسر الخاء، قال في النهاية ١٢/٢: الخداع: النقصان يقال: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تامّ الخلق وأخدجتْه إذا ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل.

=

هريرة رضي الله عنه : إنا نكون وراء الإمام (١) ؟. فقال : اقرأ بها في نفسك (يا فارسي) (٢) فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي (نصفين) (٢) ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى عليّ عبدي واذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجَّدني عبدي ـ وقال مرة : فوَّض إليَّ عبدي ـ فإذا قال : إياك نعبد واياك نستعين ، قال الله : هذا بيني وبين عبدي ـ زاد أبو عبيد : أولها لي ، وآخرها لعبدي ـ ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل (٣) .

= قال: وانما قال: فهي خداج والخداج مصدر: على حذف مضاف أي ذات خداج، أو يكون قد رصفها بالمصدر نفسه مبالغة. اهـ.

وراجع: شرح مسلم ١٠١/٤، وحاشية السندي على النسائي ١٣٥/٢ وغريب الحديث لأبي عبيد ٦٥/١، ٢٦١، ٤٤٦/٣. وغريب الحديث لابن قتيبة ٤٠٦/١.

(١) القائل هو أبو السائب، أحد رواة الحديث عن أبي هريرة، جاء مصرحاً بقوله في سنن أبي داود: قال: يا أبا هريرة. . . الخ.

وأبو السائب هذا لا يعرف إلا بكنيته: قال النووي في شرح مسلم ١٠٢/٤: لا يعرفون له اسماً وهو ثقة. اهـ.

وقال الحافظ في التقريب ٤٢٦/٢: يقال: اسمه عبد الله بن السائب ثقة.

(٢) زيادة عن صحيح مسلم وسنن النسائي.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١٠١/٤.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ٢١٦/١ حديث رقم ٨٢١.

وسنن النسائي: كتاب الصلاة، باب ترك البسلمة في قراءة الفاتحة ١٣٥/٢.

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب القراءة خلف الإمام ٢٧٣/١. حديث رقم ٨٣٨.

وموطأ مالك: كتاب الصلاة، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر به بالقراءة ٨٤/١.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه هذا الحديث من طريق عبدالرزاق ولفظه : قال الله : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل .

قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : اقرأوا ، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، فيقول الله : حمدني عبدي ، ويقول العبد : الرحمن الرحيم ، فيقول الله : أثنى علي عبدي ، ويقول العبد : مالك يوم الدين، فيقول الله : مجدني عبدي ، وقال : هذه بيني وبين عبدي ، يقول العبد : إياك نعبد واياك نستعين ، قال : إحداهما لعبدي ولعبدي ما سأل ، قال : يقول عبدي : اهدنا الصراط المستقيم ، إلى آخرها ، يقول الله : هذه لعبدي ، ولعبدي ما سأل (١) .

أخرجه مسلم بمعناه .

وللشيخين وأصحاب السنن الأربعة ، وعبدالرزاق في جامعه ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، يبلغ به النبي ﷺ قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعداً (٢) .

ورواه الدارقطني عنه بلفظ « لا تجزىء صلاة لا يقرأ الرجل فيها بفاتحة

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ١/١٢٥
وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٤/١٠٠.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ٢/٢١٧ حديث رقم ٨٢٢ وزاد: قال سفيان: لمن يصلي وحده.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب إيجاب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة ٢/١٣٨.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب القراءة خلف الإمام ١/٢٧٣. حديث رقم ٨٣٧.
ومصنّف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب قراءة أم القرآن ٢/٩٣ حديث رقم ٢٦٢٣.

الكتاب » ، وقال : إسناده حسن ، ورجاله ثقات كلهم [1] .

ورواه ابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما - قال النووي : بإسناد صحيح [2] - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب [3] .

ولأبي داود ، والترمذي وقال : حسن ، والبيهقي وصححه ، والدارقطني وقال : إسناده حسن ، والخطابي وقال : إسناده جيد لا مطعن فيه . عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال : كنا خلف رسول الله ﷺ في صلاة الفجر ، فقرأ رسول الله ﷺ فثقلت عليه القراءة ، فلما فرغ قال : لعلكم تقرأون خلف إمامكم ؟ . قلنا نعم . هذا يا رسول الله ، قال : لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب ، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها [4] .

الاستشفاء والرقية بفاتحة الكتاب

وللدارمي ، والبيهقي في الشعب ، عن عبدالملك بن عمير رحمه الله - مرسلاً - : أن النبي ﷺ قال : فاتحة الكتاب شفاء من كل داء [5] .

---

(١) سنن الدار قطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة وخلف الامام ١/٣٢١ وقال: هذا إسناد صحيح.

(٢) الأذكار للنووي ص ٤٦ . والمجموع ٢/٣٢٩ .

(٣) صحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب إيجاب القراءة في الصلاة بفاتحة الكتاب ١/٢٤٨ حديث رقم ٤٩٠ .
وابن حبان: موارد الظمآن حديث رقم ٤٥٧ .

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ١/٢١٧ حديث رقم ٨٢٣ .
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة خلف الإمام حديث رقم ٣١٠ .
وسنن الدار قطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة وخلف الإمام ١/٣١٨ حديث رقم ٥ من الباب.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ٢/٤٤٥ .

(وقد)[1] وصله أبو الحسن الخلعي [2] في السابع من فوائده ، عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما ، ولفظه : فاتحة الكتاب شفاء من كل داء ، إلا السام والسام : الموت .

وللبزار عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرأت فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت .

وللبخاري ومسلم ، وأبي داود ، والترمذي واللفظ له ، وعبد بن حميد ، وأبي عبيد ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سريَّة ، فنزلنا بقوم فسألناهم القِرَى ، فلم يَقْرُونا ، فلدغ سيدهم ، فأتونا فقالوا : هل فيكم من يرقى من العقرب ؟ . ـ وفي رواية : فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم لَدغ [3] ، فهل فيكم من راقٍ ؟ . ـ قلت : نعم ، ولكن لا أرقيه حتى تعطونا غنماً .

قالوا : فإنا نعطيكم ثلاثين شاة ، فقبلنا . فقرأت عليه « الحمد لله رب العالمين » سبع مرات .

وفي رواية: إنه كان يجمع بزاقه ويتفل.

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) هو القاضي أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين بن محمد الشافعي المعروف بالخلعي ـ بكسر الخاء المعجمة وفتح اللام ـ نسبة إلى الخلع التي كان يبيعها بمصر. أصله من الموصل، وعاش ومات بمصر، قال صاحب الرسالة المستطرفة: الفقيه الصالح، ذي الكرامات والتصانيف، أعلى أهل مصر إسناداً، توفي سنة ٤٩٢ هـ. وتبلغ فوائده عشرين جزءاً جمعها له أبو نصر أحمد بن الحسين الشيرازي، وخرجها عنه وسماها الخلعيات. اهـ. بتصرف.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ١٤/١٨٨: سليم، أي لديغ. قالوا: سمى بذلك تفاؤلاً بالسلامة، وقيل: لأنه مستهلم لما به. اهـ.

فكأنما نشط[1] من عقال، فانطلق يمشي، وما به قلبة[2].

وفي رواية: فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبناً.

وفي رواية: عبداً.

فجعلت أقرأ فاتحة الكتاب، وأمسح المكان الذي لدغ حتى برأ، فأعطونا الغنم، فقبضنا الغنم.

قال: فعرض في أنفسنا شيء فقلنا: لا تعجلوا حتى تأتوا رسول الله ﷺ، قال: فلما قدمنا عليه ذكرتُ له الذي صنعت.

قال: وما علمت - وفي رواية: وما يدريك - إنها رقية، اقبضوا الغنم واضربوا لي معكم بسهم[3].

ولفظ أبي عبيد: فرقاه رجل منهم، فأعطى قطيعاً من غنم[4]، فأبى أن

---

(١) قال ابن الأثير ٥/٥٧: كثيراً ما يجيء في الرواية «كأنما نِشط من عقال» وليس بصحيح، يقال: نَشِطْتُ العقدةَ إذا عقدتُها، وأنشطتها وانتشطتها إذا حللتها.
وقال الزمخشري في الفائق ٢/٣٥٤: نشطت العقدة، عقدتها بأنشوطة وأنشطتها: حللتها، ونظيرهما: قسط وأقسط.

(٢) قال في النهاية ٤/٩٨: ألم وعلة.
وقال النووي في الأذكارص ١١٩: وهي بفتح القاف واللام والباء الموحدة: أي وجع.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الرقي بفاتحة الكتاب، وباب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، وباب في الرقية ٧/١١٣ - ١١٦.
وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ١٤/١٨٧، ١٨٨.
وسنن أبي داود: كتاب الطب، باب كيف الرقي ٤/١٤ حديث رقم ٣٩٠٠، ٣٩٠١.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ١٤/١٨٧: القطيع هو الطائفة من الغنم وسائر النّعم، قال أهل اللغة: الغالب استعماله فيما بين العشر والأربعين.
وقيل: ما بين خمسَ عشرةَ إلى خمس وعشرين، وجمعه أقطاع وأقطعة وقطعان وقطاع وأقاطيع، كحديث وأحاديث. والمراد بالقطيع المذكور في هذا الحديث: ثلاثون شاة، كذا جاء مبيناً. اهـ.
قلت: في سنن أبي داود ٤/١٣ حديث رقم ٣٨٩٦: مائة شاة.

يقبله فقدموا على النبي ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: من أخذ برقية باطل، لقد أخذت برقية حق، خذوا واضربوا لي معكم بسهم[1].

وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ مروا بماء فيهم لديغ أوسليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم راق؟. (إن في الماء رَجُلاً لديغا أو سليماً)[2]، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً؟. حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ: إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله[3].

ولأبي داود في السنن بإسناد - قال النووي: صحيح[4] - والنسائي، والبيهقي في الدعوات، والدارقطني في السنن في آخر كتاب الأطعمة وهذا لفظه، عن خارجة بن الصلت التميمي[5]، عن عمه - قال النووي[6]: واسمه: علاقة بن صحار وقيل: عبد الله رضي الله عنهما[7] - أنه أتى النبي ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعاً من عنده، فمر على قوم فوجد عندهم رجلاً مجنوناً، فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطى مائة شاة، قال: فأتيت

---

(١) قال النووي في شرح مسلم ١٤/١٨٨: إنما قاله تطييباً لقلوبهم، ومبالغة في تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيه، وقد فعل ﷺ في حديث العنبر، وفي حديث أبي قتادة في حمار الوحش مثله.

(٢) زيادة عن البخاري.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم ٧/١١٤.

(٤) الأذكار للنووي ص١٢٠.

(٥) قال الذهبي في التجريد ١/١٤٧: أدرك النبي ﷺ ولم يره.

(٦) الأذكار ص ١٢٥.

(٧) وقال الخطابي في معالم السنن ٥/٧٣ و ٣٦٨: وقيل اسمه العلاء.
وقيل: علاثة بن شجّار. وقيل: شجار بالتخفيف. والأول أكثر.

النبي ﷺ فأخبرته فقال: هل إلا هذا؟. قال: لا، قال: خذها، فلعمري من أكل برقية باطل فلقد أكلت برقية حق[1].

ولفظ أبي داود: أتيت النبي ﷺ فأسلمت، ثم رجعت على قوم عندهم رجل مجنون، مُوثَقٌ بالحديد، فقال أهله: إنا حُدِّثْنَا أن صاحبك هذا قد جاء بخير، فهل عندك شيء تداويه؟. فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطونا مائة شاة، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: هل إلا هذا؟ - وفي رواية: هل قلت غير هذا؟ - قلت: لا، قال: خذها، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق[2].

قال النووي في الأذكار[3]: ورويناه في كتاب ابن السنى بلفظ آخر، وهي رواية أخرى لأبي داود، قال: أقبلنا من عند النبي ﷺ فأتينا على حي من العرب، فقالوا: هل عندكم دواء؟. فإن عندنا معتوهاً في القيود، فجاءوا بالمعتوه في القيود، فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية، أجمع بزاقي، ثم أتفل.

وفي رواية: كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفله. فكأنما نشط[4] من عقال، فأعطوني جعلاً، فقلت: لا، فقالوا: سل النبي ﷺ، فسألته، فقال: (كل)[5]

---

(١) سنن أبي داود: كتاب البيوع، باب في كسب الأطباء ٣/٢٦٦ حديث رقم ٣٤٢٠.
وكتاب الطب، باب كيف الرقي ٤/١٣ حديث رقم ٣٨٩٦.
وسنن الدار قطني: كتاب الأشربة، باب الصيد والذبائح والأطعمة وغير ذلك ٤/٢٩٦ حديث رقم .. من الباب.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الطب، باب كيف الرقي ٤/١٣ حديث رقم ٣٨٩٦.

(٣) الأذكار ص ١٢٠.

(٤) تقدم معنى «نشط» قريباً. وأن الصواب: أنشط، كما في سنن أبي داود ٤/١٣ حديث رقم ٣٨٩٧.

(٥) زيادة عن الأذكار. وعند أبي داود: خذها فلعمري... الحديث.
ومعنى «كل»: أي خذ الجعل وكل منه، وعبر بالأكل لأنه المقصود الأصلي من أخذ الجعل ونحوه.

فلعمري من أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق[١].

ولأبي عبيد عن قيس بن أبي حازم قال؛ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رقيت فلاناً، كانت به ريح فبرأ، والله إنْ رَقَيْتُه إلا بالقرآن، فأمر لي بقطيع من الغنم، أفآخذه؟.

فقال رسول الله ﷺ: من أخذ برقية باطل، لقد أخذت برقية حق.

وله عن طلحة بن مصرِّف قال: كان يقال: إذا قرىء القرآن عند المريض، وجد لذلك خفة، قال: فدخلت على خيثمة وهو مريض، فقلت: إني أراك اليوم صالحاً؟. قال: إنه قرىء عندي القرآن.

وعند مسلم، والنسائي، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ (سمع)[٢] نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء، فتح اليوم لم يفتح قط[٣] إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السنى ص ٢٣٥ حديث رقم ٦٣٥.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) قال ابن هشام في المغنى ص ٢٣٣: قط على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون ظرف زمان لاستغراق ما مضى. وهذا بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة في أفصح اللغات، وتختص بالنفي، فيقال: ما فعلته قط. واشتقاقه من «قططته» أي قطعته، فمعنى ما فعلته قط: ما فعلته فيما انقطع من عمري، لأن الماضي منقطع عن الحال والاستقبال، وبنيت لتضمنها معنى مذ والى، إذ المعنى: مذ أن خلقت، أو مذ خلقت إلى الآن.

الثاني: أن تكون بمعنى حَسْب، وهذه مفتوحة القاف، ساكنة الطاء وبنيت لأنها موضوعة على حرفين، يقال: قطي، وقطك، وقط زيد، مثل حسبي وحسبك، وحسب زيد.

الثالث: أن تكون اسم فعل بمعنى: يكفي. فيقال: قطني، بنون الوقاية. انتهى بتصرف واختصار.

الأرض فلم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف[1] منهما إلا أعطيته[2].

النقيض ـ بالمعجمة ـ هو: الصوت.

وسيأتي في آخر الفلق قراءتها مع المعوذتين عند المريض.

ما جاء في أن الفاتحة تعدل ثلثي القرآن

ولعبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ: فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن.

ولا يشكل هذا الحديث بالأحاديث المسمية لها أم القرآن، وأم الكتاب، لأنها اشتملت على جميع مقاصده، بحيث إنه ما من شيء من مقاصده إلا وهو تابع لها، فهي له أصل، كما قاله العلماء[3].

فإن مقاصده ـ كما ذكر الإمام حجة الإسلام الغزالي ـ ستة: ثلاثة مهمة وثلاثة متمة.

الأولى[4]: تعريف المدعو إليه، كما أشير إليه بصدرها، وتعريف

---

(١) عند النسائي: لم تقرأ حرفاً.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ٩١/٦.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب فضل فاتحة الكتاب ١٣٨/٢.
والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلُ فاتحة الكتاب ٥٥٨/١.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٤/٩: اختصت الفاتحة بأنها مبدأ القرآن وحاوية لجميع علومه، لاحتوائها على الثناء على الله، والاقرار بعبادته، والإخلاص له، وسؤال الهداية منه، والإشارة إلى الاعتراف بالعجز عن القيام بنعمه، والى شأن المعاد وبيان عاقبة الجاحدين. اهـ.

(٤) يعني: الثلاثة المهمة.

الصراط المستقيم وقد صُرِّح به فيها، وتعريف الحال عند الرجوع إليه سبحانه وهو الآخرة، كما أشير إليه بقوله: مالك يوم الدين.

والثلاثة الثانية: تعريف أحوال المطيعين، كما أشير إليه بقوله: الذين أنعمت عليهم. وحكاية أحوال الجاحدين، وقد أشير إليها بالمغضوب عليهم ولا الضالين. وتعريف منازل الطريق، كما أشار إليه ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعينُ** ﴾[1].

وإنما كان لا يشكل، لأنه ليس الذكر بالصريح، كالإشارة والتلويح، كما سيأتي في الفرق بين سورتي الإخلاص: الكافرون، وقل هو الله أحد.

قال الإمام ناصر الدين بن الميلق[2]: دلالات القرآن الكريم، إما أن تكون بالمطابقة، أو بالتضمن، أو بالالتزام.

وهذه السورة تدل على جميع مقاصد[3] القرآن بالتضمن والالتزام، ولا تدل على جميعها بالمطابقة.

والاثنان من الثلاثة: ثلثان.

وأيضاً: الحقوق ثلاثة: حق الله على عباده، وحق العباد على الله، وحق بعض العباد على بعض.

وقد اشتملت الفاتحة ـ صريحاً ـ على الحقين الأولين، فناسب كونها

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥.

(٢) هو محمد بن عبد الدايم بن سلامة، بن بنت الميلق، ويقال له: ابن الميلق تولى قضاء، الشافعية في شعبان سنة ٧٨٩ ه في عهد السلطان برقوق. وتوفي عام ٧٩٨ هـ. وكان مولده عام ٧١٢ هـ.
راجع: حسن المحاضرة ٢/١١٥. ابن اياس ١/٢٦٧.

(٣) في م: مقاصد جميع القرآن.

بصريحها ثلثين، وحديث «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»[1]، شاهد لذلك. والله أعلم.

ولأبي عبيد بسند رجاله ثقات، عن أبي المنهال سيَّار بن سلامة، أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سقط[2] عليه رجل من المهاجرين، وعمر يتهجد من الليل، يقرأ بفاتحة الكتاب لا يزيد عليها، ويكبر ويسبح، ثم يركع ويسجد، فلما أصبح الرجل ذكر ذلك لعمر، فقال عمر: لأمك الوَيْلُ، أليست تلك صلاة الملائكة؟.

كيف كانت قراءة النبي ﷺ للقرآن

وللبخاري وأبي داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة، عن قتادة أنه سأل أنساً رضي الله عنه، عن قراءة رسول الله ﷺ، فقال: كان يَمُدُّ مداً ثم قرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم[3].

وللطبراني في الكبير - قال الهيثمي: ورجاله ثقات[4] - عن مسعود بن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠.
ومسلم: كتاب الصلاة، باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٤/١٠٣. كلاهما عن أبي هريرة.

(٢) أنصت إليه مختبئاً.
راجع: تهذيب اللغة ٨/٣٩٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب الترتيل في القرائة ٦/٢٤١.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٣. حديث رقم ١٤٦٥.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب مد الصوت بالقراءة ١٧٩٢.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ١/٤٣٠ حديث رقم ١٣٥٣.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥٥.

يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يُقرىء رجلًا، فقرأ الرجل: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[1] مرسلة[2]، فقال ابن مسعود: ما هكذا أَقْرَأَنِيها رسول الله ﷺ، فقال: كيف أَقْرَأَكَها يا أبا عبد الرحمن؟. قال: أقرأنيها: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» بمدودها.

وروى الطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه[3] ـ عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ المد، فيس فيه ترجيع[4].

ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى، حتى يصبح ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مُفَسَّرة حرفاً حرفاً[5].

ولعبد الرزاق عن ابن التيمي، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الحمد ثلاث مرات[6].

وللترمذي من رواية ابن أبي مليكة[7]، عن أم سلمة رضي الله عنها

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠.

(٢) أي قراءة غير مرتلة، لم يراع فيها أحكام القراءة من المد والغن ونحوهما.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٤) قال القرطبي في التذكار ص ١٠٦: الترجيع في القراءة: ترديد الحروف كقراءة النصارى، والترتيل في القراءة هو: التأني فيها والتمهل، وتبيين الحروف والحركات. اهـ.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٣. حديث رقم ١٤٦٦.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ ٥/١٨٢ حديث رقم ٢٩٢٣.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت ٢/١٨١.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٨٣ حديث رقم ٦٠٣٧.

(٧) هو عبد الله بن عبد الله، بن عبد الله، بن جدعان بن أبي مليكة ـ مصغراً ـ قال =

قالت: كان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف الرحمن الرحيم، ثم يقف، وكان يقرؤ ها مَلِكِ يوم الدين.

وقال: هذا حديث غريب[1].

وأخرجه أحمد وأبو داود فقالا: قالت: قراءة رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين (يُقَطِّعُ)[2] قراءته، آيةً، آية[3].

وروى الإمام أبو يعقوب البويطي[4] عنها رضي الله عنها قالت: كان ﷺ (يقرأ)[5] في الصلاة «بسم الله الرحمن الرحيم» آية، الحمد لله رب العالمين - آيتين - الرحمن الرحيم، ثلاثة. مالك يوم الدين. أربعة.

وعد السهروردي في كتابه «المصباح» إلى «الضالين».

وكذا فعل أبو عبد الله أحمد بن محمد، المعروف بابن أوس المقرىء[6]

= الحافظ في التقريب ١/٤٣١: يقال: اسم أبي مليكة زهير التيمي المدني أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ.

(١) صحيح الترمذي: كتاب القراءات، باب في فاتحة الكتاب ٥/١٨٥. حديث رقم ٢٩٢٧.

(٢) في د: يقرأ.

(٣) مسند الإمام أحمد ٦/٣٠٢.
وسنن أبي داود: كتاب الحروف والقراءات ٤/٣٧ حديث رقم ٤٠٠١.

(٤) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي - نسبة إلى بويط من قرى الصعيد بمصر - فقيه، من كبار أصحاب الشافعي، امتحن في فتنة القول بخلق القرآن، وحُمل إلى بغداد مقيداً، وطلب منه القول بأن القرآن مخلوقٌ فامتنع، فسجن، وظل بالسجن إلى أن مات في سنة ٢٣١ هجرية.
راجع: طبقات الشافعية الكبرى ١/٢٧٥.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ١/١٠٧.
قال في معجم المؤلفين ٢/٨٤: كان حَيّاً سنة ٣٤١ هجرية.

في كتابه «الوقف والابتداء» فعد إلى «الضالين». وأسند ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها من طريق ابن جريج[1].

وزاد بعد قوله: «الضالين» يقطع قراءته حرفاً حرفاً، ويمد حتى بلغ سبعاً[2].

الدليل على أن البسملة آية من الفاتحة

وذكر الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها ابنُ خزيمةَ في صحيحه ولفظه: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة أول الفاتحة «بسم الله الرحمن الرحيم» فعدها آية. «الحمد لله رب العالمين» آيتين، «الرحمن الرحيم» ثلاث آيات «مالك يوم الدين» أربع آيات. وقال: هكذا «إيَّاكَ نعبدُ وايَّاكَ نستعين» وجمع خمس أصابعه[3].

فقد تبين أن العدد كان بالأصابع، زيادة على الوقف.

ورواه ـ أيضاً ـ البيهقي[4]، والطحاوي[5].

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المكي. قال ابن حجر في التقريب ١/ ٥٢٠: ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل.

(٢) قال القرطبي في التذكار ص ٩٥: قول أم سلمة: «كان يقطع قراءته» يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه عليه السلام من القرآن، وانما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة التقطيع، أو لأنها أم القرآن فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها، كما يعني قراءتها في الصلاة عن قراءة غيرها لجواز الصلاة بها، والا فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهر الحديث، وتقطيع القراءة آية آية أولى عندنا من تتبع الأغراض والمقاصد، والوقوف عند انهائها لحديث أم سلمة رضي الله عنها. اهـ.

(٣) صحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية تامة من الفاتحة ١/ ٢٤٨ حديث رقم ٤٩٣.

(٤) سنن البيهقي ٢/ ٤٤.

(٥) شرح معاني الآثار للطحاوي ١/ ١٩٩.

وأسند أبو عمرو الداني في كتابه «البيان في عدد آي القرآن» مستدلاً على العدِّ في الصلاة باليسار، عن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يُعُدُّ: بسم الله الرحمن الرحيم - آية فاصلة - الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

وكذلك كان يقرؤها: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم** ﴾، إلى آخرها سبع، وعقد بيده اليسرى، وجمع كفيه[1].

وروى أبو داود، وابن خزيمة، والدار قطني وقال: رجال إسناده كلُّهم ثقات وهو إسناد صحيح، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا قرأ يُقَطِّع قراءته آية، آية[1].

وفي رواية: يُقَطِّع قراءته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالكِ يوم الدين.

(وكذلك[4] كان يقرؤها: إيَّاك نعبدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[5].

وروى الداني في بيانه من طريق ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن[1] أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ

---

(١) البيان لأبي عمرو الداني: ورقة ٢٢ ب.

(١) سنن أبي داود: كتاب الحروف والقراءات ٣/٣٧ حديث رقم ٤٠٠١.
وصحيح ابن خزيمة: أبواب صلاة التطوع بالليل، باب الترتل بالقراءة في صلاة الليل ٢/١٨٨ حديث رقم ١١٥٨.
وسنن الدار قطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك ١/٣١٢.
والمستدرك: كتاب الصلاة ١/٢٣٢.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٢٣٢.

(٤) في د: ابن. وهو خطأ. وراجع: ترجمة عبد الله بن أبي ملكية في تقريب التهذيب ١/٤٣١.

فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، إليآخرها سبع يا أم سلمة.

وروى عبد الرزاق في جامعه، وأبو عبيد في الفضائل، عن ابن جريج (قال)[1]: أخبرني أبي، أن سعيد بن جبير (رضي الله عنه)[2] أخبره أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني»[3] أمُّ القرآن. وقرأها عليَّ كما قرأتها عليك[4]، ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» الآية السابعة، قال ابن عباس: وقد أخرجها الله لكم، فما أخرجها لأحد قبلكم[5].

قال عبد الرزاق: قرأها علينا ابن جريج: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية. الحمد لله رب العالمين، آية. الرحمن الرحيم، آية. مالك يوم الدين، آية. إياك نعبد وإياك نستعين، آية. اهدنا الصراط المستقيم، آية. صراط الذين أنعمت عليهم، إلى آخرها[6].

زاد أبو عبيد قال: فقلت لأبي: فأخبرك سعيد أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من القرآن؟. قال: نعم[7].

---

(١) زيادة عن مصنف عبد الرزاق.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) سورة الحجر آية ٨٧.

(٤) في المصنف: وقرأتها على سعيد كما قرأتها عليك.

(٥) لعله يعني بذلك سورة الفاتحة، كما جاء في الأحاديث، أما إن كان يعني البسملة فغير متجه، فقد جاء في القرآن أن سليمان عليه السلام افتتح بها كتابه الذي أرسله إلى بلقيس ملكة سبأ.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ٢/٩٠. حديث رقم ٢٦٠٩.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٥٠.

(٧) ربما كان السؤال عن كونها آية من الفاتحة، أما كونها بعْضَ آية من القرآن فهذا مقطوع به لورودها صريحة في سورة النمل.

وروى ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ قال: هي فاتحة الكتاب. قيل: فأين السابعة؟. قال: بسم الله الرحمن الرحيم[1].

قال النووي في شرح المهذب[2]: وفي سنن البيهقي عن علي، وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم، رضي الله عنهم: أن الفاتحة هي السبع المثاني، وهي سبع آيات، وأن البسملة هي الآية السابعة.

وفي سنن الدار قطني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأتم الحمد، فاقرأوا «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثانى، وبسم الله الرحمٰن الرحيم، إحدى آياتها[3].

قال الدارقطني: رجال إسناده كُلهم ثقات، وروى موقوفاً.

وفي سنن الدارقطني ـ أيضاً ـ أن النبي ﷺ قال لبريدة رضي الله عنه: بأي شيء تستفتح القرآن، إذا افتتحت الصلاة؟. قال: قلت: ببسم الله الرحمن الرحيم، (قال[4]: هي هي، ثم خرج)[5].

---

(١) سنن البيهقي: كتاب الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية تامة من الفاتحة ٢/٤٤.
ولم أعثر عليه في صحيح ابن خزيمة /ط المكتب الاسلامي سنة ١٤٠٠ اهـ.

(٢) المجموع ٣/٣٣٧، والسنن الكبرى للبيهقي ٢/٤٥.

(٣) سنن الدار قطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك ١/٣١٢ حديث رقم ٣٦ من الباب.

(٤) زيادة عن سنن الدار قطني.

(٥) سنن الدار قطني: الكتاب والباب السابقين ١/٣١٠ حديث رقم ٢٩.
وأصرح منه: ما أخرجه عن علي ١/٣٠٢ وجابر ١/٣٠٨: أن النبي ﷺ قال: كيف تقرأ إذا قمت الى الصلاة؟. قلت: الحمد لله رب العالمين، قال: قل: بسم الله الرحمن الرحيم.

وروى النسائي في سننه، وابن خزيمة في صحيحه، عن نعيم بن عبد الله المُجْمِر[1] قال: صليت وراء أبي هريرة رضي الله عنه فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأم القرآن، حتى إذا بلغ «ولا الضالين» قال: آمين، قال الناس: آمين، ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنين قال: الله أكبر، ثم يقول إذا سلَّم: والذي نفسي بيده، إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ[2].

قال النووي: ورواه[3] (أبو حاتم)[4] ابن حبان في صحيحه، والدرقطني في سننه وقال: هذا حديث صحيح (ورواته[5] كلهم ثقات)[6]، (ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيح، وقال)[7]: على شرط البخاري ومسلم[8]. واستدل به الحافظ والبيهقي في كتاب «الخلافيات» ثم قال: ورواة هذا الحديث كلهم ثقات، مُجْمَع على عدالتهم، محتج بهم في الصحيح[9].

ورواه الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه كان إذا قرأ وهو يؤم الناس، افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم[10].

---

(١) قال الحافظ في التقريب ٢/٣٠٥: مولى آل عمر، يعرف بالمجمر ـ بسكون الجيم وضم الميم الأولى وكسر الثانية ـ وكذا أبوه، ثقة. اهـ.
(٢) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ٢/١٣٤ وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب الجهر ببسم الله والمخافتة به جميعها مباح ١/٢٥١ حديث رقم ٤٩٩.
(٣) في المجموع: وأخرجه.
(٤) زيادة عن المجموع.
(٥) زيادة عن سنن الدار قطني والمجموع.
(٦) سنن الدار قطني ١/٣٠٥ حديث رقم ١٤.
(٧) ما بين القوسين ساقط من الأصل وزدناه عن المجموع.
(٨) المستدرك: كتاب الصلاة، باب حديث الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١/٢٣٢.
(٩) المجموع للنووي ٣/٣٤٥.
(١٠) سنن الدار قطني ١/٣٠٧ حديث رقم ٢٠.

وفي رواية: أن النبي ﷺ كان إذا أمَّ الناس، قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم[1].

وفي رواية: جهر ببسم الله الرحمن الرحيم[1].

قال أبو هريرة: وهي آية من كتاب الله، أقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب، فإنها الآية السابعة[2].

وفي رواية: أن النبي ﷺ كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، ويأمر به.

قال الدارقطني: رجال إسناده كلهم ثقات[3].

وروى الدارقطني في السنن، والحاكم في المستدرك وقال: هذا إسناد صحيح وليس له علة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[4].

وفي رواية الدارقطني ـ قال: إسنادها صحيح، ليس في روايته مجروح[5] ـ: أن النبي ﷺ جهر ببسم الله الرحمن الرحيم[6].

وفي رواية أخرى رواها الترمذي والدارقطني: كان النبي ﷺ يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم[7].

---

(١) (٢) (٣) سنن الدار قطني ١/٣٠٦.

(٤) سنن الدار قطني ١/٣٠٢.
والمستدرك ١/٢٣٢، ٢٣٣ من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك.

(٥) هذه الجملة ليست في سنن الدار قطني، وانما هي في المجموع للنووي ٣/٣٤٧ منسوبة إلى الدار قطني، فربما نقلها الشيخ عن المجموع دون الرجوع للدار قطني، أو أن مرد ذلك إلى خلاف في نُسخ سنن الدار قطني.

(٦) سنن الدار قطني ١/٣٠٣.

(٧) صحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١/١٥٥ حديث رقم ٢٤٥ وقال: ليس إسناده بذاك.
وسنن الدار قطني ١/٣٠٤.

وروى الدارقطني بسند ـ قال: رواته كلهم ثقات ـ عن عبد خير قال: سئل عليٌّ رضي الله عنه، عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين، فقيل: إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية[1].

ولصاحب الفردوس عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، سبَّحت معه الجبال، إلا أنه لا يسمع ذلك منها.

ولأبي عبيد عن سعيد بن المسيب: أنَّ كِتَابَ النبي ﷺ أتى قيصر فقرأه، فقال: إن هذا الكتاب لم أره بعد سليمان بن داود: بسم الله الرحمن الرحيم.

وروىٰ أبو عبيد عَدَّها آيةً من الفاتحة، عن محمد بن كعب القرظي[2] وغيره.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ جهر ببسم الله الرحمن الرحيم [3].

---

(١) سنن الدار قطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك ١/٣١٣ حديث رقم ٤٠.

(٢) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، المدني، أقام بالكوفة مدة من حياته.

قال الحافظ في التقريب ٢/٢٠٣: ثقة عالم، من الثالثة، ولد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال: ولد في عهد النبي ﷺ، فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة. اهـ.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١/٢٤٥. قال الترمذي: وليس إسناده بذاك.

هذا وقد تعددت الأقوال والمذاهب حول البسملة، أهي آية من الفاتحة أو ليست آية منها، كما اختلفت الأقوال في مكانها من السور، مع الاجماع بأنها من القرآن. وأنها جزء آية من سورة النمل، وقد أطال الفقهاء وأكثروا من القول فيها، وتبعهم المفسرون وغيرهم، وخير ما كتب في هذا الموضوع ما رأيته من كلام الشيخ محمد =

. . . .

رشيد رضا في تفسير المنار، فقد جمع أطراف الموضوع ولَمّ شتاته. ووازن بن الأدلة، مشيراً إلى آراء المذاهب فيه. وها أنا أنقله بتمامه للاستفادة به في هذا الموضوع، قال رحمه الله في تفسيره ١/٧٠/ط. الشعب:

وأما كون البسملة آية من الفاتحة، فأقوى الحجج المثبتة له: كتابتها في المصحف الإمام الرسمي الذي وزع نسخه الخليفة الثالث على الأمصار برأي الصحابة وأجمعت عليه الأمة، وكذا جميع المصاحف المتواترة إلى اليوم، والخط حجة علمية كما قال العلامة العضد، وعليه جميع شعوب العلم والمدنية في هذا العصر، لا حجة عندهم أقوى من حجة الكتابة الرسمية، ثم إن إجماع القراء على قراءتها في أول الفاتحة، وان زعم بعضهم أنها آية مستقلة، فإن هذا رأى والعبرة بالعمل، وهو إذا كان عاماً مطرداً من أقوى الحجج، على أن تواترها عن واحد منهم تقوم به الحجة على باقيهم وعلى سائر الناس، فإنه إثبات بالتواتر لا يعارضه نفي ما.

وقد كنا ذكرنا هذه المسألة وآراء أهل الخلاف فيها، ونزيدها إيضاحاً فنقول: وقد وردت أحاديث أحادية في إثبات ذلك ونفيه ترتب عليها اختلاف الفقهاء الذين جعلوا المسألة مسألة مذاهب، ينصر كل حزب منهم أهل المذهب الذي ينسبون إليه «كل حزب بما لديهم فرحون»، ولولا ذلك لاتفقوا، لأن إثبات البسملة في أول الفاتحة في جميع المصاحف المجمع عليها المتواترة حجة قطعية لا تعارض بأحاديث الآحاد وان صح سندها.

وأصرح الأحاديث التي استدلوا بها على كون البسملة ليست آية من الفاتحة ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خداج، يقولها ثلاثاً ـ أي كلمة فهي خداج ـ، أي ناقصة غير تامة، كالناقة تلد لغير تمام ـ فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام؟. فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قالالعبد: «الحمد لله رب العالمين» قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله: أثني على عبدي، فإذا قال: «مالك يوم الدين» قال: مجدني عبدي ـ وقال مرة: فوض إلى عبدي ـ وإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل. =

. . . .

= قال النافون: إن الحديث يدل على أن البسملة ليست من الفاتحة لأنها لو كانت منها لذكرت في الحديث.

وهو استدلال سلبي لا يعارض القطعي المتواتر، وهو إثباتها في المصحف واجماع القراء على قراءتها معها عند البدء بالختمات، وثبوت التواتر بذلك على أن عدم ذكرها في الحديث قد يكون لسبب اقتضى ذلك.

ومما يخطر في البال بداهة: أنه كما اكتفى من قسمة الصلاة بالفاتحة دون سائر التلاوة والأذكار والأفعال، اكتفى من الفاتحة بما لا يشاركها فيه غيرها من السور، إذ البسملة آية من كل سورة غير براءة على التحقيق الذي يدل عليه خط المصحف، وثم سبب آخر لعدم ذكر البسملة في القسمة وهو: أنه ليس فيها إلا الثناء على الله تعالى بوصفه بالرحمة، وهو معنى مكرر في الفاتحة وذكر في القسمة.

والعمدة في عدم المعارضة: أن دلالة الحديث ظنية سلبية، واثبات البسملة إيجابي وقطعي، كما تقدم، وإذا كان من علل الحديث المانعة من وصفه بالصحة: مخالفة رواية من الثقات، فمخالفة القطعي من القرآن المتواتر أولى بسلب وصف الصحة عنه، على أن هذا الحديث هو المعارض بالأحاديث المثبتة لكون البسملة من الفاتحة.

واستدلوا أيضاً بحديث أبي هريرة المرفوع عند أحمد وأصحاب السنن قال: إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: «تبارك الذي بيده الملك».

قالوا: وانما هي ثلاثون بدون البسملة.

وأجيب بمثل ما قلناه آنفاً من أن عدد آيات السور باعتبار ما هو خاص بالسورة وهو ما دون البسملة، ويؤيده ما روى عن أبي هريرة من أن سورة الكوثر ثلاث آيات.

وقد روى أحمد ومسلم والنسائي من حديث أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟. فقال: نزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر.

وهذا الحديث ناطق بأن البسملة من سورة الكوثر، مع عدم عدها من آياتها لما ذكرنا، فكونها آية من الفاتحة أولى، وهو أصح من حديث أبي هريرة في سورة الملك، لأن البخاري أعله بأن عَبَّاساً الجشمي لا يعرف سماعه من أبي هريرة.

واستدلوا بالأحاديث الواردة في عدم قراءة النبي ﷺ وخلفائه لها في الصلاة، وأصرحها قول عبد الله بن مغفل: صليت مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر، ومع عثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقولها، يعني البسملة. =

. . . .

= رواه أحمد والترمذي وحسنه النسائي وابن ماجة عن عبد الله بن مغفل وهو مجهول، فقد كان له سبعة أولاد، وهذه علة تمنع صحة الحديث. وقد تفرد به الحريري. وقيل: إنه قد اختلط بآخره، وقد يفسر بما ترى فيما قالوه في الحديث الذي بعده.

وفي معناه حديث أنس في احدى الروايات قال: صليت مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم».

رواه أحمد ومسلم.

قال في المنتقى: وفي لفظ «صليت خلف النبي ﷺ وخلف أبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم».

رواه أحمد والنسائي بإسناد على شرط الصحيح.

ولأحمد ومسلم: صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة، ولا آخرها.

ولعبد الله بن أحمد في مسند أبيه عن شعبة، عن قتادة عن أنس قال: صليت خلف رسول الله وخلف أبي بكر وعمر وعثمان، فلم يكونوا يستفتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم.

قال شعبة: قلت لقتادة: أنت سمعته من أنس؟. قال: نعم نحن سألناه عنه.

وللنسائي عن منصور بن زاذان عن أنس قال: صلي بنا رسلو الله ﷺ فلم يُسْمِعْنَا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى بنا أبو بكر وعمر فلم نسمعها منهما.

قال الشوكاني في شرح الحديث: ورواية «فكانوا لا يجهرون» أخرجها ـ أيضاً ـ ابن حبان والدار قطني والطحاوي والطبراني.

وفي لفظ لابن خزيمة: «كانوا يسرون».

وقوله: «كانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين» هذا متفق عليه، وانما انفرد مسلم بزيادة «لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم». وقد أعل هذا اللفظ بالاضطراب. وفسر بأن جماعة من أصحاب شعبة رووه عنه به. وجماعة رووه عنه بلفظ: «فلم أسمع أحداً منهم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم». ثم نقل عن الحافظ: أن بعضهم رواه باللفظين، وقد خرَّج كل رواية.

أقول: وقد جمعوا بين الروايات، بأن المراد بالاستفتاح بالحمد: الاستفتاح بهذه السورة، فقد صح التعبير عنها في حديث آخر بجملة «الحمد لله». وبأن عدم سماعها سببه: عدم الجهر بها. =

. . . .

= وقد يكون له سبب آخر وهو البعد عن أول الصف. ومن العادة: أن يكون صوت القارىء خلفتاً في أول القراءة.

وسبب ثالث: وهو اشتغال المأموم عند السماع بالتحرم ودعاء الافتتاح. وقد عورض وأُعِلَّ حديث أنس على اضطراب متنه بما يأتي عنه من مخالفته له في صفة قراءة النبي ﷺ، وبما رواه الدار قطني وصححه عن أبي سلمة، قال: سألت أنس بن مالك: «أكان رسول الله ﷺ يستفتح بالحمد لله رب العالمين، أو ببسم الله الرحمن الرحيم؟.

فقال: إنك سألتني عن شي ما أحفظه، وما سألني عنه أحد قبلك.

فقلت: أكان رسول الله ﷺ يصلي في النعلين؟. قال: نعم. قالوا: وعُرُوضُ النسيان في مثل هذا غير مستنكر. فقد حكى الحازمي عن نفسه أنه حضر جامعاً، وحضره جماعة من أهل التمييز المواظبين في ذلك الجامع، فسألهم عن حال إمامهم في الجهر والإخفات ـ قال: وكان صيّتاً يملأ صوته الجامع ـ فاختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: يجهر، وقال بعضهم يخفت.

أقول: ولم يختلف هؤلاء المصلون في صلاة واحدة، بل في جميع الصلوات وسبب ذلك الغفلة، والناس عرضة لها، ولا سيما الغفلة عن أول صلاة الإمام إذ يكون المأمومون مشغولين بمثل ما يشغله من الدخول فيها، وقراءة دعاء الافتتاح، كما تقدم آنفاً.

وأما أحاديث إثبات كون البسملة من الفاتحة، فمنها:

ما رواه البخاري عن قتادة قال: سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟. فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم.

وروى عنه الدارقُطْني من طريقين: أن النبي ﷺ كان يجهر بالبسملة.

ومنها: حديث أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقطع قراءته آية، آية: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين.

رواه أحمد وأبو داود بهذا اللفظ، وغيرهما.

ومنها: ما رواه النسائي وغيره، عن نعيم المُجْمِر، قال: صليت وراء أبي هريرة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأم القرآن. وفيه: يقول إذا سلَّم: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ.

وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وقال: على شرط البخاري ومسلم، وأقره الحافظ الذهبي. =

. . . .

= وقال البيهقي: صحيح الإسناد، وله شواهد.
وقال أبو بكر الخطيب فيه: ثابت صحيح، لا يتوجه عليه تعليل.
وروى عن أبي هريرة حديثان آخران بمعناه، وثق بعضهم جميع رجالهما وتكلم بعضهم في بعضهم.
ومنها: حديث علي رضي الله عنه سئل عن السبع المثاني. فقال: الحمد لله رب العالمين. قيل: إنما هي ست؟. قال: بسم الله الرحمن الرحيم آية.
رواه الدار قطني، واسناده كلهم ثقات، لم يطعنوا في أحد منهم.
وله حديثان آخران عنه وعن عمار بن ياسر في إثبات جهر النبي ﷺ بالبسملة في صلاته، قد تكلموا في سندهما.
ومنها: حديث أنس: سمعت رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.
رواه الحاكم وقال: ورواته عن آخرهم ثقات.
وأقره الحافظ الذهبي.
وقد أورد الشوكاني في نيل الأوطار هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها من الروايات الضعيفة الأسانيد، الصحيحة المتون، وذكر حمل الروايات الصحيحة من أحاديث النفي، المعارضة لها، على عدم الجهر بالبسملة، من باب حمل المطلق على المقيد، وهو ترك الجهر. ثم قال:
واذا كان محصّل أحاديث نفي البسملة هو نفي الجهر بها، فمتى وجدت رواية فيها إثبات الجهر، قدمت على نفيه.
قال الحافظ ابن حجر: لا بمجرد تقديم رواية المثبت على النافي - أي كما هي القاعدة - لأن أنساً يبعد جداً أن يصحب النبي ﷺ مدة عشر سنين، ويصحب أبا بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين سنة، فلا يسمع منهم الجهر بها في صلاة واحدة، بل لكون أنس اعترف بأنه لا يحفظ هذا الحكم، كأنه لبعد عهده به لم يذكر منه إلا الجزم بالافتتاح بالحمد لله جَهْراً فلم يستحضر الجهر بالبسملة، فيتعين الأخذ بحديث من أثبت الجهر. اهـ.
أقول: وقد تقدم نص الرواية عنه بنسيان هذا الحكم آنفاً، فعد حديثه مضطرباً، لا يحتج به.
قال الحافظ ابن عبد البر بعد سرده روايات حديثه في الاستذكار: هذا الاضطراب لا تقوم معه حجة. وقد سئل عن ذلك أنس فقال: كبرت سني ونسيت. اهـ.
وقد روى الطبراني في الكبير والأوسط في سبب ترك النبي ﷺ للجهر بالبسملة في =

= الصلاة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه ﷺ كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. وكان المشركون يهزءون بمكاء وتصدية، ويقولون: محمد يذكر إله اليمامة، وكان مسيلمة الكذاب يسمى رحمن، فأنزل الله «ولا تجهر بصلاتك» فتُسمع المشركين فيهزأوا بك. «ولا تخافت بها» عن أصحابك فلا تسمعهم.

وقد قال في مجمع الزوائد: إن رجاله موثقون.

وقال الحكيم الترمذي: فبقي ذلك إلى يومنا هذا على ذكر الرسم، وان زالت العلة.

وجمع به القرطبي بين الروايات.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: إن النبي ﷺ كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة، ويخفيها أكثر مما جهر به... الخ.

وهذا القول معقول، وإذا صح أن سببه ما رواه الطبراني، واعتمده القرطبي والنيسابوري والحكيم الترمذي، يكون ترك الجهر في أول الاسلام بمكة وأوائل الهجرة، والجهر فيها بعده.

وقد علمت ما في حديثي أنس وأبي قتادة المخالفين لهذا، ولا يغرن أحداً قول العلماء: إن منكر كون البسملة من الفاتحة، أو من كل سورة، لا يكفر ومثبتها لا يكفر لتأويله الدليل القطعي بشبهة المعارضة التي تقدمت، وبينا ضعفها، وسنزيده بياناً، والشبهة تَدْرَأ حَدَّ الردة.

وجملة القول: أن اختلاف الروايات الأحادية في الاسرار بالبسملة والجهر بها قوي. وأما الاختلاف في كونها من الفاتحة، أو ليست منها، فضعيف جداً جداً، وان قال به بعض كبار العلماء ذهولاً عن رسم المصحف الإمام القطعي المتواتر، والقراءات المتواترة التي لا يصح أن تعارض بروايات أحادية أو بنظريات جدلية، وأصحاب الجدل يَجْمَعُون بين الغث والسمين، وبين الضدين والنقيضين. وصاحب الحق منهم يشتبه بغيره، وربما يظهر عليه المبطل بخلابته، إذا كان ألحنَ بحجته.

وقد ذكر الرازي في تفسيره سبع عشرة حجة على إثبات كون البسملة من الفاتحة منها القوية والضعيفة. وتصدي له الألوسي محاولاً دحضها تعصباً لمذهبه الذي تنحله في الكبر، إذ كان شافعياً فتحول حنفياً، تقرباً إلى الدولة وصرح بهذا التعصب، إذ قال هنا: على المرء نصرة مذهبه، والذب عنه... الخ.

وهذه كبرى زلاته المثبتة لعدم استقلاله، بعدم طلبه الحق لذاته، حتى إنه مَارَى في حجة إثبات البسملة في أولها بخط المصحف المتواتر، فجعلها دليلاً على كونه من القرآن، دون كونها من الفاتحة. وهو من تمحل الجدل، فلا معنى لكونها آية مستقلة في القرآن ألحقت بسوره كلها. =

. . . .

إنه لقول واهٍ تبطله عبادتهم وسيرتهم، وينبذه ذوقهم، لولا فتنة الروايات والتقليد. فتعارض الروايات اغتر به أفراد مستقلون، وبالتقليد فتن كثيرون ولله في خلقه شئون.

على أن الألوسي حكّم وجدانه، واستفتى قلبه، في بعض فروع المسألة فأفتاه بوجوب قراءة الفاتحة والبسملة في الصلاة، وخانه في كونها آية منها وأورد في حاشية تفسيره على ذلك إشكالاً استكبره جد الاستكبار، وما هو بكبير.

قال في تفسيره روح المعاني: وبالجملة يكاد أن يكون اعتقاد كون البسملة جزءاً من سورة من الفطريات، كما لا يخفي على من سلم له وجدانه، فهي آية من القرآن مستقلة، ولا ينبغي لمن وقف على الأحاديث أن يتوقف في قرآنيتها، أو ينكر وجوب قراءتها، ويقول بسنيتها، فوالله لو ملئت لي الأرض ذهباً، لا أذهب إلى هذا القول، وان أمكنني بفضل الله توجيهه.

وقال الشيخ رشيد رضا: والجواب الحق: أنه لم ينف أحد من القراء كون البسملة من الفاتحة نفياً حقيقياً برواية متواترة عن المعصوم ﷺ، تصرح بأنها ليست من الفاتحة، كما يقول بعض الناس بشبهة عدم رواية بعض القراء لها، وشبهة تعارض الروايات الأحادية التي ذكرنا أقواها، والمخرج منها، أو ليست إلا جزء آية من سورة النمل، كما زعم من لا شبهة لهم على النفي تستحق أن يجاب عنها.

وانما أثبت بعض القراء بالروايات المتواترة: أن البسملة آية من الفاتحة، وبعضهم لم يرو ذلك بأسانيده المتواترة، وعدم نقل الإثبات للشيء ليس نفياً لذلك الشيء، لا رواية، ولا دراية. وأعم من هذا: ما قاله العلماء، من أن بين عدم إثبات الشيء، وبين إثبات عدمه، بوناً بعيداً، كما هو معلوم بالضرورة.

ولو فرضنا أن بعضهم روى التصريح بالنفي، لجزمنا بأن روايته باطلة، سببها: أن بعض رجال سندها اشتبه عليه عدم الإثبات بإثبات النفي، إذ يستحيل عقلاً أن يكون الأمران المتناقضان قطعيين معاً. ورواية الإثبات لا يمكن الطعن فيها. وناهيك وقد عززت بخط المصحف الذي هو بتواتره ـ خطاً وتلقيناً ـ أقوى من جميع الروايات القولية، وأعصى على التأويل والاحتمال.

وأما القول بأنها آية مستقلة بين كل سورتين للفصل بينهما ما عدا الفصل بين سورتي الأنفال وبراءة، فما هو إلا للجمع بين الروايات الأحادية الظنية المتعارضة.

ويمكن الجمع بغيره مما لا إشكال فيه، إذ لو كانت البسملة للفصل بين السور لم توضع في أول الفاتحة، ولم تحذف من أول براءة للعلة التي ذكرناها عنهم في هذا البحث. =

فضل «آمين» بعد الفاتحة

وفي الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ فاتحة الكتاب، ثم يقول: آمين، لم يبق في السماء مَلَكٌ مقرب، إلا استغفر له.

ولمسلم، وأبي داود، والنسائي، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صليتم فأقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبَّر فكبِّروا، فإذا قرأ فأنصتوا، وإذا قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين، يجبكم الله(١).

ولأبي داود وهذا لفظه، والترمذي وقال: حسن، عن سمرة (بن جندب)(٢) رضي الله عنه، أنه حفظ من رسول الله ﷺ سكتتين: (سكتة إذا

= فهي لا تتحقق إلا اذا كانت البسملة من السورة وزد على ذلك ما أوردناه من المعاني والحكم في بدء القراءة بها، وما صح مرفوعاً من كونها هي السبع المثاني.
انتهى كلام الشيخ رشيد رضا.

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة ٤/١١٩.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التشهد ١/٣٥١ حديث رقم ٩٧٢.
وسنن النسائي: كتاب الامامة، باب مبادرة الإمام ٢/٩٦.
وقوله: ﴿فإذا قرأ فأنصتوا﴾ ليست في هذه الرواية، وانما وردت في حديث آخر عند أبي داود: كتاب الصلاة، باب الإمام يصلي من قعود ١/٢٣٣ حديث رقم ٦٠٤.
والنسائي: كتاب الافتتاح، باب إذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا ٢/١٤٢ كلاهما من حديث أبي هريرة عن زيد بن أسلم.
قال أبو داود: وهذه الزيادة ﴿فإذا قرأ فانصتوا﴾ ليست بمحفوظة.
وقال النسائي: كان المُخَرِّمِيّ يقول: هو ثقة، يعني: محمد بن سعد الأنصاري.
ومحمد بن سعد الأنصاري هذا أحد رجال السند عند النسائي، وهو غير موجود في سند أبي داود.
قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/١٦٤: محمد بن سعد الأنصاري الأشهلي أبو سعد المدني، نزيل بغداد، صدوق، مات على رأس المائتين.

(٢) زيادة عن: د.

كبَّر)[1] وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، وصدقه على ذلك أبي بن كعب رضي الله عنه[2].

وروى الشيخان وغيرهما ـ وهذا لفظ (البخاري) [3] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا قال الإمام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، فقولوا : آمين ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه [4] .

---

(١) زيادة عن سنن أبي داود.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب السكتة عند الافتتاح ٢٠٧/١ حديث رقم ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩.

وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في السكتتين ١٥٨/١ حديث رقم ٢٥١.

وأصل الحديث ـ واللفظ لأبي داود ـ: أن سمرة بن جندب وعمران بن حصين تذاكرا، فحدّث سمرة أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتةً إذا كبر، وسكتةً إذا أفرغ من قراءة «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فحفظ ذلك سمرة، وأنكر عليه عمران بن حصين، فكتبا في ذلك إلى أبي بن كعب، وكان في رده عليهما: أن سمرة قد حفظ.

والحكمة من سكتته ﷺ بعد التكبير: أنه كان يدعو بعد تكبيرة الإحرام.

ففي سنن أبي داود ٢٠٧/١ أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبر في الصلاة سكت بين التكبير والقراءة، فقلت له: بأبي أنت وأمي، أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة؟. أخبرني ما تقول؟. قال: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم أنقني من خطاياي كالثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالثلج والماء والبَرَدِ.

وأما سكتته بعد قراء الفاتحة، فقال ابن القيم في زاد المعاد ٢٠٨/١: قد قيل: إنها لأجل قراءة المأموم. فعلى هذا ينبغي تطويلها بقدر قراءة الفاتحة.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب جهر المأموم بالتأمين ١٢٩/١.

وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين ١٢٩/٤.

وموطأ مالك: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التأمين خلف الإمام ٨٧/١.

وروى أبو داود ، والترمذي وقال أيضاً : حسن ، عن وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قرأ ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فقال : آمين ، مد بها صوته [١] .

ولابن ماجة بإسناد - قال المنذري : صحيح [٢] - وابن خزيمة في صحيحه ، وأحمد والطبراني في الأوسط ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : ما حسدتكم اليهود (على شيء) [٣] ما حسدتكم على السلام والتأمين [٤] .

= وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام ١/٣٣٩.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب الأمر بالتأمين ٢/١٤٤.

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام ١/٣٤٦ حديث رقم ٩٣٢.
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التأمين ١/١٥٧ حديث رقم ٢٤٨.
قال الترمذي: وروى شعبة هذا الحديث عن سلمة بن كُهَيْل عن حجر أبي العنبس، عن علقمة بن وائل عن أبيه، أن النبي ﷺ قرأ ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقال: آمين وخفض بها صوته.
قال الحافظ ابن القيم في تهذيب السُنن ١/٤٣٨: حديث وائل بن حجر رواه شعبة وسفيان، فأما سفيان فقال: «ورفع بها صوته». وأما شعبة فقال: «وخفض بها صوته».
وفي هذا الحديث أمور أربعة:
أحدها: اختلاف شعبة وسفيان في: «رفع، وخفض».
الثاني: اختلافهما في حجر، فشعبة يقول: حجر أبو العنبس، والثوري يقول: حجر بن عنبس وصوب البخاري وأبو زرعة قول الثوري.
الثالث: أنه لا يعرف حال حجر.
الرابع: أن الثوري وشعبة اختلفا، فجعله الثوري من رواية حجر عن وائل ابن حجر، وشعبة جعله من رواية حجر عن علقمة بن وائل عن وائل. اهـ. كلام ابن القيم.

(٢) الترغيب والترهيب: كتاب الصلاة، باب الترغيب في التأمين خلف الإمام ١/٣٢٨.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) مسند الإمام أحمد ٦/١٣٥. =

ولأبي داود عن أبي زهير النميري [١] رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو . فقال : أَوْجَبَ إن ختم ، فقال رجل من القوم : بأي شيء يختم ؟ . قال : بآمين (فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب) [٢] . قال أبو زهير : آمين مثل الطابع على الصحيفة [٣] .

وللبيهقي في الدعوات ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ جلوساً ، فقال : إن الله عز وجل أعطاني خصالاً ثلاثاً : أعطاني الصلاة في الصفوف ، وأعطاني التحية ، إنها لَتَحِيَّةُ أهل الجنة ، وأعطاني التأمين ولم يعطه أحداً من النبيين قبلي ، إلا أن يكون الله أعطى هارون ، يدعو موسى وهارون يؤمِّن [٤] ، عليهما السلام .

وروى عبدالرزاق في جامعه عن بشر بن رافع ، عن أبي عبدالله ، عن

= وسنن ابن ماجة: كتاب اقامة الصلاة، باب الجهر بآمين ١/٢٨٧ حديث رقم ٨٥٦.

(١) قال الحافظ المنذري في مختصر السنن: قيل: اسمه فلان بن شرحبيل وقال أبو حاتم الرازي: إنه غير معروف بكنيته، فكيف يعرف اسمه. اهـ. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٨٠: أبو زهير بن أسيد بن جعونة ابن الحارث النميري، وفد على النبي ﷺ مع قيس بن عاصم روى عنه عائذ بن ربيعة. اهـ.

(٢) زيادة عن سنن أبي داود.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام ١/٢٤٧ حديث رقم ٩٣٨.

(٤) دعاء موسى وتأمين هارون عليه، مذكور في سورة يونس، في قوله تعالى: ﴿وقال موسى ربّنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليُضِلّوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ ٨٨-٨٩.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٢: ذكر الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمّن، فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ فدل ذلك على أن من أمّن على دعاء فكأنما قاله.

أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان موسى بن عمران عليه السلام إذا دعا أمّن هارون عليه السلام [1] .

قال : وسمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : « آمين » اسم من أسماء الله عزّ وجلّ [1] .

(١) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب آمين ٢/ ٩٩ حديث رقم ٢٦٥١ .

فهرس موضوعات الجزء الأول

الفصل الثاني
التعريف بالكتاب

مَصَاعِدُ النَّظَر

للإشْرَاف عَلى مَقَاصِدْ السُّوَر

تأليف

الحَافِظ المفسّر المؤرّخ برهَان الدين أبي الحسَن
ابراهيم بن عُمر البقـاعي الشـافعي
المتوفى سَنة ٨٨٥ هـ

قدّم لـه وحققه وعَلق عليه وخرج أحَاديثه

الدكتور عبد السَميع محمد أحمد حسَنين
أُستَاذ التفسِير المسَاعِد بجامعَة الإمَام
محمد بن سعُود الاسلاميّة بالريَاض

الجزء الثّاني

مكتبة المعَارف
الرّيَاض

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩

الرياض - المملكة العربية السعودية

مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبي الحسن

ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي

المتوفي سنة ٨٨٥ هـ

قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين

أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام

محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

الجزء الثاني

مكتبة المعارف

الرياض

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩
الرياض - المملكة العربية السعودية

سورة البقرة

مدنية إجماعاً .

قال النجم النسفي [1] : ونزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ [2] وهي آخر آية نزلت .

وقال الشمس الأصفهاني : قال ابن عباس رضي الله عنهما : هذه السورة أول ما نزل بالمدينة ، نزلت في مُدَدٍ شتى .

وقيل : فيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله** ﴾ [2] الآية .

(١) هو أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد، بن علي، بن لقمان، النسفي، نجم الدين، مفسر، لغوي، محدّث، أصولي، فقيه ولد بنسف سنة ٤٦١ هـ، ورحل إلى بغداد، وسكن سمرقند، وبها توفي سنة ٥٣٧ هـ، له: التيسير في تفسير القرآن، وشرح صحيح البخاري.
راجع: معجم المؤلفين ٧/٣٠٥.

(٢) آية ٢٨١.

وقيل : هذه الآية ليست بمدنية ، نزلت يوم النحر في حجة الوداع ، انتهى .

وهو قول من لم يتحقق الفرق الذي تقدم بين المكي والمدني ، على أنه قد حكاه في سورة النساء ولم يعتمده ، ثم حكاه في سورة المائدة واعتمده ، والله الموفق .

وتسمى : السنام ، والذِّروَة ، والزهراء ، والفسطاط

عدد آياتها

وعدد آيها مائتان وثمانون كوفي ، وسبع بصري ، وخمس فيما عداهما .
اختلافها : إحدى عشرة آية .

انفرد الكوفي بعد ﴿ **الم** ﴾ (١) ، والشامي بعد ﴿ **ولهم عذاب عظيم** ﴾ (٢) والبصري بعد ﴿ **إلا خائفين** ﴾ (٣) ، ﴿ **قولاً معروفاً** ﴾ (٤) ، والمدني الأول بعد ﴿ **من الظلمات إلى النور** ﴾ (٥) ، والمدني الأول والمكي بعدٍّ ﴿ **يسئلونك ماذا ينفقون** ﴾ (٦) .

والكوفي والشامي والمدني الأخير بعدٍّ ﴿ **لعلكم تتفكرون** ﴾ (٧) .
والمدني الأخير والبصري والمكي بعدٍّ ﴿ **الحيِ القيومُ** ﴾ (٨) .

وأسقط الشامي ﴿ **مُصْلِحُون** ﴾ (٩) ، والمدني الأول ﴿ **واتقون يا أولي**

---

(١) آية ١ .
(٢) آية ٧ .
(٣) آية ١١٤ .
(٤) آية ٢٣٥ .
(٥) آية ٢٥٧ .
(٦) (٧) آية ٢١٩ .
(٨) آية ٢٥٥ .
(٩) آية ١١ .

الألباب ﴾ (١) والمدني الأخير ﴿ في الآخرة من خَلَاق ﴾ (٢) .

ما يشبه الفاصلة فيها

وفيها مُشْبِهُ الفاصلة (٣) : اثنا عشر .

---

(١) آية ١٩٧ .

(٢) آية ٢٠٠ .

(٣) الفاصلة هي: الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب ليحسن بها الكلام، وليس المراد بها رؤوس الآيات، لأن رأس الآية نهايتها التي توضع بعدها علامة الفصل بين آية وآية، أما الفاصلة فليست تحتاج إلى وضع تلك العلامة، ولذا فقد قيل: كل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين.

والفاصلة هي التي تسمى في كلام الأدباء والبلغاء سجعاً على ما هو معروف في علم البديع، ولكن كثيراً من العلماء، يأبى إطلاق هذه التسمية على مقاطع القرآن الكريم سُمُوّاً به عَنْ كلام المخلوقين، وفرقوا بين الفواصل وبين السجع، فقالوا: إن الفاصلة في القرآن هي التي تتبع المعنى، ولا تكون مقصودة لذاتها.

أما السجع فهو الذي يقصده المتكلم، ويجعل المعنى تابعاً له، لما فيه من موالاة الكلام على وزن واحد.

وقد انبرى القاضي أبو بكر الباقلاني للرد على من زعم أن في القرآن سجعاً، فقال في كتابه «إعجاز القرآن»: وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز، وكيف؟. والسجع مما كانت كهان العرب تألفه، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تخالف النبوات، بخلاف الشعر، وما توهموا أنه سجع باطل، لأن مجيئه على صورته لا يقتضي كونه هو، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدّي بالسجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن، لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ. اهـ.

وتأتي الفاصلة في القرآن على أنواع:

١ ـ الفواصل المتماثلة، كقوله تعالى: ﴿والطور، وكتاب سطور، في رق منشور، والبيت المعمور﴾، وقوله: ﴿فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس والليل اذا عسعس، والصبح اذا تنفس﴾.

منها أحد عشر موضعاً لم يعدها أحد بالإجماع .
والثاني عشر جاء فيه خلاف .

أول ﴿ من خَلاق ﴾ [1] ، ﴿ وهم يتلون الكتاب ﴾ [2] ، ﴿ هم في شِقاق ﴾ [3] ، ﴿ والأنفس والثمرات ﴾ [4] ، ﴿ في بطونهم إلا النار ﴾ [5] ، ﴿ طعامُ مسكين ﴾ [6] ، ﴿ من الهُدَى والفرقان ﴾ [7] ، ﴿ والحرماتُ قِصاص ﴾ [8] ، ﴿ عند المَشْعَرِ الحَرام ﴾ [9] ، وأول ﴿ ماذا ينفقون ﴾ [10] ، ﴿ الخبيثَ منه تُنْفِقُون ﴾ [11] .

= ٢ ـ الفواصل المتقاربة في الحروف، مثل قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾. لتقارب ما بين الميم والنون في المخرج.
٣ ـ الفاصلة المتوازية، وهي أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع مثل قوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة﴾.
٤ ـ الفاصلة المتوازنة، وهي مراعاة الوزن في الكلمة الواقعة تمام الفاصلة مع المخالفة في الحروف، مثل قوله تعالى: ﴿ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة﴾ وقوله: ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم﴾.
يراجع: البرهان للزركشي ٥٣/١.
مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ١٥٣.

(١) الآية ١٠٢.
(٢) الآية ١١٣.
(٣) الآية ١٣٧.
(٤) الآية ١٥٥.
(٥) الآية ١٧٤.
(٦) الآية ١٨٤.
(٧) الآية ١٨٥.
(٨) الآية ١٩٤.
(٩) الآية ١٩٨.
(١٠) الآية ١١٥.
(١١) الآية ٢٦٧.

والثاني عشر : ﴿ ولا شَهِيدُ ﴾ [1] ، وغلط من عزاها إلى المكي .

وفيها مما يشبه الوسط ، وهو آيتان اثنتان .

﴿ كن فيكون ﴾ [2] ، ﴿ ليكتمون الحقَّ وهم يعلمون ﴾ [3] .

رويها : سبعة أحرف ، يجمعها قولك : قم لندبر .

القاف : ﴿ من خلاق ﴾ [4] ، واللام : ﴿ السبيل ﴾ [5] .

مقصودها

والمقصود من هذه السورة : إقامة الدليل على أن الكتاب هدى لِيُتَّبَع في كل حال [6] ، وأعظم ما يهدي إليه الايمـان بالغيب ، ومجمعـه : الإيمان بالآخرة ، ومداره : الايمان بالبعث ، الذي أعربت عنه قصة البقرة ، التي مدارها الإيمان بالغيب ، فلذلك سميت بها السورة ، وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه السلام ، لأنها في نوع البشر ، ومما تقدم [7] في قصة بني اسرائيل من الإحياء بعد الإماتة بالصعق ، وكذا ما شاكلها . لأن الإحياء في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر ، بمباشرة من كان من آحاد الناس ، فهي أدل على القدرة ، ولا سيما وقد أُتْبعتْ بوصف القلوب والحجارة ، بما عم المهتدين بالكتاب والضالين ، فوصفها بالقسوة الموجبة للشقوة ، ووصف الحجارة بالخشية الناشئة في الجملة عن التقوى المانحة للمدد المتعدي نفعه إلى عباد الله .

---

(1) الآية ٢٨٢ .
(2) الآية ١١٧ .
(3) الآية ١٤٦ .
(4) الآية ٢٠٠ .
(5) الآية ١٠٨ .
(6) في نظم الدرر: في كل ما قال.
(7) في نظم الدرر: نقدمها.

وفيها إشارة إلى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا خليفة من أولي العزم من الرسل عليهم السلام يرشدنا في كل أمر يحزبنا ، وشأن ينوبنا ، إلى صواب المخرج منه ، فمن أعرض خاب ، ومن تردد كاد ، ومن أجاب اتقى وأجاد .

وسميت بالزهراء : لا يجابها إسفار (١) الوجوه في يوم الجزاء لمن آمن بالغيب ولم يكن في شك مريب ، فيحال بينه وبين ما يشتهي . ولأنها سورة الكتاب الذي هو هادٍ ، والهادي يلازمه النور الحسي المدرك بالبصر ، أو المعنوي المدرك بالبصيرة .

وبالسَّنَام : لأنه ليس في الإيمان بالغيب ـ بعد التوحيد الذي هو الأساس الذي ينبني عليه كل خبير ، والتاج الذي هو نهاية السير (٢) ، والعالي على كل غير أعلى ولا أجمع من الإيمان بالآخرة .

ولأن السنام أعلى ما في المطية (٣) الحاملة ، والكتاب الذي هي سورته ، هو أعلى ما في الحامل للأمة (٤) في مسيرهم إلى دار القرار ، وهو الشرع الذي أتاهم به رسولهم ﷺ .

وبهذا علم ـ أيضاً ـ سر التسمية بالذروة وبالفسطاط ، والفسطاط : هو الخيمة ، والمدينة ، والجماعة ، ولا شك أن الكتاب من الدين بتلك المنزلة ، ولا سيما وفي سورته الدعائم الخمس الخطيرة ، وهو : الجهاد ، وغير ذلك (٥) .

---

(١) في نظم الدرر: لإنارتها طريق الهداية والكفاية في الدنيا والآخرة ولإيجابها إسفار الوجوه. . . الخ.

(٢) في نظم الدرر: الذي هو غاية السير.

(٣) في نظم الدرر: ما في بطن المطية.

(٤) في نظم الدرر: للأمر.

(٥) وبجانب ما ذكر الشيخ فقد تناولت السورة جوانب كثيرة، وموضوعات عدة أبرزها:
تناولت الآيات الأولى منها الحديث عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين =

فوضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الكفر والنفاق، للمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.

٢ ـ ثم تحدثت عن بدء الخليقة، فذكرت قصة أبي البشر آدم عليه السلام وما كان عند تكوينه من أحداث ومفاجآت، مما يدل على تكريم الله لآدم وبنيه.

٣ ـ ثم تحدثت السورة بإسهاب عن أهل الكتاب، وبخاصة يهود بني اسرائيل لأن اليهود كانوا مجاورين للمسلمين في المدينة المنورة، وبذلك تكون العناية واضحة بتنبيه المسلمين الى خبث اليهود ومكرهم، وما جبلت عليه نفوسهم من اللؤم والغدر، ونقض العهود، وخيانة المواثيق، الى غير ذلك من القبائح والمفاسد التي ارتكبوها عبر العصور.

٤ ـ وفي كثير من آيات السورة يبرز الجانب التشريعي الذي كان من أهم مقاصد السورة، والذي به تنتظم حياة المسلمين، وهم في بداية الدولة الإسلامية، فقد كانوا في أمس الحاجة الى التشريع الإلهي الذي يسيرون عليه في حياتهم في العبادات والمعاملات. ولذا فقد تناولت السورة أحكام الحج والعمرة، وأحكام القصاص والوصية، وأحكام الصوم بنوع من التفصيل، وأحكام الجهاد في سبيل الله، وقضية الخمر والميسر، وجانباً كبيراً من شئون الأسرة فيما يتعلق بها من الزواج والطلاق والرضاع والعدة، وتحريم نكاح المشركات والمشركين، وحظر معاشرة النساء جنسياً وهن في حالة حيض أو نفاس، الى غير ذلك من الأحكام الهامة التي تنظم مسيرة الأسرة، وتحوطها بسياج من الأمن والاستقرار. وناهيك عن مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة المكرمة، وارشاد المسلمين الى الجوانب الحق في مواجهة خصومهم.

٥ ـ ثم تناولت السورة قدراً طيباً من التشريعات المالية التي تنظم التعامل بالمال بالطرق المشروعة والمباحة، فذكرت تحريم الربا وبيان ضرره وندبت الى المعاملة بالحسنى برد ما زاد على رأس المال الى أصحابه وإنظار المعسر أو التجاوز عنه، وذكرت أحكام المداينة من كتابة الديْن والاشهاد عليه أو الرهان مما يحفظ حق الدائن والمدين، وندبت الى إقامة الشهادة وحذرت من التهاون فيها.

٦ ـ ثم ختمت السورة بتوجيه المؤمنين الى التوبة والانابة، والتضرع الى الله جل وعلا برفع الأغلال والآصار، وطلب النصر والعون منه وحده على أعدائهم من أهل الملل المخالفة للإسلام.

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرار كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تُحَمِّلْنا مالاً =

فضائلها

وأما فضائلها : فروى مالك في الموطأ ، أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها [1] .

أي يتعلم فرائضها وأحكامها ، مع حفظه لها .

وروى الطبراني بإسناد ـ قال الهيثمي : فيه عدي بن المفضل ، وهو ضعيف [2] ـ عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، لا يدخله الشيطان تلك الليلة .

وروى الطبراني في الكبير بسند فيه عاصم بن بهدلة ـ قال الهيثمي : وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح [3] ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لكل شيء سنام ، وسنام القرآن سورة البقرة ، وان لكل شيء لُبَاباً ، وأنَّ لباب القرآن المفصَّل ، وأن الشياطين لتخرج من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، وان أُصْفَرَ البيوت ، للجوف الذي ليس فيه من كتاب الله شيء .

وهو مرفوع حكماً .

= طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وهكذا بدأت السورة ببيان أوصاف المؤمنين، وختمت ـ أيضاً ـ ببيان أوصافهم، وذكر دعائهم، ليتناسق البدء مع الختام، ويلتئم شمل السورة أفضل التئام.

: ظلال القرآن ١/٢٧ . صفوة التفاسير ١/١٥ .

(١) الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في سورة البقرة ١/٢٠٥ .

وعلق عليه الزرقاني في شرح الموطأ ١/٣٧٠ بقوله: ليس ذلك لبطء حفظه معاذ الله، بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها.

قال: وأخرج الخطيب في رواية مالك عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً.

(٢) مجمع الزوائد ٦/٣١٢.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٥٩ .

وفي بعض طرقه : ما خلق الله من سماء ، ولا أرض ، ولا سهل ، ولا جبل أعظم من آية الكرسي .

وهو ما تمسك به المبتدعة في قولهم بخلق القرآن ، ولا متمسك فيه ، لأن الخلق وقع على المخلوقات التي سماها ، لا على الآية ، كما لو قلت ، لا سيف أمضى من القدر لم يلزم منه أن يكون القدر سيفاً .

ومنه : « لا شخص أغير من الله » . الشخص غيره ، وهو واضح .

وبمثل (هذا) [1] فسره الأئمة : ابن عيينة وأحمد ، وأبو عبيد ، رحمهم الله .

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : يا رسول الله ، إنَّا نقرأ من القرآن فنرجو . ونقرأ فنكاد أن نيأس ـ أو كما قال ـ فقال : ألا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار ؟ . قالوا : بلى يا رسول الله قال : ﴿ **الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ ، إلى قوله ﴿ **المفلحون** ﴾ [2] هؤلاء أهل الجنة ، قالوا : إنا نرجو أن نكون من هؤلاء ، ثم قال : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم ـ** إلى قوله : **عظيم** ﴾ [3] ، هؤلاء أهل النار ، قالوا : لسنا هم يا رسول الله ، قال : أجل [4] .

وروى الترمذي في جامعه ، والطبراني ، وأبو يعلى في مسنده ، وابن حبان في صحيحه من طريقه ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، والدارمي

---

(١) ساقطة من : د.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١ ـ٥.

(٣) سورة البقرة: الآيات ٦ ـ ٧.

(٤) وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٤٤ عن أبي حاتم أيضاً.
وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف عند أكثر أهل العلم بالرجال.
راجع: ترجمته في الميزان ٩/٤٧٥ الترجمة رقم ٤٥٣٠.

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : إن لكل شيء سناماً ، وأن سنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها في بيته ليلاً ، لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قرأها نهاراً ، لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام (١) .

وروى أحمد ـ قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح (٢) ـ والدارمي ، ومحمد بن يحيى ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن عبدالله بن بريدة ، عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تعلَّموا سورة البقرة ، فإن أخْذَها بركة ، وتَرْكَها حسرة ، ولا تستطيعها البَطَلَة .

قال الدارمي وأحمد ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان (٣) .

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٢٣٢/٤ . حديث رقم ٣٠٣٨ عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: حديث غريب.
ومورد الظمآن في زوائد ابن حبان ص ٤٥٧ حديث رقم ١٧٢٧ عن سهل مرفوعاً.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة ٣٢١/٢ حديث رقم ٣٣٨٠ موقوفاً على ابن مسعود.
وموقوف الدارمي أصح من مرفوع الترمذي وابن حبان، لأن في سند الترمذي حكيم ابن جبر، قال الترمذي: قد تكلم فيه شعبة وضعفه. وقال الذهبي في الميزان ٥٨٣/١ : قال أحمد: ضعيف منكر الحديث.
وفي سند ابن حبان حسان بن إبراهيم الكرماني القاضي، وخالد بن سعيد المدني، كلاهما ضعيف. أما الأول فقد تفرد بأحاديث منكرة، وأما الثاني فضعفه العقيلي وذكر له هذا الحديث.
راجع الميزان ٤٧٧/١، ٦٣١.

(٢) مجمع الزوائد ١٥٩/٧.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٤٨/٥، ٣٥٢، ٣٦١.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة ٣٢١/٢ حديث رقم ٣٣٧٩ موقوفاً على خالد بن معدان.
والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب تعلموا البقرة فإن تَعَلُّمَها بركة ٥٦٤/١.

وقال الدارمي وأحمد : وأنهما يُظلان صاحبهما يوم القيامة ، كأنهما غمامتان [1] .

وقال الجماعة : يجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان ـ أو غيايتان ـ أو فرقانِ من طير صَوَافّ ، يجادلان عن صاحبهما [2] .

زاد الدارمي : وأن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر [3] .

الحديث كما تقدم في الفضائل العامة .

قال شيخنا الحافظ شهاب الدين البوصيري : وله ـ أي أصل الحديث ـ بدون هذه الزيادة شاهد عند البزار بسند صحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى الدارمي عن عبدالله رضي الله عنه موقوفاً : ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة ، إلا خرج منه الشيطان ، وله صراط [4] .

وعن خالد بن معدان قال : سورة البقرة تعلمها بركة ، وتَرْكُها حسرة ولا تستطيعها البطلة ، وهي فسطاط القرآن .

وللدارمي ، وعبد بن حميد ، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها

---

(١) مسند أحمد ٥/٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦١.
وسنن الدارمي ٢/٣٢١.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/١٨٣، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦١.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراء سورة البقرة ٦/٩٠.
قال النووي في شرح مسلم ٦/٩٠: الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرهما، قال العلماء: المراد أن ثوبهما يأتي كغمامتين. اهـ.
والفرقان ـ بكسر الفاء واسكان الراء ـ أي جماعتان أو قطيعان.

(٣) سنن الدارمي: ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٩٤.

(٤) سنن الدارمي ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٧٨.

قالت : قال رسول الله ﷺ : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ الله [1] لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ، و ﴿ [2] إلهكم إله واحد ﴾ [3] .

وروى أبو عبيد في الفضائل ، وعبد الرزاق في المصنف الجامع ، ومسلم في الصحيح ، والطبراني في الأوسط في ترجمة أحمد بن خليل ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين [4] : سورةَ البقرة ، وسورةَ آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان [5] ، أو غيايتان [6] ، أو فِرْقان من طير صَوَّاف [7] تُحَاجَّانِ عن صاحبهما [8] ، اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخْذَها بركة ، وتَرْكَها حسرة [9] ولا تستطيعها - وفي رواية : ولا تطيقها - البَطَلَةُ [10].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٢) سورة البقرة آية ١٦٣ .

(٣) سنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٢٢٣ حديث رقم ٣٣٩٢ .

(٤) قال النووي في شرح مسلم ٦/٩٠ : سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظم أجرهما.

(٥) قال المناوي في فيض القدير ٢/٦٤ : المراد بقوله : «كأنهما عمامتان»: أن ثوابهما يأتي قارئهما حتى يظله يوم القيامة.

(٦) تقدم تفسيرها، وسيأتي تفسير المؤلف لها.

(٧) تقدم تفسيرها قريباً.

(٨) في صحيح مسلم: أصحابهما.

(٩) قال القاضي ابن العربي المالكي في شرح الترمذي ١١/١٢ : «أخذها بركة، وذلك لما يثاب عليها. وتركها حسرة: أي ندامة، لأنه إذا رأى بركتها على غيره ندم ألا يكون مثله.
وقال المناوي في فيض القدير: «فإن أخذها، يعني المواظبة على تلاوتها والعمل بها، بركة: أي زيادة ونماء، «وتركها حسرة»: أي تأسف على ما فات من الثواب.

(١٠) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٦/٩٠ .

قال معاوية بن سلام : بلغني أن البطلة : السحرة (١) .

وزاد مسلم في رواية : ما من عبد يقرأ بهما في ركعة قبل أن يسجد ، ثم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، إن كادت لتحصي الدين كله (٢) .

والغياية ـ بمعجمة وتحتانيتين ـ : الظُّلَّة .

وذلك أنَّ تالي هاتين السورتين حق تلاوتهما ، لَمَّا كان في الدنيا حاملاً لثقلهما ، وحرارة أمرهما ونهيهما ، ناسب في يوم الجزاء أن ترفعا عنه وتظلاه دفعاً للحر والنصب عنه .

ولعل خصوصية البقرة في طرد الشيطان من أجل أن مقصودها ومدلول اسمها ملازم لطرد الشيطان ، ببيان خفي أمره ، وابطال عظيم شره ، بفتنته ومكره فيما جرَّ به الإنسان إلى القتل من كبره ، فوضح أمر القاتل حتى وقع القصاص الذي هو جناه ، فزال بذلك أثر الذنبين اللذين هما أول المعاصي ، وهما : الكبر ، والقتل .

ومنعها من السحرة ، من أجل ما فيها من قصة سليمان عليه السلام من توهية السحر ، وابطال ضرره ، وتوهية كيد أهل الكتاب الـذين هم أعظم الناس إكباباً على السحر ، مع إتيان أنبيائهم عليهم السلام بإبطاله ، وطرح أمره واهماله .

وسيأتي هذا الحديث بهذا اللفظ في آل عمران .

= ومصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، بـاب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٥ حديث رقم ٥٩٩١.

(١) قال المناوي في فيض القدير ٢/٦٤: البطلة ـ بفتح الباء والطاء ـ: السحرة، تسمية لهم باسم فعلهم، لأن ما يأتون به باطل.

وقيل: البطلة: أهل البطالة الذين لم يُؤَهَّلوا لذلك، ولم يُوَفَّقوا له، أي لا يستطيعون قراءة ألفاظها وتدبُّر معانيها لبطالتهم وكسلهم. اهـ.

(٢) لم أعثر على تلك الزيادة في صحيح مسلم.

وروى الطبراني في الأوسط في ترجمة مقدام بن داود ، بن عيسى الرعيني - قال الهيثمي : وهو ضعيف [1] - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : اقرؤا القرآن ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به ، ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، تعلموا القرآن ، فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة ، تعلموا البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة ، تعلموا الزهراوين .

فذكر نحوه .

قال المنذري : الغيايتان - مثنى غياية ، بغين معجمة ، وياءين تحتانيتين - وهي : كل شيء أظل الانسان فوق رأسه ، كالسحابة والغاشية ونحوهما ، وفرقان : أي قطعتان [2] .

ولمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ كان كثيراً ما يقرأ في ركعتي الفجر ، في الأولى منهما: ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا** ﴾ الآية التي في البقرة [3] ، وفي الأخرة منهما : ﴿ **آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون** ﴾ [4] .

وفي رواية : والتي في آل عمران : ﴿ **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** ﴾ [5] .

ورواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٨ .

قال الذهبي في الميزان ٤/١٧٦ : وقال محمد بن يوسف الكندي : كان فقيهاً مفتياً ، لم يكن بالمحمود في الرواية ، مات سنة ٢٨٣ ه .

(٢) الترغيب والترهيب ٢/٣٧٠ .

(٣) سورة البقرة آية ١٣٦ .

(٤) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٥) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين باب فضل السنن الراتبة ٦/٥ .

في ركعتي الفجر : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ﴾ في الركعة الأولى وبهذه الآية : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (١) ، أو ﴿ إنَّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ (٢) .

قال أبو داود : شك الداوردي (٣) .

ولأحمد عن رجل ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : البقرة سَنَام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً واستخرجت ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ (٤) من تحت العرش ، فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة (٥) .

قال الحافظ نورالدين الهيثمي : ورواه الطبراني ، وأسقط المبهم (٦) .

وروى وكيع (٧) في تفسيره عن الحسن قال : سئل النبي ﷺ : أي القرآن أفضل ؟. قال : سورة البقرة ، وسئل : فأي آية أفضل ؟. قال : آية الكرسي .

وسيأتي تخريجه من عند الحارث بزيادة .

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٣ .

(٢) سورة البقرة: آية ١١٩ .

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في تخفيفهما ٢/٢٠ حديث رقم ١٢٦٠ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد ٥/٢٦ .

(٦) مجمع الزوائد ٦/٣١١ .

(٧) هو أبو سفيان وكيع بن الجَرَّاح بن مليح بن عدى الرُّواسي، إمام في الحديث ولد في الكوفة سنة ١٢٩ - وقيل: سنة ١٢٧ - سمع الأعمش وهشام ابن عروة والأوزاعي، وروى عنه أحمد بن حنبل، وابن مهدي وابن المديني قال النووي: وأجمعوا على جلالته، ووفور علمه وحفظه واتقانه وورعه وصلاحه وعبادته وتوثيقه واعتماده. اهـ. وتوفي في منصرفه من الحج سنة ١٩٧ هـ.
راجع: تاريخ بغداد ١٣/٤٦٦. وتهذيب الأسماء ٢/١٤٤ .

وسيأتي هذا الحديث في سورة يس ، من مسند أبي يعلى الموصلي ، ان شاء الله تعالى .

وللترمذي ـ وقال : غريب (لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير) [1] وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه ـ عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لكل شيء سنام ، وأن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة أي القرآن ، آية الكرسي [2] .

ورواه عبدالرزاق في جامعه ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، ولفظه : سورة البقرة فيها آية هي سيدة [3] آي القرآن ، لا تقرأ [4] في بيت وفيه شيطان الا خرج منه ، آية الكرسي [5] .

وعند مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة [6] .

---

(١) زيادة عن الترمذي .

(٢) صحيح الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٥/١٥٧ حديث رقم ٢٨٧٨ .

(٣) في المستدرك : سيد .

(٦) في المستدرك : يقرأ .

(٥) مصنف عبد الرزاق : كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٦ حديث رقم ٦٠١٩ . والمستدرك : كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل سورة البقرة ١/٥٦٠ . قال الذهبي : صحيح .

(٦) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في البيت ٦/٦٨ .

وصحيح الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٥/١٥٧ . حديث رقم ٢٨٧٧ . وفضائل القرآن للنسائي ص ٧٦ حديث رقم ٧٠ .

وزاد مسلم : قال رسول الله ﷺ : إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده ، فليجعل لبيته نصيباً من صلاته ، فإن الله جاعلٌ في بيته من صلاته خيرا [(١)] .

ورواه أبو عبيد عنه ، ولفظه : صلوا في بيوتكم ، ولا تجعلوها قبوراً ، وزَيِّنوا أصواتكم بالقرآن ، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة .

وللطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال لأصحابه : تعلموا البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة [(٢)] .

ولأبي عبيد عن أنسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة (تقرأ فيه)[(٣)].

وعند الحاكم عن عبد الله رضي الله عنه موقوفاً، وقال: صحيح على شرطهما ومرفوعاً بإسناد ـ قال المنذري: حسن بما تقدم[(٤)] ـ : اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتاً تقرأ فيه سورة البقرة[(٥)].

---

(١) هذا حديث مستقل عند مسلم من حديث أبي سفيان عن جابر رضي الله عنهما، وليست زيادة في الرواية، وأما الحديث الأول فهو من حديث سهل بن سعد الساعدي عن أبي هريرة.

والمراد بالصلاة المطلوب أداؤها في البيت صلاة النافلة، لا الفرض، لما رواه مسلم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة.

وأيا ما كان الأمر فهذه الزيادة ليس هذا موضعها، إذ لا دلالة فيها على ما نحن بصدده، وسبحان من له كمال العلم، وجل عن السهو.

(٢) وبهذا اللفظ أخرجه عبد الرزاق من حديث أبي أمامة ٣/٣٦٦ حديث رقم ٣/٥٩٩.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) الترغيب والترهيب: كتاب القرآن، باب الترغيب في قراءة سورة البقرة ٢/٣٧٠.

(٥) المستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب إن الشيطان لا يدخل بيتاً تقرأ فيه سورة البقرة ١/٥٦١.

وهو مرفوع على كلا [1] التقديرين، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي.

ورواه أبو عبيد موقوفاً بلفظ: إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة.

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن إسحاق، عن أبي الأحوص، وكذا الطبراني بأسانيد ـ قال الهيثمي: رجال أحدها رجال الصحيح [2] ـ قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن هذا القرآن مأدبة الله [3]، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر [4] البيوت من الخير، الذي ليس فيه من كتاب الله شيء وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرب، كخراب البيت الذي لا عامر له وإن الشيطان ليخرج من البيت يسمع سورة البقرة تقرأ فيه [5].

وفي الفردوس عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ سورة البقرة في ليلة، تُوِّجَ بها تاجاً في الجنة [6].

ورواه الدارمي عن عبد الرحمن بن الأسود موقوفاً عليه [7]، وله حكم الرفع.

---

(١) في د: كلام.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٦٤.

(٣) قال في النهاية ١/٣٠: يعني مدعاته، شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس، لهم فيه خير ومنافع.
قال: والمشهور في المأدبة ضم الدال، وأجازفيها بعضهم الفتح وقيل: هي بالفتح مفعلة من الأدب.

(٤) يعني: أكثر خلاء وعَريًا من الخير.

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٨ حديث رقم ٥٩٩٨.

(٦) وذكره السيوطي في الجامع ايصغير ٢/٦٣٢ حديث رقم ٨٩٢٥ عن البيهقي في الشعب، ورمز له بالصحة.

(٧) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٨١.

وعند ابن حبان في صحيحه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله ﷺ بينما أنا أقرأ سورة البقرة، إذ سمعت وجبة[1] من خلفي، فظننت أن فرسي انطلق، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ أبا عتيك[2]، قال: فالتفتُّ فإذا مثلُ المصباح مُدَلًّى بين السماء والأرض، ورسول الله ﷺ يقول: اقرأ أبا عتيك، فقال: يا رسول الله: فما استطعت أن أمضي فقال رسول الله ﷺ: تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة أما إنك لو مضيت، لرأيت العجائب[3].

وللشيخين وغيرهما ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف[4] الليل أقرأ في مِرْبَدي[5]، إذ جالت[6] فرسي، فقال رسول الله ﷺ؛ أقرأ ابنَ حضير (قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابنَ حضير)[7]، قال: فانصرفت وكان يحيى ـ يعني ابنه ـ قريباً منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظُّلَّة فيها أمثالُ السُّرُج، عرجت في الجو

---

(١) أي جلبة وصيحة.
قال الزمخشري في الفائق ٣١٦/١: الوجبة: صوت السقوط. وقال ٤٣/٤: أصل الوجوب: الوقوع والسقوط، قال الله تعالى: ﴿فإذا وَجَبَتْ جُنُوبُها﴾ أي وقعت.

(٢) كنيته أسيد بن حضير.
والمعنى: أنه كان ينبغي أن تستمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول ملائكة الرحمة، واستماعها لقراءتك.

(٣) مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٤٢٤.

(٤) في د: في.

(٥) قال ابن الأثير في النهاية ١٨٢/٢: المربد: الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم، وبه سمي مربد المدينة والبصرة. وهو بكسر الميم وفتح الباء: من ربد بالمكان إذا أقام فيه، وربده إذا حبسه.

(٦) قال في النهاية ٣١٧/١: يقال: جال واجتال، إذا ذهب وجاء ومنه الجولان في الحرب. واجتال الشيء اذا ذهب وساقه. والجائل: الزائد عن مكانه.

(٧) ما بين القوسين ساقط من: د.

حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: تلك الملائكة (كانت)[1] تسمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس، ما تستتر منهم[2].

ورواه إسحاق في مسنده، والنسائي في الكبرى، وابن حبان في صحيحه بنحوه.

ورواه عبد الرزاق عنه بلفظ: فغشيتني مثل السحابة، فيها المصابيح، وامرأتي نائمة إلى جنبي وهي حامل، والفرس مربوط في الدار، فخشيت أن تنفر الفرس فتفزع المرأة، فتلقى ولدها، فانصرفت من صلاتي، فذكرت ذلك للنبي ﷺ حين أصبحت، فقال: اقرأ أسيد، ذلك مَلَكٌ يستمع القرآن[3].

ورواه البخاري، وأبو عبيد، عن أبي سعيد الخدري، عن أسيد بن حضير رضي الله عنهما قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكت، ثم قرأ فجالت ثم قرأ فجالت، فانصرف إلى ابنه يحيى، وكان قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما انصرف رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة، فيها أمثال المصابيح، عرجت إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح، حَدَّثَ رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسولُ الله ﷺ: يا ابنَ حضير اقرأ، يا ابنَ حضير اقرأ[4]، قال: أشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فانصرفتُ إليه، ، ورفعتُ

(١) ساقطة من: د.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب نزول السكينة والملائكة عند نزول القرآن ٦/٢٣٤.

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٦/٨٣ قال العيني في شرح البخاري ٢/٣٦: فيه جواز رؤية بني آدم الملائكة فالمؤمنون يرونهم رحمة، والكفار عذاباً، لكن يشترط الصلاح وحسن الصوت والذي في الحديث: إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة، بصفة خاصة ولو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ، وفيه فضيلة أسيد، وفضيلة قراءة سورة البقرة في صلاة الليل. اهـ.

(٣) المصنف: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٦ حديث رقم ٤١٨٢.

(٤) أي استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة، واستماعها لقراءتك.

رأسي إلى السماء فإذا هي مثلُ الظُلَّة، فيها أمثال المصابيح، فعرجتْ حتى لا أراها.

قال: أوتدري ما ذاك؟. قال: لا يا رسول الله، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأتَ لأصبحتْ ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم[1].

ورواه عن كعب بن مالك، عن أسيد بن حضير رضي الله عنهما، أنه كان على ظهر بيته يقرأ القرآن، وهو حَسَنُ الصوت، فذكر نحوه[2].

ورواه الحافظ ابن رجب من طريق عبد الله بن محمد البغوي، وأبو عبيد ـ أيضاً ـ من طريق أخرى، ولفظه:

قال: قلت يا رسول الله، بَيْنَما أنا أقرأ البارحة بسورة البقرة ـ فلما انتهيت إلى آخرها، سمعت رَجَّةً من خلفي، حتى ظننتُ أن فرسي تَطْلِقُ، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ أبا عتيك (مرتين. قال: فالتفتُّ إلى أمثال المصابيح ملء ما بين السماء والأرض. فقال: اقرأ أبا عتيك)[3] فقال: والله ما استطعت أن أمضي. فقال: تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ـ وقال البغوي: لقراءة سورة البقرة ـ أما إنك لو مضيتَ، لرأيتَ الأعاجِيب[4].

ورواه الحافظ ابن رجب من طريق عثمان بن أبي شيبة[5] من حديث

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ٦/١٠٦.

(٢) وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٦/٦٢.
والإمام أحمد في المسند ٣/٨١.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٤) شرح السنة للبغوي ٤/٤٧ الحديث رقم ١٢٠٦.

(٥) هو أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة محمد بن إبراهيم العِبْسي ـ أخو أبي بكر بن أبي شيبة صاحب المصنف ـ أحد الحفاظ الأعلام، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة. وخلق. له المسند والتفسير. وتوفي سنة ٢٣٩ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٤٤٤، تاريخ بغداد ١١/٢٣٢ ميزان الاعتدال ٣/٣٥.

محمود بن لبيد[1]: أن أسيد بن حضير رضي الله عنهما، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن فقرأ ليلة وفرسُه مربوطٌ عنده، وابنُه نائمٌ إلى جنبه، فأدار الفرس في رباطه، فقرأ فأدار الفرس في رباطه، فانصرف وأخذ ابنه، وخشى أن يطأه الفرس، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ أسيد فإن الملائكة لم تزل يستمعون صوتك، فلو أنك قرأت، أصبحت ظلة بين السماء والأرض، يراها الناس فيها الملائكة.

قال ابن رجب: وفي هذا السياق دلالة على فضيلة الصوت الحسن بالقرآن.

ولأبي عبيد ـ أيضاً ـ عن جرير بن يزيد[2]: أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس[3] رضي الله عنه لم تزل دارُه البارحة تزهو مصابيح؟. قال: فلعله قرأ سورة البقرة، فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة[4].

---

(١) محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع، بن امرىء القيس، بن عبد الأشهل الأنصاري، من أولاد الصحابة، ولم يصح له سماع من النبي ﷺ، وثقة ابن سعد، مات سنة ست وتسعين هجرية.

راجع: الخلاصة ص ٣٧١.

(٢) هو جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجَلي. له في النسائي وابن ماجة حديث واحد، قال أبو زرعة: منكر الحديث.

راجع: الخلاصة ١٦٣/١ ترجمة رقم ١٠١٧، والميزان ٣٩٧/١ ترجمة رقم ١٤٧١.

(٣) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن امرىء القيس بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، يكني أبا محمد، وقيل: عبد الرحمن، شهد أحداً وقتل شهيداً في حرب اليمامة سنة ١٣ هجرية، وهو الذي رؤي في النوم بعد قتله وأجيزت وصيته. قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس.

راجع: الاستيعاب على هامش الإصابة ١٩٥/١. ولإصابة ١٩٧/١. والتجريد ٦٤/١.

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٣/١ وقال: هذا إسناد جيد إلا أن فيه إبهاماً، ثم هو مرسل.

ولعل خصوصية البقرة بذلك، من أجل قوله تعالى: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتِيَهُمُ الله في ظُلَلٍ من الغَمَام والملائكةِ وقُضِيَ الأمرُ** ﴾[1]. فإن ظهور مجد الله سبحانه (لبني اسرائيل)[2] على الطور، كان في ظلل الغمام والنار، ولذلك تليت الآية بقوله تعالى: ﴿ **سَلْ بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنَةٍ** ﴾[3].

ولأبي عبيد في الغريب والفضائل، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: جَرِّدوا القرآن، لِيَرْبُوَ فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يخرج من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة[4].

وفي رواية الفضائل: يفر من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة.

ثم ذكر أبو عبيد اختلاف الناس في معناه، فقيل: جرّدوه من النقط والفواتح والتعشير[5] ونحوه. ولا تخلطوا به غيره[6].

وروى: أن رجلاً قرأ عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. فقال عبد الله: جَرِّدُوا القرآن[7].

وقيل: بل المعنى: أن يتعلم وحده، وتُتْرَكَ الأحاديث.

ثم رد أبو عبيد هذا، بأن فيه إبطالَ السنن، وبأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وجه الناس إلى العراق قال: جـردوا القرآن، وأقِلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وأنا شريككم[8].

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٠.
(٢) ساقط من: د.
(٣) سورة البقرة آية ١١١.
(٤) غريب الحديث ٤/٤٦.
(٥) التعشير: وضع علامة على نهاية كل عشر آيات.
(٦) غريب الحديث: الموضع السابق.
(٧) هذه الرواية في الفائق للزمخشري ١/٢٠٦.
(٨) رواه أبو عبيد في الغريب ٤/٤٩.

ففي قوله: «أقلوا (الرواية)[1]» ما يبين أنه لم يرد بتجريد القرآن ترك الرواية (عن رسول الله ﷺ)[2]، وإنما أراد ـ عندنا ـ علمَ أهلِ الكتاب.

وأيد ذلك بأن عبد الله نفسه كان يحدِّث عن النبي ﷺ بحديث كثير، ثم قوى أنه إنما حثهم على أن لا يتعلم شيء من كتب الله عز وجل، لأن ما خلا القرآن من كتب الله، إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى، وليسوا بمأمونين عليها[3].

وروى فيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنه قال: من أشراط الساعة: أن تُوضع الأخيار، وتُرفع الأشرارُ، وأن تُقرأ المُثْنَـاةُ على رؤوس الأشهاد، لا تُغَيَّرُ[4] قيل: وما المُثْنَاة؟. قال: ما استُكْتِبَ من غير كتاب الله[5].

قال أبو عبيد: فسألت رجلاً من أهل العلم بالكتب الأولى عن المثناة فقال: إن الأحبار والرهبان من بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله عز وجل، فسمَّوْه المثناة كأنه يعني: أنهم أحلوا فيه ما شاءوا، وحرموا فيه ما شاءوا، على خلاف كتاب الله[6].

فبهذا عرف تأويل حديث عبد الله بن عمرو، وأنه إنما كره الأخذ عن أهل الكتاب لذلك المعنى، وقد كانت عنده كُتُب (وقعت)[7] إليه يوم

---

(1) زيادة عن غريب الحديث.

(2) غريب الحديث ٤/٤٩.

(3) راجع: غريب الحديث: الموضع السابق.

(4) في سنن الدارمي: فلا.

(5) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/٢٨١.

(6) غريب الحديث ٤/٢٨٢.

(7) ساقطة من: د.

اليرموك، فأظنه قال هذه لمعرفته بما فيها، ولم يرد النهي عن حديث رسول الله ﷺ وسنته. وكيف ينهي عن ذلك وهو من أكثر أصحابه حديثاً عنه. انتهى[1].

وأصل حديث المثناة هذا، في أوائل الدارمي[2].

وهذه المثناة (تسمى)[3] عندهم اللهن المثناة - بالشين المعجمة - غير أنهم يلوون ألسنتهم على عادتهم في لحونهم في جلوسهم.

وأخبرني بعضهم: أن معنى هذه اللفظة عندهم: الجمع والضم، فتكون المثناة تعريبها، وهي في أكثر من مائة سفر.

وذلك أنه كان يجتمع أحبارهم، فيكتبون ما يرون أنهم محتاجون إليه من الأحكام والآداب، ثم إذا انقرضوا، اجتمع من خلف بعدهم من الأحبار في العصر الثاني، فزادوا ما شاؤوا.

وعندهم: أن هؤلاء الأحبار لا يفعلون ذلك إلا عن الله وحياً.

فعندهم: أن كل ما كتبوه فهو (وحي)[4] من عند الله، (كما قال تعالى: «ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون»)[5] [6].

وما زالوا كذلك عصراً بعد عصر، إلى أن زادت عدة مجلداتها على العد وتجاوزت الحد، فيقال: إنها تقارب مائتي مجلد، فلما رأوا ذلك، منعوا من الزيادة، فمنعوا الوحي على زعمهم.

---

(١) غريب الحديث ٤/٢٨٢.

(٢) سنن الدارمي: المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث ١/١٢٣ من حديث عمرو بن قيس عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهم.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) سورة آل عمران آية ٧٨.

(٦) ما بين القوسين ساقط من: د.

فقد عُلم من هذا كله (أنه)[1] إنما نمنع مما لا نعلمه، وأما ما علمناه بشهادة كتابنا المهيمن على كل كتاب، بصدقه أو كذبه، فإنه يقضي به، فالمصدَّقُ كتابُنا لا غيره. والله الموفق.

وروى أبو عبيد في الغريب أيضاً، عن ابن عباس رضي الله عنهما، حين قيل له: أقرأ القرآن في ثلاث؟. فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدَّبَّرها، أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول هذرمة[2].

يعني: السرعة[3].

وعند الترمذي في فضائل القرآن، واللفظ له وقال حسن، والنسائي في السير، وابن ماجة في السنة مختصراً، وابن حبان في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رسول الله ﷺ بَعْثاً وهم ذووا عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم، يعني: ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سِنّاً، فقال: ما معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا، وسورة البقرة، فقال: أمعك سورة البقرة؟. قال: نعم، قال: اذهب فأنت أميرهم فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم البقرة، إلا خشية أن لا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ : تَعَلَّموا القرآنَ، فاقْرَؤُوه (وأَقْرِؤُوه)[4] وقوموا به، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، وقام به، كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه، فيرقد وهو في جوفه، كمثل جراب أُوكي على مسك[5].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٢٢٠.

(٣) كلام أبي عبيد في الغريب: يعني السرعة في القراءة وكذلك في الكلام.
وقال الزمخشري في الفائق ٣/ ٢٠٠: هذرمة: هي السرعة في الكلام والمشي، والهذربة والهربذة، نحوها.

(٤) زيادة عن الترمذي.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٥/ ١٥٦ حديث رقم ٢٨٧٦.
=

وروى الطبراني في الأوسط، عن عثمان رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ وفدا إلى اليمن، فأمَّر عليهم أميراً منهم، وهو أصغرهم، فمكث أياماً لم يَسِرْ، فلقى النبيُّ ﷺ رجلاً منهم، فقال: يا فلان مالَكَ، أما انطلقت؟. قال: يا رسول الله أميرُنا يشتكي رجله، فأتاه النبي ﷺ، ونفث عليه «بسم الله، وبالله، أعوذ بعزة الله وقدرته، من شر ما فيها» سبع مرات، فبرأ الرجل، فقال شيخ: يا رسول الله، أتُؤمِّرُه علينا وهو أصغرنا؟. فذكر النبي ﷺ قراءته القرآن، فقال الشيخ: يا رسول الله، لولا أني أخاف أن أتَوَسَّدَه[1] فلا أقوم به لتعلمته، فقال رسول الله ﷺ: تَعَلَّمْه، فإنما مثل القرآن كجراب ملأتَهُ مسكاً، ثم ربطت على فِيهِ، فإن فَتَحْتَ فاحَ لك ريحُ المسك، وإن تركتَه كان مسكاً موضوعاً، كذلك مثل القرآن إذا قرأته أو كان في صدرك.

قال الهيثمي: وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل، وضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان، إلا أنه قال: في أحاديث ابنه عنه مناكير.

قال الهيثمي: وليس هذا من (رواية[2] ابنه عنه[3].

وروى عبد الرزاق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان ثلاثة في سفر، فليؤمَّهم أقرؤُهم، وإن كان أصْغَرَهم، فإذا أمَّهُم فهو أميرُهم[4].

= وسنن ابن ماجة: المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن ٧٨/١ حديث رقم ٢١٧.
ومورارد الظمآن بزوائد ابن حبان: كتاب التفسير، باب فيمن يقرأ القرآن ٤٤٢.

(١) أي لا أداوم قراءته وأحافظ عليها.

(٢) زيادة عن الهيثمي.

(٣) مجمع الزوائد ١٦١/٧.
قال الحافظ في تقريب التهذيب ٣٤٩/٢: يحيى بن سلمة بن كهيل - بالتصغير - الحضرمي أبو جعفر الكوفي، متروك، وكان شيعياً. اهـ.

(٤) المصنف: كتاب الصلاة، باب القوم يجتمعون من يؤمهم ٣٩٠/٢ حديث رقم ٣٨١٢.

قال أبو سلمة: فذاك أمير أَمَّرَه رسول الله ﷺ.

وقال ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»: وكانت راية بني مالك بن النجار في تبوك، مع عمارة بن حزم[1] رضي الله عنه، فأخذها رسول الله ﷺ ودفعها إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال عمارة: يا رسول الله، أبلغك عني شيء؟. قال: لا، ولكن القرآن مقدَّم، وزيد أكثر أخذاً منك للقرآن.

ثم قال: وهذا عندي خبر لا يصح[2].

لكن شيخنا[3] ذكره في كتاب «الاصابة» ولم يتعقبه، وقال: وكان فيمن ينقل التراب مع المسلمين، يعني في الخندق، فنعس فرقد، فجاء عمارة بن حزم فأخذ سلاحه (وهو لا يشعر)[4]، فقال له النبي ﷺ: يا أبا رُقَاد ويومئذ نهى النبي ﷺ أن يُرَوَّعَ المؤمِنُ، ولا يؤخذ متاعه جادّاً ولا لاَعِباً. انتهى[5].

فمن الغرائب: أن يقدِّر اللهُ بعد سنتين أنه تنزع له (الراية)[6]، كما آتاه الله من اليقظة في كتابه، ممن أخذ سلاحه في حال نومه.

وروى الحارث بن أبي أسامة عن الحسن رحمه الله: أن رسول الله ﷺ

---

(١) هو عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان، بن عمرو، بن عبد عوف، الأنصاري شهد بيعة العقبة وبدار، وجميع المشاهد، وتوفي شهيداً يوم اليمامة.
راجع: الإصابة ٢/٥٠٧. والتجريد ١/٣٩٥.

(٢) الاستيعاب على هامش الإصابة ٤/٤٢.

(٣) يعني شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) الإصابة ٤/٤٢.
وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ٢/٢٧٨ ولم يتعقبه أيضاً. والذهبي في التجريد ١/١٩٧ بصيغة «روى» ولم يعقب عليه بشيء.

(٦) ساقطة من: د.

قال: أفضل القرآن: سورة البقرة، وأعظم آيةٍ فيه: آيةُ الكرسي(١).

قال: وقال رسول الله ﷺ: من قرأ في ليلة مائة آية، لم يحاجه القرآن، ومن قرأ مائتين كُتِبَ له قنوتُ ليلة، ومن قرأ بالمائة إلى الألف، أصبح وله قنطار، والقنطار دية أحدكم: اثنا عشر ألفاً.

قال: وإن أصفر البيوت من الخير، البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، وإن الشيطان ليفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة.

فضل آية الكرسي

وروى عبد الرزاق عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: إن الله اختار الكلام، فاختار القرآن، واختار القرآن فاختار منه سورة البقرة، واختار من سورة البقرة آية الكرسي، واختار البلاد فاختار الحرم، واختار الحرم، فاختار موضع البيت(٢).

وفي أمالي (أبي)(٣) الحسين بن شمعون(٤) عن عائشة رضي الله عنها،

---

(١) هذا حديث مرسل، ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ١/١٩٣ حديث رقم ١٢٨٩ وضعفه.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٧ حديث رقم ٥٩٩٤.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن اسماعيل بن شمعون ـ وفي سير أعلام النبلاء، والبداية والنهاية: سمعون، بالسين المهملة ـ قال الذهبي: «الإمام الواعظ، الكبير المحدث»، سمع من أبي بكر بن أبي داود، وهو أكبر شيوخه، ومحمد بن عمرو بن البختري. وأحمد بن سليمان بن زبان. وحدث عنه أبو عبد الرحمن السلمي، وعلي بن طلحة المقرىء، والحسن الخلال وغيرهم. ومات ـ رحمه الله ـ يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة، سنة ٣٨٧.

راجع: سير أعلام النبلاء ١٦/٥٠٥، والبداية والنهاية ١١/٣٦١، وميزان الاعتدال ٣/٤٦٦، والنجوم الزاهرة ٤/١٩٨، شذرات الذهب ٣/١٢٤.

أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فشكا إليه: أن ما في بيته ممحوق البركة، قال: أين أنت من آية الكرسي، ما تليت في شيء على طعام، ولا إدام، إلا أنْمَى الله بركة ذلك الطعام والإدام.

وعند البخاري، وابن خزيمة، وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَّلَني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يَحْثُو من الطعام فأخذته، فقلت: لأدفعنَّك إلى رسول الله ﷺ فقال: إني محتاج وعليَّ دَيْنٌ، ولي عيال، وبي حاجةٌ شديدة، فخلَّيْتُ عنه فأصبحتُ فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرُك البارحةَ؟ قلت: يا رسول الله شكى حاجةً شديدة وعِيالاً فَرَحِمتُه، فخلَّيْتُ سبيلَه، قال: أما إنه كَذَبَكَ وسيعود، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدَّتُه، فجاء يحثو من الطعام.

فذكر الحديث في قبضه عليه، واعتذاره وتَرفُّقِهِ، إلى أن قال: فأخذته ـ يعني: في الثالثة ـ فقلت: لأفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذه آخر ثلاث مرات، تزعم أنك لا تعود، ثم تعود، قال: دعني، فإني أُعَلِّمُك كلماتٍ ينفعُك الله بها، قلت: وما هنَّ؟، قال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ الله لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾[1] حتى تختم الآية، فإنك لن يزالَ عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تُصبح، فخلَّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟، قلت: يا رسول الله زَعم أنَّهُ يُعَلِّمُني كلمات ينفعني الله بهن، فخلَّيت سبيله، قال: ما هن؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك. الحديث. وفيه: وكانوا أحرص شيء على الخير.

فقال النبي ﷺ: أما إنه صَدَقَك وهو كَذُوب، تَعْلَم من تخاطب منذ ثلاث (ليال)[2] يا أبا هريرة؟. قال: لا، قال: ذاك الشيطان[3].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٢) زيادة عن البخاري.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وَكَّل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل =

وللنسائي في «اليوم والليلة» من الكبرى، عنه رضي الله عنه، أنه كان على تمر الصدقة، فوجد أثر كفٍّ، كأنه قد أُخِذَ منه، فذكر ذلك للنبي ﷺ قال: أتريد أن تأخذه؟. (قلت: نعم. قال)[1]. قل: سبحان من سخرك بمحمد[2]، قال[3] أبو هريرة: فقلت، فإذا أنا به قائم بين يَدَيَّ، فأخذته لأذهب به إلى النبي ﷺ. فقال: إنما أخذتُه لأهل بيت فُقَرَاءَ من الجن ولن أعود، فعاد، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: أتريد أن تأخذه؟ فقلت: نعم، قال: فقل: سبحان من سخرك لمحمد[4]. قال أبو هريرة: فقلت فإذا أنابه قائم، فأردت به لأذهب إلى النبي ﷺ، فعاهدني ألا يعود، فتركته، ثم عاد. فذكرته للنبي ﷺ، فقال: أتريد أن تأخذه؟. فقلت: نعم. فقال: سبحان الذي سخرك لمحمد، فإذا أنا به. قلت: عاهدتَّني فكذبت وعدتَّ، لأذهبن بك إلى النبي ﷺ. فقال: خلِّ عني أُعَلِّمْكَ كلماتٍ إذا قلتَهن لم يقربك ذَكَرٌ ولا أنثى من الجن، قلت: وما هؤلاء الكلمات؟، قال: آية الكرسي، اقرأها عند كل صباح ومساء. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فخلَّيْتُ عنه، فذكرت ذلك للنبي ﷺ قال: وما علمتَ أنه كذلك[5].

وعند أحمد، والقاضي أبي عبد الله المحاملي في السادس عشر من فوائده، والترمذي واللفظ له وقال: حسن غريب، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أنه كانت له سهوة[6] فيها تمر، وكانت تجيء

= فهو جائز ٣/٦٣. وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٤/٩٢.
وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة ٦/٢٣٢.
قال الحافظ ابن كثير في التفسير ١/٣٠٦: رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم.

(١) ساقطة من: د.
(٢) في تفسير ابن كثير: سبحان من سحرك، محمد.
(٣) في د: فقال.
(٤) كذا بالأصل: لمحمد.
(٥) في تفسير ابن كثير من رواية الحافظ أبي بكر بن مردوية: أما علمت أن ذلك كذلك.
(٦) سيأتي بعد قليل تفسير المؤلف للسهوة.

الغول وتأكل منه، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، قال: اذهب، فإذا رأيتَها فقل: بسم الله، أجيبي رسولَ الله ﷺ، قال: فأخذها، فحلفت أن لا تعود فأرسلها، فجاء إلى النبي ﷺ، قال: ما فعل أسيرك؟. قال: حلفت أن لا تعود، قال: كذبَتْ، وهي معاودة للكذب، فأخذها مرة أخرى فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟. قال: حلفت أن لا تعود، قال: كذبَتْ وهي معاودة للكذب، فأخذها مرة أخرى فقال: ما أنا بتاركِكِ حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني ذاكِرةٌ لك شيئاً: آية الكرسي، اقرأها في بيتك، فلا يقربك الشيطان ولا غيره، فجاء إلى نبي ﷺ، فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: فأخبره بما قالت، قال: صدَقَتْ وهي كَذُوبٌ [1].

وفي بعض طرقه قال: أرسلني وأعلمك آية من كتاب الله، لا تضعها على مال ولا ولد، فيقربه الشيطان أبداً، قلت: وما هي؟. قال: لا أستطيع أن أتكلم بها، آيةُ الكرسي.

ولفظ المحاملي: عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان تمر لنا في سهوة فكنت أراه كل يوم من غير أن نأخذ منه شيئاً، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إن تمراً لنا في سَهْوَةٍ لنا، وإنَّا نجده ينقص كل يوم من غير أن نأخذ منه شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: تلك جِنِّيَّةٌ ـ أو غُولٌ ـ تأكل طعامك، وستجدها هِرَّةً، فإذا رأيتها فقل: بسم الله، أجيبي رسول الله ﷺ، فانطلقتُ فدخلتُ البيتَ، فإذا سنور في التمر، فقلت: بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ فإذا هي عجوزٌ جالسةٌ. فقلت: يا عدوة الله انطلقي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: أنشُدُك الله يا أبا أيوب لما تركتني فلن أعود، فتركتها ثم غدوتُ إلى رسول الله ﷺ، قال: ما فعل الرجل وأسيره؟. (فقلت: أخذتها يا رسول الله، فناشدتني فحلفتْ أن لا تعودَ، قال: كذبَتْ تُعُوُد،

---

(1) مسند الإمام أحمد ٥/٤٢٣.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب/٣ ـ ٥/١٥٨ حديث رقم ٢٨٨٠.

فانطلقت فإذا سنور في البيت قلت بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: أنشدك الله يا أبا أيوب لما تركتني فوالله لا أعود أبداً، فتركتُها، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ، قال: ما فعل الرجل وأسيره؟)[٣]. فأخبرته، قال: كذبت ستعود. فأخذتها الثالثة، فقلت: يا عدوة الله أليس قد زعمتِ أنَّكِ لا تعودين؟. قالت: يا أبا أيوب اتركني، فوالله لأعلمنَّك شيئاً إذا قلتَه حين تُصبح، لم يدخل بيتَك الشيطانُ حتى تمسى، وإذا قلتَه حين تمسى لم يدخل الشيطان بيتك حتى تصبح. قلت: ما هو؟. قلت: آية الكرسي، فتركتها، ثم غدوت على رسول الله ﷺ، فقال: ما فعل الرجل وأسيره؟. قلت: أخذتها فناشدتني الله وقالت: اتركني، فوالله لأعلمنك شيئاً إذا قلته حين تمسي لم يدخل الشيطان بيتك حتى تصبح، وإذا قلته حين تصبح لم يدخل الشيطان بيتك حتى تمسي. فقلت: ما هو؟. فقالت: آية الكرسي. قال صدقت وإنها لكذوب.

السهوة - بفتح السين المهملة - : الطاق في الحائط، يوضع فيها الشيء.

وقيل: هي الصُّفَّة، وقيل: المخدع بين البيتين.

وقيل: هو شيء شبيه بالرَّف.

وقيل: بيت صغير كالخزانة الصغيرة.

قال المنذري: كل واحد من هؤلاء يسمى: سهوة، ولفظ الحديث يحتمل الكل، ولكن ورد في بعض طرق (هذا)[٢] الحديث ما يرجح الأول.

والغول - بضم المعجمة[١] - ؛ هو شيطان يأكل الناس، وقيل: هو من

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.
(٢) ساقطة من: د.
(٣) زيادة عن الترغيب والترهيب.

يتلون من الجن[1]. انتهى[2].

وعند الحارث بن أبي أسامة، وأبي يعلى الموصلي، وابن حبان في صحيحه والنسائي في اليوم والليلة من الكبرى، والطبراني - بإسناد قال المنذري: جيد[3] - عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جَرِينٌ فيه تمر، وكان مما يتعاهده، فيجده ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بداية كهيئة الغلام المحتلم، قال: فسلمتُ، فرد السلام، فقلت: ما أنت جن أم أنس؟. قال: جن، فقلت: ناولني يدك، فإذا يد كلب، وشعر كلب، فقلت: هذا خلق الجن؟. فقال: لقد علمت الجنُّ أن ما فيهم من هو أشد مني، فقلت: ما يحملك على ما صنعت؟. قال: بلغني أنك تحب الصدقة، فأحببت أن أصيب من طعامك. فقلت: ما الذي يحرزنا منكم؟. فقال: هذه الآية، آية الكرسي[4].

وفي رواية[5] للنسائي: إذا قلتَها حين تصبح أُجِرْتَ منا إلى أن تمسى، وإذا قلتها حين تمسى أُجِرْتَ منا إلى أن تصبح. قال: فتركته، وغدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره. فقال: صدق الخبيث.

الجَرِينُ - بفتح الجيم، وكسر الراء المهلمة - هو البيدر[6].

---

(1) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٠٦: الغول في لغة العرب: الجانُّ اذا تبدي بالليل.
وقال ابن الأثير في النهاية ٣/٣٩٦: الغول: أحد الغيلان: وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغوُّلًا: أي تتلون تلوُّناً في صور شتى. وتغولهم: أي تضلهم عن الطريف وتهلكهم.
(2) الترغيب والترهيب ٢/٣٧٤.
(3) الترغيب والترهيب ١/٤٥٨.
(4) موارد الظمآن: كتاب التفسير، سورة البقرة ص ٤٢٦.
(5) في د: وهي.
(6) والبيدر: الموضوع الذي يداس فيه الطعام. قاله في اللسان ٤/٥٠.

وللدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجن فصارعه، فصرعه الإنسي، فقال له الأنسي: إني لأراك ضَبِيلاً[1] شَخِيتاً، كأن ذُرَيْعَتَيْكَ ذُرَيْعَتَا كلب، فكذلك أنتم معشر الجن أم أنت من بينهم كذلك؟. قال: لا والله إني من بينهم لضليع. ولكن عاوِدْني الثانية فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك. قال: نعم. قال: تقرأ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم ﴾؟. قال: نعم. قال: فإنك لا تقرؤها في بيت إلا خرج منه الشيطان، له خَبَجٌ كخَبَجِ الحمار. ثم لا يدخله حتى يصبح[2].

قال أبو محمد: الضبيل: الدقيق. والشَّخِيتُ: المهزول[3]. والضَّلِيعُ: جَيِّدُ الأضلاع[4]. والخَبَجُ: الريح[5].

ورواه الدينوري في الجزء الثامن عشر من «المُجَالَسَة» عن ابن مسعود رضي الله عنه، ولفظه: لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجن فصارعه فصرعه الإنسي، فقال له الجني: عاوِدْني، فعاوده فصرعه الإنسي، فقال له الإنسي: أراك ضئيلاً شخيتاً، كأن ذِراعيك ذِراعَا كلب، فكذلك أنتم معاشر الجن أم أنت منهم كذا؟.

قال: لا والله إني منهم لضليع، ولكن عاوِدْني الثالثة، فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك، فعاوده فصرعه، فقال: هات علمني، قال: هل تقرأ آية

---

(١) في سنن الدارمي: ضئيلاً، وهو الصواب، كما في النهاية ٦٩/٣ وغريب الحديث لأبي عبيد ٣١٦/٣.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة آية الكرسي ٣٢٢/٢ حديث رقم ٣٣٨٤.

(٣) وراجعه في النهاية ٤٥٠/٢. وغريب الحديث لأبي عبيد ٣١٧/٣.

(٤) وقال في النهاية ٩٧/٣: وقيل: هو العظيم الصدر الواسع الجنبين.

(٥) وقال في النهاية ٦/٢: الخبج ـ بالتحريك ـ: الضراط ويروي بالحاء المهملة.

وقال أبو عبيد في الغريب ٣١٧/٣: وهو الحبج ـ أيضاً ـ بالحاء. وله أسماء سوى هذين كثيرة.

الكرسي؟. قال: نعم، قال: فإنك لا تقرؤها في بيت، إلا خرج منه الشيطان، ثم لا يدخله حتى يصبح، فقال رجل من القوم: يا أبا عبد الرحمن مَنْ ذاك الرجلُ من أصحاب محمد ﷺ، هو عمر رضي الله عنه؟.

فقال: من يكون هو إلا عمر؟.

ورواه أبو عبيد في «الغريب»، فقال في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن رجلاً من الجن لقيه فقال: هل لك أن تصارعني، فإن صرعتَني علَّمْتُك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان؟.

فصارعه فصرعه عمر رضي الله عنه ـ فذكر نحوه ـ وقال: تقرأ آية الكرسي، فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته، إلا خرج الشيطان وله خَبَجٌ كخبج الحمار[1].

ثم رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه(خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن، فذكر الحديث، قال: فقيل لعبد الله: أهو عمررضي الله عنه)[2]؟. فقال: وما عسى أن يكون إلا عمر.

وقال: «ضئيلا شخيتا» هما جميعاً: النحيف الجسم الدقيق.

والضليع: العظيم الخلق.

والخبج: الضراط. وهو الحَبَجُ أيضاً بالحاء، يعني المهملة. وله أسماء سوى هذين كثيرة[3].

وعند مسلم وأبي داود وأبي عبيد، من حديث أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟. قال: قلت: ﴿ **الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣١٦.

(٢) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٣) راجع: غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣١٧.

قال: فضرب في صدري وقال: لِيُهنَكَ[1] العلمُ أبَا المُنْذِر[2].

ورواه عبد الرزاق في جامعه، وأحمد - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[3] - وعبدبن حميد، ومسدد، وابن أبي شيبة في كتابه، وزادوا: والذي نفسي بيده إن لهذه الآية لَلِساناً وشفتين، تُقَدِّس المَلِكَ عند ساق العرش[4].

وسيأتي الكلام على سر هذا الحديث قريباً.

ولأبي داود عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي ﷺ جاءهم في صُفَّة المهاجرين، فسأل إنسانٌ: أي آية في القرآن أعظم؟. قال رسول الله ﷺ: ﴿ **الله لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّوم** ﴾[5].

ورواه الطبراني في الكبير، عن الأسقع البكري والد واثلة بلفظه، إلا أنه قال: ﴿ **الله لا إلَه إلاَّ هُوَ الحَيُّ القيومُ لا تأخذه سِنَةٌ ولاَ نَوْمٌ** ﴾. حتى انقضت[6].

---

(١) في سنن أبي داود: ليهن لك.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٦/٩٣.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في آية الكرسي ٢/٧٢ حديث رقم ١٤٦٠.
قال النووي في شرح مسلم ٦/٩٤: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصفات، من الإلهية والوحدانيّة والحياة والعلم والمُلْكِ والقدرة والإرادة، وهذه السبعة أصولُ الأسماء والصفات. اهـ.

(٣) مجمع الزوائد ٦/٣٢١.

(٤) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٠ حديث رقم ٦٠٠١.
ومسند الإمام أحمد ٥/١٤٢.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الحروف والقراءات ٤/٣٧ حديث رقم ٤٠٠٣.

(٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢١: رواه الطبراني، وفيه راوٍ لم يُسَمَّ وقد وُثِّق، وبقية رجاله ثقات.

ورواه إسحاق بن راهويه بإسناد فيه مجهول، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ، فأيُّما أُنزل عليكِ أعظمُ؟. قال: ﴿ الله لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ حتى تختم.

وعزاه ابن رجب إلى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في صحيحه[1].

ورواه أبو الحسن الخِلَعي في الجزء الثالث عشر من فوائده، عن أبي ذر رضي الله عنه في حديث طويل، قال: قلت: فأي شيء أعظم مما أنزل الله عليك؟. قال: آية الكرسي، يا أبا ذر ما السموات السبع فيالكرسي، إلا كحَلَقَةُ مُلقاة في فَلاة من الأرض، وفضلُ العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة.

قلت: فبأبي أنت وأمي، فكم الأنبياء؟. قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، قلت: فكم الرسل من ذلك؟، قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جَمًّا غَفِيراً.

قلت: فمن كان أولُهم؟. قال: آدم، قلت: آدم نبي مرسل؟.

قال: نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قبلا.

يا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وجنوح وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم، ونوح. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب،

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/١٧٨، ١٧٩.
وفي سنده أبو عمر - ويقال: أبو عمرو - الدمشقي، واسمه: محمد ابن فَضَالة بن الصقر، قال الدار قطني: متروك. عن عبيد بن الخشخاش ذكره البخاري في الضعفاء. فالحديث ضعيف، لضعف أبي عمر، ولأن عبيد لم يسمع من أبي ذر.
راجع: الميزان ٣/٩ ترجمة رقم ٥٤٢٠، ٤/٦ ترجمة رقم ٨٠٥٥، ٤/٥٥٥ ترجمة رقم ١٠٤٥٢.

ونبيكم . . - يعني: وإبراهيم من كوثا[1] - وسائرهم من بني اسرائيل. على الكل أفضل الصلاة والسلام.

فأول الأنبياء: آدم، وآخرهم: أنا، وأول أنبياء بني اسرائيل: موسى وآخرهم: عيسى عليه السلام.

قلت: بأبي أنت وأمي[2] يا رسول الله «فكم كتابا أنزله الله؟. قال: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب. أنزل الله على شيث بن آدم عليهما السلام خمسين صحيفة، وأنزل الله على جنوخ[3] وهو ادريس عليه السلام ثلاثين صحيفة، وأنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشر صحائف، وأنزل الله على موسى عليه السلام من قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل، والزبور والفرقان[4].

وقوله: «كحلقة ملقاة في فلاة»، يدل على أن السموات كُرَيَّةٌ متداخِلة.

وعند الحاكم - وقال: صحيح الإسناد - من طريق حكيم بن جبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: سورة

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) في د: بأبي وأمي أنت.

(٣) في تفسير ابن كثير: خنوخ.

(٤) مدار هذا الحديث على ابراهيم بن هشام بن يحيى، بن يحيى، الغساني المتوفي سنة ٢٣٨. قال الذهبي في الميزان ١/٧٢: وهو صاحب حديث أبي ذر الطويل. انفرد به عن أبيه.
وقال ابن حاتم في الجرح والتعديل ٢/١٤٣: أظنه لم يطلب العلم وهو كذاب.
وقال الذهبي: قال أبو زرعة: كذاب.
وقال ابن كثير في تفسيره ١/٥٨٦: وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البُستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات، واتهم به ابراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث.

البقرة فيها آية، هي سيدة[1] آي القرآن، لا تقرأ[2] في بيت وفيه شيطان، إلا خرج منه، آية الكرسي[3].

وللقاضي أبي عبد الله المحاملي في الخامس عشر من فوائده، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله عَلِّمْني شيئاً ينفعني الله به، قال: اقرأ آية الكرسي، فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك، حتى الدويرات[4] حول دارك.

وروى الدينوري في الجزء الحادي والعشرين من المُجالسة، عن الحسن رحمه الله، أن النبي ﷺ قال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: إن عفريتاً من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك، فقل: ﴿ **الله لَا إِلَه إلَّا هُو الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾ **حتى تختم آية الكرسي**.

ولأبي عبيد عن أبي أُمامة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أنه قال: ما أرى رجلاً وُلِدَ في الإسلام، أو أدرك عقلُه في الإسلام، يبيت أبداً، حتى يقرأ هذه الآية ﴿**الله لَا إِلَه إلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ**﴾، الآية، ولم تعلموا ما هي، إنما أعطيها نَبِيُّكم ﷺ من كنز تحت العرش، ولم يعطها أحد قبل نبيكم وما بت ليلة قط حتى أقرؤها ثلاث مرات، أقرؤها في الركعتين بعد العشاء الآخرة، وفي وِتْرِي، وحين آخذ مضجعي من فِراشي.

والسر - والله أعلم - في طرها الشيطان في جميع الأوقات: أن المقصود

---

(١) في المستدرك: سيد.

(٢) في المستدرك: يقرأ.

(٣) المستدرك: كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة ١/٥٦٠. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٦ حديث رقم ٦٠١٩.

(٤) في د: الدوران.

منها ـ كما بينتُه في نظم الدرر[1] ـ: الدلالة على مضمون الآية التي قبلها، من تمام القدرة المستلزم للوحدانية، المستلزمة للإحاطة بجميع صفات الكمال، مع التصريح بتلك الصفات الثبوتية والسلبية، كلها أو جلها، وذكر الاسم الأعظم، وما يدل عليه فيها عشرين مرة.

فلا جرم أن من قرأها، فتَنَسَّمَتْ أنفاسه من تلك القدرة، ضربت على بيته من سرادقات العظمة، فطرت عنه وعمن شاء الله من جيرانه الشيطان، وأعْلَتْهُ عن حضيض الآفات، إلى حضرات الرحمن.

وعلى هذا المقصود دلت تسميتها بالكرسي، لأنه على قدر مملكة المَلِك، تكون قدرته، وعلى حسب قدرته، يكون علوه وعظمته.

وما تقدم من كونها تُقَدِّسُ، مؤيِّدٌ لما ذكرت من مقصودها، فإن النطق آية تمام القدرة، ولما كانت نسبتها بذلك من سائر آيات القرآن، مثل نشْبة الإنسان من جميع الحيوان، بيِّنَتْ أُبْهيالبيان، انتظم قوله تعالى: ﴿ **لا إكراه في الدِّينِ قد تبيَّن الرُّشْدُ من الغيِّ** ﴾[2].

وروينا في «سباعيات» الصيدلاني[3] ومسند الإمام أحمد، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل رجلاً من أصحابه: معك آية الكرسي؟. قال: نعم. قال: ربع القرآن[4].

---

(1) راجع نظم الدرر ٤/٣٩/ط الهند.

(2) آية ٢٥٦.

(3) هو أبو بكر محمد بن داود بن محمد المروزي، المعروف بالصيدلاني، ويعرف بالداودي. فقيه محدث. توفي في حدود سنة ٤٢٧ هجرية.
راجع: معجم المؤلفين ٩/٢٩٨.

(4) مسند الإمام أحمد ٣/٣٢١.
لكن فيه سلمة بن وردان، أبو يعلي الجندعي، المدني. قال الذهبي في الميزان ٢/١٩٣: وقال أحمد: منكر الحديث، اهـ. وساق له الحديث المذكور.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/١٧٥: ليس بقوي، تدبرت حديثه، =

وكذا قال في الكافرون والنصر.

وسبب كون هذه الآية ربعاً، لا ثلثاً كالإخلاص: أنها - وإن أثبتت الإلهية - لم يُصرَّح فيها بالصمدية، ولا بنفي الولد والمكافىء، فهي بسورة «الكافرون» أشبه من حيث إنها داعية إلى الاقبال على صاحب تلك الأوصاف دون غيره.

وسيأتي لهذا في «الكافرون» تتمة.

وعند النسائي[1] والطبراني بأسانيدَ، أحدها صحيح - قال المنذري: وقال شيخنا أبو الحسن: على شرط البخاري[2] - وابنُ حبان في «كتاب الصلاة» وصححه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي دُبَر كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت[3].

وزاد الطبراني في بعض طرقه: وقل هو الله أحد.

قال المنذري: واسناده بهذه الزيادة جيد أيضاً[4].

= فوجدت عامتها منكرة، لا يوافق حديثُه عن أنس حديثَ الثقات إلا في حديث واحد، وهو حديث أنس عن معاذ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً...» فإن هذا الحديث قد شاركه فيه غيره، اهـ. مختصراً.

ونقل الذهبي عن الحاكم أنه قال: رواياته عن أنس أكثرها مناكير.

(١) في السنن الكبرى كما قال ابن القيم في زاد المعاد ١/٣٠٣ تحقيق شعيب الأرناؤط.

(٢) الترغيب والترهيب: كتاب الذكر والدعاء، باب الترغيب في آيات وأذكار بعد الصلوات ٢/٤٥٣.

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٠٧ أنه على شرط البخاري أيضاً.

(٣) وذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٦٣٢ حديث رقم ٨٩٢٦ ورمز له بالصحة.

(٤) الترغيب والترهيب ٢/٤٥٣.

قال العلامة ابن القيم في زاد المعاد ١/٣٠٣ : هذا الحديث تفرد به محمد بن حمير، عن محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة، ورواه النسائي عن الحسين بن بشر، عن محمد بن حمير. =

وعند الطبراني بإسناد حسن، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي دبر الصلاة المكتوبة، كان في ذِمَّة الله إلى الصلاة الأخرى[1].

ولصاحب الفردوس عن أنس، وأبي أمامة رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي في دُبُر الصلاة المكتوبة، قال أنس: كان له مثل أجر نبي.

وقال أبو أمامة: كان الرب يتولى قبض روحه بيده، وكان بمنزلة من قاتل عن أنبياء الله حتى يستشهد[2].

= وهذا الحديث من الناس من يصححه ويقول: الحسين بن بشر قد قال فيه النسائي: لا بأس به، وفي موضع آخر: ثقة. واما المُحَمَّدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه. قالوا: فالحديث على رسمه.

ومنهم من يقول: هو موضوع، وأدخله أبو الفرج بن الجوزي في كتابه في الموضوعات، وتعلق علي محمد بن حمير، وأنَّ أبا حاتم الرازي قال: لا يحتج به، وقال يعقوب بن سفيان: ليس بقوي.. وأنكر ذلك عليه بعض الحفاظ ووثقوا محمداً وقال: هو أجل من أن يكون له حديث موضوع، وقد احتج به أجل من صنف في الحديث الصحيح وهو البخاري، ووثقه أشد الناس مقالة في الرجال يحيى بن معين.

وقد رواه الطبراني في معجمه أيضاً من حديث عبد الله بن الحسن عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ : من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة، كان في ذمة الله الى الصلاة الأخرى.

وقد روى هذا الحديث من حديث أبي أمامة، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، والمغيرة بن شعبة، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وفيها كلها ضَعْفٌ، ولكنه اذا انضم بعضها الى بعض مع تباين طرقها، واختلاف مخارجها، دَلَّتْ على أن الحديث له أصل، وليس بموضوع، اهـ.

(١) قال الهيثمي في الزوائد ٢/١٤٨: رواه الطبراني في الكبير، واسناده حسن.

(٢) حديث أبي أمامة أخرجه ابن السنى في اليوم والليلة ص ٥٥ حديث رقم ١٢١. وفيه اسماعيل بن عياش مختلف فيه.

ولأبي الشيخ ابن حيان، والترمذي في فضائل القرآن وقال: غريب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي حين يصبح وآيةً من أول «حم المؤمن» حُفِظَ في يومه ذلك حتى يُمْسِي، ومن قرأها حين يمسي حُفِظَ في ليلته حتى يُصْبِحَ.

ولفظ الترمذي: من قرأ حم المؤمن إلى: «واليه المصيرُ[1]»، وآية الكرسي حين يصبح، حفظ بها حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي، حفظها بهما حتى يصبح[2].

وسيأتي هذا الحديث في غافر، إن شاء الله تعالى، وفيه زيادة قراءة الدخان.

فضل خواتيم سورة البقرة

ولصاحب الفردوس عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، عند الكَرْبِ، أغاثه الله.

وعند الستة، وعبد الرزاق في جامعه، وابن خُزَيْمَة، والدَّارِمي، وعبدِ ابن حَميد وأبي عُبَيد، عن أبي مسعود الأنصاري[3] رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتَاهُ[4].

---

(١) سورة غافر آية ١ ـ ٣.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ١٥٧/٥ حديث رقم ٢٨٧٩.
وفيه عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مُلَيْكَة. قال الترمذي: تكلم فيه بعض أهل العلم من قِبَل حفظه.

(٣) اسمه عقبة بن عمرو، بن ثعلبة، بن أسيرة، بن عطية، بن خدارة، بن عوف بن الحارث، بن الخزرج.
قال الذهبي في التجريد ٢٠٢/٢: وهو أحدث من شهد العقبة سنا ولم يشهد بدراً.
وقال ابن حجر في الإصابة ٤٨٤/٢: اتفقوا على أنه شهد العقبة واختلفوا في شهوده بدراً.

(٤) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا ١٧/٥، وكتاب فضائل =

ورواه الدَّارمي ـ كما في نُسْخَتَيْن ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه[1].

قال المنذري: أجزأتاه عن قيامَ تلك الليلة[2]، وقيل: كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة. وقيل: كفتاه مِنْ كل شيطان فلا يقربُه ليلتَه. وقيل: معناه: حَسْبُه بها فَضْلاً وأجْراً. والله أعلم. انتهى[3].

والصواب في مثل هذا: التعميم، فإنَّ اللفظ يحتمله، والفَضْلُ أوْسَعُ.

= القرآن، باب فضل سورة البقرة ٦/١٠٤، وباب في كم يقرأ القرآن ٦/١١٣.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ٦/٩١.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في آخر سورة البقرة ٥/١٥٩ حديث رقم ٢٨٨١.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٢/٥٦ حديث رقم ١٣٩٧.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيما يرجى أن يكون من قيام الليل ١/٤٣٥ حديث رقم ١٣٦٨.
وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ١/٢٨٨ حديث رقم ١٤٩٥. وكتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٣٢٣ حديث رقم ٣٣٩١.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٧ حديث رقم ٦٠٢٠.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب ذكر أقل ما يجزىء من القرآن في قيام الليل ٢/١٨٠ حديث رقم ١١٤١.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٣٢٣ حديث رقم ٣٣٩١.

(٢) قال الحافظ في الفتح ٩/٥٦: ورد صريحاً من طريق عاصم، عن علقمة، عن أبي مسعود يرفعه: من قرأ خاتمة البقرة أجزأت عنه قيام ليلة.
قلت: ويشهد له ـ أيضاً ـ حديث صاحب مسند الفردوس الآتي بعد.

(٣) الترغيب والترهيب: كتاب الذكر والدعاء، باب الترغيب في أذكار تقال بالليل والنهار غير مختصة بالليل والنهار ٢/٤٤٦.
وراجع: التبيان ص ١٢٤، وشرح مسلم ٦/٩١، كلاهما للنووي. والفتح ٩/٥٦١.

وفي الفردوس عن عقبة بن عامر، وأبي مسعود، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ خاتمة سورة البقرة حتى يختمها في ليلة، أجزأت عنه قيام تلك الليلة.

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ في ليلة آخر سورة البقرة، فقد أكثر وأطاب.

وله برجال ـ قال الهيثمي: ثقات ـ عن شَدَّاد بن أَوْسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل كتب كتاباً قبل أن يخلُقَ السموات والأرض بألفَيْ عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يُقْرآنِ في دار ثَلَاثَ لَيَالٍ، فيقربُها شيطان[1].

وله عن عقبة بنِ عامر رضي الله عنه قال: تَرَدَّدُوا في الآيتين من آخر سورة البقرة «آمن الرسول» إلى خاتمتها، فإن الله اصطفى بهما محمداً ﷺ.

وعند مسلم، والنَّسائي في الصلاة، والترمذي في التفسير، وأبي يعلى الموصلي في مسنده، وأبي نعيم في الحلية في ترجمة طلحةَ بنِ مصرِّف، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى (وهي في السماء السادسة[2])، إليها ينتهي ما يعـرج به من الأرض فَيُقْبَضُ منها، وإليها يَنْتَهِي ما يَهْبِطُ به من فوقها، فيُقْبَضُ منها، قال:

---

(١) سيذكره المؤلف بعد قليل من حديث النعمان بن بشير، عند الترمذي وآخري.

(٢) هكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي بلفظ: «السادسة» وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٢/٤ من حديث مسلم بلفظ: «السابعة».
قال النووي في شرح مسلم ٢/٣: هكذا هو في جميع الأصول «السادسة» وقد تقدم في الروايات الأُخَر من حديث أنس: أنها فوق السماء السابعة. قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح وقول الأكثرين، وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بـالمنتهى.
قلت: ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها في نهاية من العظم. اهـ.

«إذ يغشى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى»، قال: فراش من ذهب)[1]، قال: فأُعْطِي رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أُعْطِيَ الصلواتِ الخَمْسَ، وأُعْطِيَ خَواتِيمَ سورةِ البقرة، وغُفِر لمن مات لا يشرك بالله شيئاً من أمته المُقْحَماتُ[2].

وقال أبو نعيم: صحيح متفق عليه من حديث طلحة، لم نكتبه إلا من حديث مالك عن أبي الزبير[3].

ورواه أبو عبيد عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: الآيات الأواخر من سورة البقرة، إنهن لمن كنز تحت العرش.

وعند أبي عبيد في الفضائل، والترمذي في الجامع واللفظ لهما، والنسائي وابن حبان في صحيحه، وأحمد بن منيع في مسنده، والدارمي، والطبراني في الأوسط في ترجمة أحمد بن محمد بن صدقة، وأحمد بن عمرو القَطَواني، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، عن النعمان بن بشير رضي الله

(١) ما بين القوسين زيادة عن صحيح مسلم وسنن النسائي.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهي ٣/٢.
وسنن النسائي: كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة ١/٢٢٣.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم ٥/٣٩٣ حديث رقم ٣٢٧٦.
والحلية لأبي نعيم ٥/١٥.
والمقحمات ـ بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء ـ قال النووي ٣/٣: الذنوب العظام الكبائر، التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها، والتقحم: الوقوع في المهالك، ومعنى الكلام: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات. اهـ.
وقال السيوطي في شرح النسائي ١/٢٢٤: أي الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار، أي تلقيهم فيها.

(٣) عند مسلم ٣/٢: الزبير بن عدى.
وفي التقريب للحافظ ١/٢٥٨: الزبير بن عدى الهمداني، اليامي ـ بالتحتانية ـ أبو عبد الله الكوفي، اهـ.
فاسمه: الزبير، لا أبو الزبير. وكنيته «أبو عبد الله» كما ذكر الحافظ.

عنها، أن النبي ﷺ قال: إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا يُقْرَءانِ في دار ثلاث ليال، فيقربُها شيطان[1].

ولفظ ابن منيع: فمن قرأ بهما في (بيته) لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام.

وقال: هو عنده على العرش.

ولفظ ابن صدقة بعد قوله: «بألفي عام ف هو عنده على العرش: أنزل في ذلك الكتاب آيتين ختم بهما سورة البقرة، وأن الشيطان لا يلج بيتاً قرئت فيه ثلاث ليال.

والباقي سواء.

وفي رواية الحاكم: ولا يقرآن في بيت فيقربه الشيطان ثلاث ليال.

وقال صحيح على شرط مسلم[2].

وعند مسدد، وأبي بكر بن أبي داود، عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما كنت أرى أحداً يعقل، ينام حتى يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة (فإنهن من كنز تحت العرش.

ولفظ ابن أبي داود: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة)[3].

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في آخر سورة البقرة ٥/١٥٩ حديث رقم ٢٨٨٢ وقال: هذا حديث حسن غريب.

وابن حبان «موارد الظمآن» كتاب التفسير، سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٣٢٣ حديث رقم ٣٢٩٠.

والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب آيتانِ من آخر سورة البقرة لا تقرآن في دار فيقر بها شيطان ثلاث ليال ١/٥٦٢.

قال الذهبي ١/٥٦٢: صحيح.

(٢) المستدرك: الموضع السابق.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

قال النووي: واسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم[1].

وروى أيضاً عن علي رضي الله عنه: ما أرى[2] أحداً يعقل في الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي.

وللإمام أحمد بن حنبل - قال الهيثمي: بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح[3] - وأحمد بن منيع، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خواتيم سورة البقرة من بيت من تحت العرش - (وفي رواية: آيتين أوتيتهما من كنز من بيت تحت العرش)[4] - لم يؤتهما نبي قبلي: الآيتان من آخر سورة البقرة[5].

وللطبراني في الكبير والأوسط، وأحمد في المسند - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[6] - عن حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة - وفي رواية: خواتيم سورة البقرة - من كنز تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي[7].

قال ابن رجب: وخرَّجه النسائي، وعِندَهُ: وأُوتيتُ هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة، من كنز تحت العرش، لم يعط منه أحد قبلي، ولا يعطي منه أحد بعدي.

وأشار إلى أنه في صحيح مسلم.

---

(١) التبيان ص ١٢٥.

(٢) في د: رأى.

(٣) مجمع الزوائد ٣١٢/٦.

(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٥) مسند الإمام أحمد ١٥١/٥، ١٨٠.
وأخرجه من حديث عقبة بن عامر الجهني ١٤٧/٤، ١٥٨.

(٦) عبارة الهيثمي في الزوائد ٣٢٤/٦ هكذا: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٧) مسند الإمام أحمد ٣٨٣/٥.

وللدارمي عن أيفع بن عبد الله الكلاعي - وجزم الذهبي أنه تابعي[1] - قال: قال رجل يا رسول الله، أي سورة في القرآن أعظم؟. قال: «قل هو الله أحد» قال: فأيُّ آية في القرآن أعظم؟. قال: آية الكرسي **﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾**، قال: فأيُّ آية يا نبيَّ الله تحب أن تصيبك وأمتك؟. قال: خاتمة سورة البقرة، فإنها من خزائن رحمة الله، من تحت عرشه، أعطاها هذه الأمة، لم تترك خيراً من خير الدنيا والأخرة، الا اشتملت عليه[2].

وفي رواية: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي آية في القرآن أعظم؟. قال: آية الكرسي، وخاتمة البقرة[3].

فعلى هذهالرواية هو متصل، فيه مبهم.

وخرج ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ آخر سورة البقرة، أو آيةالكرسي، ضحك، وقال: إنهما من كنز الرحمن تحت العرش. وإذا قرأ: **﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾**[4]، **﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾**[5]، استرجع[6] واستكان[7].

---

(١) كذا في الإصابة لابن حجر ١/١٣٩ ترجمة رقم ٥٧٨، وعنده أنه مات سنة ١٠٦ هجرية.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٨٣.

(٣) لم أعثر على هذه الرواية في سنن الدارمي. ط بيروت.

(٤) سورة النساء آية ١٢٣.

(٥) سورة النجم آية ٣٩ ـ ٤١.

(٦) أي قال: إنا لله وإنا اليه راجعون.

واستكان: قال في اللسان ١٣/٣٧١: فيه قولان: أحدهما: أنه من السكينة. اهـ.

(٧) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٤١ ولم يعقب عليه.

وله عن علي رضي الله عنه قال: ما كنت أرى أن أحداً يعقل ينام، حتى يقرأ هؤلاءالآيات من آخر سورة البقرة، وأنهن لمن كنز تحت العرش.

ولابن جرير في التفسير، والبزار في مسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أو غيره[1] ـ عن النبي ﷺ، وبعضهم وقفه على أبي هريرة. فذكر حديثاً في الإسراء.

وفيه: إن الله قال: يا محمد جعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيل، وأعطيتك سبعاً من المثاني (والقرآن)[2] العظيم، لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة، من كنز تحت العرش، لم أعطها نبياً قبلك .

وسيأتي في الكوثر ما يتصل بهذا.

وعند الحاكم وصححه على شرط البخاري، عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء[4].

وفي إسناده معاوية بن صالح، قال المنذري: لم يحتج به البخاري، إنما احتج به مسلم[5].

---

(١) هذا الشك موجود عند ابن جرير.

(٢) ساقطة من: م.

(٣) تفسير ابن جرير ١٥/١٠ من حديث طويل في سورة الإسراء.
والحديث من طريق أبي جعفر الرازي عيسى بن أبي عيسى ماهان، قال ابن حبان: ينفرد بالمناكير عن المشاهير.
وأشار الذهبي في الميزان الى هذا الحديث في ترجمته وقال: فيه ألفاظ منكرة جداً.
راجع: الميزان ٣/٣٢٠.

(٤) المستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/٥٦٢.

(٥) الترغيب والترهيب ٢/٣٧٢.

وهو عند أبي عبيد في الفضائل، وأبي داود في المراسيل، والدارمي، من حديث جبير بن نفير مرسلا[1].

وللإمام أحمد، وأبي يعلى الموصلي، في مسنديهما، والطبراني، وأبي عبيد في الفضائل، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرأ - وفي رواية: يقول على المنبر: اقرأوا - بهاتين الآيتين من آخر سورة البقرة، إني أعطيتهما من تحت العرش[2].

قال الهيثمي: والحديث حسن[3].

(ولفظ أبي عبيد: فإن ربي جل جلاله أعطانيهما من تحت العرش)[4]. وفي سورة الشعراء حديث في فضل البقرة، وهاتين الآيتين[5].

وروى الدارمي، عن عبدالله رضي الله عنه قال: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة، لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع من أولها[6] وآية الكرسي[7]، وآيتان بعدها[8]، وثلاث خواتيمها، أولها[9]: «لله ما في السموات وما في الأرض»[10].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة آية الكرسي ٢/٣٢٣ حديث رقم ٣٣٩٣.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/١٤٧، ١٥٨.

(٣) مجمع الزوائد ٦/٣١٢.

(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٥) راجع جـ٢/٤١١.

(٦) من أول السورة الى قوله تعالى: وبالآخرة هم يوقنون.

(٧) الآية: ٢٥٥.

(٨) الآيتان: ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٩) الآيات: ٢٨٤ - ٢٨٦.

(١٠) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة آية الكرسي ٢/٣٢٢.

وقال في رواية أخرى: من قرأها، لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان، ولا شيء يكرهه، ولا يُقْرَأْنَ على مجنون إلا أفاق[1].

وله عن المغيرة بن سبيع ـ وكان من أصحاب عبدالله ـ قال: من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه، لم ينس القرآن: أربع آيات من أولها، وآية الكرسي، وآيتان مِنْ بعدها، وثلاث من آخرها[2].

وللبيهقي في الدعوات ـ وقال: موقوف حسن ـ عن العلاء بن اللجلاج، أنه قال لبنيه: إذا أدخلتموني في قبري، فضعوني في اللحد وقولوا: بسم الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وسنوا عليَّ التراب سنًّا[3]، واقرأوا عندي أول البقرة وخاتمتها، فإني رأيت ابن عمر يستحب ذلك.

وفي الفردوس عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ من أول البقرة أربع آيات، وآية الكرسي، والآيتين بعدها، والثلاث من آخرها، كلأه الله في أهله، وولده، وماله، ودنياه، وآخرته.

وللطبراني ـ قال الهيثمي: عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، صدوق إن شاء الله، كما قال الذهبي[4]، قال ابن أبي حاتم: وقد تلكموا فيه[5]، وبقية رجاله وثقوا[6] ـ عن بريدة رضي الله عنه قال: بلغني أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أخذ الشيطان على عهد رسول الله ﷺ، فأتيته فقلت: بلغني أنك أخذت الشيطان على عهد رسول الله ﷺ؟. قال: نعم، ضَمَّ إلى رسول الله ﷺ تمر الصدقة، فجعلته في غرفة لي، فكنت أجد فيه كل يوم

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٣٢٢.

(٢) سنن الدارمي: الموضع السابق.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٢/٤١٣: أي ضعوه وضعاً سهلاً.

(٤) راجع الميزان ٤/٣٩٦ ترجمة رقم ٩٥٨٦.

(٥) عبارة ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/١٧٥ هكذا: كتبت عنه، وكتب عنه أبي، وتكلموا فيه.

(٦) مجمع الزوائد ٦/٣٢٢.

نقصاناً، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: هو عمل الشيطان فارصده، فرصدته ليلاً، فلما ذهب هَوِيٌّ من الليل أقبل على صورة الفيل، فلما انتهى إلى الباب، دخل من خلل الباب على صورته، فدنا من التمر فجعل يلتقمه، فشددت عليَّ ثيابي فتوسطته، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، يا عدو الله وَثَبْتَ إلى تمر الصدقة فأخذته، وكانوا أحق به منك، لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك، فعاهدني أن لا يعود، فغدوت إلى رسول الله ﷺ، فقال لي: ما فعل أسيرك؟.. فقلت: عاهدني أن لا يعود. قال: إنه عائد فارصده، فرصدته الليلة الثانيةفصنع مثل ذلك، فصنعت مثل ذلك، وعاهدني ألا يعود، فخلَّيْتُ سبيله، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ (لأخبره) فإذا مناديه ينادي: أين معاذ؟. فقال لي: يا معاذ ما فعل أسيرك؟. فأخبرته، فقال لي: إنه عائد فارصده فرصدته الليلة الثالثة، فصنع مثل ذلك، وصنعت مثل ذلك. فقلت: يا عدو الله، عاهدتني مرتين وهذه الثالثة، لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك. فقال: إني شيطان ذو عيال، وما أتيتك إلا من نصيبين[1]، ولو أصبت شيئاً دونه ما أتيتك، ولقد كنا في مدينتكم هذه، حتى بعث صاحبكم، فلما نزلت عليه آيتان، أنفرتنا منها، فوقعنا بنصيبين، ولا يقرآن في بيت، إلا لم يلج فيه الشيطان ثلاثاً، فإن خليت سبيلي علمتكهما؟. قلت، نعم، قال: آية الكرسي وخاتمة سورة البقرة، «آمن الرسول» إلى آخرها، فخليت سبيله، فغدوت إلى رسول الله ﷺ لأخبره، فإذا مناديه ينادي: أين معاذ بن جبل؟. فلما دخلت عليه قال لي: ما فعل أسيرك؟. قلت: عاهدني ألا يعود، وأخبرته بما قال، فقال رسول الله ﷺ: صدق الخبيث وهو كذوب.

قال: فكنت أقرؤهما عليه بعد ذلك، فلا أجد فيه نقصاناً.

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان ٥/٢٨٨: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام.

وقال صاحب كتاب معجم ما استعجم ٤ /١٣١٠: من كور ديار ربيعة وهي كلها بين الحيرة والشام.

وللطبراني في الكبير أيضاً ـ قال الهيثمي: ورجاله وثقوا كلهم، وفي بعضهم ضعف[١] ـ عن مالك بن حمزة، بن أبي أسيد الساعدي، عن أبيه، عن جده أبي أسيد الساعدي الخزرجي رضي الله عنه، وله بئر بالمدينة يقال لها: بئر بضاعة، قد بصق فيها النبي ﷺ، فهي يتبشر بها، ويتيمن بها.

قال: فلما قطع أبو أسيد تمر حائطه، جعلها في غرفة، فكانت الغول تخالفه إلى مسربته[٢]، فتسرق تمره، وتفسده عليه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال: تلك الغول يا أبا أسيد، فاستمع عليها، فإذا سمعت اقتحامها، فقل: بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ، فقالت الغول[٣]: يا أبا أسيد، اعفني أن تكلفني أن أذهب إلى رسول الله ﷺ وأعطيك موثقاً من الله أن لا أخالفك إلى بيتك، ولا أسرق تمرك، فأدلك على آية تقرؤها على بيتك، فلا تخالف إلى[٤] أهلك، وتقرؤها على إنائك فلا يكشف غطاؤه[٥] فأعطته الموثق الذي رضي به منها، فقالت: الآية التي أدلك عليها هي آية الكرسي. ثم حكت[٦] أسنانها تضرط. فأتى النبي ﷺ فقص عليه القصة حيث ولّت. فقال النبي ﷺ: صدقت وهي كذوب.

اشتمال سورة البقرة على آخر ما نزل من القرآن

وروى البخاري في التفسير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على رسول[٧] الله ﷺ، آية الربا[٨].

---

(١) مجمع الزوائد ٣٢٣/٦.

(٢) قال في اللسان ٤٦٥/١: هي مثل الصُّفَّةِ بين يدي الغرفة.

(٣) كذا بالأصل ومجمع الزوائد، وواضح أن في الكلام حذفاً يسهل على القارىء تقديره.

(٤) في د: الا.

(٥) في مجمع الزوائد: نكشف غطاءه.

(٦) في د: حلت.

(٧) فيالبخاري: علي النبي لا .

(٨) صحيح البخاري: كتاب التفسير، «سورة البقرة»، باب واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ١٦٤/٥.

وروى أبو عبيد عن ابن شهاب(١) قال: آخر القرآن عهداً بالعرش: آية الربا وآيةالدَّيْنِ.

وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية أنزلت من القرآن: ﴿ واتقوا(٢) يوماً تُرْجَعُون فيه إلى الله ﴾(٣).

---

(١) هومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري.
تقدمت ترجمته.

(٢) الآية ٢٨١.

(٣) وأخرجه البخاري ترجمة: الموضع السابق.

وقد اختلفت العلماء في تعيين آخر ما نزل من الآيات، وآخر ما نزل من السور، وسبب اختلافهم تعدد الروايات الواردة، وخلوها من حديث مرفوع الى النبي ﷺ يقطع مادة الخلاف، فقال كل واحد بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، وكل منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ قبل وفاته، وها هي أقوالهم كما وردت عن السلف: فأما ما ورد في تعيين آخر ما نزل من الآيات:

١ ـ أن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً تُرْجَعُون فيه الى الله﴾ أخرجه النسائي عن ابن عباس، وترجم به البخاري في صحيحه.

٢ ـ أن آخر ما نزل قوله تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذَرُوا ما بقِيَ من الرِّبا﴾، أخرجه البخاري عن ابن عباس، والبيهقي عن ابن عمر.

٣ ـ أن آخر ما نزل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بِدَيْنٍ﴾ الآية وهو مروي عن ابن شهاب الزهري وسعيد ابن المسيب.

٤ ـ أن آخر آية نزلت قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أُضِيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ رواه ابن مردوية عن أم سلمة رضي الله عنها.

٥ ـ أن آخر آية نزلت قوله تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ الآية، أخرجه الشيخان عن البراء بن عازب.

٧ ـ أن آخر آية نزلت خاتمة سورة براءة: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتّمْ. . .﴾ الآيتان، رواه الحاكم عن أبي بن كعب.

٨ ـ أن آخر آية نزلت قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فلْيَعْمَلْ عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ رواه ابن جرير عن معاوية بن سفيان.

. . . .

هذا حاصل ما ورد في شأن آخر آيات القرآن نزولاً، وهي أقوال في ظاهرها متعارضة، وروايات متباينة، ومنها القوى، ومنها الضعيف، والمعروف عند العلماء: أنه اذا تعارضت الروايات في أمر من الأمور، واختلفت الأقوال في مسألة من المسائل، فإما أن يجمع بينها ان أمكن الجمع بلا تكلّف. واما أن يرجّح بعضها على بعض بحسب ما يعتريها من القوة والضعف، وقد جمع العلماء بين تلك الأقوال بما لا يدع تعارضاً فيما بينها. فآيات سورة البقرة نزلت دفعة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، الا ان كل واحد أخبر عن بعض ما نزل بأنه آخر ما نزل، والى ذلك مال السيوطي، وجنح اليه العلامة البقاعي.

وأما آية آل عمران فتحمل على أنها آخر ما نزل في شأن النساء، لا على أنها آخر ما نزل من القرآن.

وأما آية سورة النساء: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً﴾ فتحمل على أنها آخر ما نزل في قتل المؤمن عمداً، ولذا فقد جاء في الرواية: هي آخر ما نزل وما نسخها شيء.

وأما آية آخر سورة النساء: ﴿يستفتونك قل الله يُفْتيكم في الكَلاَلَة﴾ فتحمل على أنها آخر ما نزل من آيات المواريث.

وأما الآيتان من آخر سورة براءة، فيحمل القول فيهما على أنهما آخر ما نزل مِنْ سورة الكهف، فالرواية فيها ضعيفة، ولذا فقد قال الحافظ ابن كثير: هذا أثر مشكل ولعله أراد: لم ينزل بعدها آية تنسخها، بل هي آية مثبتة محكمة.

ولم يبق بعد ذلك الا القول بآخر الآيات في سورة البقرة، وبخاصة آية: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله﴾ الآية. ومال اليه الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٢٠٥، لما فيها من الإشارة الى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول.

وقال الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان ١/٩٠: ولكن النفس تستريح الى أن آخر هذه الثلاثة نزولاً هو قول الله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله، ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾. وذلك لأمرين: أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة الى ختام الوحي والدين بسبب ما تَحُثُّ عليه من الاستعداد ليوم المعاد، وما تنوه به من الرجوع الى الله، واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم، وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

ثانيهما: التنصيص في رواية ابن أبي حاتم على أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال فقط، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله. اهـ.

قال: زعموا: أن رسول الله ﷺ مكث بعدها تسع ليال[1] بدأ به[2] يوم السبت، وتوفي يوم الاثنين. انتهى.

ولا مخالفة، لأنها من آيات الربا والدَّين.

وقال بعض العلماء: هي[3] أرجى آية في القرآن، لأنها أطول آية فيه، وقد أرشد الله فيها العباد إلى حفظه بأنواع كثيرة من الاحتياط، وإذا كان هذا لطفه بأموالهم الفائتة، فكيف يكون حفظه عليهم لإيمانهم الذي ينفعهم في آخرتهم على الدوام.

وروى مسلم وغيره، عن ابن عباس - وغيره - رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾[4]، دخل قلوبهم منها شيء، لم يدخلها من شيء[5]، فقال النبي ﷺ: قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا، قال: فألقى الله عز وجل في قلوبهم الأيمان، فأنزل الله عز وجل ﴿ **آمن الرسول بما أُنزِلَ إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله** ﴾ - إلى

= هذا، وأما مسلك الترجيح بين الروايات: فما رواه البخاري في صحيحه بشأن آية الربا وآية ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله﴾، أرجح وأصح من غيره الوارد في غير الصحيح، بل وأرجح مما رواه الشيخان بشأن آية الكلالة، لأن آية سورة البقرة تعددت فيها الروايات، وجاءت في الصحيح بطرق مختلفة، بخلاف غيرها من الآيات التي قلت رواياتها ورواتها وان جاءت في الصحيح أو الصحيحين. ولذا فقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣١٦/٨: وأصح الأقوال في آخرية الآية، قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله﴾.

هذا في آخر ما نزل من الآيات، وأما آخر ما نزل من السور فسيأتي فيه الكلام في سورة المائدة. ان شاء الله.

(١) نسبه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٣٣/١، والحافظ ابن حجر في الفتح ٢٠٥/٨ الى ابن جريج، وأشار الى انه من رواية الطبري عنه.

(٢) أي بدأ به المرض.

(٣) يعني آية الدين.

(٤) الآية ٢٨٤ من السورة.

(٥) اللفظ في صحيح مسلم هكذا: لم يدخل قلوبهم من شيء.

قوله ـ: ﴿ لا يكلِّف الله نفساً إلا وُسْعَها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾، قال: قد فعلت، ﴿ ربَّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصْراً [1] كما حَمَلْتَهُ على الذين من قبلنا ﴾، قال: قد فعلت ﴿ واعْفُ عنَّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾[2]، قال: قد فعلت[3].

ورواه عن أبي هريرة بنحوه، وقال: «نعم» موضع «قد فعلت».

وفي سورة طه عن أبي أمامة رضي الله عنه في فضلها[4].

وتقدم في الفاتحة من ذلك[5].

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٢/٦٢: الإصر: العهد والميثاق.
وقيل: الحمل والثقل.

(٢) الآيات ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس ٢/١٤٦.

(٤) راجع: جـ ٢/٣٨٦ وما بعدها.

(٥) راجع.

سورة آل عمران

مدنية إجماعاً. هكذا قالوا.

وقال النجم النسفي في تيسيره: مكية في قول عكرمة[1] والحسن البصري مدنية في قول عامة أهل التفسير.

وقال الجعبري في شرح الشاطبية: مدنية، إلا خمس آيات فمكية.

وهي إحدى الزهراوين. وتاج القرآن.

عدد آياتها وفواصلها

وآيها مائتان في جميع العدد، فهي متفقة الإجماع، مختلفة التفصيل. اختلافها في سبع آيات:

---

(١) هو عكرمة بن عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري.
قال الحافظ في التقريب ٢/٣٠: ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة. اهـ. ومات سنة ١٠٧ من الهجرة.

﴿ الم ﴾[1] عدها الكوفي وحده.
﴿ الإنجيل ﴾[2] الأول، أسقطها الشامي وحده.
﴿ وأنزل الفرقان ﴾[2] أسقطها الكوفي وحده.
﴿ الإنجيل ﴾[3] الثاني، عدها الكوفي وحده.
﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴾[4] عدها البصري وحده.
﴿ مما تحبون ﴾[5] الأول، أسقطها الكوفي والبصري، وأبو جعفر القاريء وعدها الباقون وشيبة بن نصاح.

﴿ مقامُ إبراهيم ﴾[6] عدها الشامي وأبو جعفر، ولم يعدها الباقون وشيبة.

وفيها مما يشبه الفواصل ما يتلفق[7] من قولى الداني والجعبري، ثلاث عشرة كلمة:

﴿ ولهم عذاب شديد ﴾[8]. ﴿ عِنْدَ الله الإِسْلامُ ﴾[9]، ﴿وحَصُوراً﴾[10] ﴿إلا رَمْزاً﴾[11]، ﴿يخلق ما يشاء﴾[12]، ﴿في الأميين

---

(1) آية: ١.
(2) آية: ٣.
(3) آية: ٤٨.
(4) آية: ٤٩.
(5) آية: ٩٢.
(6) آية: ٩٧.
(7) في د: يتعلق.
(8) آية: ٤.
(9) آية: ١٩.
(10) آية: ٣٩.
(11) آية: ٤١.
(12) آية: ٤٧.

سبيـل ﴾[١]، ﴿أفغير دين الله يبغـون ﴾[٢]، ﴿لهم عذاب أليم ﴾[٣]، ﴿إليه سبيلاً ﴾[٤]، ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾[٥]، ﴿يوم التقى الجمعان ﴾[٦]، ﴿أذى كثيراً ﴾[٧]، ﴿متاع قليل ﴾[٨].

وفيها عكس ذلك وهو ما يشبه الوسط، وهو رأس آية: ست.

﴿بـالأسحـار ﴾[٩]، ﴿يفعـل مـا يشـاء ﴾[١٠]، ﴿يقـول لـه كن فيكون ﴾[١١]، ﴿قال له كن فيكون ﴾[١٢]، ﴿ولِيَعْلَم المؤمنِين ﴾[١٣]، ﴿في البلاد ﴾[١٤].

رويها تسعة أحرف: مر لقد أطنب.

القاف: الحريق[١٥]، والهمزة: السماء[١٦]، والدعاء[١٧]، وما يشاء[١٨].

---

(١) آية: ٧٥.
(٢) آية: ٨٣.
(٣) آية: ٩١.
(٤) آية: ٩٧.
(٥) آية: ١٥٢.
(٦) آية: ١٥٥.
(٧) آية: ١٨٦.
(٨) آية: ١٩٧.
(٩) آية: ١٧.
(١٠) آية: ٤٠.
(١١) آية: ٤٧.
(١٢) آية: ٥٩.
(١٣) آية: ١٦٦.
(١٤) آية: ١٩٦.
(١٥) آية: ١٨١.
(١٦) آية: ٥.
(١٧) آية: ٣٨.
(١٨) آية: ٤٠.

ومقصودها: التوحيد.

وذلك أن الفاتحة - وهي أم القرآن - لما كانت جامعة للدِّين إجمالاً جاء ما به التفصيل، وهو القرآن ، الذي هي أمه، محاذياً لذلك، فابتدأ بسورة الكتاب، المحيط بأمر الدين، كما أن الفاتحة محيطة بأم القرآن، ثم بسورة التوحيد، الذي هو سر حرف الحمد، أول حروف الفاتحة السبعة، لأن التوحيد هو الأساس الذي لا يقوم بناء شيء من الدين بدونه، كما أن الفاتحة أس القرآن.

وأيضاً: فلما ثبت بالبقرة أم الكتاب، في أنه هدى، وقامت به دعائم الإسلام الخمس، جاءت هذه لإثبات أمر الدعوة الجامعة، في قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** ﴾[1]، فأثبت الوحدانية له سبحانه بإبطال إلهية غيره بإثبات أن عيسى عليه السلام - الذي كان يحي الموتى - عبده، فغيره بطريق الأولى.

وعلم أن الذي أقدره على إحياء الموتى، تارة بالنفخ، وتارة بغيره، هو الذي أقدر أحاد بني إسرائيل - على عهد موسى عليه السلام - على إحياء ذلك القتيل، بضربه بلحم تلك البقرة، التي أمرهم موسى عليه السلام بذبحها وسميت بها السورة إشارة إلى ما تقدم من التطبيق بين اسمها ومسماها.

فلما ثبت بهذا: أن الكل عبيده سبحانه، جاءت سورة النساء داعية إلى إقبالهم إليه، واجتماعهم عليه.

والدليل على أن المقصود من هذه السورة، الدلالة على التوحيد: تسميتها بآل عمران، فإنه لم يعرب عن هذا القصد في هذه السورة، ما

---

(١) آية: ٢١.

أعرب عنه ما ساقه سبحانه فيها من أخبارهم، بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد، الذي ليس في درج الإيمان أعلى منه، فهو التاج الذي هو خاصة الملك المحسوسة، كما أن التوحيد خاصته المعقولة.

والتوحيد موجب لزهادة المتحلي بهذه السورة.

فلذلك سميت الزهراء، وهو في نفسه ملزوم للأنوار الزاهرة، والأضواء الباهرة كلها، التي هي الأدلة الحقة للدين الحق، فلا يمكن رؤيتها على الحقيقة بدون تصحيحه. والله تعالى الهادى[1].

---

(١) وقال في نظم الدرر ١٩٥/٤: المقاصد التي سيقت لها هذه السورة: إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما، مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، وأن ما أُعد للمتقين من الجنة والرضوان، هو الذي ينبغي الإقبال عليه، والمسارعة اليه. وفي وصف المتقين بالإيمان والدعاء والصبر، والصدق والإنفاق، والاستغفار ما يتعطف عليه كثير من أفانين أساليب هذه السورة. اهـ.

ولإبراز هذا المقصد ـ أي التوحيد ـ تسير السورة بتسلسل في ثلاثة خطوط رئيسة، تلتقي كلها حول هدف واحد هو إبراز هذا الجانب. أما الخط الأول: فهو بيان معنى الدين، ومعنى الإسلام.

فالدين هو صورة التوحيد المطلق، الذي يتمثل في توحيد الألوهية فلا إله في الوجود إلا الله. وفي توحيد القوامة على البشر وعلى الكون كله، فلا يقوم شيء في الوجود الا بالله تعالى، ولا يقوم بتدبير أمر الخلائق الا الله جلت قدرته. ومن هنا يكون الدين الذي يقبله الله من عباده هو: الإسلام. ومعناه: الاستسلام المطلق للقوامة الإلهية، والتلقي من هذا المصدر وحده في كل شأن من شئون الحياة والتحاكم الى كتاب الله المنزل من هذا المصدر.

ويتكي سياق السورة على هذا الخط. ويوضحه في كثير من الآيات بشكل ظاهر ملموس. ومن هذه الآيات:

﴿الله لَا إِلَهَ إلاّ هو الحَ القَيُّوم﴾... ﴿شَهِدَ الله أنّه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولُو العلم قائماً بالقسط لا إلهَ إلاّ هو العزيز الحكيمُ﴾... ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾... ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم. فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾... ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدْعَوْن الى كتاب الله ليحكم بينهم﴾... ﴿قل إن كنتم تحبون الله =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى مسلم في صحيحه، والترمذي وقال: حسن غريب، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

فاتبعوني يحببكم الله﴾... ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾... ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾... ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبَلَ منه﴾.

وأما الخط الثاني: فهو تصوير حال المسلمين مع ربهم. واستسلامهم له، وتلقيهم لكل ما يأتيهم منه بالقبول والطاعة، والاتباع الدقيق، وتعرض السورة لذلك الاتجاه في كثير من الآيات، منها:

﴿والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا﴾... ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله آمناً بالله واشهد بأنا مسلمون، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾... ﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشَوْهُم، فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾... ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار، ربنا انك من تدخلِ النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار، ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنُوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبناوكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتِنَا ماوَعَدتَّنَا على رسلك ولا تُخْزِنا يوم القيامة إنك لا تُخْلِفُ الميعاد﴾.

وأما الخط الثالث: فهو التحذير من ولاية غير المؤمنين، والتهوين من شأن الكافرين، وتقرير أنه لا إيمان ولا صلة بالله مع تولي الكفار الذين لا يحتكمون لكتاب الله، ولا يتبعون منهجه في الحياة. وتعرض السورة لذلك في كثير من الآيات. منها:

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾... ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يُضلّون إلا أنْفسَهم وما يشعرون﴾... ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين...﴾... ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خَبَالاً ودُّوا ما عنتم، فقد بَدَت البغضاء من أفواههم، وما تخفى صدورهم أكبر﴾... ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾.

راجع: في ظلال القرآن ١/٣٥٧ وما بعدها.

يقول: يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين[1] كانوا يعملون به في الدنيا تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال، ما نسيتهن بعد، فقال: تأتيان كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان، بينهما شَرْقٌ، أو كأنهما فِرْقان[2] من طير صواف، يحاجان عن صاحبهما[3].

ولفظ الترمذي: كأنهما غمامتان بينهما إشراق، أو كأنهما غمامتان سوداوان، أو كأنهما ظلتان من طير صواف، يجادلان عن صاحبهما[4].

وللطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: تعلَّموا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن صاحبهما تعلموا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَة.

وله في الأوسط، عن أنس رضي الله عنه نحوه.

والمعنى في هذا الحديث ـ وما أشبهه ـ: أنه يجيء فضل العمل وثواب القراءة، لما أشار إليه قوله: وأهله الذين كانوا يعملون به.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في سورة السجدة التعبير عن هذا المراد بأوضح مما هنا، وأقرب إلى الظاهر، والله الموفق.

والإشارة بالسواد إلى قوة الإظلال.

---

(١) في د: الذي.

(٢) في صحيح مسلم: «حزقان» بحاء مهملة، بعدها زاي معجمة، وقاف بعدها ألف.
قال النووي في شرح مسلم ٦/٩٠: الفرقان ـ بكسر الفاء واسكان الراء والحزقان، بكسر الحاء المهملة واسكان الزاي ـ ومعناهما واحد وهما: قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد: فرق وحزق وحزيقة أي جماعة.

(٣) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن سورة البقرة ٦/٩٠.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة آل عمران ٥/١٦٠ حديث رقم ٢٨٨٣.

والشرق: قال المنذري: بفتح الشين المعجمة، (وقد تكسر)[1] وبسكون الراء، بعدهما قاف، أي بينهما فرق يضيء[2].

وفي القاموس: أن الشرق: الضوء نفسه، فهو حينئذ الفارق بينهما[3].

وسر تمثيلهما بذلك:

أما بالغمام والظلة: فلما مضى في البقرة من ظهور مجد الله تعالى - الذي هذه سورة توحيده - في الغمام. وذلك لأن مظهر الرحمة بالغيث والظل، والنسيم، والروح، كمل كان لبني إسرائيل.

ولأن بني إسرائيل كانت علامة قبول أعمالهم: نزول نار تأكل القربان فعوضنا من ذلك ظلا يروح الأجسام، وينعش الأرواح، معه نور[4] يشرح الصدور ويبهج النفوس.

وأما الطير: فللإيمان بما فيها من إكرام عيسى عليه السلام بتكوين الطير مع أنه عبد الله، واكرام الشهداء بأن أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها.

وشاركتها البقرة في الشهداء، وفي إكرام الخليل عليه السلام بإحياء الطيور.

وأما النور: ففي مقابلة النار، وكما كان لبني إسرائيل المذكورين في كثير منها من عمود النور في الغمام بالنهار. والله الموفق.

---

(١) ساقطة من: د.
(٢) الترغيب والترهيب ٢/٣٧٢.
(٣) وقال صاحب النهاية ٢/٤٦٤: الشرق ههنا: الضوء، وهو الشمس والشق أيضاً.
(٤) في د: نوح.

وعند الطبراني في الأوسط والكبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ السورة التي يذكر(١) فيها آل عمران يوم الجمعة صلى عليه الله وملائكته حتى تغيب الشمس.

وللبيهقي في الشعب عن مكحول مرسلاً، أن النبي ﷺ قال: من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة، صلت عليه الملائكة إلى الليل.

ورواه الدارمي عن مكحول موقوفاً عليه(٢).

وللطبراني في الأوسط بسند ـ قال المنذري: فيه بقية(٣) ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما خيب الله امرءاً قام في جوف الليل، فافتتح سورة البقرة وآل عمران.

ولأحمد وأبي داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجة، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ **والهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلاَّ هو الرحمن الرحيم** ﴾(٤)، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿ **الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم** ﴾(٦).

---

(١) في د: الذي.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران ٢/٣٢٥. حديث رقم ٣٤٠٠.

(٣) الترغيب والترهيب ١/٤٣٤.

وبقية: هو بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي، أبو يحمد ـ بضم التحتانية وسكون المهملة، وكسر الميم ـ قال الحافظ في التقريب ١/١٠٥: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء.

(٤) سورة البقرة آية ١٦٣.

(٥) آية: ٢.

(٦) مسند الإمام أحمد ٦/٤٦١، وليس فيه: «وفاتحة آل عمران».

وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ٥/٥١٧ حديث رقم ٣٤٧٨.

=

وفي رواية للإمام أحمد: أن الآية الثانية لآية آل عمران، آية الكرسي.

ولأحمد عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول، اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: قلت: يا رسول الله، وإن القلوب لتتقلب؟. قال: نعم، ما خلق الله من بشر من بني آدم، إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل، فإن شاء الله أقامه، وإن شاء أزاغه. فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة، إنه (هو)الوهاب، قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟. قال: بلى، قولي: اللهم ربَّ النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مُضِلَّات الفتن ما أحييتني[١].

قال الهيثمي: وروى الترمذي بعضه[٢]، ورواه أحمد، وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق[٣].

= وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء ٨/٢ حديث رقم ١٤٩٦.
وسنن ابن ماجة: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ١٩٦٧/٢ حديث رقم ٣٨٥٥.
وفي سنن الحديث عبيد الله بن أبي زياد القداح المكي ليس بالقوى، كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٥٣٣/٢، وشهر بن حوشب وهو صدوق كثير الارسال والأوهام كما ذكر الحافظ ـ أيضاً ـ في التقريب ٣٥٥/٢.

(١) مسند الإمام أحمد ٣٠٢/٦.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ٩٥ ـ ١٩٩/٥ حديث رقم ٣٥٨٨.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) مجمع الزوائد: كتاب التفسير، و ٢١١/٧ كتاب القدر.
قال الذهبي يفي الميزان ٢٨٣/٢: كان شهر على بَيْتِ المال فأخذ منه دراهم، فقال قائل:

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فمن يأمن القراءَ بعدك يا شهر

وللطبراني بسند فيه عمر بن المختار ـ قال الهيثمي: وهو ضعيف[1] ـ عن غالب القطان[2]، قال: أتيت الكوفة في تجارة، فنزلت قريباً من الأعمش، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر، قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية: «شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو والملائكةُ وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدِّين عند الله الإسلامُ ﴾[3]، قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة، وهي عند الله وديعة، ﴿ إن **الدين عند الله الإسلام** ﴾ قالها مراراً، قلت: لقد سمع فيها شيئاً، فغدوت إليه فودَّعته ثم قلت: يا أبا محمد، إني سمعتك تردد هذه الآية. قال: أو ما بلغك فيها؟. قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثني. قال: والله لأحدثنَّك بها سنة، فأقمت سنة فكتبت[4] على بابه، فلما مضت السنة. قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة، قال: حدثني أبو وائل[5]، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله تعالى: عبدي عهد إليَّ وأنا أحق من وفي بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة[6].

وله ـ أيضاً ـ عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ـ

---

(١) مجمع الزوائد ٦/٣٢٥.
وقال الذهبي في الميزان ٣/٢٢٣: عمر بن المختار البصري، عن يونس بن عبيد، وغيره، قال ابن عدى: روى الأباطيل.

(٢) هو غالب بن خطاف القطان البصري. قال الذهبي في الميزان ٣/٣٣٠: من رجال الصحيحين، وقال فيه أحمد: ثقة، ثقة.

(٣) سورة آل عمران آية ١٧ ـ ١٨.

(٤) كذا بالأصل ومجمع الزوائد. وفي ابن كثير: فكنت. وهذا أصوب.

(٥) هو عبد الله بن بحير الصنعاني القاص، من شيوخ عبد الرزاق. وهو أبو وائل، وثقة ابن معين، وقال ابن حبان: يروي العجائب التي كأنها معمولة، ولا يحتج به. وهو غير عبد الله بن بحير بن ريسان. ذاك ثقة.
راجع الميزان ٢/٣٩٥ ترجمة رقم ٤٢٢٢.

(٦) قال الهيثمي ٦/٣٢٦: فيه عمر بن المختار وهو ضعيف كما تقدم فهو حديث ضعيف.

قال الهيثمي: وهو ضعيف[1] - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين، يقولون: يا عباد الله، هذا الطريق، واعتصموا بحبل الله جميعاً. قال: الصراط المستقيم: كتاب الله.

وللإمام أحمد عن أبي يحيى مولى آل الزبير (عن الزبير بن العوام)[2] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية: ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾، وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب[3].

ورواه الطبراني، إلا أنه قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ هذه الآية ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ - إلى قوله -: ﴿العزيز الحكيم﴾ (قال: وأنا أشهد أن لا إله إلا أنت العزيز الحكيم)[4].

قال الهيثمي: وفي إسناديهما مجاهيل[5].

ولصاحب الفردوس عن أنس رضي الله عنه، وأبي الشيخ بن حيان عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم - إلى قوله: الإسلام - قال أنس رضي الله عنه: عند منامه -، خلق الله منه سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة[6].

---

(١) مجمع الزوائد ٦/٣٢٦.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٨٩ عن وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل.
وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/١٠٢ وقال: تفرد به عمر بن المختار وهو يحدث بالأباطيل.
(٢) زيادة عن المسند.
(٣) مسند الإمام أحمد ١/١٦٦.
(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.
(٥) مجمع الزوائد ٦/٣٢٥.
(٦) حديث أنس، مداره على مجاشع بن عمرو، وهو منكر الحديث. =

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي عند الله وديعة، جيء به يوم القيامة، فقيل: عبدي هذا عهد إليّ عهداً، وأنا أحق من وَفَّى بالعهد.

ولأبي الشيخ ابن حبان، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ سورة البقرة وآل عمران، إيماناً واحتساباً، جعل الله له يوم القيامة جناحين منظومين بالدر والياقوت، يطير بهما على الصراط أسرع من البرق(١).

ولأبي عبيد في الفضائل والغريب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ سورة آل عمران، فهي غنى(٢).

وله فيهما عنه ـ رضي الله عنه ـ: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران، يقوم بها الرجل من آخر الليل(٣).

وللطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ افتقده يوم الجمعة، فلما صلى رسول الله ﷺ أتى معاذاً فقال: يا معاذ مالي لم أرك؟. فقال: يا رسول الله ليهودِيٍّ عَلَيَّ وقية من تبر، فخرجتُ إليك، فحبسني عنك، فقال له رسول الله ﷺ: يا معاذ ألا أعلمك دعاء تدعو به، فلو كان

= قال العقيلي: حديثه منكر، وقال ابن معين: قد رأيته أحد الكذابين، وقال البخاري: مجاشع بن عمرو أبو يوسف منكر مجهول. والحديث ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣١٢ حديث رقم ٩٧٩.

والفتني في تذكرة الموضوعات ٨٠.

وراجع: ترجمة مجاشع في الميزان ٣/٤٣٦، والمغنى في الضعفاء ٢/٥٤١.

(١) لم أعثر له على تخريج. وفيه مبالغة ظاهرة، تشهد بعدم صحته.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٧٠.

(٣) غريب الحديث ٢/١٨١.

وأخرجه الدارمي في سننه: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران ٢/٤٥٣.

والمراد بالصعلوك: الفقير الذي لا مال له يتصدق منه.

عليك من الدَّين مثل صَبِر أداه الله عنك ـ وصبر، أي بالمهملة. وزن كتف: جبل باليمن[1] ـ قال في القاموس: مطل على ثغر ـ فادع الله يا معاذ، قل: اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. تولج الليل في النهار، وتولج النار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطي من تشاء منهما، وتمنع من تشاء، ارحمني رحمة تغنني بها عن رحمة من سواك.

وفي رواية بعده: اللهم أغنني من الفقر، واقض عني الدين، وتوفني في عبادتك، وجهاد في سبيلك.

ورواه الطبراني في الصغير بإسناد جيد، عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لمعاذ بن جبل: ألَا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبلٍ دَيْناً لأداه الله تعالى عنك؟.» ﴿**قل اللهم مالك الملك** ـ فساقه ـ إلى: **كل شيء قدير**﴾[2]، رحمن الدنيا، ورحيم الآخرة، تعطيهما من تشاء، وتمنعهما من تشاء، بيدك الخير، ارحمني رحمة تغنني بها عن رحمة من سواك[3].

قال العلائي: وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ آخر[4].

---

(١) وقال ابن الأثير في النهاية ٩/٣: هو اسم جبل باليمن. وقيل: إنما هو مثل جبل صير، باسقاط الباء الموحدة، وهو جبل لطيء.
وهذه الكلمةجاءت في حديثين لعلي ومعاذ: أما حديث علي فهو: صير. وأما رواية معاذ: فصبير. كذا فرق بينهما بعضهم.
قلت: وجاء في حديث أبي وائل عند الحاكم في المستدرك ٥٣٨/١: لو كان عليك مثل جبل صبير دينا.. الحديث.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢٠٢/١.
قال الهيثمي في الزوائد ١٨٦/١٠: رواه الطبراني في الصغير، ورجاله ثقات.

(٤) المستدرك: كتاب الدعاء ٥١٥/١ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، =

وروى البزار - قال الهيثمي: برجال الصحيح[1] - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿ **وجنة عرضها السموات والأرض** ﴾[2]، فأين النار؟. قال: أرأيت الليل يطمس كل شيء، فأين النهار؟. قال: حيث شاء الله، قال: فكذلك حيث شاء الله[3].

وعند ابن حبان في صحيحه من طريق عبيد بن عمير أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: يا عائشة ذريني أتعبد الليلة

= ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ أبو بكر فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه؟. قلت: ما هو؟. قال: كان عيسى بن مريم يعلمه أصحابه قال: لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا، فدعا الله بذلك، لقضاه الله عنه: اللهم فَارِجَ الهَمِّ، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمني، فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك.

وفي سنده الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي، قال احمد: أحاديثه كلها موضوعة، وقال أبو حاتم: كذاب. وقال النسائي والدار قطني وجماعة: متروك الحديث.

راجع: الميزان ١/٥٧٢ الترجمة رقم ٢١٨٠.

(١) مجمع الزوائد ٦/٣٢٧.

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٣.

(٣) وأخرجه ابن حبان: موارد الظمآن ص ٤٢٨.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٤٠٤: وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى في ذلك: أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل اذا جاء النهار، ألا يكون في مكان وان كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل، وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البزار.

الثاني: أن يكون المعنى: أن النهار اذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون في الجانب الآخر. فكذلك الجنة تكون في أعلى عليين فوق السموات تحت العرش، وعرضها - كما قال الله عز وجل - كعرض السموات والأرض، والنار في أسفل سافلين، فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والأرض، وبين وجود النار. اهـ.

لربي، فقلت: والله إني أحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حجره، قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى حتى بل الأرض، فجاء بلال يُؤْذِنُه بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟. لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿ **إن**[1] **في خلق السموات والأرض** ﴾ الآية كلها[2].

ورواه ابن مردويه في التفسير[3]، وابن أبي الدنيا في كتاب «التفكر» من وجه آخر. وفيه: أتاني في ليلته حتى مس جلده جلدي، ثم قال: ذريني حتى أتعبد لربي.

وفيه: فقام إلى القِرْبَةِ فتوضأ منها، ولم يكثر صب الماء، وقال بعد البكاء في السجود: ثم اضطجع على جنبه يبكي، حتى أتاه بلال يؤذنه بصلاة الصبح[3].

قال ابن رجب: وخرّجه عبد بن حميد بسياق مطول، من طريق ابي جناب الكلبي[4]، وهو متكلم فيه.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠ ـ ١٩٤.

(٢) رواه ابن حبان من طريق عمران بن موسى عن عثمان بن أبي شيبة، عن يحيى بن زكريا، عن ابراهيم بن سويد النخعي، عن عبد الملك بن سليمان عن عطاء. وكلهم ثقات.

قال الحافظ ابن كثير ١/٤٤١: وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب «التفكر والاعتبار» عن شجاع بن أشرس به.

(٣) رواه من طريق حشرج بن نباتة الأشجعي الكوفي، ضعفه البخاري والنسائي، وذكره ابن عدى في الكامل وسرد له أحاديث منكرة.

الميزان ١/٥٥١.

(٤) هو يحيى بن أبي حية ـ بحاء مهملة بعدها ياء تحتانية ـ أبو جناب الكلبي، مشهور =

وروى ابن أبي الدنيا عن سفيان يرفعه: من قرأ آخر آل عمران، ولم يتفكر فيها ويله، فعد بأصابعه عشراً[1].

وروى ابن أبي الدنيا - أيضاً - أن الأوزاعي سئل: ما أدنى ما يخرج عن العهدة في التفكر؟. (فأطرق هنيهة)[2]، فقال: يقرؤهن وهو يعقلهن.

وللطبراني في الكبير - بسند فيه يحيى الحماني وهو ضعيف[3] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى؟. قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرين. وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟. قالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص، ويحي الموتى. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً، فنزلت هذه الآية: ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾[4] ليتفكروا فيها[5].

= بكنيته، المتوفي سنة ١٤٧. قال الحافظ ابن حجر: ضعفوه لكثرة تدليسه، وقال الفلاس: متروك. وقال النسائي: ليس بالقوى. وقال أبو نعيم: ثقة يدلس.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٣٤٦. والخلاصة ٤٢٢. والميزان ٤/٣٧١.

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عبد العزيز: هو ابن الوزير الجذامي الجروي المصري البغدادي المتوفي سنة ٢٥٧هـ. وثقة أبو حاتم. وقال الدار قطني: لم ير مثله فضلاً وزهداً.
الخلاصة ٧٩.
وسنيد: هو ابن داود المصيصي المفسر، المتوفي سنة ٢٢٠. ضعفه أبو حاتم. الخلاصة ١٦٢.

(٢) زيادة عن تفسير ابن كثير.

(٣) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢٩.
وترجمة يحيى في تقريب التهذيب ٢/٣٥٢، والخلاصة ٤٢٥.
والميزان ٤/٣٩٢.

(٤) الآية ١٩٠ من السورة.

(٥) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٤٣٨: وهذا مشكل، فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بمكة. =

وللبيهقي في الشعب، عن عثمان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آخر آل عمران في ليلة، كتب له قيام ليلة.

ورواه الدارمي موقوفاً على عثمان رضي الله عنه[1].

وللشيخين، وأبي داود في السنن، والنسائي، وابن ماجه، وعبد بن حميد والبيهقي في الدعوات، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رقد عند رسول الله ﷺ، فرآه استيقظ فتسوك وتوضأ، وهو يقول: ﴿ **إن في خَلْق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**﴾[2] حتى ختم السورة، ثم قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات: ست ركعات، كل ذلك يستاك ثم يتوضأ، ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث، ثم أتاه المؤذن، فخرج إلى الصلاة، ورسول الله ﷺ يقول: اللهم اجعل في قلبي نوراً... الحديث[4].

= وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٣٥/٨: ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ الى المدينة، ولا سيما في زمن الهدنة.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل +لله ٣٢٥/٢. حديث رقم ٣٣٩٩.

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٩٠ ـ ٢٠٠.

(٣) جاء في بعض طرقه عند البخاري ١٧١/١: وكان اذا نام نفخ.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب السمر في العلم ٣٧/١، وكتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء ٤٣/١، وباب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره ٥٣/١، وكتاب الأذان، باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل ٢٠٨/١، وباب يقوم من يمين الإمام بحذائه سواء اذا كان اثنين ١٧٧/١ والبابين بعده، وباب ميمنة المسجد والإمام ١٧٨/١، وكتاب الوتر، باب ما جاء في الوتر ١٢/٢، وكتاب العمل في الصلاة، باب استعانة اليد في الصلاة اذا كان من أمر الصلاة ٥٨/٢. وكتاب التفسير سورة آل عمران، باب ان في خلق السموات والأرض ١٧٤/٥، وباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ١٧٥/٥، وباب ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ١٧٥/٥، وباب ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ١٧٦/٥. =

ورواه أبو بكر الشامي في الخامس من «الغيلانيات»، عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما قال: بتُّ ليلةً عند النبي ﷺ، فلما انصرف من العشاء الآخرة، انصرفتُ معه، فلما دخل البيت ركع ركعتين خَفِيفَتَيْن، ركوعهما مثلُ قعودهما، وسجودهما مثل قيامهما، وذلك في الشتاء، ورسول الله ﷺ في الحجرة، وأنا في البيت، فقلتُ: والله لأَرْمُقَنَّ الليلةَ رسولَ الله ﷺ، ولأَنْظُرَ كيف صَلاَتُهُ، قال: فاضطجع في مُصَلاَّهُ حتى سمعتُ غطيطه[1]، قال: ثم تَعَارَّ[2]، فنظر في أفق السماء وكبَّر، ثم قرأ العشر الآيات من سورة

= وكتاب اللباس، باب الذوائب ٥٩/٧. وكتاب الأدب، باب رفع البصر الى السماء ١٢٢/٧. وكتاب الدعوات، باب الدعاء اذا انتبه من الليل ١٤٨/٧. وكتاب التوحيد، باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق ١٨٧/٨.

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل ٥١/٦.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الرجلين يؤم أحدهما صاحبه كيف يقومان ١٦٦/١ حديث رقم ٦١٠، وباب صلاة الليل ٤٤/٢ حديث رقم ١٣٥٣.

وسنن النسائي: كتاب الإمامة، باب الجماعة اذا كانوا اثنين ١٠٤/٢. وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في كم يصلي من الليل ٤٣٣/١ حديث رقم ١٣٦٣.

وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب صلاة الليل، باب صلاة النبي ﷺ في الوتر ٢٢١/١.

وذكره العلامة ابن الأثير في جامع الأصول ٦٠٠/٥ حديث رقم ٣٨٥٢ وقال: هذه الروايات أطراف من حديث طويل، له روايات كثيرة، وطرق عدة، قد أخرجه الجماعة.

واستقصى كل رواياته في نفس الكتاب ٨٠/٦ حديث رقم ٤١٩٧.

(١) قال في النهاية ٣٧٢/٣: الغطيط: الصوت الذي يخرج من نفس النائم.
وراجع: مقاييس اللغة ٣٨٤/٤ ـ ومختار الصحاح ص ٤٧٦.

(٢) قال في النهاية ١٩٠/١: أي هب من نومه واستيقظ.

آل عمران، ثم أخذ سواكاً فاستن[١]، ثم خرج فقضى حاجته، ثم رجع إلى شَنٍّ[٢] مُعلَّقةٍ فصبَّ على يده، ثم توضأ ولم يوقظ أحداً، وصلى ركعتين، ركوعهما مثل سجودهما، وسجودهما مثل قيامهما، وقال: فأُراه صلى مثل ما رقد، ثم اضطجع مكانه، ورقد حتى سمعتُ غطيطه[٣].

وللدارمي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن أخاً لكم أُرِي في المنام: أن الناس يسلكون في صدع جبل[٤] وَعْرٍ طويل، وعلى رأس الجبل شجرتان خَضْرَوَانِ تَهْتِفان: هل فيكم مَنْ يقرأ سورة البقرة، هل فيكم من يقرأ سورة آل عمران؟. فإذا قال الرجل: نعم. دنتا بأعذاقهما - أي أغصانهما - حتى يتعلق بهما فتخطو به الجبل[٥].

وله عن مسروق قال: قرأ رجل عند عبد الله رضي الله عنه البقرة وآل

---

(١) قال في النهاية ٢/٤١١: الاستنان: استعمال السواك، وهو افتعال من الأسنان أي يمرّه عليها.

(٢) الشن: القربة التي تملأ بالماء. قاله في النهاية ٢/٥٠٦.
وقال في جامع الأصول ٦/٩١: الشن: القربة البالية، وجمعها شنان.

(٣) حديث الفضل بن العباس أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب صلاة الليل ٢/٤٤ حديث رقم ١٣٥٥.
وعلق عليه المرحوم الشيخ أحمد شاكر في معالم السنن ٢/١٠٣ فقال: سكت عنه أبو داود والمنذري، ولكنه منقطع، فإن كُرَيباً لم يدرك الفضل ابن عباس. وحديثه عنه مرسل.

(٤) قال صاحب معجم مقاييس اللغة ٣/٣٣٨: الصدع: النبات، لأنه يصدع الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿والأرض ذات الصدع﴾.
وقال صحاب مختار الصحاح ص ٣٥٨: الصدع: الشق، وبابه قطع، ومنه قوله تعالى: ﴿ والأرض ذات الصدع﴾.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة وآل عمران ٢/٣٢٤ حديث رقم ٣٣٩٥.

عمران. فقال: قرأت سورتين فيهما اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى[1].

وله عن كعب قال: من قرأ البقرة وآل عمران، جاءتا يوم القيامةتقولان: يا رب لا سبيل عليه[2].

وله عن عبد الله رضي الله عنه قال: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل[3].

وله عن أبي السليل قال: أصاب رجل دما، فأوى إلى وادي مجنة، وَادٍ لا يمشي فيه أحد، إلا أصابته حية، وعلى شفير الوادي راهبان، فلما أمسى قال أحدهما لصاحبه: هلك ـ والله ـ الرجل.

قال: فافتتح سورة آل عمران، فقالا: قرأ سورة، لعله سينجو قال: فأصبح سليماً[5].

ولابن السني عن السيد الجليل ـ قال النووي: المجمع على جلالته[6] ـ

(1) سنن الدارمي: الموضع السابق، حديث رقم ٣٣٩٦.

(2) سنن الدارمي: الموضع السابق، حديث رقم ٣٣٩٧.

(3) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران ٢/٣٢٥ حديث رقم ٣٤٠١. والمراد بالصعلوك: الفقير.

(4) أبو السليل هو: ضريب ـ بالتصغير، وآخره باء موحدة ـ بن نقير، القيسي الجريري.
قال ابن حجر في التقريب ١/٣٧٤: ثقة.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/٤٧٠: ضريب بن نقير ـ بنون وقاف بعدها ياء تحتية ـ بن سمير أبو السليل القيسي بصري. ويقال: ضريب بن نفير ـ بفاء بعد النون ـ من بني قيس بن ثعلبة، روى عن عبدالله بن رباح ومعاذة.
قال يحيى بن معين: ثقة.

(5) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران ٢/٤٥٣.

(6) الأذكار للنووي ص ٢٠١.
ووصفه الذهبي في تاريخ الإسلام ٥/٣١٨ بأنه أحد أعلام الهدى، وكان من أصحاب الحسن البصري، توفي سنة ١٣٩: وقيل: سنة ١٤٠ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٤٦، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٦٢، ترجمة رقم ١٣٤.

أبي عبد الله: يونس بن عبيد الله، بن دينار البصري، التابعي المشهور، قال: ليس رجل يكون على دابة (صعبة)[1] فيقول في أذنها: ﴿ **أفغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ وله أَسْلم مَنْ في السموات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً وإليه يُرْجَعُون** ﴾ إلا وقفت بإذن الله تعالى[2].

ورواه البيهقي في كتاب «الدعوات» عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله.

ولفظه: إذا استصعبت دابة أحدكم، أو كانت شموساً، فليقرأ هذه الآية في أذنها: ﴿ **أفغير دين الله يبغون وله أسلم مَنْ في السموات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً وإليه يُرْجَعُون** ﴾[3].

وروى أبو داود، والترمذي، والنسائي، عن عوف (بن مالك)[4] رضي الله عنه قال: قمت مع النبي ﷺ (فبدأ فاستاك، وتوضأ ثم قام فصلى)[4]، فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة، إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامة[5]، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة، سورة[6].

وفي سورة طه عن أبي أمامه (رضي الله عنه)[7] حديث في فضل القرآن.

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ١٣٦ حديث رقم ٥١٠.

(٣) سورة آل عمران آية ٨٣.

(٤) زيادة عن أبي داود.

(٥) عند النسائي: ثم سجد بقدر ركوعه.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١/٣٢٠ حديث رقم ٨٧٣.
وأخرج نحوه عن حذيفة بن اليمان وفيه: فصلى أربع ركعات، فقرأ فيهن البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، أو الأنعام. حديث رقم ٨٧٤.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب الدعاء في السجود ٢/٢٢٣.

(٧) زيادة عن: د.

سورة النساء

مدنية إجماعاً، كذا قال بعضهم.

وقال الأصبهاني: إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح[1]، في عثمان بن أبي طلحة، وهي: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا** ﴾[2].

وقيل: نزلت عند هجرة النبي ﷺ.

وقيل: السورة مكية، ولا خلاف أن منها ما نزل بالمدينة.

والظاهر الأول، فإن في البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ما نزلت سورة النساء، إلا وأنا عند رسول الله ﷺ[3].

---

(١) في د: أم الفتح، وهو تحريف.

(٢) الآية: ٥٨.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٦/٢٢٨.

ولا خلاف أن النبي ﷺ إنما بنى بها بالمدينة[1].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها مائة وسبعون وخمس ايات في المدنيين، والمكي والبصري، والكوفي والشامي، دون غيرهم.

﴿ فيُعذِّبُهم عذاباً أليماً ﴾[2] عدها الشامي وحده.

وفيهاما يشبه الفواصل ثمانية:

﴿ إحداهن قِنْطاراً ﴾[3]، ﴿ عليهن سبيلاً ﴾[4]، ﴿ إلى أَجَلٍ قريب ﴾[5] ﴿ للناس رسولا ﴾[6]، ﴿ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾[7]، ﴿ يكتب ما يُبَيِّتُون ﴾[8]، ﴿ مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفا ﴾[9]، ﴿ ولا الملائكةُ المقربون ﴾[10].

وعكسه أربعة:

﴿ ألا تَعُولُوا ﴾[11]، ﴿ مريئاً ﴾[12]، ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾[13]، ﴿ ولا لِيَهْدِيَهُمْ طريقاً ﴾[14].

---

(١) بنى بها في شوال من السنة الأولى من الهجرة، يعني بعد قدومه المدينة بستة أشهر.
راجع: الفتح ٧/٢٢٥.

(٢) الآية: ١٧٣.

(٣) الآية: ٢٠.

(٤) الآية: ٣٤.

(٥) الآية: ٧٧.

(٦) الآية؛ !..

(٧) الآية: ٧٢.

(٨) الآية: ٨١.

(٩) الآية: ١٢٥.

(١٠) الآية: ١٧٢.

(١١) الآية: ٢.

(١٢) الآية: ٤.

(١٣) الآية: ٦٧.

(١٤) الآية: ١٦٨.

ورويها أربعة أحرف: ملنا.

كذا قال الجعبري، وليس كذلك، وإنما رويها سبعة عشر حرفاً، كما عرف في علم العروض، يجمعها قولك: أغث مرض، صلف، قد طعن، تطلب[1] .

مقصودها

مقصودها: الاجتماع على التوحيد، الذي هَدَتْ إليه سورة آل عمران والكتاب الذي حدت إليه[2] سورة البقرة، لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة تحذيراً مما أراده شاس بن قيس[3] وأنظاره من الفرقة.

ولما كان مقصودها الاجتماع (على ما دعت إليه السورتان قبلها من

---

(١) الهمزة: «فكلوه هنيئاً مريئاً» الآية: ٤.
الغين: «قولا بليغاً» الآية: ٦٣.
«لا يكادون يفقهون حديثاً» الآية: ٨٧.
الضاد: «نصيبا مفروضاً» الآية: ٧. والآية: ١١٨.
الصاد: «ولا يجدون عنها محيصاً» الآية: ١٢١.
وباقي الأحرف مكرر في السورة بكثرة.

(٢) في نظم الدرر: حدّت عليه.

(٣) هو رجل من يهود بني قينقاع، شديد الكفر، عظيم البغض للمسلمين، مر ذات يوم. على جماعة من الصحابة من الأوس والخزرج وهم في مجلس واحد يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم واجتماعهم، بعد أن كانوا في الجاهلية متفرقين متحاربين، فأمر شاباً من اليهود كان معه أ يعمد إلى مجلسهم فيذكر لهم يوم بغـاث وما كان فيه. وعندئذ تنازع الحيَّانِ، وكادا يقتتلان، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتى إليهم فهدأهم، وعرفوا أنها نزعة من الشيطان وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ورد الله كيد شاس ابن قيس، وأنزل الله فيه وما صنع: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾.
راجع: سيرة ابن هشام ٢/٥٥٥.

التوحيد)[1] وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل ـ عادة ـ الأرحام العاطف التي مدارها النساء، سميت «سورة النساء»[2]. لذلك.

ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد[3].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد، عن حارثة بن مضرِّب[4] قال: كتب إلينا عمر رضي الله عنه: تعلَّموا سورة النساء[5]، والأحزاب، والنور.

وروى الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليَّ القرآن، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أنزل؟. قال: إني أحب[6] أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿ فكيف

---

(١) زيادة عن نظم الدرر.

(٢) سميت «سور النساء»، لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن كثرة لم توجد في غيرها من سور القرآن. ولذلك أطلق عليها «سورة النساء الكبرى» في مقابلة «سورة النساء الصغرى» وهي سورة الطلاق.

(٣) هذه السورة ـ بما حوته من تشريعات وتوجيهات ـ تهدف أساساً إلى محو ملامح المجتمع الجاهلي، وتكييف ملامح المجتمع المسلم وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه، وتلفت الأنظار إلى الدفاع عن كيانه المميز، وذلك ببيان طبيعة منهجه، والتعريف بأعدائه الراصدين له من حوله من المشركين واليهود والمنافقين، وكف حيلهم ومكائدهم، وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم، مع وضع الأنظمة والتشريعات التي تنظم حياة المسلم، وتصبه في قالب مضبوط.
راجع: في ظلال القرآن/ ٢/٥٥٥.

(٤) بتشديد الراء مكسورة، قبلها ضاء معجمة، قاله ابن حجر في التقريب ١/١٤٥.
قال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة ١/١٢: أدرك النبي ﷺ.

(٥) في م: «سور» على الجمع.

(٦) وفي رواية للبخاري: قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري.

إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾[1]، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[2].

وفي رواية الترمذي: تهملان[3].

وفي رواية لمسلم: أن النبي ﷺ قال وهو على المنبر اقرأ علي، فذكر الحديث[4].

وروى الطبراني برجال ـ قال الهيثمي: ثقات[5] ـ، وابن أبي الدنيا عن محمد بن فضالة الظفري، وكان ممن صحب النبي ﷺ، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في مسجد

---

(١) الآية ٤١.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره، وباب قول المقرىء للقارىء حسبك ٥/١١٣ وباب البكاء عند القرآن ٥/١١٤.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سماع القرآن وتدبره ٦/٨٧.
وسنن أبي داود: كتاب العلم، باب في القصص ٣/٣٢٤ حديث رقم ٣٦٦٨.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة النساء ٤/٣٠٤ حديث رقم ٥٠١٤، ٥٠١٥.
وفضائل القرآن للنسائي ص ١٠٨ حديث رقم ١٠٠.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ٥/١٨٠ عن عمرو بن مرة بلفظ حديث عبدالله بن مسعود. وأشار إليه في كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن ٦/١١٤.
قال الحافظ في الفتح ٩/٩٩: قال ابن بطّال؛ إنما بكى ﷺ عند تلاوته هـذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمر يحق له طول البكاء.
والذي يظهر: أنه بكى رحمة لأمته، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً، فقد يقضي إلى تعذيبهم.
قلت: ولا مانع من إرادة الكل.

(٣) وهو كذلك عند أبي داود، والنسائي في فضائل القرآن ص ١٠٨ حديث رقم ١٠٠.

(٤) وكذا رواه الترمذي في صحيحه ٤/٣٠٤ حديث رقم ٥٠٣ في تفسير سورة النساء.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٤.

بني ظفر اليوم، ومعه عبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأناس من أصحابه، وأمر النبي ﷺ قارئاً، فقرأ حتى أتى على هذه الآية: ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾، فبكى رسول الله ﷺ، حتى اضطرب لحياه، فقال: أي رب شهدت على من أنا بين ظهرانيه، فكيف بمَنْ لم أره(١).

وروى عن يحيى بن عبد الرحمن، بن لبيبة، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه، فكيف بمن لم أر(٢).

وروى الروياني(٣) ـ وذكره ابن رجب ـ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: دخلت المسجد أنا وفلان وفلان حين هدأ الناس للمَقِيل، فجاء

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٩٩/٩: وأخرج ابن المبارك في الزهد من طريق سعيد بن المسيب قال: ليس من يوم إلا يعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم»، ففي هذا المرسل ما يرفع الإشكال الذي تضمنه حديث ابن فضالة، اهـ.

والإشكال الذي أشار إليه الحافظ في قوله ﷺ: فكيف بمن لم أره.

(٢) قال الهيثمي ٤/٧: رواه الطبراني، وعبد الرحمن بن أبي لبيبة لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

وقال الذهبي في الميزان ٣٩٣/٤: يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة من شيوخ وكيع، قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقاله في ص ٤٠٣ ترجمة رقم ٩٦١١، و٤٠٧ ترجمة رقم ٩٦٢٠.

وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٦٦/٩: «سألت أبي عنه فقال: ليس بقوي». وعليه: فالحديث ضعيف.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن هارون الروياني، نسبة إلى رويان مدينة بنواحي طبرستان، حافظ مشهور، وله مسند معروف، روى عنه أبو بكر الإسماعيلي، وجماعة. وتوفي سنة ٣٠٧ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ٧٥٢/٢، والرسالة المستطرفة ص ٦١ وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣١٦ ترجمة رقم ٧٢٨.

رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا، قال: فيومئذ نزلت هذه الآية: ﴿ **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾[1]، وكان ابن مسعود رضي الله عنه حسن الصوت، فقال له رسول الله ﷺ: اقرأ يا ابن مسعود سورة النساء، فقرأ حتى بلغ «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا». الآيات، فأشار النبي ﷺ: اسكت ثم قال: حق والله لهم[2] إذا صافحتهم النار وصافحوها، أن يودوا لو تسوى بهم الأرض، وبكى رسول الله ﷺ وبكينا، حتى كدنا نموت، ثم قال: أرددها علينا، فقرأ حتى انتهى عند هذه الآية، قال: حق لهم إذا صافحتهم النار - مثل قوله الأول - ثم بكى وبكينا معه، ثم قال: اردها، فرددها سبع مرات[3]، كل ذلك يبكي ويقول: حق لهم - مثل قوله الأول - لم يسكت حتى اشتهينا أن يسكت من شدة حزنه وبكائه وما نراه صنع.

قال ابن رجب: وهذا سياق غريب، وفيه نكادة، وفيه أبو داود، نفيع[4]، وفيه ضعف شديد.

وروى ابن المبارك عن موسى بن عبيدة[5]، عن خالد بن يسار[6]، قال: لما قرأها ابن أم عبد علي النبي ﷺ بكى فاشتد بكاؤه، ثم قام

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٠٤.

(٢) في د: حق لهم والله.

(٣) في د: سبع مرار.

(٤) هو أبو داود نفيع بن الحارث النخعي، الكوفي الهمداني، الأعمى، يروى عن أنس بن مالك وابن عباس، وعمران بن حصين، وزيد بن أرقم، وآخرين قال الذهبي في الميزان ٤/٢٧٢: قال العقيلي: كان يغلو في الرفض.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح ٨/٤٩٠: منكر الحديث.

(٥) في د: عبيد.
وهو خطأ، لأنه موسى بن عبيدة الربذي، المتوفي سنة ١٥٣ هـ.
راجع: ترجمته في الميزان ٤/٢١٣ ترجمة رقم ٨٨٩٥.

(٦) قال ابن أبي حاتم ٣/٣٦٢، والذهبي في الميزان ١/٦٤٨: مجهول.

مغطياً رأسه حتى دخل بيته[١].

قال ابن رجب: وهذا مرسل ضعيف[٢].

وفي جامع الأصول ـ غير معزو[٣] ـ عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما في القرآن أحب إليّ من هذه الآية: **﴿ إن[٤] لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾**[٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: خمس آيات ما يسرني أن لي بهن الدنيا وما فيها، إحداهن: **﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تُنْهَوْن عنه ﴾**[٦] إلى آخرها و **﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾**[٧] إلى آخرها. و **﴿ ولو أنهم إذا**

---

(١) كتاب الزهد لابن المبارك ص ٣٦ حديث رقم ١١١.

(٢) ضعيف للجهل بخالد بن يسار، وموسى بن عبيدة الربذي مختلف فيه والأكثرون على تضعيفه، واتقاء حديثه، راجعه في الميزان ٤/٢١٣.

(٣) يعني: غير منسوب إلى كتاب من الكتب الستة التي احتواها جامع الأصول، ولكن ليس كما قال المؤلف، فهو معزو في جامع الأصول ٢/٩٢ حديث رقم ٥٧٠ إلى الترمذي. وغير معزو في جـ ٨/٤٧٨ حديث رقم ٦٢٥١، ويظهر لي أن البقاعي رحمه الله لم يطلع عليه في جامع الأصول إلا في هذا الموضع فقط، فكان ذلك عذراً له، أو أن نسخته التي نقل عليها كانت خاليه من العزو في الموضعين.

(٤) الآية: ٤٨ والآية: ١١٦ من سورة النساء.

(٥) جامع الأوصل لابن الأثير ٢/٩٢ حديث رقم ٥٧٠ كتاب التفسير، سورة النساء. وج ٨/٤٧٨ حديث رقم ٦٢٥١ كتاب فضائل القرآن باب سورة النساء.

والحديث أخرجه الترمذي في صحيحه: كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء ٤/٣١٣ حديث رقم ٥٠٢٨ وقال: حديث حسن غريب. ولكن في سنده ثوير بن أبي فاختة، أبو الجهم الكوفي، ضعفه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٤٧٢. وقال الذهبي في الميزان ١/٣٧٥: كان رافضياً، وقال الدارقطني: متروك.

فالحديث ـ على هذا ـ ضعيف، ولا يرتقى إلى درجة الحديث الحسن.

(٦) الآية: ٣١ من سورة النساء.

(٧) الآية: ٤٠ من السورة.

ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ﴾[1]؟ الآية. و﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[2]. و﴿ من[3] يعمل سوء أو يَظْلِمْ نفسه ثم يستغفر الله يَجِد الله غفوراً رحيماً ﴾[4].

وروى البخاري في فضائل القرآن، عن يوسف بن ماهك[5]، أن عراقياً[6] سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تريه مصحفاً، فقالت: لم؟. قال: لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنه يُقْرَأُ غير مؤلَّف[7]، قالت: وما يضرك[8] أيُّه قرأت قبل؟! إنما نزل ما نزل (منه)[9]، سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو

---

(١) الآية: ٦٤ من السورة.

(٢) الآية: ٤٨ والآية: ١١٦ من السورة.

(٣) الآية: ١١٠ من السورة.

(٤) جامع الأصول ٤٧٩/٨ حديث رقم ٦٢٥٢.
وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء ٣٠٥/٢ وقال: هذا إسناد صحيح. ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢/٧: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٥) هو يوسف بن ماهك ـ بفتح الهاء ـ الفارسي المكي، المتوفي سنة ١١٠ هـ «الخلاصة ٤٣٩».

(٦) أي رجل من أهل العراق.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٨/٩: لم أقف على اسمه.
وسيذكره المؤلف بعد قليل عن أبي عبيد بلفظ: «إذ جاء أعرابي» مما يدل على أن يوسف بن ماهك راوي الحديث لم يعرف اسم هذا الرجل.

(٧) يعني: غير مرتب السور، قال الحافظ في الفتح ٤٠/٩: والذي يظهر لي أن هذا العراقي كان ممن يأخذ بقراءة ابن مسعود، وكان تأليف مصحفه مغايراً لتأليف مصحف عثمان. اهـ. مختصرا.

(٨) في م: يضيرك. والتصويب عن البخاري.

(٩) زيادة عن صحيح البخاري.

نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا[1]: لا نَدَعُ الخمر أبداً[2]، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا نَدَعُ الزنا أبداً[2]، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: «بَلِ الساعةُ مَوْعِدُهم والساعةُ أدْهَى وأمَرُّ» وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور[3].

ورواه أبو عبيد عن يوسف بن ماهك، قال: إني لعند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ جاء أعرابي فقال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك؟، قالت: لم؟، قال: لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنَّا نقرؤه غير مؤلَّف ـ فذكره.

وقال في آخره: فأمليت عليه آي السور.

وروى الإمام أحمد في المسند، عن مسلم بن مِخْرَاق، عن عائشة رضي الله عنها، قال: ذُكر لها: أن ناساً يقرؤون القرآن في الليلة مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرأوا، ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام فكان يقرأ بالبقرة، وآل عمران، والنساء، فلا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذه، ولا يمر بآية فيها استبشار، إلا دعا الله، ورَغِبَ إليه[4].

وروى أبو عبيد في الفضائل والغريب، عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فكان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب تعوذ، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح.

---

(١) في د: قالوا.

(٢) وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة من ترك المألوف.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٢٢٨/٦.

ومعنى قوله: «فأملت عليه آي السور». قال الحافظ: أي آيات كل سورة كأن تقول له: سورة كذا ـ كذا آية، وسورة كذا، كذا آية.

(٤) مسند الإمام أحمد ١١٩/٦.

وفيه ابن لهيعة. وحديثه حسن.

ولفظه في الغريب: أنه كان يصلي من الليل، فإذا مر بآية فيها ذكر الجنة سأل، وإذا مر بآية فيها ذكر النار تعوَّذ، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح(١).

وقال: يعني ما ينزه عنه تبارك اسمه، من أن يكون له شريك، أو ولد وما أشبه ذلك.

وأصل التنزيه(٢): البعد مما فيه الأدناس، والقرب مما فيه الطهارة والبراءة ثم كثر استعمال الناس النزهة في كلامهم حتى جعلوها في البساتين والخضر ومعناه راجع إلى ذلك الأصل(٣).

وله في الفضائل عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله ﷺ، فبدأ فاستاك،ثم توضأ، ثم قام يصلي، فقمت معه فاستفتح البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم قرأ آل عمران، ثم قرأ سورة النساء، أو قال: ثم قرأ سورة، سورة يفعل مثل ذلك(٤).

وله عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة التمام، فيقرأ بسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، لا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب، ولا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ(٥).

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٨٠.

(٢) في م: التنزه.

(٣) غريب الحديث ٣/ ٨١.

(٤) حديث عوف بن مالك: أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١/ ٢٣٠ حديث رقم ٨٧٣.
والنسائي: كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر في السجود ٦/ ٢٢٣ وكتاب قيام الليل، باب تسوية القيام والركوع ٣/ ٢٢٥.

(٥) حديث عائشة: أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٩٢ ـ ١١٩.

وله عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[١]، عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلى، فإذا مر بآية فيها ذكر النار قال: أعوذ بالله من النار.

وللدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ آل عمران فهو غني والنساء مُحَبِّرة[٢].

قال أبو محمد[٣]: أي مُزَيِّنَة.

وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فافتتح سورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت:[٤]: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها[٥]، يقرأ مترسلاً[٦] إذا مر بآية تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد[٧]، ثم قام قياماً طويلاً، قريباً مما ركع، ثم سجد

---

(١) أبو ليلى والد عبد الرحمن: اسمه بلال، أو بليل - بالتصغير - ويقال: داود وقيل: يسار، صحابي مشهور، شهد أحداً، وما بعدها وعاش إلى خلافة علي.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٤٦٧.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل آل عمران ٢/٤٢٥ حديث رقم ٣٣٩٨.

(٣) يعني: الدارمي صاحب السنن.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ٦/٦١: معناه: ظننت.

(٥) هذا يدل على أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل السورة التي قرأها في الركعة الأولى.
راجع: شرح مسلم للنووي ٦/٦٢.

(٦) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٦/٧٩: الترسل في القراءة: اتباع بعضها ببعض من غير مد ولا تطويل.

(٧) جملة «ربنا ولك الحمد» أوردها مسلم من طريق جرير وأشار بزيادتها وعلق عليها أبو داود في سننه بقوله: نخاف ألا تكون محفوظة.

فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده، قريباً من قيامه[1].

ورواه أبو داود وهذا لفظه، والترمذي، والنسائي: أنه رأى النبي ﷺ يصلي من الليل، فكان يقول: الله أكبر ثلاثاً، ذو الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة، ثم استفتح فقرأ البقرة، ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه، فكان[2] يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، ثم رفع رأسه من الركوع، فكان قيامهنحواً من ركوعه، يقول: لربي الحمد، ثم سجد، فكان سجوده نحواً من قيامه، فكان يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، ثم رفع رأسه من السجود، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحواً من سجوده، وكان يقول: ربي اغفر لي، فصلي أربع ركعات، فقرأ فيهن البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة.

قال أبو داود: أو الأنعام، شك شعبة[3].

ورواه عبد الرزاق في جامعه، ولفظه: عن حذيفة رضي الله عنه، أنه مرّ بالنبي ﷺ وهو يصلي بالمسجد في المدينة، قال: فقمت أصلي وراءه، يخيل إلى أنه لا يعلم، فاستفتح سورة البقرة، فقلت: إذا جاء مائة آية ركع، فلم يركع، فقلت: إذا جاء مائتي آية ركع، فجاءها فلم يركع، فقلت: إذا ختمها ركع، فختم فلم يركع، فلما ختم قال: قال: اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد، وقرأ ثم افتتح آل عمران، فقلت: إن ختمها ركع فختمها فلم يركع، وقال: اللهم لك الحمد ثلاث مرات، ثم

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٢/٦٠.

(٢) في سنن أبي داود: وكان.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في سجوده وركوعه ١/٢٣١ حديث رقم ٨٧٤.

وجامع الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود ١/١٦٤ حديث رقم ٢٦١.

وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب الدعاء في السجود ٢/٢٢٤.

افتتح سورة المائدة[1] فقلت: إذا ختم ركع، فختمها فركع، فسمعته يقول: سبحان ربي العظيم ويرجِّع شفتيه فأعلم أنه يقول غير ذلك فلا أفهم[2] غيره، ثم افتتح سورة الأنعام فتركته وذهبت[3].

ورواه الحارث بن أبي أسامة عن حذيفة رضي الله عنه، أنه صلى مع النبي ﷺ ليلة، فاستقبل القبلة، وأقامني عن يمينه، ثم قرأ فاتحة الكتاب، ثم استفتح البقرة لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية خوف إلا استعاذ ولا بِمَثَلٍ إلا فكَّر، حتى ختمها، وقال في الركعة الثانية: قرأ بفاتحة الكتاب ثم استقبل آل عمران، لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية خوف إلا استعاذ ولا بمثل إلا فكر، حتى ختمها.

وروى أحمد، عن عائشة رضي الله عنها، أنه ذكر لها: أن ناساً يقرأون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرأوا، ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيهاتخويف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار، إلا دعا الله ورغب إليه[4].

وروى أبو عبيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: من قرأ البقرة وآل عمران والنساء في ليلة، كان ـ أو كتب ـ من القانتين.

---

(١) عند أبي بكر بن أبي شيبة: ثم افتتح سورة النساء.
وكذا عند ابن خزيمة ٢٧٢/١ حديث رقم ٥٤٢.

(٢) في د: أعلم.

(٣) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب قراء السور في الركعة ١٤٦/٢. حديث رقم ٢٨٤٢.
وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف ٣٦٨/١ عن حذيفة أيضاً باختصار، وفيه: أنه افتتح سورة النساء بعد سورة آل عمران.

(٤) مسند الإمام أحمد ١١٩/٦.

وروى الطبراني عن ابراهيم[1]، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: إن في القرآن لأيَتَيْن، ما أذنب عبد ذنباً، ثم تلاهما واستغفر الله، إلا غفر له فسألوه عنهما،فلم يخبرهم، فقال علقمة والأسود أحدهما لصاحبه: قم بنا، وقاما إلى المنزل، فأخذا المصحف، فتصفحا سورة البقرة، فقالا: ما رأيناهما، ثم أخذا في سورة النساء، حتى انتهيا إلى هذه الآية: ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾[2]، فقالا: هذه واحدة، ثم تصفحا آل عمران، حتى انتهيا إلى قوله: ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومَنْ يَغْفِرُ الذنُوبَ إلا الله، ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾[3]، قالا: هذه أخرى، ثم أطبقا المصحف، ثم أتيا عبدالله فقالا: هما هاتان الآيتان؟، قال: قال: نعم.

قال الهيثمي: وإسناده جيد، إلا أن إبراهيم لم يدرك ابن مسعود[4] .

ورواه أبو عبيد في الفضائل من وجه آخر، ولفظه: أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: في القرآن آيتان، ما قرأهما عبد مسلم عند ذنب إلا غفر له قال: فسمع بذلك رجلان من أهل البصرة، فأتياه، فقال: أئتيا أبي بن كعب فإني لم أسمع فيهما من رسول الله ﷺ إلا وقد سمعه أبي، فأتيا أبي بن كعب فقال لهما: اقرأا القرآن،فإنكما ستجدانهما، فقرأا حتى إذا بلغا آل عمران ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** ﴾، إلى آخر الآية، وقوله: ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾، فقالا: قد وجدناهما، فقال أُبَيٌّ: أين؟. فقالا: في آل عمران والنساء. فقال: هما هما.

---

(١) كذا هو في مجمع الزوائد غير منسوب.

(٢) سورة النساء آية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران آية ١٣٥.

(٤) مجمع الزوائد ١١/٧.

وروى أبو نعيم في الحلية، في ترجمة حماد بن سلمة[1]، عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال: كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قائماً يصلي، فلما بلغ المائة من النساء، قال له النبي ﷺ: سل تعطه، فقال: اللهم إني أسألك إيماناً لايرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى الخلد[2].

والمائة تنتهي إلى قوله: «فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً».

وروى الطبراني - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[3] - عن عبدالله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه قال: إن في النساء لخمس آيات، ما يسرني الدنيا وما فيها، وقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها:

﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكم سَيِّئَاتِكُمْ ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كريماً ﴾[4].

وقوله: **﴿ إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ويُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أجراً عظيما ﴾**[5].

---

(١) هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري، مولاهم، أحد الأعلام الثقات، روى عنه حجاج بن منهال، وأبو داود الطيالسي، وعبد الله بن المبارك، توفي سنة ١٦٧ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢٠٢/١، شذرات الذهب ٢٦٢/١. ميزان الاعتدال ٥٩٠/١.

(٢) الحلية ٢٥٧/٦.

ومن هذه الطريق أخرجه ابن حبان، كما في مورد الظمآن: كتاب الأدعية ص ٦٠٤ حديث رقم ٢٤٣٦، إلا أنه قال: في أعلى جنة الخلد.

(٣) مجمع الزوائد ١٢/٧.

(٤) الآية: ٣١.

(٥) الآية: ٤٠.

﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَشَاء (١) ﴾الآية .

﴿ وَلَوْ أنهُم إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ جاءوك فاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسولُ لَوَجَدوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيما ﴾ (٢) .

هذه أربع آيات ، لم أر الخامسة في النسخة التي نقلت منها .

ورواه أبو عبيد (٣) في الفضائل ، فذكره كما هنا .

ثم قال : وقوله تعالى : ﴿ ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رحيماً ﴾ (٤) . وقال عبدالله : ما يسرني أن لي الدنيا بها وما فيها .

وللبزار ـ قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، غير أبي عبيدة بن حذيفة وقد وُثِّق (٥) ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال : نزلت آية الكلالة على النبي ﷺ في مسير له ، فوقف النبي ﷺ ، فإذا هو بحذيفة واذا رأس ناقة حذيفة رضي الله عنه (عند) (٦) مؤتزر النبي ﷺ فلقَّاها إياه ، فنظر حذيفة ، فإذا عمر رضي الله عنه فلقاها إياه ، فلما كان في خلافة عمر رضي الله عنه ، نظر عمر في الكلالة ، فدعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة : لقد لقَّانيها رسول الله ﷺ ، فلقَّيْتُكَها كما لقَّاني واللَّهِ إني لصادق ، ووالله لا أزيد على ذلك شيئاً أبداً (٧) .

---

(١) الآية : ٤٨، الآية : ١١٦ .

(٢) الآية : ٦٤.

(٣) في د: أبو داود.

(٤) الآية : ١١٠ .

(٥) مجمع الزوائد ١٣/٧/٧.

(٦) زيادة عن مجمع الزوائد.

(٧) قال الحافظ ابن كثير ٥٩٤/١: ثم قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه إلا حذيفة، ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة إلا هذا الطريق.

وروى أبو عبيد ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : آخر آية نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُم في الكَلَالَةِ ﴾ (١) .

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ١١٥/٥، وكتاب التفسير «سورة النساء» باب يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ١٨٥/٥، وسورة براءة، باب قوله: «براءة من الله ورسوله ٢٠٢/٥، وكتاب الفرائض، باب يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ٨/٨.

ومسلم: كتاب الفرائض ٥٨/١١.

والترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء ٣١٥/٤ حديث رقم ٥٠٣٢.

سورة المائدة

مدنية إجماعاً وان أنزل : ﴿ اليَوْمَ أكمَلْتُ لكم دِينَكم ﴾ [١] الآية بعرفة فإن العبرة في المدني [٢] بالنزول بعد الهجرة ، كما مضى .

قال الأصفهاني : وروى أن السورة نزلت منصرف رسول الله ﷺ من الحديبية ، ومنها ما نزل عام الفتح ، وهو :
﴿ ولا يَجْرِ مَنَّكم شَنَئَانُ قوم ﴾ الآية [٣] .

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائة وعشرون للكوفي ، وثلاث وعشـرون للبصري ، واثنتـان وعشرون للباقين .

---

(١) الآية: ٣ من السورة.

(٢) في د: بالمدني.

(٣) الآية: ٨ من السورة.

اختلافها ثلاث آيات :

﴿ أوْفُـوا بالعُقُـود ﴾ [1] ، ﴿ وَيَعْفُـو عن كثيـر ﴾ [2] ، لم يعـدهمـا الكوفي ، وعدهما غيره .

﴿ فإنَّكُمْ غَالِبُون ﴾ [3] عدها البصري وحده .

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد بإجماع، تسعة مواضع :

﴿ نَـقِيبـاً ﴾[4]، ﴿ جَبَّـارِيـنَ ﴾[5]، ﴿ لِقَـوْمٍ آخَـرِيـنَ ﴾[6]، ﴿ ومِنْهَاجاً ﴾[7] ، ﴿ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾[8] ، ﴿ أَذِلَّة على المؤمنين ﴾[9]، و﴿ أَعِزَّةٍ على الكافرين ﴾[10]، ﴿ من الذين اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ الأَوْلَيانِ ﴾[11] على قراءة من قرأ بالجمع.

ولا عكس لذلك.

ورويها ستة أحرف: مل ندبر[12]. اللام: ثلاثة السبيل[13].

(1) الآية: 1.

(2) الآية: 15.

(3) الآية: 23.

(4) الآية: 12.

(5) الآية: 22.

(6) الآية: 41.

(7)) الآية: 48.

(8) الآية: 50.

(9) الآية: 54.

(10) الآية: 107.

(11) الآية: 107.

(12) في د: مثل. وهو خطأ، لأنه لا يوجد في السورة آية رويها الثاء.

(13) الآيات: 12، 60، 77.

والدال: «إن الله يحكم ما يريد» آية: 1.

«وأنت على كل شيء شهيد» آية: 117.

والباء: «إن الله شديد العقاب» آية: 2.

«إن الله سريع الحساب» آية: 4.

«إنك أنت عَلَّام الغُيوب» آية: 109، وآية: 116.

مقصودها

ومقصودها: الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق، شكراً للنعمة(١)، واستدفاعاً للنقمة(٢).

وقصة المائدة أدل ما فيها على ذلك، فإن مضمونها: أن من زاغ عن الطمأنينة، وزاغ عن الثبات والسكينة، بعد الكشف الشافي، والانعام الوافي، نوقش الحساب، فأخذه العذاب.

وتسميتها بالعقود، أوضح دليل على ما ذكرت، وكذا الأحبار(٣).

---

(١) في نظم الدرر: لنعمة.

(٢) في نظم الدرر: لنقمة.

(٣) هذه السورة تقرر أصلاً تهدف إلى تأصيله وتحتيمه وهو: أن الحكم بما أنزل الله جوهر الاسلام، وأن ما شرعه الله للناس من حلال أو حرام، هو المنهج الحق الذي ينبغي للمؤمن أن يلتزمه ويتمسك به، فإن تركه وحاد عنه فليس من الإيمان في شيء.
فالسورة تقرر: أن الله واحد لا شريك في ألوهيته، وأنه الخالق لا شريك له في خلقه، وأنه لا شريك له في ملكه، ومن هنا يتحتم أن لا يقضي في شيء إلا بشرعه وأذنه، فالخالق لكل شيء، والمالك لكل شيء، هو صاحب الحق في تقرير المنهج الذي يرتضيه لملكه ولخلقه فهو الذي يطاع شرعه، وينفذ حكمه، والعدول عن حكمه وشرعه إلى مناهج وضعية وضعها الطغاة والملحدون القاصرون هو الخروج والمعصية، بل الكفر بعينه، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون».
وبجانب هذا الأصل ذكرت السورة كثيراً من الأحكام التي تنظم حياة المسلمين، فذكرت أحكام العقود، والصيد والذبائح والاحرام وحكم نكاح الكتابيات وطعام أهل الكتاب، وأحكام الطهارة، كما ذكرت حد السرقة وحد البغي والافساد في الأرض، كما نصت على تحريم الخمر والميسر، وكفارة اليمين، والوصية عند الموت، وغير ذلك من التشريعات الهامة.
وبجانب ما تقدم حوت السورة طرفا من القصص المليء بالعظة والعبرة، ففيها طرف من قصة بني اسرائيل مع موسى عليه السلام وما فيها من بيان تمردهم وعصيانهم، وكذلك قصة ابني آدم وفيها نموذج للصراع بين الحق والشر.
وفي السورة مناقشة أهل الكتاب حول قضية الألوهية، وبيان عقائدهم الزائفة.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، والنسائي، وابن ماجة بسند صحيح، والإمام أحمد: أن أبا ذر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي يقرأ آية واحدة الليل كله، حتى أصبح بها يقوم، وبها يركع، وبها يسجد، قال القوم لأبي ذر: أي آية هي؟. قال: ﴿ **إن تعذبهم**[١] **فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾[٢].

وفي رواية للإمام أحمد: فلما أصبح قلت: يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها وتسجد؟. قال: إني سألت ربي الشفاعة فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً[٣].

ولمسلم عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ تلا قوله تعالى في ابراهيم عليه السلام: ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم مني** ﴾[٤]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾[٥]. فرفع يده وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله عز

ثم ختمت السورة بمشهد من مشاهد يوم القيامة، حيث يدعى عيسى على رؤوس الأشهاد ويسأله ربه تبكيتا للنصارى الذين عبدوه من دون الله.

راجع: الظلال ٢/٨٢٦.

وصفوة التفاسير ٣/٣.

(١) الآية: ١١٨ من السورة.

(٢) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية ٢/١٧٧.

وسنن ابن ماجة: كتاب اقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ١/٤٢٩ حديث رقم ١٣٥٠.

وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الصلاة، باب قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها ١/١٤١ وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/١٤٩.

(٤) سورة ابراهيم: آية ٣٦.

(٥) الآية: ١١٨ من السورة.

وجل: يا جبريل، إذهب إلى محمد - وربك أعلم - فأسأله. فأتاه جبريل عليه السلام، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال. فقال الله عز وجل: يا جبريل، إذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك[1].

وللإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ردد آية حتى أصبح[2].

وروى الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: آخر سورة أنزلت المائدة[3].

وروى أبو عبيد في كتاب الفضائل عن عطية بن قيس، وضمرة بن حبيب - رحمهما الله تعالى - قالا: قال رسول الله ﷺ: المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها[4].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بشارة الأمة ٣/٧٧.
قال النووي في شرح مسلم ٣/٧٩: وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل: «ولسوف يعطيك ربك فترضى». وأما قوله تعالى: «ولا نسؤوك»، فقال صاحب التحرير: هو تأكيد للمعنى، أي لا نحزنك، لأن الارضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ويدخل الباقي النار، فقال تعالى: نرضيك ولا تدخل عليك حزناً بل ننجي الجميع، أ هـ.

(٢) لم أعثر عليه في المسند.
وفي الترمذي ١/٢٧٨ حديث رقم ٤٤٨ عن عائشة قال: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب التفسير، سورة المائدة ٤/٣٢٦ حديث رقم ٥٠٥٧. موقوفاً على عبدالله بن عمرو، وقال: هذا حديث حسن غريب.
وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، باب المائدة آخر سورة نزلت ٢/٣١١. موقوفاً على عبد الله بن عمرو أيضاً، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢ موقوفاً. فمن الخطأ رفعه إلى النبي ﷺ، وقد نقل الزركشي في البرهان ١/٢١٠ عن أبي بكر الباقلاني: أن هذه الأقوال لم يرفع منها شيء إلى النبي ﷺ.

(٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣١١ موقوفاً على عائشة. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى أبو عبيد - أيضاً - عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فيما بين مكة والمدينة، وهو على ناقته، فانصدعت[1] كتفها، فنزل عنها رسول الله ﷺ[2].

وأخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب: أن آخر سورة نزلت براءة.

وأخرج مسلم عن ابن عباس: أن آخر سورة نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾.

فيتحصل من هذه الروايات: أن آخر ما نزل من السور: المائدة وبراءة، والنصر.

وبدهي أن آخرية المائدة وبراءة ليست بالنظر إلى السورة بتمامها فإنهما لم ينزلا دفعة واحدة، وإنما نزلت كلتاهما مفرقة في مناسبات ووقائع مختلفة.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣١٦/٨ في قول البراء: آخر سورة نزلت براءة: المراد بعضها أو معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك: أن أول براءة نزل في فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر، وقد نزل «اليوم أكملت لكم دينكم»، وهي في المائدة في حجة الوداع سنة عشر. فالظاهر: أن المراد معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك وهي آخر غزوات النبي ﷺ، اهـ.

وقال المرحوم الشيخ غزلان في البيان ص ٨٦: وأما سورة المائدة فمما لا شك فيه، أنها لم تنزل دفعة واحدة، بل فيها آيات كثيرة نزلت في أوقات مختلفة متباعدة، وذلك كالآيات التي نزلت في تحاكم اليهود الى النبي ﷺ وتخييره في الحكم بينهم والأعراض عنهم، وقد كان هذا قبل السنة السادسة للهجرة، وكالآيات التي نزلت في تحريم الخمر، وكالآيتين اللتين نزلتا في النهي عن حرمان النفس مما أحل الله من الطيبات وهما قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ الآيتين. وكالآيتين اللتين نزلتا في أحكام قطع الطريق، وهما قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا﴾ الآيتين وكان نزولهما في السنة السادسة للهجرة. فإن هذه الآيات نزلت على أسباب خاصة وفي أقوات مختلفة.

وبهذا يتعين أن المراد من الآخرة فيهما - يعني المائدة وبراءة - آخرية البعض الذي تم به نزول كل منهما. لا آخرية جميع السورة. انتهى. وأما آخرية سورة النصر فإنها آخر سورة نزلت كاملة غير مفرقة، بخلاف ما كان في سورتي المائدة وبراءة.

والراجح: أن آخر سورة نزلت بجملتها هي سورة النصر.

(١) في د: فانصدع.

(٢) هذا الحديث منقطع. فإن محمد بن كعب القرظي تابعي، روى عن أبي هريرة وعائشة وفضالة بن عبيد.

أنزلت على رسول الله ﷺ المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها[1].

قال الهيثمي: وفيه ابن لهيعة، وقد يحسّن حديثه[2].

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن أم عمرو ابنة عيسى[3]، قالت: (حدثني)[4] عمي رضي الله عنه، أنه كان مع النبي ﷺ في مسير، فأنزلت عليه سورة المائدة، فعرفنا أنه ينزل عليه، فاندقت كتف راحلته العضباء من ثقل السورة[5].

وعند الامام أحمد، وأبي بكر بن أبي شيبة، والطبراني - أيضاً - عن أسماء بنت يزيد[6] رضي الله عنها، أنها قالت: أني لآخذة بزمان ناقة رسول الله ﷺ العضباء، إذْ نزلت عليه سورة المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة.[7]

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/١٧٦.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢: تفرد به احمد.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٣.

(٣) لم أعثر لها على ترجمة.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير ٢/٢ عن ابن مردويه من رواية عاصم الأحول عن أم عمرو عن عمها.

(٦) هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، الأنصارية الأوسية الأشهلية، بنت عم معاذ بن جبل وكانت تكنى أم سلمة، وقيل: أم عامر، وكانت من المبايعات، شهدت وقعة اليرموك، وفيها قتلت تسعة من فرسان الروم بعمود خيمتها وعاشت بعدها دهراً.
راجع: الإصابة ٤/٢٢٩. والاستيعاب على هامش الإصابة ٤/٢٣٢.

(٧) مسند الإمام أحمد ٦/٤٥٥.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٣: وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق.
وقال الذهبي في الميزان ٢/٢٨٣ في ترجمة شهر: قال احمد: روى عن أسماء بنت يزيد أحاديث حسانا.
وفي الإصابة ٤/٢٢٩: قال ابن السكن: هو- يعني شهر- أروى الناس عنها.

ورواه أبو يعلى الموصلي عنها ـ أيضاً ـ رضي الله عنها، وفيه: أنها أنزلت جميعاً، وهي آخذة بزمام الناقة.

وللإمام أحمد عنها أيضاً، رضي الله عنها، قالت: نزلت سورة المائدة على النبي ﷺ جميعاً إن كادت من ثقلها لتكسر الناقة[١].

ولأبي عبيد، عن جبير بن نفير[٢] قال: حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: يا جبير هل تقرأ المائدة؟. قلت: نعم، قالت أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه[٣].

وله أن ابن عون[٤] سأل الحسن: هل نسخ من المائدة شيء؟. فقال: لا.

وروى البيهقي في أواخر الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين، ونبىء يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، وفتح مكة يوم الاثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين، ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾[٥]، وتوفي يوم الاثنين[٦].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤٥٨/٦. وفيه شهر بن حوشب.

(٢) جبير بن نفير ـ بالنون بعدها فاء، مصغرا ـ الحضرمي الشامي أسلم في زمن أبي بكر، وثقة أبو حاتم. مات سنة ٧٥ هجرية. راجع: الخلاصة ص ٦١.

(٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣١١/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٤) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، الخراز ـ بفتح المعجمة والراء المهملة ـ البصري، أحد الاعلام، روى عن أبيه ومجاهد والحسن وابن سيرين. وخلق. وروى عنه سفيان الثوري وابن علية، ويحيى القطان، وكان روعاً عابداً متقناً. مات سنة ١٥١ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ١٥٦/١. خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٩ شذرات الذهب ٢٣٠/١.

(٥) الآية: ٣ من السورة.

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٣/٢: إنه أثر غريب وإسناده ضعيف.

والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٧/١ وليس فيه نزول المائدة يوم الاثنين.

وفي رواية أخرى: ودخل المدينة يوم الاثنين.

ولعله أراد: أن السورة نزلت فيه. إلا الآية المذكورة، وأراد بذكرها بالخصوص: أنها هي التي دلت على أن الدين كمل بنزول المائدة[1]، وإن كان نزولها هي يوم الجمعة، كما يأتي.

فدل ذلك على عظم يوم الاثنين، لأنه ختم فيه أعظم الأديان، لأن الله جعله محل افتتاح الخير واختتامه، بثباته وكماله.

وروى البخاري في المغازي وغيره، ومسلم في آخر الكتاب، والترمذي في التفسير، والنسائي في الحج، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟. قال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»، فقال عمر رضي الله عنه: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة[2].

وللبخاري في التفسير، ومسلم، والترمذي، والنسائي، عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: قالت اليهود لعمر رضي الله عنه: انكم تقرأون

---

(١) هذا اعتذار من الشيخ يدافع به عن الحديث. ولكن الحديث ضعيف لأن في سنده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف، وحدث بأحاديث موضوعة وقد يكون هذا منها.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الايمان، باب زيادة الايمان ونقصانه ١٦/١. وكتاب المغازي، باب حجة الوداع ١٢٧/٥، وكتاب التفسير، باب قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم» ١٨٥/٥. وكتاب الاعتصام، في فاتحته ١٣٧/٨.

وصحيح مسلم: كتاب التفسير ١٥٤/١٨.

وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة ٣١٦/٤. حديث رقم ٥٠٣٤.

وسنن النسائي: كتاب الحج، باب ما ذكر في يوم عرفة ٢٥١/٥. وكتاب الايمان، باب زيادة الايمان ١١٤/٨.

قال ابن الأثير في جامع الأصول ١١٤/٢: أخرجه الجماعة إلا الموطأ وأبا داود.

آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر رضي الله عنه: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت (يوم عرفة[1])، وَإنَّا والله نعرفه، قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا «اليوم أكملت لكم دينكم! وأتممت عليكم نعمتي)[2].

وللترمذي وقال: حسن غريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قرأ «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»، وعنده يهودي فقال: لو أنزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيداً، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فإنها نزلت في يوم عيدين، في يوم جمعة، ويوم عرفة[3].

وللبخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد عليّ من قوله تعالى: **﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل عليكم من ربكم ﴾**[4]، أي فكذلك نحن لسنا على شيء حتى نقيم الكتاب والسنة[5].

وروى ابن المبارك عن الضحاك بن مزاحم[6] في قوله تعالى: **﴿ لولا**

---

(١) ما بين القوسين زيادة عن البخاري ومسلم.

(٢) راجع تخريج الرواية الأولى.

(٣) صحيح الترمذي: الموضع السابق، حديث رقم ٥٠٣٥ وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس.
وأخرجه أبو داود الطيالسي ١٧/٢ حديث رقم ١٩٤٧، باب ما جاء في سورة المائدة.

(٤) الآية: ٦٨ من السورة.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة ١٨٥/٥.

(٦) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي، المفسر، وكان مؤدباً ويحكى أنه كان بمكتبه ثلاثة آلاف صبي، وكان يطوف عليهم راكباً على حماره. وروى أن أمه حملت به عامين، وهو ثقة في الرواية، مات سنة ١٠٥ وقيل: ١٠٦ هـ.
راجع: الميزان ٣٢٥/٢ ترجمة رقم ٣٩٤٢.
والخلاصة ص ١٧٧.

ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾[1]. فقال: والله ما في القرآن آية أخوف عندي منها[2].

وروى عبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قرأ في خطبته المائدة وسورة التوبة، ثم قال: قال النبي ﷺ: أحلوا ما أحل الله فيهما، وحرموا ما حرم الله فيهما.

يعني لأنهما من آخر ما نزل، فلم ينسخ منهما شيء كما مضى.

وأورده ابن رجب، إلا أنه قال: المائدة وسورة البقرة.

والظاهر: أن التوبة أصح.

وقال ابن رجب: إنَّ في سند عبد شيخه ابراهيم بن الحكم بن أبان وهو ضعيف[3].

---

(١) الآية: ٦٣ من السورة.

(٢) كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٩.
ورواه الطبري في تفسيره ٦/١٧٠.

(٣) وقال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٣٤؛ ضعيف وصل مراسيل.
وقال الذهبي في الميزان ١/٢٧: تركوه، وقلّ من مشّاه روى عن أبيه مرسلات فوصلها.
وقال أحمد: في سبيل الله دراهم أنفقناها إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم.

سورة الأنعام

مكية.

قال أبو عمرو الداني: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة.

وقال النجم النسفي: بين مكة والمدينة، ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - إلى قوله -: لعلكم تتقون**﴾[1].

وعزا الجعبري ذلك إلى ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وقال: قال الكلبي: وإلا قوله تعالى جواب قول فنحاص[2] - أو مالك[3] - : ﴿**ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً**﴾ إلى آخر الثنيتين[4].

---

(١) الآيات: ١٥١ - ١٥٣.

(٢) رجل من اليهود.

(٣) في أسباب النزول للواحدي ١٤٧ وتفسير ابن كثير ٢/١٥٦: مالك ابن الصيف: وهو يهودي أيضاً.

(٤) الآيتان: ٩١ - ٩٢. =

وقال الأصفهاني: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، قوله تعالى: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وهو الذي أنشأ جنات معروشات** ﴾[2].

وقيل: مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة، قوله: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ إلى آخر ثلاث آيات[3]، وقوله: ﴿ **قل تعالوا** ﴾ إلى آخر ثلاث آيات[4] وباقي السورة كلها نزلت بمكة جملة واحدة، انتهى.

وهذا القول الذي فيه استثناء الست ذكره البغوي عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما[5].

وقال الأستاذ أبو الحسن الحرالّي في مفتاحه: إن قوله تعالى: ﴿ **قل لا أجد فيما أوحى إليّ** ﴾[6] الآية مدنية[7].

= وصحيح الحافظ ابن كثير ـ تبعاً لابن جرير ـ أن الآية مكية نزلت في قريش. لأن اليهود لم يكونوا ينكرون انزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون ارسال محمد ﷺ لأنه من البشر. وحكى الله ذلك عنهم في قوله: «أكان للناس عجباً أن أو حيناً إلى رجل منهم». وقوله: «وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً».

(١) الآية: ٩١.

(٢) الآية: ١٤١.

(٣) الآيات: ٩١ ـ ٩٣.

(٤) الآيات: ١٥١ ـ ١٥٣.

(٥) تفسير البغوى على هامش الخازن ٢/٩٦.

(٦) الآية: ١٤٥.

(٧) وعندي: أن الصواب: الركون إلى الروايات المطلقة التي نَصَّتْ على أن السورة نزلت بجملتها في مكة ليلا، وقد وردت عن ابن عباس وعن أسماء بنت يزيد، بل في رواية أسماء تحديد للرواية بحادث مصاحب يزيدها قيمة:
عن أسماء بنت يزيد قالت: نزلت سورة الأنعام على النبي ﷺ جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ، ان كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة. =

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائة وخمس وستون في الكوفي، وست في البصري والشامي، وسبع في المدنيّين والمكي.

اختلافها أربع آيات:

﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾[١] عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **قل لست عليكم بوكيل** ﴾[٢] عدها الكوفي وحده.

﴿ **كن فيكون** ﴾[٣] و﴿ إلى صراط مستقيم ﴾[٤] أسقطهما وحده، وعدها غيره.

وفيها ما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع خمسة مواضع:

﴿ **من طين** ﴾[٥]، ﴿ **إنما يستجيب الذين يسمعون** ﴾[٦]، ﴿ **مبشرين ومنذرين** ﴾[٧]، ﴿ **صراط ربك مستقيماً** ﴾[٨]، ﴿ **فسوف تعلمون** ﴾[٩].

ولا عكس لذلك.

= وروى الطبراني عن ابن عباس قال: نزلت الأنعام بمكة ليلة جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح «المعجم الصغير ١/٨١».

وهاتان الروايتان أوثق من الأقوال التي جاء فيها أن بعض آيات السورة نزل بمكة.

راجع: الظلال ٢/١٠٢١.

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٦٦.

(٣) الآية: ٧٣.

(٤) الآية: ٨٧.

(٥) الآية: ٢.

(٦) الآية: ٣٦.

(٧) الآية: ٤٨.

(٨) الآية: ١٢٦.

(٩) الآية: ١٣٥.

رويها خمسة أحرف: لم نظر[1] .

مقصود السورة

ومقصودها: الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد بأنه سبحانه الحائز لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره.

وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد: الأنعام. لأن الإذن فيها ـ كما ذكرته في أصل هذا الكتاب[2] ـ مسبّب في قوله: ﴿ **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** ﴾[3]، عما[4] ثبت له من الفلق، والتفرد بالخلق، وتضمن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أمرها دينا، لأنه لم يأذن فيه، ولا إذن لأحد معه، لأنه المتوحد بالألوهية، لا شريك له، وحصر المحرمات من المطاعم التي جلّها في هذا الدين وغيره.

فدل ذلك على إحاطة علمه اللازم عنه شمول القدرة، وسائر الكمالات، وذلك عين مقصودها[5] .

---

(١) الظاء: «وما أنا عليكم بحفيظ» الآية: ١٠٤.
وباقي حروف الروي مكرر في السورة.

(٢) يعني كتابه «نظم الدرر».

(٣) الآية: ١١٨ من السورة.

(٤) في د: كما.

(٥) وزاد في نظم الدرر ٢/٧: وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة والقدرية، وأهل الملل الزائفة، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل، والنبوة والمعاد، وابطال مذاهب الملحدين، اهـ.
فالسورة تناولت الأصول الأساسية للعقيدة وهي:
١ ـ قضية الألوهية. ٢ ـ قضية الوحي والرسالة. ٣ ـ قضية البعث والجزاء.
ولذلك تجد الحديث فيها مستفيضاً يدور بشدة حول هذه الأصول العقائدية، وتجد سلاحها في ذلك الحجة الدامغة والدلائل الباهرة، والبرهان القاطع المقنع الملزم، لأن السورة نزلت في مكة على قوم مشركين.
راجع: الظلال ٢/١٠٠٤. وصفوة التفاسير ٣/٥٥.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في كتاب «الفضائل»، والدارمي، عن عمر بـن الخَطاب رضي الله عنه قال: الأنعام من نواجب القرآن[1].

وروى محمد بن المظفر الحافظ[2] في «غرائب شعبة»، عن عبد الله ولفظه: الأنعام من نواجب ـ أو نجائب ـ القرآن.

وروى أبو عبيد ـ أيضاً ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الأنعام بمكة جملة، ونزل معها سبعون ألف ملك، يجأرون حولها بالتسبيح[3].

وأخرجه الطبراني في الصغير[3].

قال الهيثمي: وفي سنده يوسف بن عطية الصفار[4]، وهو ضعيف[5].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٢/٤٥٣.

(٢) هو أبو الحسين محمد بن المظفر، بن موسى، بن عيسى، البغدادي الحافظ الثقة، محدث العراق، ولد سنة ٢٨٦ هجرية وسمع الباغندي وابن جرير، وأبا عروبة، وروى عنه الدارقطني وابن شاهين، وأبو نعيم.
قال الخطيب البغدادي: كان حافظاً صادقاً. وقال الذهبي في الميزان: ثقة حجة معروف، إلا أن أبا الوليد الباجي قال: فيه تشيع. اهـ. وتوفي سنة ٣٧٩.
راجع: تاريخ بغداد ٣/٢٦٢، تذكرة الحفاظ ٣/٩٨٠،
ميزان الاعتدال ٤/٤٣، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٨٩.

(٣) المعجم الصغير ١/٨١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) هو يوسف بن عطية بن ثابت الصفار البصري، مولى الأنصار، المتوفي سنة ١٨٧ هجرية. قال ابن حجر في التقريب ٢/٣٨١: متروك.
وقال الذهبي في الميزان ٤/٤٦٨: مجمع على ضعفه، ونقل قول البخاري فيه: منكر الحديث. وقول ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٢٠.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية، في ترجمة عبد الله بن عون(١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت عليّ سورة الأنعام: جملة واحدة، يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتحميد(٢).

وروى الطبراني في الأوسط، في ترجمة محمد بن عبد الله بن عرس المصري:

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت سورة الأنعام، ومعها موكب من الملائكة يسد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتقديس، والأرض ترتج(٣)، ورسول الله ﷺ يقول: سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم(٤).

ولابن حبان عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت سورة الأنعام، سبح النبي ﷺ، ثم قال: لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق.

وروى أحمد بن منيع، والطبراني في الكبير - وفي سنده شهر وهو

---

(١) تقدمت ترجمته في سورة المائدة.

(٢) الحلية ٣/٤٤. وعقب عليه أبو نعيم بقوله: غريب من حديث ابن عون لم نكتبه إلا من حديث اسماعيل عن يوسف.
واسماعيل هذا، هو اسماعيل بن عمر - كما صرح به أبو نعيم في سياق السند - بن كيسان اليماني. قال الذهبي في الميزان ١/٢٣٩: منكر الحديث.
ويوسف هو ابن عطية الصفار، المتقدم ذكره في الحديث السابق، وهو منكر الحديث أيضاً.
والحديث ذكره البقاعي في نظم الدرر ٧/٢ وقال بعده: وانزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين في غاية الجلالة وأن تعلمه واجب على الفور لنزولها جملة، بخلاف الأحكام فإنها تفرق بحسب المصالح.

(٣) د: ترجع.

(٤) قال الهيثمي ٧/٢٠: رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبدالله ابن عرس، عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات.

ضعيف وقد وثق[1]- عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، أنها قالت: نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ، إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة.

وتقدم مثله عنها في سورة المائدة.

وللدارمي عن كعب رحمه الله قال: فاتحة التوراة الأنعام، وخاتمتها هود[2].

وأخرجه عبد الله بن الامام أحمد من زياداته في كتاب الزهد لأبيه، ولفظه: فاتحة التوراة، فاتحة الأنعام، وخاتمتها: خاتمة هود.

وهذا كلام من هو بصير بالكتابين رحمه الله، فإن أول التوراة خلق السماء والأرض، والنور والظلمة، والنجوم والمياه، والنبات والأشجار، والدواب كلها والطيور، وخلق آدم عليه السلام، وتقدير ذريته، وأنه سلطهم على جميع ما في الأرض براً وبحراً، سهلاً وجبلاً، كما ذكرته في كتاب «نظم الدرر» في أوائل سورة البقرة[3].

وكذلك سورة الأنعام من أولها ﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، هو الذي خلقكم من طين...** ﴾[4]، إلى آخرها ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** ﴾[5].

وما بين ذلك: ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا**

---

(١) قال ابن حجر في التقريب ١/٣٥٥: صدوق، كثير الارسال والأوهام. وراجع مجمع الزوائد ٧/٢٠.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٢/٤٥٣.

(٣) نظم الدرر.

(٤) الآية: ١ - ٢.

(٥) الآية: ١٦٥.

أمم أمثالكم ﴾[1]، ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ﴾[2].

﴿ ومن ذريته داود ﴾[3] إلى آخرها.

﴿ فالق الأصباح وجال الليل سكناً ﴾[4].

﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾[5].

إلى غير ذلك من الأنعام والحرث وغيرها، وذكر في آخرها - وهو (في)[6] آخر السفر الخامس[7] - وهو تلخيص ما مضى في التوراة من الأحكام وغيرها، بزيادة لعن من يكفر من بني إسرائيل ويعمل بغير ما شرع الله له، وأخبر سبحانه بما هم فيه من صلابة الرقاب وقساوة القلوب، وغلظ الأكباد.

وقد ذكرت في الكتاب المذكور كثيراً من ذلك، عند ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ﴾ في سورة النساء، وعند: ﴿ من لعنة الله وغضب عليه ﴾ في المائدة، وذكر سبحانه في السفر المذكور: إن كلمته نفذت فيهم بالخلافة فلا انفكاك لهم عنها، وأن من أطاع كان طاهراً، وأحسن سبحانه جزاءه، وذكر من عظمته سبحانه وقدرته على الانتقام شيئاً كثيراً، وذكر ما يمكن أن يراد به الآخرة، بخلاف ما مضى فإنه لم يذكر فيه الآخرة، لا

---

(١) الآية: ٣٨.
(٢)، (٣) الآية: ٨٤.
(٤) الآية: ٩٦.
(٥) الآية: ٦٧.
(٦) زيادة عن: د.
(٧) راجع: العهد القديم، سفر التثنية، الاصحاح الثاني والثلاثون ص ٢٣٣.
(٨) يعني: كتابه «نظم الدرر».
(٩) نظم الدرر ٥/٥٠٧/ ط ـ الهند.
(١٠) نظم الدرر (٦/٢٠٢.

تصريحاً ولا تلويحاً. وذلك أنه قال في هذا السفر عن بني إسرائيل: «هذا الجيل جيل متقلب بنوا من لم يكن فيهم أمانـة، هم ءَاسَفُوني بـآلهتهم، وأسخطوني بأوثانهم، وأنا ابتليهم بأمة جاهلة، وأسخطهم بها، لأن النار تتقد من غضبي، وتحرق أسفل الجحيم، وتأكل الأرض وأنهارها، وتلهب أساس الجبال، ثم قال : يقول الرب: هذا كله محفوظ في خزائني، في يوم النقلة أجازيهم في الوقت الذي تزل فيه أقدامهم»[1].

وكذلك في سورة هود، فيها البشارة والنذارة، ولعن كثير من كفرة الأمم أمة أمة، وذكر ما قاساه منهم أنبياؤ هم، إلى أن ختم بقصة موسى عليه السلام ثم لعن فرعون وآله، ثم ذكر اليوم المجموع له الناس، وتفصيل الناس فيه إلى قسمين، ثم ذكر أن بني إسرائيل اختلفوا بعد أن جاءهم البيان بالكتاب ثم ذكر التطهر بالصلاة، دعم بجميع الحسنات، وذكر أن الاختلاف لا يزال قائماً، إنما ما لكلمته سبحانه التي سبقت بذلك.

وروى أبو عبيد عن كعب قال: إن أول ما أنزل الله من التوراة «بسم الله الرحمن الرحيم، قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم» ثم ذكر الآيات، انتهى.

وهو يعني: أن هذه الآيات العشر التي كتبها الله تعالى لموسى عليه السلام في ألواح الجوهر أول ما كتب، كما بينته في كتاب «نظم الدرر» وهي: توحيد الله، والنهي عن الشرك، واليمين الكاذبة، والعقوق، والقتل، والزنا والسرقة، والزور، ومد العين إلى ما في يد الغير، والأمر بتعظيم السبت.

ويؤيده ما روى أبو عبيد في الفضائل أيضاً، والترمذي في الاستئذان وقال: حسن صحيح، والنسـائي في السير، وابن مـاجة في الأدب، عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحبه: إذهب بنا إلى

---

(١) العهد القديم ص ٢٣٣ سفر التثنية، الاصحاح الثاني والثلاثون.

(٢) في نظم الدرر ٣٢٢/٧: على لوحي الشهادة.

هذا النبي فقال صاحبه: لا تقل نبي، فإنه لو سمعك(١) كان لـه أربع أعين(٢)، قال: فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيت بينات(٣)، فقال: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان فيقتله(٤)، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة، أو قال: لا تولّوا يوم الزحف، وعليكم خاصّة يهود(٥) ألا تعدوا في السبت، قال: فقبلا يديه ورجليه، وقالا: نشهد أنك نبي قال: فما منعكما أن تتبعوني؟. فقالا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي(٦)، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود(٧).

---

(١) أي لو سمع قولك، وظهر له أنك تعتقده نبيا.

(٢) قال السندي في شرح سنن النسائي ١١١/٧: كناية عن زيادة الفرح، وفرط السرور، إذ الفرح يوجب قوة الأعضاء، وتضاعف القوى يشبه تضاعف الأعضاء الحاملة لها.

(٣) المراد بالآيات البينات:
إما الآيات التسع، كما هو المراد في قوله تعالى: ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات...﴾ وعلى هذا فيكون الجواب في الحديث متروك، تركه النبي ﷺ وأجاب بما يفيد، نظير قوله تعالى: ﴿ويستفتونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى... الآية.
وإمّا الأحكام العامة الشاملة للملة كلها، وعلى هذا فالمذكور في الحديث هو الجواب.

(٤) أي لا تتكلموا بسوء فيمن ليس له ذنب عند السلطان ليقتله أو يؤذيه.

(٥) منادي حذفت منه ياء النداء للقرب.

(٦) أي أننا ننتظر ذلك النبي لنتبعه.
قال العلامة السندي في شرح سنن النسائي ١١٢/٧: وهذا منهم تكذيب لقولهم: «نشهد أنك نبي»، وأنهم ما قالوا عن صدق اعتقاد ضرورة أنه ﷺ كان يدعى ختم النبوة به ﷺ، فالقول بأنه نبي يستلزم صدقه فيه، وانتظار نبي آخر ينافيه، فانظر إلى تناقضهم وكذبهم.

(٧) سنن الترمذي: كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل ١٧٤/٤ حديث رقم ٢٨٧٧. وكتاب التفسير، باب ومن بني اسرائيل ٣٦٧/٤ حديث رقم ٥١٥٢.
وسنن النسائي: كتاب تحريم الدم، باب السحر ١١١/٧.
وسنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب الرجل يقبل يد الرجل ١٢٢١/٢ حديث رقم ٣٧٠٥ مختصرا.

ويمكن تطبيق الحديث على ما في التوراة عندهم الآن، فإن كلا من اليمين الحانثة، والزور، يمكن دخوله في قذف المحصنة، والمشي بالبريء والربا في مد العين إلى الغير، ويبقى العقوق، فلعل الراوي وهم في إبداله بالسحر، أوهم بدلوا ما في التوراة، والله أعلم.

وروى أبو عبيد أيضاً، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ **منه آيات محكمات هن أم الكتاب** ﴾[1]، قال: هي الآيات الثلاث في سورة الأنعام ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾، والتي في بني إسرائيل: ﴿ **وقضى[2] ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾، إلى آخر الآيات [3].

وله عن منذر الثوري [4] قال: قال الربيع بن خيثم[5]: أيسرك أن تلقى صحيفة محمد ﷺ عليها خاتمه؟. قلت: نعم وأنا أرى أنه سيطرفني[6]، قال: فما زادني على هؤلاء الآيات (من سورة الأنعام: ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾إلى آخر الآيات) [7].

وروى ابن رجب عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ:﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم**

---

(١) سورة آل عمران: آية ٧.

(٢) سورة الاسراء: آية ٢٣.

(٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٧/٢ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، لكن لم يذكر فيه آية بني إسرائيل: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾.

(٤) هو أبو يعلى المنذر بن يعلى الثوري الكوفي، وثقه ابن معين، وابن سعد. راجع: الخلاصة ص ٣٨٧.

(٥) الربيع بن خيثم ـ بفتح المعجمة والمثلثة تحتانية ساكنة ـ أبو يزيد الكوفي الثوري، لم ير النبي ﷺ، وكان قوام الليل توفي سنة ذ, هـ. الخلاصة ص ١١٥.

(٦) قال في اللسان ٢١٤/٩: أطرف الرجل: اعطاه مالم يعطه أحدا قبله.

(٧) ما بين القوسين ساقط من: د.

ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، إلى قوله: تتقون﴾[1].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وفي جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد (الانسان)[2] أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه أنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الاسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم[3].

وروى رزين - قال المنذري: ولم أره في شيء من أصوله، إنما رواه أحمد والبزار مختصراً بغير هذا اللفظ بإسناد حسن[4] - عن ابن مسعود رضي

---

(١) الآيات: ١٥١ - ١٥٣ من السورة.

(٢) زيادة عن الجامع الصغير للسيوطي، وتفسير ابن كثير. وفي جامع الأصول: عبد.

(٣) مسند الإمام أحمد ١٨٢/٤، وهذا لفظه.

وصحيح الترمذي: كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله عز وجل لعباده ٢٢٢/٤ حديث رقم ٣٠١٩ وقال: حسن غريب. كلاهما من حديث النواس بن سمعان الكلابي مرفوعاً، وبمراجعة مسند العرباض بن سارية في مسند احمد لم يوجد فيه هذا الحديث.

وقد استقصى الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٩٠/٢ - ١٩١ طرق هذا الحديث، فأوضح أنه من حديث عبد الله بن مسعود - مرفوعاً وموقوفاً - وجابر بن عبد الله مرفوعاً، والنواس بن سمعان مرفوعاً أيضاً، وليس فيها للعرباض بن سارية. فالله أعلم.

والحديث ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ١١٤/٢ حديث رقم ٥٢١١ عن احمد والحاكم من حديث النواس ورمز له بالصحة. وذكره ابن الأثير في جامع الأصول ٢٧٤/١ حديث رقم ٦٠ - ٦١ من حديث النواس وابن مسعود أيضاً، وعزاه إلى الترمذي.

(٤) الترغيب والترهيب ٢٤٤/٣: كتاب الحدود، باب الترهيب من مواقعة الحدود وانتهاك المحارم.

الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يدعو: استقيموا على الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك ذاع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئاً من الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحتهاتلجه، ثم فسره فأخبر أن الصراط: هو الإسلام، وأن الأبواب المفتحة: محارم الله، وأن الستور (المرخاة)[1]: حدود الله، والداعي على رأس الصراط: هو القرآن، والداعي من فوقه: هو واعظ الله في قلب كل مؤمن.

ويمكن تطبيق هذا على: ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل** ﴾[2].

وللطبراني في الصغير - قال الهيثمي: واسناده جيد[3] - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: يا عائشة، ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً** ﴾[4] أصحاب البدع وأصحاب الأهواء، ليس لهم توبة، أنا منهم بريء، وهم مني براء[5].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) الآية: ١٥٣ من السورة.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٢٢.

قلت: ولكن فيه بقية بن الوليد، وثقة البعض، وضعفه الأكثر وممن ضعفه الإمام أحمد بقوله: توهمت أن بقية لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير.

وقال الذهبي: بقية ذو غرائب وعجائب ومناكير.

راجع: ميزان الاعتدال ١/٣٣١ ترجمة رقم ١٢٥٠، والمغنى في الضعفاء ١/١٠٩.

(٤) الآية: ١٥٩ من السورة.

(٥) المعجم الصغير للطبراني ١/٢٠٣.

سورة الأعراف

مكية، قال أبو حيان: كلها، قاله ابن عباس وجماعة[١].

وقال مجاهد وقتادة ـ قال الأصفهاني وأبو حيان: ومقاتل[٢] ـ: إلا قوله تعالى: ﴿ **واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر** ﴾[٣] الآية.

قال النجم النسفي: إلى قوله: ﴿ **وإذ نتقنا الجبل** ﴾[٤]، فإنها نزلت بالمدينة.

قال الأصفهاني: وهي ثماني آيات.

قال أبو حيان: وروى هذا أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما[٥].

---

(١) البحر المحيط ٢٦٥/٤ وعبارته هكذا:

قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء، وجابر بن زيد، والضحاك وغيرهم.

(٢) البحر المحيط ٢٦٥/٤.

(٣) الآية: ١٦٣.

(٤) الآية: ١٧١.

(٥) البحر المحيط: ٢٦٥/٤.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائتـان وخمس في البصري والشـامي، وست في المدني والمكي والكوفي.

واختلافها خمس آيات:

﴿ المص ﴾ عدها الكوفي وحده.

﴿ مخلصين لـه الدين ﴾[1] عـدها البصـري والشامي، ولم يعـدها الباقون.

﴿ كما بدأ كم تعودون ﴾[2] عدها الكوفي وحده.

﴿ ضعفا من النار ﴾[3] عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ الحسنى على بني إسرائيل ﴾[4] الثالث، عدها المدنيان والمكي أيضاً لم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع: تسعة مواضع:

﴿ فد لا هما بغرور ﴾[5].

﴿ في سم الخياط ﴾[6].

﴿ والأنس في النـار ﴾[7]، ﴿ بكل صـراط توعـدون ﴾[8]، ﴿ آل

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٢٩.

(٣) الآية: ٣٨.

(٤) الآية: ١٣٧.

(٥) الآية: ٢٢.

(٦) الآية: ٤٠.

(٧) الآية: ٣٨.

(٨) الآية: ٨٦.

فرعون بالسنين﴾[1]، ﴿وخر موسى صعقاً﴾[2]، ﴿ولا ليهديهم سبيلاً﴾[3] ﴿عذاباً شديداً﴾[4]، ورابع بني إسرائيل[5].

وعكسه ستة:

﴿وخلقته من طين﴾[6]، ﴿فسوف تعلمون﴾[7]، ﴿ثم لأصلبنكم أجمعين﴾[8] وثلاثة بني إسرائيل.

ورويها أربعة أحرف: من دلّ، الدال: من ﴿ص﴾[9]، واللام: ثلاثة بني اسرائيل)[10].

مقصودها

ومقصودها: انذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السور الماضية، من التوحيد والاجتماع على الخير، والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين.

---

(١) الآية: ١٣٠.

(٢) الآية: ١٤٣.

(٣) الآية: ١٤٨.

(٤) الآية: ١٦٤.

(٥) الآية: ١٣٨.

(٦) الآية: ١٢.

(٧) الآية: ١٢٣.

(٨) الآية: ١٢٤.

(٩) الآية: ١.

(١٠) لا يوجد في السورة سوى آيتين ختمت كلتاهما ببني اسرائيل وهما:
«فأرسل معي بني اسرائيل» الآية: ١٠٥.
«ولنرسلن معك بني اسرائيل» الآية: ١٣٤.
وما عدا هذين الموضعين فهو في وسط الآيات.

وأدل ما فيها على هذا المقصد: أمر الأعراف، فإن اعتقاده يتضمن الاشراف على الجنة والنار، والوقوف على حقيقة ما فيها، وما أعد لأهلها الداعي إلى امتثال كل خير، واجتناب كل شر، والاتعاظ بكل مرقق[1].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، والطبراني في الكبير، وأبو داود الطيالسي، وعند الإمام أحمد، وهذا لفظها - وفي السند عمران

---

(١) قال الشهيد سيد قطب في الظلال ١٢٤٤/٣: إن موضوع سورة الأنعام هو العقيدة. وموضوع سورة الأعراف هو العقيدة، ولكن بينما سورة الأنعام تعالج العقيدة في ذاتها، وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها، وتواجه الجاهلية العربية في حينها - وكل جاهلية أخرى - مواجهة صاحب الحق الذي يصدع بالحق... بينما سورة الأنعام تتخذ هذا المنهج، وتسلك ذلك الطريق، نجد سورة الأعراف وهي تعالج موضوع العقيدة كذلك، تأخذ طريقاً آخر، وتعرض موضوعها في مجال آخر، إنها تعرضه في مجال التاريخ البشري، في مجال رحلة البشرية كلها، مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، وعائدة الى النقطة التي انطلقت منها، وفي هذا المدى المتطاول تعرض موكب الايمان من لدن آدم عليه السلام، الى محمد ﷺ، تعرض هذا الموكب الكريم يحمل هذه العقيدة، ويمضي بها على مدار التاريخ، يواجه بها البشرية جيلاً بعد جيل، وقبيلاً بعد قبيل ويرسم سياق السورة في تتابعه: كيف استقبلت البشرية هذا الموكب وما معه من الهدى، كيف خاطبها هذا الموكب وكيف جاوبته؟. كيف وقف الملأ منها لهذا الموكب بالمرصاد، وكيف كانت عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة اهـ مختصرا.
فالسورة ذكرت قصص عدد من الأنبياء، ظهروا من خلالها حاملين لواء الدعوة إلى التوحيد أساساً للعقيدة الصحيحة، ونبذاً للشرك ومظاهره، ثم تناولت السورة قضية البعث فذكرت مشهداً من مشاهد القيامة ويدور فيه الحوار حول الفرق الثلاث وهم يتحاورون، وهذه الفرق: فرقة المؤمنين في الجنة، وفرقة الكافرين في النار، وفرقة ثالثة لم تذكر باسمها إلا في تلك السورة وهي فرقة الأعراف. ثم ختمت السورة بالتهكم بعبّاد الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وهكذا ختمت باثبات التوحيد كما بدأت به، فكانت دعوة الى توحيد الله عز وجل.

القطان[1] وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات - عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الانجيل المثاني، وفضلت بالمفصل[2].

ولفظ أبي عبيد: أعطيت السبع مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الانجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل.

ورواه الطبراني في الكبير، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطاني ربي السبع الطول مكان التوراة، والمئين مكان الانجيل، وفضلت بالمفصل.

قال الهيثمي: وفيه ليث بن أبي سليم، وقد ضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح[3].

ثم أسند أبو عبيد عن سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: أعطيت السبع الطول مكان التوراة.

ثم ذكر حديثه عن واثلة رضي الله عنه.

ورواه الدارمي عن عبد الله رضي الله عنه موقوفاً عليه قال: السبع

---

(١) هو عمران بن داور - بفتح الدال المهملة والواو، آخره راء مهملة - أبو العوام، القطان العَمِّي - بفتح العين المهملة وتشديد الميم المكسورة - البصري، كان يرى رأى الخوارج.

راجع: الخلاصة ص ٢٩٥. والميزان ٢٣٦/٣ الترجمة رقم ٦٢٨٢.

(٢) مسند الإمام احمد ١٠٧/٤.

ومسند أبي داود الطيالسي: كتاب القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب والسبع الطوال ٩/٢ حديث رقم ١٩١٨.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤/١: هذا حديث غريب.

(٣) مجمع الزوائد ١٥٨/٧.

الطول مثل التوراة، والمئون مثل الانجيل، والمثاني مثل الزبور، وسائر القرآن بعد فضل(١).

ولأبي عبيد وأحمد - قال الهيثمي: ورجال بعض أسانيده رجال الصحيح(٢) - والبزار، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: من أخذ السبع (الطوال)(٣) فهو حبر(٤).

قال الهيثمي: ورواه أحمد عن أبي هريرة رضي ار عنه، عن النبي ﷺ مثله(٥).

ورواه الطبراني - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح(٦) - عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٢/٤٥٣.

(٢) عبارة الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٦٢ هكذا:
رواه أحمد والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح، غير حبيب بن هند الأسلمي وهو ثقة. اهـ.
وحبيب هو ابن هند بن أسماء بن هند بن حارثة الأسلمي، ذكره ابن أبي حاتم ٣/١١٠ ولم يذكر فيه شيئاً.

(٣) زيادة عن مجمع الزوائد.
وفي رواية لأحمد والحاكم: من أخذ السبع الأول.

(٤) مسند الإمام أحمد ٦/٧٣، ٨٢.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٦٤ وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه البغوي في شرح السنة ٤/٤٦٨ حديث رقم ١٢٠٣ ولم يعقب عليه. وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٥ وقال: هذا غريب. ولفظه عند الحاكم والبغوي: فهو خير، بدل: حبر.

(٥) مجمع الزوائد ٧/١٦٢.
وذكر ابن كثير في تفسيره: أنه مرسل، من هذا الوجه.

(٦) مجمع الزوائد ٧/٤٦.

المثاني ﴾[1])، قال: هي السبع الطوال[2].

وقال أبو عبيد: حدثنا هشيم، أنا أبو بشر[3]، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾[4] قال: هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

ثم أسند عن مكحول وعطية بن قيس[5] مثل قول سعيد سواء، إلا أنه قال: والتي يقال لها: يونس، قال: وهي السابعة[6].

وكذا عن أبي محمد شداد بن عبيد الله القادمي، ويحيى بن الحارث الذماري[7]، وقال: وأن يونس تسمى السابعة.

---

(١) سورة الحجر: آية ٨٧.

(٢) في نسبة هذا القول إلى ابن عباس نظر وان صح السند إليه، لأنه مخالف لما ورد في الصحيح مرفوعاً من تفسير السبع المثاني بأنها سورة الفاتحة، كما في حديث أبي هريرة وأبي سعيد بن المعلى عند البخاري وغيره.

(٣) هو جعفر بن اياس اليشكري، البصري الواسطي، يروى عن عباد بن شرحبيل الصحابي، وسعيد بن جبير والشعبي، وغيرهم. وعنه هشيم وشعبة والأعمش، وثقة أبو حاتم، وضعفه شعبة، مات سنة ١٢٥ هـ.
راجع: الخلاصة ص ٦٢.

(٤) سورة الحجر آية ٨٧.

(٥) هو أبو يحيى عطية بن قيس الكلابي - أو الكلاعي - الحمصي المقرىء وثقة أبو حاتم، توفي سنة ١١٠، وقيل: سنة ١٢١.
راجع: الخلاصة ص ٢٦٨. وطبقات القراء ١/٥١٣ الترجمة ٢١٢٥.

(٦) قال ابن حجر في الفتح ٨ك٣٨٢: وعند الحاكم: أنها سورة الكهف. راجع المستدرك: كتاب التفسير، سورة الحجر ٢/٣٥٥.

(٧) هو أبو عمرو - وقيل: أبو عمر، وأبو عليم - يحيى بن الحارث بن عمرو ابن يحيى الغساني، الذماري، نسبة إلى ذمار من بلاد اليمن ثم الدمشقي، أمام الجامع الأموي، وشيخ القراءة بدمشق، يعد من التابعين لأنه لقي واثلة بن الأسقع وحدث عنه وقرأ عليه، وثقة ابن معين وغيره. مات سنة ١٤٥ عن تسعين سنة.
راجع: طبقات القراء ٢/٣٦٧. والخلاصة ص ٤٢٢.

وقال يحيى: وليست تعد الأنفال ولا براءة من السبع الطول.

وللطبراني في الكبير - قال المنذري: ورواته رواة الصحيح، إلا المسيب ابن واضح[1]، قال الهيثمي: وهو ضعيف وقد وثق[2] - عن عبد الله بن بشير[3] رضي الله عنه قال: خرجت من حمص، فأواني الليل إلى البقيعة[4]، فحضرني من أهل الأرض، فقرأت هذه الآية من الأعراف: ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض** ﴾[5] إلى آخر الآية، فقال بعضهم لبعض: احرسوه الآن حتى يصبح، فلما أصبحت ركبت دابتي.

وروى ابن أبي داود عن عروة، أن زيداً بن ثابت رضي الله عنه قال لمروان: رأيتك تقرأ في المغرب بقصار المفصل[6]، لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ فيها بطولي[7] الطوليين[8]، (الأعراف)[9].

وقال مرة في تفسير الطوليين: الأنعام والأعراف[10].

(١) الترغيب والترهيب ٨٢/٤.

(٢) مجمع الزوائد ٢٤/٧.
وراجع ترجمته في الميزان ١١٦/٤.

(٣) كذا في الأصول. وعند المنذري في الترغيب والهيثمي في الزوائد: عبد الله بن بسر.

(٤) كذا في الأصول ومجمع الزوائد، وفي الترغيب للمنذري: البيعة.

(٥) الآية: ٥٤ من السورة.

(٦) جاء في سنن النسائي ١٦٩/٢ - قال النووي في المجموع ٣٨٣/٢: إسناد صحيح - أنه قرأ: «بقل هو الله أحد. وإنا أعطيناك الكوثر».

(٧) الطوليين بتحتانيتين تثنية طولي، والمراد: بأطول السورتين الطويلتين.

(٨) ساقطة من: د.

(٩) كتاب المصاحف لابن أبي داود ١٥٤/٤.

(١٠) كتاب المصاحف: الموضع السابق.
ونقل الحافظ في الفتح ٢٤٧/٨ عن ابن المنير: أن تسمية الأنعام والأعراف بالطوليين إنما هو لعرف فيهما، لا أنهما أطول من غيرهما يعني باستثناء سورة البقرة.
وهذا القول حسن، لأن سورة النساء أطول من سورة الأنعام. بل أطول من سورة الأعراف بمائة كلمة، كما نقله صاحب الفتح.

ورواه أبو داود نفسه في السنن. وقال: قلت: ما طولي الطوليين؟. قال: الأعراف، [1] (والأخرى: الأنعام)[2]، قال - يعني ابن جريج -: وسألت أنا ابن مليكة فقال لي من قبل نفسه: المائدة[3] والأعراف[4].

قال الحافظ المنذري في مختصره: ورواه البخاري مختصراً[5]، ورواه النسائي[6]، انتهى[7].

ورواه عبد الرزاق في جامعه ولفظه: قلت: وما طولي الطوليين؟. قال: الأعراف. قال: قلت لابن أبي مليكة: وما الطوليان؟. فكأنه قال من قبل رأيه: الأنعام، والأعراف[8].

وروى النسائي بإسناد - قال النووي في شرح المهذب: حسن[9] - عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بالأعراف، فرقها في الركعتين[10].

ولأبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي أيوب - أو زيد بن ثابت، رضي الله

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل، وزدناه عن سنن أبي داود.
(٢) في مختصر السنن للمنذري: آخر.
(٣) وعند أبي نعيم في المستخرج والطبراني في معجمه عن أبي عاصم: «يونس» بدل الأنعام والمائدة.
قال الحافظ في الفتح ٢/٢٤٧: فحصل الاتفاق على تفسير الطولي بالأعراف، وفي تفسير الأخرى ثلاثة أقوال، المحفوظ منها: الأنعام.
(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في المغرب ١/٢١٥ حديث رقم ٨١٢.
(٥) صحيح البخاري: كتاب الآذان والإقامة، باب القراءة في المغرب ١/١٢٦.
(٦) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب القراءة في المغرب بالمص ٢ك١٧٠.
(٧) مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ١/٣٨٦ حديث رقم ٧٧٥.
(٨) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في المغرب ٢/١٠٧ حديث رقم ٢٦٩١.
(٩) المجموع للنوي ٢/٣٨٣.
(١٠) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب القراءة في المغرب بالمص ٢/١٧٠.

عنهما ـ أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بالأعراف، في ركعتين[1].

ولعبد الله بن أحمد في زوائد المسند ـ قال الهيثمي: عن شيخه محمد ابن يعقوب الربالي وهو مستور، وبقية رجاله رجال الصحيح[2] ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** ﴾[3] قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم فاستنطعتهم، فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟. قالوا: بلى. قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا، أعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا: شهدنا بأنك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، فأقروا، ورفع عليهم آدم عليه السلام ينظر إليهم، فرأى الغنى والفقير وحسن الصورة، ودون ذلك. فقال: (يا)[4] رب لولا سويت بين عبادك؟. قال: إني أحببت أن أشكر. ورأى الأنبياء فيهم مثل السّرج عليهم، خصوا بميثاق آخر الرسالة والنبوة، وهو قوله تعالى: ﴿ **وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ـ إلى قوله ـ وعيسى بن مريم** ﴾[5] عليهما السلام، كان في تلك الأرواح، فأرسله إلى مريم عليها السلام، فحدث عن أبيّ أنه دخل من فيها[6].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الصلاة، باب في السورة تقسم في ركعتين ١/٣٦٩.

(٢) مجمع الزوائد ٧/٢٥.

(٣) الآية: ١٧٢ من السورة.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) سورة الأحزاب آية ٧.

(٦) مسند الإمام أحمد ٥/١٣٥.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٦٣: ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية أبي جعفر الرازي. اهـ. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٢٣ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

ولأحمد - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[1] - عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، أن الله عز وجل أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان[2] يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراهم، فنثرهم بين يديه، ثم كلمهم قبلاً[3]، قال: ألست بربكم؟. قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا - إلى قوله - : المبطلون[4].

ولابن السني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن رجل عن أبيه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي (به)[5] وجع، فقال: ما وجع أخيك؟. قال: به لمم[6]، قال: فابعث به إليّ، فجاء فجلس بين يديه، فقرأ

---

(١) مجمع الزوائد ٢٥/٧.

(٢) نعمان - بفتح النون واسكان المهملة، بوزن فعلان - : بلد بين مكة والطائف، وقيل: واد لهذيل على مسافة ليلتين من عرفات.
راجع: معجم البلدان ٢٩٣/٥.

(٣) بكسر القاف وفتح الباء: أي عيانا ومواجهة، لا من وراء حجاب، ومن غير أن يولي أمره، أو تبليغ كلامه أحداً من ملائكته.
راجع: النهاية ٨/٤.

(٤) مسند الإمام أحمد ٢٧٢/١.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٦١/٢: وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم الى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم، اهـ.
وقد استقصى الحافظ ابن كثير هذا الحديث وبين أنها تربو على العشرين طريقاً ما بين مرفوع وموقوف.
وكذلك الحافظ شمس الدين ابن القيم في كتابه «شفاء العليل» فقد نقل عن أبي عمر ابن عبد البر: أن هذا الحديث قد روي من وجوه كثيرة وعد من رواته ثلاثين صحابياً، منهم من رواه مرفوعاً، ومنهم من ذكره موقوفاً.
وجمع طرقه الحافظ أبو بكر البيهقي في «الأسماء والصفات».

(٥) زيادة عن ابن السني.

(٦) قال ابن الأثير في النهاية ٢٧٢/٤: اللمم: طرف من الجنون يلم بالإنسان، أي يقرب منه ويعتريه.

عليه النبي ﷺ فاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها: ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، إن في خلق السموات** ﴾[1] حتى فرغ من الآية! وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من أول آل عمران، و ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾[2]، إلى آخر الآية، وآية من سورة الأعراف: ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض** ﴾[3] وآية من سورة المؤمنين - وفي رواية: وآخر سورة المؤمنين - : ﴿ **فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾[4]، وآية من سورة الجن: ﴿ **وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً** ﴾[5]، وعشر آيات من سورة الصافات من أولها وثلاثاً من آخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين[6].

ورواه البيهقي في الدعوات عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه.

ورواه ابن ماجة في السنن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: حدثني أبي أبو ليلى رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله، إن لي أخاً وبه وجع. قال: وما وجعه؟. قال: له لممَ، قال: فأتني به.

---

(١) الآية: ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) الآية: ١٨ من سورة آل عمران.

(٣) الآية: ٥٤.

(٤) الآية: ١١٦.

(٥) الآية: ٣.

(٦) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٣٦ حديث رقم ٦٣٧.
وهو حديث ضعيف، لأن في سنده يحيى بن أبي حية أبو جناب الكلبي ضعيف جداً، قال يحيى القطان: لا استحل أن أروي عنه. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف.
راجع: الميزان ٣٧١/٤ ترجمة رقم ٩٤٩١. والخلاصة ص ٤٢٢.

فذكره، وفي آخره: فقام الرجل كأنه لم يشتك شيئاً قط[1].

ولابن السنى عن فاطمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ - لما دنا ولادها - أمر أم سلمة[2] وزينب بنت جحش رضي الله عنهما أن تأتيا فتقرءا عندها آية الكرسي. وإن ربكم الله» إلى آخرها وتعوذاها بالمعوذتين[3].

وفي كتاب «الاستغناء بالقرآن» لابن رجب: أن ابن عدي[4] خرج من طريق ابن لهيعة عن أبي صخر - وهو حميد بن زياد[5] - عن نافع، عن ابن

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتضرر منه ٢/١١٧٥ حديث رقم ٣٥٤٩.
ومداره على يحيى أبو جناب الكلبي، المتوفي سنة ١٤٧ وهو ضعيف كما مر.

(٢) عند ابن السني: أم سليم.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٢٣١ حديث رقم ٦٢٥.
وهو ضعيف، لأن في سنده موسى بن محمد بن عطاء الدمياطي المقدسي، أبو طاهر الواعظ، وهو تالف، حدث بكثير من الموضوعات. قال الدارقطني: متروك.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٨/١٦١: رأيته عند هشام ابن عمار ولم أكتب عنه، وكان يكذب ويأتي بالأباطيل.
راجع: الميزان ٤/٢١٩ ترجمة رقم ٨٩٥ وفيه: عن ابن حبان: لا تحل الرواية عنه، كان يضع الحديث.

(٤) هو الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي، بن عبد الله بن محمد ابن مبارك، الجرجاني، ويعرف - أيضاً - بابن القطان، صاحب كتاب «الكامل» في الجرح والتعديل، حافظ متقن، لم يكن في زمانه مثله، روى عن أبي يعلى الموصلي والنسائي، وعنه خلائق لا يحصون ومات في جمادي الآخرة سنة خمس وستين وثلاثمائة هجرية، عن خمس وسبعين سنة.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٠، شذرات الذهب ٣/٦٦.
البداية والنهاية ١١/٢٨٣، طبقات الحفاظ ص ٣٨٠.

(٥) مختلف فيه، والأكثر: أنه ليس به بأس.
راجع: الميزان ١/٦١٢ ترجمة رقم ٢٣٢٨. والخلاصة ص ٩٤ والجرح والتعديل ٣/٢٢٢ ترجمة رقم ٩٧٥، وتقريب التهذيب ١/٢٠٢.

عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لم يكن يدع قراءة آخر سورة الأعراف في كل جمعة.

قال ابن رجب: ولعل سر ذلك: أن فيه ﴿ **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾، وقد قال كثير من السلف: إنها نزلت في قراءة القرآن في الصلاة، وفي خطبة الجمعة، حتى قال ا لامام أحمد: أجمعوا على ذلك.

ففي تلاوتها في خطبة الجمعة أمر للناس بالانصات للموعظة وما فيها من تلاوة القرآن والذكر، وقد أبدل الناس ذلك في هذه الأزمان، بـذكر حـديث أبي هريـرة رضي الله عنـه: «إذا قلت لصـاحبـك: أنصت»[1]، الحديث، لكن إنما يورده المؤذن بين يدي الإمام.

وروى الحافظ زين الدين ابن رجب بسنده إلى سليم بن عيسى[2] قال: دخلت على حمزة فوجدته يمرغ خده في الأرض ويبكى. فقلت: أعيذك بالله، فقال: يا هذا استعذت لماذا[3]؟. فقال[4]: رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت وقد دعى بقراء القرآن، فكنت ممن حضر، فسمعت قائلاً يقول بكلام عذب: لا يدخل عليّ إلا من عمل بالقرآن، فرجعت القهقري، فهتف باسمي: أين حمزة بن حبيب الزيات؟. فقلت: لبيك د عي

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الانصات يوم الجمعة والامام يخطب ٢٢٤/١.
ومسلم: كتاب الجمعة ١٣٧/٦ كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً.
ونص الحديث ـ واللفظ لمسلم ـ: اذا قلت لصاحبـك أنصت يوم الجمعـة والإمام يخطب، فقد لغوت.

(٢) هو أبو عيسى ـ وقيل: أبو محمد ـ سليم بن عيسى بن سليم، بن عامر ابن غالب، مولاهم الكوفي المقرىء، ولد سنة ١٣٠ههجرية، وكان من أخص أصحاب حمزة، وأضبطهم لقراءته، وتوفي سنة ثمان وثمانين ـ أو تسع وثمانين ـ ومائة.
راجع: طبقات القراء ٣١٨/١. والنشر ١٦٦/١.

(٣) في د: لما هذا.

(٤) في د: قال.

الله، فبادرني ملك فقال: قُلْ لبَّيك اللهم، فقلتُ كما قال لي، فأدخلني داراً سمعت[1] فيها ضجيج القرآن، فوقفت أرعد، فسمعت قائلاً يقول: لا بأس عليك، أرق[2] واقرأ، فأدرت وجهي فإذا أنا بمنبر من در أبيض، وحافتاهُ من ياقوت أصفر، مراقيه من زبرجد أخضر، فقيل لي: ارق واقر فرقيت، فقيل لي: اقرأ سورة الأنعام فقرأت وأنا لا أدري على من أقرأ، حتى بلغت الستين آية: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[3]، فقال لي: يا حمزة ألست القاهر فوق عبادي؟. فقلت: بلى، فقال: صدقت، اقرأ، فقرأت حتى أتممتها، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت الأعراف، حتى بلغت آخرها، فأومأت بالسجود، فقال لي: حسبك ما مضى لا تسجد يا حمزة، من أقرأك هذا القرآن؟. قلت: سليمان[4]، قال: صدقت من أقرأ سليمان؟. قلت: يحيى[5]، قال: صدق يحيى، على من قرأ يحيى؟. قلت: على أبي عبد الرحمن السلمى [6]، فقال: صدق أبو عبد الرحمن السلمى، من أقرأ أبا عبد الرحمن السلمى؟. قلت: ابن عم نبيك علي بن أبي طالب قال: صدق علي، من أقرأ علياً؟. قلت: نبيك محمد ﷺ. قال: فمن أقرأ نبيي محمداً؟. قلت: جبريل عليه السلام،

---

(١) في د: فسمعت.

(٢) في د: ارقأ، وهو خطأ.

(٣) سورة الأنعام آية ١٨.

(٤) هو أبو محمد سليمان بن مهران، الأسدي بالولاء، الملقب بالأعمش تابعي مشهور، نشأ بالكوفة، وأصله من بلاد الري، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض. قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع، والعمل الصالح. وتوفي بالكوفة سنة ١٤٨ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/٢١٣. وطبقات ابن سعد ٦/٢٣٨.

(٥) هو يحيى بن وثاب الأسدي، مولاهم الكوفي، تابعي ثقة، من العباد الأعلام، روى عن ابن عمر وابن عباس، وتعلم القرآن من عبيد بن نضلة آية آية، وعرض على علقمة وعبيد بن قيس. مات سنة ثلاث ومائة هجرية.

راجع: طبقات القراء ٢/٣٨٠.

(٦) تقدمت ترجمته.

قال: فمن أقرأ جبريل عليه السلام؟. فسكتّ، قال: فقال لي: يا حمزة قل: أنت. قال: فقلت: ما أحسن أن أقول: أنت!!. قال: قل: أنت. فقلت: أنت، فقال: صدقت يا حمزة. وحق القرآن لأكرمنّ أهل القرآن يا حمزة، سيما إذا عملوا بالقرآن كلامي، وما أحببت أحداً كحبي أهل القرآن، أدن يا حمزة، فدنوت فضمخني بالغالية[1]، ثم قال: ليس أفعل بك وحدك، قد فعلت ذلك بنظرائك: من فوقك، ومن دونك، ومن أقرأ القرآن كما أقرأت لم يرد به غيري، وما خبأت لك يا حمزة عندي أكثر، فأعلم أصحابك بمكاني من حبي لأهل القرآن وفعلي بهم، فهم المصطفون الأخيار ولا أذنا سمعته، ولا عينا نظرته، فقلت: سبحانك، سبحانك أي رب. فقال: يا حمزة، أي نظار المصاحف؟. فقلت: يا رب أحفاظ هم؟. فقال: لا، ولكن أحفظه لهم حتى يوم القيامة، فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة.

أفتلومني أن أبكي وأتمرغ في التراب[2]؟

وسيأتي في سورة يس منام له أيضاً حسن.

---

(١) قال في اللسان ٣/٣٧: الضّمخ: لطخ الجسد بالطيب، حتى كأنما يقطر..

(٢) رحم الله صاحبنا البقاعي، أما كان يكفيه ما سرده من آثار في فضائل السورة. ويجنب كتابه ذكر أمثال هذه الرؤيا، التي ان دلت على شيء فانما تدل على فضيلة لحمزة لا على فضيلة السورة؟!.

سورة الأنفال

وتسمى: الجهاد.

مدنية اجماعاً، نزلت في بدر، كما رواه أبو عبيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الجعبري: واختلف في قوله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**[1] ﴾.

وقال النجم النسفى والشمس الأصفهاني: وقيل: الا آية، وهي قوله تعالى: ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا . . .** ﴾**الآية**[2].

قال الأصفهاني: نزلت في قصة وقعت بمكة، ويمكن أن تنزل الآية في ذلك بالمدينة. ولا خلاف أن هذه السورة نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه.

---

(١) الآية: ٣٣.

(٢) الآية: ٣٠.

وقال النسفي: وقيل: غير قوله: ﴿ **يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك** ﴾[1]، فإنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.

وقال البغوي: مدنية، قيل: إلا سبع آيات، من قوله: ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا** ﴾، إلى آخر سبع آيات، فإنها نزلت بمكة. والأصح: أنها نزلت بالمدينة وإن كانت الواقعة بمكة .

وقال الجعبري في شرح الشاطبية: وقيل: هي أول المدني.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمس وسبعون في الكوفي، وست في المدنيين والمكي والبصري وسبع في الشامي.

اختلافها ثلاث آيات:

﴿ **ثم يغلبون** ﴾[3] عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **وليقضي الله أمراً كان مفعولاً** ﴾[4] الأول، أسقطها الكوفي وحده، وعدها الباقون.

﴿ **بنصره وبالمؤمنين** ﴾[5] أسقطها البصري وحده، وعدها غيره.

---

(١) الآية: ٦٤.

(٢) تفسير البغوي على هامش الخازن ٣/٢.

ولعل الذي دعا أصحاب هذه الروايات الى القول بمكية هذه الآيات: أنها تتحدث عن أمور كانت في مكة قبل الهجرة، ولكن هذا ليس بسبب، فإن هناك كثيراً من الآيات المدنية تتحدث عن أمور كانت في مكة قبل الهجرة.

راجع: الظلال ٣/١٤٣٠.

(٣) الآية: ٣٦.

(٤) الآية: ٤٢.

(٥) الآية: ٦٢.

وفيها ما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، ثمانية مواضع:

﴿أولئك هم المؤمنون﴾[1]، **﴿رجز الشيطان﴾**[2]، **﴿فوق الأعناق﴾**[3]، **﴿عن المسجد الحرام﴾**[4]، **﴿إلا المتقون﴾**[5]، **﴿يوم الفرقان﴾**[6]، **﴿يوم التقى الجمعان﴾**[7]، وثاني: **﴿كان مفعولاً﴾**[8]. وعكسه أوله.

رويها سبعة أحرف: مدن قطرب، أو: قطرب ندم. الدال: للعبيد[9] والقاف: **الحريق**[10] والباء: **أربعة العقاب**[11].

مقصودها

ومقصودها: تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله واعتقاد: أن الأمور ليست إلا بيده، وأن الإنسان ليس له فعل يثمر ذلك الاعتصام بأمر الله، المثمر لاجتماع الكلمة، المثمر لنصر الدين، واذلال المفسدين، المنتج لكل خير، والجامع لذلك كله: أنه كما ثبت بالسور الماضية وجوب اتباع أمر الاله، والاجتماع عليه، لما ثبت من تفرده واقتداره، كان مقصود هذه (السور)[12] ايجاب اتباع الداعي (اليه)[13] بغاية الاذعان والتسليم

---

(١) الآية: ٤.

(٢) الآية: ١١.

(٣) الآية: ١٢.

(٤)،(٥) الآية: ٣٤.

(٦)، (٧) الآية: ٤١.

(٨) الآية: ٤٤.

(٩) الآية: ٥١.

(١٠) الآية: ٥٠.

(١١) الآيات: ١٣، ٢٥، ٤٨، ٥٢.

(١٢) ليست بالأصل، وزدناها للايضاح.

(١٣) ساقطة من: د.

والرضا، والتبرؤ من كل حول وقوة، إلى من أنعم بذلك كله، ولو شاء سلبه.

وأدل ما فيها على هذا المقصود: قصة الأنفال، التي اختلفوا في أمرها وتنازعوا قسمها، فمنعهم الله منها، وكف عنهم حظوظ الأنفس، وألزمهم الاخبات والتواضع، وأعطاها نبيه ﷺ، لأنه الذي هزمهم بما رمى من الحصيات[1] التي خرق الله فيها العادة، بأن بثها في أعين جميعهم، وبما أرسل من جنوده، فكان الأمر له وحده يمنحه من يشاء، ثم لما صار له ﷺ، رده فيهم، منة منه عليهم، وإحساناً إليهم[2].

واسمها الجهاد كذلك، لأن الكفار دائماً أضعاف المسلمين، وما جاهد قوم منا قط إلا أكثر منهم.

وتجب مصابرة الضعيف، فلو كان النظر إلى غير قوته سبحانه ما أطيق (ذلك)[3].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في بدر[4].

ولأحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات[5] ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه سُئِلَ عن الأنفال فقال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٩٥: قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم: «وما رميت اذ رميت ولكنالله رمى» قال: هذا يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصبات ميمنة القوم، وحصبات ميسرة القوم، وحصبات بين أظهرهم، وقال: شاهت الوجوه، فانهزموا.

(٢) راجع فيه حديث عبادة بن الصامت الآتي بعد قليل.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) وأخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة الأنفال ١٩٨/٥.

(٥) مجمع الزوائد ٢٦/٧.

اختلفنا[1] في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء[2].

يقول: على السواء[3].

وفي كتب الفتوح في وقعة القادسية من بلاد العراق[4]، قالوا: ولما صلى سعد بن أبي وقاص[5] رضي الله عنه الظهر، أمر غلاماً - كان عمر رضي الله عنه ألزمه إياه، وكان من القراء - بقراءة سورة الجهاد - يعني الأنفال - وكان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها، فقرأها على الكتيبة التي تليه[6]، وقرئت في كل كتيبة، فهشت[7] قلوب الناس، وعرفوا السكنية مع قراءتها.

قال مصعب بن سعد: وكانت قراءتها سنة، يقرؤها رسول الله ﷺ عند الزحف ويستقرئها، فعمل الناس بذلك.

قالوا: ولما فرغ[8] (من)[9] القراءة كبّر سعد، فكبر الذين يلونه، وكبّر

---

(١) في د: ختلافها.

(٢) مسند الامام أحمد ٥/٣٢٢.

(٣) في د: عن سواء.

(٤) قال صاحب معجم البلدان ٦/٧: موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً. اهـ.
وكانت وقعة القادسية في خلافة عمر سنة ١٤ هجرية بين المسلمين والفرس، وفيها انتصر المسلمون على الفرس.

(٥) سعد بن أبي وقاص - واسم أبي وقاص: مالك - بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، القرشي، ويكنى أبا اسحاق، أحد العشرة المبشرين بالجنة، والستة الذين جعل عمر الشوري فيهم، أول من رمى بسهم في سبيل الله، واختلف في سنة وفاته، والمشهور: أنها سنة ست وخمسين هجرية.
راجع: الإصابة ٢/٣٠. والتجريد ١/٢١٨ ترجمة رقم ٢٢٧٢.

(٦) في د: تلاها.

(٧) جاء في اللسان ١/٣٦٤: هششت: أي فرحت.

(٨) يعني: الغلام.

(٩) ليست بالأصل، وزدناها لمقتضى السياق.

بعض الناس بتكبير بعض، فتخشخش[1] الناس، ثم ذكر أمر اليوم الأول في القتال.

وفي الفتوح لأبي القاسم عبد الرحمن بن حبيش[2]، وكذا تلميذه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي[3]، في أواخر وقعة اليرموك[4]، عن كتاب سيف بن عمر[5]، عن أشياخه: وكان القارىء يوم ذاك المقداد[6] بـن الأسود.

---

(١) قال في اللسان ٣/٢٩٧: الخشخشة: حركة لها صوت كصوت السلاح.

(٢) هو الإمام الحافظ القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، بن عبد الله، بن يوسف، بن حبيش، الأنصاري الأندلسي، ولد سنة ٥٠٤ هجرية، وسمع من القاضي أبي بكر بن العربي، وآخرين، وكان بارعاً في النحو، حافظاً للحديث، عارفاً بمتـونه ورجاله وعلله وغريبه، وتولى قضاء مرسية، وبها توفي سنة ٥٨٤ هجرية، عن ثمانين عاماً.

راجع: بغية الوعاة ٢/٨٥، تذكرة الحفـاظ ٤/١٣٥٣، طبقات القـراء ١/٣٧٨، طبقات الحفاظ ص ٤٨٠.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى، بن سالم، بن حسان الكـلاعي الحميري، عالم الأندلس ومحدثها، ولد سنة ٥٦٥ هجرية وسمع أبا القاسم بن حبيش وآخرين، وكان اماماً في الحديث، عارفاً بالجرح والتعديل، بحراً في الأدب والبلاغة، ومن كتبه: «الاكتفاء في المغازي»، و «معرفة الصحابة والتابعين»، مات شهيداً على يد الأعداء في العشرين من ذي الحجة، سنة ٦٣٤ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٤/١٤١٧، طبقات الحفاظ ص ٤٩٧ ترجمة رقم ١١٠٣.

(٤) كانت وقعة اليرموك في سنة ١٣ هجرية بين المسلمين والروم، وفيها انتصر المسلمون انتصاراً حاسماً بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه. واليرموك: واد بناحية الشام ينتهي الى نهر الأردن.

راجع: أيام العرب في الاسلام ص ٢٠٧. ومعجم البلدان ٨/٥٠٤.

(٥) هو سيف بن عمر الأسدي التميمي البغدادي، كوفي الأصل، من أصحاب السير، مات في خلافة الرشيد سنة ٢٠٠ هجرية، له كتاب «الجمل» «والردة»، «والفتح الكبير» ضعفه ابن معين وأبو داود، وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وقال ابن عدى: عامة حديثه منكر.

راجع: هدية العارفين ١/٤١٣، ميزان الاعتدال ٢/٢٥٥ ترجمة رقم ٣٦٣٧.

(٦) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، الحضرمي ولد بحضرموت، ثم =

قالوا: ومن السنة التي سن رسول الله ﷺ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء، وهي سورة الأنفال، ولم يزل الناس بعد على ذلك.

وروى البزار ـ وفي مسنده عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف[1] ـ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: نزل الإسلام بالكره والشدة، فوجدنا خير الخير في الكراهة، فخرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة فجعل لنا في ذلك العلاء والظفر، وخرجنا مع رسول الله ﷺإلى بدر على الحال التي ذكر الله عز وجل: ﴿ **وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون** ﴾ ـ إلى قوله: ﴿ **وتودون أ ن غير ذات الشوكة تكون لكم** ﴾[2]، والشوكة: قريش[3]، فجعل الله لنا في ذلك العلاء والظفر، فوجدنا خير الخير في الكره.

= رحل الى مكة مع أبيه عمرو، فتبناه الأسود بن عبد يغوث بعد موت أبيه، فاشتهر بأنه المقداد بن الأسود. وتزوج من ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي ﷺ، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وتوفي سنة ثلاث وثلاثين للهجرة في خلافة عثمان بن عفان عن سبعين سنة، وذكر ابن عبد البر: أنه شهد فتح مصر ومات بها فحمل إلى المدينة فدفن بها وصلى عليه عثمان رضي الله عنه.

راجع: الإصابة ٣/٤٥٤. والاستيعاب على هامش الاصابة ٣/٤٥١.

(١) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٧.

(٢) الآيات ٥ ـ ٧ من السورة.

(٣) أي فرسان قريش الذين جاءوا ليحاربوا المسلمين.

سورة براءة

وهي من المئين، والأنفال من المثاني، وهي ما دون المئة، وقد بين ذلك في أصل هذا الكتاب.

واسمها أيضاً: التوبة، والفاتحة، والبحوث، والمبعثرة، والمثيرة والحافرة، والمخزية، والمهلكة، والمشرّدة، والمرشدة، والمنكلة والمدمدمة، وسورة البعوث، وسورة العذاب، والمقشقشة[1].

وهي مدنية إجماعاً.

قال الجعبري: وقيل: هي آخر المدني.

وقال أبو حيان: إلا آيتين من آخرها نزلتا بمكة، وهذا قول الجمهور[2].

---

(١) بعد قليل سيأتي شرح المؤلف لهذه الألفاظ.

(٢) البحر المحيط ٥/٤.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائة وتسع وعشرون في المكي، وثلاثون في عدد الباقي.

اختلافها ثلاث آيات:

﴿ إنَّ الله بريء من المشركين ﴾[١]، عدها البصري وحده.

﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ﴾[٢] وهو الأول، عدها الشامي وحده.

﴿ وعاد وثمود ﴾[٣]، عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً باجماع: خمسة عشر موضعاً:

﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ﴾[٤] بعده: ثم لم ينقصوكم.

قال أبو عمرو الداني: على أن أهل البصرة قد جاء عنهم خلاف فيه، وفي قوله: ﴿ بريء من المشركين ﴾[٥]، والصحيح عندهم ما قدمناه.

﴿ وقاتلوا المشركين ﴾[٦]، ﴿ برحمة منه ورضوان ﴾[٧]، ﴿وقَلَّبُوا لك الأمور ﴾[٨] ﴿ وفي الرقاب ﴾[٩]، ﴿ ويؤمن للمؤمنين ﴾[١٠]، ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ﴾[١١]، ﴿ويعذبهم الله عذاباً

---

(١) الآية: ٣.

(٢) الآية: ٣٩.

(٣) الآية: ٧٠.

(٤) الآية: ٤.

(٥) الآية: ٣.

(٦) الآية: ٣٦.

(٧) الآية: ٢١.

(٨) الآية: ٤٨.

(٩) الآية: ٦٠.

(١٠) الآية: ٦١.

(١١) الآية: ٧٩.

أليماً ﴾[1] وهو الثاني، **﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾**[2]، **﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾**[3] ، **﴿ من المهاجرين والأنصار ﴾** ، **﴿ وتفريقاً بين المؤمنين ﴾**[5] ، **﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾**[6] ، **﴿ أن يستغفروا للمشركين ﴾**[7] ، **﴿ أنهم يفتنون ﴾**[8] .

وعكسه موضع :

﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾[9] .

رويها خمسة أحرف: برنمل.

اللام: قليل[10] . والباء: الغيوب[11].

مقصودها

ومقصودها: معاداة من أعرض عما دعت ليه السور الماضية، من اتباع الداعي إلى الله في توحيده[12]، واتباع ما يرضيه، ومولاه من أقبل عليه.

وأدل ما فيها على الابلاغ في هذا المقصد: قصة المخلفين، فإنهم -

---

(١) الآية: ٧٤.

(٢)، (٣) الآية: ٩١.

(٤) الآية: ١٠٠.

(٥) الآية: ١٠٧.

(٦) الآية: ١١١.

(٧) الآية: ١١٣.

(٨) الآية: ١٢٦.

(٩) الآية: ١٤.

(١٠) الآية: ٣٨.

(١١) الآية: ٧٨.

(١٢) في د: توحده.

لاعترافهم بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك[1] المحتمل على وجه بعيد منهم رضي الله عنهم للأعراض بالقلب ـ هجروا[2] واعرض عنهم بكل اعتبار، حتى بالكلام، حتى بالسلام، إلى أن تيب عليهم، فذلك معنى تسميتها بالتوبة، وهو يدل على البراءة. لأن البراءة منهم بهجرانهم حتى في رد السلام، كان سبب التوبة، فهو من اطلاق المسبب على السبب. وتسميتها ببراءة واضح أيضاً فيما ذكر من مقصودها.

وكذا الفاضحة: لأن من افتضح كان أهلاً للبراءة منه.

والبحوث: لأنه لا يبحث إلا عن حال البغيض.

والمبعثرة، والمنفرة[3]، والمثيرة، والحافرة، والمخزية، والمهلكة والمشردة، والمدمدمة. لأنه لا يبعثر إلا حال العدو. وكذا ما بعده.

والمشردة: عظيمة المناسبة مع ذلك، لما أشارت إليه الأنفال في: ﴿ فشرد بهم من خلفهم ﴾[4].

وكذا سورة البعوث سواء.

وسورة العذاب أيضاً: واضحة في مقصودها، وكذا المقشقشة: لأنهم قالوا: إن معناه: المبرئة من النفاق، من تقشقشت قروحه: إذا تقشرت للبراء. وتوجيهه: أن من عرف أن الله بريء منه ورسوله والمؤمنون لأمر، فهو جدير بأن يرجع عن ذلك الأمر.

وعندي: أنه مضاعف القش الذي معناه الجمع، لأنها جمعت أصناف المنافقين، وعليه خرّج ما ورد في وصف أبي جهم[5] بن حذيفة رضي الله عنه

---

(١) كانت غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة في شهر رجب.
راجع: سيرة ابن هشام ٤/٥١٥. وفتح الباري في المغازي ٨/١١٠.

(٢) في الأصل: فهجروا. والتصويب عن مصاعد النظر.

(٣) في د: المفردة.

(٤) الآية: ٥٧.

(٥) هو أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله، قال البخاري وجماعة: اسمه =

لمن أراد نكاحها: «أخاف عليك قشقاشته»، أي تتبعه لمداقّ الأمور أخذا من القش الذي هو تطلب المأكول من ههنا وههنا، أو عصاه التي هي غاية ذلك.

ومادة «قش»، ومقلوبها «شق»، ومضاعفها «قشقش، وشقشق»: تدور على الجمع وتلازمه الفرقة، فإنه لا يجمع إلا ما كان مفرقاً، ولا يفرق إلا ما كان مجتمعاً.

وقد برهنت على تطبيق ذلك على الجزئيات المذكورة في كتب اللغة، في كتاب «نظم الدرر»[١] الذي هذا الكتاب فرع منه[٢].

= عامر. وقيل: اسمه عبيد. أسلم عام الفتح وصحب النبي ﷺ، وكان عالماً بالأنساب، وأحد الأربعة الذين تولوا دفن عثمان، وورد ذكره في حديث فاطمة بنت قيس لما قالت: ان معاوية وأباجهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه . . . الحديث. ومات أبو جهم في خلافة معاوية.

راجع: الاصابة ٤/٣٥. والاستيعاب على هامش الاصابة ٤/٣١.

(١) نظم الدرر ٨/٣٥٠ وما بعدها. وفيه ذكر المؤلف فوائد عظيمة.

(٢) يتضح من سمات هذه السورة أن لها هدفين أساسيين بجانب الأحكام الأخرى المبثوثة في ثناياها:

الهدف الأول: تحديدا العلاقة بين المسلمين وبين المشركين وأهل الكتاب.

الثاني: اظهار ما كانت عليه النفوس حينما استنفرهم الرسول ﷺ لغزو الروم.

أما الهدف الأول فقد عرضت السورة الى عهود المشركين فوضعت لها حداً، ومنعت حج المشركين الى بيت الله الحرام، وقطعت الولاية بينهم وبين المسلمين، ووضعت الأساس في قبول بقاء أهل الكتاب في جزيرة العرب، واباحة التعامل معهم، وقد كان بين النبي ﷺ والمشركين عهود ومواثيق، كما كان بينه وبين أهل الكتاب عهود أيضاً، ولكن المشركين نقضوا العهود، وتآمروا مع اليهود عدة مرات على رحب المسلمين، وخانت اليهود «بنو النضير، وبنو قريظة وبنو قينقاع» ما عاهدوا عليه الرسول ﷺ، ونقضوا عهودهم مرات ومرات، فلم يعد من الحكمة أن يظل المسلمون متمسكين بالعهود ونبذها اليهم على وضوح وبصيرة، لأن الناكثين لا يتورعون عن الخيانة كلما سنحت الفرصة، وبذلك قطع الله تعالى ما كان بين المسلمين والمشركين من صلات، فلا عهد ولا تعاهد، ولا سلم ولا أمان بعد أن منحهم الله فرصة كافية هي السياحة =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، وأبو عمرو الداني في كتاب العدد وهذا لفظه، عن حذيفة رضي الله عنه قال: أنكم تسمعون هـذه السورة سورة التوبة، وإنها سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه. أهل المدينة يسمونها، التوبة، وأهل مكة: الفاضحة.

ورواه الطبراني في الأوسط - قال الهيثمي: ورجاله ثقات[1] - ولفظه: قال: التي تسمون التوبة، هي سورة العذاب، وما تقرأون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها.

وتقدم في أواخر الفضائل العامة سر وضعها مع الأنفال[2].

وروى الطبراني - أيضاً - في الكبير عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال زمن الفتح: أن هذا عام الحج الأكبر، قال: اجتمع حج المسلمين وحج المشركين في ثلاثة أيام متتابعات واجتمع النصارى واليهود في ثلاثة أيـام متتابعـات، فاجتمـع حج المسلمـين والمشركـين، والنصارى

= في الأرض أربعة أشهر ينطلقون فيها آمنين، ليتمكنوا من النظر في أمرهم، ويختاروا ما يرون فيه المصلحة لهم.

وهذا الهدف بين في السورة في مقطعين: الأول من أول السورة حتى نهاية الآية الثامنة والعشرين. والثاني من قوله: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر- الى قوله -: فذوقوا ما كنتم تكنزون. الآيات ٢٩ - ٣٥.

أما الهدف الثاني: فقد تحدثت السورة عن المتثاقلين من المسلمين والمتخلفين منهم، ثم كشفت الغطاء عن فتن المنافقين وحيلهم باعتبارهم خطراً داهماً يهدد كيان المسلمين، ففضحت ألوان نفاقهم، وأساليب خداعهم، حتى لم تترك لهم ستراً الا هتكته، حتى أصبحوا بين المسلمين مكشوفين، وقد استغرق ذلك معـظم آيات السـورة، ولهذا سماهابعض الصحابة «الفاضحة»، لأنها فضحت المنافقين، وكشفت أسرارهم.

راجع: الظلال ١٥٦٤/٣ وما بعدها. صفوة التفاسير ٣/٥ وما بعدها.

(١) مجمع الزوائد ٢٨/٧.

(٢) راجع

واليهود، العام في ستة أيام متتابعات، ولم يجتمع منذ خلقت السموات والأرض كذلك قبل العام. ولا يجتمع بعد العام حتى تقوم الساعة.

قال الهيثمي: رجاله موثقون، ولكن متنه منكر[١].

وله فيه عن أبي راشد[٢] قال: رأيت المقداد فارس رسول الله ﷺ ـ ورضي عنه ـ جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، قد فضل عليها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: (لقد)[٣] أعذر الله إليك[٤]. قال: أتت علينا سورة البعوث: ﴿ **انفروا خفافاً وثقالا** ﴾[٥].

قال الهيثمي: وفيه بقية بن الوليد وفيه ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات[٦].

وروى الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن إبراهيم بن عامر الأصبهاني بسند ـ قال الهيثمي: فيه نهشل بن سعيد وهو متروك[٧] ـ عن علي، يعني ابن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: لا يحفظ منافق سور: براءة، وهود، ويس، والدخان، وعم يتساءلون.

وروى أبو عبيد، وأبو عمرو الداني، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة التوبة. قال: تلك الفاضحة، ما يزال

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٢٩.

(٢) هو أبو راشد الحبراني ـ بضم الحاء المهملة واسكان الباء ـ قال في الخلاصة: قيل اسمه خضر، قال العجلي: ثقة، لم يكن بدمشق في زمانه أفضل منه.
راجع: الخلاصة ص ٤٤٩.

(٣) زيادة عن مجمع الزوائد.

(٤) قال في النهاية ٣/١٩٧: أي عذرك، وجعلك موضع العذر وأسقط عنك الجهاد، ورخص لك في تركه، لأنه كان قد تناهى في السّمن، وعجز عن القتال.

(٥) الآية: ٤١ من السورة.

(٦) مجمع الزوائد ٧/٣٠.

(٧) نهشل بن سعيد البصري. قال الذهبي في الميزان ٤/٢٧٥: قال اسحاق بن راهويه: كان كذاباً.

ينزل: ومنهم، ومنهم[1]، حتى خشينا أن لا تدع أحداً[2].

زاد أبو عبيد: قال: فقلت: فسورة الأنفال. قال: نزلت في بدر، قال: فقلت: فسورة الحشر. قال: نزلت في بني النضير[3].

وروى أبو عبيد عن أبي عطية[4] قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن تعلموا سورة التوبة، وعلموا نساءكم سور النور.

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخلت المسجد يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فجلست قريباً من أبي بن كعب رضي الله عنه، فقرأ النبي ﷺ سورة براءة. فقلت لأبي: متى نزلت هذه السورة. قال: فتجهمني ولم يكلمني، ثم مكثت ساعة ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني، ثم مكثت ساعة، ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني فلما صلى النبي ﷺ، قلت لأبي: سألتك فتجهمتني ولم تكلمني؟ قال أبي رضي الله عنه: مالك من صلاتك إلا ما لغوت. فذهبت إلى النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله كنت بجنب أبي وأنت تقرأ براءة، فسألته: متى نزلت هذه السورة؟. فتجهمني ولم يكلمني، ثم قال: مالك من صلاتك إلا ما لغوت. قال النبي ﷺ: صدق أبي[5].

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٦٢٩/٨: قوله: ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم. أي كقوله: «ومنهم من عاهد الله»، «ومنهم من يلمزك في الصدقات»، «ومنهم الذين يؤذون النبي».

(٢) حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب سورة الحشر ٥٨/٥.
ومسلم في صحيحه: كتاب التفسير ١٦٥/١٨.

(٣) هذه الزيادة من تمام الحديث عند البخاري ومسلم.
وراجع: جامع الأصول لابن الأثير ١٥٢/٢ حديث رقم ٦٤٢.

(٤) لعله مالك بن عامر أبو عطية الوادعي، تابعي.
التجريد للذهبي ٤٥/٢ ترجمة رقم ٤٩٢.

(٥) صحيح ابن خزيمة: كتاب الجمعة، باب النهي عن السؤال عن العلم غير الإمام والإمام يخطب ١٥٤/٣ حديث رقم ١٨٠٧.

وقال ابن رجب: إن عبدالله بن الإمام أحمد، وسعيد بن منصور[1]، خرّجا عن أبي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قرأ براءة يوم الجمعة.

وروى ابن ماجة: أن هذه الواقعة في سورة تبارك[2].

ويجمع بأنه قرأ آيات من كل منهما.

وروى عبد الرزاق في جامعه ـ في وجوب الخطبة ـ عن أبي سلمة[3] بن عبد الرحمن قال: بينما النبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة إذ قرأ آية، فسمعها أبو ذر رضي الله عنه، فقال لأبي بن كعب رضي الله عنه: متى أنزلت هذه الآية؟. فأنصت عنه أبيّ رضي الله عنه ثلاثا، كل ذلك ينصت عنه، حتى إذا نزل النبي ﷺ، قال أبي لأبي ذر رضي الله عنهما: ليس من جمعتك إلا ما قد مضى منها، فسأل أبو ذر رضي الله عنه النبي ﷺ عن ذلك. فقال: صدق أبي[4].

---

(١) هواالإما الحافظ أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة، ولد بجوزجان ونشأ ببلخ، وكان جوّالاً، روى عن سفيان بن عيينة، ومالك والليث بن سعد وأبي عوانة، وخلائق لا يحصون، وروى عنه الإمام مسلم، وأبو داود، والإمام أحمد بن حنبل، وجماعة من أهل الفضل في العلم، وصنف السنن وجمع فيه الكثير، توفي بمكة سنة ٢٢٧ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ٤١٦/٢، خلاصة تذهيب الكمال ص ١٤٣، الرسالة المستطرفة ص ٣٤، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٧٩، شذرات الذهب ٦٢/٢.

(٢) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها ٣٥٢/١ حديث رقم ١١١١.

قال السندي في شرح ابن ماجة ٣٤٣/١: في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن، بن عوف الزهري المدني، اسمه وكنيته سواء، وقيل: اسمه عبد الله، وقيل: اسماعيل. حدَّث عن أبيه عبد الرحمن، وأسامة بن زيد، وخلق كثير من الصحابة، وكان كثير الحديث ثقة فقيهاً. وروى عنه الزهري والشعبي. ومات سنة أربع وتسعين. راجع الخلاصة ص ٤٥١.

(٤) مصنف عبد الرزاق: كتاب الجمعة، باب ما يقطع الجمعة ٢٢٤/٣ حديث رقم ٥٤٢٤.

وروى عن الحسن: أن النبي ﷺ قرأ آية يوم الجمعة فقال ابن مسعود رضي الله عنه لأبي بن كعب رضي الله عنه: أهكذا نقرؤها؟. فصمت عنه أبي رضي الله عنه، وكانوا في الجمعة، فلما فرغ النبي ﷺ قال أُبيٌّ لابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: لم يُجمِّع اليوم، فأتى النبيَّ ﷺ فسأله، فقال النبي ﷺ: صدق أبي[1].

وروى عبد بن حميد في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه لرجل في يوم الجمعة: لا جمعة لك، فذكر الرجل للنبي ﷺ. فقال: يا رسول الله، إن سعداً قال لي: لا جمعة لك. فقال النبي ﷺ: لم يا سعد؟. قال: إنه تكلم وأنت تخطب، قال: صدق سعد[2].

ولأبي عبيد، عن أبي عبد الرحمن الحبليّ[3]، أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: وكان عقبة أحسن الناس صوتاً بالقرآن. قال عمر رضي الله عنه: يا عقبة أعرض عليّ سورة، قال: فعرض عليه سورة «براءة من الله ورسوله».

ولابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: من قال في كل يوم حين يصبح، وحين يمسي: «حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» سبع مرات، كفاه الله ما همه ـ وفي نسخه: ما أهمه ـ (من أمر الدنيا والآخرة[4]).

---

(١) مصنف عبد الرزاق: الموضع السابق، حديث رقم ٥٤٢١.

(٢) قال الهيثمي في الزوائد ١٨٥/٢: رواه أبو يعلي والبزار، وفيه مجالد بن سعيد وقد ضعفه الناس، ووثقه النسائي في رواية.
وفي الميزان للذهبي ٤٣٨/٣: مات مجالد سنة ثلاث وأربعين ومائة.

(٣) هوعبد الله بن يزيد الحبلي ـ بضم الحاء والباء ـ تابعي من أهل مصر، روى عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص وكثير، وكان ثقة، وحديثه في صحيح مسلم.
راجع: طبقات ابن سعد ٥١١/٧. واللباب ٣٣٧/١.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السنى ص ٣٧ حديث رقم ٨٠.

ورواه أبو داود موقوفاً وقال: كفاه الله ما أهمه)[1] صادقاً كان، أو كاذباً.[2]

قال المنذري، (وقد)[3] يقال: إن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي (والاجتهاد)[4]، فسبيله سبيل المرفوع[5].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول اذا أصبح ٤/٣٢١. حديث رقم ٥٠٨١ موقوفاً على أبي الدرداء.
قال الخطابي في معالم السنن ٧/٣٤٠ نقلاً عن المزي: وهو من كلام أبي الدرداء غريب، فكيف يجزي الله الكاذب جزاء الصادق.

(٣) زيادة عن الترغيب والترهيب.

(٤) الترغيب والترهيب ١/٤٥١.

سورة يونس عليه السلام

مكية إجماعاً.

قال الأصفهاني: وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنها مكية إلا آية واحدة، قال الغزنوي[1]: على رأس الأربعين وهي قوله: ﴿ **ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين** ﴾[2]، فإنها مدنية، نزلت في اليهود.

وقال البغوي: مكية، إلا ثلاث آيات (من قوله)[3]: «فإن كنت في

(١) هو أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي، الغزنوي الحنفي، فقيه مفسر، ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وقرأ على ابن خيرون ومات سنة تسع وتسعين وخمسمائة هجرية.

راجع: طبقات القراء ٢/٢٨٦.

(٢) الآية: ٤٠.

(٣) زيادة عن البغوي.

شك مما أنزلنا إليك»، (إلى آخرها)[1][2].

ونسب أبو حيان قول البغوي هذا إلى ابن عباس رضي الله عنهما[3].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها مائة وعشر آيات في الشامي، وتسع عند الباقين.

اختلافها ثلاث آيات: ﴿ **مخلصين له الدين** ﴾[4]، عدها الشامي وحده.

﴿ **ولنكونن من الشاكرين** ﴾[5]، أسقطها الشامي وحده، وعدها الباقون. ﴿ **وشفاء لما في الصدور** ﴾[6] عدها الشامي وحده.

وفيها مما يشبهالفواصل، وليس معدوداً باجماع ثلاثة.

﴿ **الر** ﴾[7]، ﴿ **متاع في الدنيا** ﴾[8]، ﴿ **بوأنا بني اسرائيل** ﴾[9].

وعكسه موضع واحد:

﴿ **على الله الكذب لا يفلحون** ﴾[10].

ورويها ثلاثة أحرف: ملن.

اللام بوكيل[11].

---

(١) زيادة عن تفسير البغوي.
(٢) تفسير البغوي على هامش الخازن ٣/١٤١.
(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٥/١٢١.
(٤)،(٥) الآية: ٢٢.
(٦) الآية: ٥٧.
(٧) الآية: ١.
(٨) الآية: ٧٠.
(٩) الآية: ٩٣.
(١٠) الآية: ٦٩.
(١١) الآية: ١٠٨.

ومقصودها: وصف الكتاب بأنه من عند الله، لما اشتمل عليه من الحكمة وأنه ليس إلا من عند سبحانه، لأن غيره لا يقدر على شيء منه، وذلك دالّ بلا ريب على أنه واحد في ملكه، لا شريك له في شيء من أمره.

وتمام الدليل على هذا: قصة قوم يونس عليه السلام، بأنهم لما آمنوا عند المخايل[١] كشف عنهم الذاب، فدل ـ قطعاً ـ على أن الآتي به إنما هو الله الذي آمنوا به، إذ لو كان غيره، لكان ايمانهم به سبحانه موجباً للايقاع بهم، ولو عذبوا كغيرهم لقيل: هذه عادة الدهر، كما قالوا: ﴿ **قد مس آباءنا الضراء والسراء** ﴾[٢]، ودلّ ذلك على أن عذاب غيرهم من الأمم، إنما هو من عند الله لكفرهم، لما (اتسق)[٣] من ذلك طرداً بأحوال سائر الأمم، من أنه كلما وجد الاصرار على التكذيب، وجد العذاب وعكساً: من أنه كلما انتفى في وقت يقبل قبول التوبة، انتفى، والله الموفق[٤].

---

(١) كذا بالأصل ونظم الدرر ٩/٦٢.

(٢) بعض آية من سورة الأعراف: الآية ٩٥.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) الموضوع الرئيسي في سورة يونس هو ذلك الموضوع العام للقرآن المكي الذي سبق بيانه في سورتي الأنعام والأعراف.

فالسورة تبدأ بمواجهة المشركين في مكة فتقرير لهم أن الوحي لا عجب فيه، وأن هذا القرآن ما كان ليفتري من دون الله: «الر تلك آية الكتاب الحكيم. أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين»، «واذا تتلي عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجوه لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله. قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا ما يوحي اليّ اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون. فمن أظلم ممن افتري على الله كذباً أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون»، «وما كان هذا القرآن أن يفتري من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا =

ريب فيه من رب العالمين، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين».

فالسورة تقرر في وضوح: أن آية هذا الدين هي القرآن، وهو يحمل براهانه في تفرده المعجز الذي تتحداهم به.

ثم تواجه اضطراب المشركين في تصورهم لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، فتنعي عليهم عبادتهم مالا يضرهم ولا ينفعهم اعتقاداً منهم أنهم يشفعون لهم عند الله، وتلك هي القضية الكبرى قضية العقيدة التي تستغرق قطاعاً كبيراً من السورة، والتي تتمثل في اعلان وحدانية الله في ذاته وصفاته وأفعاله، وتقيم عليها الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة: «ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه، أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً، انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون. هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون. ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون».

«ويعبدون من دون الله مالاً يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون ا بمالاً يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون».

«قل من يرزقكم من السماء والأرض، أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله، فقل: أفلا تتقون. فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال، فأنى تصفون».

الى غير ذلك من الآيات التي تعني بقضية العقيدة، وتنعي عليهم شركهم وفساد عقيدتهم.

ثم تعرض لقضية البعث فتلمسها لمساً مؤثراً موحياً، وتذكر مجادلتهم وشركاءهم يوم يبعثون للحساب.

«ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين مكناكم أنتم وشركاؤكم، فزيلنا بينهم، وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون. فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين. هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت، وردوا الى الله مولاهم الحق، وضل عنهم ما كانوا يفترون». وقد سميت السورة يونس، بينما قصة يونس فيها لا تتجاوز اشارة سريعة على هذا النحو: «فلولا كانت قرية آمنت فتفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا =

وأما فضائلها: فروى أبو داود في فضائل القرآن عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني الطول، وأوتي موسى ستاً، فلما ألقى الألواح رفعت ثنتان وبقي[1] أربع[2].

وتقدم في الأعراف عن سعد بن جبير: أن يونس إحدى الطول[3].

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من أخذ السبع الطول[4]، فهو حبر[5].

وله - أيضاً - عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله.

ولأحمد (أيضاً)[6]، وأبي داود في الصلاة، والنسائي في فضائل القرآن، وابن عبد الحكم في كتاب الفتوح، عن عبدالله بن عمرو[7] رضي الله عنهما،

= كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين».

لأن قصة يونس هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب لهم، فيثوبون الى ربهم وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيب فكشف عنهم العذاب الذي أوعدهم به رسولهم قبل وقوعه بهم، كما هي سنة الله في المكذبين المُصِرِّين.

راجع: ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ١٧٤٦/٣ وما بعدها.

(١) في الأصل: وبقين أربعاً، والتصويب عن سنن أبي داود.

(٢) سن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما قال هي - أي الفاتحة - من الطول ٧٢/٢ حديث رقم ١٤٥٩.

وأخرجه النسائي في سننه: كتاب الافتتاح، باب تأويل قول الله عز وجل: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ١٣٩/٢.

(٣) راجع

(٤) في المسند: الأول.

(٥) مسند الإمام أحمد ٦ /٧٣، ٨٣.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) في د: عمر. وهو خطأ.

أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله فقال: اقرأ ثلاثاً من ذوات الر. فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني - وقال ابن عبد الحكم: وضعف عظمي، وثقل لساني - قال: فاقرأ ثلاثاً من ذوات حم، فقال مثل مقالته. فقال: اقرأ ثلاثاً من المسبحات - وقال ابن عبد الحكم: من ذوات سبح - فقال مثل مقالته. فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة[١]، فأقرأه رسول الله ﷺ «إذا زلزلت» حتى فرغ منها. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً. ثم أدبر الرجل. فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرويجل[٢]، مرتين[٣].

وطوله ابن عبد الحكم أكثر من هذا[٤].

وروى عبد بن حميد والبزار، عن جابر عن عبدالله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال في هذه الآية ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾[٥]

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٤٨٤/٨: أراد بقوله «سورة جامعة»: أنها تجمع أسباب الخير، وما يتوقع من البركة.

(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول - الموضع السابق - رجيل، فأما رويجل فإنه تصغير على غير قياس، وقد جاء في العربية أشياء مصغرة على غير قياس.

(٣) مسند الإمام أحمد ١٦٩/٢.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٥٧/٢. حديث رقم ١٣٩٩.

وفضائل القرآن للنسائي ص ٨١ حديث رقم ٥٢.

وفتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٥٩.

والحديث سكت عنه أبو داود في سننه، والحافظ المنذري في مختصر السنن، ولكن صححه الحاكم في المستدرك ٥٣٢/٢. ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٤) وكذا أحمد في المسند، وتمامه عندهما:

«ثم قال رسول الله ﷺ: عليّ بالرجل - فلما أتى به، قال: اني أمرت بيوم الأضحى، جعله الله عيداً لهذه الأمة فقال الرجل: أرأيت ان لم أجد الا منيحة ابني أفأضحي بها؟. قال: لا. ولكن تأخذ من شعرك، وتقلم أظفارك، وتقص شاربك وتحلق عانتك، فذلك تمام أضحيتك عند الله.

(٥) الآية: ٦٤ من السورة.

قال: هي الرؤيا الصالحة، يراها العبد[1] أو ترى له[2].

قال الهيثمي: وفيه محمدبن السائب الكلبي، وهو ضعيف جداً[3].

وروى أبو داود عن أبي زميّل سماك بن الوليد[4] قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما فقلت: ما شيء أجده في صدري. قال: ما هو؟. قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟. قال: وضحك.

---

(١) في مجمع الزوائد: المسلم.

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ٣٦٥/٣ حديث رقم ٢٣٧٧.
والدارمي في سننه: كتاب الرؤيا، باب في قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ ١٢٣/٢.
والإمام أحمد في المسند ٣١٥/٥.
كلهم من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً، لكن في سنده انقطاع لأن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع بن عبادة بن الصامت.
وأخرجه الترمذي موصولاً من حديث أبي الدرداء وحسنه: كتاب الرؤيا، حديث رقم ٢٣٧٥. وكتاب التفسير، باب سورة يونس ٣٥٠/٤ حديث رقم ٥١٠٤ بطرق مختلفة.
والإمام أحمد في المسند ٤٤٧/٦.
ولكن فيه ـ عندهما ـ راو لم يسم، وغايةما قيل فيه: شيخ من أهل مصر.
وأخرجه الإمام أحمد ٢١٩/٢ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٦/٧: وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف.
وعلى أي حال فمجموع طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضاً ولهذا حكم عليه الترمذي بأنه حديث حسن. بل ان الحاكم رواه في المستدرك من حديث عبادة بن الصامت ٣٤٠/٢ وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) مجمع الزوائد ٣٦/٧.
وراجع الميزان للذهبي ٥٥٦/٣ ترجمة رقم ٧٥٧٤، وفيه يقول عن الكلبي: لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به.

(٤) قال في الخلاصة ص ١٥٦: وثقة احمد وابن معين.
وقال المنذري في مختصر السنن ١١/٨: وقد احتج به مسلم.

قال: ما نجا من ذلك أحد. قال: حتى أنزل الله عز وجل: ﴿**فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسْأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين**﴾[(١)]. قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم[(٢)].

قال ابن رجب: وروى ابن أبي الدنيا عن أبي مودود[(٣)] قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم: ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا** ﴾[(٤)] فبكى بكاء شديداً، حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة[(٥)] فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائها، فجاء عبد الملك[(٦)] فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون، فقال: يا أبت ما يبكيك؟. قال: خير يا بني، ودّ أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

---

(١) الآية: ٩٤ من السورة.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول في رد الوسوسة ٤/٣٢٩ حديث رقم ٥١١٠.

(٣) هو عبد العزيز بن أبي سليمان، المعروف بأبي مودود، الهذلي المدني، وثقه أبو داود. «الخلاصة ٢٤٠».

(٤) الآية: ٦١ من السورة.

(٥) هي فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، زوجة عمر بن عبد العزيز كانت من فضليات نساء عصرها، روى عنها عطاء بن أبي رباح، وأبو عبيدة بن عقبة، ولما مات عمر تزوجت بعده داود بن سليمان بن مروان.
راجع: أعلام النساء ٤/٧٥.

(٦) هو عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كانت وفاته في حياة والده. انظر سير أعلام النبلاء ٥/١٤٧.

سورة هود عليه السلام

مكية اجماعاً.

وقال الأصفهاني ـ بعد أن حكى الإجماع ـ: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾[1].

وقال الغزنوي: إلى آخر الآيتين.

وعن مقاتل: مكية كلها، إلا ثلاث آيات:

قوله تعالى: ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ أفمن[3] كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن

---

(١) الآية: ١١٤.

(٢) الآية: ١٢.

(٣) في د: «أفمن كان علي بينه من ربه»، وفي م: أولئك يؤمنون به» فجمعت بينهما لأن الكلام عن آية واحدة.

قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ﴾[1]، نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه.

وقوله: ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ نزلت في نَبْهَان[2] التمار[3]. فهذه الثلاثة مدنية، على أن الأول يشبه المكي.

وقال أبو حيان[4]: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها مكية كلها إلا قوله: ﴿ فلعلك تارك ﴾ الآية[5].

---

(1) الآية: ١٧.

(2) في م: «نَبْهَان بن التمار» وهو خطأ. ولعله سهو من الشيخ. فهو: نَبْهان التمار. بيدون «ابن» كما في الاصابة ٣/٥٢٠ والفتح ٨/٣٥٦.

(3) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/٥٢٠: ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: «والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم» الآية. قال: هو نبهان التمار أتته امرأة حسناء جميلة تبتاع منه تمراً فضرب على عجيزتها، فقالت: والله ما حفظت غيبة أخيك ولا نلت حاجتك، فسقط في يده، فذهب الى النبي ﷺ فأعلمه. فقال له: اياك أن تكون امرأة تمار. فذهب يبكي ثلاثة أيام يصوم النهار ويقوم الليل. فأنزل الله عز وجل في اليوم الرابع هذه الآية، فأرسل اليه فأخبره، فحمد الله وأثنى عليه وشكره، وقال يا رسول الله هذه توبتي فكيف لي بأن يقبل شكري، فأنزل الله عز وجل: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات﴾.

قال الحافظ: وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس مطولاً. ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وعبد الغني وموسى هالكان. اهـ.

وقال في الفتح ٨/٣٥٦: قصة نبهان التمار ذكرها عبد الغني بن سعيد الثقفي أحد الضعفاء في تفسيره عن ابن عباس، وأخرجه الثعلبي وغيره من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس. اهـ.

وسيأتي في فضائل السورة أن هذه الآية ـ أعني آية هود ـ نزلت في أبي اليسر عند النسائي، وفي رجل آخر عند البخاري، وليس في نبهان التمار.

(4) البحر المحيط ٥/٢٠٠.

(5) ويرى صاحب الظلال ـ عليه رحمة الله ـ أن السورة مكية كلها دون استثناء بعض =

. . . .

آياتها فقال: هذه السورة مكية بجملتها خلافاً لما ورد في المصحف الأميري من أن الآيات (١٢، ١٧، ١١٤) فيها مدنية، ذلك أن مراجعة هذه الآيات في سياق السورة تلهم أنها تجيء في موضعها من السياق، بحيث لا يكاد يتصور خلو السياق منها بادىء ذي بدء. فضلاً عن أن موضوعاتها التي تقررها هي من صميم الموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة، وموقف مشركي قريش منها، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله ﷺ والقلة المسلمة معه، والعلاج القرآني الرباني لهذه الآثار.

فالآية ١٢ مثلاً هذا نصها: «فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل».

وواضح أن هذا التحدي وهذا العناد من قريش الى الحد الذي يضيق به صدر رسول الله ﷺ بحيث يحتاج الى التسرية عنه، والتثبيت على ما يوحي اليه، انما كان في مكة، وبالذات في الفترة التي تلت وفاة أبي طالب وخديجة، وحادث الاسراء، وجرأة المشركين على رسول الله ﷺ، وتوقف حركة الدعوة تقريباً، وهي من أقسى الفترات التي مرت بها الدعوة في مكة.

والآية ١٧ هذا نصها: «أفمن كان بينة من ربه ويتلوه شاهد منه. ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة أولئك يؤمنون به. ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده، فلا تك في مرية منه، انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون».

وواضح ـ كذلك أنها من نوع القرآن المكي واتجاهه في مواجهة مشركي قريش بشهادة القرآن للنبي ﷺ، بأنه انما يوحي اليه من ربه، وبشهادة الكتب السابقة، وبخاصة كتاب موسى، وبتصديق بعض أهل الكتاب به ـ وهذا ما كان في مكة من أفراد من أهل الكتاب ـ واتخاذ هذا قاعدة للتنديد بموقف المشركين، وتهديد الأحزاب منهم بالنار مع تثبيت رسول الله ﷺ على الحق الذي هو معه، في وجه توقف الدعوة، وعناد الأكثرية الغالبة في مكة وما حولها من القبائل. وليس ذكر كتاب موسى بشبهة على مدنية الآية، فهي ليست خطاباً لبني اسرائيل ولا تحدياً لهم كما هو العهد في القرآن المدني، ولكنها استشهاد بموقف تصديق من بعضهم وبتصديق كتاب موسى عليه السلام لما جاء به محمد ﷺ وهذا أشبه بالموقف في مكة في هذه الفترة الحرجة، ومقتضياتها الواضحة.

والآية ١١٤ واردة في سياق تسرية عن الرسول ﷺ بما كان من الاختلاف على موسى من قبل، وتوجيهه للاستقامة كما أمر هو ومن تاب معه، وعدم الركون الى الذين ظلموا ـ =

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآياتها مائة وإحدى وعشرون في المدني الأخير والمكي والبصري، واثنتان في المدني الأول والشامي، وثلاث في الكوفي.

واختلافها سبع آيات.

﴿ **إني بريء مما تشركون** ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

= أي أشركوا ـ، والاستعانة بالصلاة وبالصبر على مواجهة تلك الفترة العصيبة، وتتوارد الآيات هكذا: «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم. وانهم لفي شك منه مريب. وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم أنه بما يعملون خبير. فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير، ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين. واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين».

وواضح: أن الآية قطعة من السياق المكي موضوعاً وجواً وعبارة. انتهى كلام صاحب الظلال رحمه الله.

ولكن يرد عليه أن الآية ١١٤ وهي قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل...﴾ نزلت في رجل أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه هذه الآية... الحديث. وهو في البخاري ١/١٣٣، ٥/٢١٤ ومسلم ١٧/٧٩ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وهذا الرجل هو أبو اليسر ـ بفتح الياء والسين المهملة ـ كعب ابن عمرو الأنصاري، كما ذكره الترمذي والنسائي وحكاه الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٣٥٦.

وأما المرأة فقال الحافظ في الفتح ٨/٢: جاء في بعض الأحاديث أنها من الأنصار. اهـ.

وأوضح من هذا كله: ما جاء في رواية لمسلم، أن الرجل قال: «يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، واني أصبت منها ما دون أن أمسها...» الحديث. وهو في مسلم ١٧/٨٠.

فهذا وغيره دليل على مدنية هذه الآية.

وسيذكر المؤلف في فضائل السورة الروايات الواردة في نزولها وكلها تؤيد القول بأنها مدنية. والله أعلم.

(١) آية: ٥٤.

﴿ **يجادلنا في قوم لوط** ﴾[1] أسقطها البصري وحده.

﴿ **من سجيل** ﴾[2]، عدها المدى الأخير والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **منضـود** ﴾[2]، أسقطهاالأخير والمكي، وعدها الباقون.

﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾[3]،عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **ولا يـزالون مختلفين** ﴾[4]، أسقـطها المـدنيان والمكي، وعـدهـا الباقون.

﴿ **إنا عاملون** ﴾[5]، أسقطها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.

وفيهـا مما يشبـه الفاصلة، وليس معـدوداً باجمـاع تسعة مـواضـع: ﴿ **السـر** ﴾[6]، ﴿ **يعلم مـا تسـرون ومـا تعلنـون** ﴾[7]، ﴿ **إنمـا أنت نـذير** ﴾[8]، ﴿ **فسـوف تعلمون** ﴾[9]، ﴿ **سـوف تعلمون** ﴾[10]، ﴿ **وفـار التنور** ﴾[11]،﴿ **فينا ضعيفا** ﴾[12]،﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس** ﴾[13].

وعكسه موضع ﴿ **كما تسخون** ﴾[14].

ورويها اثنا عشر حرفاً «قد ظنّ زلط ذمّ صبر».

---

(1) اية: ٧٤.
(2) آية: ٨٢.
(3) آية: ٨٦.
(4) آية: ١١٨.
(5) آية: ١٢١.
(6) آية: ١.
(7) آية: ٥.
(8) آية: ١٢.
(9) آية: ٣٩.
(10) آية: ٩٣.
(11) آية: ٤٠.
(12) آية: ٩١.
(13) آية: ١٠٣.
(14) آية: ٣٨.

ومقصودها: وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل، في حـالتي البشارة والنذارة المقتضى لوضع كل شيء في أتم محاله وإنفاذه، مهما أريد، الموجب للقدرة على كل شيء.

وأنسب ما فيها لهذا المقصد: ما ذكر في سياق قصة هود عليه السلام من أحكام البشارة والنذارة بالعاجل والآجل في قوله تعالى: ﴿ **يوم القيامة** ﴾ والتصريح بالجزم بالمعاجلة بـالمنابـذة، الناظـر إلى أعظم مـدارات السورة ﴿ **فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك** ﴾، والعناية بكل دابة، والقدرة على (كل) شيء من البعث وغيره، المقتضى للعلم بكل معلوم، اللازم منه التفرد بالملك[٣].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) سورة هود مكية، وهي تعني بأصول العقيدة: التوحيد. والرسالة والبعث والجزاء. ولذلك فهي تحتوي على قطاعات ثلاثة:
القطاع الأول: يتضمن حقائق العقيدة، وقد جاء في مقدمة السورة والقطاع الثاني: يتضمن حركة هذه الحقيقة في التاريخ البشري ويشغل معظم أجزاء السورة.
والقطاع الثالث: يتضمن التعقيب على هذه الحركة.
وقطاعات السورة تتعاون في جملتها في تقرير الحقائق الاعتقادية الأساسية التي تستهدفها السورة وهي:
أن ماجاء به النبي ﷺ وما جاء به الرسل من قبله حقيقة واحدة موحى بها من الله عز وجل، وهي تقوم على امتثال أوامره واجتناب نواهيه، والخضوع لله وحده لا شريك له. ولذلك تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿الر، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ألا تعبدوا الا الله اني لكم منه نذير وبشير﴾.
ثم بعد ذلك تستعرض دعوات الرسل التي تستهدف غرس العقيدة الصحيحة، ونبذ الشرك. فمثلاً:
﴿ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه اني لكم نذير مبين. ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: حسن غريب، والحاكم وصححه، وأبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي إسحاق السبيعي[1]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد

= ﴿والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون﴾.
﴿والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا؟ اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب﴾.

﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره...﴾. وفي الختام تعقب السورة على ذلك القصص الذي يعرض مراحل الدعوة الى توحيد الله، يقول الله لنبيه ﷺ.
﴿ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾.
وحول قضية البعث تأتي هذه الآيات وما يشبهها:
﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه عليالماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت انكم مبعثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين. ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾.
﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾.
وهكذا تقصد السورة التعريف بحقيقة الألوهية وحقيقة الآخرة واثبات رسالة محمد ﷺ.
راجع: الظلال ٤ /١٨٤٤، صفوة التفاسير ٥/٨٦.

(١) هو عمرو بن عبد الله بن عبيد الهمداني الكوفي السبيعي، من أعلام التابعين، يشبه الزهري في الكثرة، روى عن جابر بن سمرة، وزيد ابن أرقم، وانس بن مالك، وعليّ، وجماعة من الصحابة، وروى عنه السفيانان والأعمش، وهو من الثقات، مات سنة ١٢٦ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/١١٤، شذرات الذهب ١/١٧٤، الخلاصة ص ٢٩١.

شبت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والملاسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت[1].

ورواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده بسند ـ قال ابن دقيق العيد[2] في «الاقتراح»[3]: إنه خرج برواية البخاري ولفظه ـ قال أبو بكر: يا رسول الله أراك قد شبت، قال: شيبني هود، والواقعة، والملاسلات، وعم يتساءلون.

قال: وذكر البزار فيه اختلافاً[4].

ورواه مسدد، وأبو يعلى الموصلي، عن عكرمة قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ: ما شيبك؟. فذكره بمثله[5].

ورواه عبد الرزاق مرسلاً[6]، عن معمر، عن أبي إسحاق قال: قال

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة ٥/٤٠٢. حديث رقم ٣٢٩٧.

والمستدرك للحاكم: كتاب التفسير، باب تفسير سورة هود ٢/٣٤٣. وقال: صحيح علي شرط البخاري.

وحلية الأولياء لأبي نعيم ٤/٣٥٠.

(٢) هو القاضي أبو الفتح محمد بن علي بن وهب، بن مطيع، بن أبي الطاعة المعروفي بابن دقيق العيد، محدث مجتهد، ولد سنة ٦٢٥ بمدينة ينبع، وأصل أبيه من منفلوط، تتلمذ على العز بن عبد السلام وغيره من كبار العلماء، ومن مصنفاته: «الالمام في أحاديث الأحكام» وشرح الأربعين النووية، وغيرهما. توفي سنة ٧٠٢ هجرية.

راجع: البدر الطالع ٢/٢٢٩، تذركة الحفاظ ٤/١٤٨١، وحسن المحاضرة ١/٣١٧.

(٣) اسمه: «الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أُضيف الى ذلك من الأحاديث المعدودة من الصحاح»، وقد نشرته وزارة الأوقاف العراقية سنة ١٤٠٢ هجرية، وقام بتحقيقه الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري.

(٤) الاقتراح ص ٤٧٤.

(٥) قال الهيثمي في الزوائد ٧/١٣٣: عكرمة لم يدرك أبا بكر.

(٦) وسبب ارساله: أن أبا إسحاق السبيعي لم يدرك رسول الله ﷺ، فهو تابعي، كما مر قريباً.

رسول الله ﷺ: شيبتني هود وأخواتها: سورة الواقعة، وسورة القيامة، والمرسلات، وإذا الشمس كورت، (وإذا[1] السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت)[2].

ورواه أبو بكر الشافعي في الأول من الغيلانيات، عن مسروق، عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أسرع إليك الشيب، فقال: شيبتني هود وأخواتها.

ومسروق لم يدرك أبا بكر رضي الله عنه[3].

---

(١) ما بين القوسين زيادة عن مصنف عبد الرزاق.

(٢) المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣٦٨/٣ حديث رقم ٥٩٩٧.

قال المناوي في فيض القدير ١٦٩/٤: لعل ذلك لما فيهن من التخويف الفظيع، والوعيد الشديد، لا شتما لهن مع قصرهن على حكاية أهوال الآخرة، وعجائبها، وفظائعها، وأحوال الهالكين والمعذبين، مع ما في بعضهن من الأمر بالاستقامة وهو من أصعب المقامات، وهو كمقام الشمر وهو صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ما أنعم به عليه من حواسه الظاهرة والباطنة الى ما خلق لأجله من عبادة ربه، بما يليق بكل جارحة من جوارحه على الوجه الأكمل، ولهذا لما قيل للمصطفى ﷺ -وقد أجهد نفسه بكثرة البكاء والخوف والضراعة-: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. اهـ.

(٣) هذه مسألة فيها نظر: ففي خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: أن مسروق روى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ، وقال ابن المديني: صلى خلف أبي بكر. وكذا قال الذهبي في تذكرة الحفاظ وجاء في طبقات الحفاظ للسيوطي: أنه مات عن ثلاث وستين سنة فاذا علم أنه توفي سنة ثلاث وستين هجرية، دل ذلك على أنه ولد في السنة الأولى من الهجرة، وأبو بكر رضي الله عنه انما توفي في جمادي الآخرة سنة ١٣ هجرية، فيكون مسروق قد عاصره وشاهده وهو في سن يمكن معها الرواية والتحمل، ولا سيما وقد نقل عن ابن معين: أنه صلى خلف أبي بكر.

ومسروق هو: ابن الأجدع الهمداني، أبو عائشة الكوفي، أحد الأعلام، ومن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وابن أخت معد يكرب الزبيدي الصحابي والفارس =

ورواه أبو يعلى عن عكرمة، عن أبي بكر رضي الله عنه - وهو لم يدركه أيضاً(١) - قال: قلت: يا رسول الله أسرع إليك الشيب، قال: شيبتني الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وهود(٢).

ورواه الطبراني في الأوسط - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح(٣) - فلم يذكر هود.

ورواه الطبراني - أيضاً - في الكبير - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح(٤) - عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله قد شِبْتَ؟. قال: شيبتني هود وأخواتها.

ورواه الطبراني أيضاً - قال الهيثمي: وفيه عمرو بن ثابت وهو متروك(٥) - عن عبد الله - يعني ابن مسعود رضي الله عنه - أن أبا بكر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: ما شيبك يا رسول الله، قال: شيبتني هود والواقعة.

وللطبراني في الكبير عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: شيبتني هود وأخواتها، الواقعة، والحاقة وإذا الشمس كورت.

= المشهور. قال الشعبي: ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٤٩، الخلاصة ٣٧٤.
طبقات الحفاظ ص ١٤، طبقات القراء ٢/٢٩٤،
شذرات الذهب ١/٧١، طبقات ابن سعد ٦/٥٠.

(١) قاله الحافظ نور الدين الهيثمي في الزوائد ٧/٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة الواقعة ٥/٧٦. حديث رقم ٣٣٥١ عن عكرمة عن ابن عباس عن أبي بكر. وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس الا من هذا الوجه.

(٣) مجع الزوائد ٧/٣٧.

(٤) مجعع الزوائد ٧/٣٧.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٣٧.
وراجع الميزان ٣/٢٤٩ ترجمة رقم ٦٣٤٠. والمغنى في الضعفاء ٢/٤٨٢ ترجمة رقم ٤٦٣٦.

قال الهيثمي: وفيه سعيد بن سلام العطار، وهو كذاب. انتهى[1].

وروايته لا تقدح فيه، لما مضى له من الشواهد، والله أعلم.

ولأبي عبيد من طريق ابن شهاب قال: قالوا: يا رسول الله، أنا نرى في رأسك شيباً، فقال: كيف لا أشيب وأنا أقرأ سورة هود، وإذا الشمس كورت.

وروى الترمذي في الشمائل، وأبو يعلى، عن أبي جحيفة[2] رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله لقد شبت، قال: شيبتني هود وأخواتها[3].

وتقدم في براءة حديث علي رضي الله عنه في فضلها[4].

وللدارمي مرسلاً، عن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأوا سورة هود يوم الجمعة[5].

وعن عبد الله بن رباح مثله[6].

وروى ابن رجب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب، قال: أجل لقد شيبتني هود وأخواتها.

---

(١) مجمع الزوائد ٣٧/٧.
وراجع ترجمته في الميزان ١٤١/٢ وفيه عن البخاري قال: يذكر بوضع الحديث.

(٢) هو عبد الله بن وهب السّوائي، أبو جحيفة الكوفي، له خمسة وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على حديثين منها وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة، وكان من كبار أصحاب علي وخواصه. توفي سنة ٧٤ هجرية.
راجع: الخلاصة ص ٤١٨. والاصابة ٦٠٦/٣.

(٣) الشمائل ص ١٣.

(٤) راجع:

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٤٥٤/٢.

(٦) سنن الدارمي: الموضع السابق.

قال عطاء: أخواتها: اقتربت الساعة، والمرسلات عرفاً، إذا الشمس كورت.

وروى ابن السنى عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أمانٌ لأمتي من الغرق إذا ركبوا (السفينة)[1] أن يقولوا: **﴿بسم الله مجراها ومرساها إنَّ ربي لغفور رحيم﴾**[2]، **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**[3] الآية[4].

قال النووي: هكذا هو في النسخ **﴿ إذا ركبوا ﴾**، لم يقل السفينة[5].

وروى البغوي من طريق البخاري في التفسير من صحيحه، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة- فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى: **﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين ﴾**[6] فقال: يا رسول الله، إليَّ هذا؟. قال: لجميع أمتي كلهم[7].

---

(١) زيادة عن عمل اليوم والليلة لابن السنن.

(٢) سورة هود آية ٤١.

(٣) سورة الأنعام آية ٩١. رسورة الزمر آية ٦٧.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ١٨٧ حديث رقم ٥٠١.

وهو حديث ضعيف، لأن في سنده يحيى بن العلاء البجلي الرازي ضعفه ابن معين. وجماعة. وقال الدار قطني: متروك. وقال الامام احمد: كذاب يضع الحديث، وذكر له الذهبي في الميزان عدة أحاديث كلها ضعيفة. منها هذا الحديث. وترجمته في الميزان ٣٩٧/٤.

كما أن في سنده جبارة بن المغلّس الجمّاني الكوفي، المتوفي سنة ٢٤١، كذبه ابن معين، وروى عن البخاري أنه قال: مضطرب الحديث. وذكر له الذهبي في الميزان ٣٨٧/١ حديثين منكرين. فهو سند ظلمات بعضها فوق بعض.

(٥) الأذكار ص ١٩٩.

لكن «السفينة» موجودة في كتاب ابن السني، ولعلها وضعت بفعل النساخ.

(٦) سورة هود آية ١١٤.

(٧) تفسير البغوي على هامش الخازن ٢١٠/٣.

وروى أحمد، والطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: بإسناد فيه علي بن زيد[1] وهو سيء الحفظ ثقة، وبقية رجاله ثقات[2] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة أتت رجلاً تشتري منه شيئاً، فقال: ادخلي الدولج[3] حتى أعطيك فدخلت، فقبلها وغمزها، فقالت: ويحك إني مغيب[4]، فتركها[5].

وفي رواية: أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه قال: امرأة جاءت تبايع، فأدخلتها الدولج، فأصبت منها ما دون الجماع، فقال: ويحك لعلها مغيبة[6] في سبيل الله؟. قال: نعم. قال: فات أبا بكر فاسأله. قال: فأتاه

= والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة ١/١٣٣، وكتاب التفسير: سورة هود ـ، باب قوله: وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ٥/٢١٤.

ومسلم: كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ان الحسنات يذهبن السيئات ١٧/٧٩ بطرق مختلفة.

والترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة هود ٤/٢٥٣ حديث رقم ٥١١٦.

وأبو داود: كتاب الحدود، باب الرجل مما يصيب من المرأة ما دون الجماع فيتوب قبل أن يأخذه الامام ٤/١٦٠ حديث رقم ٤٤٦٨.

(١) هو أبو الحسن علي بن زيد، بن عبد الله، بن زهير أبي مليكة، بن جدعان، القرشي التيمي البصري، المتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة كان من علماء التابعين، وكان ضريراً، روى عن أنس بن مالك، وأبي عثمان النهدي، وسعيد بن المسيب.
راجع: الميزان ٣/١٢٧ ترجمة رقم ٥٨٤٤، والخلاصة ص ٢٧٤.

(٢) مجمع الزوائد ٧/٣٨.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٢/١٤١: الدّولج: المخدع، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير. وأصل الدولج: وولج، لأنه فوعل، من ولج يلج اذا دخل، فأبدلوا من الواو تاء، فقالوا: تولج. ثم أبدلوا من التاء دالاً، فقالوا: دولج.

(٤) المرأة المغيب: التي غاب عنها زوجها، سواء غاب عن البلد بسفر، أو كان بالبلد.
راجع: شرح مسلم للنووي ١٤/١٥٥ وفيه: المغيب؛ بضم الميم، وكسر الغين، واسكان الياء.

(٥) مسند الامام احمد ١/٢٦٩.

(٦) في المسند: مغيب.

فسأله. فقال: لعلها مغيبة في سبيل الله؟. فقال مثل قول عمر ثم أتى النبي ﷺ، ونزل القرآن: ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل** ﴾ إلى آخر الآية، فقال: يا رسول الله، إلي خاصة أم للناس عامة؟. فضرب عمر رضي الله عنه صدره بيده، وقال: لا، ولا نعمة عين[1]، بل للناس عامة، فقال رسول الله ﷺ: صدق عمر[2].

قال الهيثمي: ورواه الطبراني في الأوسط باختصار كثير، واسناد ضعيف[3].

ورواه النسائي في الرجم من الكبرى، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ورواه النسائي - أيضاً - عن موسى بن طلحة، عن أبي اليسر[4] قال: أتته امرأة وزوجها قد بعثه ﷺ في بعث، فقالت له: بعني بدرهم تمراً. قال: فقلت لها - وقد أعجبتني - : إن في البيت تمراً أطيب من هذا. فانطلق بها، فذكر الحديث نحوه[5].

---

(١) نعمة عين - بالضم - ونعم عين - بدون تأنيث، ونعمى: أي قرة عين.
راجع: النهاية ٥/٨٤.

(٢) مسند الامام احمد ١/٢٤٥.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٣٨.

(٤) هو كعب بن عمرو، بن عباد، بن عمرو، بن غزّية، بن سواد، بن غنم ابن كعب، بن سلمة، الأنصاري، أبو اليسر - بفتح الياء والسين - مشهور بكنيته. شهد بيعه العقبة، وبدرا، مات سنة خمس وخمسين بالمدينة، وهو آخر أهل بدر موتا رضي الله عنه.
راجع: الاصابة ٤/٢١٧. والخلاصة ص ٣٢١. والاستيعاب ٤/٢١٥.

(٥) لم أعثر عليه في سنن النسائي، فقد يكون في سننه الكبرى، أو عمل اليوم والليلة له.
ولكن أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة هود ٤/٣٥٤ حديث رقم ٥١١٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وفي سنده قيس بن الربيع، قال الترمذي: ضعفه وكيع وغيره.
وقيس بن الربيع هو الأسدي الكوفي، المتوفي سنة ١٦٧، أو: ١٦٨.
قال الذهبي في الميزان ٣/٣٩٣: صدوق في نفسه، سيء الحفظ.

سورة يوسف

مكية كلها اجماعاً.

وقال أبو حيان: وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة: إلا ثلاث آيات من أولها[1].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل منها

وآيها مائة واحدى عشرة اجماعاً.

وفيها ما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، اثنا عشر موضعاً؛

﴿ الر ﴾[2]، ﴿ منهن سكيناً ﴾[3]، ﴿ السجن فتيان ﴾[4]، ﴿ وأخر

---

(١) البحر المحيط ٥/٢٧٦ .

(٢) الآية : ١

(٣) الآية: ٣١.

(٤) الآية : ٣٦

يابسات﴾[1] موضعان، ﴿حمل بعير﴾[2]، ﴿كيل يسير﴾ ، ﴿فصبر جميل﴾[4]، كلاهما ﴿يأت بصيراً﴾[5]، ﴿فارتد بصيراً﴾ [6]، ﴿لأولى الألباب﴾ [7].

وعكسه موضعان:

﴿عشاء يبكون﴾[8] ، ﴿بضع سنين﴾[9] .

ورويها أربعة أحرف: نرمل. اللام: **﴿وكيل﴾**[10].

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بالابانة لكل ما يوجب الهدى لما ثبت فيما مضى ـ ويأتي في هذه السورة ـ من تمام علم منزله غيباً وشهادة، وشمول قدرته قولاً وفعلاً.

وهذه القصة ـ كما ترى ـ أنسب الأشياء لهذا المقصود، وأدل عليه مما في آخرها، فلذلك سميت سورة يوسف[11].

---

(١) الآية : ٤٣ ، والآية : ٨٣

(٢) الآية : ٧٢

(٣) الآية : ٦٥

(٤) الآية : ١٨ ، والآية : ٨٣

(٥) الآية : ٩٣

(٦) الآية : ٩٦

(٧) الآية : ١١١

(٨) الآية : ١٦

(٩) الآية : ٤٢

(١٠) الآية : ٦٦

والراء : « ذلك كيل يسير » ، آية ٦٥ .

وأما الميم والنوم فباقي آيات السورة .

(١١) نزلت سورة يوسف بعد سورة هود ، عليهما السلام ، في مكة ، في فترة من أصعب

فضلها

وأما فضلها: فروى أبو عبيد في الفضائل عن عون بن عبد الله بن عتبة أن أصحاب رسول الله ﷺ مَلُّوا، فقالوا: يا رسول الله حَدِّثْنَا، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾، قال ثم نعته فقال: ﴿كتباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ الآية[1].

قال: ثم ملوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، حَدِّثنا شيئاً فوق الحديث، ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿الر تلك

= الفترات في حياة رسول الله ﷺ وعلى أصحابه لا سيما بعد وفاة زوجة السيدة خديجة، وعمه أبي طالب الذي كان خير نصير له في مكة. وبوفاتها اشتد أذى المشركين له ولأصحابه حتى لقد عرف هذا العام بعام الحزن.

في هذه الفترة العصيبة نزلت عليه ﷺ سورة يوسف فكانت بمثابة التسلية له والتخفيف لآلامه، بما فيها من قصة نبي كريم واجه من البلاء والمحن ما قصه الله في ثنايا السورة. وكأنّ الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: لا تحزن ولا تتألم لتكذيب قومك وايذائهم لك، فان بعد الشدة فرجاً، وان بعد الضيق مخرجاً. أنظر إلى أخيك يوسف وما حدث له من صنوف المحن والبلاء: محنة حسد أخوته وكيدهم له، ومحنة رميه في الجب، ومحنة تعلق امرأة العزيز به، ثم مراودته عن نفسه بشتى طرق الفتنة والاغراء، ثم محنة السجن بعد ذلك، فانظر إليه وقد صبر على الأذى في سبيل عقيدته، وصبر على الصبر والبلاء في سبيل دعوته، فنقله الله من السجن إلى القصر، وجعله عزيز مصر وملكه الله خزائنها، فكان السيد المطاع، والعزيز المكرم، وهكذا هم أولياء الله.

فالسورة تبشر بقرب النصر، لمن تمسك بالصبر، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين، فهي للقلب سلوى، وللجروح بلسم، وأنه لا بد من الفرج بعد الضيق، ومن اليسر بعد العسر، «وكذلك نجزي المحسنين».

راجع: ظلال القرآن ١٩٤٩/٤. صفوة التفاسير ٥/٦.

(١) سورة الزمر آية ٢٣

آيات الكتاب المبين، إلى قوله: **نحن نقص عليك أحسن القصص﴾**[1] .

قال: فإن أرادوا الحديث، دلهم على أحسن الحـديث، وإن أرادوا القصص، دلهم على أحسن القصص.

وروى إسحاق بن راهويه، وابن مردويه في تفسيره من طريقه وأبو يعلى الموصلي في مسنده، عن سعد ـ هو ابن أبي وقاص رضي الله عنه في قوله: نحن نقص عليك أحسن القصص. الآية، قـال: أنزل الله القـرآن على رسوله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿ **الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾، نحن نقص عليك أحسن القصص الآية، فتلاها رسول الله ﷺ زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟. فأنزل الله تعالى: ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً** ﴾ الآية، كل ذلك يؤمرون بالقرآن.

قال خلاد: وزاد فيه آخر، قالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا؟. فأنزل الله تعالى: ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾[2].

قال شيخنا البوصيري: هذا حديث حسن[3].

وروى ابن اسحاق: أن الأنصار لما بايعـوا رسول الله ﷺ بـالعقبة ورجعوا، قام رافع بن مالك[4] في المدينة بسورة يوسف، بعث بها معه رسول

---

(١) سورة يوسف آية ١ ـ ٣

(٢) سورة الحديد آية ١٤ .

(٣) وأخرجه الحاكم مختصراً في المسند ٣٤٥/٢ وقال :صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٤) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري كان أحد النقباء في بيعة العقبة الأولى والثانية وأول من أسلم من الخزرج. وكان من أهل بدر . وقتل شهيداً يوم أحد .

راجع : الاصابة ٤٨٧/١ ترجمة رقم ٢٥٤٤ . والاستيعاب على هامش الاصـابة ٤٨٢/١ . والتجريد للذهبي ١٧٤/١ . ترجمة رقم ١٨٠٦ .

الله ﷺ، وكانت أول سورة دخلت المدينة[1].

وروى أبو داود والدارمي، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: تعلقت بقدم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرئني سورة هود وسورة يوسف عليهما السلام، فقال لي رسول الله ﷺ: يا عقبة إنك لن تقرأ من القرآن أحب إلى الله، ولا أبلغ عنده من ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾[2].

ولفظ أبي داود: قلت يا رسول الله أقرئني من سورة يوسف، ومن سورة هود، عليهما السلام، قال: يا عقبة اقرأ بأعوذ برب الفلق، فإنك لن تقرأ بسورة أحب إلى الله، وأبلغ عنده منها، فإن استطعت ألا تفوتك فافعل[3].

هذا القول ـ مع أنه حق في نفسه، لأن كل القرآن بالنسبة إلى حب الله تعالى ليس واحداً، لأن المراد به: لازمه، وهو الاثابة ـ ترغيب في الفلق، لا تزهيد في السورتين. وذلك لأن النبي ﷺ قرأ المعوذتين أول ما أنزلتا على عقبة رضي الله عنه، فلم يرهما وقعتا عند بما يليق بهما، كما يأتي إن شاء الله تعالى عند ذكرهما.

---

(١) لم أعثر عليه في سيرة ابن هشام، ولكن ذكره ابن حجر في الإصابة ٤٨٧/١ . وابن عبدالبر في الاستيعاب ٤٨٢/١ على هامش الإصابة . والذهبي في التجريد ١٧٤/١ .

(٢) سنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل المعوذتين ٤٦٢/٢ .

(٣) الحديث بهذا اللفظ للنسائي في سننه : كتاب الافتتاح ، باب القراء في الصبح بالمعوذتين ١٥٨/٢ .

أما لفظة عند أبي داود فهكذا :

« عن عقبة بن عامر قال : كنت أقود برسول الله ﷺ ناقته في السفر ، فقال لي : يا عقبة ، ألا أعلمك خير سورتين قرئتا ، فعلمني ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و ﴿ قل أعوذ برب الناس﴾. قال: فلم يَرَني سررتُ بهما جداً، فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس. فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إليّ فقال: يا عقبة كيف رأيت؟.

سورة الرعد

قال الداني وتبعه الجعبري: قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء: مكية.

وقال قتادة: هي مدنية، إلا قوله تعالى: ﴿ **ولا[1] يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة[2]** ﴾.

قال الجعبري: وعنه من أولها إلى: ﴿ **ولو أن قرآناً** ﴾[3].

والأحاديث الواردة في سبب نزول آية الرعد في أَرْبَدَ وعامرِ بن الطُّفَيْلِ وغيرهما[4] تدل على أنها مدنية.

(١ ـ ٣) الآية : ٣١ فهما آية واحدة ، جمع بين طرفيها في القولين كما ذكر المؤلف .

(٢) كتاب البيان للداني : ورقة ٥٥ من الظهر .

(٣) آية ٣١.

(٤) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٠٦/٢ عن الحافظ أبي القاسم الطبراني باسناده إلى ابن عباس : أن أربد بن قيس بن حزم ابن جليد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله ﷺ ، فانتهيا اليه وهو جالس ، فجلسا =

. . . .

بين يديه ، فقال عامر بن الطفيل : يا محمد ما تجعل لي أن أسلمت ؟ . فقال رسول الله ﷺ : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم ، قال عامر بن الطفيل : أتجعل لي الأمر أن أسلمت من بعدك ؟ . قال رسول الله ﷺ : ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنة الخيل . قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد ، اجعل لي الوبر ، ولك المدر قال رسول الله ﷺ : لا . فلما قفلا من عنده قال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . فقال رسول الله ﷺ : يمنعك الله . فلما خرج أربد وعامر ، قال عامر : يا أربد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه بالسيف فان الناس اذا قتلت محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فنعطيهم الدية . قال أربد : أفعل ، فاقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : يا محمد قم معي أكلمك . فقام معه رسول الله ﷺ فجلسا إلى الجدار ، ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه ، وسلّ أربد السيف ، فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف ، فلم يستطع سل السيف فأبطأ أربد علي عامر بالضرب ، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع ، فانصرف عنهما ، فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله ﷺ حتى اذا كانا بالحرة ـ حرة بني واقم ـ نزلا ، فخرج اليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا : اشخصا يا عدوى الله ، لعنكما الله ، فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ . قال : هذا أسيد بن حضير الكاتب ، فخرجا حتى اذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته . وخرج عامر حتى اذا كان بالخريم أرسل الله قرحة فأخذته ، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول : غدة كغدة الجمل في بيت سلولية ، يرعب أن يموت في بيتها ، ثم ركب فرسه فأركضه حتى مات عليه راجعاً . فأنزل الله فيهما : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ـ إلى قوله ـ : وما لهم من دونه من وال ﴾ . قال ـ أي ابن عباس ـ : المعقبات من أمر الله يحفظون محمداً ﷺ . ثم ذكر أربد وما قتله به فقال : ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ الآية .

كذا رواه الحافظ في تفسيره ولم يعقب عليه . ولكن في سنده عبدالعزيز ابن عمران الزهري المدني وهو متروك ، قال البخاري : لا يكتب حديثه . راجع : ترجمته في الميزان ٢/٦٣٢ .

وفيه أيضاً عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وأخوه عبدالله ، وكلاهما مختلف فيه ، حتى لقد قال يحيى بن معين : بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء . راجع : الميزان ٢/٤٢٥ ترجمة رقم ٤٣٣١ ، وص ٥٦٤ ترجمة رقم ٤٨٦٨ .

والخلاصة ص ١٩٨ ، ٢٣٧ . =

والأحـاديث الواردة في سبب نـزول: ﴿ **ولو أن قـرآناً سيـرت بـه الجبال** ﴾[1] **تدل على أنها مكية. والله أعلم.**

وقال النجم النسفي: هي مدنية في قول عكرمة والحسن وقتادة ولم يستثن شيئاً، وكذا قال الغزنوي: قال قتادة: كلها مدنية.

وقال مقاتل: هي مكية، إلا الآية التي في آخر السورة.

وقال الأصفهاني: وقيل: هي مكية، إلا آيتين: ﴿ **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة** ﴾ الآية، ﴿ **ويقول الذين كفروا لست مرسلاً** ﴾[2] الآية.

وعزا الغزنوي هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الأصفهاني: وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة، وهما قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أن قرآناً سيرت به الجبال** ﴾[3] إلى آخرهما.

وقيل: المدني منها قوله تعالى: ﴿ **هو الذي يريكم البرق** ﴾[4]، إلى قوله: ﴿ **دعوة الحق** ﴾[5].

= وهذا الحديث ذكره الحافظ نورالدين الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، والكبير بنحوه، وفي اسنادهما عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف.

(١) الآية: ٣١ من السورة.

(٢) هي الآية الأخيرة من السورة.

(٣) الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٤) الآية: ١٢.

(٥) الآية: ١٤.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وأيها ثلاث وأربعون في الكوفي، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في البصري، وسبع في الشامي.

واختلافها خمس آيات:

﴿ لفي خلق جديد ﴾[1]، أسقطها الكوفي وحده.

﴿ وهل يستوي الأعمى والبصير ﴾[2]، عدها الشامي وحده.

﴿ أم هل تستوي الظلمات والنور ﴾[3]، أسقطها الكوفي وحده.

﴿ أولئك لهم سوء الحساب ﴾[4]، عدها الشامي وحده.

﴿ من كل باب ﴾ [5] أسقطها المدنيان والمكي.

وفيها ما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، خمسة مواضع:

﴿ المر ﴾[6]، ﴿ وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾[7]، ﴿ لربهم الحسنى ﴾[8]، ﴿ يكفرون بالرحمن ﴾[9].

وعكسه موضع واحد: ﴿ يضرب الله الأمثال ﴾[10].

---

(١) الآية : ٥ .
(٢، ٣) الآية : ١٦ .
(٤) الآية : ١٨
(٥) الآية : ٢٣ .
(٦) الآية : ١ .
(٧) الآية : ٨ .
(٨) الآية : ١٨ .
(٩) الآية : ٣٠ .
(١٠) الآية : ١٧ .

رويها سبعة أحرف: ﴿ **نرق لعبد** ﴾، العين: متاع[1].

وردف **النون**[2] **والقلوب**[3] : واو، والباقي: ألف.

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه، وتارة يتأثر عنه، مع أن له صوتاً وصيتاً، وارغاباً[4] وارهاباً، يهدي بالفعل. وتراه لا يتأثر، بل يكون سبباً للضلال والعمى.

وأنسب ما فيها لهذا المقصد: الرعد، فإنه مع كونه حقاً في نفسه يسمعه الأعمى والبصير، والبارز والمستتر، وتارة يتأثر عنه البرق والمطر وتارة لا. وإذا نزل المطر: فتارة ينفع إذا أصاب الأراضي الطيبة وسلمت من عاهة، وتارة يخيب إذا نزل على السباخ الخوارة، وتارة يضر بالاغراق، أو الصواعق، أو البرد، وغيرها[5].

---

(١) الآية : ٢٦ .

(٢) يعني الآيات التي رويها النون ، وهي الآيات الخمس في أول السورة . وردفها الواو .

(٣) الآية : ٢٨ .

(٤) في د ونظم الدرر : « وإرعاباً » بالعين المهملة .

(٥) الموضوع الرئيسي لهذه السورة هو العقيدة وقضاياها : من توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الدينونة لله وحده في الدنيا والآخرة ، ثم قضية الوحي ، وقضية البعث وما اليها .

ومن ثم تبدأ السورة باستعراض آيات الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته ، ثم التعجب من قوم ينكرون البعث بعد رؤيتهم هذه الآيات الضخام المبثوثة في الكون حولهم ، ثم يستعجلون عذاب الله ، ويطلبون آية غير هذه الآيات : ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ . ﴿ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ . =

فضائلها

وروى الترمذي، والنسائي، والحاكم، والبيهقي في الدعوات، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سَمِعَ الرعد والصواعق، قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك[1].

وللطبراني في الكبير - قال الهيثمي: وفيه قابوس بن أبي ظبيان وهو ضعيف، وقد وثق[2] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالوا للنبي ﷺ:

= ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها في بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

« وان تعجب فعجب قولهم : أئذا كنا ترباً أننا لفي خلق جديد . أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ﴾ .

﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، انما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ .

ثم تثار قضية الوحي والرسالة من حين لآخر في ثنايا السورة :

﴿ المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق . . . ﴾ .

﴿ أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى . . . ﴾ .

ويقول الذين كفروا لست مرسلاً ، قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ .

راجع : الظلال ٢٠٣٩/٤ .

(١) صحيح الترمذي : كتاب الدعوات ، باب ما يقول اذا سمع الرعد ١٦٦/٥ حديث رقم ٣٥١٤ وقال : هذا حديث حسن غريب . والنسائي - قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٠٥/٢ - : في اليوم والليلة .

والمستدرك : كتاب الأدب ، باب الدعاء عند استماع صوت الرعد ٢٨٦/٤ .

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠٠/٢ .

والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٥١ حديث رقم ٢٥١ .

(٢) مجمع الزوائد ٤٣/٧ .

إن كان كما تقول، فأرنا أشياخنا الأول من الموتى، وافتح لنا هذه الجبال، جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت: ﴿ **ولو أن قرآناً سيرت به الجبال، أو قطعت به الأرض، أو كلم به الموتى** ﴾[1].

وسيأتي في سورة الشعراء - إن شاء الله تعالى - حديث في ذلك وغيره عن الزبير رضي الله عنه[2].

---

(١) الآية : ٣ من السورة .

(٢) راجع : ص .

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية كلها.

قال الغزنوي: عند أكثر المفسرين.

ويروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء، وقتادة، إلا آيتين نزلتا بالمدينة في قتلى قريش يوم بدر: ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا** ﴾ إلى آخرهما ﴿ **وبئس القرار** ﴾[1].

وقال البغوي: إلى قوله: ﴿ **فإن مصيركم إلى النار** ﴾[2] مع تسميتها آيتين[3].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها إحدى وخمسون في البصري، واثنتان في الكوفي، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الشامي.

---

(١) الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) الآية: ٣٠.

(٣) تفسير البغوي على هامش الخازن ٤/٢٦.

واختلافها سبع آيات:

﴿ **لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** ﴾[1]، و ﴿ **أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور** ﴾[2]، لم يعدهما الكوفي والبصري، وعدهما الباقون.

﴿ **وعاداً وثمود** ﴾[3] لم يعدها الكوفي والشامي، وعدها الباقون.

﴿ **بخلق جديد** ﴾[4] عدها المدني الأول والكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **وفرعها في السماء** ﴾[5] لم يعدها المدني الأول، وعدها الباقون.

﴿ **وسخر الليل والنهار** ﴾[6] لم يعدها البصري، وعدها الباقون.

﴿ **عما يعمل الظالمون** ﴾[7] عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع، سبعة مواضع:

﴿ **الر** ﴾[8]، ﴿ **يضل الله الظالمين** ﴾[9]، ﴿ **دائبين** ﴾[10]، ﴿ **يأتيهم العذاب** ﴾[11]، ﴿ **أجل قريب** ﴾[12]، ﴿ **غير الأرض والسموات** ﴾[13]، ﴿ **من قطران** ﴾[14].

---

(١) الآية : ١ .

(٢) الآية : ٥ .

(٣) الآية : ٩ .

(٤) الآية : ١٩ .

(٥) الآية : ٢٤ .

(٦) الآية : ٣٣ .

(٧) الآية : ٤٢ .

(٨) الآية : ١ .

(٩) الآية : ٢٧ .

(١٠) الآيةض: ٣٣ .

(١١ - ١٢) الآية : ٤٤ .

(١٣)الآية : ٤٨ .

(١٤) الآية : ٥٠ .

وعكسه ثلاثة:

﴿ ما يشاء ﴾[1] ، ﴿ فيها سلام ﴾[2] ، وأفئدتهم هواء ﴾[3] .

ورويها عشرة أحرف: أصدم لظن بذر[4]'.

مقصودها

ومقصودها: التوحيد، وبيان أنهذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله، لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه، المؤدي إليه.

وأدل ما فيها على هذا المرام: قصة إبراهيم عليه السلام.

أما التوحيد: فواضح.

وأما أمر الكتاب: فلأنه من جملة دعائه لذريته الذين أسكنهم عند البيت المحرم، ذرية إسماعيل عليه السلام: ﴿ ربنا[5] **وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** ﴾[6].

---

(١) الآية : ٢٧ .

(٢) الآية : ٢٣ .

(٣) الآية : ٤٣ .

(٤) الزاي : ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ الآية : ٢٠ .
الصاد : ﴿ مالنا من محيص ﴾ الآية : ٢١ .
الظاء : ﴿ ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ الآية : ١٧ .
وباقي حروف الروي مكرر في السورة بكثرة ، والتنبيه على الأقل .

(٥) الآية : ١٢٩ من سورة البقرة .

(٦) سورة ابراهيم ، سورة مكية ، موضوعها الأساسي موضوع السور المكية الغالب عليها . فقد تناولت سورة ابراهيم موضوع العقيدة في أصولها الكبيرة ، وهي : الايمان بالله ، والايمان بالرسالة والايمان بالبعث والجزاء .

ولكن السياق في السورة يسلك نهجاً خاصاً بها في عرض هذا الموضوع =

ما ورد في شأنها

أما ما ورد في شأنها: فروى البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح. وديوان فيه ذنوبه. وديوان فيه النعم من الله عليه. فيقول

وادماج ما تضمنته في حقيقتين كبيرتين: الحقيقة الأولى: بيان وحدة الرسالة، والرسل، ووحدة دعوتهم، ووقفتهم صفاً واحداً في مواجهة الفريق الكافر المكذب بدين الله على اختلاف الأمكنة والأزمنة.

فقد بدأت السورة ببيان وظيفة الرسول: ﴿ كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾. ثم وضحت معنى وحدة الرسالات السماوية، وأن الأنبياء، جميعاً ما جاءوا إلا لاخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتعريفهم بالاله الحق الذي تعنو الجباه لعظمته: ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب. قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى، قالوا ان أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين. قالت لهم رسلهم أن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

وأما الحقيقة الثانية فتتمثل في بيان النعم التي أسداها إلى عباده، وهي نعم مختلفة أسبغها إلى الله على البشر كافة مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، ولكن الناس أكثرهم لا يشكرون، فيقابلون نعم الله بالجحود والكفران. وهذه النعم مبثوثة حولهم في رحاب الكون:

﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها. ان الانسان لظلوم كفار ﴾.

ثم تختم السورة ختاماً يتفق مع مطلعها:

﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب ﴾.

راجع: الظلال ٤/٢٠٧٧ وما بعدها.

الله تعالى لأصغر نعمة ـ أحسبه قال: في ديوان النعم ـ خذي ثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح ثم تتنحى فتقول: وعزتك وجلالك ما استوفيتِ، وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح، فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال: يا عبدي قد ضاعت حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتك ـ أحسبه قال ـ : ووهبت لك نعمتي[1].

وروى البزار ـ برواةٍ قال المنذري: ثقات[2] ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، تبتلي هذه الأمة في قبورها، فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة؟. قال: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرية.

وروى الشيخان وغيرهما ـ وهذا لفظ مسلم ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟. فيقول: ربي الله، ونبيي محمد، فذلك قوله: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»[3].

وفي رواية لأبي داود عنه، أن النبي ﷺ قال: أن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قول الله تعالى:

---

(١) قا الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٥٤٠ : غريب وسنده ضعيف .
قلت : في سنده داود بن المحبّر أبو سليمان البصري ، صاحب كتاب العقل ، وهو متروك . وقال ابن حبان : أجمعوا على تركه .
راجع : ترجمته في الميزان ١/٢٠ ترجمة رقم ٢٦٤٦ . والمغني في الضعفاء ١/٢٢٠ ترجمة رقم ٢٠٢٤ .
(٢) الترغيب والترهيب ٤/٣٦٣ .
(٣) صحيح البخاري : كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ٢/٨٥ ، وكتاب التفسير ﴿ سورة ابراهيم ﴾ ، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ٦/١٠٠ .
وصحيح مسلم : كتاب صفة الجنةب ، باب اثبات عذاب القبر والتعوذ منه = ١٦/٢٠٤ .

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[1].

وللطبراني في الأوسط - قال الهيثمي: وفيه عطية العوفي وهو ضعيف[2] - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عليه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» قال: في الآخرة في القبر.

وروى ابن رجب عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾[3] قالت: بينما رسول الله ﷺ رأسه في حجري وأنا ألمسه إذ ذكرت هذه الآية ففاضت عيناي حتى قطرت دموعي على وجهه، فرفع رأسه إليّ فقال لي: ما يبكيك؟ فقالت: يا رسول الله ذكرت قول الله عز وجل: ﴿ يوم تبدل الأرض غي الأرض والسموات ﴾، فقال: سبقت الناس يا عائشة، قلت: فأين الناس يومئذ؟. قال: على الجسر»[4].

وآخره في مسلم[5].

وقال عبد الله بن الامام أحمد: أخبرت عن سياد بن جعفر قال: دخلت على حبيب أبي محمد، فقال: اقرأ عليّ، فأخذت مصحفه، فأول ما وقع في يدي: ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾، فجعل يقول واستفتحوا، ويبكي.

---

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب في المسئلة في القبر وعذاب ٢٣٨/٤ حديث رقم ٤٧٥٠ .

وأخرجه النسائي : كتاب الجنائز ، باب عذاب القبر ١٠١/٦ ، والترمذي : كتاب التفسير ، باب ومن سورة ابراهيم ٣٥٨/٤ حديث رقم ٥١٢٦ .

(٢) مجمع الزوائد ٤٤/٧ .

(٣) الآية : ٤٨ من السورة .

(٤) أخرجه الترمذي : كتاب التفسير ، باب ومن سورة ابراهيم ٣٥٩/٤ حديث رقم ٥١٢٧ وقال : وقد روى من غير هذا الوجه عن عائشة .

(٥) صحيح ملم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب البعث والنشور ١٣٤/١٧ .

سورة الحجر

مكية كلها اجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها بالاجماع: تسع وتسعون، على عدد الأسماء الحسنى الكافلة لحفظ الوجود، وانتظامه على ما يراد منه.

فلا غرو إن كانت هذه السورة كفيلة بالوعد بالحفظ للذكر، وإظهار ذلك الوعد في مظهر العظمة، للإعلام بنفوذ الكلمة. ولذلك تمت الكلمة في الكفاية لأمر المستهزئين، الذين كانوا رؤوس من جعلوا القرآن عضين.

قال الجعبري: وفيها ما يشبه الفواصل موضع واحد:

﴿ الر ﴾[1]

---

(١) الآية: ١.

ورويها ثلاثة أحرف: ملن[1].

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني، الموضحة للحق من غير اختلاف أصلاً.

وأشكل ما فيها وأمثله وأشبهه في هذا المعنى: قصة أصحاب الحجر فإن وضوح آيتهم عندهم - وعند كل من شاهدها، أو سمع بها وصحت عنده - كوضوح ما دل عليه مقصود هذه السورة في أمر الكتاب عند جميع العرب، لاسيما قريش. وأيضاً آيتهم في غاية الايضاح للحق، والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد، المقتضى للاجتماع على الداعي.

ومن هنا يتضح ويتأيد ما اخترته من الاعراب[2] لقوله تعالى: ﴿ كما أنزلن على المقتسمين﴾[3] من تعليقي له بقوله: ﴿فكانوا عنها معرضين﴾[4] كما حققته في أصل هذا الكتاب[5].

على أن لفظ الحجر يدل على ما دل عليه مقصود السورة من الجمع والاستدارة التي روحها الاحاطة، المميزة للمحاط به من غيره، بلا لبس أصلاً[6].

---

(١) اللام: ﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ الآية: ٧٤.
: ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ الآية: ٨٥.
وأما روى الميم والنون فمكرر في السورة بكثرة. والتنبيه على الأقل.

(٢) يعني: البيان.

(٣) الآية: ٩٠.

(٤) الآية: ٨١.

(٥) نظم الدرر ١١/٨١.

(٦)سورة الحجر، سورة مكية، تستهدف اظهار المقاصد الأصلية للعقيدة الإسلامية: الوحدانية، النبوة، البعث والجزاء. ولذا فإن محور السورة يدور حول مصارع المكذبين لرسل الله في شتى الأزمان، ومختلف العصور، ولهذا ابتدأت السورة بالانذار والتهديد =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البزار - مرسلاً ومتصلاً - عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: قالا: جاز رسول الله ﷺ ورجلاً[1] يقرأ سورة الحجر

= الملىء بالتهويل والوعيد: «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون».

فقد عرضت السورة لدعوة الأنبياء، وبينت موقف أهل الشقاوة والضلالة من رسل الله، فما من نبي إلا سخر به قومه الضالون، من لدن بعثة نوح عليه السلام، إلى بعثة محمد ﷺ، وقد ذكرت السورة أن هذه سنة المكذبين في كل مكان وحين: ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين. وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون ﴾.

وفي ظلال الحديث عن أولئك المكذبين الضالين، عرضت السورة إلى الآيات الباهرات المبثوثة في صفحة هذا الكون العجيب، الذي ينطق بآثار القدرة الهائلة. قدرة الله الخالق القادر، بدءاً بمشهد السماء ذات البروج، والأرض الممدودة، والرواسي الراسخة، والرياح اللواقح، فمشهد الحياة والموت، ومشهد الحشر والنشر، كل ذلك ناطق بعظمة الله وجلاله، وشاهد بواحدانيته وقدرته: ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ الآيات.

كما عرضت السورة إلى قصة البشرية الكبرى، ممثلة في قصة خلق آدم عليه السلام، وما كان من إبليس اللعين، وما جرى من سجود الملائكة لآدم، وامتناع ابليس عن السجود.

ثم تنتقل السورة إلى مقتطفات من قصص ابراهيم ولوط وشعيب وصالح، عليهم السلام. تسلية للرسول ﷺ وتثبيتاً لقلبه.

وسميت السورة: «سورة الحجر»، وأصحاب الحجر هم قوم صالح عليه السلام، - والحجر مكان يقع بين المدينة والشام - فقد كانوا قوماً أشداء، ينحتون الجبال بيوتاً، وظنوا لقوتهم أنهم سيظلون في حياتهم آمنين مخلدين، فأعرضوا عن دعوة صالح وهزءوا به، وسخروا منه، فلم يفتحوا لدعوته عيناً ولا قلباً، فبينما هم آمنون مطمئنون جاءتهم صيحة العذب في وقت الصباح: «فأخذتهم الصيحة مصبحين، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون».

(١) هكذا في د، وهو على تقدير فعل محذوف ناصب لرجلاً، والمعنى: ورأى رجلاً. وفي م: ورجل، فيكون مرفوعاً على الابتداء، والجملة صفة.

وسورة الكهف، فسكت. فقال رسول الله ﷺ: هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم[(١)].

وللطبراني في الكبير بسند فيه خالد بن نافع الأشعري[(٢)] - قال الهيثمي: قال أبو داود: متروك، وقال الذهبي: هذا تجاوز في الحد لا يستحق الترك، فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره[(٣)]، وبقية رجاله ثقات[(٤)]- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين، ألم تكونوا مسلمين؟. قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟. قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا. فلما رأى ذلك من بقي من الكفار في النار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا. قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**[(٥)]. **الر تلك آيت الكتاب وقرآن مبين. ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾[(٦)].

وروى أبو عبيد في كتاب «الفضائل، والغريب» عن (يحيى)[(٧)] بن أبي

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٨١: ورجل يقرأ سورة الحج أو الكهف...» الحديث، متصلاً عن أبي هريرة وأبي سعيد.
وساقه مرسلاً عن الأغر أبي مسلم الكوفي ولفظه: أن رسول الله ﷺ مر برجل يقرأ سورة الكهف...» الحديث. وليس فيه سورة الحجر.

(٢) قال الذهبي في الميزان ١/٦٤٤: وهو من أولاد أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) عبارة الذهبي في الميزان هكذا: وهذا تجاز في الحد، فإن الرجل قد حدّث عنه أحمد بن حنبل ومسدد، فلا يستحق الترك.

(٤) مجمع الزوائد ٧/٤٥.

(٥) الأيتان: ١ - ٢ من السورة.

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٥٤٦: ورواه ابن أبي حاتم.

(٧) ساقطة من: د.

كثير[1] مرسلاً: أن النبي ﷺ مرّ هو وأصحابه على إبل لحي يقال لهم بنو الملوّح - أو بنو المصطلق - وقد عبست أبوالها من السمن، فتقنّع بثوبه، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾[2]، إلى آخر الآية[3].

ومعنى ﴿عبست﴾: أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها وذلك إنما يكون من كثرة الشحم، فذلك العبس.

وروى الطبراني - قال الهيثمي: ورجاله ثقات[4] - عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ما هلك قوم لوط إلا في الأذان، ولا تقوم القيامة إلا في الأذان.

قال الطبري: معناه عندي - والله أعلم -: في وقت أذان الفجر وهو وقت الاستغفار والدعاء.

---

(١) هو أبو النضر - وقيل أبو نصر - يحيى بن أبي كثير صالح بن المتوكل الطائي مولاهم، اليمامي، من أعلام التابعين، روى عن أنس وجابر وأبي أيوب وجماعة. قال عنه شعبة: كان أحسن حديثاً من الزهري. فهو ثقة. مات سنة ١٢٩ هجرية.
راجع: الخلاصة ص ٤٢٧، تذكرة الحفاظ ١/١٢٧، طبقات ابن سعد ٥/٤٠٤.

(٢) هذه الآية من سورة طه، وهي مبدؤة بالواو، كما ذكر المؤلف أي «ولا تمدن عينيك»، آية ١٣١.
أما التي في سورة الحجر فليست مبدؤة بالواو، آية: ٨٨.
وعندي: أن آية سورة طه أنسب بالمقام، وهي التي عناها الرسول ﷺ، وبناء عليه فلا دلالة في الحديث لما أراد المؤلف. من الاستشهاد بـه على فضيلة سـورة الحجر. وسيذكره المؤلف في فضائل سورة طه، مما يدل على أن موضعه هناك.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٩.
والحديث في الفائق ٢/١٠٧.

(٤) مجمع الزوائد ٧/٤٧.

سورة النحل

وتسمي أيضاً سورة النعم.

(مكية)[1] إلا ثلاث آيات وهي قوله تعالى: ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾[2] إلى آخرها، فإنها نزلت بالمدينة حين همّ النبي ﷺ بالتمثيل بقريش إن أظهره الله بهم، كما مثلوا[3] بعمه حمزة رضي الله عنه حين قتلوه بأحد.

قال أبو عمرو الداني في كتاب العدد: هذا قول عطاء، وقال ابن

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) الآيات: ١٢٦ ـ ١٢٨.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٤/٢٩٤: يقال: مثلت بالحيوان أمثل بـه مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوهت به، ومثلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئاً من أطرافه. والاسم: المثلة.
فأما مثّل ـ بالتشديد ـ فهو للمبالغة. اهـ.

عباس رضي الله عنهما مثله، إلا أنه قال: نزلت بين مكة والمدينة منصرف رسول الله ﷺ من أحد.

وما نزل بين مكة والمدينة، وكذا ما نزل بعد الهجرة، فهو مدني.

وقال الأصفهاني: وفي رواية أخرى عن ابن عباس: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً - إلى قوله -: يعلمون** ﴾[1].

وعن قتادة: هي مكية، إلا خمس آيات: ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله** ﴾، الآيتين، ومن قوله: ﴿ **وإن عاقبتم** ﴾ إلى آخرها.

وعن ابن السائب[2]: هي مكية، إلا خمس آيات، قوله: ﴿ **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا** ﴾[3]، ﴿ **وإن عاقبتم** ﴾ إلى آخرها.

(وعن مقاتل: مكية، إلا سبع آيات، قوله: ﴿ **ثم إن ربك** ﴾، الآيتين[4]، وقوله: ﴿ **من كفر بالله من بعد ايمانه** ﴾ الآيتين[5]، وقوله:

---

(١) الآيات: ٩٥ - ٩٧.

(٢) هو عبدالله بن السائب بن سيفي بن عابد، بن عمر المخزومي قارىء أهل مكة، أخذ القراءة عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وأخذ عنه مجاهد بن جبر وعبدالله بن كثير، وتوفي في إمارة عبدالله بن الزبير في حدود سنة سبعين، وصلى عليه عبدالله بن عباس.

راجع: طبقات القراء ١/٤١٩.

(٣) الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٤) الآيتان: ١١٠ - ١١١.

(٥) الآيتان: ١٠٦ - ١٠٧.

لكن القول بأن هاتين الآيتين مدنيتين قول لا رَوِيَّة فيه فمن الثابت أنهما نزلتا بمكة في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ، فوافقهم على ذلك مكرها، وشكى إلى النبي ﷺ، فقال له، كيف تجد قلبك يا عمار؟. قال: أجده مطمئنا بالأيمان يا رسول الله. فقال: إن عادوا فعد.

﴿ **وإن عاقبتم** ﴾ إلى آخرها)[١].

وقال قتادة ـ قال الجعبري: وجابر بن زيد ـ: من أولها أربعون آية قال الجعبري: إلى ﴿ **والذين هاجروا في الله** ﴾ مكي، ومن ثم إلى آخرها مدني.

قال الجعبري: فجوز الأمرين باعتبار الطرفين. انتهى.

وذكرابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد، أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾ الآية[٢]، فقال: أعد، فأعاد فقال: أن له لحلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأن أسفله لمغدق، وأن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر[٣].

ورواه البيهقي في الشعب، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بسند جيد، إلا أنه قال: الوليد بن المغيرة، بدل خالد بن عقبة.

وكذا ذكره ابن اسحاق في السيرة بنحوه[٤].

ورواه البيهقي في الدلائل[٥].

وفي بعض رواياته: أن الوليد قال لقريش ـ وقد أنكروا عليه اجتماعه بالنبي ﷺ، وسماعه لبعض ما جاء به ـ فقال: ما فيكم رجل أعلم بالشعر[٦]

= رواه الحاكم في المستدرك ٢/٣٥٧ وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وذكره الحافظ في الفتح ١٢/٢٧٨ وقال: هو مرسل ورجاله ثقات وذكره من عدة طرق مرسلة، وقال: وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

(١) ما بين القوسين زيادة عن: د.

(٢) الآية: ٩٠.

(٣) الاستيعاب على هامش الإصابة ١/٤١١، وقال بعده: لا أدري إن كان خالدبن عقبة بن أبي معيط، أو غيره، وظني أنه غيره.

ورواه الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/٤١٠ عن ابن عبد البر قال: لم يذكر اسناده ولا من خرجه، والمشهور في مغازي ابن اسحاق هجو هذا للوليد بن المغيرة.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٢٦٨ وفيه: أنه الوليد بن المغيرة.

(٥) دلائل النبوة.

(٦) في م: بالأشعار.

مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله أن لقوله الذي (يقول)[1] حلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو وما يعلى، وأنه ليحطم ما تحته.

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد قال قريش وقد حضر الموسم: أن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم، فأجمعوا فيه رأياً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس (فقل و)[2] أقم لنا فيه رأياً نقوم به[3]، فقال: بل أنتم فقولوا أسمع. فقالوا: نقول كاهن، قال: ما هو (بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة[4] الكاهن «ولا»[5] سجعه، قالوا: نقول مجنون)[6]. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر: رجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السّحار وسحرهم، فما هو بنفثهم وعقدهم[7].

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟. قال: والله أن لقوله لحلاوة وأن أصله لعذق[8]، وإن فرعه لجني[9]، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف

---

(١) ساقطة من: د.
(٢) زيادة عن سيرة ابن هشام.
(٣) في سيرة ابن هشام: نقول.
(٤) الزمزمة: الكلام الخفي الذي لا يسمع.
(٥) زيادة عن سيرة ابن هشام.
(٦) ما بين القوسين ساقط من: د.
(٧) في الأصل: بنفثه وعقده. والتصويب عن سيرة ابن هشام.
(٨) العذب: النخلة، وفيه تشبيه القرآن بالنخلة التي ثبت أصلها، وطاب فرعها.
(٩) في سيرة ابن هشام: لجناة. والجنى: الطيب.

أنه باطل، وأن أقرب القول (فيه)[1] أن تقولوا: ساحر (جاء بقول هو سحر)[2] يفرق بن المرء (وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء)[3] وعشيرته[4].

ولقد كان هذا الذي ظنه الوليد عليه من الله ما يستحق، حتى لقد كان كذبهم سبباً لإسلام كثير من الصحابة رضي الله عنهم.

ومن ألطف ما في ذلك؛ ما رواه مسلم في الجمعة من صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضماداً[5] رضي الله عنه قدم مكة، وكان من أزد شنوءة[6]، وكان يرقى من هذه الريح[7]، فسمع سفهاء مكة يقولون: أن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت (هذا)[8] الرجل، لعل الله يشفيه على يدي. قال: فلقيه، فقال: يا محمد أني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفى على يديّ من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا

---

(١) زيادة عن ابن هشام.

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ابن هشام.

(٣) ساقطة من الأصل وزدناه عنابن هشام.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٠.

(٥) هو ضماد بن ثعلبة الأزدي، كان صديقاً للنبي ﷺ، وكان ذا خبرة بالطب، ويرقى ويداوي من الجنون، أسلم في أول الإسلام.

(٦) شنوءة - بفتح الشين المعجمة، بعدها نون مضمومة، ثم واو ساكنة بعدها همزة، وفي آخرها هاء - بلد باليمن بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً، تنسب إليه قبائل من الأزد يقال لهم: أزد شنوءة.
والشنوءة - على فعوله -: التقزز، وهو التباعد من الأدناس.
راجع: معجم البلدان ٣/ ٣٦٨.

(٧) قال النووي في شرح مسلم ٦/ ١٥٧: والمراد بالريح هنا: الجنون، ومس الجن، في غير رواية مسلم: «يرقى من الأرواح» أي الجن، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس، فهم كالروح والريح، اهـ.

(٨) زيادة عن صحيح مسلم.

إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد، فقال[1]: أعد على كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن[2] ناعوس ـ وفي نسخة: قاموس[3]، وفي نسخة: قاعوس[4] ـ البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه. فقال رَسُول الله ﷺ: وعلى قومك، فقال: وعلى قومي. الحديث[5].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها مائة وثمانون وعشرون بلا خلاف بين العادين.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع: إثنا عشر موضعاً **﴿ قصد السبيل ﴾[6]، ﴿ وما يشعرون ﴾[7]، ﴿ والله يعلم ما يسرون وما**

---

(١) القائل: ضماد.

(٢) في الأصل: بلغت. والتصويب عن صحيح مسلم.

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم ١٥٧/٦: وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم.

(٤) نقل النووي عن القاضي عياض قوله: أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها «قاعوس» بالقاف والعين، ووقع عند أبي محمد بن سعيد «تاعوس» بالتاء والعين، ورواه بعضهم: «ناعوس» بالنون والعين.
قال: وذكره أبو مسعود الدمشقي في أطراف الصحيحين والحميدي في الجمع بين الصحيحين «قاموس» بالقاف والميم.
والمعنى ـ في كل هذه الروايات ـ: معظم البحر ووسطه.
راجع: جامع الأصول لابن الأثير ١١٠/٩. النهاية ١٠٨/٤.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الجمعة ١٥٦/٦.

(٦) الآية: ٩.

(٧) الآية: ٢١.

يعلنــون ﴾[1] أي الــذي بعــده: إنــه لا يحب المستكبــرين، **﴿ مــا يشاؤون ﴾**[2]، **﴿ والملائكة طيبين ﴾**[3]، **﴿ ما يكرهون ﴾**[4]، **﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾**[5]، **﴿ هل يستوون ﴾**[6]، **﴿ وما عند الله باق ﴾**[7]، **﴿ متـاع قليل ﴾**[8].

وعكسه خمسة:

﴿ ويخلق مـا لا تعلمـون ﴾[9]، **﴿ ومـا تعلنـون ﴾**[10]، **﴿ وهم مستكبــرون ﴾**[11]، **﴿ كــن فيكــون ﴾**[12]، **﴿ على الله الكــذب لا يفلحون ﴾**[13].

رويها ثلاثة أحرف: نمر.

الراء: موضعان ﴿ قدير ﴾[14].

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار منزه عن شوائب النقص.

---

(١) الآية: ٢٣.
(٢) الآية: ٣١.
(٣) الآية: ٣٢.
(٤) الآية: ٦٢.
(٥) الآية: ٧٢.
(٦) الآية: ٧٥.
(٧) الآية: ٩٦.
(٨) الآية: ١١٧.
(٩) الآية: ٨.
(١٠) الآية: ١٩.
(١١) الآية: ٢٢.
(١٢) الآية: ٤٠.
(١٣) الآية: ١١٦.
(١٤) الآية: ٧٠ والآية: ٧٧.

وأدل ما فيها على هذا المعنى: أمر النحل، لما ذكر من شأنها في دقة الفهم، في ترتيب بيوتها على شكل التسديس، ترتيباً لا يصل إليه أكابر المهندسين، إلا بعد تكامل كبير، وقانون يقيسون به ذلك التقدير وذلك على وجه هو أنفع الوجوه لها، وفي رعيها، وسائر أمرها، من اختلاف ألوان ما يخرج منها، من أعسالها وشموعها،وجعل الشمع نوراً وضياء، والعسل بركة وشفاء، مع أكلها من كل الثمار، النافع منها والضار، وغير ذلك من الأسرار.

ووسمها بالنعم واضح في ذلك، والله أعلم(١).

فضائلها

وأما فضائلها: فروى مسلم وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن

---

(١) سورة النحل من السور المكية التي تعالج موضوعات العقيدة: كالألوهية، والوحي، والبعث والنشور.

وإلى جانب ذلك تحدثت السورة عن دلائل القدرة والوحدانية في ذلك العالم الفسيح، في السموات والأرض، والجبال والبحار، والسهول والوديان، والماء الهاطل، والنبات النامي، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، والنجوم التي يهتدي بها السالكون في ظلمات الليل، وهي صورة دالة على وحدانية الله جل وعلا، وناطقة بآثار قدرته التي أبدع بها الكائنات.

فقد هدفت السورة إلى تقرير وحدانية الله جل وعلا بلفت الأنظار إلى آثار قدرته، وآيات نعمته، بما في ذلك من آيات الخلق والتدبير. ثم يجيء التعقيب على ذلك كله بقوله تعالى: ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون. وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم. والله يعلم ما تسرون وما تعلنون. والدين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون. أموات غير أيحاء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾.

﴿ وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون، وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون ﴾.

وسميت السورة: «سورة النحل» لاشتمالها على تلك العبرة البليغة التي تشير إلى عجيب صنعالخالق، وتدل على كمال قدرته بهذا الصن العجيب.

راجع: الظلال ٢١٥٨/٤. وصفوة التفاسير ١٧/٧.

جرير، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجل فصلى، فقرأ قراءة أنكرتها (عليه)[1] ثم دخل آخر فقرأ (قراءة)[2] سوى قراءة صاحبه: فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، فدخل آخر فقرأ - وفي رواية: ثم قرأ هذا سوى قراءة صاحبه - فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأا، فحسن النبي ﷺ شأنهما - وفيرواية: فقال لهما النبي ﷺ: قد أصبتم وأحسنتم - فسقط في نفسي[3] من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية[4]، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني، ضرب في صدري[5]، ففضت - وفي رواية: فارفضضت[6] - عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرق[7]، فقال لي: يا أبي إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن يهون على أمتي، فرد إليّ الثانية أن أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إليّ في الثالثة أن أقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردّة رددتكها مسألة[8] تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الناس - وفي رواية: الخلق كلهم - حتى ابراهيم عليه السلام[9].

---

(١) زيادة عن صحيح مسلم.

(٢) ساقطة من د.

(٣) أي اعترته حيرة ودهشة.

(٤) معناه: أن الشيطان نزع في نفسه تكذيباً لم يعتقده أشد مما كان عليه في الجاهلية، فقد كان في الجاهلية غافلاً متشككاً.

(٥) قال الإمام النووي -نقلاً عن القاضي عياض-: ضربه ﷺ في صدره تثبتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم، اهـ من شرح مسلم ١٠٢/٦.

(٦) عند مسلم: ففضت.

(٧) الفرق - بفتح الفاء والراء - الخوف والفزع.

(٨) أي مسألة مجابه.

(٩) صحيح مسلم: كتاب صلاةالمسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ١٠/٦. وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٧٦/٢ حديث رقم ١٤٧٧.

وفي رواية لابن جرير عن أبي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: أعينك بالله من الشك والتكذيب، وقال: إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف، فقلت: اللهم رب خفف عن أمتي، فقال: اقرأه على حرفين، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف، من سبعة أبواب من الجنة، كلها شاف كاف[1].

وللنسائي رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة، فبينا أنا في المسجد جالس، إذ سمعت رجلاً يقرؤها بخلاف قراءتي[2]، فقلت له: من علمك هذه السورة؟ فقال: رسول الله ﷺ، فقلت: لا تفارقني حتى نأتي رسول الله ﷺ فأتيت فقلت: يا رسول الله، إن هذا خالف قراءتي في السورة التي علمتني فقال رسول الله ﷺ: اقرأ يا أبي، فقرأتها، فقال رسول الله ﷺ: أحسنت، ثم قال للرجل: اقرأ (فقرأ)[3] فخالف قراءتي، فقال له رسول الله ﷺ: أحسنت، ثم قال رسول ﷺ: يا أبي أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف[4].

وفي (رواية)[5] أخرى له: ما حاك في صدري منذ أسلمت، إلا أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ، وقال الآخر: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا؟. قال: نعم، وقال الآخر: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟. قال:

= وجامع الترمذي: كتاب القراءات، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٤/٢٦٣ حديث رقم ٤٠١٣.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٣.

(١) تفسير ابن جرير ١/٣٠.

(٢) في سنن النسائي: يخالف قراءتي.

(٣) زيادة عن: د.

(٤) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٣.
وقوله: «كاف شاف» سيذكره المؤلف في تفسيره بعد قليل.

(٥) زيادة عن: د.

نعم قال: إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني، فقعد جبريل عليه السلام عن يميني، وميكائيل عليه السلام عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، وقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف فكل حرف شاف كاف(١).

وروى أبو عبيد هذه الرواية عن أبي رضي الله عنه(٢).

وروى عقبها عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب رضي الله عنهما أنه أتى النبي ﷺ برجلين قد اختلفا في القراءة، ثم ذكر مثل ذلك.

وأخرجه المحاملي(٣) في الجزء السادس عشر من أماليه الأصبهانيات(٤)، ولفظه (فقال)(٥): يا أبي أن الملكين أتياني، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، وقال الآخر: زده، فقلت: زدني، قال: اقرأه على حرفين، فقال الآخر: زده، قلت، زدني، قال: اقرأ على ثلاثة أحرف، فقال الآخر: زده، فقلت: زدني، قال: اقرأ على أربعة أحرف، قال الآخر: زده، قلت: زدني، قال: اقرأ على أربعةأحرف، قال الآخر: زده، قلت: زدني، قال: حتى انتهى إلى سبعة أحرف، فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف.

ورواه النسائي في سننه، وعبد بن حميد في مسنده، ولفظه: قال:(٦)

---

(١) سنن النسائي: الموضع السابق ٢/١٥٤.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٥٩.

(٣) هو القاضي أبو عبدالله الحسين بن اسماعيل بن محمد المحاملي الضبي البغدادي، شيخ بغداد ومحدثها، وأماليه تقع في ستة عشر جزءاً من رواية البغداديين والأصبهانيين، توفي سنة ٣٣٠ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٣/٨٢٤، تاريخ بغداد ٨/١٩.

الرسالة ص ١٣٢، طبقات الحفاظ ص ٣٤٣.

(٤) في د: الأصفهانيات، وهو خطأ.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) القائل: أبي بن كعب.

قرأ رجل آية، وقرأتها على غير قراءته، فقلت: من أقرأك هذا؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فانطلقت به إلى النبي فقلت: يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا؟ فقال: نعم، فقال الرجل: أقرأتني آية كذا وكذا؟، فقال: نعم، فقال: إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني، فجلس جبريل عن يمين، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني، فقال: اقرأه على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني، فقال: اقرأه على ثلاثة، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني كذلك حتى بلغ سبعة أحرف، فقال: اقرأه على سبعة أحرف، كل (١) شاف كاف (٢).

ورواه أحمد بن منيع في مسنده عن سليمان بن صرد وهو الخزاعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف، كل (٣) شاف كاف.

وفي رواية له عن سليمان ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: أتى أبيّ بن كعب رضي الله عنه رسول الله ﷺ برجلين قد اختلفا في القرآن فاستقرأهما فاختلفا، فقال لكل واحد منهما: أحسنت، فقال: إني أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف.

قال شيخنا البوصيري: ورواه النسائي أيضاً(٤)، ورواه أبو داود في سننه من طريق سليمان عن أبي رضي الله عنهما(٥)، فجعله من مسند أبيّ رضي الله عنه.

---

(١) في د: كلها كاف شاف.

(٢) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٤.

(٣) في د: كلها كاف شاف.

(٤) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٤.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلا ة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٧٦ حديث رقم ١٤٧٧.

ورواه الطبراني عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: أتى محمداً ﷺ الملكان، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف فقال الآخر: زده، فلم يزل يستزيده، حتى قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف.

وفي رواية عنده، عن سليمان رضي الله عنه يرفعه، قال: أتاني ملكان فقال أحدهما: اقرأ، قال الآخر: على كم، قال: على حرف قال: زده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

وروى ابن جرير عن أنس بن مالك، عن عبادة بن الصامت، عن أبي ابن كعب رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف[1].

وروى ابن جرير أيضاً عن سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب رضي الله عنهما قال: رحت إلى المسجد، فسمعت رجلاً يقرأ، فقلت: من أقرأك؟. فقال رسول الله ﷺ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: استقرىء هذا، قال: فقرأ، فقال: أحسنت قال: فقلت: فإنك أقرأتني كذا وكذا، فقال: وأنت قد أحسنت، قال: فقلت: قد أحسنت، قد أحسنت؟، قال: فضرب بيده على صدري، ثم قال: اللهم أذهب عن أبي الشك. قال: ففضت عرقاً، وامتلأ جوفه فرقاً[2] ثم قال: إن الملكين أتياني، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف وقال الآخر: زده، قال: قلت: زدني، قا: اقرأه على حرفين، حتى بلغ سبعة أحرف[3].

ورواه البيهقي في السنن الكبرى عن سليمان، عن أبي رضي الله عنهما قال: قرأت آية، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه خلافها، فأتينا النبي ﷺ، فقلت: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟. قال: بلى، قال ابن مسعود رضي الله

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٥.

(٢) خوفا.

(٣) تفسير ابن جرير ١/١٥.

عنه: ألم تقرئنيها كذلك؟. قال: بلى. قال: كلاكما محسن، قلت: ما كلانا أحسن ولا أجمل، قال: فضرب صدري وقال: يا أبيّ اني أقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف، أم على حرفين؟. فقال: الملك الذي معي: على حرفين، فقلت: على حرفين. فقيل لي: على حرفين أم ثلاثة؟. فقال الملك الذي معي: على ثلاثة، (فقلت: على ثلاثة)[1] حتى بلغ سبعة أحرف، قال: ليس فيها إلا شاف كاف، قلت: غفور رحيم عليم حكيم، نحو هذا، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو رحمة بعذاب[2].

ولابن جرير عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: ما حاك[3] في صدري منذ أسلمت، إلا أني قرأت آية فقرأها رجل غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ، وقال الرجل: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: (أليس)[4] أقرأتني آية كذا وكذا؟، قال: بلى، قال الرجل: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟، قال: بلى، إن جبريل وميكائيل - عليهما السلام - أتياني، فقعد جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، وقال ميكائيل: استزده، قال جبريل: اقرأ القرآن على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف وكل شاف كاف[5].

وفي رواية: حتى بلغ ستة أحرف، قال: اقرأه على سبعة أحرف كل كاف شاف[5].

وروى أبو عبيد في الفضائل، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه،

---

(١) ساقطة من: د.
(٢) سنن البيهقي الكبرى: كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة دون غيرهن من اللغات ٢/٣٨٤.
(٣) أي: تردد.
(٤) ساقطة من: د.
(٥) تفسير ابن جرير ١/١٥.

أنه قال: ليس الخطأ أن تدخل بعض السورة في الأخرى، ولا أن تختم الآية بحكيم عليم، أو عليم حكيم، أو غفور رحيم، ولكن الخطأ أن تجعل فيه ما ليس منه، أو أن تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة.

وقال أبو عبيد في معنى ذلك ما حاصله: أنه إذا أبدل شيئاً من ذلك غلطاً، أو سبق لسان، أو نحو ذلك، لم يخرج عن كونه شافياً كافياً، فإن الكل صفات الله، ومعاني نحو هذا يقارب بعضه بعضاً، فلا يعنف على هذا الابدال، ولا يقال له: أخطأت، بل يقال له: التلاوة كذا وكذا بخلاف ما إذا ختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة، فإنه غيّر المعنى فحينئذ يطلق عليه الخطأ.

وليس المراد بالحديث والأثر: أنه يجوز له أن يتعمد ابدال ذلك والله أعلم.

وهذه السورة التي وقع لأبيّ الخلاف فيها مع صاحبيه رضي الله عنهم هي سورة النحل.

روى الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في أول تفسيره عن أبي رضي الله عنه قال: دخلت المسجد فصليت، فقرأت النحل، ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي، ثم دخل رجل آخر، فقرأ بخلاف قراءتنا، فدخل في نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما، فأتيت بهما النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله استقرىء هذين، فقرأ أحدهما، فقال: أصبت، ثم استقرأ الآخر، فقال: أحسنت، فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب فضرب رسول الله ﷺ صدري فقال: أعاذك الله من الشك وخسأ عنك الشيطان، ففضت عرقاً، فقال: أتاني جبريل عليه السلام فقال: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: إن أمتي لا تستطيع ذلك حتى قال سبع مرات، فقال: اقرأ على سبعةأحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة(١).

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٦.

وفي رواية: سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرؤها يخالف ذلك، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذين يقرأان في سورة النحل، فسألتهما من أقرأهما؟ فقالا: رسول الله ﷺ، فقلت: لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذا خالفتما ما أقرأني رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما: اقرأ، فقرأ فقال: أحسنت، ثم قال للآخر: اقرأ فقرأ، فقال: أحسنت، فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي، فعرف رسول الله ﷺ في وجهي، فضرب بيده في صدري، ثم قال: اللهم اخسأ الشيطان عنه، يا أبي أتاني آت من ربي فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، ثم أتاني الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، ثم أتاني الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد مثله، ثم أتاني الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة، فقلت: يا رب اغفر لأمتي، رب اغفر لأمتي، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة(١).

وفي رواية عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن رجلين اختصما في آية من القرآن، وكلّ يزعم أن النبي ﷺ أقرأه، فتقارأا إلى أبي رضي الله عنه، فخالفهما أبي رضي الله عنهم، فتقارأوا إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن، وكلنا يزعم أنك أقرأته، فقال لأحدهما: اقرأ، فقرأ، فقال: أصبت، وقال للآخر: اقرأ فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه، فقال: أصبت، وقال لأبي: اقرأ، فقرأ فخالفهما، فقال: أصبت، قال أبي: فدخلني من الشك في أمر النبي ﷺ ما دخل بي من أمر الجاهلية، قال: فعرف رسول الله ﷺ الذي في وجهي، فرفع يده فضرب صدري، وقال: استعذ بالله من الشيطان الرجيم، قال: ففضت عرقاً، وكأني أنظر إلى الله فرقاً، وقال: إنه

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٧.

أتاني آت عن ربي وقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، قال: ثم جاء فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، قال: ثم جاء الثالثة فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، قال: ثم جاء في الرابعة فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة قال: قلت: رب اغفر لأمتي، رب اغفر لأمتي، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي، حتى أن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ليرغب فيها[1].

وفي رواية: اقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة[2].

وفي رواية: من قرأ منها حرفاً، فهو كما قرأ[3].

قال أبو عبيد في كتاب الفضائل، بعد إيراد طرق حديث السبعة الأحرف: قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة، إلا حديثاً واحداً يروي عن سمرة رضي الله عنه، ثم أسند ما تقدم عنه في الفضائل العامة وقال: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة، لأنها المشهورة، وقد بينت فيما مضى: أنه لا معارضة[4].

وسيأتي الالتفات إلى هذا الحديث بالتفات بديع في سورة «لم يكن» إن شاء الله تعالى، وبيان أنه بسبب ما تضمنه هذا الحديث قرأها النبي ﷺ على أبي رضي الله عنه، فيا لها من كرامة ما أجلها وأعلى قدرها ومحلها.

ويأتي في سورة الفرقان حديث عمر رضي الله عنه في السبعة الأحرف.

---

(١) تفسير ابن جرير ١/ ١٨.
(٢) تفسير ابن جرير ١/ ٢٠.
(٣) تفسير ابن جرير ١/ ١٩.
(٤) راجع:

وقال النووي في التبيان[1]: عن عمر رضي الله عنه، أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد، وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة الثانية[2] قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس أنا نمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر رضي الله عنه، رواه البخاري[3].

قال: وهذا الفعل والقول منه في هذا المجمع دليل ظاهر[4].

يعني: على أنه لا وجوب.

وقال ابن رجب: وقد روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه قرأ في يوم عيد في خطبة العيد سورة البقرة، وكذلك عمر رضي الله عنه، كان يكثرة تلاوة القرآن على المنبر، وربما قرأ سورة النحل ثم نزل فسجد.

وروى الإمام أحمد والطبراني بسند فيه شهر[5] - قال الهيثمي: وثقة أحمد وجماعة، وفيه ضعف لا يضر، وبقية رجاله ثقات[6] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس، إذ مر به عثمان بن مطعون، فكشر إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ألَا تجلس؟، قال: بلى، فجلس رسل الله ﷺ مستقبله، فبينما هو يحدثه، إذ شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فنظر ساعة إلى السماء، فأخذ يضع بصره، حتى

---

(١) التبيان ص ٩٥ .

(٢) في التبيان والبخاري : القابلة .

(٣) صحيح البخاري: كتاب سجود القرآن ، باب من رأى أن الله عز وجل لم يوجب السجود ٣٧/٢ عن ربيعة بن عبدالله بن الهدير التيمي . وأخرجه مالك في الموطأ ٢٠٦/١ عن عروة بن الزبير ، ولم يعين السورة التي قرأها عمر .

(٤) التبيان ص ٩٦ .

(٥) هو أبو سعيد شهر بن حوشب الشامي ، الحمصي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، المتوفي سنة ١١١ ، أو ١١٢ هجرية ، ويرى الأكثرون أنه ثقة . (راجع : الميزان ٢٨٣/٢ والخلاصة ص ١٦٩) .

(٦) مجمع الزوائد ٤٨/٧ .

وضع بصره عن يمينه في الأرض، فأخذ ينفض رأسه كأنما يستفقه ما يقال له، وابن مظعون ينظر، فلما قضى حاجته، واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه رسول الله ﷺ حتى توارى إلى السماء، فأقبل على عثمان بجلسته الأولى، فقال له: يا محمد فيما كنت أجالسك وآتيك، ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة؟. قال: وما فعلت؟. قال: رأيتك شخصت ببصرك إليالسماء، (ثم)[1] وضعته حيث وضعته عن يمينك، فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغص رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك، قال: أو فطنت لذلك؟.

قال عثمان: نعم، قال رسول الله ﷺ: أتاني رسول ربي عليه السلام،وأنت جالس، قال[2]: رسول الله؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟. قال: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[3].

قال عثمان: فذلك حين استقر الأيمان في قلبي، وأحببت محمداً ﷺ[4].

وروى أحمد باسناد ـ قال الهيثمي: حسن[5] ـ عن عثمان بن أبي العاضي رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص ببصره، ثم صوبه، حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: وشخص ببصره قال:

---

(١) ساقطة من : د .
(٢) القائل عثمان بن مظعون .
(٣) الآية : ٩٠ من السورة .
(٤) مسند الامام أحمد ١/٣١٨ .
(٤) مسند الامام أحمد ١/٣١٨ .
قال الحافظ في التفسير ٢/٥٨٣ : اسناد جيد متصل حسن ، وقد بيّن فيه السماع المتصل .
(٥) مجمع الزوائد ٧/٤٩ .

أتاني جبريل عليه السلام، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة، ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[1].

وللطبراني في حديث طويل، وفي مسنده - كما قال الهيثمي[2]- عاصم ابن بهدلة[3]، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، عن أبي الضحى قال: اجتمع مسروق وشتير بن شكل[4] في المسجد، فقال مسروق، هل سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: أن أجمع آية في القرآن: حلال وحرام، وأمر ونهي، ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾ إلى آخر الآية؟. قال: نعم. قال: وأنا قد سمعته.

ورواه أبو عبيد في الفضائل، من طريق أخرى، عن الشعبي قال: التقى مسروق بن الأجدع وشتير بن شكل، فذكره[5].

وذكر الحافظ زين الدين بن رجب، عن الحسن، أنه قرأ هذه الآية ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾ ثم وقف فقال: إن الله جمع لكم الخير

---

(١) مسند الامام أحمد ٢١٨/٤ .
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٨٣/٢ : هذا إسناد لا بأس به .
(٢) مجمع الزوائد ٤٩/٧ .
(٣) هو عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الكوفي . مولى ني أسد ، أحد القراء السبعة ، المتوفي سنة ١٢٧ هجرية . ثقة ثبت في القراءة ، أما في الحديث فهو صدوق يهم ، قال الذهبي : هو حسن الحديث وقال أحمد وأبو زرعة : ثقة ، قلت - أي الذهبي - : خرّج له الشيخان لكن مقروناً بغيره ، لا أصلاً وانفراداً .
راجع : الميزان ٣٥٧/٢ ترجمة رقم ٤٠٦٨ .
(٤) هو شتير بن شكل - بفتح الشين المعجمة والكاف - العبسي الكوفي أدرك الجاهلية ، وثقه النسائي .
راجع : الخلاصة ١٦٣ .
(٥) ورواه من هذه الطريق عبدالرزاق في المصنف : كتاب فضائل القرآن باب تعليم القرآن وفضله ٣٧٠/٣ حديث رقم ٦٠٠٢ .

كله، والشر كله، في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والاحسان شيئاً من طاعة الله إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه.

وروى ابن رجب من طريق أبي مسعود الجريري[1]، حدثني شيخ في مسجد الأشياخ، كان يحدثنا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن حول مريض لنا، إذ هدأ وسكن، حتى ما يتحرك منه عرق، فسجيناه وأغمضناه، وأرسلنا إلى ثيابه وصدره وسريره، فلما ذهبنا لنحمله لنغسله، تحرك، فقلنا: سبحان الله، سبحان الله، ما كنا نراك إلا قد مت، قال: فإني قد مت وذهب بي إلى قبري، فإذا إنسان حسن الوجه، طيب الريح، قد وضعني في لحدي، وطواه بالقراطيس، إذ جاءت إنسانة سوداء منتنة الريح، فقالت: هذا صاحب كذا، وهذا صاحب كذا، أشياء استحي من ذكرها، كأنما أقلعت عنها ساعتئذ، قال: قلت: أنشدك الله أن تدعني، وهذه قالت: انطلق يخاصمك، فانطلقت، فإذا دار فيحاء واسعة، فيها مصطبة كأنها من فضة، وفي ناحية منها مسجد، ورجل قائم يصلي، فقرأ سورة النحل، فتردد في مكان منها، ففتحت عليه فانفتل، فقال: السورة معك؟. فقلت: نعم، فقال: أما إنها سورة النعم، ورفع وسادة قريبة منه، فأخرج صحيفة فنظر فيها، فبادرته السوداء، فقال: فعل كذا، وفعل كذا قال: وجعل الحسن الوجه يقول: وفعل كذا، وفعل كذا، يذكر محاسني، قال: فقال الرجل: عبد ظالم لنفسه، ولكن الله عزّ وجلّ تجاوز عنه، لم يجيء أجل هذا بعد أجل هذا يوم الاثنين، فقال لهم: انظروا، فإن أنا مت يوم الاثنين فأرجو إلى ما رأيت، وإن لم أمت يوم الاثنين، فإنما هو هذيان الوجع، فلما كان يوم الاثنين صح، حتى بعد العصر، ثم أتاه أجله فمات.

---

(١) هو أبو مسعود سعيد بن اياس الجريري ـ بضم الجيم، وراءين مهملتين، بينهما ياء ساكنة ـ البصري. ثقة في الرواية ولكنه اختلط لما كبر، ومات سنة ١٤٤ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٥٥، الخلاصة ص ١٣٦،
الميزان ٢/١٢٧، شذرات الذهب ١/٢١٥.

سورة الاسراء

وتسمى سورة بني إسرائيل، وسورة سبحان، والأقصى.

مكية اجماعاً.

وقال الغزنوي: غير ثماني آيات، فيها خبر وفد ثقيف، وخبر ما قالت اليهود للنبي ﷺ: ﴿**ليست هذه بأرض الأنبياء**﴾، وذلك من قوله تعالى: ﴿**وإن كادوا ليفتنونك**- إلى قوله -: ﴿**واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً**﴾[١] فإن هذه الآيات مدنيات.

روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢]

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها مائة واحدى عشرة في الكوفي، وعشر في عدد الباقين.

---

(١) الآيات: ٧٣ - ٨٠.

(٢) راجع: أسباب النزول للواحدي ص ١٩٦.
وتفسير القرطبي ١٠/٢٩٩.

اختلافها آية ﴿ للأذقان سجداً ﴾[1]، عدها الكوفي وحده.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً باجماع، أربعة عشر موضعاً:

﴿ لبني إسرائيل ﴾[2]، ﴿ بأس شديد ﴾[3]، ﴿ ويبشر المؤمنين ﴾[4]، ﴿ السنين والحساب ﴾[5]، ﴿ لمن نريد ﴾[6]، ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾[7]، ﴿ قتل مظلوماً ﴾[8]، ﴿ لوليه سلطاناً ﴾[9]، ﴿ بها الأولون ﴾[10]، ﴿ عذاباً شديداً ﴾[11]، ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾[12]، ﴿ وصمّا ﴾[13]، ﴿ وبالحق نزل ﴾[14]، ﴿ للأذكان يبكون ﴾[15].

وعكسه اثنان:

﴿ الجبال طولاً ﴾[16]، ﴿ بكم لفيفا ﴾[17].

---

(١) الآية : ١٠٧ .
(٢) الآية : ٢ .
(٣) الآية : ٥ .
(٤) الآية : ٩ .
(٥) الآية : ١٢ .
(٦) الآية : ١٨ .
(٧) الآية : ٢٣ .
(٨) الآية : ٣٣ .
(٩) الآية : ٣٣ .
(١٠) الآية : ٥٩ .
(١١) الآية : ٥٨ .
(١٢) الآية : ٨٢ .
(١٣) الآية : ٩٧ .
(١٤) الآية : ١٠٥ .
(١٥) الآية : ١٠٩ .
(١٦) الآية : ٣٧ .
(١٧) الآية : ١٠٤ .

ورويها أحد عشر حرفاً: ﴿ قلّ من سعد بفره ﴾[١]، وبعد كلّ ألف التنوين، إلا الراء من ﴿ البصير ﴾[٢] أول آيها.

مقصودها

ومقصودها: الاقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض.

وذلك هو العمل بالتقوى، التي أدناها خلع الأنداد، واعتقاد التوحيد، على ما دعا إليه افتتاح النحل. وأعلاها: الاحسان، الذي اختتمت به، وهو الفناء عما سوى الله.

وذلك شرح ما أشار إليه آخر التي قبلها، من قوله تعالى: **﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾**[٣]. وكل ما أسمائها واضح الدلالة على هذا:

أما سبحان ـ الذي هو علم للتنزيه ـ فمن أظهر ما يكون فيه، **لأن** من كان على غاية النزاهة عن كل نقص، كان جديراً بأن: **﴿ لا تعبدوا إلا إياه ﴾**[٤] وأن يعرض كل مخلوق عن كل ما سواه، لكونه متصفاً بما ذكر.

---

(١) الباء: ﴿ قل عسى أن يكون قريباً ﴾ الآية: ٥١.
السين: ﴿ وإذا مسه الشر كان يئوساً ﴾ الآية: ٨٣.
الفاء: ﴿ وما نرسل بالآيات الا تخويفاً ﴾ الآية: ٥٩.
﴿ جئنا بكم لفيفا ﴾ الآية: ١٠٤.
القاف: ﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾ الآية: ٨١.
الهاء: ﴿ عند ربك مكروهاً ﴾ الآية ٣٨.
وباقي أحرف الروي مكررة آياته في السورة بكثرة، أما التنبيه فعلى القليل منها، كما هي عادة المؤلف.

(٢) آية: ١.

(٣) الآية: ١٢٨ من سورة النحل.

(٤) الآية: ٢٣ من سورة الاسراء.

وأما الإسراء: فمن عرف أموره كلها في السّرى بالنبي ﷺ من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى، ثم العروج من المسجد الأقصى، إلى السموات العلي، إلى سدرة المنتهي، ثم إلى ما شاء العلي الأعلى، ثم التردد بين موسى عليه السلام، وبين من أسرى به من السماء السادسة إلى ما وصل إليه في المرة الأولى من الحد الأسمى، والحضرة الشماء، والمحل الأقدس الأنهى، الذي وصل إليه دون غيره من الخلائق وهو فوق السماء السابعة، بما لا يعلمه إلا الله تعالى، مرة بعد أخرى ثم الرجوع إلى المسجد الأقصى، ثم إلى الكعبة العظمى، قبل فجر تلك الليلة، علم أن الفاعل لذلك متصف بكل ما ذكر، فأقبل بكليته، وانقطع دائماً إليه.

وكذا تسميتها بالأقصى، فإنه مثير إلى قصة الإسراء.

وأما بنو إسرائيل، فمن أحاط - أيضاً - بتفاصيل أمرهم في مسيرهم إلى الأرض المقدسة، الذي هو كالإسراء، وايتائهم الكتاب، وما ذكر مع ذلك من شأنهم في هذه السورة، الذي هو معروف بالفرق بين الاسراءين والفرق بين الإيتاءين، عرف ذلك[1].

---

(١) سورة الاسراء من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة، ولكن العنصر البارز فيها هو شخص الرسول ﷺ، وما أيده الله به من المعجزات الباهرة. والحجج القاطعة، التي تدل على صدقه ﷺ.

فقد بدأت السورة الكريمة بذكر معجزة الاسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التكريم الالهي لخاتم المرسلين، وآية باهرة تدل على قدرة الله جلا وعلا في صنع العجائب والغرائب.

ثم تحدثت السورة عن بني اسرائيل وما كتبه الله عليهم من التشرد والتفرق في الأرض مرتين، بسبب طغيانهم وعصيانهم لأوامر الله.

وتحدثت عن بعض الآيات الكونية التي تدل على قدرة الخالق ووحدانيته وعظمته ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ... ﴾.

كما تعرضت السورة الى ذكر بعض الآداب الاسلامية الكريمة، والأخلاق الفاضلة الرفيعة، فدعت إلى التحلي بها، والاستمساك بأهدابها ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ... ﴾ الآيات. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البخاري في فضائل القرآن، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، انهن من العتاق الأول، وهن من تلادي[1].

ورواه أبو عبيد، فأسقط سورة الأنبياء، وقال: هن من تلادي، وهن من العتيق الأول[2].

وقال: إن معناه: من أول ما أخذت من القرآن، شبهة بتلاد المال القديم، ومعناه: أن ذلك كان بمكة[3].

وروى الترمذي وقال: (هذا حديث)[4] حسن غريب[5]، والبيهقي في

= ثم تحدثت السورة عن قضية البعث والنشور، والمعاد والجزاء، فأقامت الأدلة والبراهين على امكان وقوعه. ثم تحدثت عن القرآن بأنه معجزة محمد الخالدة. وذكرت تعنت المشركين في اقتراحاتهم حيث طلبوا معجزة أخرى غير القرآن، فطلبوا منه ﷺ: أن يفجر لهم الأنهار، وأن يحول جبال مكة إلى حدائق وبساتين: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً...﴾ الآيات. ثم تختم السورة بحمدالله، وتقرير وحدانيته، وتنزيهه الشريك والولد، والحاجة إلى الولي والنصير، فيلخص هذا الختام محور السورة التي دارت عليه، والذي بدأت وختمت به:

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً. ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيرا﴾.

راجع: الظلال ٤/٢٢٠٨، وصفوة التفاسير ٧/٤٩.

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الاسراء ٥/٢٢٣، وسورة الأنبياء ٥/٢٤٠. وكتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٦/١٠١.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/٣١٠.

(٣) غريب الحديث: الموضع السابق.

والعتاق الأول: السور التي نزلت أولاً بمكة، قاله ابن الأثير في جامع الأصول ٢/٢١٠.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) قوله: ﴿هذا حديث غريب﴾ غير موجود في صحيح الترمذي. ط عبد الرحمن محمد عثمان.

الدعوات، من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ - وفي رواية البيهقي: كان يقرأ كل ليلة - بني إسرائيل والزمر[١].

ولأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا[٢]، فقيل له: إن شئت أن تستأني[٣] بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت[٤] من قبلهم. قال: (لا)[٥]، بل أستأني بهم، وأنزل الله هذه الآية[٦]: ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها** ﴾[٧].

وفي رواية: فدعا، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل افتح لهم باب التوبة والرحمة.

قال البيهقي: ورجال الروايتين رجال الصحيح، إلا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم[٨]، وفي بعضها: عمران أبو الحكم[٩]، وهو ابن

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام ١٤١/٥. حديث رقم ٣٤٦٦.
وأخرجه الامام أحمد في المسند ١٨٩/٦.

(٢) قال في اللسان ١٤١/٨: المزدرع: الذي يزدرع زرعاً يتخصص به لنفسه، وازدرع القوم: اتخذوا زرعاً لأنفسهم خصوصاً، أو احترثوا.

(٣) أي تنتظر بهم.

(٤) في الأصل: «هلك» والتصويب عن المسند.

(٥) زيادة عن المسند.

(٦) سورة الاسراء: آية ٥٩.

(٧) مسند الامام أحمد ٢٥٨/١.

(٨) قال الحافظ نورالدين الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٠/٧: وهو وهم.

(٩) كذا هو في كتب الرجال، وهو عمران بن الحارث السلمي، أبو الحكم الكوفي. =

الحارث - وهو الصحيح - وهو من رجال الصحيح.

ورواه البزار بنحوه.

وروى ابن رجب من طريق الطبراني، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يهبط الله عز وجل آخر ساعة من الليل فيقول: ألَا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له، حتى يطلع الفجر، قال: فقال: «إن قرآن الفجر كان مشهوداً، فيشهده الله وملائكته»[١].

وروى أبو طاهر المخلص[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا نصف الليل الآخر، أو الثلث الأخير، فيقول - فذكره نحوه - وقال: حتى يطلع الفجر أو ينصرف القارىء من صلاة الصبح[٣].

وروى الطبري في الصغير بسند - قال الهيثمي: فيه ابن اسحاق[٤]

= راجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٩٦/٦ الترجمة رقم ١٦٤٦ والخلاصة ص ٢٩٥.

(١) هذا الحديث تفرد به زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء، ورواه الليث بن سعد عن زيادة. وزيادة منكر الحديث.

راجع: الميزان ٩٨/٢ الترجمة رقم ٢٩٨٨. والخلاصة ص ١٣١ وتفسير ابن كثير ٥٤/٣.

(٢) هو أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن بن العباس المخلص - بضم الميم وفتح الخاء المعجمة، وكسر اللام المشددة - الذهبي البغدادي الحافظ المشهور، توفي سنة ٣٩٣ هـ.

راجع: الرسالة ص ٧٦.

(٣) حديث أبي هريرة له أصل في الصحيح عند مسلم وفيه: حتى ينفجر الفجر.

راجع: صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل مثنى مثنى ٣٦/٦.

(٤) هو الامام محمد بن اسحاق صاحب السيرة، تقدمت ترجمته ٥٧/١.

وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات[١] ـ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وعلى الكعبة[٢] ثلاثمائة وستون صنماً، قد شد لهم ابليس أقدامها بالرصاص، فجاء ومعه قضيب فجعل يهوي به إلى كل صنم منها، ليخر لوجهه، فيقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» حتى مر عليها كلها[٣].

وسيأتي إن شاء الله تعالى في سبأ حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الشيخين بنحوه[٤].

ولأبي عبيد، عن خيثمة[٥] قال: قال عبد الله: عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل[٦]، قال أبو عبيد: يريد عبد الله هذه الآية: **﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾**[٧]، والآية التي في النحل: **﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾**[٨].

---

(١) مجمع الزوائد ٥١/٧ .

(٢) في رواية الصحيحين وغيرهما : « وحول البيت » وهي أنسب ، لأن فوق الكعبة لا يستوعب هذا العدد الضخم من الأصنام الا اذا كانت دقيقة الحجم جداً .

(٣) المعجم الصغير للطبراني ١٣٦/٢ وقال : تفرد به محمد بن اسحاق .

(٤) راجع ص

(٥) هو خيثمة بن عبدالرحمن بن أبي سبرة ـ بفتح السين والراء المهملتين بينهما باء موحدة ساكنة ـ الجعفي الكوفي ، يروى عن ابن مسعود وعائشة وأبي هريرة وجماعة ، وعنه الحكم بن عتيبة ، وعمرو بن مرة ، وطلحة ابن مصرف ، وثقه ابن معين . وتوفي سنة ثمانين هجرية .
راجع : الخلاصة ص ١٠٧ .

(٦) وأخرجه ابن ماجة في سننه : كتاب الطب ، باب العسل ١١٤٢/٢ حديث رقم ٣٤٥٢ .
قال الحافظ ابن كثير ٥٧٦/٢ : اسناده جيد .
وقال الهيثمي في الزوائد : اسناده صحيح ، رجال ثقات .

(٧) سورة اسراء : آية ٨٢ .

(٨) سورة النحل : آية ٦٩ .

ولأحمد في المسند، والطبراني، عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه كان يقول: آية العزة - وفي رواية: العز - ﴿ وقل الحمد الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ [1] إلى آخر السورة[2].

وللطبراني والبيهقي في الدعوات، والحاكم وقال: صحيح الاسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما كربني أَمْرٌ إلا تمثل لي جبريل عليه السلام، قال: يا محمد قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيراً [3].

---

(١) الآية : ١١١ من السورة .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٤٣٩ .

وهذا الحديث رواه الامام أحمد عن شيخه يحيى بن غيلان ، من حديث رشدين عن زبّان ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه معاذ .

ورشدين هو ابن سعد المصري المتوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين قال الذهبي في الميزان ٢/٤٩ : كان صالحاً عابداً سيىء الحفظ غير معتمد . وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال الجوزجاني : عنده مناكير كثيرة .

وزبّان هو ابن فايد الحمزاوي المصري المتوفي سنة خمس وخمسين ومائة قال أحمد : أحاديثه مناكير . وقال أبو حاتم : صالح الحديث وبالنظر في تاريخ وفاته وتاريخ وفاة رشدين يظهر الفارق الزمني بينهما مما يدل على الانقطاع في السند ، ولذا لم يصرح أحمد بالتحديث بينهما .

راجع : الخلاصة ص ١٢٠ . والميزان ٢/٦٥ .

وسهل بن معاذ ضعفه ابن معين ، ولم يوثقه سوى ابن حبان .

راجع : الخلاصة ص ١٥٨ . والميزان ٢/٢٤١ .

ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٣ من طريق أخرى وفيها ابن لهيعة عن زبّان ، عن سهل بن معاذ .

قال الحافظ نورالدين الهيثمي في الزوائد ٧/٥٢ : وكذلك الطبراني .

(٣) مستدرك الحاكم : كتاب الدعاء ، باب دعاء دفع الكرب ١/٥٠٩ .

وللطبراني في الدعاء، وأبي يعلى ـ قال الهيثمي: وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف[1] ـ عن أبي هريرة ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ، استقبله رجل رث الثياب رث الهيئة، مستقام[2]، فقال النبي ﷺ: يا فلان ما الذي بلغ بك ما أرى؟. قال: الفقر والسقم، قال: أفلا أعلمك كلمات إذا قلتهن ذهب عنك الفقر والسقم؟. فقال: لا، ما يسرني بهذا أني شهدت معك بدراً واحداً، قال: فضحك رسول الله ﷺ[3]، ثم قال: وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع؟. قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله فعلمنيهن. قال: قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً. قال: فلقي النبي ﷺأبا هريرة بعد أيام فقال: يا أبا هريرة، ما الذي أرى من حسن حالك؟. فقال: يا رسول الله ما زلت أقرأ الكلمات منذ علمتنيهن[4].

وروى عبد الرزاق في جامعة عن جعفر بن سليمان، عن سعيد الجريري قال: بلغني أنه من قرأ الآية: ﴿ **الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك** ﴾[5] إلى آخر السورة، لم يصبه سرق[6].

ورواه الأستاذ أبو عثمان الصابوني[7] في كتاب «المائتين» موصولاً (عن

---

(١) مجمع الزوائد ٥٢/٧ .

(٢) أي به سقم .

(٣) في د : النبي .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧٠/٣ : إسناده ضعيف ، وفي متنه نكارة .

(٥) الآية : ١١١ من السورة .

(٦) لم أعثر عيه في مصنف عبدالرزاق .

(٧) هو الإمام الحافظ أبو عثمان اسماعيل بن عبدالرحمن ، بن أحمد ابن اسماعيل ، بن ابراهيم ، الصابوني ـ نسبة إلى الصابون ـ النيسابوري رئيس أهل الحديث بخراسان ، والامام في علوم مختلة ، المتوفي سنة ٤٤٩ . وقيل : سنة ٤٤٧ ، أو ٤٤٤ هـ . راجع : الرسالة ص ٨٧ .

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: هي - يعني ﴿ **قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا** ﴾ [1] الآية - أمان من السرق. قال: وكان رجل من المهاجرين) [2] تلاها حين أخذ مضجعة فدخل عليه سارق فجمع ما في البيت، ثم حمله والرجل ليس بنائم، حتى انتهى إلى الباب، فوجد الباب مرذوماً، فوضع الكارّة، وفعل ذلك ثلاث مرات، فضحك صاحب البيت وقال: إني قد حصنت بيتي، قال: فذهب اللص.

قال الصابوني: هذا حديث غريب الاسناد والمتن، لم أكتبه إلا من هذا الطريق.

وفي الفردوس عن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في مصبح أو مسمى ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** ﴾[3]، الآية. لم يمت قلبه في ذلك اليوم، ولا تلك الليلة.

وروى الأصفهاني في ترغيبه، عن إبراهيم - يعني ابن الأشعث [4]- قال: سمعت الفضل يقول: إن رجلاً على عهد النبي ﷺ أسره العدو، فأراد أبوه أن يفديه، فأبوا عليه، إلا بشيء كثير لم يطقه فشكى ذلك إلى النبي ﷺ فقال: أكتب إليه فليكثر من قوله: ﴿ **توكلت على الحي الذي لا يموت** ﴾،

---

(١) الآية : ١١٠ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من د .

(٣) الآية : ١١٠ من سورة الاسراء .

(٤) هو ابراهيم بن الأشعث البخاري ، خادم الفضيل بن عياض .
قال أبو حاتم الرازي : كنا نظن به الخير ، فقد جاء بمثل هذا الحديث : عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به » . قال أبو حاتم هذا حديث باطل موضوع .
راجع : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨٨/٢ الترجمة رقم ٢١٧ : الميزان ٢٠/١ الترجمة رقم ٤٤ .

و ﴿ **الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً** ﴾ إلى آخرها، قال: فكتب بها الرجل إلى ابنه، فجعل يقولها، فغفل العدو عنه، فاستاق أربعين بعيراً، وقدم بها إلى المدينة.

قال المنذري: وهذا معضل[1].

وسيأتي في الطلاق مما يمكن أن يتصل بهذا.

---

(١) الحديث المعضل: هو ما سقط من إسناده - في أي موضع كان - راويان فأكثر على التوالي، فهو حديث غير متصل السند، وعدم الاتصال يجعله من قبيل الحديث الضعيف، ومن العلماء من يلحقه بالمرسل، ومنهم من يلحقه بالمنقطع، مع أنه أسوأ حالاً منهما ما لم يأت متصلاً من طريق أخرى.
ومثاله: قول الإمام مالك في الموطأ ٢/٩٨٠: بلغني أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف، ولا يكلف من العمل الا ما يُطيق»، فهذا الحديث معضل لكنه جاء متصلاً عند مسلم في كتاب الايمان من صحيحه: عن مالك بن أنس، عن محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة»، فالاعضال كان في اسقاط محمد بن عجلان وأبيه.
راجع: دكتور محمد أديب الصالح، لمحات في أصول الحديث ص ٢٣٧.

سورة الكهف

مكية إجماعاً.

وقال الأصفهاني: قيل هذا إجماع المفسرين من غير خلاف.

وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة: أن فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿ واصبر نفسك ﴾[١].

وجعلها الغزنوي آيتين.

قال الأصفهاني: وعن مقاتل: من أولها إلى ﴿ صعيداً جرزاً ﴾[٢] مدني وقوله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[٣] الآيتين، وباقيها مكي.

---

(١) الآية: ٢٨.
(٢) الآيات: ١ - ٨.
(٣) الآية: ٣٠.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائة وخمس آيات في المدنيين والمكي، وست في الشامي، وعشر في الكوفي، وإحدى عشرة في البصري.

اختلافها إحدى عشرة آية:

﴿ **وزدناهم هدى** ﴾[1] لم يعدها الشامي، وعدها الباقون.

﴿ **ما يعلمهم إلا قليل** ﴾[2]، عدها المدني الأخير، ولم يعدها الباقون.

﴿ **إني فاعل ذلك غداً** ﴾[3]، لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقون.

﴿ **وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾[4] لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

﴿ لن تبيد هذه أبداً ﴾[5]، لم يعدها المدني الأخير والشامي، وعدها الباقون.

﴿ **ومن كل شيء سبباً** ﴾[6]، لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

﴿ **فأتبع سبباً** ﴾[7]، ﴿ **ثم أتبع سبباً** ﴾[8].

---

(١) الآية : ١٣ .
(٢) الآية : ١٢ .
(٣) الآية : ٢٣ .
(٤) الآية : ٣٢ .
(٥) الآية : ٣٥ .
(٦) الآية : ٨٤ .
(٧) الآية: ٨٥.
(٨) الآية : ٨٩ .

﴿ ثم أتبع سبباً ﴾[1] عدهن الكوفي والبصري ولم يعدها الباقون.

﴿ وعندها قوماً ﴾[2]، لم يعدها الكوفي والمدني الأخير، وعدها الباقون.

﴿ بالأخسرين أعمالاً ﴾[3]، لم يعدها المدنيان والمكي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع، اثنا عشر موضعاً؛

﴿ قيماً ﴾[4] ، ﴿ بأساً شديداً ﴾[5] ، ﴿ ويبشر المؤمنين ﴾[6]، ﴿ وهم رقود ﴾[7] ، ﴿ عليهم بنياناً ﴾[8] ، ﴿ بسلطان بيِّن ﴾[9] ، ﴿ مراء ظاهراً ﴾[10]، ﴿ خضراً ﴾[11]، ﴿ ولم تظلم منه شيئاً ﴾[12]، ﴿ على ربك صفا ﴾[13]، ﴿ آذانهم وقرا ﴾[14]، ﴿ من دونهما قوماً ﴾[15].

وعكسه ثلاثة:

---

(١) الآية : ٩٢ .
(٢) ساقطة من : د .
(٣) الآية : ٩٣ .
(٤) الآية : ١٠٣ .
(٥، ، ٧) الآية : ٢ .
(٨) الآية : ١٨ .
(٩) الآية : ٢١ .
(١٠) الآية : ١٥ .
(١١) الآية : ٢٢ .
(١٢) الآية : ٣١ .
(١٣) الآية : ٣٣ .
(١٤) الآية : ٤٨ .
(١٥) الآية : ٥٧ .

﴿ **عوجا** ﴾[1] ، ﴿ **نهراً** ﴾[2]، ﴿ **عندها قوماً** ﴾[3]

ورويها خمسة عشر حرفاً، ﴿ **ازل مرض فظ بعفص نجد** ﴾[4]، وبعد كلّ ألف التنوين.

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجراً عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل في «سبحان»، من أنه لا وكيل دونه، ولا إله إلا هو وقاصّاً (بالحق)[5] أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم، وفق ما وقع الخبر به في سبحان، من أنه يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء.

---

(١) الآية : ١ .

(٢) الآية : ٣٣ .

(٣) الآية : ٩٣ .

(٤) وهي موزعة في السورة بحسب القلة والكثرة على النحو التالي :

١ ـ الألف : ﴿ وزدناهم هدى ﴾ الآية : ١٣ .

٢ ـ الزاي : ﴿ صعيداً جُرُزاً ﴾ الآية : ٨ .

٣ ـ الجيم : ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ الآية : ١ .

٤ ـ الطاء : ﴿ لقد قلنا اذا شططا ﴾ الآية : ١٤ .

: ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ الآية : ٢٨ .

٥ ـ الصاد : ﴿ على آثارهما قصصا ﴾ الآية : ٦٤ .

٦ ـ الضاد : ﴿ للكافرين عرضا ﴾ الآية : ١٠٠ .

٧ ـ الفاء : ﴿ بهذا الحديث أسفا ﴾ الآية : ٦ .

: ﴿ ولم يجدوا عَنها مصرفا ﴾ الآية : ٥٣ .

٨ ـ الواو : ﴿ وما أنذروا هزوا ﴾ الآية : ٥٦ .

﴿ واتخذوا آياتي هزوا ﴾ الآية : ١٠٦ .

وباقي حروف الروي موزعة في السورة بكثرة ، فلا داعي للتنبيه عليها كما هي عادة المؤلف في التنبيه على الأقل ، وترك ما هو أكثر .

(٥) ساقطة من : د .

وأدل ما فيها على هذا المقصد: قصة أهل الكهف، لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص، مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وكان أمرهم موجباً بعد طول رقادهم للوحدانية، وإبطال الشرك [1].

---

(١) سورة الكهف من السور المكية ، وهي احدى سور خمس بدئت بـ ﴿ الحمد لله ﴾ وهذه السور هي : الفاتحة . والأنعام . والكهف وسبأ . وفاطر .

والموضوع الأصلي للسورة : بيان وظيفة القرآن بأنه نذير للضالين وبشير للمهتدين . ثم تصحيح العقيدة في نفوس المنحرفين الذين زعموا أن لله ولداً ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً فيها ، لينذر بأساً شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعلمونالصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ، ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا ﴾ .

والقصص هو مادة هذه السورة ، وهو العنصر الغالب في كيانها ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف ، وبعدها قصة الجنتين ثم اشارة خاطفة إلى قصة آدم وابليس ، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح ، وفي نهايتها قصة ذي القرنين . وهذا القصص يستغرق معظم آيات السورة ، وما بقي من آياتها فهو تعقيب أو تعليق على القصص فيها ، باستثناء آيات منها حفلت بذكر بعض مشاهد القيامة ، وبعض مشاهد الحياة .

وفي الختام تنتهي السورة بقوله تعالى : ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحي إليّ أنما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ .

وهكذا يتسق البدء مع الختام في اعلان الوحدانية ، وانكار الشرك ، واثبات الوحي والرسالة ، والتمييز المطلق بين الذات الالهية وذوات الحوادث .

والسورة تسمى : سورة الكهف ، تخليداً لتلك المعجزة الربانية الماثلة في تلك القصة العجيبة ، قصة أصحاب الكهف ، التي تحمل طابع السورة في الدعوة إلى توحيد الله . ونبذ ما عداه من الشرك والشركاء .

راجع : الظلال ٤/٢٢٥٦ وما بعدها .

وصفوة التفاسير ٨/٥ .

فضائلها

وأما فضائلها: فروى (مسلم. و)[1]أبو داود، والنسائي، والترمذي وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى الموصلي، وأحمد بن منيع، والحارث بن أبي أسامة، والطبراني، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ - وفي رواية: من حفظ - عشر آيات من أول - وفي رواية: من آخر - سورة الكهف، عصم من الدجال[2].

وفي رواية: من فتنة الدجال[3].

وفي رواية للترمذي: من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الكهف.

ورواه النسائي في «اليوم والليلة» عن ثوبان رضي الله عنه. ولفظه: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من الدجال[4].

ولمسلم وأبي داود، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ذكر الدجال - إلى أن قال - : فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[5].

---

(١) ساقطة من : د .

(٢) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٩٢/٦ .

وسنن أبي داود : كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ١١٦/٤ حديث رقم ٤٣٢٣ .

وفضائل القرآن للنسائي ص ٨٠ حديث قم ٢٤٠ .

وجامع الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة الكهف ٢٣٦/٤ حديث رقم ٣٠٤٧ .

ومسند الامام أحمد ٤٤٩/٦ .

(٣) كذا عند أحمد وأبي داود والترمذي .

(٤) كذ عن أحمد من رواية لأبي الدرداء ٤٤٦/٦ .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال ٦٣/١٨ .

وسنن أبي داود : كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ١١٧/٤ حديث رقم ٤٣٢١ .

وأخرجه الترمذي : كتاب الفتن ، باب ما جاء في فتنة الدجال ٣٤٦/٢ حديث رقم ٢٣٤١ .

زاد أبو داود: فإنها جواركم من فتنته[1].

وروى النسائي في السنن، والبيهقي في الدعوات وغيره مرفوعاً، والحاكم موقوفاً ومرفوعاً وقال: صحيح الإسناد، والدارمي في مسنده[2]، وسعيد بن منصور في سننه، كلاهما موقوفاً فقط، عن أبي سعيد رضي الله عنه: من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما (بين الجمعتين [3].

ولفظ الدارمي: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أضاء له من النور ما)[4] بينه وبين البيت العتيق[5].

ومثله لا يقال من قبل الرأي، فهو مرفوع على كل حال.

قال المنذري: وفي أسانيدهم كلها ـ إلا الحاكم ـ أبو هاشم يحيى بن دينار الرماني[6]، والأكثرون على توثيقه[7]، وبقية الاسناد ثقات، وفي إسناد الحاكم الذي صححه نعيم بن حماد[8].

ثم قال في فصل الرواة في آخر الكتاب: قال النسائي: ضعيف، وابن معين: صدوق، وأنا أعرف الناس به، كان رفيقي في البصرة، كتب عن

(١) سنن أبي داود: الموضع السابق.

(٢) إطلاق لفظ «مسند» على سنن الدارمي غير سديد.

(٣) المستدرك للحاكم: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف ٢/٣٦٨. وسنن البيهقي الكبرى: كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ وقراءة سورة الكهف وغيرها ٣/٢٤٩.

(٤) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة الكهف ٢/٤٥٤.

(٦) في الترغيب: الروماني.

(٧) قال الذهبي في الميزان ٤/٥٨١: أبو هاشم الرماني الواسطي، يحيى ابن دينار، أحد الثقات، تابعي صغير.

(٨) الترغيب والترهيب للمنذري ١/٥١٢

روح بن عبادة[1] خمسين ألف حديث[2].

ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

والطبراني في الأوسط في ترجمة أحمد بن محمد بن صدقة[3]، مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

ولفظ النسائي والحاكم: من قرأ الكهف كما أنزلت، كانت له نوراً يوم القيامة من مقامة إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها، ثم خرج الدجال، لم يسلط عليه[4].

ورواه الطبراني في الأوسط، في حديث طويل ـ قال الهيثمي: ورجاله

---

(١) هو أبو محمد روح بن عبادة بن العلاء بن حسان، القيسي، البصري الحافظ، روى عن السفيانين، وشعبة، وحسين المعلم، وروى عنه أحمد بن حنبل، وأحمد بن منيع، واسحاق بن راهويه، وكان يتحمل الحمالات، كثير الانفاق، كثير الحديث، لم يطعن فيه سوى القواريري لكونه يروي عن مالك تسعمائة حديث، فاستعظم كثرتها وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال الذهبي: صدوق صاحب حديث.
ومات ابن عبادة في جمادى الأولى سنة ٢٠٥ عن نيف وثمانين عاماً.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣٤٩/١. وميزان الاعتدال ٥٨/٢ ترجمة رقم ٢٨٠٢. وتاريخ بغداد ٤٠١/٨. وطبقات ابن سعد ٤٠/٧. وطبقات الحفاظ ص ١٤٦ ترجمة رقم ٣٢٣.

(٢) الترغيب والترهيب ٣٥٩/٦.

(٣) هو الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن عبدالله بن صدقة البغدادي، كان موصوفاً بالاتقان، غاية في الحفظ، إماماً في الضبط، روى الحديث عن اسماعيل الجحدري، وابن مسكين اليمامي، وابن حرب النسائي، وروى القراءات عن جماعة، وروى عنه أبو القاسم الطبراني، وأبو بكر الخلال، وأبو بكر الشافعي، ومات في المحرم سنة ٢٩٣ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٧٤٥/٢، طبقات القراء ١١٩/١، طبقات الحنابلة ٦٤/١، طبقات الحفاظ ص ٣١٤.

(٤) المستدرك: كتاب الفتن والملاحم، باب من قرأ سورة الفتح لم يسلط عليه الدجال ٥١١/٤.

رجال الصحيح[1] - بلفظ: من قرأ سورة الكهف، كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها، ثم خرج الدجال، لم يضره.

ورواه عبد الرزاق في جامعه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - موقوفاً عليه - ، قال: من قرأ سورة الكهف كما أنزلت، ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه - أو لم يكن عليه سبيل - ومن قرأ خاتمة[2] سورة الكهف، أضاء نوره من حيث قرأها ما بينه وبين مكة[3].

وفي الفردوس عن البراء، وابن عباس، رضي الله عنهم، أن النبي ﷺ قال: من قرأ عشر آيات من الكهف، ملىء من قرنه إلى قدمه إيماناً، ومن قرأها في ليلة جمعة، كانت له نوراً، فإن خرج الدجال لم يتبعه.

وفيه أيضاً: عن ابن عباس، وأبي هريرة، رضي الله عنهم، أن النبي ﷺ قال: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أعطى نوراً كما بين صنعاء إلى بصري، ومن قرأها في يوم جمعة حفظ إلى الجمعة الأخرى وعوفي من الداء والدّبيلة[4]، وذات الجنب، والبرص والجذام، والجنون وفتنة الدجال.

ولابن مردويه في تفسيره باسناد - قال المنذري: لا بأس[5] به - عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين.

---

(١) مجمع الزوائد ٥٣/٧ .
(٢) في د : آخر .
(٣) مصنف عبدالرزاق : كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم القرآن وفضلة ٣٧٧/٣ حديث رقم ٦٠٢٢ .
(٤) قال في النهاية ٩٩/٢ : هي خراج ودمّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً ، وهي تصغير دبلة ، وكل شيء جمع فقد دبل .
(٥) الترغيب والترهيب ٥١٣/١ .

ولأحمد في المسند، والطبراني، بسند حسن، عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قرأ أول سورة الكهف وآخرها، كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها، كانت له نوراً ما بين الأرض والسماء[(١)].

وعند البزار، واسحق بن راهويه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة: ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾[(٢)]، كان له نور من عدن أبين إلى مكة، حشوه الملائكة[(٣)].

قال المنذري[(٤)]: ورواته ثقات، إلا أن أبا قرة الأسدي[(٥)] لم يرو عنه - فيما أعلم - غير النضر بن شميل[(٦)].

ولأبي عبيد في الفضائل، والدارمي، كلاهما عن محمد بن كثير[(٧)]، عن

---

(١) مسند الامام أحمد ٤٣٩/٣ .

(٢) الآية الأخيرة من السورة .

(٣) قا عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره ١١٠/٣ : غريب جداً .

(٤) الترغيب والترهيب ٤٤٨/٢ .

(٥) قال الذهبي في الميزان ٥٦٤/٤ وفي المغنى في الضعفاء ٨٠٣/٢ مجهول .

(٦) هو أبو الحسن النضر بن شميل ، المازني البصري ، ثم الكوفي ، النحوي ، شيخ مرو وعالمها ، روى الحديث عن ابن جريج ، وشعبة وحماد بن سلمة ، وروى عنه ابن المديني ، وابن معين ، وابن راهويه وخلائق لا يحصون ، وكان اماماً في العربية والحديث . قال عنه الذهبي : ثقة حجة ، محتج به في الصحاح . مات سنة ٢٠٤ هجرية .

راجع : البداية والنهاية ٢٥٥/١٠ ، تذكرة الحفاظ ٣١٤/١ .

وبغية الوعاة ٣١٦/٢ ، طبقات القراء ٢٤١/١ .

وميزان الاعتدال ٢٥٨/٤ ، طبقات الحفاظ ص ١٣١ .

(٧) هو أبو يوسف محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي ، الصنعاني ، ثم المصيصي ، المتوفي سنة ٢١٦ ، وثقه ابن سعد وابن معين ، وضعفه أبو داود ، وقال عنه البخاري : لين جداً .

راجع : الخلاصة ص ٣٥٧ . والميزان ١٨/٤ ترجمة رقم ٨١٠٠ .

الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة، عن زر بن حبيش رحمه الله، أنه قال: من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل، قامها[1].

وقال: قال عبدة: فجربناه فوجدناه كذلك[2].

وقال ابن كثير: وقد جربناه ـ أيضاً ـ في السرايا غير مرة، فأقوم في الساعة التي أريد.

قال: وابتدىء من قوله: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً** ﴾[3]، إلى آخرها.

وللشيخين، وأحمد، والترمذي، عن البراء رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين[4]، فتغشته[5] سحابة فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزّلت للقرآن[6].

وهذا الرجل هو أسيد بن الحضير، كما مضى في البقرة[7].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة الكهف ٤٥٤/٢.

(٢) سنن الدارمي: الموضع السابق.

(٣) الآيات: ١٠٧ ـ ١١٠.

(٤) الشطنين ـ بفتح الشين المعجمة، والفاء المهملة ـ مفردهما شطن: الحبل الطويل.
راجع: النهاية ٤٧٥/٢. وشرح مسلم للنووي ٨١/٦.

(٥) أي أظلته وغطته.

(٦) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة ١٧٩/٤. وكتاب التفسير، سورة الفتح، باب هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ٤٥/٦. وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف ١٠٤/٦. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٨١/٦٦.
ومسند الامام أحمد ٢٩٣/٤.
وجامع الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الكهف ٢٣٦/٤ حديث رقم ٣٠٤٦.

(٧) راجع:

وقـال الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير: وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي[1]، عن علي (بن الحين، عن أبيه، عن علي)[2] مرفوعاً: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة، وإن خرج الدجال، عصم منه[3].

ولابن السنى عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم[4] تضره[5] (العين)[6].

ورواه البيهقي في الدعوات، ولفظه: ما أنعم الله على عبد نعمة في

---

(١) هو الإمام الحافظ، الحجة، محدث الشام، وشيخ السنة، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن، السعدي الحنبلي، ضياء الدين. ولد سنة ٥٦٩ هـ، وسمع ابن الجوزي والصيدلاني، ورحل إلى كثير من الأقطار طلباً للعلم، وكان ذا خبرة بالجرح والتعديل، حتى صار مرجعاً في هذا الشأن وكان ديّناً ثقة، ورعاً زاهداً. مات سنة ٦٤٣ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٤٠٥/٤، شذرات الذهب ٢٢٤/٥ وطبقات الحفاظ ص ٤٩٤.

(٢) ساقط من د.

(٣) تفسير ابن كثير ٧٧/٣.

(٤) عند ابن السني: لم تصبه.

(٥) ساقطة من د، وزدناها عن ابن السني.

(٦) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٨٦ حديث رقم ٢٠٦.
وذكره الإمام النووي في الأذكار ص ٢٨٣ ولم يعقب عليه.
لكنه حديث ضعيف الإسناد، لأن فيه ثمامة بن عبدالله بن أنس وهو ضعيف، رويت عنه أحاديث منكرة. (الميزان: ترجمة رقم ١٣٩٦). وفيه حجاج بن نصير البصري، ضعفه البخاري وأبو داود، والنسائي وأبو حاتم: (الميزان: ترجمة رقم ١٧٤٨).
وفيه سلمى بن عبدالله بن سلمى أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف غير ثقة عند أكثر علماء الجرح والتعديل (الميزان: ترجمة رقم ١٠٠٠٥).

أهل ولا مال أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت [1].

وبنحو هذا اللفظ رواه الأستاذ أبو عثمان الصابوني في كتاب «المائتين» وقال: وما أنعم الله على عبد نعمة من أهل، أو مال، أو ولد... الحديث.

(وقال)[2]: هذا حديث غريب الإسناد والمتن، ولا أعلم أني كتبته إلا من هذا الوجه.

وشرح ما تقدم من أسرار كثير مما تضمنته هذه الأخبار:

أما تخصيصها بيوم الجمعة، فلتذكيرها بالبداية من خلق آدم عليه السلام، والنهاية من قيام الساعة، الخاصين بيوم الجمعة[3]، مع ما فيها من لواحقها من ذكر الجنتين وإن اختلف الحالان. ومن ذكر قصة أصحاب الكهف بما فيها من الدلالة على البعث، ومن ضرب المثل للحياة الدنيا، ومن قصة الحشر، ومن قصة الحوت، وأمر ذي القرنين في السد وما يتبعه، وغير ذلك من نفخ الصور، وتلك التي تكون في البعث والنشور، وما ذكر في الجنان والنيران، من الثبور والحبور.

وأما ما ينشأ عنها من النور، ولكونها سورة الكتاب الهادي للصواب

---

(١) وأسنده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨٤/٣ إلى الحافظ أبي يعلى الموصلي، من طريق عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة وقال: قال الحافظ أبو الفتح الأزدي: عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة لا يصح حديثه.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة ١٤١/٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة.

الموصوف بدوام الاستقامة، المانعة من الشك والارتياب، والزلزلة والاضطراب وكذلك فعل النور بصاحبه، يوضح له الخفايا، ويفتح له الخبايا، وكل باب.

وأما السكينة: فلما خص الله به أصحاب الكهف وموسى والخضر وذا القرنين عليهم السلام، من الطمأنينة على الحق، والسكون على الخير، والنصر على المبطلين، وفي كونها سورة الكتاب أعظم مشير إلى ذلك، وكاشف لسره.

ولهذا كان ما تقدم في فضائل البقرة، الواصفة للكتاب المذكور، فيها آية السكينة الموروثة عن آل موسى وآل هارون، عليهم السلام: من دُنُوٍّ الملائكة والمصابيح المزهرة، لكونها سورة الكتاب المنير للألباب.

وأما عصمتها من الدجال: فلما فيها من التذكير بتنزيه الله تعالى عن كل نقص، وماله من القدرة التامة، وكل كمال، وما اتفق من عصمة أصحاب الكهف ممن ناوأهم والربط على قلوبهم مع ضعفهم، وكثرة المخالفين لهم.

والاكتفاء فيها بالعشر من أولها، لجمعه بين التنزيه والبعث، ولقاء الله الذي لا يكون شيء منها إلا بعد الدجال، بل وبعد الموت.

وذكر قصة أهل الكهف إجمالاً، وبالعشر من آخرها، لجمعها للبعث المذكور، والتنزيه والتوحيد، الذي وقع به الاختتام، المنافي للانقسام وقبول الانقسام بوجه، غلمعلم ببطلان أمر الدجال، إلى غير ذلك من الأسرار التي تدق عن الأفكار.

وبالثلاث لتنبيهها على التفكر في الكتاب، الهادي إلى كل صواب ولا سيما البشارة والنذارة، الموجبان للعدل، الحاملات على المتاب والعدول عن كل ارتياب، ولا علامها بالتوحيد بالبراءة من الولد، المستلزم قبوله للمجانسة

المستلزمة لنقسمة، المستلزمة للحاجة، المبرهنة على إبطال أمر الدجال، إلى غير ذلك من أمور لا تدخل تحت المقدور، وبدور لا تسع أنوارها الصدور، كما تشير إليه قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، والتسليم من أنه فوق كل ذي علم عليم.

سورة مريم عليها السلام

وتسمى - أيضاً - كهيعص.

مكية. قال الأصفهاني: قيل: باجماعهم، من غير خلاف علمناه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما - قال أبو حيان: ومقاتل[1] : هي مكية غير سجدتها.

وقيل: غير آيتين منها، قوله: ﴿ **فخلف من بعدهم** ﴾ والتي تليها[2].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها تسع وتسعون فيالمدني الأخير والمكي، وثمان في عدد الباقين.

اختلافها ثلاث آيات:

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان ٦/١٧٢.

(2) الآيتان: ٥٩ - ٦٠.

﴿ **كهيعص** ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ **في الكتاب ابراهيم** ﴾[2] عدها المدني الأخير والمكي، ولم يعدها الباقون. ﴿ **فليمدد له الرحمن مدا** ﴾[3]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون[4]. وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، أربعة مواضع: ﴿ **الرأس شيبا** ﴾[5]، ﴿ **وقرى عينا** ﴾[6]، ﴿ **للرحمن صوما** ﴾[7]، ﴿ **اهتدوا هدى** ﴾[8] وعكسه موضع:

﴿ **كن فيكون** ﴾[9].

ورويها ستة أحرف: أدم يزن[10].

مقصودها

ومقصودها: بيان اتصافه سبحانه بشمول (الرحمة)[11] بإضافة جميع النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه بجميع صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على ابداع المستغرب، المستلزم لتمام العلم، الموجب للقدرة على البعث، والتنزه عن الولد، لأنه لا يكون إلا لمحتاج، ولا يكون إلا مثل الوالد، ولا سمى له سبحانه، فضلاً عن مثيل[12].

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٤١.

(٣) الآية: ٧٥.

(٤) في د: لم يعدها الباقون، وعدها الكوفي.

(٥) الآية: ٤.

(٦، ٧) الآية: ٢٦.

(٨) الآية: ٧٦.

(٩) الآية: ٣٥.

(١٠) الهمزة: ﴿ ولا يظلمون شيئاً ﴾ الآية: ٦٠.
والميم: الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(١١) ساقطة من: د.

(١٢) في د: ولا يسمى له فضلاً سبحانه عن مثيل.

وعلى هذا دلت تسميتها بمريم، لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة، وشمول العلم، لأن أغرب ما في المخلوقات وأجمعه خلقاً الآدمي وأعجب أقسام توليده الأربعة: ما كان من أنثى بلا توسط ذكر، لأن ذلك أضعف الأقسام، وأغرب وجوه ذلك، أن يتولد منها ـ على ضعفها[1] ـ أقوى النوع، وهو الذكر، ولا سيما وقد أوتي قوة في الخلق والخلق، كما دل عليه وصفه هنا بغلام، ولا سيما وقد أوتي قوة الكلام والعلم والكتاب، التي هي خواص الآدمي في حال الطفولية[2]، ولا سيما إذا انضم إلى ذلك أن يخبر بسلامته الكاملة التي لا يشوبها نوع من عطب، فيكون الأمر كذلك، لم يقدر ـ ولا يقدر ـ أحد مع كثرة الأعداء، على أن يمسه بشيء من أذى، ثم حفظ في هذه المدد الطويلة، والدهور المديدة، في جميع جواهره وأعراضه.

هذا إلى ما جمعته القصة من اخراج الرطب في غير حينه من يابس الحطب ومن إنباع الماء في غير موضعه، وعلى مثل ذلك أيضاً دلت تسميتها، بما في أولها من الحروف المقطعة.

بيان ذلك: أن مخرج الكاف من أقصى اللسان، مما يلي الحلق ويحاذيه من (أسفل)[3] الحنك، وهي أدنى مخرج القاف قليلاً إلى مقدم الفم، ولها من الصفات الهمس، والشدة، والانفتاح، والاستفال.

ومخرج الهاء من أقصى الحلق، لكنها أدنى من الهمزة، إلى جهة اللسان قليلاً، ولها من الصفات: الهمس، والرخاوة، والانفتاح، والاستفال والخفاء.

---

(١) في د: ضعتها.

(٢) ربما كان الأوجه أن يقول: «التي هي ليست من خواص الآدمي في حال الطفولية» وإلا لكان بذلك مخالفاً للعادة، ومنافياً للمعجزة التي أظهرها الله تعالى بكلام عيسى وهو طفل في مهده، والتي ترتب عليها براءة أمه، وسلامة عرضها مما رميت به من الفاحشة. وبذلك يستقيم الكلام في ذاته، ومع ما ينضم إليه بعد.

(٣) ساقطة من: د.

ومخـرج الياء من وسط اللسـان، ووسط الحنـك الأعـلى، ولهـا من الصفات: الجهر، والرخاوة، والانفتاح، والاستفال، وهو أغلب صفاتها.

ومخرج العين، من وسط الحلق، ولها من الصفات: الجهر، وبين الشدة والرخاوة، والانفتاح والاستفال.

ومخرج الصاد: من طرف رأس اللسان، وبين أصول الثّنيتين السفليين وله من الصفات: الهمس، والرخاوة، والأطباق، والاستعلاء، والصفير.

فالافتتاح بهذه الأحرف في هذه السورة، إشارة - والله أعلم - إلى أن أهل الله عامة، من ذكر منهم في هذه السورة وغيرهم، يكون أمرهم عند الخالفين - أولاً - كما تشير إليه الكاف ضعيفاً، مع شدة وانفتاح، كما كان حال النبي ﷺ أول ما دعا إلى الله تعالى، فإنه اشتهر أمره، ولكنه كان ضعيفاً بإنكار قومه عليه، إلا أنهم لم يبالغوا في الإنكار، ثم يصير الأمر في أوائل العراك - كما تشير إليه الهاء - إلا استفال، ثم يزداد بتمالؤه المستكبرين عليهم ضعفاً وخفاء، وإلى هذا تشير قراءتها بالأمالة، ولا بد مع ذلك من نوع ظهور، كما يشير إليه انفتاح الهاء، وعليه نبهت قراءة الفتح.

وهكذا كما كان النبي ﷺ حين رح بسبّ آلهتهم وتسفيه أحلامهم، وتضليل آبائهم، فقاموا عليه البأ(١) واحداً، فهاجر أكثر الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة، وخاف أبو طالب عم النبي ﷺ دهماء(٢) العرب، فقال قصيدته اللامية(٣) الطويلة في ذلك، يستعيذ فيها بحرم الله وببيته من

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ١/٥٩: الألب - بالفتح والكسر -: القوم يجتمعون على عداوة انسان، وقد تألّبوا: أي اجتمعوا.

(٢) قال في اللسان ١٢/٢١٢: الدهماء: العدد الكثير، ودهماء الناس: جماعتهم وكثرتهم.

(٣) القصيدة في سيرة ابن هشام ١/٢٧٢ ومطلعها.

وَلَّمـا رأيـتُ الـقـوم لا وُدَّ فـيـهـم ... وقـد قطعـوا كل العـرى والوسـائل

وتبلغ أربعاً وتسعين بيتاً، إلا أن ابن هشام عقب عليها بقوله:
هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

المبطلين، وتمادي الحال، حتى ألجأتهم قريش إلى الشِّعْب، فانحاز فيه بنو هاشم، وانضم معهم بنو المطلب، وتكوّن في وسط أمرهم ـ كما تشير إليه الياء وقراءتها بالفتح ـ لهم قوة، مع رخاوة واشتهار واستفال، وهو الأغلب عليهم ظاهراً، كما تشير إليه قراءة الأمالة فيكون ذلهم من وراء عز، وعزهم من ساتر ذل، فتنة من العليم الخبير ليتميز المخلص من غيره، يعرف ذلك من عاناه، ونظر إليه بعين الحقيقة واجتلاه، وهذا كما كان عند قيام من قام من قريش في نقض الصحيفة الظالمة وإخراجهم من الشعب، ثم كان عند موت خديجة رضي الله عنها وأبي طالب وخرج النبي ﷺ لما توالى عليه من المصائب إلى الطائف فردوه ـ بأبي هو وأمي ونفسي وولدي وعيني ـ على تلك الصورة التي يعرفها من طالع السيرة، فلما قرب من مكة المشرفة، لم يستطع دخولها بغير جوار فاختفى في غار حراء(١)، وأرسل إلى من يجيره، ثم أرسل، ثم كرر الارسال حتى أجاره المطعم بن عدي(٢)، فلبس السلاح هو ومن أطاعه من عشيرته وأدخله ﷺ، حتى طاف بالبيت، ثم انصرف إلى منزله ثم قضى الله سبحانه ـ وهو الذي يفعل ما يشاء، لا يسأل عما يشاء، ولا راد لحكمه، ولا معقب لأمره ـ أن قتل المطعم هذا في بدر كافراً إلى النار وبئس القرار، بعد أن اجتهد النبي ﷺ في سلامته، والايصاء به في أن لا يقتل، ليعلم أنه سبحانه مختار في عموم رحمته، التي أشارت إليها هذه السورة وخصوصها،

---

(١) في د: دحراء.

(٢) هو المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، زعيم بني نوفل في الجاهلية وكان قد عمي في كبره، ومات في السنة الثانية للهجرة قبل موقعة بدر مشركاً، وله بضع وتسعون سنة، وقد حفظ له الرسول ﷺ تلك اليد، روى البخاري في كتاب الخمس وكتاب المغازي من صحيحه: أن رسول الله ﷺ قال في أسرى بدر: لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتني لتركتهم له.
وروى الفاكهي باسناد مرسل: أن حسان بن ثابت رثاه لما مات مجازاة له على ما صنع للنبي ﷺ.
راجع: سيرة ابن هشام ١٥/٢. وفتح الباري ٣٢٤/٧.

لئلا ييأس عاص، أو يأمن طائع، وليظهر[1] سر قوله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الحديث بالرجل الفاجر»[2].

ثم إذا علا أمرهم عن الوسط صاعداً قوي[3]، كما تشير إليه العين، فصار بين الشدة والرخاوة، وفيه انفتاح بشهرة، مع استفال في بعض الأمر، كما كان حاله ﷺ عند مبايعة الأنصار رضوان الله عليهم.

وأما آخر أمرهم: فهو ـ وإن كان فيه نوع من الضعف، وضرب من الرخاوة واللين، كما كان في غزوة حنين والطائف ـ فإنه يعقبه قوة عظيمة بالأطباق واستعلاء[4] واشتهار يملأ الآفاق، كما يشير إليه الصغير.

هذا في أهل الله عامة، المذكورين في هذه السورة، وغيرهم.

---

(١) في د: ويظهر.

(٢) هذا حديث أخرجه الشيخان؛
البخاري: كتاب الجهاد، باب أن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ٣٤/٤، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧٤/٥، وكتاب القدر باب العمل بالخواتيم ٢١٢/٧.
ومسلم: كتاب الأيمان، باب غلط تحريم قتل الإنسان نفسه ١٢٢/٢. وسبب ورود هذا الحديث ـ واللفظ للبخاري في كتاب القدر ـ ما رواه سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال رسول الله لرجل ممن معه يدّعي الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال، قاتل الرجل من أشد القتال، وكثرت به الجراح فأثبتته فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت الذي تحدّثت أنه من أهل النار، قاتل في سبيل الله من أشهد القتال، فكثرت به الجراح. فقال النبي ﷺ: أما أنه من أهل النار. فكاد بعض المسلمين يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيده إلى كنانته، فانتزع منها سهماً فانتحر بها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله صدّق الله حديثك، فقد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

(٣) في د: قويا.

(٤) في د: الاستعلاء.

وأمَّا مَا يخص عيسى عليه الذي هو صورة سورتها، ومطمح إشارتها، فجعل الحروف اللسانية من هذه الحروف، أغلبها ثلاثة أحرف منها، إشارة إلى أن ابراهيم عليه السلام بما أعطى في نفسه وفي ذريته ولسان الصدق المذكور به، إجابة لدعوته في قوله: ﴿ **واجعل لي لسان صدق في الآخرين** ﴾[1]، وتحقيقاً لوعده في هذه السورة في قوله: ﴿ **وجعلنا لهم لسان صدق عليا** ﴾[2]، **هو لسان هذا الوجود، (وإلى أن)**[3] دولة إله الذين عيسع عليه السلام من أعيانهم، هي وسط هذا الوجود حقيقة وخياراً.

فموسى عليه السلام أول أصحاب شرائعهم بمنزلة القاف، التي هي من أقصى اللسان من أول مخارجه، وله حظ كبير منها، فإنه من أجله[4] قتل أبناء بني اسرائيل، وولد في سنة القتل[5]، وكان سبب هجرته وابتداء سيره إلى الله تعالى، قتله القبطي[6]، وقرب نجيا[7]، ومن صفاتها الجهر، والشدة والانفتاح والاستعلاء والقلقلة، وهو ﷺ عريق في كل من خيرات ذلك.

وداود عليه السلام ثاني ذوي كتبهم، بمنزلة الهمزة التي هي أبعد من مخرج الهاء إحدى هذه الحروف، وهو أول من جمع من بني اسرائيل بين الملك والنبوة، وله حظ من وصفها بالاستفال في أول أمره، وفي آخره بما كان من بكائه ونواحه، وتواضعه واخباته لربه وصلاحه.

---

(١) سورة الشعراء: آية ٨٤.

(٢) سورة مريم: آية ٥٠.

(٣) ساقطة من: ﻫ.

(٤) في د: من أجله قتل القبطي، وقرب أبناء بني اسرائيل. والعبارة ركيكة كما ترى.

(٥) ذكر المفسرون: أن فرعون لما أخبره السحرة أنه سيولد ولد من بني اسرائيل يكون سبباً في هلاكه وزوال ملكه، أمر بذبح كل طفل يولد في بني اسرائيل، فلما اشتد ذلك عليهم، جعل الذبح عاماً دون عام، فكان من قدرة الله عز وجل أن ولد موسى عليه السلام في العام الذي يكون فيه الذبح.

(٦) قتل موسى للقبطي مذكور في سورة القصص، الآية ١٥.

(٧) في تفسير القرطبي ١١/١١٤في قوله: «وقربناه نجيا» أي كلمناه من غير وحي.

فالكاف هنا إشارة إلى أن عيسى عليه السلام، هو ثاني الشارعين منهم في الوجود، وإلهاً، عبارة عن أنه من عقب داود، عليهما السلام، كل منهما له حظ من صفات الحرف المشير إليه، الدال عليه.

والصاد التي هي من طرف اللسان، وهي خاتمة هذه الحروف، إشارة ـ بما فيها من الأطباق، المشير إلى تطبيق الرسالة لجميع الوجود، ومن الاستعلاء المشير إلى نهاية العظمة، والصغير المشير إلى غاية الانتشار والشهرة ـ إلى محمد ﷺ، وإلى مقرر دينه ومجدّده عيسى عليه السلام، (ويشير الكاف ـ أيضاً ـ بما فيه من الصفات، إلى أن أول أمر عيسى عليه السلام)[1] يكون فيه مع الشدة ضعف.

ثم تشير ـ أيضاً ـ الهاء التي هي من أقصى الحلق، إلى أن أمره يبطن بعد ذلك الظهور، ويخفي بارتفاعه إلى السماء، ويدل وصفها بالاستفال على أن السماء التي يكون بها قريبة إلى العالم السفلي، وهو كذلك، فإنه في الثانية، بدلالة رتبة الكاف والهاء في مخرجهما.

وتشير الياء بجهرها إلى ظهور بنزوله، وتدل بكونها من وسط اللسان على تمكنه في أموره، وباعتلائها على شيء في ذلك، وهو ضعف الأتباع وحصرهم في ذلك الوقت، وتدل بانفتاحها ورخاوتها على ظهور على الدجال في أولئك القوم الذي جهدهم البلاء عند نزوله، ومسهم الضر قبل حلوله. وتليح غلبة الاستفال عليها إلى أمر يأجوج ومأجوج لما يوحيه إليه: «إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحدهم، فحرِّز عبادي إلى الطور»[2].

وتدل العين بكونها من وسط الحلق على انحصارهم، وبجهرها على أنه لا سبيل للعدو عليهم، ولا وصول بوجه إليهم، وبما فيها من البينية

---

(١) ما بين القوسين ساقط من؛ د.

(٢) هذه الجملة، لعلها من العهد القديم.

والاستفال على جهدهم مع حسن العاقبة، وتبشر بما فيها من الانفتاح بحصول الفتح الذي ليس فوقه فتح.

وتدل الصاد بمخرجها على القوة الزائدة، وبالهمس والرخاوة على أنها قوة لا بطش فيها، وبالأطباق والاستعلاء على عموم الدين جميع الناس، وبالصفير على أنه ليس وراء ذلك إلا النفخ في الصور، لعموم الهلاك لكل موجود مقطور ثم بعثرة القبور، وتحصيل ما في الصدور.

وكل هذا من ترتيب سنته سبحانه في المصطفين من عباده على هذا النحو البديع، وترتيب هذه الحروف على النظم الدال عليه، دائر على القدرة التامة، والعلم الشامل، والحكمة الباهرة، رحمهم سبحانه بأن نكبهم طريق الجبارين التي أوصلتهم إلى القسوة، وجنبهم سنن المستكبرين التي تلجىء - ولا بد - إلى الشقوة، فجعل نصرهم في لوامع انكسار، وكسرهم في جوامع انتصار، وحماهم من فخامة دائمة تجر إلى بذ وعلو واستكبار ومن رقة ثابتة تحمل على ذل وسفول وصغار، فلقد انطبق الأسمان على المسمى واتضحا غاية الاتضاح في أمره وتما[٢].

---

(١) يعني: جنبهم إياه، وعدل بهم عنه.
راجع: النهاية ٥/١١٢. واللسان ١/٧٧٠.

(٢) سورة مريم مكية، وغرضها الأصلي: تقرير التوحيد، توحيد الله عزّ وجل في ذاته، وصفاته وأفعاله، ونفي الولد والشريك عنه جل وعلا مع الإلمام بقضية البعث والجزاء، القائمة أساساً على قضية التوحيد فمحور السورة يدور حول الأيمان بوجود الله ووحدانيته، وبيان منهج المهتدين، ومنهج الضالين، وبيان أن الخلق مبعوثون للحساب والجزاء. ويسير السياق مع موضوعات السورة في ثلاثة أشواط:

الشوط الأول: يتضمن قصة ذكر يحيى، وقصة مريم وعيسى، ثم التعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.

والشوط الثاني: يتضمن حلقة من قصة ابراهيم مع أبيه وقومه، واعتزاله لملة الشرك وطائفة المشركين، ثم إشارات سريعة وموجزة إلى قصص النبيين ومن اهتدى بهديهم، =

فضائلها

وأما فضائلها: فقال أبو عبيد في الفضائل، حدثنا اسماعيل بن مجالد، عن هلال الوزان، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أنه قرأ سورة مريم عليها السلام حتى انتهى إلى السجدة ﴿ **وخروا سجدا وبكيا** ﴾[1]، فسجد بها، فلما رفع رأسه قال: هذه السجدة قد سجدناها، فأين البكاء[2]؟.

وروى أحمد ـ قال الهيثمي: رجاله ثقات[3] ـ عن جابر بن عبدالله

= ومن خلف من بعدهم من الغواة، ومصير هؤلاء وهؤلاء، ثم ينتهي الحديث باعلان الربوبية الواحدة «رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده، واصطبر لعبادته، هل تعلم له سميا».

والشوط الثالث والأخير: يبدأ بالجدل حول قضية البعث، ويستعرض بعض مشاهد القيامة، ويعرض صورة حركية من استنكار الوجود كله لدعوى الشرك:

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئاً ادًا. تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا. إن كل من في السموات والأرض إلى آتى الرحمن عبدا ﴾.

وسميت السورة: سورة مريم، تخليداً لتلك المعجزة الهائلة، التي تتمثل في انجاب إنسان من أم بلا أب، ثم انطاق الله للوليد وهو طفل رضيع في مهده، وما جرى من أحداث عجيبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام.

راجع: الظلال ٤/٢٢٩٩. وصفوة التفاسير ٨/٣٤.

(١) الآية: ٥٨.

(٢) فيه اسماعيل بن مجالد بن سعيد، وثقة ابن معين، وضعفه النسائي والدارقطني والسعدي، ونقل الذهبي عن البخاري، أنه صدوق.
راجع: الميزان ١/٢٤٩.

ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير ١٦/٧٣ وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/١٣٧ من طريق سفيان الثوري عن أبي معمر، وفيه: أن القارىء عمر بن الخطاب، وأنه القائل: هذا السجود فأين البكيّ.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٥٥.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/١٣٢: غريب ولم يخرجوه.

رضي الله عنها ـ وقد اختلف ناس في ورود النار ـ فأهوى بأصبعه إلى أذنيه وقال: صمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر، إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم عليه السلام، حتى أن للنار ـ أو قال: لجهنم ـ ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا(١).

وروى الإمام أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة هجرتهم إلى الحبشة والنجاشي، وفيه: أنه دعا أساقفته، فنشروا مصاحفهم(٢) حوله وقال لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: هل معك مما جاء به ـ يعني النبي ﷺ ـ من شيء؟، قال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من «كهيعص»، قالت: فبكى والله النجاشي، حتى اخضل لحيته، وبكت أساقفته، حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: والله إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة(٣).

وروى ابن المبارك، عن عباد المنقري(٤)، عن بكر المزني(٥) قال: لما

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/٣٢٨.

ولكن يعارضه حديث أم مبشر: أنَّها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: لا يدخل النار ـ إن شاء الله ـ من أصحاب الشجرة أحد: الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهزها فقالت حفصة: «وإن منكم إلا واردها»؟. فقال النبي ﷺ: قد قال الله تعالى: ﴿ ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾.

أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب الشجرة ١٦/٥٧.

قال النووي في شرح مسلم ١٦/٥٨: والصحيح: أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون.

(٢) المراد: صحفهم التي نسخوها من الأناجيل.

(٣) مسند الإمام أحمد ١/٢٠١، ٥/٢٩.

(٤) قال الذهبي في المغنى: عباد بن ميسرة المنقري، ضعفه أحمد وابن معين، اهـ مختصراً.

(٥) هو أبو عبدالله بكر بن عبدالله بن عمرو بن هلال المزني البصري أحد الأعلام، قال =

نزلت هذه الآية: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[1]، ذهب ابن رواحة[2] إلى بيته، فبكى فجاءت امـرأته فبكت، وجـاءت الخادم فبكت، وجـاء أهل البيتفجعلوا يبكون، فلما انقضت عبرته قال: يا أهلاه ما يبكيكم؟ قالوا: لا ندري، ولكنا رأيناك بكيت فبكينا، قال: آية نزلت على رسول الله ﷺ ينبئني فيها ربي أني وارد النار، ولم ينبئني أني أصدر عنها[3].

= ابن سعد: كان ثقة ثبتا، مأموناً حجة، فقيهاً روى عن عبدالله بن عمـر، وابن عباس، والمغيرة بن شعبة. وتوفي سنة ١٠٦ وقيل: ١٠٨ هـ.
راجع: الخلاصة ص ٥١.

(١) سورة مريم: آية ٧١.

(٢) هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس، بن عمرو بن امرىء القيس، من سلالة الخزرج بن الحارث الأنصاري، الشاعر المشهور كان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدراً وما بعدها، وكان أحد قواد المسلمين في غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة، وفيها مات شهيدا رضي الله عنه.
راجع: الإصابة ٢/٢٩٨.
والاستيعاب على هامش الإصابة ٢/٢٨٤.

(٣) كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٠٤ رقم ٣٠٩.
وفيه عن الحسن ص ٤٠ حديث رقم ١٢٣.

سورة طه

وتسمى: سورة موسى عليه السلام.
مكية اجماعاً.

عدد آياتها

وآيها مائة وثلاثون وآيتان بصري، وأربع مدنيان ومكي، وخمس كوفي وأربعون شامي.

اختلافها إحدى وعشرون آية:

﴿ **طه** ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ **نسبحك كثيراً** ﴾[2]، وكذا: ﴿ **ونذكرك كثيراً** ﴾[3]، لم يعدهما البصري وعدهما الباقون.

---

(١) الآية: ١.
(٢) الآية: ٣٣.
(٣) الآية: ٣٤.

﴿ ومحبة مني ﴾[1]، لم يعدها الكوفي والبصري، وعدها الباقون.

﴿ كي تقر عينها ولا تحزن ﴾[2]،عدها الشامي، ولم يعدها الباقون)[3].

﴿ وفتناك فتوناً ﴾[4]، عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ في أهل مدين ﴾[5] عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾[6]، عدها الكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ فأرسل معنا بني إسرائيل ﴾[7] ، عدها الشامي وحده.

﴿ ولقد أوحينا إلى موسى ﴾[8]، عدها الشامي - أيضاً - وحده.

﴿ ما غشيهم ﴾[9] عدها الكوفي وحده.

﴿ غضبان أسفا ﴾[10]، عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ وعداً حسنا ﴾[11]، عدها المدني الأخير وحده.

﴿ ألقى السامري ﴾[12]،لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقون.

﴿ وإله موسى ﴾[13]، عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿فَنَسيَ﴾[14]، لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

---

(١) الآية: ٣٩.

(٢) الآية: ٤٠.

(٣) ما بين الحاضرين ساقط من: د.

(٤، ٥) الآية: ٤٠.

(٦) الآية: ٤١.

(٧) الآية: ٤٧.

(٨) الآية: ٧٧.

(٩) الآية: ٧٨.

(١٠، ١١) الآية: ٨٦.

(١٢) الآية: ٨٧.

(١٣، ١٤) الآية: ٨٨.

﴿ إليهم قولاً ﴾[1] عدها المدني الأخير وحده.

﴿ إذ رأيتهم ضلوا ﴾[2] عدها الكوفي وحده.

﴿ قاعا صفصفا ﴾[3]، لم يعدها المدنيان والمكي، وعدها الباقون.

﴿ منى هدى ﴾[4]، ﴿ زهرة الحياة الدنيا ﴾[5] لم يعدها الكوفي وحده.

ما يشبه الفاصلة فيها

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، اثنان وعشرون موضعاً: ﴿ فاعبدني ﴾[6]، ﴿ بآياتي ﴾[7]، ﴿ قولاً ليناً ﴾[8]، ﴿ فيها سبلا ﴾[9] ﴿ وبينك موعدا ﴾[10]، ﴿ على الله كذبا ﴾[11]، ﴿ ثم ائتوا صفا ﴾[12]، ﴿ سجدا ﴾[13]، ﴿ والذي فطرنا ﴾[14]، ﴿ ما أنت قاض ﴾[15]، ﴿ عليكم غضبي ﴾[16]، ﴿ بملكنا ﴾[17]، ﴿ جسداً له خوار ﴾[18]، ﴿ ولا

---

(١) الآية: ٨٩.
(٢) الآية: ٩٢.
(٣) الآية: ١٠٦.
(٤) الآية: ١٢٣.
(٥) الآية: ١٣١.
(٦) الآية: ١٤.
(٧) الآية: ٤٢.
(٨) الآية: ٤٤.
(٩) الآية: ٥٣.
(١٠) الآية: ٥٨.
(١١) الآية: ٦١.
(١٢) الآية: ٦٤.
(١٣) الآية: ٧٠.
(١٤، ١٥) الآية: ٧٢.
(١٦) الآية: ٨١.
(١٧) الآية: ٨٧.
(١٨) الآية: ٨٨.

برأسي ﴾ [1] ، **﴿ لا مساس ﴾** [2] ، **﴿ منها جميعاً ﴾** [3] ، **﴿ ضنكا ﴾** [4] ، **﴿ حشرتني أعمى ﴾** [5] ، **﴿ لزاماً ﴾** [6] ، **﴿ رزقا ﴾** [7] **﴿ رسولا ﴾** [8] .

وعكسه خمسة:

﴿ فتردى ﴾ [9]، **﴿ يا موسى ﴾** [10]، **﴿ المقدس طوى ﴾** [11]، **﴿ من أهلي ﴾** [12]، **﴿ هارون أخي ﴾** [13]، **﴿ على عيني ﴾** [14].

ورويها ستة عشر حرفاً: قدح، عوف، تاري، الخمسة.

تعتبر تاء التأنيث هاء للوقف، وتاء للوصل.

الهاء: **﴿ طه ﴾** [15]؛ فإن ألفها لبيان الحركة.

الياء: **﴿ السامري ﴾** [16] التاء: **﴿ أمتا ﴾** [17]؛ الواو: **﴿ سوى ﴾** [18]،

---

(١) الآية: ٩٤.

(٢) الآية: ٩٧.

(٣) الآية: ١٢٣.

(٤) الآية: ١٢٤.

(٥) الآية: ١٢٥٥.

(٦) الآية: ١٢٩.

(٧) الآية: ١٣٢.

(٨) الآية: ١٣٤.

(٩) الآية: ١٦.

(١٠) الآية: ١٧.

(١١) الآية: ١٢.

(١٢) الآية: ٢٩.

(١٣) الآية: ٣٠.

(١٤) الآية: ٣٩.

(١٥) الآية: ١١.

(١٦) الآيتان: ٨٧، ٩٥.

(١٧) الآية: ١٠٧.

(١٨) الآية: ٥٨.

الحاء: ﴿ ضحى ﴾[1]، فإن ألفها للتنوين.

مقصودها

ومقصودها: اعلام الداعي ﷺ باقبال المدعوين، والترفق إلى أن يكونوا أكثر الأمم زيادة في شرفه ﷺ.

وعلى هذا المقصد الشريف دل اسمها المشهور بطريق الرمز والإشارة ليتبين أهل الفطنة والبصارة، وذلك كما في أولها من الحروف المقطعة لأنه لما كان ختام سورة مريم عليها السلام حاملاً على الخوف العظيم، من أن تهلك أمته ﷺ قبل ظهور أمره الذي أمره الله به، وقبل اشتهار دعوته، لقلة من آمن منهم إذ ذاك، ابتدأه سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذي هو من رأس اللسان وأصول الثنيتين العليين، إلى قوة[2] أمره وانتشاره، وعلوه وكثرة أتباعه.

لأن هذا المخرج أكثر المخارج حروفاً، وأشدها حركة، وأوسعها انتشاراً، وبما فيها من صفات الجهر والاطباق، والاستعلاء والقلقلة، إلى انقلاب ما هو فيه من الأسرار جهراً، وما هو فيه من الرقة فخامة، لأنها من حروف التفخيم، وأنه يستعلي أمره، وينشر ذكره، حتى يطبق جميع الوجود ويقلقل سائر الأمم.

ولكن يكون ذلك مما تشير إليهالهاء، بمخرجها من أقصى الحلق، على حد بعده من طرف اللسان، مع طول كبير،وتماد كثير، بما فيها من صفات الهمس والرخاوة، والانفتاح، والاستفال، والخفاء، مع مخافته وضعف كبير، وهدوء وخفاء عظيم، ومقاساة شدائد كبار، مع نوع فخامة واشتهار وهو وإن

---

(١) الآية: ٥٩.

(٢) في د: قواه.

كان اشتهاراً يسيراً يغلب هذا الضعف كله وإن كان قوياً شديداً وقراءة الإمالة للهاء تشير إلى شدة الضعف، وقراءة التفخيم ـ هي لأكثر القراء ـ مشيرة إلى فخامة القدر، وقوة الأمر، بما لها من الانفتاح، وإن رئي أنه ليس كذلك.

«لقد أمر[1] أمره: أنه ليخافه ملك بني الأصفر»[2].

وإن كان معنى الحرفين: يا رجل، فهو إشارة إلى قوته، وعلو قدره، وفخامة ذكره، وانتشار أتباعه، وعموم أمره.

وإن كان إشارة إلى وطء الأرض فهو الاحة[2] إلى قوة التمكن، وعظيم القدرة، وبعد الصيت، حتى تصير الأرض كلها ملكاً له ولأتباعه، وملكاً لأمرائه وأشياعه، والله أعلم.

وذكر ابن الفرات[3] في تاريخه: أن هجرة الحبشة كانت في السنة الثامنة من المبعث.

---

(١) قال في النهاية ١/٦٥: أي كثر وارتفع شأنه.

وقال الحافظ في الفتح ١/٤٠: وهو بفتح الهمزة وكسر الميم: أي عظم. اهـ. هذه الكلمة لأبي سفيان، قالها لما ذهب في وفد قريش إلى الحبشة ليردوا المسلمين ولفظها ـ كما جاء في البخاري ـ لقد أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر.

صحيح البخاري: كتاب الوحي ١/٦.

وابن أبي كبشة: هو الرسول ﷺ، لأن أبا كبشة أحد أجداده (الفتح ١/٤٠).

وبنو الأصفر: الروم، أو ملوك الروم، قال عدي بن زيد:

وبنو الأصفر الكرام، ملوك الـ ... روم لم يبق منهم مذكور

قال في النهاية ٣/٣٧: وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اغزوا تغنموا بنات الأصفر، يعني الروم، لأن أباهم الأول كان أصفر اللون، وهو روم بن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١/٤٠: ويقال إن جدهم روم بن عيص تزوج بنت ملك الحبشة، فجاء لون ولده بين البياض والسواد، فقيل له: الأصفر.

وراجع: لسان العرب ٤/٤٦٥.

(٢) في د: الأخذ.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن العباس بن محمد بن الفرات البغدادي، الإمام الحافظ، كان =

فالظاهر - على ما يأتي في فضائلها من قصة اسلام عمر رضي الله عنه -: أن نزول هذه السورة، أولها، كان قريب هجرة الحبشة، فيكون سبحانه قد رمز له ﷺ على ما هو ألذ في محادثة الأحباب، من صريح الخطاب، بعدد مسمى الطاء، إلى أن وهن الكفار الوهن الشديد، يقع في السنة التاسعة من نزولها، وذلك في غزوة بدر الموعد في سنة أربع من الهجرة، وبعدد اسمها إلى أن الفتحالأول يكون في السنة الحادية عشرة من نزولها، وذلك في عمرة الحديبية في ذي القعدة، سنة ست من الهجرة عند نزول سورة الفتح.

ورمز له بعدد مسمى الهاء إلى أن مبدأ النصرة بالهجرة في السنة الخامسة من نزولها، وذلك في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة.

وبعدد حرفي اسمها - لا بعدد اسميها - إلى أنه في السنة الثالثة عشرة من نزولها، يكون الفتح الأكبر بالاستعلاء على مكة المشرفة، الذي كان سبباً قريباً للاستعلاء على جميع الأرض، وذلك في أواخرها في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة، وكان تمامه بفتح الطائف، بارسال وفدهم وإسلامهم وهدم طاغيتهم في سنة تسع، وهي السنة الرابعة عشرة.

وبعدد اسميها: إلى أن تطبيق أكثر الأرض بالإسلام، يكون في السنة الثامنة عشرة من نزولها، وذلك بخلافة عمر رضي الله عنه، وهو الوزير المطلوب باشارتها التي[1] كانت سبب إسلامه، وكانت خلافته في السنة الثالثة عشرة من الهجرة.

= حجة في الضبط، وغاية في النقل، قال الذهبي: وكتابه هو الحجة في صحة النقل وجودة الضبط، وقال العتقي: ثقة مأمون، مات سنة ٣٨٤ هـ عن بضع وستين سنة. راجع: تذكرة الحفاظ ١٠١٥/٣. وتاريخ بغداد ١٢٢/٣. وطبقات الحفاظ ص ٤٠٢.

(١) في م: الذي.

وكذا دل مقصودها باضافتها إلى موسى عليه السلام، بتأصل قصته وما كان فيها من قدرة الله وحكمته. والله الموفق[1].

---

(١) سورة طه مكية النزول، وهي تلم بذات الأهداف التي تهدف إلى بيانها السور المكية، فهي تركز على عرض الأصول العقائدية وهي: التوحيد والنبوة والبعث.

والسورة تبدأ وتختم خطاباً للنبي ﷺ، ببيان وظيفته، وحدود تكاليفه، فليس ما وكل إليه شقاء كتب عليه، ولا عناء يعذب به، وإنما هي الدعوة والتذكير، والإنذار والتبشير:

﴿ طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأرض والسموات العلى ﴾.

وبين المطلع والختام تعرض السورة لقصص بعض الأنبياء، تسلية لرسول الله ﷺ، وتطميناً لقلبه، فذكر بالتفصيل قصة موسى عليه السلام، وبخاصة موقف المناجاة بينه وبين الله، وموقف الجدل بينه وبين فرعون، ثم بينه وبين السحرة، ومن خلال هذا العرض المفصل تتجلى رعاية الله لموسى وعنايته بأوليائه من الأنبياء والمرسلين، فقال له ولأخيه هارون: «لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى» ثم عرضت السورة لقصة آدم عليه السلام في سرعة خاطفة، برزت فيها رحمة الله بآدم، وهدايته له.

ومع مراحل الآيات تتجلى مواقف القيامة ظاهرة بارزة للعيان، في مشهد لم يسبق له وصف فيما مضى من سورة القرآن: ﴿ ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا، فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ﴾.

ثم تختم السورة بتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ وحثه على الصبر على ما يلقاه من أذى قومه، وأن يكون دائم اللجوء إلى الله عز وجل، وبيان المصير المحتوم الذي ينتظر أولئك المعاندين:

﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروضها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضي ﴾.

﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع أياتك من قبل أن نذل ونخزي، قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ﴾.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، عن شهر بن حوشب رحمه الله قال: يرفع القرآن عن أهل الجنة، إلا طه ويس.

ولابن ماجة، والطبراني في الأوسط في ترجمة موسى بن سهل أبي عمران الجوني(١)، والحاكم، والمخلّص(٢) في التاسع من فوائده، عن أبي أمامة(٣) رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، في سور ثلاث: في البقرة، وآل عمران، وطه(٤).

قال القاسم: فالتمستها، أنه: ﴿ **الحي القيوم** ﴾(٥).

---

(١) قال الذهبي: من ثقات الرحالين، وكان من علماء الحديث ومسنديهم كانت إقامته ببغداد، وهو بصري المولد، والمنشأ، توفي سنة ١٣٧ في شهر رجب.
راجع: تذكرة الحفاظ ٧٦٣/٢. وطبقات الحفاظ ص ٣٢١.

(٢) هو أبو طاهر المخلّص: محمد بن عبد الرحمن بن العباس، المتوفي سنة ٣٩٣ هـ. تقدمت ترجمته.

(٣) هو أسعد بن زرارة بن عدس، بن عبيد، بن ثعلبة بن غنم، الأنصاري الخزرجي، غلبت عليه كنيته فاشتهر بها، وكان ممن شهد بيعتي العقبة، وكان أحد النقباء بهما، وقيل: كان أول من بايع. ومات رحمه الله في شوال في السنة الأولى للهجرة.
راجع: الاستيعاب على هامش الإصابة ٥٧/١. والإصابة ٥٠/١.

(٤) سنن ابن ماجة: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ١٢٦٧/٢. حديث رقم ٣٨٥٦.
والمستدرك للحاكم: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم الذي ذا دعى به أجاب ٥٠٥/١.
وفي مسند ابن ماجة غيلان بن أنس الكلبي أبو مرشد الدمشقي سكتوا عنه فلم يتكلم فيه أحد بجرح ولا تعديل، (راجعه في الخلاصة ص ٣٠٧)، وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٥) سورة البقرة: آية ٢٥٥، وسورة آل عمران: آية ٢، وسورة طه: آية ١١١.

قال ابن رجب: قال هشام بن عمار[1]: ﴿ هو الحي القيوم ﴾.

وللطبراني في الأوسط - أيضاً - والدارمي في المسند، والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله قرأ طه ويس، قبل أن يخلق آدم عليه السلام - في رواية الدامي: قبل أن يخلق السموات والأرض - بألف عام، فلما سمعت الملائكة القرآن، قالت: طوبى لأمة ينزل هذا عليها، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا[2].

قال شيخنا حافظ العصر ابن حجر: وقد زعم ابن حيان: أنه موضوع وتبعه ابن الجوزي.

وقال الهيثمي: في سند الطبراني ابراهيم بن مهاجر بن مسمار ضعفه البخاري بهذا الحديث، ووثقه ابن معين[3].

---

(١) هو أبو الوليد شيخ الإسلام هشام بن عمار بن نصير، بن ميسرة الدمشقي، خطيب دمشق ومقرئها ومحدثها ومفتيها، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، روى الحديث عن مالك، ومسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة، وخلائق، وحدث عنه البخاري وأبو عبيد، وأبو داود، والنسائي، بل حدّث عنه شيخه الوليد ابن مسلم، ومحمد بن شعيب، ويكفيه ذلك في بيان ثقته وعدالته وضبطه، وتوفي في شهر المحرم سنة ٢٤٥ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٤٥١. وشذرات الذهب ٢/١٠٩. وطبقات القراء ٢/٣٥٤. والخلاصة ص ٣٥٢. وطبقات الحفاظ ص ١٩٧.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة طه ويس ٢/٢٥٦ والأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٣٢.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٥٦.

وكذا هو في سنن الدارمي، والبيهقي.

وترجمة ابراهيم بن مهاجر في الميزان ١/٦٧ الترجمة رقم ٢٢٤؛ والمغني في الضعفاء للذهبي ١/٢٧ الترجمة رقم ١٨٨.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: هذا غريب، وفيه نكارة، وإبراهيم ابن مهاجر وشيخه(١) تكلم فيهما(٢).

ولأبي يعلى، عن معقل بن يسار، رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: اعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه، ما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله، وإلى أولى العلم من بعدي كما يخبروكم، وآمنوا بالتوراة والانجيل والزبور، وما أوتي النبيون من ربهم، وليسعكم القرآن، وما فيه من البيان، فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق، وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأولى، وأعطيت طه، والطواسين والحواميم، من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة.

وسيعاد هذا الحديث في الشعراء.

وأخرج الحاكم منه من قوله: وأعطيت طه، إلى آخره(٣).

قال ابن رجب في كتابه الاستغناء بالقرآن، وقال: صحيح الاسناد(٤).

وليس كما قال، عبد الله بن أبي حميد ضعيف جداً(٥).

---

(١) شيخه هو عمر بن حفص بن ذكوان العبدي، قال الإمام أحمد: تركنا حديثه وحرقناه.

راجع: الميزان ١٨٩/٣ الترجمة رقم ٦٠٧٥. والمغني في الضعفاء ٤٦٣/٢ الترجمة رقم ٤٤٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١٤١/٣.

(٣) بل أخرجه الحاكم بتمامه: كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ القرآن وتعلمه وعمل بما فيه.. الخ ٥٦٨/١.

(٤) نعم، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله عبيد الله، قال أحمد: تركوا حديثه.

(٥) راجع ترجمته في الميزان ٥/٣ الترجمة رقم ٥٣٥٤.

وفيه: قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك. وقال أحمد: ترك الناس حديثه.

ورواه من طريق أخرى، أولها: أعطيت البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه، إلى آخره.

قال: وأخرجه هشام بن عمار في كتاب «المبعث» له، ولفظه: أعطيت مكان التوراة السبع الطول، وأعطيت مكان الانجيل المئين، وأعطيت مكان الزبور المثاني، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة تحت العرش لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة.

وروى أبو عبيد في الفضائل عن ابن عوف[1] قال: حدثني رجل من أهل الكوفة أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صلى ليلة، قال: فذكروا ذاك فقال بعضهم: هذا مقام صاحبكم منذ الليلة يردد آية، حتى أصبح قال ابن عوف: بلغني أن الآية ﴿ رب زدني علماً ﴾[2].

وروى الطبراني في الكبير بسند - قال الهيثمي: فيه يحيى بن سعيد العطار، وهو ضعيف[3] - عن جرير[4] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾[5] قال: قبل طلوع الشمس: صلاة الصبح، وقبل غروبها: صلاة العصر[6].

---

(١) هو عبدالله بن عون بن أرطبان المزني، المتوفي سنة ظدظ هجرية. تقدمت ترجمته.

(٢) الآية: ١١٤.

(٣) مجمع الزوائد ٦٧/٧.

(٤) هو جرير بن عبد الله البجلي، الصحابي المشهور، يكنى أبا عمر وقيل: أبا عبد الله، سكن الكوفة، واعتزل علياً ومعاوية، مات سنة ٥١ وقيل: ٥٤ هـ.
راجع: الاصابة ٢٢٣/١.

(٥) آية: ١٣٠ من السورة.

(٦) حديث جرير أخرجه البخاري ومسلم.

=

وللطبراني في الأوسط بسند ـ قال الهيثمي: رجاله ثقات [1] ـ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيف، أمرهم بالصلاة، ثم قرأ[2]: وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، الآية [3].

ومن أعظم فضائلها: أن قراءة أولها كان سبباً لاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الفاروق، الذي كان إسلامه فتحاً أيد الله به هذا الدين ففرق به بين الحق والباطل، فعزّ به المسلمون، فرغب في الإسلام بسبب ذلك من وفقه الله له، وذلك هو عين مقصودها.

روى عبد بن حميد في مسنده، والبيهقي في دلائل النبوة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ أعزّ الدين ـ وقال البيهقي: الإسلام ـ بأحب هذين الرجلين إليك: أبو جهل[4] ابن هشام، أو عمر بن الخطاب ـ وقال عبد: بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام ـ قال: فكان ـ يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أحبهما إلى الله تعالى[5].

= أما ما في مسلم ١٣٤/٥: ثم قرأ جرير: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها (طه: آية ١٣٠).
وفي رواية البخاري ١٣٨/١ كتاب المواقيت: ثم قرأ ـ أي رسول الله ﷺ ـ: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (ق: آية ٣٩).

(١) مجمع الزوائد ٦٧/٧.

(٢) سورة طه: آية ١٣٢.

(٣) وروى ابن أبي حاتم عن ثابت قال: كان النبي ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله: يا أهيلاه صلوا صلوا، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة.
راجع: ابن كثير ١٧١/٣.

(٤) في د: أبي.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٣/٢.

وقال عبد: فكان أحبهما إليه عمر رضي الله عنه.

وروى البيهقي - أيضاً - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج عمر رضي الله عنه متقلداً السيف، فلقيه رجل(١) من بني زهرة، فقال له: أين تعمد يا عمر؟. قال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة، وقد قتلت محمداً؟.

قال: فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت(٢) وتركت دينك الذي أنت عليه؟. قال: أفلا أدلك على العجب؟. ان ختنك(٣) وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه.

قال: فمشى عمر زامراً - يعني غضبان - حتى أتاهما، وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب(٤)، فلما سمع خباب رضي الله عنه بحس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينمة(٥) التي سمعتها عندكم؟.

قال: وكانوا يقرأون «طه»، فقالا: (كان)(٦) حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما؟. فقال له ختنه: يا عمر إن كان الحق في غير دينك، قال: فوثب عمر على ختنه - وفي رواية: زوج أخته - سعيد بن زيد ابن

---

(١) في سيرة ابن هشام ٣٤٤/١: فلقيه نعيم بن عبد الله.
(٢) في النهاية ٣/٣: يقال صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين آخر.
(٣) يعني: زوج أخته.
(٤) هو أبو عبد الله خباب بن الأرث بن جندلة التميمي، وقيل: الخزاعي مولى أم أغار الخزاعية، كان من غلسابقين في الإسلام، وممن أوذي إيذاء شديداً، شهد بدراً وما بعدها، ونزل الكوفة فظل بها حتى توفي سنة ٣٧ هجرية.
راجع: الاصابة ٤١٦/١. والاستيعاب على هامش الاصابة ٤٢٣/١.
(٥) الهينمة: صوت كلام لا يفهم.
(٦) في الأصل كلمة غير هذه ولكنها غير مقروءة.

عمرو بن نفيل[1]، فوطئه وطئاً شدقداً[2].

قال فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها، فنفحها نفحة بيـده، فدمى وجهها فقالت ـ وهي غضبانة ـ: وإن كان الحق في غير دينك، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عنكم فأقرأه. قال: وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت له أخته: إنك رجس، وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، أو توضأ.

قال: فقام عمر فتوضأ، وأخذ الكتاب، فقرأ طه، حتى انتهى إلى: ﴿ **لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** ﴾[3].

قال: فقال عمر: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر رضي الله عنهما، خرج من البيت وقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام».

وكان رسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا.

قال: فانطلق عمر، حتى أتى للدار، وعلى باب الدار حمزة وطلحة رضي الله عنهما، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة، وجل القوم من عمر، فقال حمزة عم (رسول الله ﷺ)[4]. هذا[5] عمر، أن يرد الله

---

(١) أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، شهد أحداً، ولم يشهد بدراً لأنه لم يكن بالمدينة وقتها، وقصته مع أروى بنت أنيس مشهورة في إجابة دعوته عليها، وقد شهد اليرموك وفتح دمشق، وتوفي بالعقيق سنة خمسين، على خلاف في ذلك. (راجع: الاصابة ٢/٤٤).

(٢) كذا في سيرة ابن هشام ١/٣٤٤.

(٣) الآية: ١٤.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) في د: هذا هذا.

بعمر خيراً يسلم، فيتبع النبي ﷺ وأن يرد غير ذلك، يكن قتله علينا هيناً.

قال: والنبي ﷺ داخل(١) يوحى إليه، قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر رضي الله عنه، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل(٢) السيف، فقال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟. فهذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الإسلام - أو الدين - بعمر بن الخطاب. فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وإنك عبد الله ورسوله، وأسلم وقال: أخرج يا رسول الله(٣).

وقد رواه محمد بن اسحاق بن يسار في المغازي، وقال في الحديث: فقرأ طه، حتى إذا بلغ: ﴿ **إن الساعة آتية أكاد أخفيها لنجزي كل نفس بما تسعى - إلى قوله -: فتردى** ﴾(٤) وقرأ: ﴿ **إذا الشمس كورت - حتى بلغ -: علمت نفس ما أحضرت**(٥) ﴾، فأسلم عند ذلك(٦).

وروى البيهقي من طريق ابن اسحاق عن عبد العزيز(٧) بن عبد الله بن عامر ابن ربيعة، عن أمه ليلى(٨) رضي الله عنها قالت: كان عمر بن

---

(١) كذا في دلائل النبوة. والمراد: داخل الدار.

(٢) قال في النهاية ١/٤٤٢: أي عواتقه وصدره وأضلاعه.

(٣) دلائل النبوة ٢/٦.

(٤) الآية: ١٦.

(٥) الآية: ١٤.

(٦) دلائل النبوة ٢/٨.

(٧) ترجمته في تاريخ البخاري ٦/١٢ الترجمة رقم ١٥٢٧. والجرح والتعديل ٥/٣٨٥ الترجمة رقم ١٧٩٨.
ولم يذكر فيه أحد جرحاً ولا تعديلا.

(٨) هي ليلي بنت أبي حثمة بن حذيفة - ينتهي نسبها إلى كعب بن لؤى - القرشية العدوية، هاجرت الهجرتين، وهي أول ظعينة دخلت المدينة في الهجرة، ولم يذكر أحد تاريخ وفاتها.
راجع: الاصابة ٤/٤٠٠. والاستيعاب على هامش الاصابة ٢/٤٠١ وطبقات ابن سعد ٣/٣٨٧.

الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة جاءني عمر بن الخطاب وأنا على بعيري نريد أن نتوجه، فقال: أين أم عبد الله؟. فقلت له: آذيتمونا في ديننا فنذهب إلى أرض الله حيث لا نؤذي في عبادة الله[1]، فقال: صحبكم الله، ثم ذهب، فجاء زوجي عامر ابن ربيعة[2] رضي الله عنه، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر. فقال: ترجين يسلم؟. فقلت: نعم. قال: فوالله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وهذا من شدته على المسلمين، ثم رزقه الله تعالى الإسلام[3].

قال ابن إسحاق: والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلاً، وإحدى عشرة امرأة[4].

وروى هذا الحديث ابن هشام في تهذيب السيرة من طريق ابن اسحاق وزاد فيه: أنه اغتسل، كما أمرته أخته[5].

وفيه: أنه لما قرأ الآيات من صدر طه قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع ذلك خباب رضي الله عنه خرج إليه.

وفيه أشياء حسنة، وقد سقته مستوفى في «نظم الدرر»[6] مع أشياء حسنة.

وفيه: أنه أراد أن يعلم بإسلامه جميع قريش، فأتى أنقلهم للحديث

---

(١) في الأصل: عباد الله. والتصويب عن دلائل النبوة.

(٢) هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العنزي، كان أحد السابقين الأول، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، واستخلفه عثمان على المدينة، ومات سنة ٣٧ هجرية، بعد قتل عثمان بأيام.

راجع: الاصابة ٢/٢٤٠. وطبقات ابن سعد ٣/٣٨٧.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٤٢.

(٤) ودلائل النبوة ٢/٩.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٣٤٥.

(٦) نظم الدرر ١٢/٢٦٠ ط الهند.

جميل بن معمرة(1) فأخبره، فصرح بأعلى صوته: أن ابن الخطاب صبأ؛ فقال عمر: كذب، ولكني أسلمت، فثاروا إليه، فما برح يقـاتلهم حتى قامت الشمس على رؤوسهم وأعيا فقعد، وقال: أما والله لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا(2).

وروى البخاري، والبيهقي في الدلائل وهذا لفـظه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إني لعلي سطح، فرأيت الناس مجتمعين على رجل وهم يقولون: صبأ عمر، صبأ عمر، فجاء العاص بن وائل(3)، عليه قباء ديباج(4) فقال: إن كان عمر قد صبأ فمه أنا له جار، قال: فتفرق الناس عنـه فتعجبت من عزه(5).

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحي في كتابي، فضائل القرآن، وغريب الحديث عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً: أن النبي ﷺ مر هو وأصحابه على إبل لحي يقال لهم: بنو الملوح، أو بنو المصطلق، وقد عبست أبوالها من السمن، فتقنع بثوبه، ثم قرأ هذه الآية - وفي رواية: قول الله تعالى - : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا** ﴾ إلى آخر الآية(6).

قال: ومعنى «عبست»: أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها وذلك إنما يكون من كثرة الشحم، فذلك العبس(7).

---

(1) في سيرة ابن هشام 1/ معمرة. وفي نظم الدرر 2/264: معمر.

(2) نظم الدرر 2/264 ط الهند.

(3) هو العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي، والد عمرو بن العاص، كان زعيماً لبني سهم في الجاهلية، ومات على شركه قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة. الاعلام 3/247.

(4) قال في النهاية 2/97: هو الثياب المتخذة من الابريسم. يعني: الحرير.

(5) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب 4/242. ودلائل النبوة للبيهقي 2/8.

(6) غريب الحديث 3/9.

(7) غريب الحديث 3/10.

سورة الأنبياء عليهم السلام

مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآياتها مائة واثنتا عشرة في الكوفي، واحدى عشرة في الباقين.

اختلافها آية، ﴿ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم﴾[١]، عدهاالكوفي وحده. وفيها مما يشبه الفاصلة ولم يعد بإجماع: أربعة مواضع:

﴿أكثرهم لا يعلمون﴾[٢]، ﴿ولا يشفعون﴾[٣]، ﴿لكم ولما تعبدون﴾[٤] ﴿إنكم وما تعبدون﴾[٥].

---

(١) الآية: ٦٦.

(٢) الآية: ٢٤.

(٣) الآية: ٢٨.

(٤) الآية: ٦٧.

(٥) الآية: ٩٨.

وعكسه ثلاثة:

﴿ له إبراهيم ﴾[1]، ﴿ يا ابراهيم ﴾[2]، ﴿ على ابراهيم ﴾[3].

ورويها: من.

مقصودها

ومقصودها: الاستدلال على تحقق الساعة وقربها، ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها، على الجليل والحقير، لأن موجودها لا شريك له يعوقه عنها، وهو من لا يبدل القول لديه.

والدال على ذلك أوضح دلالة: مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام، ولا تستقل قصة منها استغلالاً ظاهراً لجميع[4] ذلك، كما بينته في أصل هذا الكتاب «نظم الدرر»[5]، ولا تخلو قصة من قصصهم عن دلالة على شيء من ذلك، فنسبت إلى الكل[6].

---

(١) الآية: ٦٠.

(٢) الآية: ٦٢.

(٣) الآية: ٦٩.

(٤) كذا بالاصل، ولعل الصواب: بجميع.

(٥) نظم الدرر ١٢/٣٧٨.

(٦) نعم سورة الأنبياء تركز على قصة البعث، وتبين أن الساعة لا محالة واقعة، وأنها وشيكة الوقوع، وقد حفلت ببيان ذلك في البدء والختام:
«اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون».
وقبيل الختام يأتي قوله تعالى:
«واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين».
ثم تعرض السورة إلى اثبات الوحي والرسالة، وبيان بشرية الرسول والمرسلين من قبله، وتوجيه أنظار المشركين إلى التعرف على تلك الحقيقة:
«بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون، ما =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو نعيم عن عبد الرحمن[1] بن زيد، بن أسلم، عن أبيه[2] عن عامر بن ربيعة[3] رضي الله عنه، أنه نزل به رجل من

= آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، وما جعلناهم جَسَداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين».

ثم تتجه السورة إلى تأصيل العقيدة في نفوس المخلوقين، وتشرح مظاهر القدرة، وتبين الدلائل المبثوثة في الأنفس والآفاق، لتنبه على عظمة الخالق، وأنه واحد لا شريك له:

﴿أم اتخذواآلهة من الأرض هم ينشرون، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾

والحديث عن وحدانية الله عز وجل كثير في السورة، ويحمل في طياته الأدلة والبراهين على تهافت دعوى الشريك ونسبة الولد إلى الله، وبيان أن الدعوة إلى التوحيد هي دعوة الرسل جميعاً:

«وما أرسلنا من قبلك من رسول الله نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون».

ثم تستعرض السورة جماعة الرسل في سلسلة طويلة استعراضاً سريعاً، يطول بعض الشيء عند عرض جانب من قصة إبراهيم عليه السلام، وعند ذكر داود وسليمان، ويقصر عند قصص نوح وموسى وهارون ولوط، واسماعيل وإدريس، وذي الكفل وذي النون وزكريا ويحيى، عليهم السلام.

فالسورة كما ترى تقصد إلى بيان الأصول العقائدية الثلاثة، وهي: التوحيد، والبعث، والرسالة.

راجع: الظلال ٤/٢٣٦٤.

وصفوة التفاسير ٣/٩.

(١) توفي سنة ١٨٢ هـ. ضعفه أحمد، وابن المديني، والنسائي، وغيرهم.

راجع: الخلاصة ص ٢٢٧. والميزان ٢/٥٦٤.

(٢) هو زيد بن أسلم العدوى المدني، روى عن أبيه وابن عمر، وجابر وعائشة، وكان من ثقات التابعين، مات سنة ١٣٦ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٣٢، الخلاصة ص ١٢٦، طبقات القراء ١/٢٩٦.

(٣) هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة العنزي - بإسكان النون - هاجر =

العرب، فأكرم مثواه وكلم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت رسول الله ﷺ وَادِياً، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك.

قال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ **اقترب[1] للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾[2].

(وروى)[3] الترمذي - واللفظ له - ، والنسائي، وابن السنى، والامام أحمد - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن محمد ابن سعد، بن أبي وقاص، وهو ثقة[4] -، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت، ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾[5]، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط استجاب الله له[6].

ولفظ الحاكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هل أدلكم على اسم الله الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب الدعوة التي دعا بها يونس عليه السلام، حيث نادى في الظلمات الثلاث[7]: لا إله إلا أنت

= الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، له اثنان وعشرون حديثاً، اتفق على اثنين منها، مات سنة ثلاث وثلاثين. وقيل: اثنين وثلاثين.
راجع: الإصابة ٢/ ٢٤٠. والخلاصة ص ١٨٤.

(١) سورة الأنبياء: آية ١.

(٢) الحلية ١/ ١٧٩.

(٣) ليست بالأصل.

(٤) مجمع الزوائد ٧/ ٦٨.

(٥) سورة الأنبياء: آية ٨٧.

(٦) صحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ٨٥ - ٥/ ١٩١ حديث رقم ٣٥٧٢.

(٧) المراد بالظلمات الثلاث: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر وظلمة الليل.

سبحانك إني كنت من الظالمين، فقال رجل: يا رسول الله هل كانت ليونس عليه السلام خاصة، أم للمؤمنين عامة؟. فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمع إلى قول الله عز وجل[1]: ﴿ **فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾[2].

ولفظ ابن السنى قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام: فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين[3].

وعند الامام أحمد في أوله قصة بين سعد وعثمان رضي الله عنهما[4].

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٨٨.

(٢) المستدرك: كتاب التفسير، سورة الأنبياء ٢/٣٨٢.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ١٣٤ حديث رقم ٣٤٥.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/١٧٠.

سورة الحج

مكية.

قال أبو عمرو الداني: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة في الذين تبارزوا يوم بدر، وهم ثلاثة مؤمنون: علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث[1] رضي الله عنهم، وثلاثة كافرون: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبه وهي قوله تعالى[2]: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم - إلى قوله -: وهدوا إلى صراط الحميد[3]﴾.

(١) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى، القرشي المطلبي، يكنى أبا الحارث - وقيل: أبا معاوية - كان أسن من رسول ار ﷺ بعشر سنين، كان مع رسول الله ﷺ بمكة، ثم هاجر إلى المدينة مع أخويه الطفيل والحصين ثم شهد بدراً، فكان له فيها غناء عظيم، ومشهد كريم، بارز فيها شيبة بن ربيعة، فضربه شيبة في رجله فقطعها، فمات متأثراً بها بعد بدر بليلة، رضي الله عنه.
راجع: الاستيعاب ٢/٤٣٦. والاصابة ٢/٤٤٢.

(٢) الآيات: ١٩ - ٢٤.

(٣) ويؤيده ما رواه البخاري في التفسير ٥/٢٤٢ عن علي وأبي ذر، ومسلم ١٨/١٦٦ عن =

هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن يسار[1]، إلا أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يذكر إلى أين ينتهين، وذكره عطاء.

وقيل عن ابن عباس: هي أربع آيات، وينتهين إلى (قوله)[2]: ﴿ الحريق ﴾[3]

وقال الجعبري: (قال)[4] ابن عباس: مكية إلا أربعاً، وعطاء: إلَّا سِتّاً.

واتفقا على أنهن من ﴿ **هذان خصمان** ﴾، إلى: ﴿ **الحميد** ﴾، فكأن عطاء عد ﴿ **الحميم** ﴾ و﴿ **الجلود** ﴾، ولم يعدهما ابن عباس[5].

وقال قتادة: الحج مدنية، إلا أربع آيات منها نزلت بمكة، وهن:

= أبي ذر: أن قوله تعالى: «هذان خصمان» نزلت في حمزة وصاحبيه علي وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.
وفي رواية للبخاري في المغازي ٦/٥: أن أبا ذر كان يقسم: لنزلت هؤلاء الآيات في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر.
قال ابن حجر في الاصابة ٤٤٢/٢: وكذا ذكره سائر من صنف في المغازي، أ هـ. مختصراً.

(١) هو أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني، القاضي، مولى ميمونة روى عن ميمونة، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وكان من الثقات المكثرين في الرواية، مات - رحمه الله - سنة ٩٧، وقيل: ١٠٣
راجع: تذكرة الحفاظ ٩٠/١، الخلاصة ص ٢٦٧، طبقات الحفاظ ص ٣٤، طبقات ابن سعد ١٢٩/٥.

(٢) زيادة عن «البيان» لأبي عمرو الداني.

(٣) البيان للداني: ورقة ٥٩.

(٤) زيادة ليست بالأصل، ويقتضيها السياق.

(٥) كذا قال أبو عمرو الداني في البيان: ورقة: ٥٩.

﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**[1]- **إلى قوله** - : **عذاب يوم عقيم** ﴾[2].

وعزاه الأصفهاني إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الجعبري: ويجمع بينهما بالأصالة والتبع.

قلت: ويقدح في هذا الجمع الاستثناء في كل قول، ومن أغرب الأشياء: أن البغوي قال: مكية، إلا عشر آيات[3] من قوله: ﴿ **هذان خصمان** - **إلى قوله** - : **وهُدُوا إلى صراط الحميد**[4] ﴾.

وقال الأصفهاني: وقال أبو سليمان الدمشقي: أولها مدني، إلى قوله: ﴿**وبشر المحسنين**﴾[5]، وسائرها مكي.

وقال هبة الله بن سلامة[6]: هي من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكياً ومدنياً، وحضرياً وسفرياً، وحربياً وسِلْمِيّاً، وليلياً ونهارياً، وناسخاً ومنسوخاً.

فأما المكي: فمن رأس الثلاثين إلى آخرها، وأما المدني: فمن رأس

---

(١) الآيات: ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) رواه عن قتادة أبو عمرو الداني في البيان: ورقة ٥٩.

(٣) كلام البغوي هكذا:
«مكية إلا» ومن الناس من يعبد الله» الآيتين، أو إلا: «هذان خصمان» لست آيات فمدنيات».

(٤) تفسير البغوي على هامش الخازن ٥/٢.

(٥) الآية: ٣٧.

(٦) هو أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، البغدادي الضرير المفسر، صاحب كتاب «الناسخ والمنسوخ»، أمام حافظ، كان أحفظ أهل زمانه لتفسير القرآن، وتوفي ببغداد سنة عشر وأربعمائة.
راجع: طبقات القراء ٣٥١/٢.

خمس وعشرين، إلى رأس ثلاثين منها، وأما الليلي: فمن أولها، إلى رأس خمس آيات، وأما النهاري: فمن رأس خمس، إلى رأس تسع، وأما السفري: فمن رأس تسع، إلى اثنتي عشرة، وأما الحضري: فإلى رأس العشرين[1].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها أربع وسبعون في الشامي، وخمس في البصري، وست في المدنيين وسبع في المكي، وثمان في الكوفي.

اختلافها خمس آيات:

﴿ **من فوق رؤوسهم الحميم** ﴾[2]، ﴿ **والجلود** ﴾[3]، عدها الكوفي وحده.

﴿ **وعاد وثمود** ﴾[4]، لم يعدها الشامي.

﴿ **وقوم لوط** ﴾[5]، لم يعدها البصري والشامي، وعدها الباقون.

﴿ **هو سماكم المسلمين** ﴾[6]، عدها المكي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، أربعة مواضع:

﴿ ثياب من نار ﴾[7]، ﴿ والباد ﴾[8]، ﴿ فأمليت للكافرين ﴾[9]، ﴿ معاجزين ﴾[10].

---

(١) وأما الناسخ والمنسوخ، ففيها ناسخ فقط، وليس فيها منسوخ.
راجع: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٧١٨٦

(٢) الآية: ١٩.

(٣) الآية: ٢٠.

(٤) الآية: ٤٢.

(٥) الآية: ٤٣.

(٦) الآية: ٧٨.

(٧) الآية: ١٩.

(٨) الآية: ٢٥.

(٩) الآية: ٤٤.

(١٠) الآية: ٥١.

وعكسه ثلاثة:

﴿ ما يشاء ﴾ [1]، **﴿ من حديد ﴾**[2]، **﴿ تقوى القلوب ﴾**[3].

ورويها: أنظم، زبرجد، قط [4].

الهمزة: **﴿ يشاء ﴾** [5].

مقصودها

ومقصودها: الحث على التقوى، المعلية عن دركة الاستحقاق الحكيم بالعدل، إلى درجة استئهال الأنعام بالفضل، في يوم الجمع، لطيف التذكير به [6].

---

(١) الآية: ١٨.

(٢) الآية: ٢١.

(٣) الآية: ٣٢.

(٤) أحد عشر حرفاً.

(٥) الآية: ١٨

والجيم: «من كل زوج بهيج» الآية ٥.

والزاي: «ان الله لقوي عزيز» الآية ٤٠.

والطاء: «وقوم لوط» الآية: ٤٣.

والظاء: «ما يغيظ» الآية: ١٥.

وباقي أحرف الروى مكررة في السورة.

(٦) سورة الحج تتناول جوانب التشريع، شأنها في ذلك شأن سائر السور المدنية التي تعني بأمور التشريع، إلا أن السورة يغلب عليها طابع القرآن المكي بدءاً وختاماً، وما بين البدء والختام، فموضوع الايمان والتوحيد، والانذار والتخويف، وموضوع البعث والجزاء ومشاهد القيامة وأصولها، هو الجو البارز في السورة، هذا إلى جانب موضوعات تشريعية كالاذن بالقتال، وأحكام الحج والهدى وغير ذلك من المواضيع التي هي من خصائص القرآن المدني، ولذا فقد عدها كثير من العلماء أنها من السور المشتركة بين المكي والمدني.

وقد بدأت السورة الكريمة بمطلع عنيف، ترتجف له القلوب، وتطيش من هوله العقول، ذلك هو الزلزال العنيف الذي يكون بين يدي الساعة، والذي يصل هوله إلى المرضعات الذاهلات عن أطفالهن والحوامل اللاتي يسقطن حملهن، والناس =

= يترنحون كأنهم سكرى من الخمر، وما بهم شيء من السكر، ولكنه الموقف الذي تتزلزل له القلوب:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسُكَـارَى ولكن عذاب الله شـديـد﴾.

ثم تتجه السورة إلى قضية البعث فتقيم الأدلة البينة على إمكان بعث الناس بعد موتهم، ثم الانتقال بهم إلى دار الجزاء، لينال كل واحد جزاءه حسب ما قدمت يداه:

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم...﴾.

﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبـور﴾.

ثم تنتقل السورة إلى الاذن للمؤمنين في قتال أعدائهم، وبيان الحكمة في الاذن لهم بالقتال، ومن خلال السياق يدور الحديث عن أهل الديانات المخـالفة، السـابقة للإسلام والمعاصرة له، مع بيان مصير كل جماعة من تلك الجماعات.

وفي السورة دعوة إلى تقوى الله، والعمل على خشيته والاخبات إليه وتبدو هذه الدعوة متناثرة في ثنايا السورة، كأنها ومضات مضيئة تنير للسالكين طريقهم:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عـظيم﴾.

﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾.

﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم...﴾.

«لن ينال الله لحومها ولا دماؤ ها ولكن يناله التقوى منكـم..﴾.

وعن قضية التوحيد تسوق السورة أمثلة لبيان حال المشركين، وحقيقة آلهتهم التي أشركوها مع الله:

﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾.

«يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، ما قدروا الله حق قدره إنَّ الله لقوي عزيز﴾.

والسورة تسمى: سورة الحج، تخليداً لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، حين انتهى من بناء البيت العتيق، وأمره الله أن ينادي في الناس لحج بيت الله الحرام.

راجع: الظلال ٢٤٠٥/٤. وصفوة التفاسير ٢٨/٩.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى عبد بن حميد في مسنده، والبزار ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خبّاب وهو ثقة[1] ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نزلت: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾[2] على النبي ﷺ وهو في مسير له، فرفع بها صوته، حتى ثاب[3] إليه أصحابه، فقال: أتدرون أي يوم هذا؟. (قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك)[4] يوم يقول الله عز وجل لآدم عليه السلام: يا آدم، قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد في الجنة[5]، فكبر[6] ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ثم قال رسول الله ﷺ: سددوا وقاربوا[7]، وأبشروا، فو الذي نفسي بيده، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة[8] في ذراع الدابة[9]، وإن معكم لخليقتين ما كانا

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٧٠.
وقال الذهبي في الميزان ٤/٣١٢: وثقه ابن معين وغيره.

(٢) سورة الحج: آية ١.

(٣) أي دنوا منه ﷺ، والتفوا حوله، ولأنهم كما في رواية الترمذي: كنا مع النبي ﷺ في سفر فتفاوت بين أصحابه في السفر.

(٤) ما بين الحاصرين زيادة عن مجمع الزوائد وكتب الستة.

(٥) كذا في م. وفي د: «إلى»، وما في الأصل موافق لرواية أحمد في المسند ١/٤٣٥.

(٦) أي شق وعظم عليهم.
وعند الترمذي: فيئس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة.
وفي مسند أحمد ٤/٤٣٥: فأبلس أصحابه حتى ما أضحوا بضاحكة.

(٧) قال في النهاية ٢/٣٠٢: أي اطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة وهو القصد في الأمر، والعدل فيه.

(٨) قال النووي في شرح مسلم ٣/٩٨: هي ـ بفتح الراء واسكان القاف ـ الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل.
ومثله في النهاية ٢/٢٥٤.

(٩) عند البخاري في صحيحه ٧/١٩٦ ومسلم ٣/٩٨: أو كالرقمة في ذراع الحمار.

مع شيء قط إلا كثّرتاه: يا جوج[1] وماجوج، ومن هلك من كفرة الأنس[2] والجن[3].

وقال ابن رجب: وروى الجورجاني[4] في كتاب «النواحين» عن النضر ابن عربي[5]، عمن حدثه، قال: كان النبي ﷺ في بعض أسفاره، إذ قال:

---

(١) أما يأجوج ومأجوج فهما غير مهموزين عند جمهور القراء وأهل اللغة وقرأ عاصم بالهمز فيهما، وأصله من أجيج النار، وهو صوتها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم، واضطرابهم بعضهم في بعض.

(٢) عند الترمذي وأحمد في المسند ٤٣٥/٤: من بني آدم وبني إبليس.

(٣) هذا الحديث بهذا السياق:
أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٣٢/٤، ٤٣٥.
والترمذي في كتاب التفسير من صحيحه ٥/٥ حديث رقم ١٧*٣، ٣٢١٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
كلاهما من حديث عمران بن حصين.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٢/٣. والبخاري: كتاب الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج ١٠٩/٤. وكتاب التفسير، باب وترى الناس سكارى «سورة الحج» ٢٤١/٥. وكتاب الرقاق، باب قوله عز وجل؛ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ١٩٦/٧. وكتاب التوحيد باب قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ١٩٤/٨.
ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ٩٧/٣.
كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.
وقد ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٠٥/٣ وتتبع طرقه.

(٤) هو الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن اسحاق السعدي كان بدمشق، روى عن أحمد ومسدد، وروى عنه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، مما يشهد له بالثقة والضبط. مات سنة ٢٥٩ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٥٤٩/٢. وطبقات الحفاظ ص ٢٤٤.

(٥) هو النضر بن عربي الباهلي الحراني، روى عن عطاء ومجاهد وروى عنه الثوري وأبو أسامة، وثقه ابن معين. مات سنة ١٦٨ هـ.
راجع: الخلاصة ص ٤٠٢.

يا بلال أنصت الناس، فأُوحى إليه، فتلا عليهم رسول الله ﷺ: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها** ﴾ (١) إلى آخر الآية. قال: فخر أصحاب رسول الله ﷺ حتى وقعت أعِنَّة (٢) الخيل على أعناقها من أيديهم.

وروى أبو عبيد عن خالد بن معدان (٣) قال: قال رسول الله ﷺ: فضلت سورة الحج على غيرها بسجدتين (٤).

وروى أبو عبيد، وأبو داود، والترمذي، وقال: ليس اسناده بالقوي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أفي الحج سجدتان؟. قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما (٥).

---

(١) سورة الحج: الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) الأعنة ـ جمع عنان ـ: الجبال، أو السيور التي تمسك بها الدابة.
اللسان ٢٩١/١٣ مادة عنن.

(٣) هو أبو عبد الله خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي الحمصي كان من فقهاء التابعين وأعيانهم، ولقي سبعين صحابياً، وموطنه بلاد الشام، ثقة في الرواية، مات سنة ثلاث ومائة، على خلاف في تاريخ وفاته.
راجع: تذكرة الحفاظ ٠/٣/١ والخلاصة ص ١٠٣. وشذرات الذهب ١٢٦/١. وطبقات الحفاظ ص ٣٦.

(٤) هذا حديث مرسل، لأن خالد بن معد أن لم يسمع من رسول الله ﷺ ولم يعاصره، ورواه أبو داود في المراسيل كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢١١/٣.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٢١/١ عن عقبة بن عامر مرفوعاً من طريق ابن لهيعة ومشرح بن عاهان، وسكت عليه.
وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢١١/٣: أن أبا داود قال في مرسل خالد بن معدان: وأسند من غير هذا الوجه، ولا يصح.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن ٥٨/٢ حديث رقم ١٤٠٢.
وصحيح الترمذي: كتاب السفر، باب في السجدة في الحج ٤٦/٢.
حديث رقم ٥٧٥.

وقال أبو عبيد: فلا يقرأها.

وهذا الحديث إنما ضعفوه بابْنِ لهيعة، ومشرح بن هاعان، وليس ضعفهما فاحشاً، بل هما ممن يحسن لهما، فقد أثنى على كل منهما غير واحد.

وقال شيخنا[1] في تقريبه ـ وهو لا يذكر إلا زبدة الأقوال ـ قال في ابن لهيعة: صدوق[2]، وفي مشرح مقبول[3]، وبين في خطبة كتابه: أن من يقول فيه ذلك لا يطلق عليه ضعيف[4]، فحديثهما حسن[5]، وأقل ما فيه أنه مقوّ لحديث عمرو بحيث يصير صحيحاً لغيره، أو قريباً من ذلك جداً.

ولأبي داود، وابن ماجة، والحاكم ـ قال النووي في شرح المهذب: باسناد حسن[6] ـ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ خمس عشر سجدة في القرآن، منها ثلاثة في المفصل[7] وفي سورة الحج سجدتان[8].

---

(١) يعني به شيخه الحافظ ابن حجر.

(٢) تقريب التهذيب ١/٤٤٤ الترجمة رقم ٥٧٤.
وقال الذهبي في المغنى ١/٣٥٢: ضعيف.

(٣) تقريب التهذيب ٢/٢٥٠ الترجمة رقم ١١٤٣.
وقال الذهبي في المغنى ٢/٦٥٩: صدوق، لينه ابن حبان.
وفي الميزان ٤/١١٧: عن ابن معين: ثقة.
وذكر العقيلي: أنه ممن جاء مع الحجاج إلى مكة، ونصب المنجنيق على الكعبة.

(٤) تقريب التهذيب ١/٥.

(٥) وقال المنذري في مختصر السنن ٢/١١٧: لا يحتج بحديثهما.

(٦) المجموع ٤/٦٣.

(٧) أول المفصل سورة ق على الصحيح.

(٨) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن ٢/٥٨ حديث رقم ١٤٠١.
وسنن ابن ماجة: كتاب اقامة الصلاة، باب عدد سجود القرآن ١/٣٣٥ حديث رقم ١٠٥٧.
والمستدرك للحاكم: كتاب الصلاة، باب خمس عشرة سجدة في القرآن ١/٢٢٣ وقال: هذا حديث رواته مصربون قد احتج الشيخان بأكثرهم.

وروى عبد الرزاق في جامعه، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، أن عمراً وابن عمر، رضي الله عنهما، كانا يسجدان في الحج سجدتين.

قال: وقال عمر[1] رضي الله عنه: فضلت بسجدتين[2].

وروى عبد الرزاق ـ أيضاً ـ عن الثوري، وأبو عبيد بن مروان بن معاوية[3] كلاهما عن عاصم بن سليمان[4]، عن أبي العالية[5]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فضلت سورة الحج بسجدتين[6].

---

(١) عند عبد الرزاق: ابن عمر.
وكذا عند البيهقي في السنن ٢/٣٧١.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب كم في القرآن من سجدة ٢/٣٤١ حديث رقم ٥٨٩٠.
ورواه البيهقي في السنن ٢/٣١٧.

(٣) هو أبو عبد الله مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري، الكوفي، روى عنه أحمد واسحق، وابن معين وابن المديني. توفي سنة ١٩٣ هـ.
قال صاحب الخلاصة: واسع الرواية جداً.
وقال الذهبي في الميزان: ثقة عالم، صاحب حديث، لكن يروي عمن دب ودرج، فيستأني في شيوخه.
راجع: الخلاصة ص ٣٧٣. والميزان ٤/٩٣ الترجمة رقم ٨٤٣٧.

(٤) هو التميمي البصري الأحول، المتوفي سنة ١٤١، روى عن أنس والشعبي وأبي عثمان النهدي، وعنه خلائق لا يحصون، كان من الحفاظ الثقات.
راجع: الخلاصة ص ١٨٢.

(٥) اسمه زياد بن فيروز، روى عن ابن عباس وابن عمر، وجماعة وثقة أبو زرعة، مات سنة ٩٠ هـ.
راجع: الخلاصة ص ٤٥٣.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب كم في القرآن من سجدة ٢/٣٤٢ حديث رقم ٥٨٩٤.

وروى أبو عبيد في الفضائل، فقال: حدثنا هشيم[1]، أنا منصور[2]، عن ابن سيرين، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سجد في الحج سجدتين وقال: إنْ هذه السورة فضلت على السور بسجدتين.

ولأبي عبيد عن الزهري قال: أول آية نزلت في القتال: ﴿ **أذن للذن يقاتلون بأنهم ظلموا** ﴾[3]، ثم ذكر القتال في آي كثيرة. انتهى[4].

ومثله لا يقال من قبل الرأي.

---

(١) هو أبو معاوية هشيم بن بشير السلمي الواسطي الحافظ، نزيل بغداد، روى عن الزهري وعمرو بن دينار وجماعة، وعنه أحمد وشعبة، والثوري وخلائق، كان ثقة حجة، توفي سنة ١٨٣ عن تسع وسبعين سنة.
راجع: الخلاصة ص ٤١٤.

(٢) هو أبو الحسن منصور بن المهاجر البزوري - بضم الباء والزاي الخفيفة - الواسطي، بيّاع القصب، روى عن هشيم، وعنه اسحاق بن وهب.
راجع: الخلاصة ٣٨٨.

(٣) سورة الحج: آية ٣٩.

(٤) وروى مثله عن ابن عباس.
أخرجه الترمذي ٥/٧.
والنسائي ٦/٢.
قال ابن كثير ٣/٢٢٥: واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية.

سورة المؤمنون

مكية اجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها مائة وثماني عشرة في الكوفي، وتسع عشرة عند الباقين. اختلافها آية.

﴿ **وأخاه هارون** ﴾[١]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل ولم يعد باجماع، ثلاثة مواضع:[٢] ﴿ **مما تأكلون** ﴾[٣]، ﴿ **وفار التنور** ﴾[٤]، ﴿ **عذاب شديد** ﴾[٥]. رويها: نم.

---

(١) الآية: ٤٥.

(٢) في كتاب البيان ـ للداني (ورقة: ٦٠) موضعان فقط الثاني والثالث.

(٣) الآية: ٣٣.

(٤) الآية: ٢٧.

(٥) الآية: ٧٧.

مقصودها

مقصودها: اختصاص المؤمنين بالفلاح.

واسمها واضح الدلالة على ذلك[1].

---

(١) سورة «المؤمنون» اسمها يدل عليها، ويحدد موضوعها الذي تتناوله فهي تبدأ ببيان صفات المؤمنين:

«قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون... والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون».

ثم يستطرد السياق فيثني بذكر دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق فيعرض أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى إلى نهايتها في الحياة الدنيا، وبعد ذلك ينتقل من الحياة البشرية إلى الدلائل الكونية: في خلق السموات، وفي إنزال الماء، وإنبات الزرع والثمار ثم إلى الأنعام المسخرة للإنسان، والفلك التي يحمل عليها وعلى الحيوان.

وبعد عرض هذه الدلائل الإيمانية، يأتي بيان حقيقة الإيمان، وهي حقيقة واحدة توافق عليها الرسل جميعاً من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ: «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره». وكان اعتراض المكذبين دائماً يتمثل في قولهم: «ما هذا إلا بشر مثلكم». «ولو شاء الله لأنزل ملائكة»... «أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون».

وينتهي السياق بنداء الرسل جميعاً: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون».

وتنتهى السورة ببيان مشهد من مشاهد الآخرة، يلقي فيه المشركون جزاء تكذيبهم، وبيان أن الله هو الواحد الأحد، رب العرش الكريم الغفور الرحيم: «فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه، إنه لا يفلح الكافرون، وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين».

فالسورة: سورة المؤمنون: أَوْ هِيَ سورةُ الإيمان، بكل قضاياه وصفاته ودلائله، وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل.

راجع: الظلال ٢٤٥٢/٤.

فضائلها

وأما فضائلها: (فروى)[1] عبد الرزاق في جامعه، والإمام أحمد من طريقه وعبد بن حميد في مسنده، والترمذي عن عبد، عن عبد الرزاق، والنسائي في الصلاة والتفسير، والبيهقي في كتاب الدعوات، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عنده وجهه كدوي[2] النحل، فنزل عليه يوماً، فمكثنا ـ وفي رواية: فسكتنا ـ ساعة، فسرّى عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا[3]، وأرض عنا وأرضنا، ثم قال: لقد أنزل عليّ عشر آيات، من أقامهن[4] دخل الجنة ثم قرأ: «قد أفلح المؤمنون» حتى ختم عشر آيات[5].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) الدوى: صوت لا يفهم منه شيء.

(٣) أي اختزنا برحمتك وإكرامك، ولا تؤثر علينا غيرنا بلطفك وحمايتك.

(٤) أي داوم عليهن، وعمل بما فيهن.

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٨٣ حديث رقم ٦٠٣٨.

ومسند الإمام أحمد ١/٣٤.

وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة المؤمنين ٥ /٨.

حديث رقم ٣٢٢٢.

ومدار هذا الحديث عندهم على يونس بن سليم الصنعاني عن الزهري ويونس ضعيف الرواية عن الزهري.

وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٢٣٧ :وقال: قال الترمذي :منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم، ويونس لا نعرفه.

وما نسبه ابن كثير إلى الترمذي غير موجود في صحيحه، وإنما نسبه الذهبي في الميزان ٤/٤٨١ إلى النسائي، وضعّف يونس بهذا الحديث ورواه الترمذي من وجه آخر عن يونس بن سليم، عن يونس بن يزيد عن الزهري به، وقال: هذا أصح من الحديث الأول. =

ولابن السني عن محمد[1] بن ابراهيم، عن أبيه هو ابراهيم بن الحارث ابن خالد التيمي، رضي الله عنه قال: وجهنا رسول الله ﷺ في سرية، فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وأصبحنا: ﴿ **أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا** ﴾[2]، فغنمنا وسلمنا[3].

ولابن السني - أيضاً -، وأبي عبيد في الفضائل، وابن أبي حاتم في تفسيره، وأبي يعلى الموصلي فيالجزء الرابع والعشرين من مسنده والبغوي في تفسيره، والبيهقي في الدعوات، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق، فقال له رسولالله ﷺ: ما قرأت في أذنه؟. قال: (قرأت)[4]: ﴿ **أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا** ﴾ حتى فرغ من آخر السورة، فقال رسولالله ﷺ: لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال[5].

= ويونس بن يزيد: هو الأيلي الأموي المتوفى سنة ١٥٩ صاحب الزهري ترجم لـه الذهبي في الميزان ٤/٤٨٤، وقال: ثقة حجة، وحكى عن الأثرم: أن أحمد ضعفه، وذكر الخزرجي في الخلاصة ص ٤٤١: أن ابن سعد قال: ليس بحجة، ربما جاء بالشيء المنكر.

(١) روى عن أبيه وجابر وعائشة وأنس، وجمع من الصحـابة، وعنـه روى الأوزاعي وطائفة، وثقه ابن معين، وأبو حاتم، والنسائي، وضعفه أحمد وقال: يروي أحاديث مناكير. مات سنة ١١٩. وقيل: سنة ١٢٠,

راجع: طبقات الحفاظ ص ٤٨ الترجمة رقم ١٠٦.

(٢) الآية: ١١٥ من السورة.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٣٩ حديث رقم ٧٦.

(٤) زيادة عن ابن السني.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٢٣٦ حديث رقم ٦٣٦.

وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٦/٤٧.

قال السيوطي في اللآلىء ١/١٢٨: رجاله رجال الصحيح، سوى ابن لهيعة وحنش، وحديثهما حسن، أ هـ.

والحديث رواه أبو نعيم والخطيب وابن أبي حاتم وابن مردويه بطرق مختلفة، لكن مداره عندهم على ابن لهيعة، وفيه مقال.

راجع: اللآلىء ١/١٢٨، وتاريخ بغداد ١٢/٣١٣، والحلية ١/٧.

وروى أبو نعيم في الحلية، عن محمد بن ابراهيم بن الحارث، هو ابن خالد التيمي القرشي، عن أبيه رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، وأمرنا أن نقول إذا أمشينا وأصبحنا: «أفحسبتم» الآية، فَقَرأْنَاهَا فغنمنا وسلمنا.

وروى مسلم، وأبو داود، والنسائي، من حديث عبدالله ابن السائب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ بعض سورة المؤمنين، فلما انتهى إلى ذكر موسى وهارون(1)، قطع وركع(2).

وعلقه البخاري(3).

وفي رواية: صلى لنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة(4) فاستفتح سورة

---

(1) الآية: ٤٥.

(2) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح ٤/١٧٧.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل ١/١٧٥ حديث رقم ٦٤٩.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب قراءة بعض السورة ٢/١٧٦ وفي السند عند مسلم: أخبرني أبو سلمة بن سفيان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن المسيب العابدي، عن عبد الله بن السائب.
قال النووي في شرح مسلم ٤/١٧٧: «ابن العاص» غلط، والصواب حذفه، وليس هذا عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي، بل هو عبد الله بن عمرو الحجازي، كذا ذكره البخاري في تاريخه (٥/١٥٢ ترجمة رقم ٤٦١)، وابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٥/١١٧ ترجمة رقم ٥٣٣)، وخلائق من الحفاظ المتقدمين والمتأخرين. أ هـ.
وسمَّاه عبد الرزاق: «عبد الله بن عمرو بن عبد القارى» المصنف ٢/١٠٢، ١١٢.

(3) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الجمع بين السورتين في الركعة ١/١٨٨.
لكن البخاري أسنده في التاريخ ٥/١٥٢
وأشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في الاصابة ٢/٣٠٦ في ترجمة عبد الله بن السائب.

(4) في الإصابة لابن حجر ٢/٣٠٦: أن ذلك كان في فتح مكة.

المؤمنين، حتى جاء ذكر موسى وهارون ـ أو ذكر عيسى[1] ـ شك الراوي[2] ـ أخذته سعلة فركع[3].

ورواه عبد الرزاق في جامعه، عن عبدالله بنالسائب[4] رضي الله عنه قال: صلى بنا النبي ﷺ الصبح بمكة، فاستفتح بسورة المؤمنين، حتى إذا جاء موسى وهارون ـ أو ذكر عيسى، ابن عباد[5] يشك أو اختلفوا عليه ـ أخذت النبي ﷺ سعلة، فحذف فركع[6].

وروى مسلم والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤنين بما أمر به المسلمين فقال: ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم** ﴾[7]، وقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما**

---

(١) يعني قوله تعالى: «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» الآية: ٥٠.

(٢) سيأتي في رواية عبد الرزاق: أنه ابن عباد.

(٣) هذه رواية مسلم في صحيحه ١٧٧/٤. وأبي داود في سنة ١٧٥/١

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن السائب صيفي بن عائذ بن عبد الله المخزومي، كان من قراء القرآن، أخذ عنه مجاهد، له سبعة أحاديث، انفرد مسلم بواحد منها، مات في إمارة ابن الزبير وصلى عليه ابن عباس.
راجع: الإصابة ٣٠٦/٢ . والخلاصة ص ١٩٨.

(٥) هو محمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة المخزومي المكي، يروي عن عائشة وأبي هريرة، وابن عمر، وجماعة من الصحابة، ويروي عنه الزهري وابن جريج، وطائفة، وثقة ابن معين.
راجع: الخلاصة ٣٤٣.

(٦) المصنف: كتاب الصلاة، باب كيف القراءة في الصلاة وهل يقرأ ببعض السورة ١٠٢/٢ حديث رقم ٢٦٦٧: وباب القراءة في صلاة الصبح ١١٢/٢ حديث رقم ٢٧٠٧.
ومعنى «فحذف فركع»، أي ترك القراءة فركع.

(٧) سورة المؤمنون: آية ٥١.

رزقناكم ﴾[1]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فَأَنَّى يستجاب لذلك[2].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٧٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة ٩٩/٧ وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة ٢٨٨/٤ حديث رقم ٤٠٧٤.

سورة النور

مدنية كلها اجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها ستون وآيتان في المدنيين والمكي، وأربع في عدد الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **بالغد والآصال**﴾[1]، ﴿ **يذهب بالأبصار** ﴾[2]، لم يعدهما المدنيان والمكي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع: موضعان:

﴿ **لهم عذاب أليم** ﴾[3]، بعده في الدنيا والآخرة.

---

(١) الآية: ٣٦.

(٢) الآية: ٤٣.

(٣) الآية: ٢٠.

﴿ تمسسه نار ﴾[1].

وعكسه: ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ .

ورويها: لم نرب.

فالباء: «حساب»[3]، «الحساب»[4].

مقصودها

ومقصودها: مدلول اسمها المودع قلبها، المراد منه: أنه تعالى شامل العلم، اللازم منه تمام القدرة، اللازم منه اثبات الأمور على غاية الحكمة اللازم منه تأكيد الشرف للنبي ﷺ، اللازم منه شرف من اختاره سبحانه لصحبته، على منازل قربهم منه، واختصاصهم به، اللازم منه غاية النزاهة والشرف والطهارة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي مات النبي ﷺ وهو عنها راض، ثم ماتت هي رضي الله عنها صالحة محسنة[5]، وهذا هو المقصود بالذات، ولكن اثباته محتاج إلى تلك المقدمات[6].

---

(١) الآية: ٣٥.

(٢) الآية: ١٧.

(٣) الآية: ٣٨.

(٤) الآية: ٣٩.

واللام: «يسبح له فيها بالغدو والأصال» الآية: ٣١. وباقي الروى مكرر في السور.

(٥) في د: مؤمنة.

(٦) هذه السورة مدنية النزول، فطابعها هو طابع السور المدنية التي تتناول الأحكام التشريعية، وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغي أن يربي عليها المسلمون أفراداً وجماعات.

والمحور الأصلي الذي تدور عليه السورة، هو محور التربية، التي تشتد أحياناً الى درجة الحدود والعقوبات، وترق أحياناً الى درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة التي تصل القلب بنور الله، وتربطه بآياته المبثوثة في رحاب هذا الوجود، والهدف واحد في الشدة واللين، وهو يتمثل في تربية الضمائر، ووصل القلوب بنور الله، فالله هو مصدر النور =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود عنعائشة رضي الله عنها ـ وذكرتالأفك ـ قالت: جلس رسول الله ﷺ، وكشف عن وجهه، وقال: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، إن الـذين جاءوا بـالأفك عصبـة منكم[1] الآية[2].

= الأول الـذي أشرقت بـه الظلمـات، في السموات والأرض وأشـرقت به القلوب والضمائر، والنفوس والأروراح.

فقد ذكرت السورة كثيراً من الآداب الاسلامية، كالاستئذان عند دخول البيوت وغض الأبصار، وحفظ الفروج. ومنع اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات، وما ينبغي أن تكون عليه الأسرة المسلمة من التصون والعفاف، والاستقامة على منهج الله، صيانة لحرمتها وحفاظاً عليها من عوامل التفكك والانهيار.

كما ذكرت بعض الحدود الشرعية التي فرضها عز وجل، كحد الزنا وحد القذف، مع بيان علة التشديد في اقامة الحدود، وبيان الحكم في قذف الزوجات وهو الملاعنة، وكذلك حكم قذف أمهات المؤمنين.

كما عرضت السورة الى آداب الاستئذان والضيافة في محيط البيـوت بين الأقـارب والأصدقاء، والى آداب الجماعة كلها مع نبيهاﷺ.

راجع: الظلال ٢٤٨٦/٤. وصفوة التفاسير ٥/١٠.

(١) سورة النور: آية ١١.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ٢٠٨/١ حديث رقم ٧٨٥.

قال أبو داود: هذا حديث منكر، قد روى هذا الحديث جماعة عن الزهري لم يذكروا هذا الكلام على هذا الشرح... وأخاف أن يكون أمر الاستعاذة من كلام حميد.

قال المنذري في مختصر السنن ٣٧٩/١: وحميد ـ هذا ـ هو أبو صفوان حميد بن قيس المكي الأعرج، احتج به الشيخان.

قال العلامة ابن القيم في تهذيب السنن ٣٧٩/١: وانما علته أنه من رواية قطن بن نسير، عن جعفر بن سليمان، عن حميد، وقطن ـ وان كان روى عنه مسلم ـ فكان أبو زرعة يحمل عليه ويقول: روى عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس أحاديث مما أنكر عليه وجعفر ـ أيضاً ـ مختلف فيه، اهـ.

وروى الإمام أبو جعفر بن جرير عن شقيق[1]، وأبو عبيد عن أبي وائل[2] قال كل منهما: استعمل علي بن أبي طالب ابن عباس - رضي الله عنهم - على الحج، قال: فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ سورة النور، فجعل يفسرها[3].

وفي رواية: شهدت ابن عباس رضي الله عنهما، وولي الموسم، فقرأ سورة النور على المنبر ثم فسرها، لو سمعته الروم لأسلمت[4].

ولابن جرير عن أبي وائل قال: ولى ابن عباس رضي الله عنهما الموسم فخطبهم فقرأ على المنبر سورة النور، والله لو سمعتها الترك لأسلموا[5].

وله عن شفيق بن سلمة - أيضاً - قال: قرأ ابن عباس رضي الله عنهما سورة البقرة، فجعل يفسرها، فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت[6].

وقال بعض العلماء في آيات الأفك: إنها أرجى ما في القرآن، لأن الله عظم شأن الأفك، وتوعد عليه غاية الوعيد، وجعله منافياً للأيمان، ثم أمر

---

(١) هو شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي، من سادة التابعين روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن عباس وطائفة، وكان من الثقات الأمناء، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، سنة ٨٢ هـ.
راجع: الخلاصة ص ١٦٧. وتذكرة الحفاظ ١/٦٠. وتاريخ بغداد ٩/٢٦٨.

(٢) هو عبد الله بن بحير - بوزن فعيل - أبو وائل المرادي الصنعاني وثقة ابن معين.
راجع: الخلاصة ص ١٩١.

(٣) تفسير ابن جرير ١/٣٦.
وتهذيب الآثار ١/١٨٠ حديث رقم ٢٨٨.
ورواية التهذيب من طريق جابر بن نوح الحماني، الكوفي، امام مسجد بني حمّان، المتوفي سنة ٢٠٣ ه وهو ضعيف جداً لا يعتد به.
راجع: الخلاصة ص ٥٩.

(٤، ٥) تفسير ابن جرير ١/٣٦.

(٦) تفسير ابن جرير: الموضع السابق.
من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وهو حجة. (الخلاصة ص ٢٣٥).

بالعطف على بعض من وقع فيه، ووصفهم بالقرابة والمسكنة والهجرة، وندب إلى الانفاق والعفو عنهم والصفح.

وروى عبد بن حميد عن جابر رضي الله عنهقال: قال رسول الله ﷺ: إذا أتى أحدكم باب حجرته فليسلم، فإنه يرجع قرينه الذي معه من الشيطان، فإذا دخلتم حجركم فسلموا يخرج ساكنها من الشياطين، فإذا رحلتم فسلموا على أول حلس[1] تضعونه على دوابكم، لا يشرككم في مركبها الشيطان، فإن أنتم لم تفعلوا شرككم، وإذا أكلتم فسموا حتى لا يشرككم في طعامكم، ولا تبيّتوا القمامة معكم في حجركم فإنها مقعدة[2].

وروى أبو عبيد عن أبي عطية[3] قال: كتب إلينا عمر رضي الله عنه: أن علموا نساءكم سورة النور[4].

وعن الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل، وسورة النور، يعني النساء[5].

---

(١) الحلس: هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب.
راجع: النهاية ١/٤٢٣.

(٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٠١ وقال: هذا حديث غريب الإسناد والمتن.
ووافقه الذهبي في التلخيص.
وآفتة من محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي، قال أبو داود: كذاب وقال الدار قطني وغيره: منكر الحديث (الميزان ٣/٥١٤ الترجمة رقم ٧٣٨٠).

(٣) إن كان هو أبو عطيّة الوادعي صاحب ابن مسعود، فهو ثقة.
وان كان الذي يروي عن مالك بن الحويرث، فهو مجهول لا يعرف. وخبره منكر.
راجع: الميزان ٤/٥٥٣. والمغني ٢/٧٩٨.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٣٩٥ عن المسور بن مخرمة سماعاً من عمر رضي الله عنه بأطول من هذا، وقال: صحيح على شرط الشيخين. وافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٩٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الذهبي في التلخيص: موضوع، آمنة عبد الوهاب، قال أبو حاتم: كذاب، =

وروى البزار - قال الهيثمي: ورجاله ثقات[1] - عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه، لو رأيت مع أم رومان[2] رجلًا ما كنت فاعلًا به؟. قال: كنت والله فاعلًا به شرًا، قال: فأنت يا عمر؟. قال: كنت والله قاتله، كنت أقول: لعن الله الأعجز، فإنه خبيث. قال: نزلت: ﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم** ﴾[3].

وللطبراني في الأوسط - قال الهيثمي: ورجاله ثقات[4] - عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وآوتهم الأنصار رضي الله عنهم، رمتهم العرب عن قوس واحدة فنـزلت

= قلت: وعبد الوهاب - هذا - هو ابن الضحاك الحمصي العرضي، ويكني أبا الحارث السلمي. قال البخاري: عنده عجائب، وقال الدر قطني: «منكر الحديث». وترجمته في الميزان ٢/٦٧٩، والمغني ٢/٤١٢.

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٩٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن ابراهيم الشامي. قال الدار قطني: كذاب.

(١) مجمع الزوائد ٧/٧٤.

(٢) هي أم رومان زينب - وقيل: دعد - بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنها، أسلمت قديمًا وبايعت وهاجرت، وهي أم عبد الـرحمن وعائشة. توفيت سنة ست من الهجرة على خلاف في ذلك.

راجع: الإصابة ٤/٤٣٢. والاستيعاب على هامش الإصابة ٤/٤٣٠.

(٣) الآية: ٦.

والصواب أن الآية إنما نزلت في هلال بن أمية لما قذف زوجته بشريك بن سحماء كما في صحيح البخاري وغيره، وورد في البخاري أيضًا: أنها نزلت في عويمر العجلاني.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٤٥٠: وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضًا، فنزلت في شأنهما معًا في وقت واحد، وقد جنح النووي الى هذا، وسبقه الخطيب، اهـ.

(٤) مجمع الزوائد ٧/٨٣.

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾، الآية[1].

---

(١) الآية: ٥٥.

سورة الفرقان

مكية اجماعاً.

وقال أبو حيان: وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات نزلن في المدينة، وهي[1]: ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر. إلى قوله: وكان غفوراً رحيماً** ﴾[2].

(وتقدمه إلى نقل ذلك ابن الجوزي[3]، وهو مروى عن ابن عباس في الطبراني الآوسط، في ترجمة محمد بن عبد الله الحضري[4] قال: قرأناها على

---

(١) الآيات: ٦٨ - ٧٠.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٦/٤٨٠.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٦/٧١.

(٤) هو الحافظ الكبير أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضري الكوفي، له مسند وكتاب «التاريخ الصغير» كان ثقة ثبتا، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين عن ٩٥ سنة. راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٦٦٢. والميزان ٣/٦٠٧. وطبقات الحفاظ ص ٢٨٨.

عهد رسول الله) ﷺ سنين: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - الآية: ثم نزلت: ﴿إلا من تاب وآمن﴾[٢]، فما رأيت رسول الله ﷺ فرح فرحاً قط أشد منه بها، وبانا فتحنا لك فتحاً مبيناً[٣].

ومعلوم: أن ابن عباس ما هاجر إلا مع أبيه قبل الفتح بقليل[٤].

مقصودها

ومقصودها: إظهار شرف الداعي ﷺ بإنذار المكلفين عامة بما له سبحانه من القدرة الشاملة، المستلزم للعلم التام، المدلول عليه بهذا القرآن المبين، المستلزم لأنه لا موجود على الحقيقة سوى من أنزله فهو الحق، وما سواه باطل.

وتسميتها بالفرقان، واضح الدلالة على ذلك، فإن الكتاب ما نزل إلا للتفرقة بين الملتبسات، وتمييز الحق من الباطل، ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حي عن بينة، فلا يكون لأحد على الله حجة، ولله الحجة البالغة[٥].

لكن في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يرده، فإنه لما

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) آية: ٧٠.

(٣) قال الهيثمي ٧/٨٤: رواه الطبراني من رواية علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، وقد وثقا وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٤) خرج العباس بأولاده مهاجراً في رمضان، فلقي رسول الله وأصحابه بالجحفة متوجهاً الى مكة ليفتحها. (سيرة ابن هشام ٣/٤٠٠).

(٥) سورة الفرقان مكية النزول: ومقصودها الأصلي: الايناس لرسول الله ﷺ والتسرية عنه، وتطمين له، وتقوية لقلبه، وهو يواجه المشركين المعاندين الذين جنحوا عن الحق والهدى الى الباطل والضلال.
فالسورة تصور مدى عنف المعركة التي كان يواجهها رسول الله ﷺ في ذلك المجتمع العنيد، وأبناءه الذين شاقوا الله ورسوله، فقالوا عن القرآن العظيم: ﴿ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾.
=

قال: إن القاتل لا توبة له، احتج عليه بهذه الآية، فقال: هذه مكية في المشركين، والنساء مدنية[1].

= «أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلاً».
وقالوا عن الرسول ﷺ:
﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً﴾.
وفي سخرية واستهزاء قالوا: «أهذا الذي بعث الله رسولاً».
واعترضوا على حظه من المال فقالوا: «أو يلقي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها».
واعترضوا على طريقة تنزيل القرآن فقالوا: «لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة».

بل انهم تطاولوا على الله عز وجل: «واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً».
ففي السورة كما ترى تسرية عن رسول الله ﷺ وتهوين عليه مشقة ما يلقاه من عنت القوم وسوء أدبهم، ولذا فان الله سبحانه وتعالى يعزيه عن استهزائهم بتصوير المستوى الهابط الذي ينحدرون اليه ويتمرغون فيه: «أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً. أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون. ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً».
ثم ان الله تبارك وتعالى يعده بالعون والمساعدة اذا ما جادلوه أو حاججوه: «ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً». كما يكلفه بالصبر على أذاهم، وتحمل عنتهم وتطاولهم عليه، ويتوكل دائماً على ربه القوى العزيز، الذي يغلب ولا يغلب، ويقهر ولا يقهر، وينصر أولياءه فلا يخزلهم، وأن يتسلى ويتأسى بأخوانه من الأنبياء والمرسلين:
﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين، وكفى بربك هادياً نصيراً﴾.
﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾.
وفي خلال السياق تعرض السورة مصارع المكذبين أمثال هؤلاء وما لقوه ـ ويلقونه ـ من سوء المصير، فتعرض لطرف من قصة موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس، وما بين ذلك من قرون، وتهديد لهؤلاء وهؤلاء: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾.
راجع: الظلال ٥/٢٥٤٤.

(١) صحيح مسلم: كتاب التفسير ١٨/١٦٠. =

عدد آياتها وفواصلها

وآيها سبع وسبعون آية من غير اختلاف.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعدّ باجماع، تسعة مواضع:

﴿ ولم يتخذ ولداً ﴾(١)، ﴿ وهم يخلقون ﴾(٢)، ﴿ قوم آخرون ﴾(٣)، ﴿ أساطير الأولين ﴾(٤)، ﴿ وعد المتقون ﴾(٥)، ﴿ ما يشاؤون خالدون ﴾(٦)، ﴿ صرفا ولا نصراً ﴾(٧) ﴿ في السماء بروجاً ﴾(٨)، ﴿ على الأرض هوناً ﴾(٩).

وعكسه موضعان:

﴿ ضلوا السبيل ﴾(١٠)، ﴿ ظلماً وزوراً ﴾(١١).

ورويها: برّنمل(١٢).

= قال النووي في شرح مسلم ١٨/١٥٩: هذا هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى عنه أن له تولة وجواز المغفرة له لقوله تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾. وهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ومن بعدهم. وما روى عن بعض السلف مما يخالف هذا محمول على التغليظ والتحذير من القتل، والتورية في المنع منه.

(١) الآية: ٢.

(٢) الآية: ٣.

(٣) الآية: ٤.

(٤) الآية: ٥.

(٥) الآية: ١٥.

(٦) الآية: ١٦.

(٧) الآية: ١٩.

(٨) الآية: ٦١.

(٩) الآية: ٦٣.

(١٠) الآية: ١٧.

(١١) الآية: ٤.

(١٢) الباء: «متابا ٧١، والنون: مهاناً ٦٩، عمياناً ٧٣».

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الجماعة: مالك، والشيخان، والأربعة، وابن جرير في مقدمة التفسير، وأبو عبيد في كتاب الفضائل، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (سمعت هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاختلفت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ.

وفي رواية أبي عبيد)[1]: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وقد كان رسول الله ﷺ أقرأنيها فكدت أساوره[2] في الصلاة، فتربصت[3] حتى سلم، فلببته[4] بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟. قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أَقْرَأَنِيهَا على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله[5]، أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال النبي ﷺ: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، آه هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه[6].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٢/٤٢٠: أي أُوَاثِبُه وأقاتله، ومنه قصيدة كعب بن زهير:

اذا يساور قرنا لا يحل له   أن يترك القرن إلا وهو مجدول

(٣) في صيح البخاري: فتصبرت. وفي الترمذي: فنظرت.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ٩٨/٦: هو بتشديد الباء الأولى معناه: أخذت بمجامع ردائه في عنقه، وجررته به، مأخوذاً من اللبة ـ بفتح اللام ـ لأنه يقبض عليها.

وراجع النهاية ٢٢٣/٤.

(٥) اتركه.

(٦) موطأ الإمام مالك: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن ٢٠١/١ وصحيح =

قال أبو عبيد في رواية: قال ابن شهاب في الأحرف السبعة: هي في الأمر الواحد الذي لا اختلاف فيه[1].

فيا له من حديث ما أشرفه وأجله، وأرفع قدره ومحله، فرق به الفاروق في سورة الفرقان بين الحق والباطل.

وقد تقدم في سورة النحل ما مضى في الفضائل العامة كثير مما ينضم إلى هذا الحديث[2].

وروى ابن جرير عن (ابن)[3] عمر رضي الله عنهما قال: سمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقرأ القرآن، فسمع آية على غير ما سمع من النبي ﷺ، فأتى به عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هذا قرأ آية كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها كاف شاف[4].

وروى الامام أحمد، وابن جرير، عن اسحاق[5] بن عبد الله بن أبي

= البخاري: كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ١٠٧/٣. وكتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢٢٧/٦.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٩٨/٦.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ١٥٠/٢ وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٤ /٢٦٣ حديث رقم ٤٠١٤.

(١) غريب الحديث ١٦١/٣.

(٢) راجع.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) تفسير ابن جرير ١٣/١.
وفي سنده عبد الله بن ميمون القداح المكي، وهو متروك. الميزان ٥١٢/٢.

(٥) هو أبو يحيى اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ـ واسم أبي طلحة: زيد ـ بن سهل الأنصاري المدني، يروي عن أبيه وأنس والطفيل بن أبي بن كعب، وروى عنه سفيان =

طلحة عن أبيه، عن جده أبي طلحة قال: قرأ رجل عند عمر رضي الله عنه فغير عليه فقال: لقد قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير عليّ، قال: فاجتماع عند النبي ﷺ، فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له: أحسنت. قال: فكأن عمر رضي الله عنه وجد في نفسه من ذلك، فقال النبي ﷺ: يا عمر أن هذا القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذاباً، أو عذباً مغفرة(١).

قال الهيثمي: ورجاله ثقات(٢).

ولفظ ابن جرير: فاختصما عند النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكذا؟. قال: بلى، فوقع في صدر عمر شيء عرف النبي ﷺ ذلك في وجهه. قال: فضرب صدره وقال: أبعد شيطان، قالها ثلاثاً، ثم قال: يا عمر أن القرآن(٣) كله صواب، ما لم تجعل آية رحمة عذاباً، أو عذاباً رحمة(٤).

قال أبو عبيد: فقد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا حديثاً واحداً يروي عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف.

قال: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة، لأنها المشهورة، انتهى(٥).

= ابن عيينة، ومالك قال ابن معين: ثقة حجة. وتوفي سنة ١٣٢، وقيل: سنة ١٣٤ هـ. راجع: الخلاصة ص ٢٩.

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٠. وتفسير ابن جرير ١/ ١٣.

(٢) مجمع الزوائد ٧/ ١٥١.

(٣) في د: إن هذا القرآن. وما في الأصل موافق لما في تفسير ابن جرير.

(٤) تفسير ابن جرير ١/ ١٣.

(٥) ذكر في سورة النحل: أن أبا عبيد ذكر ذلك في كتاب الفضائل.

وقد تقدم في الفضائل العامة تأويل الحديث المذكور بما لا يخالف أحاديث السبعة[1].

قال ابن رجب: وروى ابن أبي الدنيا عن ابن أبي ذؤيب قال: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة، وقرأ عنده: ﴿ **وإذا ألقوا منها مكاناً ضَيِّقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً** ﴾[2] فبكى عمر حتى غلبه البكاء، وعلا نشيجه، فقام من مجلسه، ودخل بيته، وتفرق الناس.

---

(1) راجع.

(2) سورة الفرقان: آية ١٣.

سورة الشعراء

وتسمى: الظلة.

مكية:

قال الجعبري، قال عبد الكريم[1]: كلها. فقوله تعالى: ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾[2] إلى آخرها. في كافرين تهاجياً، واتبع كلا فريق.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إلا أربع آيات نزلت بالمدينة: ﴿ والشعراء ﴾ إلى آخرها، في شعراء النبي ﷺ: زيد وكعب، وابن رواحة.

والظاهر: أن الثلاث في الكافرين. والأخيرة في المسلمين.

---

(١) هو أبو معشر الطبري عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد، المقرئ قال ابن الجزري: شيخ أهل مكة، امام عارف، محقق، أستاذ كامل، ثقة صالح، توفي بمكة سنة ٤٧٨.
راجع: طبقات القراء ٤٠١/١ الترجمة رقم ١٧٠٨. الميزان ٦٤٤/٢.

(٢) الآية: ٢٢٤.

وقال أبو عمرو الداني: نزلن ـ أي الأربع الآيات ـ بالمدينة، في حسان ابن ثابت، وكعب بن مالك[1]، وعبد الله بن رواحة، شعراء رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم.

وهذا الذي قاله أبو عمرو هو الظاهر، وأما زيد فلا أدري من هو.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائتان وست وعشرون في المدني الأخير. والمكي، والبصري وسبع وعشرون في المدني الأول والكوفي والشامي.

اختلافها أربع آيات.

﴿ طسم ﴾[2] عدها الكوفي وحده.

﴿ **فلسوف تعلمون** ﴾[3]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ **أينما كنتم تعبدون** ﴾[4]، بعده: «من دون»، لم يعدها البصري وعدها الباقون.

﴿ **ما تنزلت به الشياطين** ﴾[5]، لم يعدها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضع واحد:

---

(١) هو أبو عبد الله ـ وقيل: أبو بشير، وقيل: أبو عبد الرحمن ـ كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين الأنصاري السّلمي، كان ممن بايع بالعقبة، وشهد بدرا وما بعدها، وكان ممن تخلف عن تبوك. ثم تاب الله عليه. مات بالشام في عهد معاوية.
راجع: الاصابة ٣/٢٨٥. والاستيعاب على هامش الإصابة ٣/٢٧٠.

(٢) اية: ١.

(٣) الآية: ٤٩.

(٤) الآية: ٩٢.

(٥) الآية: ٢١٠.

﴿ فينا وليداً ﴾[1].

وعكسه موضعان:

﴿ معنا بني إسرائيل ﴾[2]، ﴿ من عمرك سنين ﴾[3].

ورويها: ملن.

اللام: أربع ﴿ إسرائيل ﴾[4].

مقصودها

ومقصودها: أن هذا الكتاب بيِّن في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس.

ومن ذلك: بيان آخر التي قبلها، بتفصيله وتنزيله على أحوال الأمم وتمثيله، وتسكين أسفه ﷺ خوفاً من أن يعم أمته الهوان بعدم الايمان، وأن يشتد قصدهم لأتباعه بالأذى والعدوان، بما تفهمه «سوف» من طول الزمان، بالاشارة إلى إهلاك من علم منه دوام العصيان ورحمة من أراده للهداية والاحسان.

وتسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك، بما يفارق به القرآن الشعر من علو مقامه، واستقامة مناهجة! وعزّ مرامه، وصدق وعده ووعيده، وعدل تبشيره وتهديده.

وكذا تسميتها بالظلة، إشارة إلى أنه أعدل في بيانه، وأدل في جمع

---

(١) ١٨.

(٢) الآية: ١٧.

(٣) الآية: ١٨.

(٤) الآية: ١٧، ٢٢، ٥٩، ١٩٧.

شأنه، من المقادير التي دلت عليه قصة شعيب عليه السلام، بالمكيال والميزان، وأحرق من الظلة لمن يبارزه بالعصيان[1].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أحمد، وأبو يعلي الموصلي، في مسنديهما، عن معقل ابن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا إني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين والحواميم من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة[2].

---

(١) سورة الشعراء مكية، ومقصودها الأصلي: العقيدة ملخصة في عناصرها الأساسية: الدعوة الى توحيد الله عز وجل، والنهي عن الاشراك به: «فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين». ثم التصديق بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح المبين، على قلبك لتكون من المنذرين﴾.
وللسورة صلة قوية بالسورة التي قبلها، يبدو ذلك جليا في مطلعها وهو حديث القرآن للنبي ﷺ عن تكذيب قومه ومعارضتهم لدعوته، وتسليته عليه الصلاة والسلام، والتهوين عليه والسورة السابقة مليئة بالحديث عن مواقفهم المخزنة الطافحة بالايذاء لرسول الله ﷺ: لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين».
وجسم السورة هو القصص الذي يشغل حيزاً كبيراً من مجموع آياتها والسورة هي هذا القصص مع مقدمة وتعقيب، وكل هذا وذاك وحدة متكاملة متجانسة، تدور حول موضوع السورة، وتبرزه في أساليب متنوعة، يقتصر السياق على ذكر الحلقة - أو الحلقات - التي تؤدي هذا الغرض، وتومي اليه، ويغلب على هذا القصص - كما يغلب على السورة - جو الانذار والتكذيب، وذكر العذاب الذي يقع بأولئك المكذبين لرسلهم، ذلك لأن السورة تواجه مشركي قريش الذين كذبوا رسول الله ﷺ وآذوه، وتقولوا على الوحي والقرآن.
راجع: الظلال ٥/٢٥٨٣.

(٢) لم أعثر عليه في مسند معقل بن يسار عند أحمد.

وقد مضى مطولاً في سورة طه[1].

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال الهيثمي: ورجاله وثقوا، إلا أن علي بن أبي طلحة قيل: أنه لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما[2] ـ قال: إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله عزّ وجل أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول، ثم قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾[3].

وروى أبو يعلي من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي[4]، عن عبد الله بن عطاء ابن ابراهيم ـ قال الهيثمي: وكلاهما قد وثق، وضعفهما الجمهور[5] ـ عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[6] صاح رسول الله ﷺ على أبي قبيس: يا آل عبد مناف أني نذير (لكم)[7]، فجاءته قريش، فحذرهم وأنذرهم، قالوا: تزعم أنك نبي يوحي إليك، وأن سليمان سخر له الريح والجبال، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيى الموتى؟. فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال،

---

(١) راجع:
(٢) مجمع الزوائد ٧/٨٥.
(٣) الآيتان: ٣ ـ ٤.
(٤) في الأصل: «الأربلي». والتصويب عن التقريب ١/٤٦٦. والميزان ٢/٥٣٤. وتفسير ابن كثير ٣/٤٧.
(٥) مجمع الزوائد ٧/٨٥.
وراجع: الميزان ٢/٤٦٢ ترجمة رقم ٤٤٥٦، وص ٥٣٤ ترجمة رقم ٤٧٤٣. والتقريب ١/٤٣٤، ١/٤٦٦.
(٦) الآية: ٢١٤.
(٧) ساقطة من: د.

ويفجر لنا أنهاراً، فنتخذها محارث، فنزرع ونأكل، والا فادع الله فيحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئتهم، فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سرى عنه قاف: والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة ولا يؤمن مؤمنكم، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم، إنه معذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فنزلت: **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾**[1]، **حتى قرأ ثلاث آياتـ ونزلت: ﴿ولو[2] أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾**[3].

---

(1) سورة الإسراء: الآيات ٥٩ ـ ٦١.

(2) سورة الرعد: آية ٣١.

(3) هذا الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٧/٣ ولم يعلق عليه. وأصله في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس، وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري، وقُبَيْصَة بن مخارق، وزهير بن عمرو، وليس فيه ذكر لنزول آية الإسراء، وآية الرعد، وإنما الوارد نزول سورة: ﴿تبت يد أبي لهب وتب﴾إبَّانَ هذه الحادثة ردّا على أبي لهب الذي دعا على النبي ﷺ بقوله: تبّا لك يا محمد سائر هذا اليوم، ألهذا جمعتنا؟.

راجع: صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ١٦١/٤ عن ابن عباس وأبي هريرة. وكتاب التفسير، سورة الشعراء ١٦/٦ عن ابن عباس وأبي هريرة. وسورة سبأ ٢٩/٦ عن ابن عباس، وسورة تبت ٩٤/٦ عن ابن عباس.

وصحيح مسلم: كتاب الأيمان، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ٧٩/٣ عن أبي هريرة وعائشة وزهير بن عمرو وقبيصة، وابن عباس.

وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، سورة الشعراء ١٩/٥ عن عائشة وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري، وسورة تبت ١٢١/٥ عن ابن عباس. =

وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح[1]، عن الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبي جعفر[2]، عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك[3] ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك بن عمر وهو عزب، فكنت معه في بيت، فصلينا العشاء وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه وأنا أنظر إليه، ثم قام يصلي حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية: **﴿ أفرأيت أن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾**[4]، فيبكي ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل

= وسنن النسائي: كتاب الوصايا، باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين ٦/٢٤٨ عن أبي هريرة وعائشة.

والحديث بكل طرقه ورواياته في جامع الأصول لابن الأثير ٢/٢٨٦ حديث رقم ٧٣٩.

والحافظ ابن كثير في تفسير سورة الإسراء ٣/٤٧ وتفسير سورة الشعراء ٣/٣٤٩.

وأشار الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٥٠٢ إلى أن هذا الحديث من مراسيل الصحابة، وبذلك جزم الإسماعيلي، لأن أبا هريرة إنما أسلم بالمدينة، وهذه القصة وقعت بمكة، وابن عباس كان حينئذ إما لم يولد، وإما طفلاً.

(١) هو أبو صالح عبد الله بن صالح بن مسلم، العجلي الكوفي، الحافظ ـ وابنه الحافظ أحمد ـ حدث عن حماد بن سلمة والليث بن سعد وطائفة، وكان ثقة، مات سنة ١١١ هـ.

راجع: الخلاصة ص ٢٠١.

(٢) هو أبو بكر عبيد الله بن أبي جعفر الكناني مولاهم، المصري الفقيه قال ابن سعد: فقيه زمانه، العابد العالم الزاهد الورع، وثقه أبو حاتم. مات سنة ١٣٦ هـ. (راجع: الخلاصة ٢٤٩).

(٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي، تولى الخلافة بعد أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ، وكان عاقلاً فصيحاً، طموحاً إلى الفتح ومات بدابق، بعد أن قضى في الخلافة سنتين وثمانية أشهر (الأعلام ٣/١٩٢).

(٤) الآيات ٢٠٥ ـ ٢٠٧ من السورة.

ذلك حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم، لأقطع ذلك عنه، فلما سمعني سكت، فلما أسمع له حسّاً.

وفي كتاب الاستغناء بالقرآن لابن رجب: وروى أبو نعيم عن عبد الله بن رباح[١] قال: كان صفوان بن محرز[٢] إذا قرأ هذه الآية: ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾[٣] بكى، حتى أقول: قد اندق قضيض[٤] زوره.

---

(١) هو أبو خالد عبد الله بن رباح الأنصاري المدني ثم البصري، روى عن أبي هريرة، وأبي بن كعب، وكان ثقة. (الخلاصة ص ١٩٦).

(٢) صفوان بن محرز ـ بضم الميم وإسكان الحاء المهملة بعدها راء مكسورة وآخره زاي معجمة ـ المازني البصري، روى عن عبد الله بن مسعود وأبي مسعود، كان ثقة فاضلاً ورعاً، مات سنة ١٧٤ هـ. وفي طبقات الحفاظ: سنة ٧٤ هـ.
راجع الخلاصة ص ١٧٤، تذكرة الحفاظ ١/٦٠، طبقات الحفاظ ص ٢١.

(٣) الآية: ٢٢٧ من السورة.

(٤) قال في النهاية ٤/٧٧: قال القتيبي: هو عندي خطأ من بعض النقلة وأراه «قصص زوره». ويحتمل إن صحت الرواية: أن يراد بالقصيص صغار العظام، تشبيهاً بصغار الحصى. اهـ.

سورة النمل

مكية كلها اجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وأيها تسعون وثلاث في الكوفي، وأربع في البصري والشامي، وخمس في المدنيين والمكي.

اختلافها آيتان:

﴿ وأولوا بأس شديد ﴾[١]، عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ من قوارير ﴾[٢] لم يعدها الكوفي وحده.

(١) الآية: ٣١.

(٢) الآية: ٤٤.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، ثلاثة مواضع:

﴿ طس ﴾[1]، ﴿ غير بعيد ﴾[2]، ﴿ وما يشعرون أيَّان ﴾[3].

ورويها: من.

مقصودها

ومقصودها: وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لاحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة.

فالمقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة، كما كان مقصود التي قبلها: اظهار البطش والنقمة.

وأدل ما فيها على هذا المقصود: ما للنمل من حسن التدبير وسداد المذاهب في العيش، ولاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبير عن ذلك القصد، وبلاغة التأدية[4].

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٢٢.

(٣) الآية: ٦٥.

(٤) هذه السورة مكية، نزلت بعد سورة الشعراء، وهي تمضي على نسقها في الأداء: مقدمة وتعقيب يتمثل فيهما موضوع السورة التي تهدف إليه، وقصص بين المقدمة والتعقيب يعين على تصوير هذا الموضوع وتأكيده.

والموضوع الرئيسي للسورة: هو العقيدة: الإيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وحساب وجزاء والإيمان بالوحي وأن الغيب كله لله، لا يعلمه أحد سواه، وتوجيه القلب إلى شكر نعم الله على البشر، والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا الله.

ويأتي القصص في السورة لتثبيت هذه المعاني، وتصوير عاقبة المكذبين، وعاقبة المؤمنين، فتأتي حلقة من قصة موسى عليه السلام وهي الخاصة برؤيته للنار وذاهبه =

إليها، ونداء الله له وتكليفه بالرسالة، ثم يعجل السياق بذكر تكذيبهم بآيات الله وهم على يقين من صدقها، ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾، وهكذا شأن المشركين في مكة مع رسول الله ﷺ وآيات القرآن المبين. ثم تليها إشارة إلى نعمة الله على داود وسليمان، ثم قصة سليمان مع النملة ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ وقومها، وفيها تبرز نعمة الله على داود وسليمان وقيامهما بشكر هذه النعمة، وهي نعمة العلم والملك والنبوة، ويبرز بصفة خاصة استقبال ملكة سبأ وقومها لكتاب سليمان وهو عبد من عباد الله، واستقبال قريش لكتاب رب العالمين وملكة سبأ وقومها يسلمون ويؤمنون، فأهل قريش يكذبون ويجحدون. ثم تليها قصة صالح مع قومه ثمود، ويظهر فيها تآمر المفسدين عليه وعلى أهله، وتبييتهم قتله، ثم مكر الله بالقوم، ونجاة صالح والمؤمنين معه: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾، وقد كانت قريش تتآمر على رسول الله ﷺ، وتبيت له كما بيتت ثمود لصالح وللمؤمنين.

ويختم القصص بقصة لوط مع قومه، وهمهم بإخراجه من قريتهم هو ومن معه من المؤمنين، وما أن خرج لوط وأتباعه حتى أمطر المكذبون لهباً دمرهم وبيوتهم.

فإذا انتهى القصص أخذ السياق يطوف معهم في مشاهد الكون لإقامة الأدلة على وجود الله، ووحدانية الصانع المدبر الخالق الرازق ثم عرض السياق أحد أشراط الساعة وبعض مشاهد القيامة.

ثم تختم السورة ختاماً يناسب مطلعها وموضوعها: ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء، وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين، وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾.

والمتأمل في السورة يجد أنها ركزت على صفة العلم، علم الله المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة.

ومن ثم يجيء في أول السورة: ﴿وإنك لتلقي القرآن من لدن حكيم عليم﴾.

وفي ثناياها: ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾.

﴿قل لا يعلم من السموات والأرض الغيب إلا الله...﴾.

﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الطبراني في الأوسط - قال الهيثمي: وفيه عبد الكريم أبو أمية[1] وهو ضعيف، ومن لم أعرفهم[2] - عن بريدة[3] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تخرج من المسجد حتى أعلمك آية من سورة لم تنزل على أحد قبلي، غير سليمان بن داود عليهما السلام فخلأج النبي ﷺ حتى بلغ أسكفة الباب، قال: بأي شيء تستفتح صلاتك وقراءتك؟. قلت: ببسم الله الرحمن الرحيم، قال: هي هي، ثم أخرج رجله الأخرى[4].

= وفي الختام يجيء: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾.

راجع: الظلال ٥/٢٦٢٤.

(١) هو أبو أمية عبد الكريم بن قيس أبي الخارق، البصري المعلم، المتوفى سنة ١٢٦ روى عن أنس ومجاهد، وعنه روى السفيانان.

أخرج له البخاري تعليقاً، ومسلم متابعة، وهذا يدل على أنه ليس بمتروك.

وخرج له مالك أيضاً، قال أبو الفتح اليعمري: لكن لم يخرج مالك عنه إلا الثابت من غير طريقه: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، وقد اعتذر لما تبين له أمره؛ وقال: «غرني بكثرة بكائه في المسجد» اهـ.

وعلى أي حال فالرجل فيه كلام، فقد ضعفه ابن معين. وقال أيوب: ليس بثقة.

راجع: الميزان ٢/٦٤٦، والخلاصة ص ٢٤٢، وتقريب التهذيب ١/٥١٦.

(٢) مجمع الزوائد ٧/٨٧.

(٣) هو بريدة بن الحصيب - بالحاء والصاد المهملتين - بن عبد الله بن الحارث، الأسلمي، أسلم حين مر به النبي ﷺ بالفحيم مهاجراً، ولم يشهد بدراً وشهد ما بعدها، توفي في خلافة يزيد بن معاوية، سنة ٦٣ هـ.

راجع: الإصابة ١/١٥٠.

الاستيعاب على هامش الإصابة ١/١٧٧.

(٤) وأخرجه ابن أبي حاتم، والدارقطني في سننه ١/٣١٠، من طريق عبد الكريم. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٣٦٢: هذا حديث غريب واسناده ضعيف.

سورة القصص

مكية كلها.

قال الجعبري وغيره: إلا ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن ﴾[1].

قال يحيى بن معاذ[2]: جاء جبريل إلى النبي ﷺ لما هاجر، وهو بالجحفة[3] فقال: يا محمد أتشتاق إلى بلادك التي ولدت فيها؟ فقال: نعم. فقال: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»[4].

---

(١) الآية: ٨٥.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، الواعظ الزاهد، ولد بالري، وأقام في بلخ، ومات في نيسابور، وكان مرضي السيرة محمود في طريقته، عديم النظير في وقته، مات سنة ٢٥٨ هـ. الأعلام ٩/٢١٨.

(٣) الجحفة - بضم الجيم وسكون الحاء المهملة، بعدهما فاء - قرية كبيرة على طريق المدينة، تبعد عن مكة أربع مراحل.
(معجم البلدان ٢/١١١).

(٤) وروى ابن أبي حاتم من طريق سفيان عن الضحاك أنه قال: لما خرج النبي ﷺ من =

قال ابن الجووي: هذا قول ابن عباس، وروى عن الحسن وعطاء وعكرمة: أنها مكية كلها[1].

وقال البغوي، وابن الجوزي أيضاً، والأصفهاني: قال مقاتل: فيها من المدني[2]: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون - إلى قوله - : لا نبتغي الجاهلين** ﴾[3].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها ثمان وثمانون في جميع العدد، متفقة الاجمال، مختلفة الفواصل.

اختلافها آيتان:

﴿ **طسم** ﴾[4]، عدها الكوفي وحده.

﴿ **ومن الناس يسقون** ﴾[5]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفاصلة موضع:

﴿ **امرأتين تذودان** ﴾[6].

وعكسه موضع:

مكة فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكةفأنزل الله عليه: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد». قال ابن كثير ٣/٤٠٣: وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية، وإن كان مجموع السورة مكيا.

(١) زاد المسير ٦/٢٠٠.

(٢) الآيات: ٥٢ - ٥٥.

(٣) تفسير البغوي على هامش الخازن ٥/١٣٣. وزاد المسير ٦/٢٠٠.

(٤) الآية: ١.

(٥) الآية: ٢٣.

(٦) الآية: ٢٣.

﴿من خير فقير﴾[1].

ورويها: نرمل[2].

مقصودها

ومقصودها: التواضع لله، المستلزم لرد الأمر كله إليه، الناشىء عن الايمان بالآخرة، الناشىء عن الايمان بنبوة محمد ﷺ الثابتة بإعجاز القرآن، المظهر للخفايا، على لسان من لم يتعلم قط من أحد من الخلق، المنتج لعلو المتصف به.

وذلك هو المأخوذ من تسميتها بالقصص، الذي حكم لأجله شعيب بعلو الكليم ـ عليهما السلام ـ على من ناوأه، وقمعه لمن عاداه، فكان المآل وفق ما قال[3].

---

(١) الآية: ٢٤.

(٢) الراء:

الراء: «وأبونا شيخ كبير» الآية: ٢٣.

«من خير فقير» الآية: ٢٤.

واللام: «سواء السبيل» الآية: ٢٢.

«والله على ما نقول وكيل» الآية: ٢٨.

(٣) هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول، فنزلت لتقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله عز وجل، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون هي قيمة الأيمان، فمن كانت قوة الله معه، فلا خوف عليه، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له، ولو ساندته جميع القوى، ولذلك يقوم كيان السورة على قصة موسى مع فرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه ـ وهم قوم موسى ـ في الختام. الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان: المتمثلة في فرعون الطاغية الحذر، وفي مواجهته موسى طفلاً رضيعاً لا حول له ولا قوة، وقد علا فرعون في الأرض، واستضعف بني اسرائيل، فاستحيا نساءهم، وذبح أبناءهم، وهو منهم على حذر، ولكن قوة فرعون وحذره ويقظته لا تغني عنه شيئاً، بل لم تمكنه موسى الطفل الصغير المجرد من كل مظاهر القوة والمنعة، لأنه في حراسة القوة =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البزار عن عتبة بن النّدّر[1] رضي الله عنه، أن

= الحقيقية، وهي قوة الله جلت قدرته، أعمت عنه العيون، وتحدت به فرعون، فدفعته إلى حجره، بل تقتحم عليه قلب زوجته، فيتفق على تربيته، بل وأشد من ذلك: تأتي أم موسى لترعى موسى في قصر فرعون، وتتقاضى منه على إرضاعها موسى أجراً.

والقصة الثانية - هي قصة قارون - تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم وتعرض قارون وقد خرج على قومه في زينته معتقداً أنه أوتي المال الوفير عن طريق علمه، ولكن الذين أوتوا العلم الصحيح لا تستخفهم كثرة ماله ولا زينته، وإنما تطلعوا إلى ثواب الله، فقد علموا أن ما عند الله خير وأبقى، ثم تتدخل يد الله فتخسف به وبداره الأرض، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.

ففرعون بغى على بني اسرائيل واستطال عليهم بواسطة الحكم والسلطان، وقارون - أيضاً - بغى عليهم بواسطة العلم والمال هذا خسف به وبداره الأرض، وهذا أخذه اليم وجنوده، وهذا يعني: أن يد الله تدخلت فوضعت حداً للبغي والفساد، حيثما عجز الناس عن الوقوف أم البغي والفساد.

فكلتا القصتين تدل على أنه حين يتمحض الشر، ويسفر الفساد ويقف الخير عاجزاً، والصلاح حسيراً، وتخشى فتنة البأس وفتنة المال، عندئذ تتدخل يد الله لتصنع حداً للشر والفساد.

وفي أثناء السياق عرضت السورة جولات مع مشركي قريش، لتفتيح أعينهم على آيات الله المبثوثة في الكون حولهم، وقد قالوا لرسول الله ﷺ: ﴿إِنْ نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾، فساق الله لهم قصة موسى ليعلموا أن الأمن إنما يكون في جوار الله، وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار ولو وجدت كل أسباب الأمن الظاهرة.

وتنتهي السورة بِوَعْدٍ من الله لرسوله ﷺ وهو مخرج من مكة، والمشركون يطاردونه، بأن الذي فرض عليه القرآن، لا بد راده إلى بلده مكة، وأنَّ الله ناصره على الشرك وأهله وفي قصص السورة ما يضمن هذا ويؤكده، فقد عاد موسى عليه السلام إلى بلده الذي خرج منه خائفاً طريداً، فأخرج بني اسرائيل واستنقذهم، وهلك على يده فرعون وجنوده.

(١) في د ومجمع الزوائد وتفسير ابن كثير: «المنذر»، وهو خطأ.

رسول الله ﷺ سئل: أي الأجلين قضى موسى عليه السلام؟. قال: أبرهما وأوفاها، ثم قال النبي ﷺ، لما أراد موسى فراق شعيب - عليهما السلام - أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالب لون[1] قال: فما مرت شاة إلا ضرب جنبيها موسى عليه السلام بعصاه، فولدت قوالب ألوانها كلها، وولدت ثنتين وثلاثا[2]، كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب[3]، ولا كمشة تفوت الكف، ولا ثغول[4]. وقال رسول الله ﷺ: إذا فتحتم الشام فإنكم ستجدون بقايا منها، وهي السامرية.

ورواه الطبراني، إلا أنه قال: فلما وردت الغنم الحوض، وقف ﷺ بازاء الحوض، فلم يصدر[5] منها شيء إلا ضرب جنبيها فحملت فنتجت كلها قوالب لون واحد، ليس فيها فشوش، ولا ضبوب (ولا ثعول، ولا)[6] كمشة تفوت الكف، فإن افتتحتم الشام وجدتم بقايا منها فاتخذوها، وهي السامرية.

= وهو: عتبة بن الندر - بضم النون وتشديد الدال المهملة المفتوحة - السلمي، نزل مصر، وعاش طويلاً. مات في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ وسنة أربعة وتسعون عاماً.

راجع: الإصابة ٢/٤٤٩، الاستيعاب على هامش الإصابة ٣/١١٨.

(١) قال في النهاية ٤/٩٧: جاءت على غير ألوان أمهاتها، كأن لونها قد انقلب.

(٢) في مجمع الزوائد: ثنتين وثلاثين، وفي فتوح مصر: اثنتين وثلاثة.

(٣) قال الحافظ ابن كثير ٣/.-؟؛ وقال صفوان: ولا صبوب - بالمهملة - قال أبو زرعة: الصواب: طنوب ولا عزوز، اهـ.

(٤) هكذا وفي مجمع الزوائد والنهاية وفتوح مصر: ثعول. وعند ابن كثير: تعول.
قال في النهاية ١/٢١٢: الثعول: الشاة التي لها زيادة حلمه وهو عيب.

(٥) أي ينصرف ويرجع عن الحوض.

(٦) زيادة عن مجمع الزوائد.

قال يحيى بن بكير[1]: الفشوش: التي ينفش لبنها عند الحلب[2]. والضبوب: التي يضب ضرعها عند الحلب[3]. والكمشة: التي تعتاص[4] عند الحلب[5].

قال الهيثمي: وفي إسنادهما ابن لهيعة وهو ضعيف، وقد يحسن حديثه، وبقية رجالهما رجال الصحيح[6].

ورواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، من طريق ابن لهيعة - أيضاً - وقال: إلا ضرب جنبها[7]، وقال: ولا كمشة[8].

وروى أبو يعلى بسند - قال الهيثمي: رجاله ثقات[9] - عن أبي سعيد

---

(١) هو يحيى بن عبدالله بن بكير، المخزومي، مولاهم، المصري ينسب إلى جده، ثقة، واختلف في سماعه من مالك.
قال الذهبي: كان صدوقاً واسع العلم مفتيا. توفي سنة ٢٣١ هـ.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٣٥١.
الكاشف للذهبي ٣/٢٦٠.

(٢) قال في النهاية ٣/٤٤٨: أي يجري، وذلك لسعة الأحليل.

(٣) وقال في النهاية ١/٢١٢، ٣/٧٠: الضبوب: الضيقة مخرج الحلب.

(٤) في د: تعاطن.

(٥) قال في النهاية ٤/٢٠٠: الكموش: الصغيرة الضرع. سميت بذلك لانكماش ضرعها وهو تقلصه.

(٦) مجمع الزوائد ٧/٨٨.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٣٨٧: هذا الحديث على عبدالله بن لهيعة المصري وفي حفظه سوء، وأخشى أن يكون رفعه خطأ.

(٧) يعني بالأفراد، لا بالتثنية.

(٨) فتوح مصر ٣٠٤.

(٩) مجمع الزوائد ٧/٨٨.
وليس كما قال الهيثمي، فقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٥١٠ في إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف.

رضي الله عنه: أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾[1] قال: معاده: آخرته.

ورواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: معادك: الجنة[2].

وفي رواية: إلى معاد: قال: الموت[3].

قال الهيثمي: رواه بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح، غير خصيف[4] وهو ثقة وفيه ضعف[5].

وذكر ابن اسحاق أنه قدم على النبي ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً، ـ أو قريباً من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبره في الحبشة[6]، فدعاهم رسول الله ﷺ، وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، حتى استجابوا له، وآمنوا به، وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم من أمره، ويقال: فيهم نزلت هذه الآيات: ﴿ **الذين[7] آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون** ﴾[8].

---

(١) الآية: ٨٥ من السورة.

(٢) قال الحافظ في الفتح ٨/٥١٠: اسناده ضعيف.

(٣) قال في الفتح ٨/٥١٠: أخرجه ابن أبي حاتم، وإسناده لا بأس به.

(٤) هو أبو عون خصيف ـ بحاء معجمة بعدها صاد مهملة ـ بن عبد الرحمن الجزري الحراني، من موالي بن أمية، المتوفي سنة سبع ـ أو ثمان ـ وثلاثين ومائة، كان مرجئاً سيء الحفظ. قال يحيى القطان: كنا نجتنب خصيفا.
راجع: الميزان ١/٦٥٣ الترجمة رقم ٢٥١١. والمغنى في الضعفاء ١/٢٠٩ الترجمة رقم ١٩١٢.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٨٨.

(٦) في سيرة ابن هشام: من.

(٧) الآيات: ٥٢ ـ ٥٥.

(٨) سيرة ابن هشام ٢/٣٩١.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٣٩٤ وفيه تحديد لمقدار الآيات.

سورة العنكبوت

مكية.

قال قتادة: إلا عشراً من أولها إلى: ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾[1] فانهن نزلن بالمدينة.

نقله أبو عمرو الداني[2] والجعبري.

قال أبو حيان: نزل أوائلها في مسلمين بمكـة كرهوا الجهاد حين فرض بالمدينة. وقيل: في مهجع[3] مولى عمر رضي الله عنهما، قتل ببدر فجزع أبوه وامرأته عليه[4].

(١) جعلها عشر ايات على مذهب من أسقط «الم» فلم يعدها آية وعند من يعدها آية كالكوفي، تكون الآيات المشار إليها إحدى عشر.

(٢) البيان: ورقة ٦٣.

(٣) هو مهجع ـ بكسر الميم، وسكون الهاء، وفتح الجيم ـ بن صالح العكي أصله من عكا، فأصابه سبى، فمنّ عليه عمر فأعتقه، وكان من السابقين إلى الإسلام، وأول من استشهد يوم بدر.

راجع: الإصابة ٤٤٦/٣، وتلقيح فهوم الأثر ص ٢٥٩.

(٤) البحر المحيط ١٣٩/٧.

وقال النجم النسفي: مكية إلا قوله في قصة سعد: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حُسْناً﴾[١] وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنَّا بالله﴾[٢] فإنهما نزلتا بالمدينة[٣].

وقال الأصفهاني تبعاً لابن الجوزي[٤]: وبأنها مكية قال الحسن وقتادة وعطاء وجابر بن زيد[٥]، ومقاتل، ورواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي رواية عن ابن عباس: أنها مدنية.

وقال هبة الله المفسر: نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدينة.

وقال غيره عكس ذلك: نزلت العشر بالمدينة، وباقيها بمكة[٦].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها تسع وستون في جميع العدد، متفقة الاجمال فقط.

---

(١) الآية: ٨.
(٢) الآية: ١٠.
(٣) والصواب: أن الآية ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ﴾ مكية، فقد نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه لما أسلم، وكان ذلك بمكة كما ورد في الصحيح عند مسلم وغيره، فالقول بمدنيتها خطأ بين.
(٤) زاد المسير ٦/٢٥٣.
(٥) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي ـ نسبته إلى الجوف بعمان ـ البصري الفقيه، أحد الأئمة الثقات، روى عن ابن عمر وابن عباس ومعاوية، ومات سنة ٩٣، وقيل سنة ١٠٣ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٧٢، طبقات الحفاظ ص ٢٨، شذرات الذهب ١/١٠١.
(٦) هذا آخر كلام ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٢٥٣.

واختلافها ثلاث آيات:

﴿الم﴾[١] عدها الكوفي وحده.

﴿ وتقطعون السبيل ﴾[٢] عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ مخلصين له الدين ﴾[٣] عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضع واحد:

﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾[٤].

ورويها: نمر.

مقصودها

ومقصودها: الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الله تعالى وحده، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً لئلا يكون مثل المعرّج، مثل العنكبوت، فإن ذلك مثل كل من عرج عنه سبحانه، وتعوض عوضاً منه، فهي سورة ضعف الكافرين، وقوة المؤمنين وقد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت، والله تعالى أعلم[٥].

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٢٩.

(٣) الآية: ٦٥.

(٤) الآية: ٦٧.

(٥) سورة العنكبوت مكية، وموضوعها العقيدة في أصولها الكبرى: الوحدانية الرسالة، البعث والجزاء.

ومحور السورة يدور حول الإيمان وسنة الابتلاء في الحياة، لأن المسلمين في مكة كانوا في أقسى أنواع المحنة والشدة، ولهذا جاء الحديث عن موضوع الفتنة والابتلاء في هذه السورة مطولاً مفصلاً وبوجه خاص عند ذكر قصص الأنبياء.

وقد بدأت السورة بذكر الابتلاء والافتتان صراحة: ﴿ الم، أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾؟. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال الهيثمي:

ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الأعمش قال: أرى أبا صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه[1] - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال: سينهاه ما تقول[2].

يعني قول الله تعالى: ﴿ **إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر** ﴾[3].

وروى عبد بن حميد في مسنده عن الزهري، عن رجل، عن ابن عمر

= وتمضي السورة تتحدث عن فريق من الناس يحسبون الإيمان كلمة تقال باللسان، فإذا نزلت بهم المحنة والشدة، انتكسوا إلى جحيم الضلال، وارتدوا عن الإسلام تخلصاً من عذاب الدنيا، ظانين أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله... ﴾.

كما تتحدث السورة عن محنة الأنبياء وما لاقوه من شدائد وأهوال في سبيل تبليغ رسالة الله عز وجل، بدءاً بنوح، ثم ابراهيم، ثم لوط ثم شعيب، وتتحدث عن بعض الأمم الطغاة المتجبرين كعاد وثمود وقارون وهامان، وتذكر مما حلّ بهم من هلال ودمار: ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصِباً... ﴾ الآيات.

وبعد ذلك الاستعراض السريع لمحنة الأنبياء وما لاقوه من أممهم تبين السورة صدق محمد ﷺ في دعوته وفي كل ما أخبر به: ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾.

ثم تتحدث السورة عن الأدلة والبراهين الدالة على قدرة الله ووحدانيته ثم تختم ببيان جزاء الذين صبروا أمام المحن والشدائد، موقنين أن الابتلاء سنة الله في عباده المؤمنين: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنَّ الله لمع المحسنين ﴾.

راجع: الظلال ٥/٢٧١٨. وصفوة التفاسير ١١/٥٣.

(١) مجمع الزوائد ٧/٨٩.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/٤٤٧.

(٣) الآية: ٤٥ من السورة.

رضي الله عنهما، قال: خرجت مع النبي ﷺ، حتى دخل بعض حوائط الأنصار رضي الله عنهم، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر مالك لا تأكل؟. قلت: يا رسول الله ﷺ لا أشتهيه، قال: لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منه لم أذق طعاماً، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟. فوالله ما برحنا ولا رمنا[1]، حتى نزلت: ﴿**وكَأَيِّنْ من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم**﴾[2] فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل لم يأمرني بكثرة الدنيا ولا اتباع الشهوات، فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية، فإن الحياة بيد الله ألا وأني لم أكنز ديناراً ولا درهماً، ولا أخبأ رزقاً لغد[3].

وروى الحافظ زين الدين ابن رجب من طريق الحافظ أبي بكر الخطيب عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خليّ، فلما قتل في المحنة وصلب رأسه، أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبت بقرب من الرأس مشرفاً عليه، وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه، فلما هدأت العيون، سمعت الرأس يقرأ: ﴿**ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ فاقشعر جلده.

---

(١) بمعنى: برحنا. راجع: النهاية ٢/٢٩٠.

(٢) الآية: ٦٠ من السورة.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٤٢٠: هذا حديث غريب وأبو العطوف الجزري ضعيف. اهـ.

وأبو العطوف هو: الجراح بن منهال الجزري، المتوفى سنة ١٦٧ هـ قال الذهبي في الميزان ١/٣٩٠: قال البخاري ومسلم: منكر الحديث وقال النسائي والدارقطني: متروك. وقال ابن حبان: كان يكذب في الحديث، ويشرب الخمر. اهـ.

سورة الروم

مكية كلها إجماعاً.

وقيل: إلا قوله: ﴿ **فسبحان الله حين تمسون** ﴾[1].

عدد آياتها وما يشبه الفواص فيها

وآيها خمسون وتسع آيات في المدني الأخير والمكي، وستون آية في غيره. اختلافها أربع آيات:

﴿ **ألم** ﴾[2]، عدها الكوفي وحده.

﴿ **غلبت الروم** ﴾[3] لم يعدها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.

---

(١) الآية: ١٧.

(٢) الآية: ١.

(٣) الآية: ٢.

﴿ في بضع سنين ﴾[1] لم يعدها المدني الأول والكوفي، وعدها الباقون.

﴿ يقسم المُجْرِمُون ﴾[2] عدها المدني الأول، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، أربعة مواضع:

﴿ بنصر الله ﴾[3] ﴿ حين تمسون ﴾[4]، ﴿ والمساكين ﴾[5]، ﴿ وابن السبيل ﴾[6]. وعكسه موضع: ﴿ يفرح المؤمنون ﴾ [7].

ورويها: نمر [8].

مقصودها

ومقصودها: إثبات الأمر كله لله، فتأتي الوحدانية مطلقاً في الالهية وغيرها، والقدرة على كل شيء فيأتي البعث ونصر أوليائه، وخذلان أعدائه، وهذا هو المقصود بالذات، واسم السورة واضح فيه بما كان من السبب في نصر الروم من الوعد الصادق، والسر [9] المكتوم [10]

---

(١) الآية: ٤.

(٢) الآية: ٥٥.

(٣) الآية: ٥.

(٤) الآية: ١٧.

(٥، ٦) الآية: ٣٨.

(٧) الآية: ٥.

(٨) الراء: ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ الآية: ٥٠.
﴿ وهو العليم القدير ﴾ الآية: ٥٤.

(٩) في د: والسر المكنون.

(١٠) سورة الروم مكية: وأهدافها ومقاصدها هي نفس أهداف ومقاصد السور المكية، التي تعالج العقيدة الإسلامية في إطارها العام وميدانها الفسيح، والإيمان بالوحدانية، والرسالة، والبعث والجزاء».
وقد ابتدأت السورة الكريمة بالتنبؤ عن حدث غيبي هام، أخبر عنه القرآن الكريم.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أحمد في المسند، عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ألا أخبركم لم سمي الله تعالى إبراهيم عليه السلام خليله الذي وفى، لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، حتى يختم[1] الآية.

قبل حدوثه، وهو انتصار الروم على الفرس في الحرب التي ستقع بينهما في المستقبل، وقد حدث ما أخبر عنه القرآن، فانتصر الروم على الفرس، وتحققت تلك النبوءة، وهذا من أظهر الدلائل على صدق النبي ﷺ فيما جاء به من الوحي، ومن أعظم معجزات القرآن.

ثم تمضي السورة في حديث واضح عن الشرك وضرره، وبيان عجز الشركاء عن فعل أي شيء، وتتخذ من زاوية الرزق والكسب علاجاً لتلك القضية، ومحاربة تلك المزاعم الباطلة: ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم، ثم يميتكم ثم يحييكم، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وفي السورة حديث مفصل عن الساعة والقيامة، وعن المصير المشؤوم الذي ينتظر أهل الكفر والضلال في ذلك اليوم العصيب، بينما يكون المؤمنون في روضات يحبرون، وفي الجنات ينعمون.

وفي ثنايا ذلك تعرض السورة بعض المشاهد الكونية، والدلائل الغيبية، الناطقة بقدرة الله وعظمته، ثم ختمت السورة بالحديث عن كفار قريش، إذ لم تنفعهم الآيات والنذر، ومهما رأوا من آيات الله المبثوثة في الكون فهم لا يتعظون، لأنهم كالموتى لا يسمعون ولا يبصرون.

ثم تذكر قول الله لرسوله ﷺ: ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾.

وهكذا تختم السورة بما بدأت من بيان وعد الله بنصر عباده المؤمنين، فيتناسق البدء والختام.

راجع: الظلال ٥/٢٧٥٤، صفوة التفاسير ١٢/٣.

(١) مسند الإمام أحمد ٣/٤٣٩.

وفيه عبدالله بن لهيعة. قال الذهبي في الميزان ٢/٤٧٥: قال ابن معين: ضعيف لا يحتج به.

ولأبي داود ـ وسكت عليه، لكن تكلم فيه البخاري في تاريخه، قال النووي: وفي كتاب الضعفاء[1] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قال حين يصبح: ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، إلى قوله، وكذلك تخرجون**[2] ﴾، أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالها حين يمسي، أدرك ما فاته في ليلته[3].

ولعبد الرزاق في جامعه عن شبيب بن روح، عن رجل من أصحاب محمد قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ صلاة الفجر، فقرأ سورة الروم، فالتبس فيها عليه، فلما انصرف قال: ما بال رجال يصلون معنا بغير طهور؟. من صلى معنا فليحسن طهوره، فإنما يلبس علينا القرآن أولئك[4].

ورواه أحمد عن أبي روح الكلاعي قال: صلى بنا نبي ﷺ صلاة، فقرأ فيها بسورة الروم، فلبس عليه بعضها، فقال: إنما لبس علينا الشيطان من أجل أقوام يأتون الصلاة بغير وضوء، فإذا أتيتم الصلاة، فأحسنوا الوضوء[5].

---

(١) كتاب الأذكار للنووي ص ٧٦.

(٢) الآيات: ١٧ ـ ١٩ من السورة.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣١٩/٤ حديث رقم ٥٠٧٦.
قال المنذري في مختصر السنن ٣٣٥/٧: في اسناده محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه، وكلاهما لا يحتج به.
قال الذهبي في الميزان ٦١٧/٣: محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، عن أبيه، ضعفوه.
قال البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. وقال ابن حبان: حدث عن أبيه بنسخة شبيهاً بمائتي حديث كلها موضوعة. اهـ.
وراجع: التهذيب ٢٩٣/٩. وتقريب التهذيب ١٨٢/٢ . والميزان ٥٥١/٢ في ترجمة أبيه عبد الرحمن، وفيه: أنه ضعيف لا تقوم به حجة. والتاريخ الكبير للبخاري ١٦٣/١ ترجمة رقم ٤٨٤، ٢٦٣/٥ ترجمة رقم ٨٤٨.

(٤) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ١١٦/٢ حديث رقم ٢٧٢٥.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤٧١/٣.

وفي رواية: فردد في آية، فلما انصرف قال: إنه لبس عليه القرآن أن أقواماً منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء[1].

قال المنذري: هكذا رواه، ورجال الروايتين محتج بهم في الصحيح ورواه النسائي عن أبي روح[2]، عن رجل[3].

يعني كرواية عبد الرزاق.

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن عبد الملك بن عمير[4]: أن النبي ﷺ قرأ في الفجر يوم الجمعة بسورة الروم[5].

وروى الطبراني في الكبير عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف[6]، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قيل له: نجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى؟. قال: نعم، فقرأ عليه: ﴿ **فسبحان**

---

(١) مسند الإمام أحمد: الموضع السابق.
وفيه عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي المتوفي سنة ١٣٦ هـ ممن جاوز المائة، وثقة العجلي، وضعفه الإمام أحمد.
راجع: الميزان ٢/٦٦٠. وتقريب التهذيب ١/٥٢١ وفيه: ثقة فقيه تغير حفظه، وربما دلس.

(٢) سنن لنسائي: كتاب النسائي: كتاب الافتتاح، باب القراءة في الصبح بالروم ١٥٦/٢.

(٣) الترغيب والترهيب ١٧/١.

(٤) هو أبو عمر عبد الملك بن عمير الفرسي - بفتح الفاء والراء - اللخمي الكوفي، المتوفي سنة ١٣٦ وهو ثقة. (الخلاصة).

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ١١٧/٢ حديث رقم ٢٧٣٠.

(٦) قال الذهبي في الميزان ٤٩/٢: قال ابن عدي: إما أن يكون مغفلاً أو يتعمد، فإني رأيت له مناكير.
وراجع : المغنى في الضعفاء ٣٥٣/١ ترجمة رقم ٣٢٨.

الله حين تمسون﴾[1]: المغرب، ﴿**وحين تصبحون**﴾[1]: الصبح، ﴿**وعشياً**﴾[2]: العصر، ﴿**وحين تظهرون**﴾[2]: الظهر، ﴿**ومن بعد صلاة العشاء**﴾[3] قال: صلاة العشاء[4].

---

(١) الآية: ١٧ من السورة.

(٢) الآية: ١٨ من السورة.

(٣) الآية: ٥٨ من سورة النور.

(٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤١٠ عن نافع بن الأزرق، عن ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد.
وافقه الذهبي في التلخيص.

سورة لقمان عليه السلام

مكية.

قال ابن الجوزي: في قول الأكثرين[١].

وقال أبو عمرو الداني والجعبري: (قال ابن عباس)[٢]: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة. وقال عطاء: إلا آيتين[٣].

وذلك أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة الشريفة أتته أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد إنك تقول: ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾[٤]، أتعنينا أم قومك؟. قال: كلا قد عنيت. قالوا: إنك تتلو: أنا قد أوتينا التوراة وفيها

---

(١) زاد المسير ٧/٣١٤ .

(٢) زيادة عن البيان للداني .

(٣) البيان للداني : ورقة ٦٤ .

(٤) سورة الاسراء : آية ٨٥ .

بيان كل شيء؟.. فقال ﷺ: هي في علم الله قليل. فأنزل الله عز وجل: ﴿ ولو[1] أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾[2].

قال الداني: إلى آخر الآيتين[2].

وقال الجعبري: إلى آخر الثلاث.

وعزا أبو حيان كونها ثلاثاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما[3].

وقال ابن الجوزي: وعن الحسن أنه قال: مكية إلا آية نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾[4]، لأن الصلاة والزكاة مدنيتان، انتهى[5].

وهو غير مسلم في الصلاة، فإنها فرضت في مكة[6].

---

(١) الآية: ٢٧.

(٢) البيان للداني: ورقة ٦٤.

(٣) البحر المحيط ١٨٣/٧. وكذا عزاه الداني إلى ابن عباس في البيان.

(٤) الآية: ٤.

(٥) زاد المسير ٣١٤/٧.

(٦) وهذا أشهر من أن يخفى على أحد. فقد استفاضت الروايات الدالة على أن النبي ﷺ وهو بمكة كان يصلي عند البيت جهاراً، وكان المسلمون يصلون في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وحادث الاسراء الذي فرضت فيه الصلاة كان بمكة، وفي القرآن المكي آيات كثيرة تعد المصلين بالخير، وتتوعد التاركين لها بالعذاب والشر، فمن ذلك: قول الله تعالى في سورة المعارج: ﴿ إن الانسان خلق هلوعاً، اذا مسه الشر جزوعاً، واذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين، الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾. وقوله: ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون، أولئك في جنات مُكْرَمُونَ ﴾.
وفي سورة القلم: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ وفي سورة المدثر: ﴿ ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين ﴾.
وفي سورة المزمل من أولها إلى آخرها ما يشهد بذلك.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثلاثون، في المدنيين والمكي، وأربع في الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **الم** ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ **مخلصين له الدين** ﴾[2]، عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفاصلة، وليس معدوداً بإجماع، موضع ﴿ **في الدنيا معروفاً** ﴾[3] وعكسه موضع: ﴿ **لصوت الحمير** ﴾[4].

ورويها: ظن مرد[5].

مقصودها

ومقصودها: إثبات الحكمة للكتاب، اللازم منه حكمة منزله سبحانه في أقواله وأفعاله.

وقصة لقمان عليه السلام، المسمى بها السورة، دليل واضح على ذلك[6].

---

(١) آية : ١

(٢) آية : ٣٢ .

(٣) آية : ١٥ .

(٤) آية : ١٩ .

(٥) الدال : ﴿ فان الله غني حميد ﴾ الآية : ١٢ .
والظاء : ﴿ نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ الآية : ٢٤ .

(٦) سورة لقمان مكية ، ومقصودها : معالجة موضوع العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن حقيقتها ، وهي تتلخص في توحيد الخالق وعبادته وحده ، وشكر آلائه ونعمه ، وفي اليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق ، وجزاء عادل .

فضائلها

وأما فضائلها: فروى النسائي، وابن ماجه، بإسناد - قال النووي في شرح المهذب: حسن[1] - عن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ

= وقد عرضت السورة تلك القضية بأسلوب يستدعي التدبر لأسلوب القرآن العجيب في مخاطبة الأفئدة والقلوب. فقد أقامت الحجج والبراهين الدالة على وحدانية الله رب العالمين، وذكرت الكثير من دلائل القدرة في هذا الكون العجيب، في سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، ونهاره وليله، وفي جباله وبحاره، وأمواجه وأمطاره، ونباته وأشجاره، وفي سائر ما يشاهده المرء من دلائل الوحدانية ومظاهر القدرة، معلنة للمشركين والمعرضين: ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾.

كما ذكرت قصة لقمان، وهو رجل آتاه الله الحكمة، وقد اختاره الله ليعرض على لسانه قضية التوحيد، وقضية الآخرة، وما يتبع هذا وذاك من الأعمال الصالحة، وبيان أن شكر الله واجب على العباد، وبيان أن الشكر رصيد مذخور ينفع الشارك وحده، وأما الله فهو محمود لذاته لا ينفعه شكر الشاكرين ولا يضره كفر الكافرين.

وتجيء قضية التوحيد على لسان لقمان في سياق وَعْظِهِ لابنه: ﴿ واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله أن الشرك لظلم عظيم ﴾، وهي عظة بريئة من الاتهام، فما يريد الوالد لولده الا الخير، ولا يكون الوالد لولده إلا ناصحاً، وها لقمان ينهى ولده عن الشرك، ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم. وهذه هي الحقيقة التي يعرضها محمد ﷺ على مجتمع قريش فيأبى ويعارض، ويجادل ويعاند، ظاناً أن محمداً يريد من وراء ذلك سلطاناً، أو ينتزع منهم مالاً أو جاهاً، فما القول ولقمان يعرضها على ولده، والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة. وبعيدة من كل تهمة.

ثم يجيء التوكيد لتلك النصيحة في سياق الوصية بالوالدين في قوله تعالى: ﴿ وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾.

ثم تختم السورة بالتحذير من هول يوم الحساب، وبيان احاطة علم الله بسائر الأشياء، وأنه الخبير بكل ما في السموات والأرض، ما ظهر منه وما بطن.

راجع: الظلال ٥/٢٧٨٠ وما بعدها.

(١) المجموع لنووي ٣/٣٨٢ ط / المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

يصلي بنا الظهر، فنسمع منه الآية[1] بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات[2].

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمهن إلا الله؛ إن الله عنده علم الساعة [3].

وروى أحمد والبزار - ورجال أحمد رجال الصحيح - عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير[4].

---

(١) قال السندي في شرح سنن النسائي ١٦٣/٢ : أي يقرأ بحيث نسمع الآية من جملة ما قرأ ، وهذا يدل على أن الجهر القليل في السرية لا يضر ، وعلى أن الجمع بين الجهر والسر لا يكره . اهـ .

(٢) سنن النسائي : كتاب الافتتاح ، باب القراءة في الظهر ١٦٣/٢ .
وسنن ابن ماجة : كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الجهر بالآية أحياناً في صلاة الظهر والعصر ٢٧١/١ حديث رقم ٨٣٠ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء ٣٠/٢ ، وكتاب التفسير ، سورة لقمان ١٤٤/٦ . وكتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ ٩٣/٩ عن عبدالله ابن عمر .
وصحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب أشراط الساعة ١٦٤/١ عن أبي هريرة .

(٤) مسند الامام أحمد ٥٥٣/٥ .
وأخرجه عن عبدالله بن عمر ٢٤/٢ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ١٢٢ .
ولفظه : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله . . . الحديث .
و٨٥/٢ بلفظ : أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس . . الحديث .

سورة السجدة

وتسمى أيضاً: الم تنزيل، والمضاجع، والمنقسمة، والمنجية.

مكية.

وقال الإمام أبو عمرو الداني: قال ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء: إلا ثلاث آيات منها، نزلت بالمدينة في علي رضي الله عنه، والوليد بن عتبة[1]، وكان بينهما كلام، فقال الوليد لعلي رضي الله عنه: أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأرد[2] منك للكتيبة، فقال له علي رضي الله عنه: أسكت فإنك فاسق، فأنزل الله عز وجل فيهما: ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً** ﴾[3]، إلى آخر الآيات الثلاث[4].

(١) هو الوليد بن عتبة بن ربيعة، قتله علي يوم بدر، وكذلك قتل أبوه عتبة يومئذ على يد علي وحمزة.

راجع: سيرة ابن هشام ٢/٦٢٥.

(٢) في أسباب النزول للواحدي ص ٣٦٨: وأملأ.

(٣) الآيات: ١٨ - ٢٠.

(٤) البيان لأبي عمرو: الورقة ٦٤.

وقال الجعبري: إلى: ﴿ **تكذبون** ﴾[1]، انتهى.

وهذا النقل فيه نظر، فإن علياً رضي الله عنه لم ينقل من طريق صحيح أنه اجتمع بالوليد بعد أن هاجر، إلا ساعة المبارزة ببدر، فإن كان قال له ذلك حينئذ، وإلا فمتى؟.

وقال ابن الجوزي: هي مكية بإجماعهم.

وقال الكلبي: فيها من المدني ثلاث آيات، أولها: ﴿ **أفمن كان مؤمناً** ﴾.

وقال مقاتل: فيها آية مدنية، هي قوله تعالى: ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾، الآية.

وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات، أولها: ﴿ **وتتجافى جنوبهم** ﴾، انتهى[2].

عدد آياتها

وآيها عشرون وتسع في البصري، وثلاثون في عدد الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **الم** ﴾[3]، عدها الكوفي وحده.

﴿ **لفي خلق جديد** ﴾[4] لم يعدها الكوفي والبصري، وعدها الباقون.

---

(١) الآية : ٢٠ .

(٢) زاد المسير ٦/٣٣٢ .

(٣) آية : ١ .

(٤) آية : ١٠ .

وليس فيها شيء مما يشبه الفواصل، وفيها عكسه، وهو ما يشبه الوسط وهو آية ثلاثة مواضع:

﴿ مـن طـيـن ﴾[1]، ﴿ يستوون ﴾[2]، ﴿ اسرائيل ﴾[3].

ورويها: ملن[4].

مقصودها

ومقصودها: إنذار الكفار بهذا الكتاب، السار للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار، واسمها «السجدة» منطبق على ذلك بما دعت إليه ايتها من الأخبار، وترك الاستكبار.

وكذا تسميتها بالمضاجع، وتسميتها بـ ﴿ ألم تنزيل ﴾ مشيراً إلى تأمل جميع السورة، فهو في غاية الوضوح في مقصودها، وتسميتها بالمنقسمة أيضاً، دال عليه من جهة: أنها انقسمت للاعاذة من عذاب القبر، الذي هو مقدمة عذاب النار[5].

وكذا المنجية: فإن مَنْ قَبِلَ الانذار، نجا من النار[6].

---

(١) آية : ٧ .

(٢) آية : ١٨ .

(٣) آية : ٢٣ .

(٤) الميم : ﴿ الم ﴾ الآية : ١ .

: ﴿ العزيز الرحيم ﴾ الآية : ٦ .

اللام : ﴿ وجعلناه هدى لبني اسرائيل ﴾ الآية : ٢٣ .

(٥) وأيضاً : سميت منقسمة لما دلت عليه من جعل الناس فريقين : فساق في النار، ومؤمنون في الجنة . ويدل عليه قوله تعالى فيها : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون . وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ .

(٦) سورة السجدة مكية ، وهي كسائر السور المكية تعالج أصول العقيدة وتجعل منها =

= مادتها الأصلية ، وموضوعها الأساسي ، ويمضي السياق في عرض تلك القضية في عدة مقاطع مترابطة :

تبدأ السورة ـ أولاً ـ بالأحرف المقطعة « الم » تنبيهاً إلى أن القرآن في تنزله من جنس هذه الأحرف ، ونفي الريب عن كونه وحياً من الله رب العالمين .

وهذه هي القضية الأولى من قضايا العقيدة : وهي قضية الوحي وصدق الرسول ﷺ في التبليغ عن الله عز وجل : ﴿ الم ،تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ .

ثم تعرض السورة قضية الألوهية ، ودلائل القدرة والوحدانية ماثلة في صفحة هذا الوجود : في خلق السموات والأرض وما بينهما وفي الهيمنة على هذا الكون ، ورفع الأمر إلى الله في اليوم الآخر ثم نشأة الانسان وأطوار خلقه : خلقاً من بعد خلق . وما وهبه الله من السمع والبصر والادراك .

ثم تعرض قضية البعث والجزاء، وشك المشركين في تلك القضية وانكارهم لوقوعها ، والرد على هذا الشك بصيغة الجزم واليقين : ﴿ وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أءنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون . قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجوعون ﴾ .

ولتأكيد هذه القضية في نفوس المرتابين والمنكرين يجيء في ثنايا السورة مشهد من مشاهد القيامة تعرض فيه صورة حية لأولئك المكابرين ، وهم يعلنون يقينهم بيوم الحساب :

﴿ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون ﴾ .

وبجانب هذه الصورة الكئيبة ، تجيء صورة موحية ، تعرض فيها ما أعد الله للمؤمنين الساجدين العابدين :

﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ .

وبجانب هذا وذاك ترد اشارة سريعة إلى قصة موسى ، وفيها الايحاء والتسلية ، والتمسك بالصبر في سبيل الدعوة ونجاحها .

ثم تختم السورة بحكاية قول المشركين :

﴿ مَتَى هذا الفتح ﴾ أي متى يوم البعث الذي يتحقق فيه الوعيد ؟. وتوجيه الرسول ﷺ إلى الاعراض عنهم ، وتركهم الى مصيرهم المحتوم .

راجع : الظلال ٢٨٠٣/٥ .

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي في الجامع، والنسائي في اليوم والليلة، والدارمي وعبد بن حميد في المسند، والطبراني فيما انتخبه عليه ابن مردويه، والبيهقي في الدعوات، عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: الم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك(١).

ورواه مُسدد، وقال بعده: وقال طاووس: فضلتا على كل سورة من القرآن بستين حسنة(٢).

وفي جامع الأصول عن الترمذي: بسبعين حسنة(٣).

وروى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة، الم تنزيل السجدة.

وروى أبو عبيد عن أبي خيثمة، قال: قلت لأبي الزبير(٤): أسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يذكر: أن رسول الله ﷺ كان لا ينام، حتى

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك ٤/٢٣٩ حديث رقم ٣٠٥٤.

وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٢/٤٥٥.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤١٢ وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) ورواه الدارمي بهذا اللفظ ٢/٤٥٥: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك.

(٣) جامع الأصول لابن الأثير ٨/٤٩٥ حديث رقم ٦٢٧٧.

وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك ٤/٢٣٩ حديث رقم ٣٠٥٦.

(٤) هو محمد بن مسلم بن تدرس ـ بفتح التاء المثناة وضم الدال المهملة ـ الأسدي المكي، يدلس عن جابر وابن عباس وعائشة، وثقه ابن معين والنسائي، وضعفه أبو حاتم، وأبو زرعة. مات سنة ١٢٨ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٢٥، الخلاصة ص ٣٥٨، طبقات الحفاظ ص ٥٠.

يقرأ: ألم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك؟. فقال: ليس جابر حدثنيه، ولكن حدثنيه صفوان: أو ابن صفوان[1].

شكَّ أبو خيثمة.

وروى أبو عبيد من طريق عاصم بن أبي النجود عن المسيب بن رافع[2] أن النبي ﷺ قال: تجيء ألم السجدة يوم القيامة لها جناحان، تظل صاحبها، تقول: لا سبيل عليك، لا سبيل عليك[3].

ولمسلم وأبي عبيد في الفضائل، وأبي داود، والترمذي، والنسائي وعبد الرزاق في جامعه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: آلم، تنزيل السجدة، وهَلْ أتَى على الإنسان[4].

---

(١) وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٤٠ .
وقال الحافظ ابن كثير ٣/٤٥٦ : تفرد به أحمد .

(٢) هو أبو العلال بن رافع الأسدي ، الضرير ، الكوفي ، سمع من أم حبيبة وجابر بن سمرة مرسلاً . قال ابن معين : لم يسمع من صحابي الا من البراء وعامر بن عبدة . مات سنة ١٠٥ هـ. ﷺ
راجع : الخلاصة ص ٣٧٧ .

(٣) المسيب بن رافع لم يسمع من رسول الله ﷺ ، فالحديث مرسل ، وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة ثبت في القراءة غير ضابط في الحديث ، وقال الذهبي : صدوق يهم .

(٤) صححح ملم : كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٦/١٦٧ وسنن أبي داود : كتاب الصلاة ، باب ما يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ١/٣٨٦ حديث رقم ١٠٧٤ .
وسنن النسائي : كتاب الافتتاح ، باب ما يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ٢/١٥٩ .
وصحيح الترمذي : كتاب الجمعة ، باب ما جاء في ما يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ٢/١٦ حديث رقم ٥١٩ .
ومصنف عبدالرزاق : كتاب الصلاة ، باب القراءة في صلاة الصبح ٢/١١٧ حديث رقم ٢٧٢٨ .

وفي روايــة: وفي صــلاة الجمعــة، ســورة الجمعــة، وإذا جـاءك المنافقون[1].

وللشيخـين، والدارمي، وعبـد الرزاق، عن أبي هـريـرة رضي الله عنه مثله في صلاة الصبح. ولفظه: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة بألم تنزيل السجدة في الركعة الأولى، وفي الثانية: هل أتى على الإنسان[2].

وروى عبد الرزاق في جامعه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة. وسبح اسم ربك الأعلى، وفي صلاة الصبح يوم الجمعـة: ألم تنزيـل، وتبارك الـذي بيده الملك[3].

وسر ذلك: أن في كل من السجدة والملك والإنسان ذكر ابتداء الخلق والبعث، والجنة، والنار، فهي مذكرة بخلق آدم عليه السلام فيه[4] وقيام الساعة فيه[5]، إلى غير ذلك من أحوال الآخرة[6].

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٦/١٦٨ وأبو داود : كتاب الصلاة ، باب ما يقرأ في صلاة يوم الجمعة ١/٣٨٦ حديث رقم ١٠٧٥ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ٢/٥ . وصحيح مسلم : كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٦/١٦٨ . وسنن الدارمي : كتاب الصلاة ، باب القراءة في صلاة الفجر يوم الجمعة ١/٣٦٢ . ومصنف عبدالرزاق : كتاب الجمعة ، باب القراءة في يوم الجمعة ٣/١٨١ حديث رقم ٥٢٣٦ .

(٣) مصنف عبدالرزاق : كتاب الجمعة ، باب القراءة في يوم الجمعة ٣/١٨١ حديث رقم ٥٢٣٨ .

(٤) في هامش الأصل : الضمير في « فيه » عائد على يوم الجمعة .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الجمعة ٦/١٤١ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة .
وأخرجه مالك في الموطأ ١/١٠٨ . وأبو داود في سننه ١/٣٧٧ .

(٦) قال النووي في شرح مسلم ٦/١٦٦ : والحكمة في قراءة الجمعة : اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك من أحكامها ، وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث على=

وللدارمي عن خالد بن معدان مرسلاً: أن النبي ﷺ قال: اقرأوا المنجية، وهي: ﴿ألم تنزيل﴾ فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرؤها وما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه، وقالت: رب اغفر له، فإنه كان يكثر قراءتي، فشفعها الرب فيه، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة(١).

وله عن خالد أيضاً: أنها تجادل عن صاحبها في القبر، تقول: إن كنت في كتابك فشفعني فيه، وإن لم أكن من كتابك فامحني، وأنها تكون كالطير، تجعل جناحها عليه فتشفع له، فتمنعه من عذاب القبر.

وقال في تبارك مثله، فكان خالد لا يبيت حتى يقرأها(٢).

وينبغي أن يعلم: أن نسبة مثل هذا الكلام إلى القرآن، أو بعضه غير مشكلة، لأنه يمكن ـ والله أعلم ـ أن يجعل الله تعالى للألفاظ التي يقرؤها القارىء صوراً تعرف بها، ويطلق عليها اسم القرآن على سبيل المجاز أو الاشتراك، لدلالتها عليه، كما أنه سبحانه مكننا في هذه الدار من تصوير ذلك الكتاب، ويطلق على تلك الصور ذلك، كما قال النبي ﷺ: ﴿لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو﴾(٣)، ويجعل الله لتلك الصورة قوة النطق، ولله تعالى القدرة البالغة، فهو على كل شيء قدير.

وللدارمي ـ أيضاً ـ عن كعب رحمه الله، قال: من قرأ «تنزيل» السجدة

= التوكل والذكر وغير ذلك، وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم، وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد، لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها، اهـ.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٤٥٤/٢.

(٢) سنن الدارمي: الموضع السابق.

(٣) تقدم تخريجه والتعليق عليه.

وتبارك، كتب له سبعون حسنة، وحط عنه بهما سبعون سيئة، ورفع له بهما سبعون درجة[(١)].

ولعبد الرزاق في جامعه، عن أبي مجلز[(٢)]، أن النبي ﷺ سجد في صلاة الظهر، ثم قام، فيرون أنه قرأ ألم تنزيل، وهو يصلي بأصحابه رضي الله عنهم[(٣)].

ورواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: أن النبي ﷺ سجد في صلاة الظهر، ثم قام فركع فرأوا أنه قرأ: الم تنزيل السجدة[(٤)].

ولعبد الرزاق عن ابن جريج: أخبرني عطاء، أن رجلين فيما مضى كان يلزم أحدهما تبارك، فجادلت عنه حتى نجا، وأما صاحب السجدة الصغرى،

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٢/٤٥٤.

(٢) هو أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسي، نزيل خراسان، سمع من ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك، وغيرهم، وكان ثقة في الرواية. مات سنة ١٠٠، وقيل سنة ١٠١ هـ.

راجع: طبقات القراء ٢/٣٦٢.

(٣) مصنف عبدالرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر ٢/١٠٥ حديث رقم ٢٦٧٨.

وهو هكذا مرسل، ولكنه موصول في الرواية الثانية، لأنه من حديث ابن عمر.

(٤) مسند الإمام أحمد ٢/٨٣.

وسنن أبي داود: كتا الصلاة، باب القراءة في صلاة الظهر والعصر ١/٢١٤ حديث رقم ٨٠٧.

والمستدرك للحاكم ١/٢٢١. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الذهبي في التلخيص: على شرطهما.

قال الحاكم: وهو سنة صحيحة غريبة: أن الإمام يسجد فيما يسر بالقراءة مثل سجوده فيما يعلن، اهـ.

فتنقسم في قبره قسمين، قسم عند رأسه، وقسم عند رجليه، حتى نجا، فسميت المنقسمة[1].

وله عن يحيى بن أبي كثير قال: أمر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، أن يقرأوا: الم السجدة وتبارك الذي بيده الملك، فإنهما تعدل كل آية منهما سبعين آية من غيرهما، ومن قرأهما بعد العشاء الآخرة كانتا له مثلهما في ليلة القدر[2].

ولأبي عبيد عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يقول في تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك قال: فيهما فضل ستين درجة على غيرهما من سور القرآن[3].

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وجعلناه هدى لبني اسرائيل** ﴾[4] قال: جعل موسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فلا تكن في مرية من لقاءه** ﴾[5] من لقاء موسى ربه عز وجل.

قال الهيثمي: ورجاله رجال لصحيح[6].

---

(١) المصنف : كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم القرآن وفضله ٢/٣٨١ حديث رقم ٦٠٢٩ .

(٢) مصنف عبدالرزاق : كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٨٢ حديث رقم ٦٠٣٥ .

(٣) وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف : كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في قراءة ﴿ الم تنزيل وتبارك ﴾ ١٠/٤٢٤ .

والدارمي : كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٢/٤٥٤ .

كلاهما عن طاووس .

(٤) الآية : ٢٣ .

(٥) الآية : ٢٣ .

(٦) مجمع الزوائد ٧/٩٠ .

سورة الأحزاب

مدنية إجماعاً.

وآيها سبعون وثلاث في جميع العدد، ليس فيها اختلاف في إجمال ولا تفصيل.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضع واحد، ﴿ **إلى أوليائكم معروفاً** ﴾[1].

ورويها أحد عشر حرفاً «فمد له رزق بظن»[2].

---

(١) آية : ٦ .

(٢) الباء : ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ الآية : **٣٩** .

: ﴿ وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ الآية : **٥٢** .

والدال : ﴿ زلزالا شديدا ﴾ الآية : **١١** .

: ﴿ إن الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ الآية : **٥٥** .

: ﴿ وقولوا قولاً سديدا ﴾ الآية : **٧٠** .

مقصودها

ومقصودها: الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله، فهو يعلم من يشاء[1]، وإن كان ضعيفاً، ويردى من يريد وإن كان قوياً، فلا يهتمن الماضي لأمره برجاء لأحد منهم في بره، ولا خوف منه في عظيم شره، وخفى مكره[2].

وتسميتها بالأحزاب أوضح دليل على ذلك، بتأمل القصة التي أشارت إليها، ودلت عليها[3].

والزاي : ﴿ وكان الله قوياً عزيزا ﴾ الآية : ٢٥ .
والظاء : ﴿ وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا ﴾ الآية : ٢٧ .
والفاء : ﴿ وقلن قولاً معروفا ﴾ الآية : ٣٢ .
والقاف : ﴿ فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا ﴾ الآية : ٢٦ .
والهاء : ﴿ وكان عند الله وجيها ﴾ الآية : ٦٩ .
وباقي أحرف الروي مكررة في السورة .

(١) في د : ما .

(٢) عبارة ركيكة .

(٣) سورة الأحزاب مدنية ، تتناول الجانب التشريعي في حياة المسلمين شأنها في ذلك شأن سائر السور المدنية ، فشرعت من الأحكام ما يكفل للمجتمع المسلم سعادته واستقراره ، وأبطلت بعض التقاليد والعادات الموروثة ، ويمكن تلخيص ما تناولته السورة فيما يلي :

١ ـ ابطال عادة الظهار ـ وهو أن يحلف الرجل على زوجته بأنها عليه كظهر أمه ، فتحرم عليه حرمة أمه ـ وهي عادة جاهلية توارثوها جيلاً عن جيل ، ثم يجيء بعد ذلك ابطال عادة التبني ، والغاء ما يترتب عليه من آثار ، وسبق كل هذا الغاء عقيدتهم أن للرجل قلبين في جوفه : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهم أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ .

٢ ـ التذكير بنعمة الله على المؤمنين بنصرهم على الكفار الذين تآلبوا عليهم في غزوة =

فضلها

وأما فضلها: فروى صاحب الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: لكل شيء قائمة، وقائمة القرآن سورة الأحزاب.

وروى أبو داود، والترمذي وقال: حسن، والنسائي، وابن ماجة والحاكم، والبيهقي في الدعوات ـ قال النووي: بالأسانيد الصحيحة[1] ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأرسله بالحق بشيراً

= الأحزاب وبني قريظة، وتصوير ذلك تصويراً حياً، في مشاهد متعاقبة، تبين الحوار بين الأفراد والجماعات، وما كان من مشاعر المسلمين في ذاك الوقت العصيب، وما كان من مواقف المنافقين المثبطين، وبيان أن النصر انما هو من عند الله ولأوليائه المخلصين.

٣ـ تناولت السورة البيت النبوي بشيء من التفصيل، وما يلزم حياله من آداب ينبغي التزامها، فتجيء حادثة تخيير النبي ﷺ لأزواجه اللاتي طالبنه بالتوسعة في النفقة عليهن بعد ما وسع الله عليه وعلى المسلمين من فيء بني قريظة وما قبله من غنائم، ثم قصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، الذي كان تأكيداً عملياً لابطال عادة التبني وبيان حقيقة العلاقة بين رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين:

﴿ ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾.

وكذلك تنظيم الحياة الزوجية للنبي ﷺ، وبيان ما يحل له من النساء وما لا يحل له منهن.

وكذلك مسألة تنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي ﷺ وزوجاته، في حياته وبعد وفاته. وبجانب ذلك يجيء بيان جزاء من يؤذي رسول الله ﷺ في زوجاته وبيوته ومشاعره.

وفي ثنايا الحديث عن ذلك كله يجيء حكم المرأة المطلقة قبل الدخول، وبيان أن لا عدة عليها.

(١) الأذكار للنووي ص ٢٥٠ باب ما يقوله عند عقد النكاح.

ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً[1].

وفي رواية للبيهقي، ثم يقرأ الثلاث آيات: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** ﴾[2]، إلى آخر الآية، ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾[3]، ثم يقرأ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾[4] ثم تتكلم بحاجتك[5].

وخَرَّجَهُ مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً[6].

وخرَّجه مسلم من حديث جرير رضي الله عنه، وفيه آية الحشر: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾[7].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس ٢٨٧/١ . حديث رقم ١٠٩٧، وكتاب النكاح: باب في خطبة النكاح ٢٣٩/٢ حديث رقم ٢١١٩ .
وجامع الترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح ٢٨٥/٢ حديث رقم ١١١١ .
وسنن النسائي: كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة ١٠٤/٣، وكتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح ٨٩/٦ .
وسنن ابن ماجة: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح ٦٠٩/١ حديث رقم ١٨٩٢ .

(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٢ .

(٣) سورة النساء: آية ١ .

(٤) سورة الأحزاب: آية ٧٠ ـ ٧١ .

(٥) وأخرجه أبو داود: كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح ٢٣٨/٢ حديث رقم ٢١١٨ .
وأخرجه النسائي: كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة ١٠٥/٣ .

(٦) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب خطبته ﷺ ١٥٦/٦ .

(٧) سورة الحشر: آية ١٨ .

وفي صحيح مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أن رجلاً خطب عند رسول الله ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله[(١)].

تقدم في سورة النحل لهذا الحديث طريق أخرى عند مسلم[(٢)].

وروى عبد الرزاق في جامعة عن زر قال: قال أبي بن كعب رضي الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجمعة ، باب صلاة الجمعة وخطبتها ١٥٩/٦ قال الإمام النووي في شرح مسلم ١٥٩/٦ : قال القاضي وجماعة من العلماء : إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمه ، كما قال ﷺ في الحديث الآخر : « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان » .

والصواب : أن سبب النهي : أن الخطب شأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز ، ولهذا ثبت في الصحيح ، أن رسول الله ﷺ كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ليفهم . وأما قول الأولين فيضعف بأشياء منها : أن مثل هذا الضمير قد تكرر في الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله ﷺ كقوله ﷺ : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » وغيره من الأحاديث . وانما ثنى الضمير ههنا ، لأنه ليس خطبة وعظ ، وانما هو تعليم حُكْم ، فكلما قَلَّ لفظه كان أقرب إلى حفظه ، بخلاف خطبة الوعظ فإنه ليس المراد حفظها ، وانما يراد الاتعاظ بها ، ومما يؤيد هذا ما ثبت في سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيرا بين يدي الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئاً . اهـ .

وأجاب السيوطي في شرح سنن النسائي بأجوبة أخرى ، من بينها كلام النووي الذي نقلته ، فراجعه ٩٠/٦ - ٩١ .

(٢) راجع :

عنه: كأين[1] تقرأون سورة الأحزاب؟. قلت: بضعاً وثمانين آية، قال: لقد كنا نقرؤها مع رسول الله ﷺ نحو سورة البقرة، أو هي أكبر ولقد كنا نقرأ فيها آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم »[2].

وروى أبو عبيد في الفضائل، ولفظه: قال لي أبي بن كعب: يا زرّ كأيّن تعد ـ أو قال: كأيّن تقرأ ـ سورة الأحزاب؟. قلنا: اثنتين وسبعين، أو ثلاثاً وسبعين آية. فقال: إن كانت لتعدل سورة البقرة وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم، (قلت: وما آية الرجم)[3]؟. قال: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم »[4].

ويأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في سورة «لم يكن» حديث عن أبي موسى رضي الله عنه، أنه نزلت سورة نحو براءة، ثم رفعت.

وروى الطبراني بأسانيد ـ قال الهيثمي: ورجال بعضها رجال الصحيح[5] ـ عن قتادة رحمه الله قال: خطب النبي ﷺ زينب رضي الله عنها وهي بنت عمته، وهو يريدها لزيد رضي الله عنه فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد رضي الله عنه أبت. فأنزل الله تعالى: ﴿ وما

---

(١) أي: كم تقرأون.

(٢) مصنف عبدالرزاق: كتاب النكاح، باب الرجم والاحصان ٣٢٩/٧. حديث رقم ١٣٣٦٣.

وراوه البيهقي في السنن ٢١١/٨.

والحاكم في المستدرك ٤١٥/٢ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد. ووافقه الذهبي.

(٣) ما بين الحاصرين سابقاً من: د.

(٤) هذه رواية عبدالرزاق في المصنف ٣٢٩/٧.

(٥) مجمع الزوائد ٩٢/٧.

كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[1] فَرضيَتْ وسَلَّمَتْ.

وروى الطبراني في الكبير، وأحمد - قال الهيثمي: وفيه ليث بن أبي سليم وهو مضطرب الحديث، وبقية رجالها رجال الصحيح[2] - عن عبد الله بن قيس[3] رضي الله عنه قال:

صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة، ثم قال: على مكانكم أثبتوا، ثم أتى الرجال فقال: إن الله أمرني أن آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً، ثم تخلل إلى النساء فقال: إن الله أمرني أن آمركم أن تتقين الله وأن تقلن قولاً سديداً[4]

---

(١) الآية : ٣٧ .

(٢) مجمع الزوائد ٧/٩٤ .

(٣) هو أبو موسى الأشعري : عبدالله بن قيس بن سليم ، من ولد الأشعر بن أدد ، أسلم قديماً ، ولكنه لم يهاجر إلى الحبشة واستعمله النبي ﷺ على بعض بلاد اليمن كعدن وزبيد ، وكان أحد الحكمين في صفين ، ومن أحسن الناس صوتاً بالقرآن . واختلف في تاريخ وفاته ، والأكثرون على أنه توفي سنة ٤٤ هـ بداره بالكوفة . وقيل بمكة .

راجع : الاصابة ٢/٣٥١ .

الاستيعاب على هامش الاصابة ٢/٣٦٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد ٣/٣٩١ ، ٤١٣ .

وذكر ابن كثير في تفسيره ٣/٥٢١ : أن ابن أبي حاتم أخرجه في تفسيره من حديث ليث بن أبي سليم أيضاً .

سورة سبأ

مكية إجماعاً.

وقال الأصفهاني تبعاً لابن الجوزي[1]: وقال الضحاك وابن السائب ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿ **ويرى الذين أوتوا العلم** ﴾ الآية[2].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وأيها خمسون وخمس آيات في الشامي، وأربع في عدد الباقين.

اختلافها آية:

﴿ **عن يمين وشمال** ﴾[3] عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، أربعة مواضع:

---

(١) زاد المسير ٦/٤٣١.

(٢) الآية: ٦.

(٣) الآية: ١٥.

﴿ معاجزين ﴾ موضعان. ﴿ كالجواب ﴾[2]. ﴿ وبين ما يشتهون ﴾[3]. وعكسه موضع:
﴿ قَبْلَكَ مِنْ نذير ﴾[4].
ورويها: ظن لمدبر[5].

مقصودها

ومقصودها: أن الدار الآخرة التي أشار إليها آخر الأحزاب بالعذاب والمغفرة، بعد أن أعلم أن الناس يسئلون عنها، كائنة لا ريب في إتيانها، لما في ذلك من الحكمة وله عليه من القدرة.

ولقصة سبأ التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد لما فيها من الآيات الشهودية المشهودة - لاسيما عند العرب - على قدرته سبحانه على الإيجاد والإعدام، للذات والصفات، والتحويل لما يريد من الأحوال، والتصرف بالحكمة في الإعطاء والمنع ابتداء وجزاء لمن شكر، أو كفر[6].

---

(١) الآية: ٥، والآية: ٣٨.

(٢) الآية: ١٣.

(٣) الآية٥٤. (٤) الآية: ٤٤.

(٥) الظاء: «وربك على كل شيء حفيظ» الآية: ٢١ واللام: «وشيء من سدر قليل» الآية: ١٦. وباقي حروف الروى مكررة بكثرة في السورة.

(٦) هذه السورة مكية. ومقصودها الأصلي: موضوعات العقيدة الرئيسية: «التوحيد والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث». والى جوار هذه الأصول تصحيح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة، وبيان أن الإيمان والعمل الصالح هما أساس الحكم والجزاء عند الله عز وجل، وأنه لا توجد قوة تمنع من بطش الله وما من شفاعة عنده إلا باذنه.
والتركيز الأكبر في السورة يدور حول قضية البعث والجزاء، وتتكرر الإشارة في السورة حول تلك القضية بطرق متنوعة وأساليب شتى. مثل:
﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة، قل: بلى وربي لتأتينكم...﴾.
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم. والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾. =

= ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد، أفتري على الله كذباً أم به جنة، بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾. ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا: لولا أنتم لكنا مؤمنين. قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾.

وفي موضوع التوحيد، تبدأ السورة بقول الله تعالى:

﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير﴾.

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير﴾.

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟. قالوا: الحق وهو العلي الكبير﴾.

وفي موضوع الوحي والرسالة يأتي قوله تعالى:

﴿وقال الذين كفروا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه....﴾.

﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾.

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وفي موضوع تصحيح المفاهيم الخاطئة يأتي قوله تعالى:

﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا بما أرسلتم به كافرون، وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين. قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنوا﴾.

وفي أثناء السياق يأتي ضرب الأمثلة بقصص بعض الأنبياء لإيضاح تلك الحقيقة. ففي قصة آل داود الشاكرين، بيان الشكر على نعم الله عز وجل. وفي قصة سبأ بيان حال أولئك الجاحدين الذين بطروا وكفروا، فحل بهم من البلاء والضيق ما حل.

يراجع الظلال ٥/٢٨٨٨.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصُباً، فجعل يطعنها بعود كان في يده ويقول: ﴿ **جاء(١) الحقُّ وزهق الباطلُ، إن البَاطِلَ كان زَهُوقاً** ﴾ ﴿(٢) **جاء الحق وما يُبدىءُ الباطلُ وما يُعيدُ** ﴾(٣).

وفي السِّيَر: أن الأصنام كانت مشدودة بالرصاص، وأنه ما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي(٤):

وفي الأصنــام معتبـر وعلم ... لمن يرجو الثواب أو العقابا(٥)

وروى أحمد في المسند، والطبراني في الكبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو، أرجل، أم امرأة، أم

---

(١) سورة الإسراء: اية ٨١.

(٢) سورة سبأ: آية ٤٩.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر ١٠٨/٣، وكتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ٥٢/٥، وكتاب التفسير، سورة الاسراء، باب وقل جاء الحق وزهق الباطل ٢٢٨/٥.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ١٣٣/١٢.

(٤) هو تميم بن أسد ـ وقيل: أسيد. بفتح الهمزة وكسر السين المهملة ـ بن عبد العزي الخزاعي، أسلم وصحب النبي ﷺ قبل فتح مكة.
راجع: الاصابة ١٨٥/١. الاستيعاب على هامش الاصابة ١٨٧/١.

(٥) سيرة ابن هشام ٤١٧/٣.
قال الحافظ ابن حجر في الاصابة ١٨٥/١: ورواه ابن مندة من وجه آخر وقال: هذا حديث غريب، انفرد به يعقوب بن محمد الزهري.
قلت: ويعقوب ـ هذا ـ هو أبو يوسف الزهري المدني، المتوفي سنة ٢٢٣ ضعيف الرواية. بل قال الساجي: منكر الحديث.
وذكره الذهبي في «المغني في الضعفاء» ٧٥٩/٢ وقال: ضعفه أبو زرعة وغيره وهو الحق، فما هو بحجة. (وراجع الميزان ٤٥٤/٤).

أرض؟. قال: بل هو رجل[1] ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وسكن الشام منهم أربعة. فأما اليمانيون: فمذحج، وكندة والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير. وأما الشاميون: فلخم: وجذام، وعاملة، وغسان[2].

قال الهيثمي: وفي سندهما ابن لهيعة وفيه ضعف، وبقية رجالهما ثقات[3].

ورواه الطبراني من طريق أخرى فيها شيخ الطبراني[4] لم يعرفه الهيثمي، وبقية السند رجال الصحيح[5].

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره ٣/٥٣١: قال علماء النسب منهم محمد بن اسحاق: اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإنما سمى سبأ لأنه أول من سبى في العرب، اهـ.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٣١٦.

وأخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة سبأ ٥/٣٩ حديث رقم ٣٢٧٥. وقال: هذا حديث غريب حسن.

وأبو داود في سننه: كتاب الحروف والقراءات ٤/٣٤ حديث رقم ٣٩٨٨ وسكت عنه.

كلاهما عن فروة بن مسيك الغطيفي قال: أتيت النبيّ ﷺ، وفيه أنه الرجل الذي سأل.

وفي سندهما أبو سبرة عبد الله بن عابس النخعي الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن معين: لا أعرفه (الميزان ٤/٥٢٨).

والحديث في مختصر السنن للحافظ المنذري ٦/٨، وسكت عنه.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٢٣ من طريق أخرى عن عروة ـ أيضاً ـ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في التلخيص.

ورواه من طريق ثانية، ولم يعقب عليه.

وقد استقصى طرقه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٥٢٠، وذكر رواية مسندة إلى تميم الداري عند ابن عبد البر، وأشار الى أن الحديث في مجموع طرقه حسن.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٩٤.

(٤) هو علي بن الحسن بن صالح الصائغ، كما قال الهيثمي.

وترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/١٨٠ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره الذهبي في الميزان ٣/١٢٢ وقال: كان يضع الحديث على الشيوخ.

(٥) مجمع الزوائد ٧/١٤.

وروى عبيد الله بن محمد العَيْشِي[1] في جزءيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لكلِّ قَبِيلٍ[2] من الجن مقعد من السماء يستمعون فيه الوحي، وكان الوحي إذا نزل، (سمع)[3] له صوت كإمرار السلسلة على الصفوان ـ قال العيشي: يعني على الحجر ـ فلا ينزل على سماء إلا صُعقوا: «حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم[4] قالوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق[5] وهو العلي الكبير»[6]. ثم يقال: يكون العام كذا، ويكون العام كذا، فتسمع الجن ذلك (فتخبر به الكهنة، فتخبر)[7] الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا، فلما بعث رسول الله ﷺ دحروا. فقالت العرب: هلك من في السماء، فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً وجعل صاحب البقر ينحر كل يوم بقرة، وصاحب الشاة يذبح كل يوم شاة، حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب: يا آيها الناس عليكم أموالكم، فإنه لم يهلك من في السماء، وإن هذا ليس بانتشار، أليس ترون معالمكم من النجوم كما هي؟ فقال إبليس: لقد حدث اليوم حدث، ائتوني من تربة الأرض، فاتوه من تربة كل أرض، فجعل يشمها، حتى أتى من تربة مكة، فشمها فقال: من ههنا حدث الحدث، فنظروا فإذا النبي ﷺ قد بعث.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر، التميمي البصري، المعروف بالعيشى والعائش وبابن عائشة، لأنه من ولد عائشة بنت طلحة. روى عن حماد بن سلمة وجماعة. وروى عنه أحمد وأبو زرعة، والأثرم والبغوي، وخلق لا يحصون، وكان ديناً سخياً، محبباً الى الناس، ثقة صدوقاً. مات سنة ٢٢٨ في رمضان.

راجع: تهذيب التهذيب ٧/٧٦. والخلاصة ٢٥٣.

(٢) قال في اللسان ١١/٥٤: القبيل: الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعداً.

(٣) ساقطة من د.

(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٥/٦١: «فزع عن قلوبهم»: كشف عنها الفزع.

(٥) أي قالوا: قال الحق.

(٦) الآية: ٢٣ من السورة.

(٧) ما بين الحاصرين ساقط من د.

وروى الطبراني في الكبير عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح[1] ـ قال الهيثمي: وقد وثق، وتُكُلِّم فيه بغير قادح، وبقية رجاله ثقات[2] ـ عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله أن يوحي بأمره، تكلم بالوحي، أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل عليه السلام، فيكلمهم الله من وحيه بما أراد فينتهي به جبريل على الملائكة عليهم السلام، كلما مر بسماء سأله أهلها، ماذا قال ربنا يا جبريل؟ قال الحق وهو العلي الكبير، فيقول كلهم مثل ما قال جبريل عليه السلام، فينتهي به جبريل حيث أمر من السماء والأرض[3].

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن عثمان بن صالح السهمي المصري، المتوفي سنة ٢٢٨.
قال الذهبي في الميزان ٤/٣٩٦: هو صدوق إن شاء الله.
وقال ابن أبي حاتم ٩/١٧٥: كتبت عنه وكتب عنه أبي، وتكلموا فيه.
وراجع الخلاصة ٤٢٦.

(٢) مجمع الزوائد ٧/٩٥.

(٣) حديث النواس بن سمعان أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢٠٣. من طريق نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد، وكلهم ثقات.
وأخرجه ابن أبي حاتم وابن خزيمة (تفسير ابن كثير ٣/٥٣٧).
وأصل حديث النواس في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة، وابن عباس، وابن مسعود. أخرجه البخاري: كتاب التفسير، سورة الحجر ٥/٢٢١. وسورة سبأ، باب حتى إذا فزع عن قلوبهم ٦/٢٨. وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم ٨/١٩٤. وأخرجه في كتاب خلق أفعال العباد ص ٩٩ ـ ١١٠.
وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٤/٢٢٥.
وأبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في القرآن ٤/٢٣٥ حديث رقم ٤٧٣٨.
والترمذي: كتاب التفسير، باب سورة سبأ ٥/٤٠ حديث رقم ٣٢٧٦، ٣٢٧٧.
وابن ماجة: المقدمة، باب فيما أنكرته الجهمية ١/٦٩ حديث ١٩٤.

سورة فاطر

وتسمى سورة الملائكة.

مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها أربعون وست آيات في المدني الأخير والشامي، وخمس في عدد الباقين.
اختلافها سبع آيات:

﴿ **لهم عذاب شديد** ﴾[1] وهو الأول، عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **بخلق جديد** ﴾[2]، ﴿ **والأعمى والبصير** ﴾[3] لم يعدهن ثلاثتهن[4]، وعدهن الباقون.

---

(١) الآية: ٧.

(٢) الآية: ١٦.

(٣) الآية: ١٩.

(٤) لم يذكر إلا اثنين فقط، وسها عن ذكر الثالث، وهو قوله تعالى: ﴿ولا النور﴾ الآية: ٢٠ كما ذكره أبو عمرو الداني في البيان: ورقة ٦٤.

﴿ مَنْ في القبور ﴾[1] لم يعدها الشامي وحده.

﴿ أن تزولا ﴾[2] عدها البصري وحده.

﴿ لسنة الله تبديلا ﴾[3] عدها المدني الأخير والبصري والشامي. ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، ثلاثة مواضع:

﴿لهم عذاب شديد﴾[4] وهو الثاني، ﴿جدد بيض﴾[5]، ﴿وجاءكم النذير ﴾[6].

ورويها: زد برغل[7].

مقصودها

ومقصودها: إثبتا القدرة الكاملة لله تعالى، اللازم منها تمام القدرة على البعث، الذي عنه يكون أتم الإبقاءين بالفعل دائماً أبداً بلا انقطاع، ولا زوال أصلاً، ولا اندفاع، في دار المقامة التي أذهب سبحانه عنها الحزن والنصب واللغوب. ودار الشقاوة الجامعة لجميع الأنكاد والهموم.

ولاسم السورة «فاطر» أتم مناسبة لمقصودها، لأنه لا شيء يعدل ما في

---

(١) الآية: ٢٢.

(٢) الآية: ٤١.

(٣) الآية: ٤٣.

(٤) الآية: ١٠.

(٥) الآية: ٢٧.

(٦) الآية: ٣٧.

(٧) الباء: «ولا يمسنا فيها لغوب ٣٥». والزاي: ﴿وما لك على الله بعزيز ١٧﴾. واللام: ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً ٤٣﴾. وباقي حروف الروي مكرر في السورة.

الجنة من تجدد[1] الخلق، فإنه لا يؤكل منها شيء إلا عاد كما كان في الحال، ولا يراد شيء إلا وجد في أسرع وقت فهي دار الإبداع والاختراع بالحقيقة، وكذا النار، كلما نضجت جلودهم بدَّلناهم جلوداً غيرها.

وكذا تسميتها بالملائكة[2] بأنهم يُبْدَعُون خلقاً جديداً، كل واحد منهم على صورته التي أراد الله كونه عليها، لا يزاد فيها، ولا ينقص، كلما أراد الله ذلك من غير سبب أصلاً غير إرادته المطابقة لقدرته سبحانه، وعز شأنه من غير تدريج بسبب توليد ولا غيره، فكل واحد منهم نوع برأسه، وهم من الكثرة على وجه لا يحاط به. وما يعلم جنود ربك إلا هو[3].

---

(١) في د: تجديد.

(٢) وجه تسميتها بالملائكة: أنها السورة التي وصفت الملائكة بما يختص بشكلهم وهيئتهم الظاهرة، بخلاف ما ورد عنهم في السور الأخرى، التي بينت وظيفتهم، ووصفتهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون. وبأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

(٣) سورة فاطر مكية النزول، فقد نزلت في مكة قبل هجرة النبي ﷺ الى المدينة ولذا فهي تسير في فلك السور المكية التي يرجع أغلبها إلى المقصد الأول من رسالة كل رسول، وهو القضية الكبرى، والأولى؛ من الدعوة إلى توحيد الله، واقامة البراهين الدالة على وجوده، وهدم قواعد الشرك والوثنية، والحث على تطهير القلوب من الرذائل، والتجلي بمكارم الأخلاق.

فقد تحدثت السورة الكريمة في البدء عن الخالق المبدع، الذي فطر الأكوان وخلق الملائكة والانس والجان، وأقامت الأدلة والبراهين على البعث والنشور في صفحات هذا الكون، بالأرض تحيا بعد موتها بنزول الغيث عليها وبخروج الزروع والفواكه والثمار، وبتعاقب الليل والنهار، وأطوار خلق الإنسان، وفي إيلاج الليل في النهار وغير ذلك من دلائل القدرة والوحدانية.

ثم تحدثت السورة عن الفارق الكبير بين المؤمن والكافر، وضربت لهما الأمثال بالأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور.

كما تحدثت عن دلائل القدرة في اختلاف أنواع الثمار، وفي سائر المخلوقات من البشر والدواب والأنعام، وفي اختلاف أشكال الجبال والأحجار، وتنوعها ما بين أبيض وأسود واحمر وكلها ناطقة بعظمة الواحد القهار.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، عن عامر بن عبد قيس قال: أربع آيات من كتاب الله إذا قرأتهنَّ، ما أبالي ما أصبح عليه وأمسي: **﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾**[1]، **﴿ وإن يَمْسَسْكَ الله بضر فلا كاشف له إلا هـو وإن يردك بخيـر فلا رَادَّ لفضله ﴾**[2]، **﴿ سيجعـل الله بعـد عسـر يسراً ﴾**[3*]. **﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾**[4].

وروى أبو يعلى ـ بإسناد قال المنذري: صحيح[5] ـ والحاكم وقال:

= وفي خلال السياق تتحدث السورة عن ميراث هذه الأمة لأشرف الرسالات السماوية بإنزال الكتاب المجيد الجامع لفضائل كتب الله، ثم انقسام الأمة الى ثلاثة أنواع: المقتصـد والمسيء، والسابق بالخيرات.

وختمت السورة ببيان حلم الله ورحمته الى جانب قوته وقدرته، ويؤكد أن إمهال الناس عن حلم ورحمة لا يؤثر في دِقَّـة الحساب وعدل الجزاء في النهاية:

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم، فإن الله كان بعباده بصيراً﴾.

وهكذا ترى أن موضوع السورة هو الجانب العقائدي الذي تعرضه السور المكية بطرق مختلفة، وتأثيرات متنوعة.

وسميت السورة: سورة فاطر: دلالة على الإبداع والاختراع على غير مثال سابق، ولما فيه من التصرير الدقيق المشير الى عظمة ذي الجلال وباهر قدرته، وعجيب صنعته، فهو الذي خلق الملائكة، وأبدع تكوينهم بهذا الخلق العجيب.

الظلال ٥/٢٩١٨. صفوة التفاسير ١٣/٢٣.

(١) الآية ٢ من سورة فاطر.

(٢) الآية: ١٠٧ من سورة يونس.

(٣) الآية: ٧ من سورة الطلاق.

(٤) الآية: ٦ من سورة هود.

(٥) كتاب الترغيب والترهيب ١/٤١٥.

صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إذا أوى الرجل إلى فراشه ابتدره مَلَكٌ وشيطان، فيقول المَـلَكُ: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، [فإن ذكر الله ثم نام، بات المَلَكُ يكلؤه، فإذا استيقظ قال المَلَكُ: افتح بخير، وقال الشيطان: افتح بشر][1]، فإن قال: الحمد لله الذي رد عليَّ نفسي ولم يمتها في منامها، ﴿ **الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾[2] إلى آخر الآية، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه[3] ـ وزاد الحاكم: الحمد لله الذي يحى الموتى وهو على كل شيء قدير ـ فإن وقع عن سريره فمات، دخل الجنة[4].

---

(١) ما بين المربعين ساقط من د.

(٢) الآية: ٤١ من سورة فاطر.

(٣) إشارة الى الآية رقم ٦٥ من سورة الحج.

(٤) المستدرك: كتاب الدعاء، باب الذكر عند الاضطجاع والدعاء عند اليقظة ٥٤٨/١.

سورة يس

مكية.

وتسمى ـ أيضاً ـ : القلب، والدافعة، والقاضية، والمُعِمَّة.

قال ابن الجوزي: قاله ـ أي إنها مكيـة ـ[1] ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والجمهور.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أنهما قالا: إنها مكية إلا آية منها:

﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم ﴾[2].

وحكى أبو سليمان الدمشقي: أنها مدنية. وقال: وليس بالمشهور[3].

---

(١) في م: قاله ابن عباس، أي إنها مكية، قاله ابن عباس.

(٢) الآية: ٤٥.

(٣) زاد المسير ٧/٣.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثمانون وثلاث آيات في الكوفي، واثنتان في عدد الباقين.

اختلافها آية:

﴿ يس ﴾[1]، عدها الكوفي وحده.

وفيها مما يشبه الفواصل[2]، ولم يُعَدَّ بإجماع، موضع:

﴿ رجل يسعى ﴾[3].

وعكسه اثنان:

﴿ من العيون ﴾[4]، ﴿ فيكون ﴾[5].

ورويها: نم.

مقصودها

ومقصودها: إثبات الرسالة التي هي روح الوجود، المفاض فيه من جهة المَلِكِ، وقلب جميع الحقائق[6]، وبها قوامها للمرسل بها، الذي هو خالصة[7] المرسلين، الذين هم قلب الموجودات كلها، ذوات ومعادن، إلى أهل مكة أم القرى وقلب الأرض[8]، وهم قريش قلب العرب، الذين هم قلب الناس،

(١) الآية: ١.

(٢) قال أبو عمرو الداني: ليس فيها مما يشبه الفواصل شيء. البيان: ورقة ٦٥.

(٣) الآية: ٢٠.

(٤) الآية: ٢٤.

(٥) الآية: ٨٢.

(٦) في د: الخلائق.

(٧) في د: خاصة.

(٨) في بحث للدكتور حسين كمال الدين أحمد أستاذ الهندسة المدنية بجامعة القاهرة: تبين بالحساب الدقيق لخطوط الطول والعرض الأرضية أن مكة المكرمة مركز الأرض بمعنى

بصلاحهم صلاحهم كلهم، وبفسادهم فسادهم، فلذلك كان من حولها جميع أهل الأرض.

وجل فائدة الرسالة: إثبات الوحدانية للعزيز الرحيم، ذي الجلال والإكرام، والإنذار بيوم الجمع، الذي به - مع ستره عن العيان، الذي هو من خواص القلب - صلاح الخلق فهو قلب الأكوان، وبه الصلاح أو الفساد للإنسان.

وعلى ذلك تنطبق معاني أسمائها: يس، والقلب، والدافعة، والقاضية، والمُعِمَّة.

لأن من اعتقد الرسالة كفته جميع مهمة، ودفعت عنه سائر ملمة، وقضت له بكل خير، وأعطته بكل كل مراد. وكل من هذا له أتم نظر إلى القلب، كما لا يخفى.

والمعمة: الشاملة بالخير والبركة.

قال في القاموس: عمهم بالعطية، وهو مِعَمٌّ خير[1]، يعم[2] خيره[3].

ومن المعلوم: أن القلب كذلك.

وأما يس: فمشير إلى سر كونها قلب المشير إلى البعث، الذي هو من

= أنها تتوسط القارات الخمس كالنقطة في وسط الدائرة. فهي المركز الذي تحيط به الأرض من كل اتجاه بالتساوي في جميع الجهات.

وصدق الله العظيم ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

﴿لتنذر أم القرى ومن حولها.....﴾.

راجع: مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن رئاسة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية: العدد الثاني من المجلد الأول، ربيع أول ١٣٩٦ هـ.

(١) ضبطه في القاموس بكسر الميم، وفتح العين.

(٢) في القاموس: يعم بخيره.

(٣) القاموس المحيط ٤/١٥٦.

أجل مقاصدها الذي يكون به صلاح القلب، الذي به قبول ما ذكر. وذلك أنه لما كان قلب كل شيء أَبْطَنَ ما فيه وأَنْفَسَ وكان قلبُ الإنسان غائباً عن الإحساس، وكان مودعاً من المعاني الجليلة، والإدراكات الخفية والجلية، ما يكون للبدن سبباً في إصلاحه أو إسعاده، وكانت الساعة من عالم الغيب وفيها انكشاف الأمور، والوقوف على حقائق المقدور، وبملاحظتها في إصلاح أسبابها تكون الشقاوة السرمدية.

وكانت قد بينت في هذه السورة بيانا لم يكن في غيرها، بما وقع من التصريح في قلبها الذي هو وسطها ـ بنفختيها المميتة لكل من في الأرض، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون، والباعثة «فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون»، والتصريح بالمعاد الجثماني والاستدلال عليه بالدليل، الذي نقل أن أبا نصر الفارابي[1] ـ الذي وُسِم بأنه المعلم الثاني ـ كان يقول: وددت لو أن هذا العالم الرباني ـ يشير إلى المعلم الأول أرسطو[2]

(١) هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طوخان ـ وقيل: ابن طرخان بن أوزلغ الفارابي، حكيم رياضي، طبيب موسيقى، عارف باللغات: التركية والفارسية، واليونانية والسريانية. ولد في فاراب سنة ٢٦٠، وأتقن العربية، وسافر الى مصر. وتوفي بدمشق في رجب سنة ٣٣٩.
راجع: سير أعلام النبلاء ١٠/١٠٣ البداية والنهاية ١١/٢٢٤. شذرات الذهب ٢٠/٣٥٠.

(٢) هو أرسطو بن نيقو ماخوس المقدوني، ولد في حدود سنة ٣٨٤ ق. م. في مدينة أسطاغيرا احدى مدن مقدونيا، وكان أبوه طبيباً للملك أمينتاس جد الاسكندر الأكبر ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره انتقل الى أثينا باليونان فأخذ عن أفلاطون، ولازمه مدة كبيرة من حياته، وكان أرسطو حاد الذكاء، واسع المعرفة، محيطاً بعلوم عصره. وألف في المنطق والشعر والخطابة، وعلوم الطبيعة، والرياضة، والنبات والحيوان. والفلك والطب. وله كتاب موضوعه «العلم الإلهي» يحوي أربع عشرة مقالة، واعتقد بأن الله هو الموجود الأول، والمبدأ الأعلى الذي لا علة له. ومات أرسطو في حوالي سنة ٣٢٢ ق.م.
راجع: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ص ٤٣ ـ ٧٤ دكتور عبد الشمالي ط بيروت ١٩٧٩ الطبعة الخامسة.
والفلسفة اليونانية ص ١٨١ للدكتور كريم متي. مطبعة الإرشاد ببغداد سنة ١٩٧١.

ـ وقف على هذا القياس الجلى، حتى أعلم ما يقول فيه، ويتلو قوله تعالى: ﴿ **قال من يُحي العظام وهي رميم قل يُحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾[1].

وترتيب القياس أن يقال: الله أنشأ العظام، وأحياها أول مرة، وكل من أنشأ شيئاً وأحياه أول مرة، فهو قادر على إنشائه وإحيائه ثاني مرة، ينتج: أن الله قادر على إنشاء العظام وإحيائها بعد إفنائها[2].

فلما اختصت[3] بذلك عن باقي القرآن، كانت قلباً له، كما قال النبي ﷺ، على ما سيأتي في الفضائل.

هذا ما هداني الله ـ وله الحمد ـ إليه، من بيان السر في كونها قلباً. ثم رأيت البرهان النسفي قال في تفسيره في آخر السورة، بعد أن ذكر الحديث في تسمية النبي ﷺ لها قلباً: قال الغزالي فيه: إن ذلك ـ أي كونها قلباً ـ لأن الايمان صحته بالاعتراف بالحشر، والحشر متقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعلت قلب القرآن لذلك. واستحسنه الإمام المحقق فخر الدين الرازي.

ويمكن أن يقال: إن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية والرسالة، والحشر، بأقوى البراهين.

فابتدأها ببيان الرسالة بقوله: «﴿ **إنك لمن المرسلين** ﴾[4] ودليله: ما قدمه عليها بقوله: ﴿ **والقرآن الحكيم** ﴾[5]، وما أخره عنها بقوله: ﴿ **لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم** ﴾[6] وأنهاها ببيان الوحدانية والحشر.

(١) الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) قياس من الشكل الأول.
(٣) في د: فاختصر.
(٤) الآية: ٣.
(٥) الآية: ٢.
(٦) الآية: ٦.

فقوله: ﴿ **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء** ﴾[1] إشارة إلى التوحيد.

وقوله: ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾[1]، إشارة إلى الحشر.

وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها. ومن حصل من هذا القرآن، هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه، وهو التصديق الذي بالجنان.

وأما الذي باللسان، والذي بالأركان، ففي غير هذه السورة.

فلما كان فيها أعمال القلب لا غير، سماها قلباً، ولهذا ورد عنه ﷺ قراءتها عند رأس من دنى منه الموت، لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة، والأعضاء ساقطة المنة لكن القلب يكون قد أقبل على الله (تعالى)[2]، ورجع عن كل ما سواه، فيقرأ عند رأسه ما يزداد به قوة في قلبه، فيشتد تصديقه بالأصول الثلاثة.

انتهى وفيه بعض تصرف.

وقوله: إن وظيفتي اللسان والأركان ليس في هذه السورة منهما شيء، ربما يعكس عليه قوله تعالى: ﴿ **ومالي لا أعبد الذي فطرني** ﴾[3]، ﴿ **وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله** ﴾[4]، ﴿ **وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم** ﴾[5].

هذا، وقد استمد من هذا الصريح في أمر الحشر، كل ما انبث في القرآن من ذكر الآخرة الذي بمراعاته واتقانه، يكون صلاح جميع الأحوال، في

(١) الآية: ٨٣.

(٢) ما بين القوسين ساقط من د.

(٣) الآية: ٢٢.

(٤) الآية: ٤٧.

(٥) الآية: ٦١.

الدارين، وبإهماله ونسيانه يكون فسادها فيهما.

هذا ما شاركت به غيرها مما جمعته من جميع معانيه المجموعة في الفاتحة من الأسماء الحسنى: الله، والرب، والرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين، الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، والأمر بالعبادة بسلوك الصراط المستقيم، وتفصيل أهل النعيم، وأهل الجحيم، وإثبات الأصول الثلاثة التي يصير بها المكلف مؤمناً: الوحدانية، والحشر، والرسالة، التي هي قلب الوجود، وبها صلاحه، وهي ممدة لكل روح يكون به حياةً هنيئة، وهي مبدأ الصلاح، كما أن البعث غايته وأن الخاتم لها إنسان عين الموجوادات وقلبها[1]، فأثبت له ذلك على أصرح وجه وآكده.

ومع جمع ما افتتحت به السورة من الحزوف المقطعة، المنشورة أول السور، عماداً للقرآن وشحذا للأذهان، لصنفي المنقوطة أو العاطلة، ووصفى المجهورة والمهموسة.

ولما كان القلب من الإنسان المقصود بالذات من الأكوان، في نحو ثلث بدنه من جهة رأسه وكانت الياء في نحو ذلك من حروف أبجد، فإنها العاشرة منها. والسين بذلك المحل من حروف أ ب ت ث، فإنها الثانية عشرة منها وعَلاَ هَذَانِ الحرافانِ بما فيهما من الجهر عن غاية الضعف، ونزر بما لهما من الهمس عن نهاية الشدة، إشارة إلى أن القلب الصحيح هو الزجاجي الشفاف، الجامع بين الصلابة والرقة، الذي علا بصلابته عن رقة الماء، الذي لا تثبت فيه صورة ونزل بلطافته عن قساوة الحجر، الذي لا يكاد ينطبع فيه شيء إلا بغاية الجهد، فكان جامعاً بين الصلابة والرقة متهيئاً لأن تنطبع فيه الصور وتثبت، ليكون قابلاً مفيداً، فيكون متخلقاً من صفات مُوجَدةٍ بالقدرة والاختيار، اللذين دلت عليهما سورة الملائكة، وبمعرفة الخير فيجتلبه والشر فيجتنبه، فيكون فيه شاهد من نفسه على الاعتقاد الحق في صانعه.

---

(١) يعني: سيدنا محمدا ﷺ.

وكانت المجهورة أقوى، فقدمت الياء لجهرها، وكانتا بعد الاختلاف بالجهر والهمس قد اتفقتا في الانفتاح والرخاوة والاشتغال، إشارة إلى أن القلب لا يصلح - كما تقدم - مع الصلابة التي هي في معنى الجهر، إلا بالإخبات، الذي هو في معنى الهمس، وبالنزول عن غاية الصلابة إلى حَدِّ الرخاوة، لئلا يكون حجرياً قاسياً، وبأن يكون مشتغلاً، ليكون إلى ربه - بتواضعه وبُعْدِه عن النفور والاستكبار[1] - سائراً واصلاً وزادت الصفير الذي فيه شدة وانتشار وقوة بضعفها عن الياء بالهمس فتعادلتا. ودل صفيرها على النفخ في الصور، الذي صرحت به هذه السورة.

ودل جهر الياء على قوته، ودل كونها من حروف النداء على خروجه عن الحد في شدته، حتى تبدو عنه تلك الآثار، المخلية للديار، المفنية للصغار والكبار، ثم الباعثة لهم من جميع الأقطار إجابة لدعوة الواحد القهار.

وكان مخرجهما من اللسان، الذي هو قلب المخارج الثلاثة، لتوسطه وكثرة منافعه في ذلك، وكانت الياء من وسطه، والسين من طرفه، وكان هذان المخرجان - مع كونهما وسطا - مداراً لأكثر الحروف.

هذا مع مالهما من الأسرار، التي تدق عن تصور الأفكار.

قال تعالى: ﴿ يس ﴾.

وإن أريد يا إنسان[2] فهو قلب الموجودات كلها، وخالصها، وسرها، ولبابها.

وإن أريد: يا سيد، فهو خلاصة من سادهم.

---

(١) في د: الاستكثار.

(٢) هذا وما بعده يشير الى اعتقاد المؤلف بأن «يس» اسم للنبي ﷺ، وهو غير صحيح، ومناقض لما ذكره قبل ذلك من كونها من الحروف المقطعة، ومحاولته الربط بين صفات هذه الحروف وبين مضمون السورة وما تدل عليه من القضايا الكبرى كالتوحيد، والرسالة، والبعث.

وإن أريد: يا رجل فهو خلاصة البشر.

وإن أريد: يا محمد، فهو خلاصة الرجال، الذين هم لباب البشر، الذين هم سر الأحياء الذين هم عين الموجودات، فهو خلاصة الخلاصة، وخيار الخيار، وإنسان العين، وعين القلب.

وكأن من قال معناه: يا محمد، نظر إلى الاتحاد في عدد حروف اسمه ﷺ، بالنظر إلى المِيمَيْن في المشددة، وعدد اسمى الحرفين.

ولا يخفى أن الهمزة في اسم الياء ألف ثانية، فمبلغ عددها اثنا عشر.

ثم إنه لما كان الأنبياء عليهم السلام من نوره ﷺ، لأنه أولهم خلقاً وآخرهم بعثاً، فكانوا في الحقيقة إنما هم ممهدون لشرعه، وكأن سبحانه إنما أرسله ليتمم مكارم الأخلاق، وكأن قد جعل سبحانه من المكارم أن لا يكلم الناس إلا بما يسع عقولهم، وكانت عدة المرسلين عليهم السلام، كما في حديث أبي أمامة الباهلي عن أبي ذر رضي الله عنهما، عند أحمد في المسند ثلاثمائة وخمسة عشر[1].

وفيه: أن الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً[2].

وهو في الطبراني الكبير، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رجلاً سأل النبي ﷺ فذكر عدد الرسل فقط.

و(لما)[3] كانت عقول العرب لا تسع بوجه أول الدعوة قبل الإيمان، أنهم منه، أقسم سبحانه ظاهراً أنه منهم، ورمز الأصفياء باطناً إلى أنهم منه، بجعلهم عدد أسماء حروف اسمه «محمد» الذي رمز إليه بالحرفين أول السورة.

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٢) مسند الإمام أحمد: الموضع السابق.
(٣) ليست بالأصل.

فكأنه قال: إنك يا ياسين[1] ـ الذي تأويله محمد، الذي عدد أسماء حروفه بعدِّهم ـ لأصلهم. فصار رمزاً في رمز، وكنزاً نفيساً تحت كنز، وسراً من سر، وخفاء من وراء ستر، وهو ألذ في مناداة الأحباب، من صريح الخطاب[2].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود[3]، والنسائي[4]، وابن ماجة، وأبو يعلى الموصلي والإمام أحمد في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه، والطبراني، عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: البقرة سنام القرآن ـ الحديث كما مضى في البقرة، إلى أن قال: ـ ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، اقرؤوها على موتاكم[5].

وأخرجه البيهقي في الشعب عن معقل رضي الله عنه، ولفظه: من قرأ

---

(١) هذا تأكيد من المؤلف لما أشار اليه سابقاً من أن «يس» من أسماء النبي ﷺ أو هو نداء بمعنى: يا محمد. وهذا خطأ صريح يحتاج في إثباته الى دليل صحيح.

(٢) ما ذكره المؤلف من أول الكلام على صفات الحروف يعد خروجاً عن المقصود، وتركاً للب الموضوع، ودوراناً حوله بما لا صلة له به أصلاً، وما كان أغناه عن ذلك وهذه الطريقة سلكها في كثير من السور المبدوءة بأحرف مقطعة.

وأما ما ذكره من أن السورة تشير الى الأصول العقائدية الثلاثة، وهي: التوحيد، والرسالة، والبعث. فهو خلاصة ما اشتملت عليه، وهو مقصودها الأصلي.

(٣) في د: «أبو عبيد» ولعله الصواب، لأن الحديث بهذا اللفظ غير موجود في سنن أبي داود.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٦٣/٣: رواه النسائي في عمل اليوم والليلة.

(٥) مسند الإمام أحمد ٢٦/٥.

وسنن ابن ماجة: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض إذا أحضر ٤٦٦/١ حديث رقم ١٤٤٨.

قال الهيثمي ٣١١/٦: فيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح.

يس ابتغاء وجه الله، غفر له ما تقدم من ذنبه، فاقرأوها عند موتاكم.

ورواه أبو داود في السنن، والبيهقي في الدعوات عنه، ولفظهما: اقرأوا على موتاكم يَس[1].

ورواه أبو عبيد ولفظه: اقرأوها على موتاكم. يعني: يس.

قال شيخنا البوصيري: وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البزار في مسنده[2].

ولأحمد. وأبي داود، والنسائي، وابن ماجة وابن حبان، والحاكم عن معقل بن يسار - أيضاً - رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: اقرأوا على موتاكم يس[3].

وروى ابن رجب في كتابه «الاستغناء بالقرآن» عن أسد بن وداعة[4] قال: لما حضر غضيف بن الحارث[5] رضي الله عنه - الموت، حضره إخوانه،

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت ٣/١٩١ حديث رقم٣١٢١.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٥٦٣: أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر البزار: حدثنا عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا زيد - هو ابن الحباب - حدثنا حميد - هو المكي مولى آل علقمة - عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس. ثم قال - أي البزار -: لا نعلم رواه الا زيد عن حميد. اهـ.
قلت: وحميد، ابن عبد الرحمن. قال الذهبي في الميزان ١/٦١٣: مجهول.

(٣) مسند أحمد ٥/٢٦.
وسنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت ٣/١٩١ حديث رقم ٣١٢١.
والمستدرك: كتاب فضائل القرآن. باب ذكر فضائل سور وآي متفرقة ١/٥٦٥.
قال الذهبي: رفعه ابن المبارك. ووقفه يحي.

(٤) أسد بن وداعة، شامي، تابعي، كان يسب عليا رضي الله عنه.
راجع الميزان ١/٢٠٧. والمغني في الضعفاء ١/٧٦.

(٥) هو غضيف بن الجارث بن تيم - وقيل: زنيم - السَّكوني، أبو أسماء الحمصي، روى عن عمر وبلال، وثقة العجلي وابن سعد، مات في خلافة مروان. (الخلاصة ٣٠٧).

فقال: هل فيكم من يقرأ سورة يس؟. قال رجل من القوم: نعم. قال: اقرأ ورتل وأنصتوا. فقرأ ورتل واستمع القوم، فلما بلغ: ﴿ **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾[1]، خرجت نفسه.

وللترمذي وقال: غريب[2]، والدارمي، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات[3].

زاد في رواية: دون يس.

وعند الأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس في ليلة الجمعة، غفر له.

ورواه أبو يعلى ولفظه: من قرأ يس في ليلة، أصبح مغفوراً له[4].

ورواه الطبراني من رواية الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: من قرأ يس في يوم أو ليلة ابتغاء وجه الله، غفر له[5].

---

(١) آية: ٨٣ من السورة.

(٢) نص عبارة الترمذي هكذا: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة الا من هذا الوجه، وهارون أبو محمد شيخ مجهول، اهـ.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في يس ٢٢٧/٤ حديث رقم ٣٠٤٨. وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل يس ٤٥٦/٢.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٦٣/٣: إسناده جيد.

(٥) المعجم الصغير للطبراني ١٤٩/١.

قال الهيثمي ٩٧/٧: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف، اهـ.

ورواه أبو نعيم في الحلية ١٥٩/٢ في ترجمة الحسن من وجه آخر وقال: هذا حديث رواه عن الحسن عدة من التابعين، منهم يونس بن عبيد، ومحمد بن جحادة.

ولفظه. عند أبي نعيم: من قرأ يس في ليلةٍ التماسَ وجه الله غُفر له.

(ورواه الدارمي من هذه الطريق[1]، ولفظه: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له تلك الليلة)[2].

ورواه أبو يعلى والطيالسي بهذا اللفظ، عن ابي هريرة - أيضاً - رضي الله عنه[3].

وللطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من دام على قراءة يس كل ليلة، ثم مات، مات شهيداً[4].

وعند مالك، وابن السني، وابن حبان في صحيحه، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له[5].

وتقدم في براءة حديث علي رضي الله عنه في فضلها[6].

وفي طه مرسل عن شهر بن حوشب كذلك[7].

وروى أحمد بن منيع عن أمامة، عن أبي بن كعب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر له. ومن قرأ يس فكأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة. ومن قرأ يس وهو في سكرات الموت،

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل يس ٢/٤٥٧.

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي ٢/٢٣.

(٤) معجم الطبراني الصغير ٢/٨٨.

قال الهيثمي ٧/٩٧: رواه الطبراني في الصغير، وفيه سعيد بن موسى الأزدي وهو كذاب.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٢٥١ حديث رقم ٦٧٩.

ولم أعثر عليه في موطأ الإمام مالك.

(٦) راجع: ج ٢/٢٠٠.

(٧) راجع: ج ٢/٣٣٠.

جاء رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة حتى يسقيه وهو على فراشه حتى يموت ريان، ويبعث ريان[1].

وروى الإمام أحمد في المسند عن سماك بن حرب عن رجل من أهل البادية ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى خلف النبي ﷺ، فسمعه يقرأ في صلاة الفجر ق والقرآن المجيد ويس والقرآن الحكيم[2].

وللدارمي عن عطاء بن أبي رباح قال: بلغني: أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس في صدر النهار، قضيت حوائجه[3].

ورواه أبو الشيخ ابن حيان عن ابن عباس، والبراء بن عازب، رضي الله عنهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ: ومن قرأها في صدر النهار، وقدمها بين يدي حاجته قضيت.

ورواه القاضي أبو عبد الله المحاملي في الخامس من أماليه عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من جعل يس أمام حاجته قضيت له.

---

(١) حديث أبي بن كعب في فضائل سور القرآن: سورة سورة، موضوع باتفاق أهل العلم وضعه أبو عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، وفرّقه علي السور أبو اسحاق التغلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه في ذلك أبو الحسن الواحدي وممن اقتدى به الزمخشري في الكشاف، والبيضاوي في تفسيره.
راجع: اللآلىء للسيوطي ١/١١٨ وتذكرة الموضوعات للفتنى ص ٨٢. والميزان للذهبي ٢٧٩.

(٢) الفتح الرباني «ترتيب مسند الإمام أحمد» كتاب الصلاة ٣/٢٣١ حديث رقم ٥٨٥. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/١١٩: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، اهـ. وأما الجهل باسم الصحابي فإنه لا يضر، للإجماع على أن الصحابة عدول.

(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل يس ٢/٤٥٧.
قال الحافظ ابن كثير في التفسير ٣/٥٦٣: ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة، أنها لا تقرأ عند أمر عسير الا يسره الله تعالى، وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله أعلم.

وذكر ابن هشام في السيرة في مقدمة الهجرة، اجتماع قريش في دار الندوة، ومعهم إبليس في هيئة شيخ نجدي للمشاورة فيما يصنعونه برسول الله ﷺ، وأن أبا جهل أشار بأن يقتلوه، وصوب رأيه الشيخ النجدي.

ثم قال: قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: اجتمعوا له - يعني ليقتلوه - وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال - وهو على بابه -: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ريح، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها، قال: وخرج عليه رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: نعم، أنا أقول ذلك أنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من: ﴿ **يس والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين، على صراط مستقيم - إلى قوله -: وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾[1]، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء لآيات، ولم يبق منهم رجل، إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟. قالوا محمداً. قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، فما ترون ما بكم؟.

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعونه[2]، فيرون علياً على الفراش متسجياً بِبُرْدِ رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى

---

(١) آية: ٩.

(٢) في د: يطلعون.

أصبحوا، فقام علي عن الفراش؛ فقالوا: والله لقد كان صَدَقَنا الذي حَدَّثَنا[1].

وللدارمي عن الحسن رحمه الله قال: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله، ومرضاة الله غفر له، وقال: إنها تعدل القرآن كله[2].

وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت؛ من قرأ يس حين يصبح، أعطى يسر يومه حتى يمسى ومن قرأها في صدر ليلة، أعطى يسر ليلته حتى يصبح[3].

وروى الأصبهاني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة، غفر له.

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: سمعت رجلاً يحدث: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس ومن قرأها فإنها تعدل القرآن، أو قال: تعدل قراءة القرآن كله، ومن قرأ «قل يا أيها الكافرون» فإنها تعدل ربع القرآن، وإذا زلزلت شطر القرآن[4].

ولأبي بكر الشافعي في الجزء السابع من «الغيلانيات»، عن عبد الله بن سمحج الجني، رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ما من مريض تقرأ عنده يس، إلا مات ريان، وأدخل قبره ريان، وحشر يوم القيامة ريان.

هكذا في نسختي: ابن سمحج.

(وفي[5] «تجريد الصحابة» للحافظ شمس الدين الذهبي: أنه كان

---

(١) راجع: سيرة ابن هشام ٤٨٣/١.
(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل يس ٣٢٨/٢ حديث رقم ٣٤١٨.
(٣) سنن الدارمي: الموضع السابق، يث رقم ٣٤٢٢.
(٤) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن باب تعليم القرآن وفضله ٣٧٢/٣ حديث رقم ٦٠٠٩.
(٥) ما بين الحاصرين ساقط من د.

اسمه سمجح)[1] فسماه النبي ﷺ عبد الله.

وكذا ذكره شيخنا في كتاب «الإصابة»[2]، وضعف عبد الله بن الحسين المصيصي شيخ الطبراني[3]، أحد رواة الحديث.

وفي الفردوس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: سورة يس، تدعى في التوراة: المعمة[4].

---

(١) تجريد أسماء الصحابة ١/٢٣٨ ترجمة رقم ٢٤٩٩.

(٢) الإصابة ٢/٧٦، ٧٧.

(٣) نص كلامه في الإصابة ٢/٧٧: ذكره ابن حبان في «الضعفاء» فقال: يقلب الأخبار ويسرقها، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، اهـ.
وذكره الذهبي في الميزان ٢/٤٠٨. والمغني في الضعفاء ١/٣٣٥.

(٤) قال السيوطي في اللآلىء ١/١٢١: باطل، الجُدْعَاني متروك.
والجدعاني ـ هذا ـ هو: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي الجدعاني أبو غرارة زوج جبرة الخزاعية، قال البخاري: منكر الحديث (المغني ٢/٦٠٤، والميزان ٣/٦١٩).
وأما أبوه عبد الرحمن فقال البخاري: ذاهب الحديث. وقال ابن معين ضعيف (المغني ٢/٣٧٦).
وفي السند سليمان بن مرقاع الجندعي ـ يروي عنه الجدعاني ـ قال العقيلي: منكر الحديث. (الميزان ٢/٢٢٢ والمغني ١/٢٢٨٣.
وروى هذا الحديث عن أنس مرفوعاً من طريق محمد بن عبد بن عامر السمرقندي، قال الذهبي في المغني ٢/٦١٠: كان يضع الحديث.
وقال في الميزان ٣/٦٣٣: قال الدار قطني: كان يكذب ويضع الحديث.
وتمام الحديث ـ كما أورده السيوطي في اللآلىء ـ: «قيل: يا رسول الله وما المعمة؟. قال: تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع أهاويل الآخرة، وتدعي القاضية والدافعة، تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفة ألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزعت منه كل غل وداء».
ففي متن الحديث ـ كما ترى ـ مبالغات تشهد بوضعه.

ولأبي الشيخ عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة؛ ألم تنزيل السجدة، ويس، واقتربت الساعة، وتبارك، كن له حرزاً من الشيطان وشركه، ورفعه الله في الدرجات يوم القيامة.

وروى البزار من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي - قال الهيثمي: وهو ضعيف[1] - عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قول الله تعالى: ﴿ **سلام قولاً من رَبٍّ رحيم** ﴾. قال: فينظر إليهم، وينـظرون إليه، لا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه (حتى يحتجب عنهم)[2] ويبقى نوره في ديارهم[3].

هذا وجَعْلُ هذه السورة مرة كالقرآن يتلوه في الليلة مرة واحدة، وتارةً كالقرآن عشر مرات، وأخرى كالقرآن ثنتي عشرة مرة، لا تعارض فيه، ولله الحمد، بل هو بالنظر إليه بحسب جهات متنوعة.

فالأول ناظر إلى: أن قلب الشيء لما كان هو المصرف له ولا يمكن عادة تفكره بدونه كان عديلاً له بدون قلب.

والثاني وهو العشر، ناظر إلى: أن القلب كالشيء من غير قلب عشر مرات، لأن منافع البدن وهي أعوان القلب، تابعة للقلب، ولما كان يعدم تمام الانتفاع بعدم واحدة منها، عد الباقي عَدَماً. وبتلك المنافع يكون تمام المعارف، التي هي المقصودة منه. وهي قسمان: أعيان، ومعان.

---

(١) مجمع الزوائد ٩٨/٧.

(٢) زيادة عن تفسير ابن كثير.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه: المقدمة، باب فيما أنكرته الجهمية ٦٥/١ حديث رقم ١٨٤. وفيه عبد الله بن عبيد الله أبو عاصم العباداني، قال الذهبي الذهبي في الميزان ٤٥٨/٢: واه، وهو واعظ زاهد، إلا أنه قدري. وقال في المغنى ٧٩٣/٢: يأتي بالعجائب.

الدماغ، والرئة، والكبد والطحال، والكليتان، والحواس الخمس الظاهرة، فإن في كل حاسة الدية كاملة.

أو يقال: إن ذلك بالنظر إلى الحواس الظاهرة والباطنة (من غير نظر إلى الأعيان، وللثالثة بالنظر إلى الحواس العشر الظاهرة والباطنة)[١] واليدين وللرجلين، فتلك اثنتا عشرة، لأن اليدين والرجلين عضوان فقط، ولهذا قوبلا بديتين[٢]. ومهما نقص من هذه الأشياء. نقص من بيان المدركات بحسبه.

فكأن سورة يس مع القرآن بدونها بهذه المنزلة في البيان، والله أعلم.

وروى الحافظ ابن رجب في كتابه «الاستغناء بالقرآن» من طريق أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون[٣]، عن مُجَّاعة بن الزبير[٤]، قال: دخلت على حمزة الزيات فوجدته يبكي، فقلت: ما يبكيك؟. فقال: فكيف لا أبكي وقد رأيت ربي تبارك وتعالى الليلة في منامي، كأني عُرضت على الله، ؛ فقال لي: يا حمزة اقرأ القرآن كما علمتك، فوثبت قائماً، فقال لي: يا حمزة اجلس فإني أحب أهل القرآن. ثم قال لي: يا حمزة اقرأ، فقرأت حتى بلغت سورة طه فقلت: طوى وأنا اخترتك» فقال: بين طوى وأنا اخترناك. ثم قال لي:

---

(١) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٢) في د: قوّما بديتين.

(٣) هو أبو الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون ـ أو له غين معجمة، وفي وسطه باء موحدة ـ ابن المبارك الحلبي، نزيل مصر، قال ابن الجزري: أستاذ ماهر كبير كامل، محرر ضابط، ثقة خيّر، صالح ديِّن، اهـ، ولد بحلب سنة ٣٠٩، وانتقل إلى مصر فأقام بها وألف كتابه «الإرشاد في القراءات السبع»، وكانت وفاته بمصر في جمادي الأولى سنة ٣٨٩ عن ثمانين سنة.
راجع: طبقات القراء ١/ ٤٧٠، والنشر ١/ ٧٩.

(٤) هو مُجَّاعة بن الزبير، روى عن محمد بن سيرين وقتادة، وعنه شعبة وعبد الصمد التنوري قال شعبة: كان صوّاما قوّاماً، وقال أحمد: لم يكن به بأس في نفسه.
وقال الدار قطني: ضعيف.
راجع: الميزان ٣/ ٤٣٧، والمغني في الضعفاء ٢/ ٥٤٢.

اقرأ، فقرأت حتى بلغت سورة يس، فقلت: «تنزيل العزيز الرحيم». فقال: جل وعز: قل: «تنزيل العزيز الرحيم»، يا حمزة كذا قرأت، وكذا أقرأت حملة العرش، وكذا يقرؤه المقربون، ومضى في الأعراف منام له حسن أيضاً[1].

---

(۱) راجع ص .

سورة الصافات

وتسمى: الزينة[1].

مكية كلها إجماعاً. قاله ابن الجوزي[2].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها مائة وثمانون وآية في البصرى، وأبي جعفر من المدني، وآيتان في عدد الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **وما كانوا يعبدون** ﴾[3]. لم يعدها البصرى وحده.

﴿ **وإن كان ليقولوا** ﴾[4] وه الثاني، لم يعدها أبو جعفر، وعدها الباقون. وشيبة من المدنيين.

---

(١) لقوله تعالى فيها: ﴿إنَّا زَيَّنَّا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾.

(٢) زاد المسير ٦/٤٤.

(٣) آية: ٢٢.

(٤) آية: ١٦٧.

وفيها مما يشبه الفواصل. وليس معدوداً بإجماع، ستة مواضع:

﴿ **الملأ الأعلى** ﴾[1]، ﴿ **أم من خلقنا** ﴾[2]، ﴿ **ماذا ترى** ﴾[3]. ﴿ **ما تؤمر** ﴾[4]. ﴿ **وعلى إسحاق** ﴾[5]. ﴿ **وبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً** ﴾[6].

وعكسه ثلاثة:

﴿ **وتَلَّهُ للجبين** ﴾[7]. ﴿ **يا إبراهيم** ﴾[8]. ﴿ **كيف تحكمون** ﴾[9].

ورويها سبعة أحرف: فقد منبر.

مقصودها

ومقصودها: الاستدلال على آخر يس؛ من التنزه[10] عن النقائص، اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل، اللازم منه الوحدانية مطلقاً في الإلهية وغيرها، وذلك هو المعنى الذي أشار إليه تسميتها بالصافات. لأنالصف يلزم منه الوحدة في الحشر. باجتماع التفرق، وفي المعنى باتحاد الكلمة.

مع أن المراد منه هنا[11]: الاتحاد في التنزيه ﴿[12] **وإنا لنحن الصافُّون،**

---

(١) آية: ٨.

(٢) آية: ١١.

(٣) آية: ١٠٢.

(٤) آية: ١٠٢.

(٥) آية: ١١٣.

(٦) آية: ١٥٨.

(٧) آية: ١٠٣.

(٨) آية: ١٠٤.

(٩) آية: ١٥٥.

(١٠) في د: التنزيه.

(١١) في د: هنا منه.

(١٢) الآيتان: ١٦٥، ١٦٦ من السورة.

وإنا لنحن المسبحون﴾[1].

---

(1) سورة الصافات سورة مكية، وأول أهدافها بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله، ولكنها تركز على صورة معينة من صور الشرك كانت سائدة في البيئة العربية آنذاك، وتقف أمام هذه الصورة وقفات طويلة متأنية، تكشف عن زيفها، وعرض دلائل بطلانها، وهذه الصورة هي: زعم المشركين أن هناك قرابة بين الله سبحانه وبين الجن، وهذه القرابة قائمة على التزاوج أو ما يشبهه ونتيجة لهذا التزارج ولدت الملائكة. ثم زعمهم: أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله عز وجل. ولما كانت هذه الأسطورة الشركية هي الموضوع البارز الذي تعالجه السورة فإنها بدأت بالحديث عن طوائف الملائكة: «والصافات صفا، فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً».

ثم يتلوه حديث عن الشياطين المردة، وتعرضهم للرجم بالشهب الثاقبة كي لا يقربوا من الملأ الأعلى، ولا يتسمعون لما يدور فيه.

﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظا من كل شيطان مارد، لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب، دحوراً ولهم عذاب واصب، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾.

وفي ثنايا السورة يجيء تشبيه ثمار شجرة الزقوم التي يأكلها الظالمون في جهنم، يجيء تشبيه ثمارها برؤوس الشياطين:

﴿أذَلك خير نزلا أم شجرة الزقوم، إنا جعلناها فتنة للظالمين، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾.

وفي نهاية السورة تأتي الحملة المباشرة على تلك الأسطورة الكاذبة:

﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون. أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون.

إلا إنهم من إفكهم ليقولون، ولد الله وإنهم لكاذبون، أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون، أفلا تذكرون، أم لكم سلطان مبين، فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون، سبحان الله عما يصفون﴾.

والى جانب علاج تلك الصورة الخاصة من صور الشرك في المجتمع الجاهلي، تناولت السورة جوانب العقيدة الأخرى التي تتناولها السورة المكية. فعرضت لصفة الوحدانية:

﴿إن الهكم لواحد. رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾.

ثم تناولت قضية البعث والحساب والجزاء: ﴿وقالوا إنْ هذا إلا سحر مبين، إءذا

فضائلها

وأما فضائلها: فتقدم في الأعراف حديث في فضل عشر آيات من أولها[1].

وزوى صاحب الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس والصافات ليلة الجمعة، ثم سأل الله تعالى، أعطاه سؤله.

وفي الترغيب بصيغة «روى» عند الطبراني، عن عبد الله بن أرقم[2]، عن أبيه رضي الله عنه قال: من قال دبر كل صلاة: سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»، فقال اكتال بالجريب الأوفى من الأجر[3].

والجريب ـ بفتح الجيم، وآخره موحدة ـ: مكيال ضخم، هو بمقدار أردبين، وذلك أربعة أخماس وسق، والوسق: ستون صاعاً، والصاع: أربعة أمداد، والمد: رطل وثلث، وهو ملء كفى الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده وبه سمي مدا.

= متناوكنا تراباً وعظاماً أءنا لمبعوثون، أو ءاباؤنا الأولون، قُلْ نعم وأنتم داخرون﴾.
ثم عرضت لقضية الوحي والرسالة: ﴿أءنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون، بل جاء بالحق وصدّق المرسلين﴾.
وبجانب هذا وذاك تتعرض سلسلة من قصص المرسلين: نوح وابراهيم وبنيه، وموسى وهارون، والياس ولوط، ويونس، تتكشف فيها رحمة الله ونصره لرسله، وأخذه من المكذبين بالعذاب والتنكيل: ﴿ولقد ضل قبلهم أكصر الأولي، ولقد أرسلنا فيهم منذرين، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، إلَّا عباد الله المخلصين﴾.
راجع الظلال ٥/٢٩٨٠.

(١) راجع ٢/١٨١.

(٢) هو عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، أسلم يوم الفتح، وكتب للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر، وولاه عمر بيت المال، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه (الإصابة ٢/٢٦٥).

(٣) الترغيب للحافظ المنذري ٢/٤٥٤ وسكت عليه.
وذكره الحافظ ابن كثير ٤/٢٥ وسكت عليه أيضاً.

قال صاحب القاموس: وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً[1].

ولابن السني في اليوم والليلة، وعبد بن حميد في المسند، والبيهقي في الدعوات، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من صلاته لا أدري قبل أن يسلم أو بعده، يقول:

ولفظ البيهقي قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة، ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف.

ولفظ عبد: كان رسول الله ﷺ يقول دبر الصلاة، لا أدري قبل التسليم، أو بعد التسليم.

وفي روايته: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاة قال: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[2].

وروى عبد الرزاق في تفسيره وأبو نعيم في الحلية، والبغوي في تفسيره عن علي رضي الله عنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليقل آخر مجلسه، أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين[3].

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح إلى الشَّعْبِي مرسلاً بهذا اللفظ قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن يكتال بالمكيال[4] الأوفى من

---

(١) القاموس المحيط ١/٣٤٩.

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٥٤ حديث رقم ١١٧.
وفي سنده سفيان بن وكيع أبو محمد الرواسي، ضعفه أبو زرعة، وابن أبي حاتم. «الميزان ٢/١٧٣».
وفيه أبو هارون العبدي عمارة بن جوين، التابعي، المتوفي سنة ١٣٤، خارجي شيعي كان يروي عن أبي سعيد ما ليس من حديثه.
الميزان ٣/١٧٣.

(٣) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٧/١٧٦.

(٤) في د: بالكيل.

الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه، أو حين يريد أن يقوم: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»[1].

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٥/٤ من طريق أبي حاتم.

وفي سنده شبابة بن سوار المدائني، كان مرجئاً. قال الذهبي: وشبابة يحتج به في كتب الإسلام، ثقة.

سورة ص

وتسمى: سورة داود.

مكية. قال الجعبري: لذكر الآلهة. وقيل: مدنية، انتهى.

فلا يغتر بقول أبي حيان: مكية بلا خلاف[1].

وكذا قال ابن الجوزي: مكية باجماعهم[2].

عدد آياتها وفواصلها

وآيها ـ قال الإمام أبو عمرو الداني ـ: ثمانون وخمس آيات في البصرى، وهو عدد أيوب ابن المتوكل[3]. وست في عدد المدنيين والمكي والشامي،

(١) البحر المحيط ٣٨٢/٧ وليس فيه: «بلا خلاف».

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٩٦/٧.

(٣) هو أيوب بن المتوكل الأنصاري البصري، الإمام الثقة الضابط، له اختيار تبع فيه الأثر قرأ على الكسائي ويعقوب الحضرمي. توفي سنة ٢٠٠.
طبقات القراء ١٧٢/١: الترجمة رقم ٨٠٨.

وعاصم الجحدري وثمان في الكوفي.

اختلافها ثلاث آيات:

﴿ **والقرآن ذي الذكر** ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ **كل بناء وغواص** ﴾[2]، لم يعدها البصري، وعدها الباقون.

﴿ **والحقَّ أقول** ﴾[3]. عدها الكوفي وعاصم الجحدري من البصري، ولم يعدها الباقون.

ولا أيوب بن المتوكل من البصري.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً باجماع، أربعة مواضع:

﴿ **من ذكرى** ﴾[4]، ﴿ **قوم نوح وعاد** ﴾[5]، ﴿ **وقوم لوط** ﴾[6]، ﴿ **لداود وسليمان** ﴾[7].

ورويها عشرة أحرف: قطرب، صد، من، ولج[8].

مقصودها

ومقصودها: بيان ما ذكر في آخر الصافات، من أن جند الله هم الغالبون، وإن رُئي أنهم ضعفاء، وإن تأخر نصرهم غلبة، أخرها لهم سلامة

---

(١) آية: ١.

(٢) آية: ٣٧.

(٣) آية: ٨٤.

(٤) آية: ٨.

(٥) آية: ١٢.

(٦) آية: ١٣.

(٧) آية: ٣٠.

(٨) الجيم: «وآخر من شكله أزواج ٥٨».

والصاد: «ولات حين مناص ٣ «،» والشياطين كل بناء وغواص ٣٧».

والطاء: واهدوهم الى سواء الصراط ٢٢».

واللام: «قال فالحق والحق أقول ٨٤».

للفريقين، لأنه سبحانه واحد لكونه محيطاً بصفات الكمال.

ومن الحكمة البالغة: جعلهم ـ أولا ـ ضعفاء، لأن نصرهم حينذاك أدل على القدرة فإنهم لو كانوا أقوياء، لأسند النصر إلى قوتهم، لا إلى قدرة ربهم سبحانه.

وعلى ذلك دلت تسميتها بص، لأن مخرجه من طرف اللسان وبين أصول الثنيتين السفليين وله من الصفات: الهمس، والرخاوة، والإطباق، والاستعلاء والصفير. ولأن ماله من الصفات العالية أثر من ضدها وأفخم، وأعلى وأضخم. ولذلك ذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن لهم على أيـديهم هلاك، بـل ابتلوا وعوفـوا، وسلمهم الله من أعدائهم من الجن والإنس[1].

وإلى هذا المقصد الإشارة بما روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من أن معناه: الله صادق فيها وعـد، أو صَادَ محمـد قلوب الخلق واستمالها.

وتسمى سورة داود عليه السلام، كما قاله ابن الجوزي[2].

ولا شك أن حاله ﷺ أدل أحوال من فيها من الأنبياء على هذا المقصد لما كان فيه من الضعف أو لا، والملك آخراً، مع ما في ذلك من الإشارة إلى جعل نبينا ﷺ خليفة الله في عباده، وأنه وأتباعه يملكون جميع الأرض، بطولها والعرض، إلى أن يكون ذلك على يد أعظم هذه الأمة عيسى بن مريم،

---

(١) يعني بهم: داود وسليمان، وأيوب واسماعيل، واليسع وذو الكفل، عليهم الصلاة والسلام.

(٢) زاد المسير ٩٦/٧.

الذي هو من نسل داود[1] عليهما السلام[2].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البخاري، وأبو داود، والترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مجاهداً قال له: أأسجد في ص؟. فقرأ: ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان ـ حتى أتى ـ: فبهداهم اقتده** ﴾[3]. فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم[4].

(١) لأن مريم بنت عمران أم عيسى المسيح. ينتهي نسبها الى سليمان بن داود، عليهم السلام. وقد ساق نسبها الحافظ ابن كثير في البداية ٥٦/٢ من طريقين بينهما اختلاف يسير. ثم قال: ولا خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام. اهـ. الا أن المرحوم عبد الوهاب النجار ينقل في كتابه «قصص الأنبياء» عن إنجيل متي وانجيل لوقا: أن نسب المسيح يبدأ بأنه المسيح بن يوسف النجار، حتى ينتهي به الى داود عليه السلام، ويسكت على هذا النقل ويذكر له بعض المؤيدات، وهذا النسب الذي نقله من أوله ظاهر الخطأ، للقطع بأن عيسى عليه السلام لا أب له وإنما هو نفخة من روح الله عز وجل.
راجع: قصص الأنبياء ص ٣٧٣.

(٢) سورة ص مكية، تعالج من موضوعات السور المكية قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى محمد ﷺ، وقضية الحساب في الآخرة، وتظهر موقف المشركين وما أظهروه من الدهش والإستغراب عندما دعاهم النبي ﷺ إلى توحيد الله، وأخبارهم بقصة الوحي، واختيار الله له رسولاً:
﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عُجاب. وانطلق الملأ منهم: أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق. أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾. وتعرض السورة طرفاً من قصص الأنبياء: وداود وسليمان وأيوب، وغيرهم من الأنبياء، تسلية للنبي ﷺ وليصبر على أذى قومه: ﴿أصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾.
كما تعرض السورة مشهداً من مشاهد القيامة، يصور النعيم الذي ينتظر المتقين والجحيم الذي ينتظر المكذبين.

(٣) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ ـ ٩٠.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب واذكر عبدنا داود ١٣٥/٤. وكتاب التفسير، سورة الأنعام ١٩٤/٥، وسورة ص ٣١/٦.

وفي رواية عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها[1].

وفي رواية للنسائي: أنه قال: إن النبي ﷺ سجد في ص، وقال: سجدها داود عليه السلام توبة، ونسجدها شكراً[2].

ولأبي داود عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ سورة ص وهو على المنبر، فلما بلغ السجدة (نزل فسجد، وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها، فلما بلغ السجدة)[3]، تيسر[4] الناس للسجود، فقال رسول الله ﷺ إنما هي توبة نبي، ولكني رأيتكم تيسرتم[5] (للسجود)[6]، فنزل فسجد، وسجدوا[7].

ومعنى «تَيَسَّرْتُمْ»: من اليسر، ضد العسر[8]، (تهيأتم)[9].

و(هو) معنى قوله في رواية أخرى: «تَشَزَّنْتُم» بمثناة فوقانية، ثم شين معجمة، ثم زاي ثم نون[10].

---

(۱) صحيح البخاري: كتاب سجود القرآن ٢/٣٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب السجود في ص ٢/٥٩ حديث رقم ١٤٠٩.
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة باب ما جاء في السجدة في ص ٢/٤٥.

(۲) سنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب سجود القرآن ٢/١٥٩.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/٥٢: تفرد بروايته النسائي، ورجال إسناده كلهم ثقات.

(۳) ما بين الحاصرين زيادة عن سنن أبي داود.

(٤) عند أبي داود: تشزن.

(٥) عند أبي داود: تشزنتم.

(٦) زيادة عن أبي داود.

(۷) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب السجود في ص ٢/٥٩ حديث رقم ١٤١٠. قال ابن كثير في تفسيره ٧/٥٣: تفرد به أبو داود، واسناده على شرط الصحيح، اهـ.

(۸) ساقطة من د.

(۹) قال في النهاية ٢/٢٩٦: ومنه الحديث: «قد تيسر للقتال» أي تهيأ له واستعد.
وراجع مختار الصحاح ص ٧٤٢.

(۱۰) قال في النهاية ٢/٤٧١: التشزُّن: التأهب والتهيؤ للشيء، والاستعداد له مأخوذ من غرض الشيء وجانبه، كأن المتشزن يدع الطمأنينة في جلوسه ويقعد مستوفزاً على جانب.

ورواه الدارمي في الصلاة ولفظه: قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوماً فقرأ ص، فلما مر بالسجدة نزل فسجد، وسجدنا معه، وقرأها مرة أخرى، فلما بلغ السجدة تيسرنا للسجود، فلما رآنا قال: إنما هي توبة نبي، ولكني أراكم قد استعددتم للسجود فنزل وسجد وسجدنا[1].

وللترمذي واللفظ له ـ وقال: غريب ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال النووي في شرح المهذب[2]: قال الحاكم: هو حديث صحيح[3] ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله رأيتني وأنا نائم، كأني أصلي خلف شجرة فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي[4].

وفي رواية ابن حبان: فرأيت كأني قرأت سجدة فسجدت (فسجدت الشجرة)[5] كأنها سجدت بسجودي، فسمعتها تقول: اللهم اكتب لي بها أجراً، وحُطَّ عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فسمعت رسول الله ﷺ قرأ سجدة ثم سجد. فقال مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة.

ورواه أبو يعلى والطبراني عن (أبي)[6] سعيد رضي الله عنه قال: رأيت فيما يرى النائم كأني تحت شجرة، وكأن الشجرة تقرأ ص، فلما أتت على السجدة سجدت، فقالت في سجودها: اللهم اغفر لي بها، اللهم حط بها عني وزراً، وأحدث لي بها شكراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود، فغدت لى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: أسجدت يا أبا سعيد؟ قلت: لا،

(١) سنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب السجود في ص ٢٨٢/١ حديث رقم ١٤٧٤.
(٢) المجموع ٦٤/٤.
(٣) المستدرك ٢١٩/١ وقال: هذا حديث صحيح رواته كلهم مكيون، لم يذكرو أحد منهمبجرح.
(٤) صحيح الترمذي: كتاب السفر، باب ما يقول في سجود القرآن ٤٦/٢.
(٥) زيادة عن د.
(٦) ساقطة من د.

قال: فأنت أحق بالسجود من الشجرة ثم قرأ رسول الله ﷺ سورة ص، ثم أتى على السجدة، وقال في سجوده، ما قالت الشجرة في سجودها.

قال المنذري: وفي إسناده يمان بن نصر لا أعرفه(١).

وروى الإمام أحمد ـ قال المنذري: ورواته رواة الصحيح(٢) ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه رأى رؤيا أنه يكتب ص، فلما بلغ (إلى)(٣) سجدتها، رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجداً. قال: فقصصتها على النبي ﷺ، فلم يزل يسجد بها(٤).

وروى النسائي في السنن، والبيهقي في الدعوات عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا تعارَّ من الليل قال: لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار(٥).

وفي كتاب «الاستغناء بالقرآن» لابن رجب عن ابن أبي الدنيا: أنه روى عن مقاتل بن حيان(٦) قال: صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ: ﴿ **وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾(٧)، فجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها، يعني من البكاء.

---

(١) الترغيب والترهيب: كتاب قراءة القرآن، باب الترغيب في قراءة القرآن في الصلاة وغيرها ٢/٣٥٧.

(٢) الترغيب والترهيب ٢/٣٥٨.

(٣) ساقطة من د.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣/٧٨، ٨٣.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/٥٣: تفرد به أحمد.

(٥) ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٢٧٦/ حديث رقم ٧٦١.

(٦) هو أبو بسطام مقاتل بن حيان النبطي ـ بفتح النون والباء الموحدة ـ البلخي الخزاز ـ بزائين معجمتين ـ قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/٢٧٢: صدوق فاضل، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه.

(٧) الآية: ٢٤ من سورة الصافات.
والآية كما ترى من سورة الصافات، ولا علاقة لها بسورة ص.

سورة الزمر

وتسمى: الغرف[١].

مكية. قال ابن الجوزي: رواه العوفي[٢]، وابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ

وبه قال الحسن ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وجابر بن زيد[٣].

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إلا آية نزلت بالمدينة: «الله نزل أحسن الحديث» الآية. وإلا ثلاثاً في وحشي قاتل حمزة[٤] رضي الله

(١) لقوله تعالى فيها: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية...﴾ الآية.

(٢) في م: ابن العوفي. وما أثبتناه فعن ابن الجوزي.

(٣) قال الحافظ في التقريب ١٠/١٢٢: جابر بن زيد، أبو الشعثاء الأزدي، ثم الجوفي ـ بفتح الجيم وسكون الواو بعدها فاء ـ البصري، مشهور بكنيته، ثقة فقيه من الثالثة مات سنة ثلاث وتسعين، ويقال: ومائة.

(٤) هو حمزة بن عبد المطّلب عم النبي ﷺ، قتله وحشي في غزوة أحد بتحريض من هند بنت عتبة.

عنها: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم** ﴾ الآية، إلى آخر الأيات الثلاث إلى ـ: ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾[1].

وقال مقاتل: ﴿ **قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** ﴾[2]مدنية. وكذا: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم** ﴾.

ذكر ذلك ابن الجوزي وغيره[3].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمس وسبعون فيالكوفي، وثلاث في الشامي ـ واثنتان في عدد الباقين.

اختلافها سبع آيات:

﴿ **فيه يختلفون** ﴾[4]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ **مخلصاً له الدين** ﴾[5] الثاني، عدها الكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون. والأول لا خلاف فيه، أنه رأس آية.

﴿ **له ديني** ﴾[6] عدها الكوفي، لم يعدها الباقون.

﴿ **فبشر عباد** ﴾[7] لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

﴿ **من تحتها الأنهار** ﴾[8] عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

---

(١) الآيات: ٥٣ ـ ٥٥.

(٢) الآية: ١٠.

(٣) راجع: زاد المسير لابن الجوزي ٦/١٦٠ والقرطبي ١٥/٢٣٢.

(٤) آية: ٣.

(٥) آية: ١١.

(٦) آية: ١٤.

(٧) آية: ١٧.

(٨) آية: ٢٠.

﴿ من هادٍ ﴾[1] الثاني. و ﴿ فسوف تعلمون ﴾[2]. عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون. وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، ستة مواضع:

﴿ الدين الخالص ﴾[3] ﴿ ما يشاء ﴾[4] بعده سبحانه. ﴿ بما كنتم تعملون ﴾[5]، بعده: إنه عليم، ﴿ كمة العذاب ﴾[6] ﴿ متشاكسون ﴾[7]، ﴿ وجيء بالنبيين ﴾[8].

ورويها ستة أحرف: من لبدر[9].

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل، لأنه لا يفوته شيء ويضع الأشياء في أوفق محالها.

وعلى ذلك دلت تسميتها بالزمر، للإشارة بها إلى أنه سبحانه أنزل كلا من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقه أعمالهم عدلاً منه سبحانه في أهل النار، وفضلاً على المتقين الأبرار.

وعلى مثل ذلك دلت تسميتها بالغرف، ولا سيما مع ملاحظة ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾[10].

---

(١) آية: ٣٦.
(٢) آية: ٣٩.
(٣) آية: ٣.
(٤) آية: ٤.
(٥) آية: ٧.
(٦) آية: ١٩.
(٧) آية: ٢٩.
(٨) آية: ٦٩.
(٩) اللام: «وما أنت عليهم بوكيل ٤١». وهو على كل شيء وكيل ٦٢».
(١٠) هذه السورة تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد، ومن ثم فهي ذات =

فضائلها

وأما فضائلها: فتقدم في سورة الإسراء حديث: أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر(١).

= موضوع واحد متصل من بدئها إلى ختامها، يُعرض في صور شتى. ومنذ افتتاح السورة تبرز هذه القضية الواحدة التي تعتبر المحور الأصلي للسورة:
﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم. إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين. الا لله الدين الخالص...﴾ الآيات.
وتتردد هذه القضية في ثنايا السورة على فترات متقاربة، إما نصاً، وإما مفهوماً: فأما نصاً فمثل قوله تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين. وأمرت لأن أكون أول المسلمين. قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾.
وأما مفهوماً فمثل قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل، هل يستويان مثلاً؟. الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾.
كما تعرض السورة كيفية خلق الإنسان للإستدلال على وحدانية الله وقدرته:
﴿خلقكم من نفس واحدة، ثم جعل منها زوجها. وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث، ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني تصرفون﴾.
كما تتحدث السورة عن طبيعة النفس البشرية في سرائها وضرائها:
﴿وإذا مس الإنسان ضرّ دعا ربه منيباً إليه، ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله...﴾.
ثم تختم السورة بعرض لموقف الحساب، والناس فريقان: فريق يُساق إلى الجنة، وفريق يُساق إلى النار ثم تختم بهذا الختام:
﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾.
راجع: الظلال: ٣٠٣٣/٥.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٨٩/٦.
والترمذي في صحيحه: كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ عند المنام ١٤١/٥ حديث رقم ٣٤٦٦. كلاهما عن عائشة رضي الله عنها، ورجاله ثقات.

وروى الطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: بأسانيد، رجال الأول رجال الصحيح غير تمام بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف[1] ـ عن أبي الضحى[2] قال اجتمع مسروق وشتير ابن شكل[3] في المسجد، فتقوص[4] إليهما حلق المسجد فقال مسروق: ما أرى هؤلاء جلسوا إلينا إلا ليسمعوا منا خيراً، فإما أن تحدث عن عبدالله وأصدِّقك، وإما أن أحدث عن عبدالله وتصدِّقُني. فقال: حدث يا أبا عائشة فقال مسروق: أسمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إنَّ أجمع آية في القرآن: حلال وحرام، أمر ونهي: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾[5] إلى آخر الآيـة؟ قال: نعم. قـال: وأنا قـد سمعته. قال: فهل سمعت عبدالله بن مسعود يقول: إن أكبر آية في كتاب الله تفويضا: ﴿ ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويـرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[6]؟. قال: نعم. قال: وأن قد سمعته. قل: فهل سمعت عبدالله بن مسعود يقول: إن أشد آية في القرآن فرحاً: ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة** ﴾[7] إلى آخر الآية؟ قال: نعم. قال: وأنا قد سمعته.

وفي رواية: أن شتيرا هو الذي حدث وقال فيه:

حدثنا عبدالله بن مسعود: إن أعظم آية في كتاب الله: ﴿ **الله لا إله إلا**

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٤٩، ٧/١٢٦.

(٢) هو مسلم بن صبيح ـ مُصَغَّراً ـ الهمداني، أبو الضحى، العطار الكوفي، روى عن علي وابن عباس وجماعة. وثقه ابن معين وأبو زرعة، مات سنة ١٠٠ في خلافة عمر ابن عبد العزيز. (الخلاصة ٣٧٥).

(٣) شتير بن شكل ـ بفتح الشين المعجمة والكاف ـ بن حميد، العبسي الكوفي روى عنه بلال بن يحي وأبو الضحى، كان ثقة. (الخلاصة ١٦٣).

(٤) أي جاء إليهم كل من كان بالمسجد. وراجع النهاية ٤/١٢١.

(٥) سورة النحل: آية ٩٠.

(٦) سورة الطلاق: الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٧) سورة الزمر: آية ٥٣.

هو الحي القيوم ﴾[1].

قال مسروق: صدقت.

والباقي بنحوه.

ورواه أبو عبيد في كتاب الفضائل فقال: حدثنا عمر بن عبد الرحمن، عن منصور بن المعتمر عن الشعبي قال: قال: التقى مسروق بن الأجدع وشتير بن شكل، فقال شتير لمسروق: إما أن تحدث عن عبدالله رضي الله عنه وأصدقك وإما أن أحدثك وتصدقني، فقال مسروق: حدث وأصدقك قال شتير: سمعت عبدالله يقول: ما خلق الله من سماء ولا أرض، ولا جنة ولا نار أعظم من آية في سورة البقرة **﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾**[2] ثم قرأها حتى أتمها.

فقال مسروق: صدقت.

قال: وسمعت عبدالله رضي الله عنه يقول: ما في القرآن آية أجمع لخير ولا لشر، من آية في سورة النحل: **﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾**[3].

قال: صدقت.

قال: وسمعت عبدالله رضي الله عنه يقول: ما في القرآن أعظم فرحاً من آية في سورة الغرف: **﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾**[4].

قال: صدقت.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

(٢) الآية: ٢٥٥.

(٣) الآية: ٩٠.

(٤) الآية: ٥٣.

قال: وسمعت عبدالله يقول: ما في القرآن أكثر وأكبر تفويضاً من آية في سورة النساء القصري[1]: **ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً** ﴾[2].

قال: صدقت.

قال: حدثنا عبدالله بن صالح، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، عن محمد بن المنكدر وصفوان بن سليم قالا: التقى ابن عباس وعبدالله بن عمرو، رضي الله عنهم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي آية في كتاب الله أرجى؟ فقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقتطوا من رحمة الله** ﴾[3].

فقال ابن عباس: لكن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال: أو لم تؤمن. قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** ﴾[4].

قال ابن عباس: فرضي منه بقوله: بلى.

قال: فهذا لما يعترض في الصدر فيما يوسوس به الشيطان.

وروى أبو الشيخ والبيهقي، عن العباس بن[5] عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، فهاجت ريح، فوقع ما كان فيها من ورق نخر وبقي ما كان من ورق أخضر، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) هي سورة الطلاق.

(٢) اية: ٣.

(٣) الآية: ٥٣ من السورة.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٦٠.

(٥) هو أبو الفضل العباسي بن عبد المطّلب بن هاشم، عم رسول الله ﷺ ولد قبل رسول الله لا بسنتين، وكانت له السقاية والعمارة في الجاهلية وحضر بيعة العقبة مع رسول الله ﷺ، وأسر يوم بدر، ثم افتدى نفسه من المسلمين، أسلم وهاجر قبيل فتح مكة، مات بالمدينة سنة ٣٢ هجرية.

راجع: الإصابة ٢/٢٦٣.

ما مثل هذه الشجرة؟. فقال القوم: الله ورسوله أعلم، فقال: مثل المؤمن إذا اقشعر من خشية الله وقعت عنه ذنوبه، وبقيت حسناته.

وروى الطبراني في الكبي - قال الهيثمي في مجمع الزوائد[١]: وفيه أبين بن سفيان، ضعفه الذهبي[٢] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي بن حرب[٣] قاتل حمزة، رضي الله عنهما يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنى، يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. وأنا قد فعلت ذلك كله، فهل تجد لي من رخصة؟.

فأنزل الله تعالى: **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾**[٤]. **فقال وحشي: هذا شرط شديد، لعلي لا أقدر عليه فهل لي غير ذلك؟. فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**[٥]، فقال وحشي: أراني بعد ذلك في شبهة، فلا أدري أيغفر لي، أم لا، فهل غير هذا؟ فأنزل الله عز وجل: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا**

---

(١) مجمع الزوائد ١٠١/٧.

(٢) قال في الميزان ٧٨/١: أبين بن سفيان، عن التابعين ضعيف... قال أبو جعفر: كتبت عن أبين بن سفيان، ثم حرقت ما كتبت عنه، كان مرجئاً، وقال الدارقطني: ضعيف له مناكير.

(٣) هو وحشى بن حرب، مولى جبير بن مطعم بن عدى، قتل حمزة بن عبد المطّلب يوم أحد ورجع مع المشركين إلى مكة، وظل بها حتى انتشر الإسلام فيها، ثم فر إلى الطائف وجاء على رسول الله ﷺ قادماً مع وفد الطائف فأسلم، وأمره رسول الله ﷺ أن يغيب وجهه عنه، وشارك وحشى في حرب اليمامة، وكان قتل مسيلمة على يده بنفس الحربة التي قتل بها حمزة، وشهد حرب اليرموك، ومات بحمص في خلافة عثمان.
راجع: الإصابة ٥٩٤/٣ الإستيعاب على هامش الإصابة ٦٠٧/٣.

(٤) سورة الفرقان: آية ٧٠.

(٥) الآية: ٤٨، والآية: ١١٦ من سورة النساء.

تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾[1]. فقال وحشي: هذا، فجاء فأسلم، فقال المسلمون: هذا له خاصة، أم المسلمين عامة؟. فقال: بل للمسلمين عامة[2].

قال البغوي: وروى ابن عمر رضي الله عنهما، أن هذه الآيات نزلت في عياش أبي ربيعة[3] والوليد بن الوليد[4]، ونفر من المسلمين كانوا قد

---

(١) الآية: ٥٣ من السورة.

(٢) والحق أن إسلام وحشي لم يكن على هذه الصورة التي تطفح بالتدلل والإباء، وكَأَنَّ الإسلام بضاعة رخيصة في سوق الرافضين، يشترط كل واحد لنفسه ما يشاء.
وأبسط ما يقال في هذا الحديث: إنه حديث مكذوب، وضعه أحد الكذابين بمهارة على هذا النسق المليء بالإغراء.
وقصة إسلام وحشي وردت في صحيح البخاري، في غزوة أحد، من كتاب المغازي ٥/٣٦ وليس فيها ما يدل على أن الرسول ﷺ أرسل إلى وحشي يعرض عليه الإسلام، وأن هذه الآيات نزلت فيه. وإنما فيه: أن الرجل جاء من الطائف مع الوفد الذي جاء منها بعد فتح مكة في عام الوفود، وجاء وحشي مع من جاء يلتمس عفو رسول الله ﷺ، بعد أن حثه الناس على المسير معهم، وفيه: أنه لم يمكث عند رسول الله ﷺ إلا زمناً قصيراً جداً لا يتسع إلى ذلك الحوار، وها هو وحشي يقول - كما في صحيح البخاري -: «. . . . . . وكمنتُ لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته - أي عانته - حتى خرجت من بين وركيه، فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت الى الطائف فأرسلوا الى رسول الله ﷺ رسولاً. فقيل لي: انه لا يهيج الرسل، فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رآني قال: أأنت وحش؟. قلت: نعم قال: أأنت قتلت حمزة؟. قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني. فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ، فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله. فأكافىء حمزة. . .» الحديث وهذا مخالف تماماً لما أورده البقاعي.

(٣) هو عياش بن أبي ربيعة - واسم أبي ربيعة: عمرو - بن المغيرة المخزومي، القرشي ابن عم خالد بن الوليد، كان من السابقين في الإسلام، وهاجر الهجرتين، ثم خدعه أبو جهل فأرجعه إلى مكة فحُبس، وكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت وتوفي رضي الله عنه في خلافة عمر سنة خمس عشرة. وقيل غير ذلك.

(٤) هو الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أخو خالد بن الوليد، أسره المسلمون في =

أسلموا ثم فُتِنُوا، وكنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً(١) أبداً. فأنزل الله هذه الآيات، فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده، ثم بعثها إليهم، فأسلموا وهاجروا(٢). فأخبرهم بالذي أبكاهما.

وقال ابن رجب: وروى الجوزجاني، وابن أبي الدنيا، والطبراني، عن عباد المنقري(٣). قال: قرأت على محمد بن المنكدر آخر الزمر، فبكى الشيخ بكاء غير متباك. ثم قال: حدثني عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قرأ رسول الله ﷺ آخر الزمر وهو على المنبر، فتحرك المنبر من تحته مرتين(٤).

ورواه العقيلي فقال: آخر سورة الرحمن.

قال ابن رجب: والرواية الأولى أصح.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، ﴿ **فاطر السموات والأرض، عالمالغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾(٥)، اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي إلى

= غزوة بدر، ولما فك أسره أعلن إسلامه، ثم فتن وحبس بمكة مع من حبس بها، ثم أدرك النبي ﷺ في عمرة القضاء.

الإصابة ٣/٦٠٣ والإستيعاب على هامش الإصابة ٣/٥٩٣.

(١) قا ابن الأثير في النهاية ٣/٢٤: الصرف: التوبة، وقيل: النافلة. والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة.

(٢) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٨/٢٥٣.

(٣) هو عباد بن ميسرة التميمي المنقري البصري المؤدب كان من العبّـاد. روى عن الحسن ومحمد بن المنكدر. وروى عنه هشيم ووكيع. ضعفه أحمد وأبو داود. ويحي بن معين وذكر الذهبي: أنه ضعفوه بهذا الحديث.

راجع: الميزان ٢/٣٧٨ والخلاصة ١٨٧.

(٤) حديث ضعيف لضعف عباد المنقري.

(٥) الآية: ٤٦ من السورة.

صراط مستقيم[1].

وفي كتاب «الاستغناء بالقرآن» لابن رجب: أن أبا نعيم روى عن يحيى بن الفضل الأنيسي[2] قال: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر[3]، أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي، إذا اشتد بكاؤه فكثر، حتى فزع له أهله وسألوه: ما الذي أبكاه، فاستعجم[4] عليهم وتمادي في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم[5] فأخبروه، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي فقال: يا بن أخي ما الذي أبكاك حتى رُعت أهلك؟. أفمن علة، أم ما بك؟. فقال: إنه مرت بي آية من كتاب الله. قال: وما هي؟. قال: قول الله عز وجل: ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾[6]. قال: فبكى أبو حازم معه فاشتد بكاؤهما ـ فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه، فزدته[7].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل ٦/٥٦ بشرح النووي.
وأخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ١/٢٠٤ حديث رقم ٧٦٧.

(٢) لم أعثر على ترجمته.

(٣) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي. روى عن طائفة كبيرة من الصحابة منهم: أبوه، وجابر، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وكان من أفاضل التابعين وثقاتهم، ومات سنة ثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين.
راجع: سير أعلام النبلاء ٥/٣٥٣، تهذيب التهذيب ٩/٤٧٣، تذكرة الحفاظ ١/١٢٧.

(٤) أي لم يقدر على الكلام.

(٥) هو أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج التمار الزاهد، روى عن سهل بن معد ومحمد بن المنكدر وسعيد بن المسيب، وروى عنه الزهري والسفيانان، وكان ثقة مكثراً في الرواية. مات سنة ١٤٠.
تذكرة الحفاظ ١/١٣٣. شذرات الذهب ١/٢٠٨، طبقات الحفاظ ٥٣.

(٦) الآية: ٤٧ من السورة.

(٧) الحلية ٣/١٤٦، وسير أعلام النبلاء ٥/٣٥٥.

سورة غافر

وتسمى: الطّول، والمؤمن.

مكية إجماعاً.

قال الزمخشري: قال الحسن: إلا قوله: ﴿ **وسبح بحمد ربك** ﴾[1] لأن الصلوات نزلت بالمدينة. انتهى[2].

وتقدم رد مثل هذا في لقمان.

وقال ابن الجوزي والأصبهاني: وحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة، وهما قوله: ﴿ **إن الذين يجادلون في آيات الله** ﴾[3] والتي بعدها.

وقال الزجاج: ذكر أن الحواميم كلها نزلت بمكة[4].

---

(١) اية: ٥٥.

(٢) الكشاف ٤١٢/٣.

(٣) آية: ٥٦.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٢٠٤/٧.

وقال أبو حيان: الحواميم مكيات. قالوا: بإجماع[1].

ونقله الزمخشري وأتباعه عن ابن عباس وابن الحنفية[2]، رضي الله عنهما[3].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثمانون وآيتان في البصرى، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الكوفي، وست في الشامي.

اختلافها تسع آيات:

﴿ **حم** ﴾[4] عدها الكوفي، ولميعذها الباقون.

﴿ **يوم التلاق** ﴾[5] لم يعدها الشامي، وعدها الباقون.

﴿ **يوم هم بارزون** ﴾[6]، عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **كاظمين** ﴾[7] لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب** ﴾[8] لم يعدها المدني الأخير والبصري، وعدها الباقون.

---

(١) البحر المحيط ٧/٤٤٦.

(٢) هو أبو القاسم ـ وقيل: عبد الله ـ محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية، أخو الحسن والحسين لأبيهما، وأمه خولة بنت جعفر بن جعفر بن قيس بن مسلم الحنفية من بني حنيفة وكان عالماً كثير العلم، فاضلاً ورعاً، غاية في العبادة، محباً لأخويه الحسن والحسين. توفي سنة ٨١. وقيل: ٨٣.
راجع: شذرات الذهب ١/٨٩، تهذيب الأسماء واللغات ١/٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/١١٠.

(٣) الكشاف ٣/٤١٢.

(٤) آية: ١.

(٥) آية: ١٥.

(٦) آية: ١٦.

(٧) آية: ١٨.

(٨) آية: ٥٣.

﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير** ﴾[1]، عدها المدني الأخير والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **والسلاسل يسحبون** ﴾[2]، عدها المدني الأخير والكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **في الحميم** ﴾[3] عدها المدنى الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **أينما كنتم تشركون** ﴾[4]، عدها الكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع تسعة مواضع:

﴿ **شديد العقاب** ﴾[5]، ﴿ **مخلصين له الدين** ﴾[6]، موضعان: الأول بعده ﴿ **ولو كره الكافرون** ﴾ والثاني بعده ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾.

﴿ **لدى الحناجر كاظمين** ﴾[7]، ﴿ **من حميم ولا شفيع** ﴾[8]، ﴿ **وهامان وقارون** ﴾[9] ﴿ **تولون مدبرين** ﴾[10]، ﴿ **يتحاجون في النار** ﴾[11]، ﴿ **والسلاسل** ﴾[12].

---

(١) آية: ٥٨.
(٢) آية: ٧١.
(٣) آية: ٧٢.
(٤) آية: ٧٣.
(٥) آية: ٣.
(٦) آية: ١٤، وآية: ٦٥.
(٧) آية: ١٨.
(٨) آية: ١٨.
(٩) آيية: ٢٤.
(١٠) آية: ٣٣.
(١١) آية: ٤٧.
(١٢) آية: ٧١.

وعكسه موضعان: ﴿ يطاع ﴾[1]، ﴿ يقوم الأشهاد ﴾[2].
ورويها ثمانية أحرف، يجمعها، من عقل دبّر.

مقصودها

ومقصودها: الاستدلال على آخر التي قبلها من تصنيف النـاس في الآخرة إلى صنفين، وتوفية كلّ ما يستحقه على سبيل العدل، فإن فاعل ذلك له العزة الكاملة، والعلم الشامل.

فمن يسلم أمره كله إليه، وجادل في آياته الدالة على القيامة أو غيرها، بقوله فإنه يخزيه، فيعذبه ويرديه.

وعلى ذلك دلت تسميتها بغافر، إشارةً إلى الآية التي فيها هذه الصفة، فإنه لا يقدر على غفران ما يشاء، لكل من يشاء، إلا كامل العزة، ولا يعلم جميع الذنوب ليسمى غافراً لها إلا بالغ العلم.

وكذا في المتاب والعقاب، وكذا الدلالة بتسميتها بالطول بمثل ذلك.

وبالمؤمن، فإن قصته تدل على هذا المقصد. ولا سيما أمر القيامة، الذي هو جل المقصود والمدار الأعظم، لمعرفة المعبود[3].

---

(١) آية: ١٨.
(٢) الآية: ٥١.
(٣) سورة غافر مكية، وهي تعني بأمور العقيدة كسائر السور المكية، ويكاد يكون موضوع السورة البارز هو المعركة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ولهذا جاء جو السورة مشحوناً بطابع العنف والشدة، وكأنه جو معركة رهيبة يبدو فيها الطعن والنزال، ثم تسفر عن مصارع الطغاة والمكذبين. فإذا هم حطام وركام.
فقد بدأت السورة الكريمة بالإشارة بصفات الله الحسنى، وآياته العظمى، ثم عرضت لمجادلة الكافرين في آيات الله، فمع وضوح الحق وسطوعه، جادل فيه المجادلون وكابر فيه المكابرون.
وعرضت السورة لمصارع الغابرين وقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلم يفلت منهم إنسان، وتحدثت عن بعض مشاهد الآخرة وأهوالها، فإذا العباد واقفون للحساب =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في كتاب الفضائل، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن آل حم. أو قال الحواميم.

وروى أيضاً، عن عبدالله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: إذا وقعتُ في آل حم وقعتُ في روضات دمثات[1]، أتأنَّقُ[2] فيهن[3].

وأيضاً عنه، أنه قال: حم ديباج القرآن[4].

= بارزون أمام الملك الديان، يغمرهم رهبة وخشوع، وإذا القلوب لدى الحناجر تكاد لشدة الفزع والهول تنخلع، وفي ذلك الموقف الرهيب، واليوم العصيب. يلقي الإنسان جزاءه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ثم يأتي الحديث عن قصة الإيمان والطغيان، ممثلة في دعوة موسى عليه السلام لفرعون الطاغية الجبار، وتبرز في ثنايا هذه القصة حلقة جديدة لم تعرض في قصة موسى من قبل. ألا وهي ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، فإذا ابه يصدع بكلمة الحق في تلطف وحذر، ثم في صراحة ووضوح، ثم تنتهي القصة بهلاك فرعون غرقاً مع أعوانه وأنصاره، ونجاة المؤمنين.

وفي أثناء السياق تعرض السورة بعض الآيات الكونية، التي تشهد بعظمة الله وتنطق بوحدانيته وجلاله، وتمثل المؤمن والكافر بالأعمى والبصير.

راجع: الظلال ٣٠٦٥/٥.

(١) قال في النهاية ١٣٢/٢: يقال دمث المكان دمثاً: إذا لان وسهل.

(٢) في النهاية ٧٦/١: أي أعجب بهن، وأستلذ قراءتهن، وأتتبع محاسنهن. قال أبو عبيد ٩٤/٤: ومنه قيل: منظر أنيق، إذا كان حسناً معجباً.

(٣) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٩٣/٤، وابن أبي شيبة في المصنف ٥٥٨/١٠. وذكره الزمخشري في الفائق ٥٢/١.

(٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، باب سورة حم المؤمن ٤٣٧/٢. والزمخشري في الفائق ٥٢/١. ولفظه عندهما: آل حم.

وأيضاً عن مسعر[1] أنه قال: بلغني أنَّه كُنَّ يُسمَّيْنَ العرائس[2].

ورواه الدارمي في مسنده فقال: حدثنا جعفر بن عون، عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم[3] قال: إن الحواميم يسمين العرائس[4].

وقال الأصفهاني: وعن النبي ﷺ أنه قال: إن لكل شيء ثمرةً وإن ثمرة القرآن ذوات حم، هن روضات مخصبات متجاورات، فمن أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم.

وروى أبو عبيد عن محمد بن قيس قال: رأى رجل في المنام سبع نسوة حسان في مكان واحد، فقال: من أنتن بارك الله فيكن؟. فقلن: إن شئت كنا لك، نحن الحواميم أو قال: آل حميم[5].

وأيضاً عن ابن سيرين: أنه كان يكره أن يقول: الحواميم [6]، ويقول: آل حميم.

قال أبو عبيد: كما يقول: هؤلاء ال فلان، كأنك أضفتهم إليه[7].

وقال ابن الجوزي في: زاد المسير: قال ابن قتيبة[8]: إن «حم» اسم

---

(١) هو مسعر بن كدام ـ بكسر الكاف ـ بن ظهيرة، المتوفي سنة ١٥٣، كان ثبتاً ثقة في الرواية. قال ابن سعد: كان مرجئاً. الخلاصة ٣٧٤.

(٢) ذكره الزمخشري في الفائق ١/٥٢.

(٣) هو جعفر بن عون بن جعفر بن عمرو بن حريث الكوفي، المتوفي سنة ٢٠٦، أو ٢٠٧ وثقة أحمد وابن معين. (الخلاصة ٦٣).

(٤) سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، كان ثبتاً فاضلاً، روى عن ابن مسعود، مات سنة ١٢٥. (الخلاصة١٣٣).

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٢/٤٥٨.

(٦) غريب الحديث ٤/٩٣.

(٧) قال أبو عبيد ٤/٩٤: وأما قول العامة: «الحواميم» فليس من كلام العرب.

(٨) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/٩٣.

راجع: القرطين لابن مطرف الكناني ص ٥، ٦، ٧.

والقرطين كتاب جامع بين كتابي مشكل القرآن، وغريب القرآن لابن قتيبة.

من أسماء الله تعالى، أضيفت هذه السور إليه لشرفها، فقيل: آل حميم.

قال الكميت[1]:

وجدنا لكم في آل حميم آية تأولها منا تقي ومعرب

وقد يجعل «حم» اسماً للسورة، ويدخل الإعرابَ ولا ينصرف، ومن قال هذا، قال في الجمع [3] الحواميم. كما يقال: طس، والطوّاسين.

وقال محمد بن القاسم الأنباري[4]: العرب تقول:[5] وقع في الحواميم، وفي آل حميم. وأنشد أبو عبيدة[6]:

حلفت بالسبع اللواتي طولت[7] وبمئين بعدها قد أمئت[8]

---

(١) هو الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد، ينتهي نسبة - على بعض الأقوال - الى إلياس بن مصر، وهو شاعر مشهور من شعراء العصر الأموي، ولد عام ستين وسكن الكوفة، وقد اشتهر بتشيعه ومديحه لآل البيت، وله قصائده المشهورة بالهاشميات، توفي سنة ١٢٦.

راجع: طبقات فحول الشعراء ٣١٩/١. خزانة الأدب ٦٩/١.

(٢) البيت في اللسان ٥٨٩/١ مادة عرب.

(٣) في زاد المسير: ومن قال في الجميع.

(٤) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الحسين، الأنباري، النحوي اللغوي، كان واسع الرواية، صدوقاً فاضلاً، ديِّناً، من أهل السنة، روى عنه الدارقطني وجماعة وكان يملي من حفظه، مات سنة ٣٢٨. وقيل: سنة ٣٢٧ ببغداد.

بغية الوعاة ٢١٢/١، وسير أعلام النبلاء ٢٧٤/١٥، والبداية والنهاية ١٩٦/١١، وتذكرة الحفاظ ٨٤٢/٣.

(٥) في د: العرب كما تقول.

(٦) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري، مولى بني تميم، أول من صنف في الغريب أخذ عنه أبو عبيد الهروي وأبو حاتم وجماعة، وله مصنفات كثيرة تشهد بغزارة علمه وفضله. مات سنة ٢١١ على خلاف في ذلك.

بغية الوعاة ٢٩٤/٢.

(٧) هي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

(٨) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره ٤٥/١: المثون: هي ما كان من سور القرآن عدد آياته مائة آية، أو تزيد عليها شيئاً، أو تنقص منها شيئاً يسيراً.

وبمثاني ثنيت فكررت(١) وبالطواسين اللواتي ثلثت(٢)
وبالحواميم اللواتي سبعت(٣) وبالمفصل(٤) اللواتي(٥) فصلت(٦)

انتهى ما في زاد المسير(٧).

وروى البغوي بسنده(٨) عن أبي الأحوص، عن عبدالله قال: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً، فمر بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فقيل له: إن مثل الغيث الأول، مثل عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات (الدمثات)(٩) مثل آل حم في القرآن(١٠).

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ الدخان كلها، وأول حم غافر، إلى: ﴿ **إليه المصير** ﴾(١١)، وآية الكرسي ، حين يمسي حفظ بها حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسي(١٢).

---

(١) المراد بالمثاني: سورة الفاتحة، كما ورد في صحيح البخاري وغيره

(٢) الطواسين هي: سورة الشعراء، والنمل، والقصص.

(٣) الحواميم هي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٤) ما بين الحاصرين زيادة عن زاد المسير.

(٥) المراد بالمفصل: من سورة ق الى آخر القرآن.
وقد تقدم الكلام فيه في فضائل القرآن، وسيأتي في سورة ق.

(٦) الأبيات في مجاز القرآن لأبي عبيد معمر بن المثنى ٧/١ ولم يعزها لأحد. وذكرها ابن جرير في تفسيره ٤٦/١ دون عزو أيضاً.

(٧) زاد المسير ٢٠٤/٧.

(٨) في د: في مسنده، وهو خطأ.

(٩) زيادة عن زاد المسير.

(١٠) تفسير البغوي على هامش الخازن ٧٣/٦.

(١١) آية: ١ ـ ٣.

(١٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة البقر ﴾آية الكرسي ٢٣٢/٤ حديث رقم ٣٠٣٩. ولم يذكر فيه «الدخان».

قال الترمذي: غريب، وقد تكلم بعضهم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة ـ يعني: أحد رواته ـ من قبل حفظه[1].

ورواه الدارمي، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: من قرأ آيةالكرسي وفاتحة المؤمن ـ إلى قوله ـ: ﴿إليه المصير﴾ لم ير شيئاً يكرهه حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي لم ير شيئاً يكرهه حتى يصبح[2].

وقال النووي رحمه الله: وروى الترمذي وابن السني بإسناد ضعيف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حم المؤمن ـ إلى قوله ـ: ﴿إليه المصير﴾ وآية الكرسي حين يصبح، حُفظ بها حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بها حتى يصبح[3].

وروى أبو داود، والترمذي، والترمذي واللفظ له وقال: حسن صحيح، والنسائي، وبان ماجة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: «وقال[4] ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين»[5].

---

(1) قال في الخلاصة ٢٢٤: ضعفه ابن معين.

(2) سنق الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٩٠.

(3) الأ كار للنووي ص ٧٩.
والترمذي ٤/٢٣٢ حديث رقم ٣٠٣٩.
وعمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٥٤ حديث رقم ٦٩٢.

(4) آية: ٦٠.

(5) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب، الدعاء ٢/٧٦ حديث رقم ١٤٧٩.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، سورة المؤمن ٥/٥٢ حديث رقم ٣٢٩٩.
وسنن ابن ماجة: كتاب الدعاء: باب فضل الدعاء ٢/١٢٥٨ حديث رقم ٣٨٢٨.
والمستدرك للحاكم: كتاب الدعاء، باب ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ١/٤٩٠.

وروى أبو عبيد عن امرأة من أهل بيت عامر بن عبد قيس[1]، أن عامر بن عبد قيس رحمه الله قرأ ليلة من سورة المؤمن، فلما انتهى إلى: ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لذي الحناجر كاظمين** ﴾[2] قالت: فكظم، أي سكت مكروبا، سكوت من انسدت مجاري أنفاسه، حتى أصبح. أو قالت: فلم يزل يرددها حتى أصبح.

---

(١) هو أبو عبد الله ـ وقيل: أبو عمرو ـ التميمي العنبري، البصري، روى عن عمرو سلمان رضي الله عنهما، وروى عنه الحسن وابن سيرين وغيرهما، وكان قليل الرواية. قال العجلي: كان ثقة من عباد التابعين. وتوفي ـ رحمه الله ـ في خلافة معاوية، ودفن ببيت المقدس.
راجع: سير أعلام النبلاء ١٥/٤ والحلية ٨٧/٢، وطبقات القراء ١٥٠٢/٢ والخلاصة ١٨٥، وأسد الغابة ٨٨/٣.

(٢) الآية: ١٨ من السورة.

سورة حم السجدة

وتسمى: المصابيح[1]، وفصلت.

مكية كلها إجماعاً. قاله ابن الجوزي.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمسون وآيتان في البصرى والشامي، وثلاث في المدنيين والمكي. وأربع في الكوفي. اختلافها آيتان:

﴿حم﴾ عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

﴿ عاد وثمود ﴾[3] لم يعدها البصري والشامي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضعان:

---

(١) لقوله تعالى فيها: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ آية ١٢.

(٢) زا المسير لابن الجوزي.

(٣) آية: ١٣.

﴿ **عذاباً شديداً** ﴾[١]. ﴿ **هدى وشفاء** ﴾[٢].

ورويها عشرة أحرف: رز، طب، ظن، مض، ضد.

مقصودها

ومقصودها: الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره المحيط بكل شيء قدره، وعلماً من علمه لعباده فشرعه لهم فجاءتهم به عنه رسله.

وذلك العلم هو الحامل على الأيمان بالله، والاستقامة على طاعته، المقترن بهما النافع في وقت الشدائد، كما تقدم تصريحاً في الزمر في قوله: ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[٣]. وتلويحاً آخر غافر في قوله تعالى: ﴿ **قالوا آمنا بالله وحده** ﴾[٤] الآية.

فتكون عاقبة الكشف الكلي حين يكون سبحانه سمع العالم الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر بهويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إلى آخر الحديث القدسي[٥].

وعلى ذلك دل اسمها «فصلت» (بالإشارة إلى ما في الآية المذكورة فيها

---

(١) آية: ٢٧.

(٢) آية: ٤٤.

(٣) آية: ٩.

(٤) آية: ٧٤ وتمامها: ﴿وكفرنا بما كنا به مشركين﴾.

(٥) الحديث أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع ١٩٠/٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه:
قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته.

هذه الكلمة من الكتاب المفصَّل لقوم يعلمون. والمصابيح بالإشارة إلياعتبار ما فيها من لطف الصنع، فتكون هدًى للباطن، كما أنها هدًى في الظاهر، والسجدة)(١) بالإشارة إلى ما فيها ايتها من الطاعة بالسجود الذي هو أقرب مقرِّب من الملك الديان، والتسبيح الذي هو (المدخل للأيمان)(٢).

---

(١) ما بين المربعين ساقط من د.

(٢) هذه السورة مكية، وموضوعها الأصلي: الحقائق الأساسية للعقيدة الإسلامية: الألوهية الواحدة، والحياة الآخرة، والوحي بالرسالة، وكل ما في السورة شرح لهذه الحقائق، واستدلال عليها، وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق.

فعن قضية الألوهية، يأتي:

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إليَّ انما إلهكم إله واحد، فاستقيموا إليه واستغفروه، وويل للمشركين﴾.

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً، ذلك رب العالمين﴾.

«لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾.

﴿ويوم يناديهم أين شركائي؟. قالوا آنذاك ما منا من شهيد﴾.

وعن قضية الوحي:

﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب فاعل اننا عاملون».

﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾.

﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم. ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته، أأعجمي وعربي.....

وتعرض السورة لبعض المشاهد الكونية المعروضة للأنصار، فتتحدث عن خلق السموات والأرض، وما أودعه الله في هذا الكون من عجائب وحكم. ثم تتحدث عن مصارع المكذبين، وضربت على ذلك الأمثلة بأقوى الأمم وأعتاها، وهم قوم عاد الذين بلغ بهم الطغيان الى أن يقولوا: «من أشد منا قوة»، وذكرت ما حلّ بثمود من الدمار الشامل والهلاك المبين. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الدارمي عن طاووس قال: فضلت حم السجدة وتبارك على كل سورة في القرآن بستين حسنة[١].

وروى عبد بن حميد في مسنده، والبيهقي في الدلائل، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، (قال: قال أبو جهل والملأ من قريش: لقد انتشر علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر فكلمه، ثم أتانا ببيان من أمره؟، فقال عتبة: لقد سمعت بقول السحر والكهانة والشعر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفي عليّ أن كان كذلك، فأتاه[٢] فلما أتاه قال له عتبة: يا محمد أنت خير أم هاشم، أنت خير أم عبد المطلب، أنت خير أم عبدالله؟ فلم يجبه. قال: فيم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا، فإن كنت إنما بك الرياسة، عقدنا ألويتنا لك، فكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت، وإن كان بك المال، جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك؟. ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون حتى بلغ: ﴿ **أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾[٣] فأمسك عتبةعلى فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم. فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه فأتوه فقال أبو

= وتختم السورة ببيان وعد الله للبشرية، بأن يطلعهم على بعض أسرار هذا الكون في آخر الزمان، ليستدلوا على صدق القرآن: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق. . .»

راجع: الظلال ٣١٠٥/٥.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن ٣٢٧/٢ حديث رقم ٣٤١٥.

(٢) الضمير عائد على لفظ «النبي» ﷺ، والمعنى: أن عتبة هو الذي أتى النبي ﷺ.

(٣) الآية: ١٣.

جهل: والله يا عتبة ما حَسِبْنَا إلا أنك قد صبوت إلى محمد وأعجبك أمره، فإن يَكُ بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد؟. فغضب وأقسم بالله أنه لا يكلم محمداً أبداً، وقال لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته ـ فقص عليهم القصة ـ فأجابني بشي والله ما هو بسحر، ولا شعر، ولا كهانة، قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم،حم تنزل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون ـ قال يحيى: كذا قال: لقوم يعقلون ـ حتى بلغ: ﴿ **فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾[1]. فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب[2].

وروى البيهقي في الدلائل ـ أيضاً ـ من طريق ابن اسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد[3] مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال: حُدِّثْتُ أن عتبة ابن ربيعة ـ وكان سيداً حليماً قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منا بعضها، ويكف عنا؟. قالوا: بَلَى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة، وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك حتى إذا فرغ عتبة قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم، قال فاستمع مني، قال: أفعلُ، قال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً، فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها

(١) الآيات: ١ ـ ١٣.
(٢) دلائل النبوة ١/٤٤٩.
(٣) يزيد مولى بني هاشم هو:
أبو عبدالله يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي مولاهم، الكوفي، روى عن مولاه عبدالله بن الحارث، وأنس بن مالك، وجماعة، وكان شيعياً، ثقة في الرواية إلا أنه اختلط في آخر عمره فأتى بمناكير، وتوفي سنة ١٣٧.
راجع: تهذيب التهذيب ١١/٣٢٩. والخلاصة ٤٣١.

عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليها، يستمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة، فسجد فيها ثم قال: سمعت أبا الوليد؟ قال: سمعت قال: فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبوالوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟.

قال: ورائي: أنِّي ـ والله ـ قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، خَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب، فقد كفيتموه بغيركم، وأن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك ـ والله ـ يا أبا الوليد بلسانه؟، فقال هذا رأيي، فاصنعوا ما بدا لكم[1].

وروى البيهقي في الأسماء والصفات عن الحاكم، عن جبير بن نفير، عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ تلا: ﴿ **إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[2].

فقال رسول الله ﷺ: إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه يعني: القرآن[3].

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٤٥٠.

(٢) الآية: ٤١ ـ ٤٢ من السورة.

(٣) عقب عليه البيهقي بقوله: وقوله: «خرج منه» يريد أنه وجد منه بأن تكلم به وأنزله على نبيه ﷺ، وأفهمه عباده، وليس ذلك الخروج ككلامنا فإنه عز وجل صمد لا جوف له، تعالى الله عن شبه المخلوقين علوا كبيراً، وإنما كلامه صفة أزلية موجودة بذاته لم يزل كان موصوفاً، ولا يزال موصوفاً به، فما أفهمه رسله وعلمهم إياه، ثم تلوه علينا وتلوناه، واستعملنا موجبه ومقتضاه، فهو الذي أشار إليه الرسول ﷺ فيما روينا عنه وبالله التوفيق اهـ.

ورواه أيضاً من هذا الوجه عن جبير، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما، وقال: قال أبو عبدالله: هذا حديث صحيح الإسناد(١).

وقال البيهقي: ويحتمل أن يكون جبير رواه عنهما جميعاً، ورواه غيره عن أحمد بن حنبل، دون ذكر أبي ذر(٢).

---

(١) المستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب من ليس في جوفه من القرآن شيء كالبيت الخرب ١/٥٥٥، وكتاب التفسير ٢/٤٤١.

(٢) الأسماء والصفات ص ٢٣٦.

وزعم مصحح كتاب «الأسماء والصفات» في تعليق له: أن الحديث ضعيف، لأن مداره علي العلاء بن الحارث قال فيه البخاري: منكر الحديث.

ولكن هذا وهم من المعلق عفا الله عنه، لأن كلام البخاري إنما هو عن العلاء بن كثير وقد ساقه البخاري في ترجمة العلاء بن الحارث. والعلاء بن الحارث من الثقات فالحديث صحيح الإسناد كما ذكر البيهقي عن شيخه أبي عبد الله الحاكم.

راجع: التاريخ الكبير للبخاري ٦/٥١٤ ترجمة رقم ٣١٦١، ترجمة العلاء بن الحارث.

وراجع: تهذيب التهذيب ٣/٣. والخلاصة ٢٩٩.

سورة حم عسق

وتسمى: عسق، والشورى.

مكية.

قال ابن الجوزي وغيره: عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقاله الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والجمهور.

وحكى عن ابن عباس وقتادة، أنهما قالا: إلا أربع آيات من قوله: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً** ﴾ إلى آخر الأربع[1]، فنزلن بالمدينة[2].

وتبعه عليه أبو حيان[3].

عدد آياتها وفواصلها

وآيها خمسون آية فيما سوى الكوفي.

---

(١) الآيات: ٢٣ ـ ٢٦.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٧/٢٧١.

(٣) البحر المحيط ٧/٥٠٧.

وتزيد ثلاث آيات عند الكوفي لانفراده بعدّ ﴿ حم ﴾[1]، وبعدّ ﴿ عسق ﴾[2] وبعدّ ﴿ كالأعلام ﴾[3].

فاختلافها هذه الثلاث، انفرد بعدهن الكوفي، ولم يعدهن الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع، ستة مواضع:

﴿ أن أقيموا الدين ﴾[4]، ﴿ كَبُر على المشركين ﴾[5]، ﴿ من كتاب ﴾[6] ﴿ طرف خفي ﴾[7]، ﴿ عليهم حفيظا ﴾[8]، ﴿ من يشاء عقيماً ﴾[9].

ورويها تسعة أحرف: قدم، لصب، نزر[10].

مقصودها

ومقصودها: الاجتماع على الدين، الذي أساسه الأيمان، وأم دعائمه الصلاة، وروح أمره الألفة بالمشاورة، المقتضية لكون أهل الدين كلهم فيه سواء، كما أنهم في العبودية لشارعه سواء.

---

(١) آية: ١.

(٢) آية: ٢.

(٣) آية: ٣٢.

(٤) آية: ١٣.

(٥) آية: ١٣.

(٦) آية: ١٥.

(٧) آية: ٤٥.

(٨) آية: ٤٨.

(٩) آية: ٥٠.

(١٠) القاف: «عسق ٢.

والزاي: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ١٩﴾.

والصاد: ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ٣٥﴾.

وأعظم نافع في ذلك الإنفاق، والمواساة فيما[1] في اليد، والعفو والصفح عن المسيء والإذعان للحق، والخضوع للأمر، وإن صعب وشق، وذلك كله هو الداعي إليه هذا الكتاب الذي هو روح جسد هذا الدين، المعبر عما دعا إليه من محاسن الأعمال، وشريف الخلال بالصراط المستقيم.

وتسميتها بالشورى واضح المطابقة لذلك لما في آياتها، وكذلك بالأحرف المقطعة فإنها جامعة للمخارج الثلاثة: الحلق، والشفة، واللسان، وكذا جمعها لصنفي المنقوطة والعاطلة، ووصفي المجهورة والمهموسة.

وكذا تسميتها ببعضها، بدلالةالجزء على الكل، على أن هذه الحروف يجوز أن تكون إشارة إلى كلمات منتظمة من كلام عظيم، يشير إلى معنى هذا الجمع، نحو أن يقال: حكمة محمدعَلَتْ وعمت، فشفت سقام القلوب.

ويجوز أن تعتبر مفردة، فتكون إشارة إلى أسرار تملأ الأقطار، وتشرح الصدور والأفكار.

فإن نظرت إلى مخارجها، وجدتها قد حصل الابتداء فيها باد في وسط الحلق إلى اللسان باسم الحاء، وثنى بأوسط حروف الشفة وهي الميم. وحصل الرجوع إلى وسط الحلق بأقصاه من اللسان في اسم العين، وهو جامع للحلق واللسان. وقصد ثالثاً إلى اللسان بالسين، الذي هو مع كونه أوسط حروف اسمه من أدنى ما يخرج منه إلى الشفتين وهو رأسه، وله التصاق بالثنيتين السفليين، واتصال بأعلى الفم، ففيه بهذا الاعتبار «حم» ثُمَّ حصل بعد هذا الظهور بطون إلى أصل اللسان، وهو أقصاه من الشفة بالقاف.

ولاسم هذا الحرف جمع بالابتداء بأصل اللسان مع سقف الحلق، والاختتام بأصل الشفة العليا، والثنيتين السفليين.

ففي هذه الحروف ثلاثة وهي أكثرها لها نظر، بما فيها الجمع إلى

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: بما.

مقصود السورة وقد اتسق الابتداء فيها بما كان من حرفين، جمعهما مخرج بالأعلى ثم بالأدنى، إشارة إلى أنه يكون لأهل هذا الدين بعد الظهور بطون، كما كان في أول الإسلام، حيث حصر النبي ﷺ وأقاربه في الشِّعب.

وفي ذلك أيضاً إشارة إلى أنه من تحلية الظاهر ينتقل إلى تصفية الباطن: مَنْ زيَّن ظاهره بجميع الأعمال الصالحة، صحح الله باطنه بالمراقبة الخالصة الناصحة، على أن هذا التدلي بُشرى بأن الحال الثاني يكون أعلى من الأول، كما كان أعلى من الأول، كما كان عند الظهور من الشِّعب، بما حصل من نقض الصحيفة الظالمة، لأن الثاني من مراتب هذه الحروف أقوى صفة مما هو أعلى منه مخرجاً، فإن الحاء لها من الصفات: الهمس والرخاوة، ولاستفال والانفتاح، والميم له[1] من الصفات: الجهر والانفتاح، والاستفال، وبين الشدة والرخاوة. والعين لها من الصفات ما للميم سواء. والسين لها من الصفات: الهمس والرخاوة، والاستفال والانفتاح، والصفير. والقاف لها من الصفات: الجهر والشدة، والانفتاح والاستعلاء، والقلقلة. فالحرفان الأخيران لكل منهما خمس صفات، فتلك عشر كاملة، أغلبها قوة، هي بمنزلة ما بعد هجرة النبي ﷺ، فإنه عشر سنين، أغلبها نصر وفتح.

والحرف الأخير منهما كله قوة، بمنزلة الخمس الأخيرة من سني الهجرة من سنة الحديبية التي هي أول الفتح، إلى سنة الوفاة، فإنها كلها فتح.

والحرف الأول من أصل حروف هذا الاسم، أكثر صفاته الضعف، ويزيد بالإمالة التي قرأ بها كثير من القراء[2].

والثاني والثالث، هما على السواء في القوة والضعف، وهما إلى القوة

---

(١) في د: لها.

(٢) قال ابن الجزري في النشر ٢/٧٠: الحاء من «حم» في السبع السور فَأَمَالَهَا محضاً حمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وأبو بكر. وأَمالَهَا بين ورش من طريق الأزرق اهـ.

أَرْجَحَ قليلاً، وذلك كما تقدم من وسط الحال عند الخروج من الشِّعب.

والرابع فيه قوة وضعف، وضعفه أكثر، فإن فيه للضعف ثلاث صفات، وللقوة صفتين. وذلك كما كان حال النبي ﷺ عند آخر أمره بمكة المشرّفة حين مات الوزيران: خديجة رضي الله عنها، وعمه أبو طالب.

ولكن ربما كانت الصفتان القويتان غالبتين على الصفات الضعيفة، بما فيهما بالانتشار بالصفير، والجمع الذي[1] مضت الإشارة إليه، من الإشارة إلى ضخامة تكون باجتماع أنصار (كما وقع من بيعة الأنصار.

والخامس - وهو الأخير - كله قوة، كما وقع بعد)[2] الهجرة عند اجتماع الكلمة وظهور العظمة، كما قال ﷺ: «فلما هاجرنا انتصفنا من القوم، وكانت سجال[3] الحرب بيننا وبينهم»[4].

ثم تكاملت القوة عند تكامل الاجتماع، بعد قتال أهل الردة، بعد موته ﷺ، لا جرم، انتشر - بعد الاجتماع - أهل هذا الدين في أقطار الأرض يميناً وشمالاً فما قام لهم مخالف، ولا وافقتهم[5] أمة من الأمم على ضعف حالهم وقلتهم، وقوة غيرهم وكثرتهم، إلاَّ ومروا عليهم، فجعلوها كأمس الذاهب. وقد جمعت هذه الحروف - كما مضى - وصفي المجهورة والمهموسة، وكانت المجهورة أغلبها، إشارة إلى ظهور هذا الدين على كل دين كما حققه شاهد الوجود، وصنفا المنقوطة والعاطلة.

وكانت كلها عاطلة - إلا حرفاً واحداً - إشارة إلى أن أحسن أحوال المؤمن:

---

(١) في م: التي.
(٢) ما بين الحاصرين ساقط من د.
(٣) قال في النهاية ٢/٣٤٤: أي مرة لنا. ومرة علينا.
(٤) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٢/٥٥ حديث رقم ١٣٩٣.
والإمام أحمد في المسند ٤/٩.
وقد مضى هذا الحديث مطولاً ومخرجاً ١/.
(٥) في د: وفقتهم، وكذا في نظم الدرر ١٧/٢٣٥.

أن يكون الأغلب عليه المحو، لا يرى لنفسه صفة من الصفات، بل يعدها في زمرة الأموات، وإلى أن المتحلى بالأعمال الصالحة الخالصة من أهل القلوب من أرباب هذا الدين، قليل جداً.

وكان المنقوط آخرها، إشارة إلى أن نهاية المراتب عند أهل الحق: الجمع بعد المحو والفرق.

وكان حرف الشفة من بين حروفها الميم، وهي ذات الدائرة المستوية الاستدارة: إشارة إلى أن لأهل هذا الدين من الاجتماع، والانطباق عليه، والإطافة به، والإسراع إليه، ما ليس لمن تقدمهم، وإلى أن لهم من القدم الراسخ في القول، المقتطع من الفم، المختتم بالشفتين ما لا يبلغه غيرهم، بحيث أنه لا نهاية له، مع حسن استنارته، بتناسب استدارته.

ثم إنك إذا بلغت نهاية الجمع في الأحرف، بأن جمعت أعداد مسمياتها، وهو مائتان وثمانية وسبعون، إلى أعداد أسمائها، وهو خمسمائة وأحد وثلاثون، بلغ تسعاً وثمانمائة سنة وفي السنة الموافقة لهذا العدد من هجرة نبينا ﷺ وُلِدت.

فكان الابتداء في أصل هذا الكتاب حينئذ بالقوة القريبة من الفعل، وسنةابتدائي فيه بالفعل وهي سنة إحدى وستين، في شعبان منها، كان سني إذ ذاك قد شارف أربعاً وخمسين سنة وهو موافق لعد حرفي «دن» أمراً من الدين، الذي هو مقصود السورة.

فكأنه برز الأمر إذ ذاك بالشروع في الكتاب، لتحصيل مقصودها، وسنة وصولي إلى هذه السورة وهي سنة إحدى وسبعين، في شعبان منها، كان سني قد شارف أربعاً وستين سنة. وهو موافق لعدد أحرف دين، الذي هو مقصود السورة.

فأنا أرجو بهذا الاتفاق الغريب، أن يكون ذلك مشيراً إلى أن الله تعالى يجمع بكتابي «نظم الدرر» الذي خصني بإلهامه، وادخرُه إلى أهل الدين جمعاً

عظيماً، جليلاً جسيماً يظهر له أثر بالغ في اجتماعهم، وحسن تأسِّيهم برؤوس نقلته واتباعهم.

ومن الآثار الجليلة في لحظ هذه الأحرف للجمع؛ أنه لما كان مقصود سورة مريم عليها السلام وصف الرحمن، المنزل لهذا القرآن، بشمول الرحمة لجميع الأكوان، وكانت هذه السورة لرحمة خاصة هي الاجتماع على هذا الدين، فكانت هذه الخاصة ثاينة لتلك العامة، ومتشعبة منها، كانت بمنزلة اليسار، وتلك بمنزلة اليمين.

فلذلك ـ والله أعلم ـ قال الأستاذ أبو الحسن الحِرَالِيِّ في كتاب له في الحرف:

ولما كان ذلك ـ أي هذا الاسم ـ المجتمع من هذه الأحرف المقطعة، أول هذه السورة، مما ينسب إلى أمر الشمال، كان متى وضع على أصابع اليسار، ثم وضعت على هائجة ظلم أو جور استولى عليه بحكم إحاطة حكمة الله، وكانت خمستها مضافة إلى خمس «كهيعص» المستولية على حكمة اليمين، محيطاً ذلك بالعشر، المحيط بكل الحكمة التي مسندها الياء، الذي هو أول العشر، ومحل الاستواء بما هو عائد وحدة الألف[1].

---

(١) ما ذكره المؤلف تَكَلُّفٌ ظاهر لا صلة له بمقصود السورة.
والسورة إنما تعالج قضية العقيدة وتتناول أصلاً من أصولها، وهو حقيقة الوحي والرسالة حتى إنه لمن الممكن أن يقال: إنها المحور الرئيسي الذي ترتبط به السورة كلها وتأتي سائر الموضوعات فيها تبعاً لتلك الحقيقة الرئيسية فيها.
هذا مع أن السورة تتوسع في الحديث عن حقيقة الوحدانية، وتعرضها من جوانب متعددة كما أنها تتحدث عن حقيقة القيامة والإيمان بها، ويأتي ذكر الآخرة ومشاهدها في مواضع متعددة منها، وكذلك تتناول عرض صفات المؤمنين وأخلاقهم التي يمتازون بها كما تلم بقضية الرزق: بسطه وقبضه، وصفة الإنسان في السراء والضراء.
ولكن حقيقة الوحي والرسالة، وما يتصل بها، تظل مع ذلك هي الحقيقة البارزة في محيط السورة، وكأن سائر الموضوعات الأخرى مسوقة لتقرية تلك الحقيقة الأولى وتوكيدها، فتقرر وحدانية الموحي سبحانه وتعالى، ووحدة الوحي، ووحدة العقيدة، ولذا فإن السورة تبدأ بقوله تعالى: =

فضائلها

وأما فضائلها:

فروى الطبراني في الكبير - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير شيخ الطبراني محمد بن عبدوس[1] - عن ميمونة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ «حم عسق»، فقال: يا ميمونة نسيتُ ما بين أولها إلى آخرها، قالت: فقرأتها فقرأها رسول الله ﷺ.

وروى الترمذي في القدر من جامعه وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في التفسير، والبغوي من طريق الإمام أحمد وهذا لفظه: عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفيه ومعه كتابان فقال: أتدرون ما هذان (الكتابان)[2]؟، قلنا: لا يا رسول الله. فقال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في

= ﴿حم. عسق. كذلك يُوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾.
﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها.........﴾
﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب...﴾.
﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان.....﴾.
﴿أم يقولون افترى على الله كذباً. فإن يشأ الله يختم على قلبك.....﴾
ثم تختم السورة كما بدأت فتتحدث عن الوحي، وتشرح حقيقته وأنواعه:
﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيُوحِيَ بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم. وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، ألَا إلى الله تصير الأمور﴾.
راجع: الظلال ٥/٣١٣٦.

(١) مجمع الزوائد ٧/١٠٢.
(٢) زيادة عن البغوي.

الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام، إذ هم في الطينة منجدلون(١)، فليس بزائد فيهم، ولا بناقص، إجمال(٢) من الله عليهم إلى يوم القيامة، ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب من رب العالمين، بأسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم، قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام، إذ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا بناقص (منهم)(٣) إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة. فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: ففيم العمل (إذن يا رسول الله)(٤)؟. فقال: اعملوا وسَدِّدوا وقاربوا(٥)، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل. ثم قال: فريق في الجنة (فضل من الله)(٦) وفريق في السعير، عدلٌ من الله عز وجل(٧).

وروى البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾(٨) الآية، بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن

---

(١) أي ملقون على الجدالة، وهي الأرض.
راجع: النهاية ١/٢٤٨.
(٢) أي عَدٌّ وإحصاء من الله، فلا نقص فيه، ولا زيادة منه.
راجع: النهاية ١/٢٩٨.
(٣) زيادة عن البغوي.
(٤) زيادة عن البغوي.
(٥) قال في النهاية ٢/٣٥٢: أي اطلبوا بأعمالكم السداد والإستقامة وهو القصد في الأمر والعدل فيه.
(٦) زيادة عن البغوي.
(٧) صحيح الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار ٣/٣٠٤ حديث رقم ٢٢٢٧.
وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٧/٣٥٣.
ومسند الإمام أحمد ٢/١٦٧.
(٨) الآية: ٢٧ من السورة.

النبي ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل قال: من أهان لي ولياً(١) فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحَرِدُ(٢)، وما تقرب إليَّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليها وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً، إن دعاني أَجَبْتُه، وإن سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله، تردُّدِي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بدَّ له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفُّه عنها لا يدخله العجب فيفسده ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانَه إلا الفقر، ولو أغنيتُه لأفسده ذلك. (وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك)(٣). وذلك أني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم وإني عليم خبير(٤).

التردد له بداية ونهاية، فبدايته الجهل، وغايته اللطف والرفق.

فبدايته مما يتعالى الله سبحانه وتعالى عنه، والمراد هنا غايته، وهو أنه فعل فعل المتردد فيما يكره حبيبه ولا بد له منه، وذلك أنه يتطلف حتى يكون ذلك المفعول على أرفق الوجوه بحبيبه كمن يريد أن يسقي من يعز عليه جداً دواءً، فهو يجتهد في أقل ما يجد من الأدوية كراهة حتى إنه إن قدر أن يجعله في مشموم أو ملموس لا يجد له كراهة أصلاً، فعل(٥).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٤٢/١١: المراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته، المخلص في عبادته.

(٢) قال في اللسان ١٤٥/٣: يقال: حرد الرجل فهو حرد، إذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وَهَمَّ به.

(٣) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٤) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٣٧١/٧.

وفي سنده عمر بن سعيد، أبو حفص الدمشقي، المتوفى سنة ٢٢٥، وهو متروك.

(٥) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٤٥/١١: قال الخطابي: التردد في حق الله غير جائز، والبداء عليه في الأمور غير سائغ، ولكن له تأويلان: =

وهو موافق للأحاديث الآخر: «موت المؤمن بعرق الجبين»(١).

= أحدهما: أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه، وفاقة تنزل به، فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمراً ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه، واستأثر بالبقاء لنفسه.

والثاني: أن يكون معناه: ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترددي إياهم في نفس المؤمن، كما روى في قصة موسى وما كان من لطمة عين ملك الموت وتَرَدُّده إليه مرة بعد أخرى.

قال: وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد، ولطفه به، وشفقته عليه. اهـ.

(١) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ النسائي في سننه: كتاب الجنائز، باب علامة موت المؤمن ٥/٤.

والترمذي: كتاب الجنائز، باب٩ ٢/٢٢٧ حديث رقم ٩٨٧ وقال: هذا حديث حسن.

وابن ماجة: كتاب الجنائز، باب ما جاء في المؤمن يؤجر في النزع ١/٤٦٧ حديث رقم ١٤٥٢.

والإمام أحمد في المسند ٥/٣٥٠، ٣٥٧، ٣٦٠.

والحاكم في المستدرك: كتاب الجنائز، باب المؤمن يموت بعرق الجبين ١/٣٦١.

وقال: على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

كلهم من حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه.

قال الترمذي ٢/٢٢٧: وفي الباب عن ابن مسعود.

والحديث ذكره السيوطي في الجامع لصغير ٢/٦٦١ حديث رقم ٩١٤٥ وحسنه.

وابن الأثير في جامع الأصول ١١/٨٧ حديث رقم ٨٥٥٧.

قال السيوطي في زهر الرُّبى ـ نقلاً عن العراقي في شرح الترمذي ـ ٤/٦:

اختلف في معنى هذا الحديث، فقيل: إن عرق الجبين يكون لما يعالج من شدة الموت وعليه يدل حديث ابن مسعود، قال أبو عبد الله القرطبي في حديث ابن مسعود «موت المؤمن بعرق الجبين»: يبقى عليه البقية من الذنوب فيجازي بها عند الموت أو يشدد عليه ليتمحص عنه ذنوبه.

وقيل: إن عرق الجبين يكون من الحياء، وذلك أن المؤمن إذا جاءته البشرى مع ما =

«من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه»[1].

فسره النبي ﷺ بأنه عند الغَرْغَرَة[2]، يرى مقعده من الجنة، فيهون ذلك عليه ما يلقى من الألم، ويُحِبُّ أن يموت ليصل إلى ما رأى من الخير

= كان قد اقترف من الذنوب، حصل له بذلك خجل واستحياء من الله تعالى، فيعرق بذلك جبينه.

قال القرطبي في التذكرة (ص ١٦): قال بعض العلماء: إنما يعرق جبينه حياء من ربه، لما اقترف من مخالفته، لأن ما سفل منه قد مات، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علاه، والحياء في العينين، فذاك وقت الحياء، والكافر في عمى من هذا كله، والموحّد المعذّب في شغل عن هذا بالعذاب الذي قد حلّ به وإنما العرق الذي يظهر لمن حلت به الرحمة، فإنه ليس من وليٍّ ولا صديق ولا بَرٍّ، إلا وهو مستح من ربه مع البشري والكرامات.

قال العراقي: ويحتمل أن عرق الجبين علامة جعلت لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه اهـ. بتصرف.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٨/٩٠.

ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به ١٧/٩.

والترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٢/٢٦٤ حديث رقم ١٠٧٢، ١٠٧٣.

والنسائي: كتاب الجنائز، باب في من أحب لقاء الله ٤/١٠.

كلهم من حديث عبادة بن الصامت وعائشة وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري.

(٢) في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟. فقال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه.

وفي رواية له عن شريح بن هانيء أنه قال لعائشة: سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثاً إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ. وما ذاك؟. قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره الله لقاء الله، كره الله لقاءه، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت، فقالت: =

(مثل)[1] ما يجد الشهيد من ألم القتل، إلا ما يجد غيره من ألم القرصة.

وإذا علم هذا وحفظ، دفع كل إشكال يمكن أن يورد في هذا المقام، والله أعلم.

وهذه اللفظة التي أزيل إشكالها، وحل - ولله الحمد - عقالها، رواها البخاري في الرقاق من صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته[2].

وهذا الحديث انفرد به البخاري، وهو وإن كان من رواية خالد بن مخلد القطواني[3] وقد قال الإمام أحمد: إن له مناكير. فهذا الحديث ليس منها، كما قال شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر، في مقدمة شرح

= قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتَشَنَّجت الأصابع، فعند ذلك مَنْ أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومَنْ كره لقاء الله كره الله لقاءه.

(١) ليست بالأصل، وزدتها لأن السياق يقتضيها.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع ١٩٠/٧.
ولهذا الحديث طرق أخرى عند البيهقي وابن أبي الدنيا، وأبي نعيم والطبراني، وغيرهم أشار إليها الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٤١/١١، وذكر أن جميعها لا يخلو من ضعف، ولكن بمجموعها يتقوى الحديث، وتدل على أن له أصلاً.

(٣) هو أبو الهيثم خالد بن مخلد القطوان - بفتح القاف والطاء، نسبة إلى قطوان من بلاد الكوفة - المتوفي سنة ٢١٣. قال ابن سعد: منكر الحديث، مفرط في التشيّع.
راجع: الميزان ٦٤٠/١. والتقريب ٢١٨/١، والخلاصة ١٠٢، والجرح والتعديل ٣٥٤/٣.

البخاري: إن أبا أحمد بن عدي[1] تتبعها وأوردها في كامله، وليس فيها شيء مما أخرجه البخاري. قال: وروى له الباقون، سوى أبي داود[2].

وروى البغوي، والإمام أحمد، وأبو يعلى - قال الهيثمي: وفيه أزهر بن راشد[3] وهو ضعيف -[4] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله، حدثنا بها رسول الله ﷺ؟، ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾[5]، وسأفسرها لك يا علي، ما أصابكم من مرض، أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فبما كسبت أيديكم، والله عز وجل أكرم من أن يثني عليكم - وفي رواية أحمد: عليهم - العقوبة في الآخرة، وما عفى الله عنه في الدنيا، فالله أجل من أن يعود بعد عفوه»[6].

ونقله ابن رجب من تفسير سفيان بن عيينة عنه بلفظ: ألا أخبركم بأرجى آية؟. والباقي بنحوه.

وروى الترمذي، واللفظ له وقال: حسن[7]، وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في الزهد، عن أبي

---

(١) هو المعروف بابن القطان، الحافظ الثقة المتقن، صاحب كتاب «الكامل في الجرح والتعديل»، المتوفي سنة ٣٦٥. وتقدمت ترجمته.
وراجع: تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٠. شذرات الذهب ٣/٥١. طبقات الحفاظ ٣٨٠.
(٢) المقدمة ص ٣٩٨ ط دار الكتاب الجديد.
(٣) هو أزهر بن راشد الكاهلي، يروي عن الخضر بن القواس. كلاهما مجهول.
راجع: الميزان ١/١٧١ الترجمة رقم ٦٩٤. ١/٦٥٥ الترجمة رقم ٢٥١٥.
(٤) مجمع الزوائد: ٧/١٠٤.
(٥) اية: ٣٠ من السورة.
(٦) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٧/٣٧٣ من طريق الأزهر بن راشد أيضاً.
ومسند الإمام أحمد ١/٨٥.
(٧) في صحيح الترمذي: حسن غريب.

هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿ **من كان يريـد حرث الآخرة** ﴾[1] الآية، ثم قال: يقول الله عز وجل: ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غني، وأسد فقرك، وإن لا تفعل، ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك[2].

---

(١) الآية: ٢٠ من السورة.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ١٤ ٤/٥٧ حديث رقم ٢٥٨٤.
وسنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الهم في الدنيا ٢/١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٧.
والمستدرك للحاكم: كتاب التفسير، باب سورة حم عسق ٢/٤٤٣.
ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٥٨.

سورة الزخرف

مكية.

قال ابن الجوزي: بإجماعهم [1].

قال: وقال مقاتل: هي مكية إلا آية، قوله: ﴿ **واسأل من أرسلنا** ﴾[2].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثمان وثمانون في الشامي، وتسع في الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **حم** ﴾[3] **عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.**

---

(1) زاد المسير ٣٠١/٧.

(2) الآية: ٤٥.

(3) الآية: ١.

﴿ فإنه سيهدين ﴾[1] لم يعدها الكوفي والشامي، وعدها الباقون.
وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يُعَدُّ بإجماع، موضع:
﴿ عن السبيل ﴾[2].
وعكسه موضعان:
﴿ مقرنين ﴾[3]، ﴿ قرين ﴾[4].
ورويها ثلاثة أحرف: ملن[5].

مقصودها

ومقصودها: البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة، حتى يكونوا أعلى الأمم شأناً، لأن هدايتهم بأمر لدنى هو من غريب الغريب، الذي هو للخواص، فهو في الرتبة الثانية من الغرابة، وأن ذلك أمر لا بد لهم منه، وإن اشتدت نفرتهم منه، وإعراضهم عنه.

قال تعالى شاهداً لذلك: ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ﴾[6]، أي تكونون أهلاً لأن يسألكم العلماء من جميع الأمم عن دقائق الأحكام والحكم[7]، وحتى تكونوا أهلاً للجنة لما[8] قال تعالى:

(١) الآية: ٢٧.
(٢) الآية: ٣٧.
(٣) الآية: ١٣.
(٤) الآية: ٣٦.
(٥) اللام: ﴿وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل﴾ الآية: ٥٩.
والميم والنون مكرران في السورة بكثرة.
(٦) الآية: ٤٤.
(٧) وقال الحافظ ابن كثير ١٢٩/٤: «وسوف تسئلون» أي هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به، والإستجابة له.
وراجع: نظم الدرر ٤٣٧/١٧ ط الهند.
(٨) كذا بالأصل. ولعل الصواب: كما قال.

﴿ وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾[1]. وغير ذلك من الدلالات في آيات هذه السورة، كما يشهده أهل البصائر.

وعلى ذلك دلت تسميتها بالزخرف، كما في آيتها، من أنه لو أراد أن يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم، ولكنه لم يعمهم بذلك، بل فاوت بينهم، فأفقر بعضهم وأكثر بؤسهم وضرهم وفرَّق أمرهم، ليسهل ردهم[2] عن الكفر الذي أدتهم إليه طبائعهم ونقائصهم، لما يشهدون من قباحة الظلم والعدوان، إلى ما يرونه من مجالس العرفان، واجتماع كلمة الدين والأيمان، ولذة الخضوع للملك الديان، فيخضع لهم الملوك والأعيان، ويصير لهم الفرقان على جميع أهل العصيان[3].

---

(١) الآية ٧١.

(٢) في الأصل: زادهم. والتصويب عن نظم الدرر.

(٣) تدﷺر سورة الزخرف حول تصحيح الانحرافات العقائدية، ورد النفوس إلى الفطرة الأولى. فقد كانت الوثنية الجاهلية تقول: إن في هذه الأنعام التي سخرها الله للعباد نصيباً لله، ونصيباً لآلهتهم المزعومة، كما قص الله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، فقالوا هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم.....﴾.

وكانت لهم في الأنعام أساطير وخرافات ناشئة من صميم عقيدتهم المنحرفة، فكانت هناك أنواع من الأنعام يحرم ركوبها، وأنعام يحرم أكلها، وغير ذلك: «وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون، وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء...».

ففي سورة الزخرف تصحيح لتلك الإنحرافات، وإعلام المشركين أن هذه الأنعام من خلق الله جلت قدرته، وقد خلقها الله وسخرها للبشر ليشركوا الله على ما رزقهم من نعمه، لا ليجعلوا له شركاء، ويشرعوا لأنفسه في الأنعام مالم يأذن به الله: ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾.

وكانت الوثنية في الجاهلية تقول: إن الملائكة بنات الله، ومع أنهم يكرهون أن تولد لهم البنات، فإنهم كانوا يختارون لله البنات، ويعبدونهم من دون الله، ويقولون: إننا نعبدهم بمشيئة الله ولو شاء الله ما عبدناهم. =

. . . .

= وفي هذه السورة يُظْهِر القرآن تهافت منطقهم، ويبين أن هذا الزعم خرافة لا تستند إلى حقيقة: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين، أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين، وإذا بُشِّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم، أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسألون، وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم، مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون، أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون؟، بل قالو: إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثـارهم مهتدون﴾.

ولما قيل لهم: إنكم تعبدون أصناماً وأشجاراً، وأن كل ما يعبد من دون الله هو وعابدوه في النار، حرفوا الكلام واتخذوا منه مادة للجدل، وقالوا: فما بال عيسى وقد عبده قومه، أهو أيضاً في النار؟. ثم قالوا: إن الأصنام تماثيل للملائكة، والملائكة بنات الله، فنحن في عبادتنا لهم خير من النصارى في عبادتهم لعيسى وهو بشر له ما للبشر من الطبيعة: »«ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منكه يصدون، وقالوا أآلهتنا خير أم هو؟. ما ضربوه لك إلا جدلاًبل هم خصمون، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل».

ولما اعترضوا على نزول القرآن على محمد الفقير اليتيم، بين الله حكمة اختيار الله لرسوله وفساد القيم الزائفة التي أعمتهم وأضلتهم، وبيان القيم الحقيقية التي ينبغي أن توضع في الإعتبار «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، أهم يقسون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون، ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون، وزخرفاً، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، والآخرة عند ربك للمتقين».

وفي خلال تلك الرحلة التي تصحح عقيدة القوم، وتبين زيف ما هم عليه، تجيء قصة موسى مع فرعون، وفيها يبدو فرعون معتزا مغتراً بما فيه من فساد، وكيف كان مصرعه بسبب انحرافه، وكيف كان انتصار الفئة المؤمنة من بني اسرائيل.

فالسورة تهدف إلى علاج الإنحرافات الإعتقادية، وبيان زيف القيم الوثنية التي كان عليها المشركون. راجع: الظلال ٥/٣١٧٤ وما بعدها.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود، والترمذي، والنسائي - قال النووي في الأذكار: بالأسانيد الصحيحة[1] - والبيهقي في الدعوات، عن علي بن ربيعة قال: شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أُتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم[2] قال: ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون** ﴾[3] ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات - قال البيهقي ثم قال: سبحان الله، يعني ثلاث مرات - ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك، إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب[4] إلا أنت، ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلتُ ثم ضحك فقلت: يا رسول الله، من أي شيء ضحكت؟ قال: إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال: (رب)[5] اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري[6].

وقال البيهقي: قال: علم عبدي أنه لا رب له غيري.

ورواه البغوي في التفسير، وفي روايته: فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: «سبحان الذي سخر

---

(١) الأذكار ص ١٩٧.

(٢) في الأصل: «قال البيهقي: ثم قال ولا معنى لجملة (قال البيهقي)»، لأن لفظ الحديث هو هكذا عند أبي داود والترمذي.

(٣) الآيتان: ١٣ - ١٤ من السورة.

(٤) في د: الذنب.

(٥) زيادة عن الترمذي.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الجهاد باب ما يقول الرجل إذا ركب ٤٣/٣ حديث رقم ٢٦٠٢.

وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب دابة ١٦٤/٥ حديث رقم ٣٥١١ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثاً، وكبر ثلاثاً[1].

وروى البيهقي في الدعوات عن عبدالله بن ربيعة أيضاً قال: خرج علي رضي الله عنه من باب القصر، فوضع رجله في غرز السرج فقال: بسم الله، فلما استوى على الدابة قال:

الحمد لله الذي حملنا في البر والبحر، ورزقنا من الطيبات، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا سبحان الذي سخر لنا وهذا ما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، وسبح ثلاثاً، وحد ثلاثاً ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ[2] صنع. ثم قال: (رب اغفر لي لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع)[3]. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

والعجب - كما مضى في التردد[4] - له بداية هي الجهل، ونهاية هي الإكرام، وهي المراد هنا، فإن الإنسان إذا أعجبه شيء فعله (من)[5] يحبه، أكرمه غاية الإكرام، والله (تعالى)[6] الموفق.

ولمسلم في المناسك، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان إذ استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبَّر، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون»[7].

---

(١) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٧/٣٨٩.

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٣) ساقط من د.

(٤) راجع: ص ٨٠.

(٥) ساقطة من د.

(٦) زيادة عن د.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته ٩/١١٠.

سورة الدخان

مكية كلها إجماعاً.

قال ابن الجوزي[1]: وقال الزمخشري[2]، وأبو حيان[3]، قيل: إلا قوله: إنَّا كاشفوا العذاب[4].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمسون وتسع في الكوفي، وسبع في البصرى، وست فيما عداهما.

اختلافها أربع آيات:

(١) كلام ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣٣٦ هكذا: «وهي مكية كلها بإجماعهم» فليس في كلامه استثناء الآية المذكورة.

(٢) الكشاف ٣/٤٩٩.

(٣) البحر المحيط ٨/٣٢.

(٤) الآية: ١٥.

﴿ حم ﴾[1] عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

﴿ إن هؤلاء ليقولون ﴾[2]، عدها الكوفي أيضاً، ولم يعدها الباقون.

﴿ إن شجرة الزقوم ﴾[3]، لم يعدَّها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.

﴿ في البطون ﴾[4]، لم يعدها المدني الأول والمكي والشامي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضعان:

﴿ يحي ويميت ﴾[5]، ﴿ بني اسرائيل ﴾[6].

ورويها حرفان: من.

مقصودها

ومقصودها: الإنذار بالهلكة لمن (لم)[7] يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة.

وعلى ذلك دل اسمها «الدخان» إذا تؤملت آياته، فإنه تعالى هددهم بآيتان[8]. العذاب لهم من جهة السماء، في صورة الدخان.

وهددهم بالانتقام منهم بالبطشة الكبرى لكذبهم، ووسء منقلبهم ومرتكبهم[9].

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٣٤.

(٣) الآية: ٤٣.

(٤) الآية: ٤٥.

(٥) الآية: ٨.

(٦) الآية: ٣٠.

(٧) ساقط من د.

(٨) كذا في د، و م بخط المؤلف.

(٩) موضوع هذه السورة: قضية التوحيد، والبعث، والرسالة. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: غريب. والدارقطني، والبغوي في التفسير، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ حم الدخان، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك[1].

= وهي تبدأ بالحديث عن القرآن، وتنزيله في ليلة مباركة، رحمة من الله بعباده، وإنذاراً وتحذيراً لهم، ثم تعريف الناس بربهم وبوحدانيته، فهو رب السموات والأرض، المحي المميت.

ثم تذكر شأن القوم في مكة وأنهم في لهو وشك ولعب، لا يكادون يبالون بما يعرض عليهم: «بل هم في شك يلعبون». ومعاجلتهم بالتهديد بوقوع العذاب جزاء شكهم ولعبهم: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ ﴿يوم نبطش الكيرى انا منتقمون﴾.

ثم تعرض لطرف من قصة موسى مع فرعون وقومه، لما دعاهم موسى إلى الإيمان بالله، وناداهم قائلاً: أن أدوا إليَّ عباد الله إني لكم رسول أمين، وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين﴾. فأبوا أن يسمعوا، وأعرضوا عن دعوة الله مستكبرين، فكان مصرعهم في ذل وهوان، بعد عز واستعلاء: ﴿كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السموات والأرض وما كانوا منظرين﴾.

وفي خلال السياق يأتي تكذيبهم بالبعث والحياة الآخرة: ﴿إن هؤلاء ليقولون إن هن إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين، فآتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾. ويأتي الرد عليهم: ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون﴾.

ثم تعرض السورة جزاء المؤمنين، وما هم فيه من النعيم، ثم تختم بالحديث عن القرآن كما بدأت به: فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون. وبالتهديد لهم: «فارتقب إنهم مرتقبون». راجع: الظلال ٣٢٠٦/٥.

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، بباب ما جاء في حم الدخان ٢٣٧/٤ حديث رقم ٣٠٥٥٠.

وتفسير البغوي على هامش ابن كثير ٤٣٩/٧.

وفي سندهما عمر بن راشد أبي خثعم اليمامي، وكنيته أبو حفص، رواه عن يحي بن =

وفي رواية للترمذي: من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة، غفر له [1].

وفي رواية للدارقطني: من قرأ يس في ليلة، أصبح مغفوراً له، ومن قرأ الدخان في ليلة الجمعة، أصبح مغفوراً له.

ورواه الأصبهاني في ترغيبه، والقاضي أبو عبد الله المحاملي في الثاني عشر من فوائده ولفظه: «من صلى بسورة الدخان في ليلة، بات يستغفر له سبعون ألف ملك حتى يصبح».

وروى الدارمي عن عبدالله بن عيسى [2] قال: أخبرت أنه من قرأ حم

= أبي كثير. قال أحمد: أحاديثه عن يحي مناكير. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن ثقات الأئمة، لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه.

وترجم له الذهبي في الميزان ١٩٣/٣ ترجمة رقم ٦١٠١، والمغنى في الضعفاء ٤٦٦/٢. ترجمة رقم ٤٤٥٦، وضعفه بهذا الحديث.

والحديث ذكره السيوطي في موضوعاته ١٢١/١ وقال: عمر يضع الحديث والفتنى في تذكرة الموضوعات ٧٩. وذكر أنه موضوع بعمر أيضاً.

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في حم الدخان ٢٣٨/٤ حديث رقم ٣٠٥١.

وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات ص ٨٠، والسيوطي ١٢٢/١ من رواية الترمذي والبيهقي وابن الضريس.

وافقه هشام بن زياد أبو المقدام البصري، منكر الحديث، يروي الأحاديث الموضوعة وينسبها الى الثقات، وقد ترجم له الذهبي في الميزان ٢٩٨/٤، والمغني في الضعفاء ٢/٠ظ..

والحديث رواه ابن أبي داود من طريق محمد بن زكريا. وقال السيوطي في اللآلىء ١٢١/١: حديث باطل، محمد بن زكريا يضع.

ثم إن في الحديث انقطاعاً، لأنه من رواية الحسن عن أبي هريرة، قال الترمذي ٢٣٨/٤: لم يسمع الحسن من أبي هريرة.

(٢) هو عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، المتوفي سنة ١٣٥ وكان ثقة ثبتا في الرواية، وترجم له البخاري ولم يوثقه ولم يجرحه.

راجع: تهذيب التهذيب ٣٥٢/٥. والتاريخ الكبير ١٦٤/٥.

الدخان ليلة الجمعة إيماناً وتصديقاً، أصبح مغفوراً له[1].

وله أيضاً عن يحي بن الحارث ـ هو الذماري ـ[2] عن أبي رافع[3] قال: من قرأ الدخان في ليلة الجمعة، أصبح مغفوراً له، وزوج من الحور العين[4].

وله حكم الرفع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي.

وللطبراني والأصبهاني، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة، بنى الله له بيتاً في الجنة[5].

وتقدم في التوبة حديث علي رضي الله عنه في فضلها[6].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٢/٤٥٧.

(٢) هو أبو عمرو يحي بن الحارث الذماري ـ نسبة إلى ذمار قرية باليمن ـ الدمشقي الغساني، إمام الجامع الأموي، وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، عدوه في التابعين فقد لقي بن الأسقع ورى عنه وقرأ عليه، وثقه ابن معين وأبو حاتم وأبو داود. ومات سنة ١٤٥.

راجع: الخلاصة ٤٢٢. طبقات القراء ٢/٣٦٧.

(٣) هو أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، وقد اختلف في اسمه على عشرة أقوال وأشهرها: أن اسمه أسلم، شهد عزوة أحد وما بعدها، له ثمانية وستون حديثاً انفرد البخاري بحديث، ومسلم بثلاثة، مات في مقتل عثمان رضي الله عنهما.

راجع الإصابة ٤/٦٨. والإستيعاب على هامش الإصابة ٤/٧٠، والخلاصة ٤٤٩.

سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٢/٤٥٧.

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/١٦٨: رواه الطبراني في الكبير، وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف جداً.

(٦) راجع ص.

سورة الجاثية

وتسمى الشريعة(١).

مكية إجماعاً.

وقال ابن الجوزي: رواه العوفي وابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد ومقاتل وقتادة والجمهور.

وحكى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: هي مكية إلا آية، وهي قوله: ﴿ **قل للذين(٢) آمنوا يغفروا** ﴾(٣).

وتبعه على ذلك الأصفهاني.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثلاثون وسبع في الكوفي، وست في عدد الباقين.

---

(١) لقوله تعالى فيها: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فأتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾، الآية ١٨.

(٢) الآية: ١٤.

(٣) زاد المسير ٧/٣٥٤.

اختلافها آية واحدة:

﴿ حم ﴾ [1] عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفاصلة موضع:

﴿ أهواء الذين ﴾ [2].

ورويها حرفان: ﴿ من ﴾، كالتي قبلها سواء.

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على أن منزل هذا الكتاب - كما دل عليه ما في الدخان - ذو العزة لا يغلبه شيء، وهو يغلب كل شيء، والحكمة لأنه لم يصنع شيئاً إلا في أحكم مواضعه، فعلم أنه المختص بالكبرياء، فوضع شرعاً هو في غاية الاستقامة، لا تستقل العقول بإدراكه، أمر فيه ونهى، ورغب ورهب، ثم بطن حتى إنه لا يعرف، وظهر حتى إنه لا يجهل.

فمن المكلفين من حكم عقله وجانب هواه، فشهد جلاله، فسمع وأطاع، ومنهم من اتبع هواه فضل عن نور العقل فزاغ.

فاقتضت الحكمة - ولا بد - أن يجمع سبحانه الخلق، ويظهر كل الظهور، ويدين عباده ليشهد رحمته المطيع، وكبرياءه العاصي المضيع، وينشر العدل، ويظهر الفضل، (ويتجلى في جميع صفاته لجميع خلقه يوم الفصل) [3].

وعلى ذلك دل اسمها «الشريعة».

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ١٨.

(٣) ما بين الحاصرين ساقط من د.

واسمها «الجاثية» واضح الدلالة فيه، إذا تؤمل كل من آيتيهما، والله الهادي [1].

فضائلها

وأما فضائلها: فاختصاصها بما اختص الله به من الكبرياء ﴿ **وله الكبرياء في السموات والأرض** ﴾ [2].

روى مسلم عن أبي سعيد، وأبي هريرة، رضي الله عنهما، وأبو داود، **وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله**

---

(1) سورة الجاثية مكية، وقد تناولت العقيدة الإسلامية في إطارها الواسع ﴿الإيمان بالله ووحدانيته، والإيمان بالقرآن، والإيمان بالآخرة والبعث والجزاء﴾.

ويكاد يكون المحور الذي تدور حوله السورة هو إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله عز وجل ـ فالسورة تبدأ بالحديث عن القرآن ومصدره وهو الله العزيز في ملكه، الحكيم في خلقه.

ثم ذكرت الآيات الكونية المبثوثة في هذا العالم الفسيح، ففي السموات آيات، وفي الأرض آيات، وفي خلق البشر وسائر الأنعام والمخلوقات آيات، وفي تعاقب الليل والنهار، وتسخير الرياح والأمطار آيات، وكلها شواهد ناطقة بعظمة الله وجلاله وقدرته وكبريائه.

ثم تحدثت عن المكذبين بالقرآن، الذين يسمعون آيات الله فلا يزدادون إلا طغياناً واستكباراً، وذكرت ما أعد الله لهم من عذاب الجحيم.

وتحدثت السورة عن إكرام الله لبني اسرائيل بشتى أنواع التكريم، ومقابلتهم ذلك الفضل والإحسان بالجحود والعصيان، وذكرت موقف الطغاة المجرمين من دعوة الرسل الكرام وبينت أنه لا يتساوى في عدل الله وحكمته أن يجعل المجرمين كالمحسنين، وأن يكون الأشرار في الثواب كالأبرار، ثم بينت سبب ضلال المشركين، وهو إجرامهم واتخاذهم الهوى إلهاً ومعبوداً.

وختمت السورة بذكر الجزاء العادل يوم الدين، حيث ينقسم الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير. راجع: صفوة التفاسير ١٥/ ٦٩.

(2) الآية: ٣٧ من السورة.

عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، أدخلته النار[1].

وفي رواية: عذبته.

وفي رواية: قصمته.

ولأبي عبيد عن تيمم الداري رضي الله عنه أنه أتى المقام ذات ليلة، فقام يصلى، فافتتح السورة التي يذكر فيها الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا[2] السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾[3]، فلم يزل يرددها حتى أصبح[4].

وروى البيهقي عن الخليل بن مره[5]، أن النبي ﷺ قال: الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع، تجيء كل حميم تقف على باب من هذه الأبواب فتقول: اللهم لا يدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤ ني.

ثم قال: هكذا بلغنا بهذا الإسناد المنقطع.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر ١٦/١٧٣.
وسنن أبي داود: كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ٤/٥٩ حديث رقم ٤٠٩٠.
وسنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع ٢/٩٧ حديث رقم ٤١٧٤ عن أبي هريرة. وحديث رقم ٤١٧٥ عن ابن عباس.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٤/١٥٠: أي عملوها وكسبوها.

(٣) الآية: ٢١ من السورة.

(٤) ورواه الطبراني من حديث شعبة عن عمر بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق.
راجع: تفسير ابن كثير ٤/١٥٠.

(٥) هو الخليل بن مرة الضبعي ـ بضم الضاد المعجمة ـ البصري الرقي، المتوفى سنة ١٦٠.
قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدى: ليس بمتروك.
راجع: الخلاصة ١٠٧. والميزان ١/٦٦٧. والمغني للضعفاء ١/٢١٤.

سورة الأحقاف

مكية.

قال النجم النسفي: إلا قوله: ﴿ والذي قال لوالديه ﴾ الآيتين[1]، فإنهما نزلتا بالمدينة.

وقال أبو حيّان: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله ﴾[2]. و ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم﴾[3] الآيتان مدنيتان[4].

وقال ابن الجوزي: وروى العوفي وابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها مكية. وبه قال الحسن ومجاهد، وعكرمة وقتادة، والجمهور.

وروى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: فيها آية مدنية: ﴿ قل أرأيتم

(١) الآيتان: ٧ ـ ٨.

(٢) الآية: ١٠.

(٣) الآية: ٣٥.

(٤) البحر المحيط ٨/٥٤.

إن كان من عند الله﴾[1].

وقال مقاتل: نزلت بمكة غير آيتين: ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله** ﴾[1]، ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**»[2]، نزلتا بالمدينة[3].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثلاثون وخمس في الكوفي، وأربع في عدد الباقين.

اختلافها كالتي قبلها: ﴿ **حم** ﴾[4]، عدها الكوفي دون غيره.

وفيها مما يشبه الفواصل ولم يعد بإجماع، موضعان: ﴿ **عذاب الهون** ﴾[5]، ﴿ **ما يوعدون** ﴾[6].

ورويها ثلاثة أحرف: نمر[7].

مقصودها

ومقصودها: إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة، اللازم للعزة والحكمة الكاشف لها أتم كشف، بما وقع الصدق في الوعد به، من إهلاك المكذبين، وأنه لا يمنع من شيء من ذلك مانع، لأنه لا شريك له، فهو المستحق للإفراد بالعبادة.

وعلى ذلك دلت تسميتها بالأحقاف، بما دلت عليه قصة قوم هود عليه

---

(١) الآية: ١٠.

(٢) الآية: ٣٥.

(٣) زاد المسير ٣٦٨/٧.

(٤) الآية: ١.

(٥) الآية: ٢٠.

(٦) الآية: ٣٥.

(٧) الراء روى قوله: ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾. الأية: ٣٣. والباقي مكرر في السورة.

السلام، من التوحيد وإنذارهم بالعذاب دنيا وأخرى، ومن إهلاكهم، وعدم إغناء ما عبدوه عنهم، ودفنهم تحت أحقافهم، بما تحقق من إعراضهم وخلافهم، ومباعدتهم للحكمة في عبادتهم حجراً، وإنكارهم أن يكون النبي بشراً، فسلبت أرواحهم بالريح العقيم، ودمرت أشباحهم بالعذاب الأليم. فدل ذلك قطعاً على أنه العزيز الحكيم[١].

---

(١) سورة الأحقاف مكية، وهي تعالج قضايا العقيدة، وهي: الإيمان بوحدانية الله وربوبيته المطلقة لهذا الوجود، والإيمان بالوحي والرسالة، وأن محمداً ﷺ رسول سبقته الرسل، أوحى إليه بالقرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، والإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب.
وتنكر السورة ما كان عليه القرم في قريش من الشرك بالله، وهو سلوك لا يقوم على دليل ولا يستند إلى قول صحيح، ولا مأثور من العلم: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض، أم لهم شرك في السموات، ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾.
كما تذكر سوء استقبالهم لرسول الله ﷺ لما جاءهم بالحق من عند الله وقولهم: «هذا سحر مبين». ويلقن الله رسوله الرد عليهم بقوله: ﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً، هو أعلم بما تفيضون فيه، كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم، قل ما كنت ببدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن أتبع إلا ما يوحي إليَّ، وما أنا إلا نذير مبين﴾.
وفي خلال السياق تذكر السورة مصرع قوم عاد الذين كذبوا رسولهم هوداً عليه السلام، واستعجلوا العذاب من الله، وفي قصتهم عظة وعبرة لمن كان له قلب، وتذكير لأهل مكة بما كان عليه قوم هود من الشدة وقوة البأس: «ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون».
وفي الختام يوجه الله رسوله إلى الصبر تأسياً بإخوانه من الرسل، ولا يستعجل لهم العذاب: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم...﴾.
راجع: الظلال ٦/٣٥٤.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أحمد باسنادين ـ قال الهيثمي:[1] رجال أحدهما ثقات[2] ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة (من الثلاثين)[3] من آل حم ـ يعني: الأحقاف ـ قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت[4] الثلاثين[5].

وروى الطبراني ـ قال الهيثمي: برجال الصحيح ـ[6] عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود أروني إثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه، فأسكتوا فما أجابه منهم أحد[7]. ثم رد عليهم فلم يجبه أحد (ثم ثلّث فلم يجبه أحد)[8]، فقال: أبيتم؟. فوالله لأنا الحاشر، وأنا العلقب، وأنا المقفى، آمنتم أو كذبتم، ثم انصرف وأنا معه، حتى كدنا أن نخرج، فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل. فقال ذاك الرجل: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟. قالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب، ولا أفقه منك ولا من أبيك من قبلك، ولا من جدك قبل أبيك. قال: فإني أشهد[9] أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم

---

(١) مجمع الزوائد ١٠٥/٧.

(٢) فيدد: ورجال أحدهما رجال الصحيح». والصواب أثبتناه لموافقته لمجمع الزوائد.

(٣) زيادة عن مسند أحمد.

(٤) في الأصل: «ثلاثين»، والتصويب عن المسند.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤٠١/١، ٤١٩، ٤٢١، ٤٥٢. والحديث في المسند أطول مما هنا.

(٦) مجمع الزوائد ١٠٦/٧.

(٧) في د: واحد منهم.

(٨) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل، وزدناه عن مجمع الزوائد.

(٩) في مجمع الزوائد: أشهد بالله أنه.

ردوا عليه وقالوا فيه شراً. فقال رسول الله ﷺ: كذبتم لن يقبل منكم قولكم. قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ، وأنا، وابن سلام. فأنزل الله تعالى: **﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**(1) انتهى.

ويجمع بين هذا فيما يفهم: أن هذا أول إسلامه، وبين ما في الصحيح: أنه كان في منزل النبي ﷺ بأنه أسلم في بيته ﷺ، فدعا أقاربه من اليهود وهم من بني قينقاع، فقالوا فيه ما قالوه، ثم أراد أن يرى النبي ﷺ كرامته في غير قومه، فذهب إلى طائفة أخرى في الحال قبل أن يعلموا بإسلامه، فدخل إليهم ودخل النبي ﷺ في أثره، فكان ما تقدم.

ومعنى حط الغضب عن جميع اليهود بإسلام اثني عشر: إن إسلام أولئك يستلزم إسلام بقية اليهود كما ذكر في حديث آخر، والله تعالى الموفق.

وروى أبو عمرو الداني في كتاب «البيان بعدد آي القرآن» من طريق أبي بكر بن عياش(2)، عن عاصم، عن زر، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت لرجل: أقرئني من الأحقاف ثلاثين آية، فأقرأني - وفي رواية، فقرأ - خلاف ما أقرأني رسول الله ﷺ وقلت لآخر: أقرئني من الأحقاف ثلاثين آية، فأقرأني خلاف ما أقرأني الأول، فأتيت بهما إلى

---

(1) الآية: ١٠ من السورة.

(2) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي، الحناط - بالحاء المهملة ونون بعدها ألف وآخره طاء مهملة، وفي بعض المراجع: الخياط، وهو خلاف المشهور - وقد اختلف في اسمه، والصحيح أن اسمه كنيته، كان من ثقات الرواة ديِّناً ورعاً، روى عن أبيه، وعن حميد الطويل، وغيرهما، وروى عنه أحمد وابن معين، وعبد الله ابن المبارك. توفي سنة ١٩٣.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/٢٦٥، طبقات ابن سعد ٦/٢٦٩، طبقات القراء ١/٣٢٥ معرفة القراء ١/١١٠. الخلاصة ٤٤٥. طبقات الحفاظ ١١٣.

النبي ﷺ، فغضب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه جالس، فقال علي: قال لكم: اقرأوا كما علمتم[١].

وللطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن أحمد، بن لبيد البيروتي[٢]، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ **حتى إذا بلغ أشده** ﴾[٣] قال: ثلاث وثلاثون سنةوهو الذي رفع عليه عيسى بن مريم (عليه السلام)[٤].

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه صدقة بن يزيد، وثقة أبو زرعة، وأبو حاتم، وضعفه أحمد وجماعة[٥]، وبقية رجاله ثقات[٦].

---

(١) البيان: ورقة ٦.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) الآية: ١٥ من السورة.

(٤) ساقطة من د.

(٥) قال الذهبي في الميزان ٣١٣/٢: وقال ابن عدى: هو إلى الضعف أقرب، وقال ابن حبان: لا يجوز الإشتغال بحديثه ولا الإحتجاج به. وقال البخاري: منكر الحديث اهـ.

وراجع: التاريخ الكبير للبخاري ٢٩٥/٤، الترجمة رقم ٢٨٨٢، والجرح والتعديل ٤٣١/٤ ترجمة رقم ١٨٩٣. والمغني في الضعفاء ٣٠٨/١ ترجمة رقم ٢٨٧٨.

(٦) مجمع الزوائد ١٠٦/٧.

سورة محمد ﷺ

وتسمى: القتال، والذين كفروا.

مدنية.

وقال النجم النسفي: مكية، ويقال: مدنية وهو الصحيح، انتهى[١].

ويقال: فيها آية مدنية نزلت على النبي ﷺ حين خرج إلى الغار في ابتداء الهجرة، وجعل ينظر إلى مكة[٢]، وهي: ﴿ **وكأين من قـرية** ﴾[٣] الآية.

---

(١) وممن قطع بمدنيتها الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٧٢/٤. والبغوي في تفسيره على هامش الخازن ١٤٤/٦. وأبو حيان في البحر المحيط ٦٨/٨. وأبو عمرو والداني في البيان: ورقة ٦٩.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٧٥/٤: قال ابن أبي حاتم: ذكر أبي عن محمد بن عبد الأعلى عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن حنش، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه، فالتفت إلى مكة وقال: أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأنت أحب بلاد الله إليَّ، ولولا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ اهـ.

(٣) الآية: ١٣.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثلاثون وثمان في الكوفي، وتسع في المدنيين والمكي والشامي، وأربعون آية في البصرى. اختلافها آيتان:

﴿أوزارهـا﴾ [1]، لم يعدَّها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ للشاربين ﴾ [2]، عدها البصري، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد باجماع، تسعة مواضع: ﴿ فضر الـرقـاب ﴾ [3]، ﴿ بعضكم ببعض ﴾ [3]، ﴿ تنصـروا الله ينصـركم ﴾ [4] ﴿ فتعسـا لهم ﴾ [5] ﴿ الـذين من قبلهم ﴾ [6]، ﴿ دمَّـر الله عليهم ﴾ [6]. ﴿ قال آنفاً ﴾ [7]، ﴿لأريناكهم﴾ [8]، ﴿ بسيماهم ﴾ [8].

رويها حرفان: مل. اللام: ﴿ أقفالها ﴾ [9]، ﴿ أمثالها ﴾ [10]

وقيل: الميم كاف، أو هما مضمومتان[11].

مقصودها

ومقصودها: التقدم إلى المؤمنين في حفظ حظيرة الدين، بإدامة الجهاد

---

(١) الآية: ٤.

(٢) الآية: ١٥.

(٣) الآية: ٤.

(٤) الآية: ٧.

(٥) الآية: ٨.

(٦) الآية: ١٠.

(٧) الآية: ١٦.

(٨) الآية: ٣٠.

(٩) الآية: ٢٤.

(١٠)الآية: ١٠

(١١)هكذا عبارة الشيخ.

للكفار، حتى يلزموهم[1] الصغار، أو يبطلوا ضلالهم، كما أضل الله أعمالهم، لا سيما أهل الردة الذين فسقوا عن محيط الدين إلى أودية الضلال المبين، والتزام هذا الخلق الشريف، إلى أن تضع الحرب أوزارها، بإسلام أهل الأرض كلهم، بنزول عيسى عليه السلام.

وعلى ذلك دل اسمها «الذين كفروا» لأن من المعلوم: أن من صدك عن سبيلك قاتلته (وأنك)[2] إن لم تقاتله كنت مثله.

واسمها «محمد» واضح في ذلك، لأن الجهاد كان خلقه ﷺ، إلى أن توفاه الله تعالى، وهو نبي الملحمة، لأنه لا يكون حمد، وثم نوع ذم، كما تقدم تحقيقه في سورة فاطر وفي سبأ والفاتحة. ومتى كان كَفٌّ عن أعداء الله، كان ذم.

وأوضح أسمائها في هذا المقصد: «القتال»، فإن من المعلوم: أنه لأهل الضلال[3].

---

(١) في د: يلزمهم.

(٢) ساقطة من د.

(٣) سورة محمد ﷺ، سورة مدنية تناولت أحكام القتال والأسرى، والغنائم وأحوال المنافقين. والمحور التي تدور عليه السورة وتهدف إلى تأصيله، هو موضوع الجهاد في سبيل الله.

وقد بدأت السورة بدءاً عجيباً، بإعلان حرب سافرة على أعداء الله وأعداء رسوله من الكفار الذين حاربوا الإسلام ووقفوا في وجهه بكل سبيل: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾. ثم أمرت المؤمنين بقتال الكافرين، وحصدهم بالسيوف في ميادين الجهاد، لكي تطهر الأرض من رجسهم، ولكي لا تبقى لهم شوكة ولا قوة، ثم دعت إلى إذلالهم بالأسر ونحوه: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق. . .﴾.

ثم بينت للمؤمنين أن طريق العزة والمنعة، إنما يكون بالتمسك بكتاب الله، ونصرة دينه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

وتحدثت بإسهاب عن المنافقين، وبيان صفاتهم، باعتبارهم خطراً داهماً على الإسلام والمسلمين فكشفت عن مخازيهم ومساوئهم، لكي يحذر المؤمنون خبثهم وكيدهم: =

فضائلها

وأما ما ورد فيها، ففي آية الساعة:

ما روى الترمذي، وأبو يعلى، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: ما ينتظر أحدكم، إلا غِنًى مُطغياً، أو فقراً منسياً، أو هرماً مفنداً[(١)]، أو موتاً مجهزاً[(٢)]، أو الدجال، والدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر[(٣)].

ومن فضائلها: ما خصت به من سبب الترقي في مصاعد الكمال،

= ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم﴾. ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول...﴾

ثم ختمت السورة بدعوة المؤمنين إلى الجهاد في سبيل الله، وعدم الوهن والضعف أمام قوى الشر والبغي، وحذرت من الدعوة إلى الصلح مع الأعداء، حرصاً على الحياة والبقاء فإن الحياة الدنيا زائلة فانية، وما عند الله خير وأبقى:

﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون، والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ الآيات.

وهكذا ختمت السورة بما بدأت به، وهو الدعوة إلى الجهاد، والتحريض على القتال في سبيل الله، وبذلك يتناسق البدء مع الختام أيما التئام.

(١) قال في النهاية ٤٧٤/٣: الفند في الأصل: الكذب. وأفند: تكلم بالفند، ثم قالوا للشيخ اذا هرم: قد أفند. لأنه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة، اهـ.

(٢) قال في جامع الأصول ١٤/١١: موت مجهز: أي سريع عَجِلٌ.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل ٣٧٨/٣ حديث رقم ٢٤٠٨ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز ابن هارون، اهـ.

ومحرز ـ ويقال: محرّر براءين مهملتين بوزن محمد ـ هو ابن هارون بن عبد الله بن الهدير الشامي القرشي المدني. قال البخاري: منكر الحديث. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال أبو حاتم: يروي ثلاثة أحاديث مناكير.

راجع: الجرح والتعديل ٣٤٥/٨، والميزان ٤٤٣/٢، والمغني في الضعفاء، ٥٤٤/٢. الخلاصة ٣٧٠.

بالأمر بالاستغفار، في قوله تعالى: ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ (١) زيادة في الشرف.

روى مسلم في الدعوات وأبو داود في الصلاة، والنسائي في اليوم والليلة، عن الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنه لَيُغانُّ(٢) على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة (٣).

يعني: أنه ﷺ إذا ارتقى من مقام كامل، إلى مقام أكمل منه، رأى أن الأول بالنسبة إلى الثاني ذاغَيْن فيستغفر منه، فيرتقي إلى أكمل منه، وهكذا، والله أعلم.

وروى البغوي بسنده عن هشام بن عروة، عن أبيه - قال ابن رجب والدارقطني في أفراده: بإسناد ضعيف - عن سهل بن سعد رضي الله عنه، وهذا لفظ عروة قال: تلا رسول الله ﷺ: أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٤) فقال شاب من اليمن: بل على قلوب أقفالها، حتى يكون الله يفتحها، أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولى فاستعان به (٥).

وروى أبو نعيم عن ابراهيم بن الأشعث (٦)، أن فضيل بن عياض قرأ

(١) الآية: ١٩ من السورة.

(٢) الغين - بالغين المعجمة والنون في وسطها ياء تحتية، أو الغيم، بالميم في آخره -: ما يتغشى القلب من الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان يديم، عليه ﷺ فإذا افتر عنه أو غفل، عد ذلك ذنباً واستغفر منه.

راجع: شرح مسلم للنووي ١٧/٢٣. وجامع الأصول ٤/٣٨٦.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الإستغفار والإستكثار منه ١٧/٢٣.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في الإستغفار ٢/٨٤ حديث رقم ١٥١٥.

(٤) الآية: ٢٤ من السورة.

(٥) تفسير البغوي على هامش الخازن ٦/١٥٢.

(٦) هو خادم الفضيل، ضعيف في الرواية.

راجع ترجمته في الميزان ١/٢٠ ترجمة رقم ٤٤.

سورة محمد، فشرع يبكي ويردد هذه الآية: ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾[1]. وجعل يقول: إن بلوت أخبارنا (فضحتنا وهتكت أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا)[2] أهلكتنا وعذبتنا، ويبكي[3].

---

(١) الآية: ٣١ من السورة.

(٢) ما بين الحاصرين زيادة عن الحلية.

(٣) الحلية لأبي نعيم ٨/١١١.

سورة الفتح

مدنية كلها إجماعاً.

نزلت على النبي ﷺ وهو راجع من عمرة الحديبية.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها تسع وعشرون، ثلاثون إلا واحدة، بلا خلاف.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد[1] بإجماع، سبعة مواضع: ﴿ ﴿ بأس شديد ﴾[2]، ﴿ أو يسلمون ﴾[3]، ﴿ آية للمؤمنين ﴾[4]، ﴿ وعلى المؤمنين ﴾[5] ﴿ آمنين ﴾[6]، ﴿ ومقصرين ﴾[6]، ﴿ لا تخافون ﴾[6].

(١) في د: يعدها.

(٢) الآية: ١٦.

(٣) الآية: ١٦.

(٤) الآية: ٢٠.

(٥) الآية: ٢٦.

(٦) الآية: ٢٧.

ورويها سبعة أحرف: لمزن برد[1].

مقصودها

ومقصودها: اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما. وما تفرع عنه من إسلام أهل جزيرة العرب، وقتال أهل الردة، وفتوح جميع البلاد، الذي يجمعه[2] كله إظهار (هذا)[3] الدين على الدين كله.

وهذا كله في غاية الظهور، بما نطق به ابتداؤها وأثناؤها، في مواضع منها: ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ﴾[4].

وانتهاؤها: ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾[5]، محمد رسول الله ـ إلى قوله: ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾[6]. أي بالفتح الأعظم، وما دونه من الفتوحات.

﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة** ﴾[7]. كما كان للرسول ﷺ.

---

(١) الباء: «وأثابهم فتحاً قريباً﴾ الآية: ١٨.
﴿من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ الآية: ٢٧.
الدال: ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ الآية: ٢٨.
الزاي: ﴿نصراً عزيزاً﴾ الآية: ٣.
النون: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ الآية: ١.
وباقي حروف الروى مكرر في السورة بكثرة.

(٢) في د: يظهره.

(٣) زيادة عن د.

(٤) الآية: ٢٧.

(٥) الآية: ٢٨.

(٦) الآية: ٢٩.

(٧) الآية: ٢٩.

﴿ وأجراً عظيماً ﴾[1] كذلك بسائر الفتوحات، وما حوت من الغنائم، ثم الثواب الجزيل على ذلك في دار الجزاء.

ومن عجائب هذه السورة: أنها تسع وعشرون آية، وقد جمعت حروف المعجم وهي تسع وعشرون حرفاً، في آخر آية فيها، وهي: **﴿ محمد رسول الله ﴾**[2] إلى آخرها، إثر قوله تعالى: **﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾**[3].

ولم تجتمع هذه الحروف في آية إلا في هذه، وفي آية في أواخر سورة التوحيد «آل عمران» إشارة إلى علو التوحيد على كل كفر، كما أشارت إليه الآية التي قبلها، وأشير في آية آل عمران إلى تمادي الوقت، كما ذكر في أصل هذا الكتاب.

وأشير في هذه إلى قربه.

وذلك أنه لما كانت هذه العمرة التي نزلت فيها هذه السورة، وهي عمرة الحديبية، قد حصل[4] لهم فيها كسر، لرجوعهم قبل وصولهم إلى قصدهم، ولم يكن ذلك بسبب خلل أتى من قِبَلِهم، كما كانت في غزوة أحد، بشرهم سبحانه فيما في هذه السورة، من البشائر الظاهرة تصريحاً وبما في هذه الآية الخاتمة من جمعها لجميع حروف المعجم تلويحاً، إلى[5] أن أمرهم لا بد من تمامه وخفوق ألويته وأعلامه.

وافتتحها بميم محمد المضمومة، وختمها بميم «عظيما» المنصوبة، إشارة

---

(١) الآية: ٢٩.

(٢) الآية: ٢٨.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾ الآية ١٥٤.

(٤) في د: يحصل.

(٥) في د: إلا.

بما للميم من الختام بمخرجها، إلى أن تمام الأمر قد دنا جداً إبانه، وحضر من غير شك زمانه.

وبما في أوله من الضم إلى رفعة دائمة في حمد كبير. وبما في آخر من النصب إلى تمام الفتح، وقربه على وجه عظيم.

فكان جمع الأحرف في آية واحدة على هذا الوجه، مشيراً إلى ما ذكر؛ وكان كونها تسعاً وعشرين، وكون عدد الآيات فيها مطابقاً لذلك، مشيراً إلى أن الفتوح من ذلك الحين، لا تزال في ازدياد إلى نهاية تسع وعشرين سنة، فيحصل هناك التمام، فيبدأ - كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند نزول آية المائدة بكمال الدين - النقص (١).

ولقد كان الأمر كذلك، فإن الله تعالى فتح بعد جميع بلاد العرب، بلاد فارس بكمالها وقتل ملكها يزد جرد، ومزق ملكها، فلم يقم بعده لهم ملك إلى اليوم، وفتح أكثر بلاد الروم والغرب وتواترت الفتوح، وارتفعت رايات الإسلام براً وبحراً، إلى أن ظهر الدين، كما قال تعالى: ﴿على الدين كله﴾، ثم قتل عند تمام ذلك أمير المؤمنين عثمان الشهيد رضي الله عنه، ختام سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وذلك لتسع وعشرين من نزول هذه

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره ٦/٥٢: عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت «اليوم أكملت لكم دينكم» وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك؟. قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص. فقال: صدقت.

وهارون بن عنترة، ضعفه ابن حبان وقال: منكر الحديث جداً. (الميزان ٤/٢٨٤). وفي السند سفيان بن وكيع بن الجراح. وهو متهم: الميزان ٢/١٧٣، والخلاصة ١٤٦. وعندي: أنه حديث ضعيف السند، ورده أولى، وإلا: فما معنى نقصان الدين؟.

وفي تفسير ابن كثير ٢/١٢ عن ابن عباس قال: قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ هو الإسلام أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين: أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً. ورواه ابن جرير ٦/٥١.

السورة سنة ست من الهجرة، فنقص بقتله رضي الله عنه كثيراً، وتفرقت الكلمة، وانحل ـ بعد ـ النظام، فقام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في جمع شمله، فكان كلما رتق رتقا، فُتِق من ناحية أخرى فَتْقُ، واستمر الأمر متماسكاً، ألى أن مضت خلافة النبوة ثلاثون سنة، لنزول أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنهما عن الأمر للإصلاح بين الناس في ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين، ثم ظهر النقصان، وجاء الملك العضوض كما أخبر به الصادق، وحكم به الخلائق، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى القعنبي[1]، وأبو مصعب[2]، في موطأيهما، والبخاري في الصحيح من رواية القعنبي عن مالك، عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فسأله عن شيء فلم يجبه، فقال عمر رضي الله عنه ثكلتك أمك يا عمر، نزرت[3]رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب ـ بفتح القاف وإسكان العين المهملة وفتح النون ـ المدني نزيل البصرة، أحد الأئمة الأعلام، روى عن مالك وشعبة وحماد ابن سلمة، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة، وأمم سواهم، قال أبو حاتم: ثقة حجة، لم أر أخشع منه، ومات ـ رحمه الله ـ في المحرم سنة ٢٢١.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣٨٣/١. طبقات الحفاظ ١٦٥. الخلاصة ١٨٢.

(٢) هو أبو مصعب أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، الزهري الفقيه، قاضي المدينة، روى عن مالك وابراهيم بن سعد، وروى عنه أصحاب الكتب الستة ما عدا النسائي، وكان من فقهاء أهل المدينة، ثقة في الرواية مات ـ رحمه الله ـ سنة ٢٤٢ عن اثنتين وتسعين سنة.
راجع: طبقات الحفاظ ٢٠٩ ترجمة رقم ٤٧١.

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٣٥٨/٢: نزرت فلاناً، إذا ألححت عليه في السؤال.

عمر رضي الله عنه: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، فخشيت أن يكون نزل فيّ قرآن فما نشبت[1] أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فجئت رسول الله ﷺفسلمت، فقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة، لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[2].

وروى الإمام أحمد في المسند عن مُجمِّع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرؤوا القرآن، قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا عنها، إذ الناس ينفرون ـ وفي رواية: يوجفوز[3] ـ الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟. قالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ، فخرجنا مع الناس نوجف، حتى وجدنا رسول الله ﷺ على راحلته عند كراع الغميم[4]، واجتمع الناس إليه، فقرأ عليهم: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: أي رسول الله أو فتح هو؟. قال: أي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح[5].

---

(١) قال في جامع الأصول ٣٥٨/٢: أي ما لبث.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٦٦/٥، وكتاب التفسير، سورة الفتح باب إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ٤٣/٦، وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الفتح ١٠٤/٦.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الفتح ٢٠/٥.
وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن ٢٠٣/١.

(٣) وفي سنن أبي داود: يهزون.
قال الخطابي في معالم السنن ٥٢/٤: يهزون: أي يحركون رواحلهم، والهز: كالضغط على الشيء، وشدة الإعتماد عليه. والإيجاف: الركض والإسراع، اهـ.

(٤) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة من ناحية الحجاز.
لسان العرب ٣٨٥٩/٥. ط: دار المعارف.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤٢٠/٣.
وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب فيمن أسهم له سهماً ٧٦/٣ حديث رقم ٢٧٣٦.

وللنسائي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ زمن الحديبية، فذكر أنهم نزلوا دهاساً من الأرض - يعني بالدهاس: الرمل - فذكر قصة نومهم عن الصبح، وصلاة النبي ﷺ حين استيقظوا، ثم قال: فركب، فسرنا وكان النبي ﷺ إذا أنزل الوحي، اشتد عليه وعرفنا ذلك منه، فتنحى منتبذاً خلفنا فجعل يغطي رأسه، فيشتد عليه، حتى عرفنا أنه قد أنزل عليه، فأتانا فأخبرنا أنه قد أنزل عليه: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»[١].

وروى محمد بن نصر المروزي[٢] في كتاب «قيام الليل» عن هشام بن عروة عن أبيه، أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقة وضعت جرانها[٣] فما تستطيع أن تتحرك حتى يسري عنه.

وقد مضى في سورة المائدة ما يشبهه.

وللشيخين - وهذا لفظ مسلم - وأحمد، والترمذي، والنسائي، عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت على النبي ﷺ «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» إلى آخر الآية مرجعه من الحديبية[٤]، وأصحابه مُخَالطوا الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم ونحروا الهدى[٥] بالحديبية، فقال: نزلت عليّ آية

---

(١) وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٤٦٤.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، ولد سنة ٢٠٢ هجرية. قال الخطيب: كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم. وقال الحاكم: هو إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة اهـ. ومات - رحمه الله - في المحرم سنة ٢٩٤ بمدينة سمرقند.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٠. تاريخ بغداد ٣/٣١٥، شذرات الذهب ٢/ ٢١٦.

(٣) قال في النهاية ١/ ٢٦٣: الجران: باطن العنق.

(٤) الحديبية - بتخفيف الياء - قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت باسم بئر عند الشجرة التي بايع الناس رسول الله ﷺ عندها، بينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل.

(٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٢/ ٣٥٧: الهدى: ما يهديه الحاج أو المعتمر إلى البيت الحرام من النعم لينحره بالحرم.

هي أحب إليَّ من الدنيا، فلما تلاها رسول الله ﷺ، قال رجل من أصحابه: قد بين الله عز وَجَلَّ لك ما يفعل بك ـ وفي رواية: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، هذا لك ـ فماذا يفعل بنا؟. فأنزل الله عز وجل الآية التي بعدها: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[1].

وروى البيهقي في الدلائل، من طريق ابن إسحاق، عن المسور[2] ومروان في قصة الحديبية قالا: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً، فلما كان بين مكة والمدينة، نزلت عليه سورة الفتح من أولها إلى آخرها: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»[3].

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن اسحاق، عن أبي برزة[4] رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ في الصبح: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»[5].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٥/٦١، وكتاب التفسير، سورة الفتح، باب إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ٦/٤٣.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية ١٢/١٣٥.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الفتح ٥/٦١ حديث رقم ١٣١٦.
ومسند الإمام أحمد ٣/٢١٥، ٢٥٢.

(٢) هو المسور ـ بضم الميم وفتح السين وتشديد الواو ـ بن مخرمة بن نوفل بن أهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، وأمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف روى عن النبي ﷺ، وعن خاله عبد الرحمن والخلفاء الأربعة. مات سنة أربع وستين.
راجع: تهذيب التهذيب ١٠/١٥١. والخلاصة ٣٧٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٣٢٠ من حديث الزهري.

(٤) في الأصل: أبي بردة. والتصويب عن مصنف عبد الرزاق.
وهو أبو برزة نضلة بن عبيد الأسلمي، صاحب النبي ﷺ، نزل البصرة بعد أن كان من ساكني المدينة، وحديثه في البخاري في كتاب الغزوات. مات سنة ٦٤ بخرسان، على خلاف في ذلك.
راجع: تهذيب التهذيب. ١/٤٤٦.

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ٢/١١٨ حديث رقم ٢٧٣٢.

فهرس موضوعات الجزء الثاني

مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين
أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

الجزء الثالث

مكتبة المعارف
الرياض

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩

الرياض - المملكة العربية السعودية

مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسّر المؤرّخ برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
المتوفى سنة ٨٨٥هـ

قدّم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين
أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام
محمد بن سعود الاسلاميّة بالرياض

الجزء الثالث

مكتبة المعارف
الرّياض

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩

الرياض - المملكة العربية السعودية

سورة الحجرات

مدنية إجماعاً.

وشذ من قال: مكية.

عدد آياتها

وآيها ثماني عشرة باتفاق العادّين، وأجمعوا - أيضاً - على أن نظيرتها: التغابن[١]. وليس فيها اختلاف، ولا ما يشبه الفواصل.

ورويها ثلاثة أ حرف: نمر[٢].

مقصودها

ومقصودها: توقير النبي ﷺ، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر ليكون

(١) قال أبو عمر والداني: نظيرتها في المدني الأخير «التغابن والمزمل. وفي الشامي التغابن واقرأ. وفي غيرهما: التغابن فقط، اهـ ورقة: ٦٩.

(٢) الراء: ﴿إن الله عليكم خبير﴾ الآية: ١٣.

والنون والميم مكرران في السورة.

دليلاً على الباطن فيسمى إيماناً، كما أن الإيمان بالله تعالى يشترط فيه تقبل الأعمال الظاهرة، والإذعان لفعلها بشرائطها وأركانهاوحدودها، لتكون بينة على الباطن، وحجة شاهدة له ﴿ **الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾[1].

واسمها «الحجرات» واضح الدلالة على ذلك، بما دلت عليه آيته، من ذم المنادين والتلويح لهم إلى[2] الإقبال على ما يحصّل المغفرة، بأنهم قد ارتكبوا ما كانوا به من المذنبين[3].

---

(١) سورة العنكبوت: آية ١ ـ ٢.

(٢) في د: على.

(٣) هذه السورة على وجازتها تتضمن حقائق التربية الفاضلة، وأسس المدنية الطاهرة ولذلك فقد سماها بعض المفسرين: «سورة الأخلاق».

فقد ابتدأت السورة الكريمة، بإرشاد العبد المؤمن في أن يعرف حدوده أمام خالقه فلا يجعل لنفسه إرادة أورأيا مع ربه، حياء منه وأدباً، وأن يعرف أن له أدباً خاصاً في مخاطبة رسول الله ﷺ توقيراً له ﷺ، وعرفاناً بمكانته ﴿يا أيها الذين آمنوا الا تقدموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله، إن الله سميع عليم، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض.... ﴾ الآيات.

ثم تنتقل السورة إلى بيان أدب آخر بتقرير دعائم وأسس المجتمع المسلم، فتأمر المسلمين بعدم الإستماع إلى الإشاعات، وتأمر بالتثبيت من الأنباء والأخبار، لا سيما إن كان الخبر صادراً عن شخص لا تعرف عدالته، فكم من كلمة نقلها فاجر فاسق سببت كارثة من الكوارث وكم من خبر ساقط لم يتثبت منه ناقله جر وبالاً، وأحدث في صفوف الأمة انقساماً: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ كما دعت السورة إلى الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الباغين: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما... ﴾ الآية.

وبينت السورة أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون مجتمعاً نظيف المشاعر، مكفول الحرمات مصون الغيبة والحضرة، لا يؤخذ أحد فيه بظنة، ولا يعاقب لمجرد تهمة، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم فيه لأدنى مساس، فحذرت =

فضائلها

وأما ما ورد في بعض أمرها:

فروى الإمام أحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات ـ والطبراني عن الحارث بن ضرار الخزاعي ـ وقال الطبراني: ابن سرار رضي الله عنه قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام (فدخلت فيه وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة)(١) فأقررت بها(٢). وقلت: يا رسول الله، أأرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إليَّ رسول الله ﷺ رسولاً لإبان كذا وكذا، ليأتيك بما جمعت من الزكاة؟. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله ﷺ. فدعا بسروات(٣) قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقّت وقتاً يرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ. وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض

= من السخرية ونفرت من الغيبة، ونهت عن التجسس، وإساءة الظن بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ وفي الختام تتحدث السورة عن ضوابط الإيمان الصحيح. وتبين أن الإيمان هبة من الله سبحانه، فلولا هدايته ورعايته، ما كانت تلك النعمة العظيمة: ﴿قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم. . .﴾ الآيات.

راجع: الظلال ٦/٣٣٣٦.

وصفوة التفاسير ١٦/٤٤.

(١) ما بين المربعين: زيادة عن مسند أحمد.

(٢) في الأصل: به.

(٣) قال في النهاية ٢/٣٦٣: أي أشرافهم.

الطريق، فرق[1] فرجع، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذا استقل[2] البعث وفصل من المدينة، فلقيهم الحارث فقالوا: هذاالحارث، فلما غشيهم[3] قال لهم: إلى أين[4] بعثتم؟. قالوا: إليك قال: ولم؟. قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله. قال: والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟، قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني. وما أقبلت[5] إلا حين احتبس عليّ رسولُ رسول الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله. قال: فنزلت الحجرات[6]: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** إلى هذا المكان: **﴿فضلاً من الله ونعمة والله عليكم حكيم﴾**[7].

والحارث هذا: هو الحارث بن أبي ضرار المصطلقي، أبو جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها. وبنوا المصطلق بطن من خزاعة.

وقد سقط من هذه الرواية أداة الكنية.

واسم أبي ضرار: حبيب[8] بن الحارث.

وعن علقمة بن ناجية رضي الله عنه قال: بعث إلينا رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط يصدق أموالنا، فسار حتى كان قريباً منا، وذلك

(١) قال في النهاية ٣/٤٣٨: الفرق بالتحريك: الخوف والفزع.
(٢) مسند أحمد: استقبل.
(٣) يعني لقيهم.
(٤) في مسند أحمد: من.
(٥) في الأصل: احتبست. والتصويب عن مسند الإمام أحمد.
(٦) الآيات: ٦ ـ ٨ من السورة.
(٧) مسند الإمام أحمد ٤/٢٧٩.
(٨) وهكذا هو في تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/١٠٢ ترجمة رقم ٩٥٩.
وفي الإصابة لابن حجر ١/٢٨٠ ترجمة رقم ١٤٢٧: خبيب ـ بالخاء المعجمة.

بعد وقعة المريسيع[1]، فرجع فركبت في أثره، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتيت قوماً في جاهليتهم، أخذوا اللباس، ومنعوا الصدقة، فلم يغير النبي ﷺ حتى نزلت الآية: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ...** ﴾ الآية. فأتى المصطلقيون إلى النبي ﷺ إثر الوليد بطائفة من صدقاتهم يسوقونها، وبنفقات يحملونها، فذكروا ذلك له، وأنهم خرجوا يطلبون الوليد بصدقاتهم فلم يجدوه، فدفعوا إلى رسول الله ﷺ ما كان معهم قالوا: يا رسول الله، بلغنا مخرج رسولك فسررنا بذلك وقلنا: نتلقاه، فبلغنا رجعته، فخفنا أن يكون ذلك من سخطة علينا، وعرضوا على النبي ﷺ أن يشتروا منه ما بقي[2]، وقبل منهم الفرائض، وقال: ارجعوا بنفقاتكم، لا نبيع شيئاً من الصدقات حتى نقبضه فرمعوا إلى أهليهم، وبعث إليهم من يقبض بقية صدقاتهم.

وفي رواية عن علقمة: أنه كان في وفد بني المصطلق على رسول الله ﷺ في أمر الوليد بن عقبة، وأن رسول الله ﷺ قال: انصرفوا غير محبوسين، ولا محصورين.

رواه الطبراني بإسنادين.

قال الهيثمي: في أحدهما يعقوب بن حميد بن كاسب، وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور[3] وبقية رجاله ثقات[4].

---

(١) وهي المعروفة بغزوة بني المصطلق. وكانت في شعبان سنة ست.
وقيل ـ وهو الصحيح ـ كانت سنة خمس.
راجع سيرة هشام ٣/٢٨٩.

(٢) أي ما بقى عندهم من مجموع الصدقات المستحقة عليهم هذا العام، فإنهم جاءوا إلى النبي ﷺ ببعضها، وتركوا بعضها ببلادهم إلى أن يتبينوا حقيقة الأمر في رجوع الوليد بن عقبة دون أن يأخذ الزكاة منهم.

(٣) قال الذهبي في الميزان ٤/٤٥١: كان من علماء الحديث، لكنه له مناكير وغرائب.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١١٠.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ الوليد ابن عقبة إلى بني وليعة، وكانت بينهم شحناء في الجاهلية، فلما بلغ بني وليعة استقبلوه، لينظروا ما في نفسه، فخشي الْقَوْمَ فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إلله بني وليعة أرادوا قتلي ومنعوني الصدقة، فلما بلغ بني وليعة الذي قال الوليد عند رسول الله ﷺ، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لقد كذب الوليد، ولكن كان بيننا وبينه شحناء، فخشينا أن يعاقبنا بالذي كان بيننا، فقال رسول الله ﷺ: لينتهين بنوا وليعة، أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي، يقتل مقاتلهم، ويسبي ذراريهم، وهو هذا، ثم ضرب بيده على كتف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: وأنزل الله في الوليد ﴿**يا أيها الذين إن جاءكم فاسق بنبأ**﴾ الآية.

رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبدالله بن عبد القـدوس التميمي، وقد ضعفه الجمهور(١) ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات(٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ انصرف إلى بيتها فصلى فيه ركعتـين بعد العصر، فأرسلت عائشة إلى أم سلمة رضي الله عنهما: ما هذه الصلاة التي صلاها النبي ﷺ في بيتك؟. فقالت: إن النبي ﷺ كان يصلي بعد الظهر ركعتين فقدم عليه وفد بني المصطلق(٣) فيما صنـع بهم عاملهم الوليد بن عقبة، ولم يزالوا يعتذرون إلى النبي ﷺ حتى جاء المؤذن يدعوه إلى صلاة العصر، فصلى المكتوبـة، ثم صلى عنـدي في بيتي تلك الركعتين. ما صلاهما قبل ولا بعد(٤).

---

(١) قال الذهبي في الميزان ٢/٤٥٧: عبد الله بن عبد القدوس، كوفي رافضي، نزل الري.. قال يحي: ليس بشيء رافضي خبيث. وقال النسائي وغيره: ليس بثقة.

(٢) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١١٠.

(٣) عند البخاري ١/١٤٦، ٢/٦٧: وفد بني قيس.

(٤) حديث أم سلمة أصله في صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يصلي بعد العصر من الفوائت ونحوها ١/١٤٦. وكتاب السهو، باب إذا كُلِّم وهو يصلي فأشار بيده ٢/٦٧.

وعن أم سلمة ـ أيضاً ـ رضي الله عنها، أنه نزل في بني المصطلق، فيما صنع بهم عاملهم الوليد بن عقبة: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾[1]، الآية. قالت: وكان النبي ﷺ بعثه إليهم يصدق أموالهم، فلما سمعوا به أقبل رَكْبٌ منهم، فقالوا: نسير مع (رسول)[2] رسول الله ﷺ، ونحمله، فلما سمع بذلك، ظن أنهم ساروا إليه ليقتلوه فرجع، فقال: إن بني المصطلق منعوا صدقاتهم يا رسول الله، وأقبل القوم حتى قدموا المدينة، وصفوا وراء رسول الله ﷺ في الصف، فلما قضى الصلاة انصرفوا، فقالوا: إنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، سمعنا يا رسول الله برسولك الذي أرسلت يصدق أموالنا، فسررنا بذلك وقرت به أعيننا، وأردنا أن نلقاه، ونسير مع (رسول)[3] رسول الله ﷺ، فسمعنا أنه رجع، فخشينا أن يكون رده غضب من الله ورسوله علينا، فلم يزالوا يعتذرون إلى النبي ﷺ، حتى نزلت فيهم هذه الآية.

رواه الطبراني، قال الهيثمي: وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف[4].

وفي الصحيح ما يتعلق بالركعتين بعد العصر فقط[5].

وروى الشيخان في: ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟. قال: أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال فأكرم الناس يوسف نبي

---

(١) الآية: ٦ من السورة.

(٢) ساقطة من د.

(٣) ساقطة من د.

(٤) مجمع الزوائد ١١١/٧.

(٥) أخرج البخاري في صحيحه: كتاب المواقيت، باب ما يصلي بعد العصر من الفوائت ١٤٦/١ من طريق عبد الواحد بن الأسود عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ يدعهما سراً ولا علانية، ركعتان قبل الصبح، وركعتان بعد العصر.

(٦) الآية: ١٣ من السورة.

الله، بن نبي الله، بن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب[1] تسألوني؟. قالوا: نعم، قال: فخيـاركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام إذا فقهوا[2].

(۱) قال ابن الأثير في جامع الأصول ۹/۲۲۹: معادن العرب: أصولها التي ينتسبون إليها ويتفاخرون بها.

(۲) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله ابراهيم خليلاً ٤/١١١ وباب ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ٤/١١٩، وباب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ٤/١٢١.
وكتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ ١٥٣/٤٢٢.
وكتاب التفسير، سورة يوسف، باب قوله: ﴿لقد كـان في يوسف وإخـوته آيـات للسائلين ٥/٢١٦.
وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابـة، باب خيـار الناس ١٦/٧٨.

سورة ق

قال الأصفهاني: وتسمى: الباسقات[1].

مكية.

قال الأصفهاني: رواه العوفي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور.

وحكى عن ابن عباس وقتادة: أن فيها آية مدنية: ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض** ﴾[2].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمس وأربعون بالإجماع، ولا اختلاف فيها.

وفيها مما يشبه الفواصل ولم يعده أحد من العادِّين، أربعة مواضع:

---

(١) مأخوذ من قوله تعالى ـ في نفس السورة ـ: والنخل باسقات لها طلع نضيد.

(٢) آية: ٣٨.

﴿ق﴾[1]، ﴿رزقا للعباد﴾[2]، ﴿هذا ما توعدون﴾[3]، ﴿عليهم بجبار﴾[4] وعكسه موضعان: ﴿وثمود﴾[5]، ﴿وإخوان لوط﴾[6].

ورويها سبعة أحرف: جد، صد، جظ، بطر[7].

الجظ - بالجيم والظاء المعجمة -: الضخم [8].

مقصودها

ومقصودها: تصديق النبي ﷺ في الرسالة، التي معظمها الإنذار بيوم الخروج بالدلالة على ذلك، بعد الآيات المسموعة الغنية بإعجازنا عن تأييد الآيات المربية، الدالة قطعاً على الإحاطة بجميع صفات الكمال.

وأحسن من هذا، أن يقال: مقصودها: الدلالة على إحاطة القدرة، التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات، من إحاطة العلم لبيان أنه لا بد من البعث ليوم الوعيد، لتنكشف هذه الإحاطة بما يحصل من الفصل بين العباد بالعدل، لأن ذلك سر الملك، الذي هو سر الوجود والذي تكفل بالدلالة عل هذا كله، ما شوهد من إحاطة مجد القرآن بإعجازه في بلوغه في كل من جمع المعاني، وعلو التراكيب، وجلالة المفردات، وجزالة المقاصد وتلاؤم الحروف،

---

(١) آية: ١.

(٢) آية: ١١.

(٣) آية: ٣٢.

(٤) آية: ٤٥.

(٥) آية: ١٢.

(٦) آية: ١٣.

(٧) الروى في هذه السورة سبعة أحرف كما ذكر المؤلف، وهي حسب ترتيبها في السورة: د، ب، ظ، ج، ط، ص، ر. وظاهر صنيع المؤلف أنها تسعة أحرف حسب ما احتواه نظمه ولكن يلاحظ أن الجيم مكررة فتحسب حرفاً واحداً، والدال مكررة، فتحسب أيضاً حرفاً واحداً، وبإسقاط المكرر يبقى سبعة أحرف، هي روى السورة.

(٨) قال في النهاية ١/٢٧٤: جاء تفسيره في الحديث؛ قيل يا رسول الله، وما الجظ؟. قال: الضخم.

وتناسب النظم ورشاقة الجمع، وحلاوة التفصيل، إلى حد لا تطيقه القوى، من إحاطة أوصاف الرسل، الذي اختاره سبحانه لإبلاغ هذا الكتاب، في الخلق والخلق، وما شوهد من إحاطة القدرة، بما هدى إليه القرآن من آيات الإيجاد والإعدام.

وعلى كل من الاحتمالين، دل اسمها «ق»، بما في آيته من المجد لهذا الكتاب.

والمجد هو الشرف والكرم، والرفعة والعلو، وذلك لا يكون، إلا والآتي به كذلك، وهو ملازم لصدقه في جميع ما أتى به.

وللقاف وحدها أتم دلالة على ذلك.

أولاً بمخرجها، فإنه من أصل اللسان، مما يلي الحلق ويحاذيه من الحنك الأعلى، فإن ذلك إشارة إلى أن المقصود (من)[1] السورة: الأصل والعلو، وكل منهما دل على الصدق دلالة قوية.

فإن الأصل في وضع الخبر: الصدق، ودلالته على الكذب عقلية، لا وضعية، وهي ـ أيضاً ـ محيطة باسمها ومسماها بالمخارج الثلاث، والإحاطة بالحق لا تكون إلا مع العلو وهو لا يكون إلا مع الصدق.

ولإحاطتها سمي بها الجبل المحيط بالأرض[2]، هذا مخرجها.

---

(١) ساقطة من د.

(٢) هذا من الأقوال الساقطة، والتفاسير الهابطة، التي تناقلها بعض المفسرين دون تمحيص وتداولوها بلا تحقيق، فسودوا بها كتبهم، وجعلوها تفسيراً لآيات الذكر الحكيم وليس هناك دليل يؤيدها، أو عقل يقبلها.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٢٢١: «ق» حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور، كقوله تعالى: ص، ون، والم، وحم، وطس. ونحو ذلك، قاله مجاهد وغيره. وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته.

وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا: «ق» جبل محيط بجميع الأرض، يقال له: جبل قاف، وكأن هذا ـ والله أعلم ـ من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب.

وعندي: أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس =

وأما صفتها: فإنها عظيمة في ذلك، فإن لها الجهر، والشدة، والانفتاح، والاستعلاء والقلقلة، وكل منها ظاهر الدلالة على ذلك جيداً.

وأدل ما فيها من المخلوقات على هذا المقصد: النَّخل، لما انفردت به عما شاركها من النبات، بالإحاطة بالطول، وكثرة المنافع، فإنها جامعة للتفكه بالقلب، ثم الطلع، ثم البسر ثم الرطب، وبالاقتيات بالثمر، والخشب والحطب والعصى، والخوص النافع للافتراش وغيره، والليف النافع للحبال وغيرها، وما سوى ذلك من الخلال.

هذا مع كثرة ملابسة العرب ـ الذين هم أول مدعو بهذا الذكر ـ لها، ومعرفتهم بخواصها وأدل ما فيها على العظمة والمجد: الطول، مع أنه ليس لعروقها من الامتداد في الأرض ما لغيرها. ومثل ذلك غير كاف في العادة في

= أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة ـ مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته.

وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: ﴿وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج﴾ فيما قد يجوزه العقل. فأما ما تحيله العقول، ويحكم فيه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل، والله أعلم.

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ولله الحمد والمنة.

حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ـ رحمة الله عليه ـ أورد ههنا أثراً غريباً لا يصح سنده، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق من ورا ء ذلك جبلاً يقال له: قاف السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عد سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سموات، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾. فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع. اهـ.

الإمساك عن السقوط، وفي كثرة الحمل، وعظم الاقتناء وتناضد الثمر.

ولذلك سميت السورة الباسقات، لا النخل.

فضائلها

وأما فضائلها: فإنها أول المفصل، كما مضى في الفضائل العامة في تحزيب القرآن(١).

وقيل: أوله الحجرات.

قال الشيخ محي الدين في شرح المهذب(٢): وحكى القاضي عياض: أنه من الجاثية وهو غريب(٣).

---

(١) راجع: ص.

(٢) المجموع ٣/٣٨٤.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٢٢٠: هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل: من الحجرات، وأما ما يقوله العوام: إنه من «عَمَّ» فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء - رضي الله عنهم - المعتبرين فيما تعلم.

والدليل على أن هذه السورة - يعني سورة ق - هي أول المفصل، ما رواه أبو داود في سننه «باب تحزيب القرآن» (أ)ثم قال: حدثنا مسدد، حدثنا قراب بن تمام - ح - وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشيح، حدثنا أبو خالد، حدثنا سليمان ابن حبان وهذا لفظه، عن عبد الرحمن بن يعلي عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جده قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف. قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له - قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا. قال أبو سعيد قائماً على رجليه حتى يراوح (ب)بين رجليه من طول القيام. فأكثر ما يحدثنا ﷺ ما لقى من قومه قريش، ثم يقول ﷺ، لا سواء(جـ)وكنا =

(أ) ج ٢/٥٥ حديث رقم ١٣٩٣.

(ب) في ابن كثير: يتراوح.

(جـ) في ابن كثير: لا أساء. وفي تهذيب السنن ٣/١١٤: «لا أنسى» وكلاهما غير محفوظ. والمنقول: «لا سواء» كما في سنن أبي داود. ومسند الإمام أحمد ٤/٩، ٣٤٣. وسنن ابن ماجة ١/٤٢٧ حديث رقم ١٣٤٥. وجامع الأصول لابن الأثير ٢/٤٧٤ حديث رقم ٩٣٥.

ومعنى «لا سواء»: أن حالنا الآن غير ما كانت عليه قبل الهجرة.

مستضعفين مستذلين ـ قال مسدد: بمكة ـ فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم، ندال عليهم ويدالون علينا، فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة؟.. قال: ﷺ: إنه طرأ عليّ جزئي (آ) فكرهت أن أجيء حتى أتمه، قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزبون القرآن ؟. فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده.

ورواه ابن ماجة (٤٢٧/١ حديث رقم ١٣٤٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر به.

ورواه الإمام أحمد (٩/٤، ٣٤٣) عن عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن عبد الرحمن ـ هو ابن يعلي الطائفي ـ به.

إذا علم هذا، فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة، فالتي بعدها سورة ق، بيانه: ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء.

وخمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة.

وسبع: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وابراهيم، والحجر، والنحل. وتسع: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور والفرقان.

وأحد عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والم السجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس.

وثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وحم السجدة، وحم عسق، الزخرف والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات.

ثم بعد ذلك: الحزب المفصل، كما قاله الصحابة رضي الله عنهم.

فتعين أن أوله سورة ق، وهو الذي قلناه، ولله الحمد والمنة. اهـ.

وقال الحافظ في الفتح ٢/٢٥٩: إنه من ق إلى آخر القرآن على الصحيح، اهـ.

ومعنى «لا سواء»: أن حالنا الآن غير ما كانت عليه قبل الهجرة.

(آ) في ابن كثير: حزبي. وما أثبتناه فعن سنن أبي داود، وتهذيب السنن للمنذري ١١٤/٢ وجامع الأصول لابن الأثير ٢ /١١٤ حديث رقم ٩٣٥ من رواية أبي داود.

وأما لفظ «حزب» ففي مسند الإمام أحمد ٩/٤، ٣٤٣ وفيه: «قال: طرأ عليّ حزب من القرآن.

وفي سنن ابن ماجة ٤٢٧/١ حديث رقم ١٣٤٥ وفيه: «انه طرأ عليّ حزبي من القرآن».

وقد روى الدارمي عن عبدالله رضي الله عنه موقوفاً عليه: إن لكل شيء سناما، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وإن لكل شيء لبابا، وإن لباب القرآن المفصل[1].

ويشبه أن يكون مرفوعاً حكماً.

قال أبو محمد[2]: اللباب: الخالص[3].

وروى ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الفجر بأول المفصل، فقرأ ذات يوم بقصار المفصل فقيل له في ذلك، فقال: إني سمعت بكاء صبي فأحببت أن أفرغ أمه له[4].

= وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٢/٣٠٧: وللعلماء في المفصل أقوال؛ أحدها: أنه من أول ق، صححه ابن أبي الفتح في مطلعه وغيره. قال الماوردي في تفسيره: حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة للخبر المذكور، اهـ.

قال الحافظ في الفتح ٢/٢٥٩: وسمى مفصلاً لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة على الصحيح. وقال ابن مفلح ٢/٣٠٧: وفي تسميته بالمفصل للعلماء أربعة أقوال:

أحدها: لفصل بعضه - أي السور - عن بعض.

والثاني: لكثرة الفصل بينها ببسم الله الرحمن الرحيم.

والثالث: لأحكامه.

والرابع: لقلة المنسوخ فيه.

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة ٢/٤٤٧.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، صاحب السنن، المتوفى سنة ٢٥٥.

(٣) سنن الدارمي: الموضع السابق.

(٤) كتاب المصاحف ص ١٥٤.

وفيه أبو هارون العبدي عمارة بن جوين، التابعي المتوفى سنة ١٣٤، وهو خارجي كذاب منكر الحديث، (راجع: الميزان ٣/١٧٣. والمغني في الضعفاء ٢/٤٦٠).

وروى ابن أبي داود أيضاً، عن أبي نضرة[١]، عن أبي سعيد مولى بني أسد قال: لما دخل البصريون على عثمان رضي الله عنه، ضربوه بالسيف على يديه فوقعت على: ﴿ **فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم** ﴾[٢]، فمد يده وقال: والله إنها لأول يد خطت المفصل[٣].

وروى عبدالرزاق عن عاصم[٤] بن عمر، أن عمر رضي الله عنه كان يقول لبنيه: إن كان أحد منكم متعلماً، فليتعلم من المفصل فإنه أيسر[٥]

وروى مسلم، والدارمي واللفظ له، والترمذي وقال: حسن صحيح، وعبد الرزاق، عن قطبة بن مالك[٦] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعة الأولى من الفجر: ﴿ **والنخل باسقات لها طلع نضيد** ﴾[٧]. قال سعيد[٨]: وسألته مرة أخرى فقال: سمعته يقرأ بقاف[٩].

---

(١) هو أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي البصري، مشهور بكنيته، كان من ثقات التابعين وثقة يحي بن معين وجماعة. وضعفه العقيلي وابن عدى ولم يذكر سبباً في تضعيفه. توفي سنة ١٠٨.
راجع: الميزان ٤/١٨١ ترجمة رقم ٨٧٦٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٧.

(٣) لم أعثر عليه في كتاب المصاحف له.

(٤) هو عاصم بن عمر بن الخطاب، روى عن أبيه، وروى عنه ابناه حفص وعبيد الله، كان حسن الصورة جميلاً طويلاً، ولد في حياة النبي ﷺ، ومات سنة سبعين.
راجع: الخلاصة ١٨٣، والكاشف ٢/٨١ ترجمة رقم ٢٥٣١.

(٥) المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٨١ حديث رقم ٦٠٣٠.

(٦) هو قطبة بن مالك الذبياني، من ثعلبة بن ذبيان، له صحبة، سكن الكوفة. ضبطه النووي في شرح مسلم ٤/١٧٨ بضم القاف وإسكان الطاء.
راجع: الإصابة ٣/٢٢٩، والإستيعاب على هامش الإصابة ٣/٢٤٧، والخلاصة.

(٧) الآية: ١٠ من السورة.

(٨) هذا خطأ والصواب: «قال شعبة».
راجع: سنن الدارمي ١/٢٩٧.

(٩) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القراءة، في الصبح ٤/١٧٨.

وللترمذي وقال: حسن صحيح، وعبد الرزاق، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سأل أبا واقد الليثي رضي الله عنه: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ به في الفطر والأضحى؟ قال: يقرأ بقاف[1] والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر[2].

وسر ذلك: أن في ق الحث على الاستبصار بما جرت عادة أهل العيد له من الانتشار لنظر البساتين، وفضول الدنيا، والإقبال على الملاذ، وقبض النفس عما تهيأت بالعيد للانبساط فيه من الشهوات، بذكر النار والحشر، وغير ذلك من المواعظ، التي لا توجد في غيرها، مع الوجادة[3]، وهو للقبض عن الدنيا بالكلية، لأنها محل الكدر، والحث على الإقبال على ما عند المليك المقتدر، من دار الصفاء.

وذكر ابن رجب عن كتاب الزهد للإمام أحمد، عن معتمر بن سليمان التميمي[4] قال: صلى بنا أبي فقرأ سورة ق في صلاة الفجر، فلما انتهى إلى

= وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة في الصبح ١/١٨٩ حديث رقم ٣٠٥.

وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في صلاة الصبح ٢/١١٥ حديث رقم ٢٧١٩.

وأخرجه النسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في الصبح بق ٢/١٥٧.

وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/٢٢٩ في ترجمة قطبة بن مالك.

وابن الأثير في الجامع ٥/٣٣٥ حديث رقم ٣٤٣٥.

(١) هكذا في سنن الترمذي ومصنف عبد الرزاق.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب العيدين، باب القراءة في العيدين ٢/٢٣ حديث رقم ٥٣٢.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب صلاة العيدين، باب القراءة في الصلاة يوم العيد ٣/٢٩٨ حديث رقم ٥٧٠٣.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) هو أبو محمد المعتمر بن سليمان بن طرخان، البصري، نزيل تميم، أحد الأعلام، روى عنه عبد الله بن المبارك، وسفيان الثوري، وابن مهدي، وخلق، وكان ثقة في الرواية مات سنة ١٨٧.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٢٦٦، طبقات الحفاظ ١١٤، الخلاصة ٣٩٧.

هذه الآية: ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾[1] غلبته عبرته، ولم يستطع أن يجوزها، فركع.

وقال في مناسبة قراءتها في خطبة الجمعة: إن آخرها حاثٌّ على أمر الله بالتذكير بالقرآن[2].

وروى النسائي على أم هشام[3] بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: ما أخذت «ق والقرآن المجيد» إلا من في[4] رسول الله ﷺ، كان يصلي بها في الصبح[5].

وروى مسلم وأبو داود عنها رضي الله عنها، أنها قالت: ما أخذت «ق والقرآن المجيد» إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها في كل جمعة على المنبر إذ خطب للناس[6].

---

(١) الآية: ١٩ من السورة.

(٢) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٢٢١: والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيامة، والحساب والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، اهـ.
وراجع: شرح مسلم للنووي ٦/١٦١.

(٣) هي أم هشام بنت حارثة بن النعمان بن يفع بن زيد، الأنصارية الصحابية، يبدو أن اسمها وكنيتها واحد، وهي أخت عمرة بنت عبد الرحمن لأمها، روت عن النبي ﷺ، ولها في مسلم حديثين، وروت عنها أختها عمرة ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة.
راجع: تهذيب التهذيب ١٢/٤٨١. والخلاصة ٣/٤٠٤، والكاشف ٣/٤٩٢.

(٤) رواية النسائي: إلا من وراء رسول الله ﷺ.

(٥) سنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في الصبح ٢/١٥٧.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٦/١٦١.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس ١/٢٨٨ حديث رقم ١١٠٠.

ولفظ أبي داود: وكانت تنورنا[1] وتنور رسول الله ﷺ واحداً[2].

---

(1) قال النووي في شرح مسلم ١٦١/٦: إشارة إلى حفظها ومعرفتها بأحوال النبي ﷺ، وقربها من منزله.

(2) وبهذا اللفظ رواه مسلم أيضاً.

راجع: صحيح مسلم ١٦١/٦.

سورة والذاريات

مكية جماعاً.

وآيها ستون باتفاق العادين، ولا اختلاف فيها، ولا ما يشبه الفاصلة، ولا عكسه.

ورويها ثمانية أحرف: قرّ، من، وكفّ[1].

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على صدق ما أنذرت به سورة ق تصريحاً، وبشرت به تلويحاً، ولا سيما من مصاب الدنيا، وعذاب الآخرة.

---

(١) القاف: روى الآية ٥.
العين: روى الآية ٦.
الفاء: روى الآية ٨.
الواو: روى الآية ١.
الكاف: روى الآيتين: ٧ - ٩.
والباقي مكرر في السورة بكثرة.

واسمها «الذاريات» ظاهر في ذلك، بملاحظة جواب القسم، فإنه - لشدة الارتباط - كالآية الواحدة وإن كان خمسا [1].

وللتعبير عن الرياح بالذاريات، أتم إشارة إلى ذلك، فإن تكذيبهم بالوعيد، لكونهم لا يشعرون بشيء من أسبابه، وإن كانت موجودة معهم، كما أن يأتي من السحاب من الرحمة والنقمة، أسبابه موجودة، وهي الرياح، وإن كانوا لا يرونها، والريح من شأنها الذر، وهوالتفريق، فإذا أراد الله جمعت، فكان ما أراد، فإنها تفرق الأبخرة، فإذا أراد سبحانه جمعتها فحملها سبحانه ما أوجد فيها، فأوقرها به، فأجراها إجراءً سهلاً، فقسم منها ما أراد، تارة برقاً، وأخرى رعداً، يصلّ صليل الحديد على الحديد، أو الحجر على مثله، مع لطافة السحاب.

وكل ما نشاهد فيه من الأسباب: آونة مطراً، ومرة ثلجاً، أو برداً، وحيناً صواعق ونيراناً ووقتاً جواهر ومرجاناً، فتكون مرة سروراً ورضواناً، وأخرى غموماً وأحزاناً، وغبناً وخسرانا، على أنهم أخيل الناس في بعض ذلك، يعرفون السحاب الذي يخيّل المطر، والذي لا يخيّله، و والذي مطره دان، والذي لم يأن له أن يمطر، إلى غير ذلك ذكرها أهل الأدب وحَمَلَةُ اللغة عنهم وكل ذلك بتصريف الملائكة عن أمر الله تعالى.

ولذلك - والله أعلم - سُنَّ أن يقال عند الرعد: سبوح قدوس، بياناً لأن المصرف الحق هو الله رب الملائكة.

أي الذين أقيموا لهذا، والروح، أي الذي يحمله هذا الجسم من مطر، أو نار، أو غيرهما والله الموفق.

---

(١) إن كان يعني بجواب القسم: المقسم به، فهو خمس: الذاريات، والحاملات، والجاريات والمقسمات، والسماء.

وإن كان يعني به: المقسم عليه، فهو ثلاثة فقط: إنما توعدون لصادق، وإن الدين لواقع.... إنكم لفي قول مختلف.

فضائلها

وأما ما ورد فيها: ففي قوله تعالى: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾[(١)].

روى البغوي من طريق البخاري عن عبادة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من تعارّ من الليل[(٢)]، فقال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله[(٣)]، ثم قال: اللهم اغفر لي ـ أودعا ـ استجيب له، فإن توضأ[(٤)]، قبلت صلاته[(٥)].

وتقدم في لقمان حديث في فضلها[(٦)].

---

(١) الآية: ١٨ من السورة.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ١٩٠/١: أي هب من نومه واستيقظ.
وقال في جامع الأصول ٢٧٠/٤، ٤٣٥/٩: إذا انتبه من نومه وله صوت.
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٠/٣: ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لما صوت به المستيقظ، لأنه قد يصوت بغير ذكر، فجعل الفضل المذكور بمن صوت بما ذكر من ذكر الله تعالى، اهـ.

(٣) زاد ابن ماجة ١٢٧٦/٢ حديث رقم ٣٨٧٨ وابن السنى ص ٢٧٣: «العلى العظيم».

(٤) عند أبي داود ٣١٤/٤ حديث رقم ٥٠٦٠ وابن ماجة حديث رقم ٣٨٧٨: فإن قام وتوضأ ثم صلى قُبلت صلاته.
وعند أحمد في المسند ٣١٣/٥ والترمذي ١٤٤/٥ حديث رقم ٣٤٧٤: فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته.

(٥) تفسير البغوي على هامش الخازن ٢٠٢/٦.
وصحيح البخاري: كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى ٤٨/٢.
قال الحافظ في الفتح ٤١/٣: قال ابن بطال: وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهجا لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك، والإعتراف بنعمته يحمده عليها وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه. أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته. فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى، اهـ.

(٦) راجع:

سورة والطور

مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها أربعون وسبع آيات في المدنيين والمكي، وثمان في البصري، وتسع في الكوفي والشامي. اختلافها آيتان:

﴿ والطور ﴾(١)، لم يعدها المدنيان والمكي، وعدها الباقون.

﴿ إلى نار جهنم دَعًّا ﴾(٢)، عدها الكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد بإجماع، موضعان:

﴿ يوم يُدَعُّون ﴾(٣)، ﴿ سرر مصفوفة ﴾(٤).

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ١٣.

(٣) الآية: ١٣.

(٤) الآية: ٢٠.

وعكسه ثلاثة مواضع:

﴿ لواقع ﴾[(١)]، ﴿ ولكم البنون ﴾[(٢)]﴿ حين تقوم ﴾[(٣)].

ورويها أربعة أحرف: نعمر[(٤)].

مقصودها

ومقصودها: تحقيق وقوع العذاب، الذي هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه في الذاريات، الذي هو مضمون الإنذار المدلول على صدقه في ق، وأن وقوعه أثبت وأمكن من الجبال التي أخبر الصادق بسيرها، وجعل دك بعضها آية على ذلك، ومن الكتاب في أثبت أوضاعه، لإمكان غسله وحرقه ومن البيت الذي يمكن عامره وغيره إخرابه، والسقف الذي يمكن رافعه وضعه، والبحر الذي يتمكن من سحره أن يرسله.

وقد بان أن اسمها أدل ما يكون على ذل، بملاحظة القسم وجوابه، حتى بمفردات الألفاظ في خطابه[(٥)].

---

(١) الآية: ٧.

(٢) الآية: ٣٩.

(٣) الآية: ٤٨.

(٤) كذا كما قال الشيخ، وهي موزعة بكثرة على آيات السورة.

(٥) سورة الطور مكية، وهي تعالج قضية العقيدة وأصولها، وهي: الوحدانية، والرسالة والبعث، والجزاء.

ابتدأت السورة بالحديث عن أهوال الآخرة وشرائرها، وعما يلقاه الكفار في ذلك الموقف الرهيب، وهو موقف الحساب، وأقسمت على أن العذاب نازل بالكفار لا محالة لا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع.

ثم تناولت الحديث عن المتقين في جنات النعيم، على سرر متقابلين، وقد جمع الله لهم أنواع السعادة، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ثم تحدثت عن رسالة سيدنا محمد ﷺ، وأمرته بالتذكير والإنذار وأنه ليس بكاهن ولا مجنون، كما زعم المجرمون.

وختمت السورة الكريمة بالتهكم بالكافرين، وأوثانهم الباطلة، بطريق التوبيخ والتقريع وبينت شدة عنادهم، وفرط طغيانهم، وأمرت الرسول ﷺ بالصبر على تحمل الأذى في سبيل الله حتى يأتي نصر الله.

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى الشيخان، وأبو داود، وابن ماجة، والنسائي، والدارمي، والبغوي من طريق أبي مصعب[١] عن مالك، وأورده الترمذي بغير سند؛ عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور[٢].

قال البخاري في التفسير: فلما بلغ هذه الآية ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون، أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون** ﴾[٣]، كاد قلبي أن يطير[٤].

---

(١) هو أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الباسم بن الحارث بن زرارة، الزهري المدني الفقيه قاضي المدينة، روى عن مالك وابراهيم بن سعد، وعنه روى أبو حاتم وأبو زرعة والجماعة إلا النسائي، وكان ثقة ثبتا، مات سنة ٢٤٢ في رمضان عن اثنين وتسعين سنة.

راجع: طبقات الحفاظ ٢٠٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب الجهر في المغرب ١/١٨٦، وكتاب الجهاد باب فداء المشركين ٤/٣٠، وكتاب المغازي، باب (١٢) حدثني خليفة ٥/٢٠.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في المغرب ١/٢٩٨ حديث رقم ٨١١.

وسنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في المغرب بقصار المفصل ٢/١٦٩.

وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب في القراءة في المغرب ١/١٩٢ حديث رقم ٢٠٧.

وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب في قدر القراءة في المغرب ١/٢٩٦.

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب القراءة في صلاة المغرب ١/٢٧٢ حديث رقم ٨٣٢.

وتفسير البغوي على هامش الخازن ٦/٢١٢.

ورواه مالك في الموطأ: كتاب الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ١/٧٨.

(٣) الآيات: ٣٥ ـ ٣٧ من السورة.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الطور ٦/١٧٥ من حديث أم سلمة.

وقال ابن ماجة: فلما سمعته يقرأ: ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾[1] كاد قلبي يطرب[2].

وذكر ابن رجب عن كتاب «الزهد» للإمام أحمد، عن ابن عبد العزيز بن سلمان قال: قرأ رجل عند أبي «والطور» حتى انتهى إلى: ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾[3] فبكى القوم، حتى ما كنت أسمع قراءة القارىء[4].

وروى أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) الآيات: ٣٥ ـ ٣٨.

(٢) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب القراءة في صلاة المغرب ٢٧٢/١ حديث رقم ٨٣٢.

(٣) الآيات: ١ ـ ٧.

(٤) وروى أبو بكر بن أبي الدنيا أن عمر رضي الله عنه خرج يعس المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته، فقرأ ﴿والطور ـ حتى بلغ ـ: إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع﴾ قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره، واستند إلى حائط فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه.

قال الشهيد سيد قطب في الظلال ٣٣٩٤/٦: وعمر ـ رضي الله عنه ـ سمع السورة قبل ذلك وقرأها، وصلى بها، فقد كان رسول الله ﷺ يصلي بها المغرب وعمر يعلم ويتأسى، ولكنها في تلك الليلة صادفت منه قلباً مكشوفاً، وحسا مفتوحاً فنفذت إليه، وفعلت به هذا الذي فعلت، حتى وصلت إليه بثقلها وعنفها وحقيقتها اللدنية المباشرة التي تصل الى القلوب في لحظات خاصة، فتتخللها وتتعمقها في لمسة مباشرة كهذه اللمسة، تلقي فيها القلب الآية من مصدرها الأول، كما تلقاها قلب رسول الله ﷺ فأطاقها لأنه تهيأ لتلقيها، فلما غيره فيقع لهم شيء مما وقع لعمر رضي الله عنه، حين تنفذ إليهم بقوة حقيقتها الأولى.

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من جلس مجلساً كثر فيه لغطه[1]، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كان كفارة لما بينهما[2].

وفي رواية: إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك[2].

قال ابن عباس: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾[3] أي من مقامك[4].

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٤/٢٥٧: اللغط: صوت وضجة لا يفهم معناها. وقال في جمع الأصول ٤/٢٧٧: اللغط: الرديء من الكلام والقبيح.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس ١/٢٦٥ حديث رقم ٤٨٥٨.
وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه ٥/١٥٨ حديث رقم ٣٤٩٤.
والمستدرك للحاكم: كتاب الدعاء، باب الاستغفار عند القيام من المجلس ١/٥٣٦.
وقال: صحيح على شرط مسلم إلا أن البخاري قد علله.
ولهذا الحديث طرق كثيرة أوردها ابن كثير في تفسيره ٤/٢٤٤.

(٣) الآية: ٤٨ من السورة.

(٤) وقيل: معنى التسبيح الصلاة. والمراد بالقيام: القيام من النوم، واختاره ابن جرير في تفسيره ٢٧/٢٣، وخصه بالقيام من نوم القيلولة، قال: وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: وصلِّ بحمد ربك حين تقوم من منامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عَنَى صلاة الظهر.
قال: وإنما قلنا: عنى به القيام من نوم القائلة، لأنه لا صلاة تجب فرضاً بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف، إلا بعد نوم الليل وذلك صلاة الفجر. أو بعد نوم القائلة وذلك صلاة الظهر، فلما أمر بعد قوله ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ بالتسبيح بعد ادبار النجوم وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلاً، علم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم، هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام نوم القائلة على ما ذكرنا، دون القيام من نوم الليل.

وروى أبو عبيد عن يحي بن حمـزة[1] عن أبيه، عن جـده، قال: افتتحت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما سورة الطور، فلما انتهت إلى قوله: ﴿ **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾[2] ذهبت إلى السوق في حاجة، ثم رجعت وهي تكررها: ووقانا عذاب السموم، ووقانا عـذاب السموم وهي في الصلاة[3].

---

(١) هو أبو عبد الرحمن يحي بن حمزة بن واقد الحضرمي، قاضي دمشق، وثقه ابن معين وأبو داود والنسائي، وغيرهم. ورماه دُحيم بالقدر مات سنة ١٨٣.
راجع: الخلاصة ٤٢٢.

(٢) الآية: ٢٧ من السورة.

(٣) وروى مثله ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها.
راجع: تفسير ابن كثير ٤/٢٤٣.

سورة والنجم

مكية اجماعاً.

عدد آياتها

وآيها ستون وآيتان في الكوفي والشامي، وآية في عدد غيرهما.
اختلافها ثلاث آيات:
عد الكوفي ﴿ **من الحق شيئاً** ﴾[1]، ولم يعدها الباقون.
وعد الشامي ﴿ **عن من تولى** ﴾[2]، ولم يعدها الباقون.
ولم يعد الشامي ﴿ **إلا الحياة الدنيا** ﴾[3]، وعدها الباقون[4].
وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، ثلاثة مواضع:

---

(١) الآية: ٢٨.
(٢) الآية: ٢٩.
(٣) الآية: ٢٩.
(٤) في د: ولم يعد الشامي «الا الحياة الدنيا» ولم يعدها الباقون.

﴿ عن ذكرنا ﴾[1]، ﴿ هو أغنى ﴾[2]، ﴿ وتضحكون ﴾[3].

ورويها إن جعلنا الألف رويا، كان المقصود[4] خمسة أحرف: أفدنا[5]. وإلا: فرويها تسعة عشر حرفاً: عسل أزد، غر ثقيف، وضحك شنه[6].

---

(١) الآية: ٢٩.

(٢) الآية: ٤٨.

(٣) الآية: ٦٠.

(٤) في د: كالمقصود.

(٥) الهمزة: «وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً»، آية ٢٨.
والدال: «فاسجدوا لله واعبدوا»، آية ٦٢.
والفاء: «أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة» آية ٥٧ ـ ٥٨.
والنون: «أفمن هذا الحديث تعجبون، وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون» آية ٥٩ ـ ٦١.
والألف: باقي آيات السورة.

(٦) وذلك بإسقاط الألف واعتبار أنها ليست من أحرف الروي في السورة. وبيانها على النحو التالي:
العين: ﴿وان ليس للإنسان إلا ما سعى﴾: آية ٣٩.
والسين: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى﴾: آية ٣٦.
واللام: ﴿وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى﴾: الآيتان ٧ ـ ٨.
﴿فللّه الآخرة والأولى﴾: آية ٢٥.
﴿أفرأيت الذي تولى﴾: آية ٣٣.
﴿ وأنه أهلك عادا الأولى﴾: آية ٥٠.
﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾: آية ٥٦.
والهمزة: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى ١١﴾، من الحق شيئاً ٢٨.
والزاي: ﴿والعزى ١٩﴾، ﴿قسمة ضيزي ٢٢﴾.
والدال: ﴿من ربهم الهدى ٢٣﴾، ﴿بمن اهتدى ٣٠﴾، ﴿وأكدى ٣٤﴾، ﴿واعبدوا ٦٢﴾.
والغين: ﴿وما طغى ١٧﴾، ﴿أظلم وأطغى ٥٢﴾.
والراء: ﴿على ما يرى ١٢﴾، ﴿آيات ربه الكبرى ١٨﴾، ﴿الأخرى ٢٠﴾، ﴿فهو يرى ٣٥﴾، ﴿وزر أخرى ٣٨﴾، ﴿سوف يرى ٤٠﴾، ﴿النشأة الأخرى ٤٧﴾، رب الشعري ٤٩﴾، ﴿تتمارى ٥٥﴾.

مقصودها

ومقصودها: ذم الهوى، لإنتاجه الضلال، بالإخلاد إلى الدنيا، التي هي دار الكدر والبلاء والتصرم والفناء. ومدح العلم، لإثماره الهدى، في الإقبال على الأخرى، لأنها دار البقاء، في السعادة أو الشقاء. والحث على اتباع النبي ﷺ في نذارته التي بينتها ق، وصدقتها الذاريات وأوقعتها الطور.

كما يتبع في بشارته، لأن علمه هو العلم، لأنه لا ينطبق عن الهوى، لا في صريح كتابه، ولا في بيانه له، لأن الكل عن الله الذي له صفات الكمال[1] فلا بد من بعث الخلق إليه، وحشرهم لديه، لتظهر حكمته غاية الظهور، فيرفع أهل التزكي والطهور، ويضع أهل التدسي والفجور ويفضح كل متحل بالزور، منتحل للشرور.

وعلى ذلك دل اسمها «النجم»، لمن تأمل القسم والجواب، وما نظم به من نجوم الكتاب[2].

= والثاء: ﴿وله الأنثى ١١﴾، ﴿تسمية الأنثى ٢٧﴾، الذكر والأنثى ٤٥﴾.
والقاف: ﴿بمن اتقى ٣٢﴾، ﴿فما أبقى ٥١﴾.
والياء: ﴿الحياة الدنيا ٢٩﴾، ﴿أمات وأحيا ٤٤﴾.
والفاء: ﴿الذي وفي ٣٧﴾، ﴿الجزاء الأوفى ٤١﴾، ﴿الآزفة، كاشفة ٥٧ ـ ٥٨﴾.
والواو: ﴿هوى، غوى، الهوى ١ ـ ٣﴾، ﴿شديد القوى ٥﴾، ﴿فاستوى ٦﴾ ﴿المأوى ١٥﴾، ﴿أهوى ٥٣﴾..
والضاد: ﴿يرضي ٢٦﴾.
والحاء: ﴿وحي يوحي ٤﴾، ﴿ما أوحى ١٠﴾.
والكاف: ﴿وأبكى ٤٣﴾.
والشين: ﴿يغشي ١٦﴾، ما غشى ٥٤﴾.
والنون: ﴿أو أدنى ٩﴾، ﴿تمنّى ٢٤﴾، ﴿بالحسني ٣١﴾، ﴿إذا تمنى ٤٦﴾، ﴿أقنى ٤٨﴾، ﴿تعجبون، تبكون، سامدون ٥٩ ـ ٦١﴾.
والهاء: ﴿سدرة المنتهي ١٤﴾، ﴿وأن الى ربك المنتهي ٤٢﴾.

(١) ويدل عليه قوله ﷺ: ﴿ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه﴾ يعني السنة.

(٢) الموضوع الذي تعالجه هذه السورة هو موضوع السور المكية على الإطلاق: العقيدة =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البزار بإسناد جيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ تليت عنده سورة النجم، فلما بلغ السجدة سجد، وسجدنا معه، وسجدت الدواة والقلم(١).

قال النووي في التبيان: وثبت في الصحيحين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أنه قرأ على النبي ﷺ (النجم)(٢)، فلم يسجد(٣).

وثبت في الصحيحين أنه ﷺ سجد في النجم(٤).

= بموضوعاتها الرئيسية: الوحي، والوحدانية، والآخرة.

والسورة تستهدف بيان حقيقة الوحي وطبيعته، وتثبت صحته وواقعيته، وتؤكد تلقي رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، تلقى رؤية وتمكن ودقة، وإطلاع الرسول على آيات ربه الكبرى. كما تبين وهن عقيدة الشرك، وأوهام المشركين في اعتقادهم أن الملائكة بنات الله، واعتمادهم في هذا كله على مجرد الظن والتخمين، وفي أواخر السورة يدور الحديث عن دقة الحساب، وعدالة الجزاء، وانتهاء الخلق إلى ربهم المتصرف في أمرهم، ولفت أنظار المشركين إلى مصارع الغابرين: ﴿وأنَّهُ أهلك عادا الأولى وثمودَ فما أبقى، وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى، والمؤتفكة أهوى﴾.

ثم تختم بالحديث عن الرسول ونبوته، وعن يوم القيامة ووقوعه:

﴿هذا نذير من النذر الأولى. أزفت الآزفة...﴾ الآيات.

(١) قال الحافظ في الفتح ٢/٥٥٥: رجاله ثقات.

(٢) ساقطة من د.

(٣) صحيح البخاري: كتاب سجود القرآن، باب من قرأ السجدة ولم يسجد ٢/٣٦.
وصحيح مسلم: كتاب المساجد، باب سجود التلاوة ٥/٧٥.

(٤) صحيح البخاري: كتاب سجود القرآن، باب سجدة النجم ٢/٣٦. وكتاب التفسير ٦/١٧٧.
وصحيح مسلم: كتاب المساجد، باب سجود التلاوة ٥/٧٥.
كلاهما من حديث عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم.

فدل على أنه ليس بواجب[1].

وقال المنذري في الترغيب في البكاء من خشية الله: وروى عن أبي هـريرة رضي الله عنـه قال: لمـا نزلت ﴿ **أفمن هـذا الحديث تعجبـون وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون** ﴾[2] بكى أصحاب الصفة، حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع رسول الله ﷺ حسهم بكى معهم، فبكينا لبكائه. فقال رسول الله ﷺ: لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة مُصِرٌّ على معصية الله، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم. رواه البيهقي[3].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجد النبي ﷺ

---

(١) إلى هنا ينتهي كلام النووي في التبيان ص ٩٦.
قال الحافظ في الفتح ٢/٥٥٥: ترك حينئذٍ لبيان الجواز، وهذا أرجح الإحتمالات، وبه جزم الشافعي اهـ.
وقال السندي في شرح سنن النسائي ٢/١٦١: استدل به من لا يرى السجود في المفصل كمالك، وحمل ما جاء في سجود النجم على النسخ، لكونه كان بمكة.
أجيب: بأن القارىء إِمَامٌ للسامع، فيجوز أنه ﷺ ترك السجود اتباعاً لزيد، لأنه القارىء فهو إِمَامٌ، وترك زيد لأجل صغره، فلا دلالة في الحديث على عدم السجود، وأجيب أيضاً: بأنه لعله على غير وضوء فأخره، فظنه زيد أنه ترك، بل لعل كلام زيد أنه لم يسجد في الحال، بل أخره.
قال: وبالجملة: فقد جاء عن أبي هريرة وغيره: أن النبي ﷺ سجد في المفصل، فالأخذ برواية المثبت أولى من النافي، لجواز أنَّ النافي ما اطلع عليه وفي شرح الموطأ: وقال بالسجود في المفصل؛ الخلفاء الأربعة، والأئمة الثلاثة، اهـ.

(٢) الآيات: ٥٩ ـ ٦١.

(٣) هذا حديث ظاهر البطلان، والقول بثبوته خطأ بيِّن لأن السورة مكية بِلا خلاف، وأهل الصفّة ما كانوا إلا في المدينة، بمسجد رسول الله ﷺ، وأين أبو هريرة وقت نزولها وهو لم يسلم إلا عام خيبر؟.

بالنجم وسجد المسلمون معه والمشركون[١]، والإنس والجن[٢].

وروى ـ أيضاً ـ عن عبد الله رضي الله عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة: النجم، قال: فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً[٣]، وهو أمية بن خلف[٤].

وقال ابن رجب: وروى وكيع بن زياد بن أبي مسلم، عن صالح أبي الخليل[٥]، قال: ما رؤي رسول الله ﷺ مبتسماً ـ أو قال: ضاحكاً ـ منذ أنزلت عليه هذه الآية: ﴿ **أفمن هذا الحديث تعجبون، وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون** ﴾[٦].

---

(١) في سبب سجود المشركين مع المسلمين. وردت روايات باطلة مجملها: أن رسول الله ﷺ مدح آلهتهم وأثنى عليها بما ألقاه الشيطان على لسانه ﷺ، فسجد المشركون لذلك.

راجع: شرح مسلم للنووي ٧٥/٥، وفتح الباري لابن حجر ٤٣٨/٨، وشرح سنن النسائي للسفدي ٢٦٠/٢، وظلال القرآن للشهيد سيد قطب ٣٤١٩/٦.

(٢) صحيح البخاري: كتاب سجود القرآن، باب سجود المسلمين مع المشركين ٣٦/٢، وكتاب التفسير، سورة النجم ١٧٧/٦.

قال الحافظ ابن كثير: انفرد به ـ يعني البخاري ـ دون مسلم.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ٧٥/٥: قتل يوم بدر كافراً، ولم يكن أسلم قط.

وفي سيرة ابن هشام ٦٣٢/٢: أن الذي قتله بلال ونفر من المسلمين بعد أن وقع أسيراً في يد عبد الرحمن بن عوف.

(٤) صحيح البخاري: كتاب سجود القرآن، باب سجود القرآن وسننه ٣١/٢، وباب سجدة النجم ٣٢/٢. وكتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ من المشركين بمكة ٢٣٩/٤. وكتاب المغازي، باب قتل أبي جهل ٧/٥، وكتاب التفسير سورة النجم ٥٢/٦.

(٥) هو صالح بن أبي مريم الضبعي ـ بضم الضاد المعجمة، وفتح الباء الموحدة ـ مولاهم، أبو الخليل البصري، روى عن أبي سعيد وأبي قتادة وجماعة، وروى عنه مجاهد وعطاء ومنصور بن المعتمر، وثقه ابن معين والنسائي. وقال الذهبي: ثقة.

راجع: الخلاصة ١٧١. والكاشف ٢٣/٢.

(٦) الآيات: ٥٩ ـ ٦٢.

سورة القمر

وتسمى: اقتربت.
مكية إجماعاً.
وقال أبو حيان: وقيل: غير ذلك[1].

عدد آياتها

وآيها خمسون وخمس باجماع أهل العدد، وليس فيها اختلاف، ولا ما يشبه الفواصل ورويها حرف واحد: الراء.

مقصودها

ومقصودها: بيان آخر النجم في أمر الساعة، من تحققها، وشدة قربها، وتصنيف أهلها باعتبار ما ذكر هنا، من العجب من القرآن، والضحك

(١) البحر المحيط ١٧٣/٨.

والبكاء والعمل، إلى طالب علم مهتد به فهو فائز. وإلى مُتْبِعٍ نَفْسَهُ شَهَوَاتِها، ضال بإهمالها فهو خائب.

وذلك لأنه سبحانه وعد بذلك، باختيار نبيه ﷺ عنه به، وتحقق صدقه بما أيده به من آياته التي ثبت بها اقتداره على ما يريد، من الايجاد والإعدام، فثبت[1] تفرده بالملك، وأيد اقترابها بالتأثير في آية الليل[2]، بما يدل على الاقتدار على نقض السموات المستلزم لإهلاك الأرض، فأذن ذلك بأنه ما بقي إلا تأثير آية النهار[3]، وعندها يكون طي الانتشار، وعموم البوار، المؤذن بالاحضار، لدى الواحد القهار.

وأدل ما فيها على هذا الغرض كله: أول آياتها، فلذلك سميت بما تضمنته من الاقتراب والقمر.

وكانت تسميتها بالقمر أشهر، لدلالته على الاقتراب المختتم به النجم، بالإشارة، لا بالعبارة ولم تسم بالاشتقاق، لأنه إذا أطلق، انصرف إلى الإثم، فكانت السماء به أحق.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى مسلم والأربعة عن عبدالله، بن عبد الله، بن عتبة، بن مسعود أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سأل أبا واقد الليثي[4]

---

(١) في د: فثبت.

(٢) المراد بآية الليل: القمر، كما في قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة...﴾.

(٣) أي الشمس، وذلك يكون بانقلاب حالها، المذكور في قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ وهذا يؤذن بانقلاب نواميس الكون، واضطراب ما فيه، ويقوم الناس لرب العالمين.

(٤) قال ابن عبد البر في الإستيعاب على هامش الإصابة ٢١١/٤: واختلف في اسمه=

رضي الله عنه: ماذا كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟. قال: كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر(١).

وروى أبو الشيخ في كتاب «الثواب» عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة: ألم تنزيل، ويس، وتبارك الذي بيده الملك، واقتربت كن له نوراً(٢).

= فقيل: الحارث بن عوف بن الحارث. وقيل: الحارث بن مالك بن أسيد بن جابر بن عوثرة ابن عبد مناة. شهد بدراً مع النبي ﷺ، وكان قديم الإسلام. وجاور بمكة سنة ومات بها فدفن في مقبرة المهاجرين سنة ثمان وستين. وهو ابن خمس وسبعين سنة. وقيل: خمس وثمانين سنة اهـ. بتصرف.

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ في صلاة العيدين ٦/١٨١.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر ١/٤١٠ حديث رقم ١١٥٤.
وصحيح الترمذي: كتاب العيدين، باب القراءة في العيدين ٢/٢٣ حديث رقم ٥٣٢.
وسنن النسائي: كتاب صلاة العيدين، باب القراءة في العيدين بقاف واقتربت ٣/١٨٣.
وسننن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين ١/٤٠٨ حديث رقم ١٢٨٢.
قال الحافظ ابن القيم في تهذيب السنن ٢/٣٢: وسؤال عمر عن هذا ومثله لا يخفى عليه، لعله ليخبره هل حفظه أم لا؟. أو يكون دخل عليه الشك، أو نازعه غيره فأحب الإستشهاد؛ أو نسيه، والله أعلم، اهـ.
والحكمة من قراءة هاتين السورتين في صلاة العيدين، قال النووي في شرح مسلم ٦/١٨٢؛ لما اشتملنا عليه من الأخبار بالبعث، والإخبار عن القرون الماضية، وإهلاك المكذبين وتشبيه بروز الناس للعيد ببروزهم للبعث، وخروجهم من الأجداث كأنهم جراد منتشر والله أعلم، اهـ.
وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٢٦٠: وكان - يعني النبي ﷺ - يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتمالها على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد، وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة، اهـ.

(٢) قال الشوكاني في الفوائد ٣١١: في إسناده كذاب.
وقال الفتني في تذكرة الموضوعات: فيه الحكم كذاب.

وللحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن أبي عبد الرحمن السلمي، أن حذيفة رضي الله عنه خطبهم بالمدائن يوم جمعة فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ألا وأن الساعة قد اقتربت، ألا وإنَّ القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد أذنت بفراق، ألا وإنَّ اليوم المضمار وغداً السباق، ألا وإنَّ الغاية النار، والسباق من سبق إلى الجنة[١].

ورواه عبد الرزاق عن ابن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت حذيفة رضي الله عنه يوم الجمعة (وهو)[٢] على المنبر قرأ: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾، (فقال: قد اقتربت الساعة، وقد انشق القمر)[٣]، واليوم المضمار[٤]، وغدا السباق[٥].

وللطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من سأل عني، أو سره أن ينظر إليَّ، فلينظر إلى أشعث، شاحب، مشمر، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قضبة على قصبة، رفع له علم فشمر إليه، اليوم المضمار، وغدا السباق، والغاية الجنة أو النار.

وروى الطبراني ـ قال المنذري: ورواته محتج بهم في الصحيح، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[٦] ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول

---

(١) المستدرك: كتاب الأهوال، باب خطبة حذيفة رضي الله عنه في أمر الساعة ٤/٦٠٩.
(٢) زيادة عن مصنف عبد الرزاق.
(٣) ما بين المربعين ساقط من د.
(٤) قال ابن الأثير في النهاية ٣/٩٩: أي اليوم العمل في الدنيا للإستباق في الجنة والمضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل، ويكون وقتاً للأيام التي تضمر فيها.
(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب الجمعة، باب القراءة على المنبر ٣/١٩٣ حديث رقم ٥٢٨٥.
(٦) الترغيب والترهيب: كتاب التوبة والزهد، باب الترغيب في ذكر الموت وقصر الأمل ٤/٢٤٥.

الله ﷺ: اقتربت الساعة، ولا تزداد منهم إلا بُعداً[1].

ولفظ الحاكم: اقتربت الساعة، ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً، ولا يزدادون من الله إلا بعداً[2].

وروى البخاري وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما[3].

---

(١) هكذا ذكره المنذري في الترغيب والترهيب بهذا اللفظ.

(٢) المستدرك ٤/٦٠٩.

(٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ٥/٦٢ وكتاب التفسير، سورة القمر ٦/١٧٨.

وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر ١٧/١٤٥.

ورواه الإمام أحمد في مسنده ١/٤١٣ من حديث عبد الله بن مسعود ونصه: عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر.

سورة الرحمن عز وجل

وتسمى: عروس القرآن، والرفرف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال النسفي: والضحاك ـ: مكية.

وقال قتادة ـ قال النسفي: ومقاتل بن حيان والواقدي ـ: (مدنية)[1].

وقال الأصفهاني: وقيل فيها مكي ومدني.

قال أبو حيان: هي مكية في قول الجمهور[2].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها سبعون وست في البصرى، وسبع في المدنيين والمكي، وثمان في الكوفي والشامي.

اختلافها خمس آيات:

(١) زيادة عن د.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ١٨٧/٨.

﴿ **خلق الإنسان** ﴾[1] الأول، لم يعدها المدنيان، وعدها الباقون.
﴿ **وضعها للأنام** [2] لم يعدها المكي، وعدها الباقون.
﴿ **شواظ من نار** ﴾[3] عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.
﴿ ﴿ **يكذب بها المجرمون** ﴾[4]، لم يعدها البصري، وعدها الباقون.
وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد بإجماع، موضعان:
﴿ **خلق الإنسان** ﴾[5] الثاني، ﴿ **رب المشرقين** ﴾[6].
وعكسه موضع: ﴿ **خلق الإنسان** ﴾ الأول.
ورويها ثلاثة أحرف: نمر[7].

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على ما ختمت به القمر من عظيم الملك، وتمام الاقتدار، بعموم رحمته، وسبقها بغضبه، المدلول عليه بكمال علمه، اللازم عليه مول قدرته، المدلول عليه بتفصيل عجائب مخلوقاته، وبدائع مصنوعاته، في أسلوب التذكير بنعمائه، والامتنان بجميل آلائه، على وجه منتج للعلم بإحاطته بجميع أوصاف الكمال.

فمقصودها بالذات: إثبات الاتصاف بعموم الرحمة، ترغيباً في إنعامه، بمزيد امتنانه وترهيباً من انتقامه، بقطع إحسانه.

وعلى ذلك دل اسمها «الرحمن»، لأنه العام الامتنان.

---

(١) آية: ٣.
(٢) آية: ١٠.
(٣) آية: ٣٥.
(٤) آية: ٤٣.
(٥) آية: ١٤.
(٦) آية: ١٧.
(٧) الراء روى الآيتين: ١٤ ـ ١٥.
وأما حرف النون فمكرر في السورة بكثرة. ويليه الميم.

واسمها «عروس القرآن» واضح البيان في ذلك، لأنها الحاوية لما فيه من حلى وحلل وجواهر وكلل، والعروس مجمع النعم، والجمال والبهجة، في نوعها والكمال.

وكذا «الرفرف» بما في آيته من جليل الإنعام، البالغ إلى أنهى غايته.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البيهقي في الشُّعب عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن[1].

وسر ذلك والله أعلم، أن العروس تمام نعمة الإنسان، وغاية تمتعه، لما تبدو به من الزينة وأنواع الحلية، وتقترن به من مسرات النفوس، وانشراح الصدور.

وقد اشتملت هذه السورةعلى جميع نعم الدنيا والآخرة، من ذكر الخلق والرزق، بالأقوات والفواكه، والحلي وغيرها، والفهم والعلم، والجنة وتفصيل ما فيها، والنار وأهوالها، فإنها نعمة من حيث إنها ـ بالخوف منها ـ سبب لنيل الجنة وما فيها، ومن حيث إنها سارة لمن ينجو منها بالنجاة منها، وبأن من عاداه الله عذب بها، وسجن فيها.

وعلى ذلك كله، دل افتتاحها بالرحمن.

وروى الترمذي وقال: غريب، عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم،

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٤١٤ حديث رقم ٧٣١٩ وضعفه.
قال المناوي في فيض القدير ٥/٢٨٦: وفيه علي بن الحسن. عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين. وقال الدارقطني: ليس بثقة.

كنت كلما أتيت على قوله: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾[1]، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نُكذِّبُ، فلك الحمد[2].

ورواه البزار عن ابن عمر، رضي الله عنهما.

قال الهيثمي: وشيخه عمرو بن مالك الراسبي[3] وثقة ابن حبان، وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح[4].

ورويناه في الخامس من أجزاء أبي محمد جعفر السراج[5]، تخريج

---

(١) الآيات: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة الرحمن ٥/٧٣ حديث رقم ٣٣٤٥ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد.

قلت: الوليد بن مسلم مدلس، وقد عنعن، وزهير بن محمد قال البخاري: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة.

والوليد بن مسلم ترجم له الذهبي في الميزان ٤/٣٤٧ الترجمة رقم ٩٤٠٥. والخزرجي في الخلاصة ٤١٧.

وزهير بن محمد في الخلاصة ١٢٣. والميزان ٢/٨٤ الترجمة رقم ٢٩١٨.

والحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢/٤٧٣ وصححه.

وقال الذهبي في الميزان ٢/٨٥: تفرد به هشام بن عمار عن الوليد.

(٣) ترجمته في الميزان ٣/٢٨٥، والمغني في الضعفاء ٢/٤٨٨.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١١٧.

(٥) هو أبو محمد جعفر بن أحمد الحسين بن أحمد بن جعفر السراج، القارىء البغدادي كان محدثاً عالماً بالقراءات والنحو واللغة والأدب. حدث بمصر والشام وبغداد وتوفي في صفر سنة ٥٠٠.

راجع: سير أعلام النبلاء ١٢/٥٢.

بغية الوعاة ١/٤٨٥.

معجم المؤلفين ٣/١٣١.

معجم الأدباء ٧/١٥٣.

الحافظ أبي بكر الخطيب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن ـ أو قرئت عنده ـ فقال: ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لردها منكم؟. قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟.

قال: ما أتيت على قول الله عز وجل: ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ إلا قالت الجن: ولا بشيء من آلائك ربُ نُكذِّب.

وروى الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة ـ قال الهيثمي: وفيه ضعف، وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح(١) ـ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يسمعون: «فبأي آلاء ربكما تكذبان»(٢).

وروى ابن هشام في السيرة قبل حديث المستضعفين المعذَّبين في الله، عن ابن إسحاق أنه قال: فحدثني يحي بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط، فمن رجل يسمعونه؟(٣).

فقال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه. قال: دعوني فإن الله سيمنعني. فغدا حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ـ رافعاً بها صوته ـ الرحمن علم القرآن قال: وتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟. ثم قالوا: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا في وجهه. فقالوا:

---

(١) مجمع الزوا ئد ١١٧/٧.
(٢) مسند الإمام أحمد ٣٤٩/٦.
(٣) في سيرة ابن هشام: يسمعهموه.

هذا الذي خشيناه عليك. فقال[1]: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا، قالوا: لا، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[2].

وروى الترمذي - وقال: حسن - عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً وهو يقول: ياذا الجلال والإكرام، فقال: قد استجيب لك فسل[3].

(١) في الأصل: قال، والتصويب عن سيرة ابن هشام.
(٢) سيرة ابن هشام ١/٣١٤.
(٣) لم أعثر عليه في سنن الترمذي.

سورة الواقعة

مكية.

قال النجم النسفي غير قوله: ﴿ **ثُلَّةٌ من الأولين** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **أفبهذا الحديث أنتممدهونون** ﴾[2]. فإنهما نزلتا في سفره ﷺ إلى المدينة.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها تسعون وست آيات في الكوفي، وسبع في البصري، وتسع على عدد أسماء الله الحسنى عن عدد الباقين.

واختلافها أربع عشرة آية:

﴿ **فأصحاب الميمنة** ﴾[3]، وكذا ﴿ **أصحاب المشأمة** ﴾[4]، لم يعدهما الكوفي وعدهما الباقون.

---

(١) آية: ١٣.

(٢) آية: ٨١.

(٣) آية: ٨.

(٤) آية: ٩.

﴿ على سرر موضونه ﴾[1] لم يعدها البصري والشامي وعدها الباقون.

﴿ وأباريق ﴾[2] عدها المدني الأخير والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ وحور عين ﴾[3]، عدها المدني الأول والكوفي، ولم يعدها الباقون.

﴿ ولا تأثيما ﴾[4] لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

﴿ وأصحاب اليمين ﴾[5] لم يعدها المدني الأخير والكوفي، وعدها الباقون.

﴿ إنا أنشأناهن إنشاءا ﴾[6] لم يعدها البصري، وعدها الباقون.

﴿ وأصحاب الشمال ﴾[7] لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ في سموم وحميم ﴾[8] لم يعدها المكي، وعدها الباقون.

﴿ إن الأولين والآخرين ﴾[9] لم يعدها المدني الأخير والشامي، وعدها الباقون.

﴿ لمجموعون ﴾[10]، عدها المدني الأخير والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ وكانوا يقولون ﴾[11] عدها المكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ فروح وريحان ﴾[12] عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد باجماع، سبعة مواضع:

---

(١) آية: ١٥.

(٢) آية: ١٨.

(٣) آية: ٢٢.

(٤) آية: ٢٥.

(٥) آية: ٢٧.

(٦) آية: ٣٥.

(٧) آية: ٤١.

(٨) آية: ٤٢.

(٩) آية: ٤٩.

(١٠) آية: ٥٠.

(١١) آية: ٤٧.

(١٢) آية: ٨٩.

﴿ خافضة ﴾[1]، وأول ﴿ السابقون ﴾[2]، ﴿ في سموم ﴾[3]، ﴿ إن الأولين ﴾[4] ﴿ أيها الضالون ﴾[5]، ﴿ لآكلون ﴾[6]، ﴿ المكذبين ﴾[7].

وعكسه ثلاثة مواضع:

الواقعة[8]، ﴿ كاذبة ﴾[9]، ﴿ ثلاثة ﴾[10].

ورويها أحد عشر حرفاً: أجدع، سنبل، ثمر.

مقصودها

ومقصودها: شرح أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن: الأولياء من السابقين، واللاحقين، والأعداء المشاقين: من المصارحين، والمنافقين من الثقلين، للدلالة على تمام القدرة بالفعل، بالاختيار الذي دل عليه آخر الرحمن، باثبات الكمال، ودل عليه آخر هذه بالتنزيه بالنفي لكل شائبة نقص، ثم بالاثبات بوصف العظمة لجميع الكمال، من الجلال والجمال.

ولو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة، فإن استواءهم يكون شبهة لأهل الطبيعة.

واسمها «الواقعة» دال على ذلك، بتأمل آيته، وما تعلق الطرف

(١) آية: ٣.

(٢) آية: ١٠.

(٣) آية: ٤٢.

(٤) آية: ٤٩.

(٥) آية: ٥١.

(٦) آية: ٥٢.

(٧) آية: ٩٢.

(٨) آية: ١.

(٩) آية: ٢.

(١٠) آية: ٧.

(به)[1]، وقد اختصت هي والرحمن والقمر عن باقي سور القرآن التي هي على أطوالها، وكونها على التوالي، بأنه لم يوجد في واحدة منها الاسم الأعظم الجامع، كما اختصت المجادلة بأنه لم تخل عنه فيها آية واحدة لِسِرٍّ ذكرته في الأصل[2]، يتطلبه من كان من أولى الفضل، الذين جعل الله لهم قوة الوصل والفصل[3].

فضائلها

وأما فضائلها:

فروى أبو عبيد في كتاب الفضائل، والحارث بن أبي أسامة بسند ضعيف، والبيهقي في الشعب والبغوي في التفسير، عن ابن مسعود رضي الله

---

(١) ساقطة من د.

(٢) يعني به: نَظم الدرر.

(٣) الموضوع الأصلي الذي تعالجه سورة الواقعة، هو: قضية البعث، رداً على قول المشركين فيها: ﴿أءِذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أءِنا لمبعوثون، أو آباؤ نا الأولون﴾ ولذا تبدأ السورة بوصف القيامة، فتصفها بصفتها التي ترد كل قول، وتقطع كل شك: ﴿إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة﴾.

ثم تفصل السورة مصائر الناس ونهاية كل فريق، وهم ثلاثة أصناف: السابقون، وأصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، وتصف ما يلقونه أَوْفَى تفصيل، يدل على أنه أمر كائن لا محالة، حتى يرى المكذبون رأى العين مصيرهم ومصير المؤمنين.

وفي خلال السياق تعرض السورة قضية العقيدة ممثلة في إظهار قدرة الله ووحدانيته، فتذكر النشأة الأولى للبشر، وصورة الحرث والنسل، والماء العذب الذي ينزل من السحاب وكل هذه الأشياء إنما تحدث بقدرة الله.

ثم تختم بمشهد الإحتضار، وتصور الإنسان عندما تبلغ الروح الحلقوم، وحينما يقف على حافة العالم الآخر، وقد أسلم أمره كله لله، ثم تؤكد ما بدأت به: ﴿إن هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم﴾.

راجع: الظلال ٦/٣٤٦١.

عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ كل ليلة سورة الواقعة، لم تصبه فاقة أبداً[1].

قال البغوي: وكان أبو طيبة[2] - يعني راويه عن ابن مسعود - لا يدعها أبداً[3].

وذكره رزين[4] في جامعة وزاد: ﴿وفي المسبحات آية كألف آية﴾[5].

---

(١) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ١٧٣/٨.
ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٢٥٢ حديث رقم ٦٧٥.
وذكره السيوطي في الجامع الصغير ٦٣٤/٢ حديث رقم ٨٩٤٢ وضعفه.
وهو في جامع الأصول لابن الأثير ٤٨٢/٨ حديث رقم ٥٢٥٧.
وهذا الحديث يروي من طريق أبي شجاع عن أبي طيبة، عن ابن مسعود، وهو سند مظلم لا تقوم به قائمة. قال الذهبي في الميزان ٥٣٦/٤: أبو شجاع نكرة لا يعرف عن أبي طيبة، ومن أبو طيبة؟. عن ابن مسعود بهذا الحديث مرفوعاً. وصرح الذهبي في ترجمة أبي طيبة بأنه مجهول.
وقال المناوي في فيض القدير ٢٠١/٦ وابن علان في شرح الأذكار ٢٧٩/٣: وقال الزيلعي تبعاً لجمع: هو معلول من وجوه:
أحدها: الإنقطاع، كما بينه الدارقطني وغيره.
الثاني: نكارة متنه، كما ذكره أحمد.
الثالث: ضعف رواته كما قاله ابن الجوزي «العلل ١٠٥/١».
الرابع: اضطرابه. وقد أجمع على ضعفه أحمد، وأبو حاتم، وابنه والدارقطني والبيهقي وغيرهم، اهـ.

(٢) ترجمته في الميزان ٥٤٢/٤، والمغني في الضعفاء ٧٩٣/٢. وفيهما: أنه مجهول.

(٣) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٢١٥/٨.

(٤) هو أبو الحسن رزين - بوزن أمير - بن معاوية العبدري السرقسطي الأندلسي المالكي جمع بين الأصول الستة: البخاري ومسلم والموطأ، وأبي داود والترمذي والنسائي مات بمكة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، واسم كتابه «التجريد للصحاح والسنن». الرسالة ص ١٤٢.

(٥) هذه الزيادة أخرجها:
الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب٢١ ٢٥٣/٤ حديث رقم ٣٠٨٩.
وأبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم ٣١٣/٤ حديث رقم ٥٠٥٧.

قال المنذري: ولم أره في شيء من الأصول - يعني التي جمعها رزين - وذكره أبو القاسم الأصبهاني[1] في ترغيبه[2]، بغير إسناد[3].

ولأبي عبيد وأبي داود، عن مسروق بن الأجدع، قال: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة[4].

ولأبي عبيد - أيضاً - عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنساء: لاتعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة.

وروى عبد الرزاق عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ

= كلاهما من حديث عرباض بن سارية رضي الله عنه، من طريق بقية بن الوليد، وهو كما قال الذهبي: ذو غرائب وعجائب ومناكير. «الميزان ١/٣٩٩».
وأخرجه الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٢/٤٥٨ من حديث خالد بن معدان.
قال المنذري في مختصر السنن ٧/٣٢٤: وأخرجه النسائي من حديث معاوية بن صالح عن بجير ابن سعد مرسلاً.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٣٠٢: والآية المشار إليها في الحديث، هي - والله أعلم - قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ اهـ.

(١) هو الحافظ شيخ الإسلام إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي، أبو القاسم الأصبهاني الملقب بقوام السنة، سمع ابن مردوية، وابن مندة، وحدث عنه ابن عساكر، وابن المديني وكان إمام وقته، وأستاذ علماء عصره، صنف في التفسير، والإعراب، والمعاني، وله: الترغيب والترهيب، ودلائل النبوة، وشرح الصحيحين. ومات يوم عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.
راجع: تذكرة الحفاظ ٤/٢٧٧. ، بغية الوعاة ١/٤٥٥، البداية والنهاية ١٢/٢١٧، طبقات الحفاظ ٤٦٣، شذرات الذهب ٤/١٠٥، طبقات المفسرين للداودي ١/١١٢.

(٢) عند المنذري: كتابه.

(٣) الترغيب والترهيب ٢/٤٤٨.

(٤) لم أعثر عليه في سنن أبي داود.

كان يخفف الصلاة، كان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور[1].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لما نزلت ﴿ ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين ﴾[2]، شق ذلك على المسلمين، فنزلت: ﴿ ثلة من الأولين، وثلة من الآخرين ﴾[3] فقال رسول الله ﷺ: أنتم ثلث أهل الجنة، نصف أهل الجنة، وتقاسمونهم النصف الباقي[4].

---

(١) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ٢/١١٥ حديث رقم ٢٧٢٠. ولفظ الحديث عند عبد الرزاق هكذا:
عن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلاة كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم كان يقرأ في الفجر الواقعة، ونحوها من السورة.

(٢) آية: ١٣ ـ ١٤.

(٣) آية: ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) مسند الإمام أحمد ٢/٣٩١.

سورة الحديد

مدنية إجماعاً.

وعزى أبو حيان[1] الإجماع إلى النقاش[2].

وذكر الأصفهاني عن ابن السائب[3]: أنها مكية.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢١٦.

(٢) هو العلامة أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد النقاش، الموصلي البغدادي المقرىء المفسر، ولد سنة ٢٦٦، أخذ عن أكابر عصره، وتلا عليه هارون الأخفش وابن مهران، وجماعة، لكنه مع جلالته كان منكر الحديث، وتفسيره مليء بالغرائب والموضوعات، أما في القراءات فكان ثقة، وتوفي سنة ٣٥١.

راجع: تاريخ بغداد ٢/٢٠١، تذكرة الحفاظ ٣/٩٠٨، طبقات القراء ٢/١١٩ معرفة القراء ١/٢٣٦، الميزان ٣/٥٢٠.

(٣) هو عبد الله بن السائب بن صيفي بن عبد الله بن عمر، المخزومي، قارىء أهل مكة، له صحبة، روى القراءات عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب، وروى عنه مجاهد وعبدالله بن كثير، توفي في خلافة ابن الزبير، ووقف ابن عباس على قبره يدعو له (طبقات القراء ١/٤١٩).

وكذا قال الزمخشري وأتباعه[1].

وهي آخر النصف الأول من عدد السور، فإنها السورة السابعة والخمسون.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها عشرون وتسع في الكوفي والبصري - ثلاثون إلا واحدة - وثمان في عدد الباقين.

واختلافها آيتان:

﴿ من قِبَله العذاب ﴾[2]، عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

﴿ وآتيناه الإنجيل ﴾[3]، عدها البصري، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس بها بالإجماع، خمسة مواضع: ﴿ فالتمسوا نوراً ﴾[4]، ﴿ بينهم بسور ﴾[5]، ﴿ هم الصديقون ﴾[6]، ﴿ عذاب شديد ﴾[7] ﴿ بأس شديد ﴾[8].

ورويها ستة أحرف يجمعها: من بزدر. أو: زمن برد[9].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/ ٦٠ ط دار المعرفة، بيروت.

(٢) الآية: ١٣.

(٣) الآية: ٢٧.

(٤) الآية: ١٣.

(٥) الآية: ١٣.

(٦) الآية: ١٩.

(٧) الآية: ٢٠.

(٨) الآية: ٢٥.

(٩) الباء: روى الآية ١٣ ﴿من قبله العذاب﴾.

والدال: روى الآية ٢٤ ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾.

والزاي: روى الآية ٢٥ ﴿ان الله قوي عزيز﴾.

والراء والميم والنون في السورة كثير.

مقصودها

ومقصودها: بيان أن عموم الرسالة مناسب لعموم الإلهية، بالإرسال إلى الأزواج الثلاثة، المذكورة في السورتين الماضيتين من الثقلين، تحقيقاً لأنه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال تحقيقاً لتنزهه من كل شائبة نقص، المبدوء به هذه السورة، المختوم به ما قبلها، المقتضي لجهاد من يحتاج إلى الجهاد، ممن عصي رسول الله ﷺ بالسيف، وما ترتب عليه من النفقة، رداً لهم عن النقائص الجثمانية، وإعلاء لهم إلى الكمالات الروحانية، التي دعا إليها الكتاب حذراً مِنْ سُوءِ الحساب، يوم التجلي للفصل بين العباد بالعدل، ليدخل أهل الكتاب وغيرهم في الدين طوعاً، أو كرهاً، ويعلم أهل الكتاب - الذين كانوا يقولون: إنه ليس أحد أفضل منهم . فضيلة هذا الرسول ﷺ على جميع من تقدمه من الرسل عليهم السلام، بعموم رسالته، وشمول خلافته، وانتشار دعوته، وكثرة أمته، تحقيقاً لأنه لا حدّ لفائض فضله سبحانه، لتكون هذا السورة التي هي آخر النصف الأول من حيث العدد غاية للمقصود من السورة التي هي أوله عند الالتفات والرد، كما كانت السورة التي هي آخر النصف الأول في المقدار كاشفة لمقصد الأولى فيما دعت إليه من الهداية، وحدت عليه من الإنذار.

وعلى ذلك دل اسمها «الحديد» بتأمل آيته، وتدبر سر ما ذكر فيه وغايته[1].

---

(١) هذه السورة الكريمة من السور المدنية، التي تعني بالتشريع والتربية والتوجيه، وتبني المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية، والخلق الكريم، والتشريع الحكيم وقد تناولت ثلاثة مواضع رئيسية:

أولاً: أن الكون كله لله جل وعلا، فهو خالقه ومبدعه، والمتصرف فيه بما يشاء.

ثانياً: وجوب التضحية بالنفس لإعزاز دين الله، ورفع منار الإسلام.

ثالثاً: تصوير حقيقة الدنيا بما فيها من بهرج كاذب، ومتاع خادع، لكي لا يغتر بها الإنسان.

فقد بدأت السورة بالحديث عن عظمة الخالق جل وعلا، الذي سبَّح له كل ما في =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت سورة الحديد يوم الثلاثاء، وخلق الله الحديد يوم الثلاثا.

وفيه مسلمة بن علي وهو ضعيف[1].

= الوجود من شجر وحيوان، وحجر وإنسان، فالكل ناطق بعظمته، شاهد بوحدانيته، ثم ذكرت بعض أسماءه الحسنى، وصفاته العليا، فهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية والظاهر بأثار مخلوقاته، والباطن الذي لا يعرف حقيقته أحد، وهو الخالق للإنسان والمدبر للأكوان.

ثم تلتها الآيات تدعو المسلمين إلى البذل والسخاء، والإنفاق في سبيل الله، بما يحقق عزة الإسلام ورفعة شأنه، فلا بد للمؤمن من الجهاد بالنفس والمال لينال السعادة في الدنيا والمثوبة في الآخرة.

وتحدثت السورة عن أهل الإيمان وأهل النفاق، فالمؤمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم والمنافقون يتخبطون في الظلمات، كما كانوا في الدنيا يعيشون كالبهائم في ظلمات الجهل والغي والضلال.

كما تحدثت السورة عن حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، وصورتها أدق تصوير، فالدنيا دار الفناء فهي زائلة فانية، كمثل الزرع الخصيب الذي ينبت قوياً بنزول الغيث، ثم يصفر ويذبل حتى يصير هشيماً وحطاماً تذروه الرياح. وأما الآخرة فهي دار الخلود والبقاء، لا نصب فيها ولا تعب، ولا همّ ولا شقاء.

وختمت السورة بالغاية من بعثة الرسل الكرام، والأمر بتقوي الله عز وجل، والإقتداء بهدى رسله وأنبيائه.

راجع: صفوة التفاسير ١٧/٧٣.

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٢٠.

قال الذهبي في الميزان ٤/١٠٩؛ مسلمة بن علي الخشني، شامي واه.

وقال: قال البخاري: منكر الحديث، اهـ.

وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٨/٢٦٨: متروك الحديث... منكر الحديث.

وقد روى هذا الحديث من وجه آخر فيه عمر بن موسى الوجيهي الحمصي، وهو تالف هالك، قال عنه ابن عدى: هو ممن يضع الحديث متناً واسناداً.

راجع: اللآلىء للسيوطي ٢/٢٢٠. والميزان ٣/٢٢٤. والمغني في الضعفاء ٢/٤٧٤ الترجمة رقم ٤٥٥١. والجرح والتعديل ٦/٢٣٣ الترجمة رقم ٧٢٧.

وروى: أن هذه السورة كانت سبب إسلام عمر رضي الله عنه الذي وصف في الكتب القديمة بأنه ركن شديد قرن من حديد، ربان الإسلام، عزَّ به كما يعز الإنسان بالسلاح من الحديد.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: منذ أسلم عمر رضي الله عنه، كان إسلامه فتحاً.

وقد تقدم في سورة طه: أنَّ إسلامه رضي الله عنه، كان سنة ثمان من النبوة، فهو قبل الهجرة بست أو خمس سنين، إذا ضممتها إلى ثلاث وعشرين سنة بعد الهجرة،وهي التي كان قتله رضي الله عند انتهائها، كانت تسعاً ـ أو ثمانياً ـ وعشرين سنة، على عدد آي هذه السورة، على الاختلاف المذكور في عددها، وإذ ذاك تناهت قوة الإسلام، فكان بمنزلة تمام سن الاكتهال، وكان في زمن عثمان رضي الله عنه في مثل سن الوقوف، وحين قتل عثمان رضي الله عنه، أخذ في الضعف.

وروى البيهقي في الدلائل عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: أتحبون أن أعلمكم كيف كان إسلامي؟. قال: قلنا: نعم. قال كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ، فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة، في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من قريش، فقال: أين تريد يا ابن الخطاب؟. فقلت: أريد التي والتي، قال: عجباً لك يا ابن الخطاب، أنت تزعم أنك كذلك وقد دخل الأمر في بيتك؟. قال: قلت: وما ذاك؟. قال: أختك قد أسلمت، قال: فرجعت مغضباً حتى قرعت الباب، وكان رسول الله ﷺ إذا أسلم الرجل والرجلان ممن لا شيء له، ضمهما إلى الرجل الذي في يده السعة فينالان من طعامه.

وكان قد ضم إلى زوج أختي رجلين، فلما قرعت الباب، قيل: من هذا؟ قيل: عمر بن الخطاب، فبادروا واختفوا مني، وقد كانوا يقرأون صحيفة بين أيديهم، تركوها أو نسوها، فقامت أختي تفتح الباب، فقلت: يا عدوة نفسها أصبوت؟. وضربتها بشيء في يدي على رأسها

فسال الدم، فلما رأت الدم بكت وقال: يا ابن الخطاب ما كنتَ فاعلاً فافعل، فقد صبوتُ، قال: قال: ودخلت حتى جلست على السرير، فنظرت إلى الصفيحة وسط البيت، فقلت: ما هذا؟. ناولينيها، فقالت: لست من أهلها، أنت لا تطهر من الجنابة، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون فما زلت بها حتى ناولتنيها، ففتحتها فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. فلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت، فألقيت الصحيفة، ثم رجعت إلى نفسي فتناولتها، فإذا فيها: «سبح لله ما في السموات والأرض﴾ فلما مررت باسم من أسماء الله ذعرت، ثم رجعت إلى نفسي، فقرأتها حتى بلغت: ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾[1] إلى آخر الآية فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فخرجوا إليَّ مبادرين وكبروا. وقالوا: أبشر يا بن الخطاب فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال: اللهم أعز دينك بأحب الرجلين إليك: إما أبو جهل بن هشام، وإما عمر بن الخطاب، وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ، فأبشر، قال: قلت: فأخبروني أين رسول الله ﷺ فلما عرفوا الصدق مني قالوا: في بيت بأسفل الصفا، فخرجت حتى قرعت الباب عليهم، فقالوا: من هذا؟. قلت: ابن الخطاب. قال: وقد علموا من شدتي على رسول الله ﷺ، وما يعلمون بإسلامي فما اجترأ أحد يفتح الباب، قال: افتحوا له، إن يرد الله به خيراً يهده، ففتحوا إليّ الباب حتى أخذ رجلان بعضدي، حتى أتيا بي النبي ﷺ فقال: خلوا عنه، ثم أخذ بمجامع قميصي، ثم جذبني إليه، ثم قال: أسْلِمْ يا ابن الخطاب. اللهم اهده، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بعجاج مكة، وكانوا مستخفين فلم أشأ أن أرى رجلاً يضرب فيضرب، إلا رأيته، ولا يصيبني من ذلك شيء، فخرجت حتى جئت خالي وكان شريفاً، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟. فقلت: ابن الخطاب، فخرج إليّ فقلت: قد علمت أني قد صبوت؟. قال: أو فعلت؟. قلت:

(١) الآيات: ١ ـ ٧ من سورة الحديد.

نعم، قال: لا تفعل قلت: قد فعلت، فدخل وأجاف الباب دوني، فقلت: ما هذا شيء، فذهبت إلى رجل من عظماء قريش فناديته، فخرج إليَّ، فقلت مثل مقالتي لخالي، وقال مثل ما قال ودخل وأجاف الباب دوني، فقلت في نفسي: ما هذا شيء، إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب، فقال لي رجل أتحب أن يعلم بإسلامك؟. فقلت: نعم، قال: فإذا جلس الناس في الحجر فأتِ فلاناً، -لرجل لم يكن يكتم السر- فقل له فيما بينك وبينه: إني قد صبوت، فإنه قلما يكتم السر، قال فجئت وقد اجتمع الناس في الحجر، فقلت فيما بيني وبينه: إني قد صبوت، قال: أو قد فعلت؟. قلت: نعم، قال: فنادى بأعلى صوته: إن ابن الخطاب قد صبأ، فبادر إليَّ أولئك الناس فما زلت أضربهم ويضربونني، فاجتمع على الناس. قال خالي: ما هذه الجماعة؟. قيل: عمر قد صبأ، فقام على الحجر (فنادى)[1]، فأشار بكمه هكذا: ألا إني قد أجرت ابن أختي فكشفوا عني، فكنت لا أشاء أن أرى رجلاً من المسلمين يَضرِبُ ويُضْرَبُ إلا رأيته، فقلت: ما هذا بشيء حتى يصيبني، فأتيت خالي فقلت: جوارك عليك رد، فقال: ما شئت، فما زلت أَضْرِبُ وأُضْرَبُ، حتى أعزَّ الله الإسلام[2].

وروى أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى، من حيث عُرْباض بن سارية رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقرأ المسبحات كل ليلة قبل أن يرقد، ويقول: فيهن آية خير من ألف آية[3].

---

(١) زيادة عن د.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٣/٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ١٢١/٤.

وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم ٣١٣/٤ حديث رقم ٥٠٥٧.

وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب٢١ ٢٥٣/٤ حديث رقم ٣٠٨٩.

كلهم من طريق بقية بن الوليد وفيه مقال. راجع ما قيل عنه في الميزان للذهبي ٣٣١/١.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٠٢/٤: والآية المشار إليها في الحديث، هي - والله أعلم - قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ اهـ.

وروى أبو عبيد في الفضائل، والدارمي في سننه المسمى بالمسند، عن معاوية بن صالح، عن بحير بن سعد الكلاعي، عن خالد بن معدان مرسلاً[1].

وقال النسائي في روايته: قال معاوية - يعني: ابن صالح -: إن بعض أهل العلم كانوا يجعلون المسبحات ستاً؛ سورة الحديد، والحشر، والحواريين، وسورة الجمعة والتغابن، وسبح اسم ربك الأعلى.

وذكر أبو القاسم الغافقي[2] في «فضائل القرآن» من حديث علي رضي الله عنه، إذا أردت أن تسأل الله حاجة، فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد، إلى قوله: «عليم بذات الصدور»[3]. ومن آخر الحشر من قوله: «لو أنزلنا هذا القرآن»، إلى آخر السورة[4] ثم تقول: يا من هو كذا، افعل بي كذا، ثم يدعو بما يريد.

وروى أبو داود بإسناد جيد عن أبي زميل[5] أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: ما شيء أجده في صدري؟. (قال: ما هو؟. قلت: والله ما أتكلم به)[6]. فقال لي: أشيء من شك؟.

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٤٥٨/٢.

(٢) هو الحافظ الإمام المحدث أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن ابراهيم، الغافقي الأندلسي الغرناطي، الملاحي، ولد سنة ٥٥٠ بالملاحة، كان من كبار الحفاظ عالماً بالرواة، مات سنة ٦١٩.

راجع: تذكرة الحفاظ ١٤٠٢/٤. الرسالة المستطرفة ١٦٦. طبقات الحفاظ ٤٩٤.

(٣) الآيات: ١ - ٥.

(٤) الآيات: ٢١ - ٢٤.

(٥) قال الحافظ المنذري في مختصر السنن ١١/٨: أبو زميل: هو سماك بن الوليد الحنفي وقد احتج به مسلم. اهـ، وراجع: الخلاصة ١٥٦.

(٦) ما بين المربعين ساقط من الأصل. وزدناه عن سنن أبي داود.

(قال: وضحك. قال: ما نجا من ذلك أحد. قال: حتى أنزل الله عز وجل: ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك** ﴾[١] الآية)[٢]. ثم قال: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»[٣].

وروى الطبراني في الكبير - بسند فيه موسى بن يعقوب الزمعي[٤]، وثقه ابن معين وغيره (وضعفه)[٥] ابن المديني، وبقية رجاله رجال الصحيح -[٦] عن عبدالله بن الزبير (عن ابن)[٧] مسعود رضي الله عنهم، أنه قال: لم يكن بين إسلامهم، وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها، إلا أربع سنين:[٨] ﴿**ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**﴾[٩].

---

(١) سورة يونس: آية ٩٤.

(٢) ما بين القوسين زيادة عن سنن أبي داود.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة ٤/٣٢٩ حديث رقم ٥١١٠.

(٤) هو أبو محمد موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة، الأسدي الزمعي المدني، مات في أواخر خلافة المنصور، قال ابن المديني: ضعيف منكر الحديث. وقال النسائي: ليس بالقوى. ووثقه ابن معين. وقال ابن عدى: عندي لا بأس به وبرواياته.

راجع: الخلاصة ١٩٣. والميزان ٤/٢٢٧. والجرح والتعديل ٨/١٦٧.

(٥) زيادة عن مجمع الزوائد.

(٦) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٢١.

(٧) ساقط من د.

(٨) الآية: ١٦ من السورة.

(٩) ومن هذه الطريق أخرجه:

ابن ماجة في السنن: كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء ٢/١٤٠٢ حديث رقم ٤١٩٢. قال السندي في شرح سنن ابن ماجة ٢/٥٤٨ نقلاً عن شهاب الدين البوصيري صاحب «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة»: هذا إسناده صحيح، رجاله ثقات، اهـ.

=

وقال ابن الجوزي: وروى أبو الحسن بن جهضم[1] باسناده عن إبراهيم بن الأشعث قال: كان مبتدأ توبة فضيل: أنه خرج ليقطع الطريق، فسمع قوماً يقول بعضهم لبعض: مروا، مروا لا يفاجئنا فضيل، فسمع ذلك فاغتم وتفكر، وقال يخافني هذا الخلق هذا الخوف العظيم؟..

فتقدم وسلم عليهم وأمَّنهم، وخرج يرتاد لهم علفاً، ثم رجع فسمع قارئاً يقرأ: ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾[2] فمزق ثيابه، وقال: والله بلى، قد آن[3].

= وعندي: أن السندي والبوصيري قد تناسيا ما قيل في موسى بن يعقوب الزمعي أو أنهما لم يطلعا على ما قاله علماء الرجال في توثيقه أو توهينه، وهذا من البعد بمكان على مثلهما.

وعلى أي حال فالحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التفسير ١٨/١٦١ عن شيخه يونس بن عبد الأعلى، عن عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال. عن عون بن عبد الله، عن أبيه، عن ابن مسعود.

(١) هو أبو الحسن عبي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم الهمداني، المكي، شيخ الحرم المكي، وكان صوفيا، له من الكتب «بهجةالأسرار» قال ابن حجر: متهم بوضع الحديث. ومات سنة ٤٥٦.

راجا: لسان الميزان ٤/٢٣٨.

(٢) الآية ١٦ من السورة.

(٣) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/٤٢٣.

سورة المجادلة

وتسمى: قد سمع.

مدنية.

قال النسفي: إلا قوله: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة**﴾[1] الآية، فإنها مكية.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها إحدى وعشرون في المدني الأخير والمكي، (واثنتان)[2] في عدد الباقين.

(اختلافها آية:

﴿ **أولئك في الأذلين** ﴾[3]، لم يعدها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون)[4].

---

(١) الآية: ٧.

(٢) ساقطة من د.

(٣) الآية: ٢٠.

(٤) ما بين الحاصرين ساقط من د.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد بإجماع، موضع واحد:

﴿ عذاباً شديداً ﴾[1].

ولا عكس له.

ورويها خمسة أحرف. يجمعها: زمن در[2].

مقصودها

ومقصودها: الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديد بمن حاد الله ورسوله، لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال.

وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها، وتكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة، تكريراً لم يكن في سواها، بحيث لم تخل منه آية، وأما الآيات التي تكرر في كل منها المرتين فأكثر، فكثيرة[3].

---

(1) الآية: ١٥.

(2) الدال: ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ الآية: ٦.

والزاي: ﴿إن الله قوي عزيز﴾ الآية: ٢١.

(3) هذه السورة مدنية، وقد تناولت أحكاماً تهم المسلمين في حياتهم، مثل أحكام الظهار وما يتعلق به من الكفارة، وما يترتب عليه من أحكام، وبينت أحكام التناجي، وهو الكلام سراً بين اثنين فأكثر، وقد كانت هذه عادة اليهود والمنافقين، يفعلون ذلك بقصد إغاظة المسلمين وإيذائهم، فذكرت حكمه، وحذرت المؤمنين منه.

كما ذكرت السورة آدب المجالس، وندبت إلى تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول والحديث معه.

وكشفت عن أساليب اليهود وكيدهم لرسول الله ﷺ، وكيف كانوا يحيونه إذا حضروا مجلسه، فقد كانت تحيتهم تحية ملحونة ظاهرها التحية والسلام، وباطنها الشتم والبغضاء: وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله...

ثم ختمت السورة ببيان حقيقة الحب في الله، والبغض في الله، وبينت أن ذلك أصل الإيمان، وأوثق عرى الإسلام، وأن من شيم المؤمنين وسماتهم معاداة أعداء الله وعدم موالاتهم: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه...﴾.

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى أحمد، والبزار، والطبراني ـ قال الهيثمي: وإسناده جيد[١] لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب حالة الصحة[٢] ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم، ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول؟. فنزلت هذه الآية: ﴿ **وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله** ﴾[٣] إلى آخر الآية[٤].

ولأبي يعلى عن أنس رضي الله عنه، أن يهود يا أتى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد القوم، فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما قال؟. قالوا: الله ورسوله أعلم، سلّم يا نبي الله، قال: لا: ولكنه قال: كذا وكذا، رُدُّوهُ علي، فردوه عليه فقال: أقلت السلام عليكم؟. قال: نعم، قال نبي الله ﷺ: إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: وعليك، أي عليك ما قلت. ﴿**وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله**﴾، ﴿**والذين أوتوا العلم درجات**﴾[٥].

روى البغوي بسنده عن ابن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ

---

(١) في الأصل: «صحيح». والتصويب عن مجمع الزوائد.

(٢) مجمع الزوائد ١٢٢/٧.

(٣) الآية: ٨ من السورة.

(٤) مسند الإمام أحمد ٢/١٧٠.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٢٣/٤: إسناده حسن ولم يخرجوه.

(٥) قال الحافظ ابن كثير ٣٢٣/٤: وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح، وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة، اهـ.
قلت: حديث عائشة في صحيح البخاري: كتاب الإستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام ٤٨/٨.
وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم ٧/٤.

مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه قال: كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل، فهؤلاء أفضل، وإنما بعثت معلماً ثم جلس إليهم[1].

(١) شرح السنة للبغوي ١/٢٦٦ حديث رقم ١٢٧ كتاب العلم، باب فضل العلم.
وأخرجه الدارمي: المقدمة، باب في فضل العلم والعالم ١/٩٩.
وابن ماجة: المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/٨٣ حديث رقم ٢٢٩.

سورة الحشر

وتسمى: سورة النضير.
مدنية اجماعاً.

قال الأصفهاني: ذكر المفسرون: أن جميعها نزل في بني النضير[1].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها عشرون، وأربع آيات، في جميع العدد. ولا اختلاف فيها.
وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً باجماع، خمسة مواضع:
﴿ لم يحتسبوا ﴾[2]، **﴿ وأيدي المؤمنين ﴾**[2]، **﴿ ولا ركاب ﴾**[3]،

---

(1) قلت: ورواه البخاري عن ابن عباس: كتاب التفسير، سورة الحشر ١٨٣/٦. ومسلم: كتاب التفسير ١٦٥/١٨.
(2) آية: ٢.
(3) آية: ٦.

﴿ أحداً أبداً ﴾[1] ﴿بينهم شديد ﴾[2].

وليس فيها عكس ذلك.

ورويها أربعة أحرف، وهي: منبر[3].

مقصودها

ومقصودها: بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص، باثبات القدرة الشاملة، لأنه سبحانه وتعالى قوي عزيز. المستلزمة للعلم التام، المستلزم للحكمة البالغة المستلزمة للحشر، المظهر لفلاح المفلح، وخسارة الخاسر، على وجه الثبات، الكاشف أتم كشف لجميع صفات الكمال.

وأدل ما فيها على ذلك: تأمل قصة بني النضير، المعلم بأول الحشر، (المؤذن بالحشر)[4] الحقيقي، بالقدرة على الحشر الأول، بعد إطباق الولي والعدو على ظن أنه لا يكون. فلذا سميت بالحشر، وببني النضير، لأنه سبحانه حشرهم بقدرته من المدينة الشريفة إلى خيبر[5]. ثم حشرهم - وغيرهم من اليهود - الحشر الثاني من خيبر إلى الشام الذي هو آية الحشر الأعظم إلى أرض المحشر، لقهر هذا النبي الكريم أهل الكتاب، المدعين لأنهم أفضل الناس، وأنهم مؤيدين بما لهم من الدين القويم، على ما يوجب إليه الحديد، كما قهر أهل الأوثان الذين هم عالمون بأنهم بدلوا الدين الصحيح.

---

(١) اية: ١١.

(٢) آية: ١٤.

(٣) الباء: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ آية: ٤. ﴿إن الله شديد العقاب﴾ آية: ٧.

(٤) ما بين المربعين ساقط من د.

(٥) كان اجلاء بني النضير إلى خيبر في شهر ربيع أول سنة أربع من الهجرة، وكانت بعد بدر بستة شهور.

راجع: سيرة ابن هشام ٣/١٩٠.

فثبت بظهور دينه على كل دين ـ على حد سواء، كما وعده به ربه سبحانه ـ صدقه في كل ما جاء به، وأعظم ما جاء به ـ بعد التوحيد ـ **الإيمان** بالبعث الآخر، لأنه محط الحكمة، وموضع إظهار النقمة والرحمة.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى ابن السني عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أوصى رجلاً إذا أخذ مضجعه، أن يقرأ سورة الحشر. فقال:[1] إن مت، مت شهيداً. أو (قال)[2]: من أهل الجنة[3].

وروى الترمذي، وابن السُّنِّي، من رواية خالد بن طهمان ـ وقال: غريب، وفي بعض النسخ: حسن غريب[4] ـ وقال النووي: فيه ضعف[5]، عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرحيم، وقرأ ثلاث آيات من سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي. وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة[6].

---

(١) في كتاب ابن السني: وقال.

(٢) ساقطة من د.

(٣) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٦٢ حديث رقم ٧٢٣.
وفيه أبو الأشهب جعفر بن الحارث الكوفي نزيل واسط. قال البخاري: منكر الحديث وقال ابن معين: لا شيء «الميزان ١/٤٠٤ ترجمة رقم ١٤٩٥».
وفيه يزيد بن ابان الرقاشي البصري، وهو ضعيف عند عامة العلماء، منكر الحديث (ترجمة في الميزان ٤/٤١٨، والمغني في الضعفاء ٢/٧٤٧.

(٤) الترمذي في صحيحه. ولم يقل ذلك ابن السُّنِّي، فليس ذلك من منهجه في كتابه.

(٥) الأذكار للنووي ٧٧ ط مصطفى الحلبي.

(٦) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ٢٢ ٤/٢٥٣ حديث رقم ٣٠٩٠.
وعمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٥٢ حديث رقم ٦٧٦. =

ورواه الدارمي من طريق أخرى أيضاً[١].

وللبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ـ بسند ضعيف ـ أن النبي ﷺ قال: من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار، فمات من يومه أو من ليلته فقد أوجب الله له الجنة[٢].

وللدارمي عن الحسن ـ موقوفاً عليه ـ قال: من قرأ آخر سورة الحشر إذا أصبح، فمات من يومه ذلك، طبع بطابع الشهداء[٣]. (وإن قرأها إذا أمسى، فمات من ليلته، طبع بطابع الشهداء)[٤].

وفي الفردوس عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: يا علي إذا صدع رأسك، فضع يدك عليه، واقرأ عليه آخر سورة الحشر[٥].

= وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٢٦ من رواية خالد بن طهمان أيضاً.
وذكره الذهبي في الميزان ١/٦٣٢ في ترجمة خالد، وقال: غريب جداً.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمُسَبِّحات ٢/٤٥٨. وهو من رواية خالد بن طهمان ـ أيضاً ـ عن نافع بن أبي نافع عن معقل ابن يسار.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٦٣٤ حديث رقم ٨٩٤٣ وضعفه.
قال المناوي في فيض القدير ٦/٢٠١: وممن جزم بضعفه الحافظ العراقي.

(٣) ما بين المربعين ساقط من د.

(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٢/٤٥٨.
وفيه سعيد بن عامر الضبعي البصري، وثقه ابن معين، وضعفه أبو حاتم.
راجع: الخلاصة ١٣٩.

(٥) قال الشوكاني في الفوائد ٣١٢: باطل.
وراجع: تذكرة الموضوعات للفتنى ص ٨٠.

سورة الممتحنة

مدنية إجماعاً.

وآيها ثلاث عشر، بلا خلاف، كما ولا كيفا، ولا شيء فيها مما يشبه الفواصل، ولا عكسه. ورويها خمسة أحرف: لم نرد.

مقصودها

ومقصودها: براءة من أقر بالأيمان من الكفار، دلالة على صحة مدعاه، كما أن الكفار تبرأوا من المؤمنين وكذبوا بما جاءهم من الحق، لئلا يكونوا على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم.

وتسميتها بالممتحنة، أوضح شيء فيها، وأدله على ذلك، لأن الصهر(١)

(١) في د: الظهر.

أعظم الوصل وأشرفها بعد الدين، فإذا بقي ومنع، دل على أعظم المقاطعة لدلالته على الامتهان[١].

فضائلها

وأما فضائلها: فتمييز الخبيث من الطيب.

وروى[٢] البيهقي في الدلائل وغيره، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، عن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، في عمرة الحديبية لما صالح الكفار، فكان في شرطهم لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا، فلم يأته أحد من الرجال، إلا رده في تلك المدة، وإن كان مسلماً. وجاء المؤمنات. وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (رضي الله

---

(١) هذه السورة تنبني على بيان أن «الحب والبغض في الله» هو أساس الإيمان، وقد نزل صدرها عتاباً لحاطب بن أبي بلتعة حين أظهر بعض الولاء لأهل مكة، فأرسل إليهم كتاباً يخبرهم فيه أن الرسول ﷺ قد تجهز لغزوهم.

فابتدأت السورة الكريمة بالتحذير من موالاة المشركين، وأعداء الإسلام وضربت المثل في ذلك بإبراهيم عليه السلام وأتباعه المؤمنين، حين تبرأوا من قومهم المشركين، ليكون ذلك حافزاً لكل مؤمن على الإقتداء بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً...﴾ الآيات.

في هذا الصدد بينت السورة حكم الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، وحكم من قاتلهم وآذاهم.

وتحدثت السورة عن وجوب امتحان المؤمنات اللائي يأتين مهاجرات، وعدم ردهن إلى الكفار إذا ثبت إيمانهن، وعدم الإعتداء بعصمة الكافرين، إذ لا ولاية لكافر على مؤمنة. ثم ختمت السورة بالنهي عن موالاة الكافرين، بمثل ما بدأت به، ليتناسق البدء مع الختام.

(٢) في م: روى.

عنها)[1] ممن خرج إلى رسول الله ﷺ حينئذ وهي عاتق[2]، فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم[3]، لما أنزل الله فيهم: ﴿[4] **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجراتٍ فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهم**﴾ الآية [5].

قال عروة: فأخبرتني عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية: ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن** ﴾ الآية[6].

قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك، كلاماً يكلمها به، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة وما بايعهن إلا بقوله.

رواه البخاري في الصحيح[7].

---

(1) زيادة عن د.

(2) في النهاية ٣/١٧٨: العاتق: الشابة أول ما تدرك. وقيل: هي التي لم تبن من والديها ولم تزوج وقد أدركت وشبت. وتجمع على العتق والعواتق، اهـ.

(3) قال الحافظ ابن كثير ٤/٣٥٠: عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة، فخرج أخواها عمارة الوليد، حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلماه فيها أن يردها إليهما، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة، فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين، وأنزل الله آية الإمتحان. اهـ.

(4) آية: ١٠ من السورة.

(5) قال ابن كثير ٤/٣٥٠: وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن»: كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

(6) آية: ١٢ من السورة.

(7) صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة ٣/١٧٢. وكتاب التفسير، سورة الممتحنة، باب إذا جاءك المؤمنات مهاجرات ٦/٦١ وكتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي ٦/١٧٣.

وقال البغوي في المبايعة يوم فتح مكة: إن رسول الله ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه وهو يبايع النساء[1] بأمر رسول الله ﷺ، ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان منتقبة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال النبي ﷺ؛ أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، فرفعت رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال - وبايع يومئذ على الإسلام والجهاد فقط - فقال النبي ﷺ: ولا تسرقن، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح[2] وإني أصبت من ماله هنات[3]، فلا أدري أيحل لي، أم لا؟. فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر[4] فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟. قالت: نعم فاعف عني ما سلف عفا الله عنك، ولا تزنين. فقالت هند: أو تزني الحرة؟. فقال: ولا تقتلن أولادكن، فقالت هند: ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً وأنتم وهم أعلم - وكان ابنها حنظلة ابن أبي سفيان قتل يوم بدر -[5] فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ، فقال: ولا

---

(١) قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير ٨/٢٤٥: وقد سمينا من أحصينا من المبايعات في كتاب «التلقيح» على حروف المعجم، وهن أربعمائة وسبع وخمسون امرأة، اهـ.

(٢) في د: شيخ.

(٣) في الأصل: هبات. وهو لا يناسب المعنى ولا السياق، والتصويب عن تفسير البغوي. والهنات: الشيء اليسير تأخذه الزوجة من مال زوجها بلا علمه.

(٤) قال في النهاية ٣/٣٣٧: قال الأزهري: يحتمل الغابر ههنا الوجهين، يعني الماضي والباقي، فإنه من الأضداد. قال: والمعروف الكثير، أن الغابر: الباقي وقال غير واحد من الأئمة: إنه يكون بمعنى الماضي.
ومنه الحديث: «أنه اعتكف العشر الغوابر من شهر رمضان»، أي البواقي، جمع غابر، اهـ.

(٥) في سيرة ابن هشام ٢/٧٠٨: قتله زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ويقال: اشترك فيه حمزة وعلي وزيد. اهـ. بتصرف.

تأتين ببهتان بين أيديكن وأرجلكن - قالت هند: والله إن البهتان لقبيح. وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، قال: ولا تعصين في معروف[1] قالت هند: (ما)[2] جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. فأقر النسوة بما أخذ عليهن[3].

قتل الأولاد: الوأد[4].

وافتراء البهتان: التقاط ولد وإلحاقه بالزوج[5].

---

(١) أخرج الترمذي في صحيحه: كتاب التفسير ٨٤/٥ حديث رقم ٣٣٦٢ وقال: حسن غريب. عن أم سلمة الأنصارية قالت: قالت امرأة من النسوة: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟. قال: لا تنحن... الحديث.

(٢) ساقطة من د.

(٣) تفسير البغوي على هامش الخازن ٦٨/٨.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير ٣٥٣/٤. وعقب عليه بقوله: هذا أثر غريب، وفي بعضه نكارة - والله أعلم - فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما، لم يكن رسول الله ﷺ يخيفهما، بل أظهر الصفاء والود لهما. وكذلك كان الأمر من جانبه عليه السلام لهما، اهـ.

(٤) وخاصة البنات دون الذكور. والوأد: دفن البنت وهي حية.
قال الله تعالى: ﴿وإذا ابشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون﴾.
وقال: ﴿وإذا المؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت﴾.

(٥) وهو معنى قول ابن عباس في تفسير البهتان: يعني لا يلحقن بأزواجهن غيرأولادهم.
قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٦/٨: وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. فذلك البهتان المفتري.
وإنما قال: ﴿بين أيديهن وأرجلهن﴾ لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها. اهـ.

سورة الصف

وتسمى: الحواريون.

قال ابن عباس ومجاهد وعطاء ـ قال النسفي: وعامة المفسرين ـ مكية.

وقتادة ـ قال النسفي: وعكرمة والحسن ـ مدنية.

(وعَكْسُ)[1] هذا النقل للأصفهاني، فعزا كونها مكية إلى ابن يسار فقط، وقال: وعن[2] ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور: إنها مدنية.

وكذا قال أبو حيان: مدنية في قول الجمهور[3]. وهومعنى قول البغوي: مدنية[4]. وقال عطاء: مكية، فالله أعلم[5].

(١) ساقطة من د.

(٢) في م: غير.

(٣) البحر المحيط ٨/٢٦١.

(٤) تفسير البغوي على هامش الخازن ٨/٧٠.

(٥) نعم، الله أعلم. ولكن القول بمدنيتها ـ وهو قول الجمهور ـ أولى من غيره لأن السورة=

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها أربع عشرة اتفاقاً، ولا اختلاف في تفصيلها، كما أنه لا اختلاف في إجمالها.

وفيها مما يشبه الفاصلة، موضع واحد:

﴿ وفتحٌ قريبٌ ﴾[1].

ولا عكس لذلك.

ورويها ثلاثة أحرف، وهي: صمن[2].

مقصودها

ومقصودها: الحث على الاجتهاد التام، والاجتماع على قلب واحد، في جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم، بحملهم على الدين الحق، أو محقهم عن حديد الأرض، تنزيهاً للملك الأعلى عن الشرك، وصيانة لجنابه الأقدس عن الافك، ودلالة على الصدق في البراءة منهم والعداوة لهم.

وأدل ما فيها على هذا المقصد: الصف، بتأمل آيته، وتدبر ماله من جليل النفع في أوله، وأثنائه، وغايته.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي في التفسير، والدارمي أول الجهاد، وأبو

= تدور من أولها إلى آخرها في فلك واحد هو موضوع القتال وجهاد أعداء الله، والتضحية في سبيل الله لإعزاز دينه، وإعلاء كلمته، وعن التجارة الرابحة التي بها سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة، ومن هنا سميت «سورة الصف».

والحديث عن الجهاد بهذه الصورة غير موجود في السور المكية. فالقول بأنها مدنية هو الصواب.

(١) آية: ١٣.

(٢) الصاد: روى الآية ٤.

والميم والنون: روى باقي الآيات.

يعلى في الجزء الأخير من مسنده ـ وهذا لفظه ـ عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: ذكرنا أحب الأعمال إلى الله، فقلنا: من يسأل لنا رسول الله ﷺ، فهبناه أن نسأله فتفرقنا رجلاً رجلاً حتى اجتمعنا عنده، سار بعضنا إلى بعض فلم ندر، ثم أرسل إلينا، فقرأ علينا رسول الله ﷺ هذه السورة: **﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾** ـ إلى قوله ـ: بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ[1].

قال ابن سلام: فقرأ علينا رسول الله ﷺ السورة كلها، من أولها إلى آخرها.

(قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام. قال يحي: فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي. قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير)[2].

---

(١) جامع الترمذي: كتاب التفسير، سورة الصف ٥/٨٥ حديث رقم ٣٣٦٣.
وسنن الدارمي: كتاب الجهاد، باب الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال ٢/٢٠١.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٤٥٢.

(٢) ما بين المربعين زيادة عن جامع الترمذي، وسنن الدارمي.

سورة الجمعة

مدنية إجماعاً.

وآيها إحدى عشر بالاتفاق، ولا اختلاف في تفصيلها،ولا شيء فيها مما يشبه الفواصل.

ورويها حرفان: وهما: من.

مقصودها

ومقصودها: بيان أول الصف، بدليل ـ هو أوضح شرائع الدين، وأوثق عرى الإسلام ـ وهو الجمعة، التي اسمها مبين للمراد منها، من فرضية الاجتماع، وايجاب الاقبال عليها والتجرد عن غيرها والانقطاع، لما وقع من التفرق حال الخطبة عمن بعث للتزكية، بالاجتماع عليه في الجهاد وغيره، في العسر واليسر، والمنشط والمكره.

واسمها «الجمعة» أنسب شيء فيها لهذا المقصد، بتدبر آياته، وتأمل أوائله وغاياته الحاثة على قوة التواصل والاجتماع، والحاملة على دوام الإقبال على المتزكي، والحب له والاتباع.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: حسن صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة، وفي السجدة الثانية: إذا جاءك المنافقون[1].

وهو عند ابن الجارود[2] بنحوه.

وروى الشيخان: البخاري في التفسير، ومسلم في الفضائل، والترمذي في التفسير والمناقب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة فلما قرأ: ﴿ **وآخرين منهم لَمَّا يلحقوا بهم** ﴾[3]، قال (رجل)[4]: مَنْ هؤلاء يا رسول الله فوضع النبي ﷺ يده على

---

(١) جامع الترمذي: كتاب الجمعة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الجمعة ١٦/٢ حديث رقم ٥١٨.
وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ١٦٦/٦.
وأبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب ما يقرأ به في الجمعة ٤٠١/١ حديث رقم ١١٢٤.
وعبد الرزاق في المصنف: كتاب الجمعة، باب القراءة في يوم الجمعة ١٧٩/٢ حديث رقم ٥٢٣١.

(٢) المنتقى لابن الجارود ص ١١١ حديث رقم ٣٠١.

(٣) آية: ٣.

(٤) زيادة عن صحيح مسلم.

سلمان رضي الله عنه، ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لنا له رجال من هؤلاء [1].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الجمعة، باب وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ٨/٤٩٢.
وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل فارس ١٦/١٠١.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، سورة الجمعة ٥/٨٩ حديث رقم ٣٣٣٤. وقال: هذا حديث غريب.
وكتاب المناقب، باب في فضل العجم ٥/٣٨٢ حديث رقم ٤٠٢٥ وقال: هذا حديث حسن.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٣٦٣: ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس، لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وآخرين منهم﴾ بفارس، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل، وإلى اتباع ما جاء به، اهـ.

سورة المنافقون

مدنية إجماعاً.

نزلت في غزوة بني المصطلق[1].

عدد آياتها

وآيها إحدى عشرة بالإجماع. ولا اختلاف في تفصيلها.

وفيها مشبه الفاصلة موضع واحد: ﴿ أجل قريب ﴾[2].

وليس فيها عكس ذلك.

ورويها: النون.

---

(١) كذا هو في سيرة ابن هشام ٣/٢٩٢. وفتح الباري ٨/٦٤٤. وابن كثير ٤/٣٦٩ وتفسير القرطبي ١٨/١٢١.
ورواه البخاري: كتاب التفسير، سورة المنافقون ٦/٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦.

(٢) آية: ١٠.

مقصودها

ومقصودها: كمال التحذير مما يثلم الإيمان، من الأعمال الباطنة، والترهيب مما يقدح في الإسلام، من الأحوال الظاهرة، بمخالفة الفعل للقول، فإنه تفاق في الجملة، فيوشك أن يجر إلى كمال النفاق فيخرج من الدين، ويدخل الهاوية.

وتسميتها بالمنافقين، واضحة في ذلك [1].

---

(١) المحور الرئيسي الذي تدور عليه هذه السورة هو الحديث بإسهاب عن النفاق والمنافقين فقد تناولت وصف أخلاق المنافقين، وبيان صفاتهم وأكاذيبهم ودسائسهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن، وانطماس البصائر والقلوب والكذب أظهر صفات المنافقين لأنهم يقولون بالسنتهم ما لا تعتقده قلوبهم، ويحلفون كذباً لإخفاء خداعهم:

إذا جاءك المنافقون قالوا: نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، اتخذوا إيمانهم جُنَّةً فصدوا عن سبيل الله، إنهم ساء ما كانوا يعملون.

ثم يرسم لهم السياق صورة فريدة مبدعة، تثير السخرية والهزء بهذا الصنف من الناس، وتسمهم بالخواء والجبن والفزع، بل إنهم كتماثيل نصبت هدفاً للسخرية:

«وإذا رأيتَهُم تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة، يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون».

وفي نهاية السورة يحذِّر الله المؤمنين من كل ما يلصق بهم صفة من صفات المنافقين، ولو من بعيد، فأدنى درجات النفاق عدم التجرد لله، والغفلة عن ذكره اشتغالاً بالأموال والأولاد والتواني عن البذل في سبيل الله، حتى اليوم الذي لا ينفع فيه البذل، ولا تقبل فيه الصدقات: «يا أيها الذين آمنوا لا تُلْهِكُم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون، وأَنْفِقُوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموتُ فيقولَ ربِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فَأَصَدَّقَ وأكنْ من الصالحين. ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلُها، والله خبير بما تعملون».

راجع: الظلال ٦/٣٥٧٢.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى مسلم في صحيحه، وعبد الرزاق، عن عبيد الله بن أبي رافع قال: استخلف مروان أبا هريرة رضي الله عنه على المدينة، فصلى بالناس الجمعة، فقرأ بالجمعة والمنافقين[1].

وقال عبد الرزاق فقرأ في الركعة الأولى سورة الجمعة، وفي الركعة الثانية: إذا جاءك المنافقون، فقلت: يا أبا هريرة قرأت بسورتين سمعت عليا رضي الله عنه يقرأ بهما؟. قال: سمعت حِبيِّ أبا القاسم ﷺ يقرأ بهما[2].

وسر القراءة بهما في هذه الصلاة ـ والله أعلم ـ: تحذير من نطق بكلمة الإسلام ولا سيما المنافقين من أهل الكتاب والأميين، عن الإبطاء عنها، وحثهم في المبادرة إليها، والإعلام بأن من تخلف عنها، تهاوناً بها، فهو منافق، ليس له من القرآن غير مَثَل الحمار، والإظهار لقوة الإسلام في الجهر بعيب المخالف من الفريقين في أعظم المجامع، لأنه[3] حق، كما أخبر به في الصف لا بد من إتمامه ولو كره الكافرون[4] (والمشركون)[5].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٦/١٦٦.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب الجمعة، باب القراءة في يوم الجمعة ٣/١٧٩ حديث رقم ٥٢٣١.

(٢) وبهذا السياق أورده مسلم أيضاً.

(٣) الضمير يعود على الإسلام.

(٤) ساقطة من د.

(٥) وأفاد الإمام النووي في شرح مسلم ٦/١٦٦: بأن الحكمة في قراءة هاتين السورتين في صلاة الجمعة: اشتمال سورة الجمعة على وجوب صلاتها، ولما فيها من الذكروالتوكل وغير ذلك من القواعد. وأما المنافقون فلما فيها من توبيخ حاضريها منهم، وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد، لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها، اهـ بتصرف.

سورة التغابن

قال ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن يسار: مكية، إلا ثلاث آيات منها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، شكى إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده، فأنزل الله عز وجل: ﴿ **يا أيهاالذين آمنوا إنَّ من أزواجكم وأولادِكم عُدُواً لكم فاحذروهم** ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث[1].

وقال قتادة ـ قال النسفي: وعكرمة ـ: مدنية.

وعكس الأصفهاني هذا النقل فقال: إن الجمهور قالوا: هي مدنية، منهم ابن عباس والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. وقال بأنها مكية: الضحاك.

وقال عطاء بن يسار: مكية، إلا ثلاث آيات: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ إلى آخرها.

---

(١) الآيات: ١٤ ـ ١٦.

عدد آياتها

وآيها ثماني عشرة في جميع العدد. ولا اختلاف في تفصيلها.

وفيها مما يشبه الفواصل، ثلاث مواضع:

﴿ ما تسرون ﴾(١)، ﴿ وما تعلنون ﴾(٢)، ﴿ التغابن ﴾(٣).

ورويها أربعة أحرف (وهي) : من در(٤).

مقصودها

ومقصودها: الابلاغ في التحذير، مما حذرت منه المنافقوه، بإقامة الدليل القاطع على أنه لا بد من العرض على الملك للدينونة على النقير والقطمير يوم القيامة، يوم الجمع الأعظم.

واسمها «التغابن» واضح الدلالة على ذلك، وهو أدل ما فيها عليه، فلذلك سميت به(٥).

---

(١) الآية: ٤.

(٢) الآية: ٩.

(٣) ساقطة من د.

(٤) الدال: روى قوله تعالى: ﴿والله غني حميد﴾ آية ٦.

(٥) سورة التغابن من السور المدنية، ولكن جوها جو السور المكية التي تعالج أصول العقيدة وقضاياها.

فقد تحدثت السورة عن جلال الله وعظمنه وآثار قدرته، فتناولت قضية خلق السموات والأرض وقضية خلق الإنسان، وتصويره في أحسن صورة، وأن الناس فريقان: مؤمن عارف بربه وكافر جاحد بوجوده ونعمه.

كما ضربت الأمثال بالقرون الماضية، والأمم الخالية، التي كذبت رسل الله، فحل بهم من العذاب والنكال ما دمرهم وأهلكهم، نتيجة إعراضهم وتوليهم عن داعي الله: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم، ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا، واستغنى الله، والله غني حميد. كما تناولت قضية البعث، وأقسمت على أنه واقع لا محالة بما فيه من الحساب والجزاء رداً على الكافرين المنكرين: =

فضائلها

وأما ما ورد فيها:

فقال البغوي: وقال عطاء بن يسار: كان عوف بن مالك الأشجعي[1] رضي الله عنه ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه، وقالوا: إلى من تدعنا؟. فيرق لهم ويقيم. فأنزل الله عز وجل: ﴿ [2] **يا أيها الذين آمنوا إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم...** ﴾ الآيات[3].

وروى الطبراني بسند ضعيف[4]، عن أبي مالك[5] الأشعري رضي الله

= زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا. قل بلى وربي لتبعثن، ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾.

كما أمرت بطاعة الله وطاعة رسوله، وحذرت من العصيان، وأمرت بالإنفاق في سبيل الله لإعلاء دينه، ونصرة كلمته، وحذرت من الشح والبخل، فانه ليس من صفات المؤمنين.

راجع: الظلال ٦/٣٥٨٣.

(١) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، يكني أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد أسلم عام خيبر، ونزل بحمص، مات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣.

راجع: الإصابة ٣/٤٣. والإستيعاب على هامش الإصابة ٣/١٣١.

(٢) الآيات: ١٤ - ١٨.

(٣) تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن ٨/٨٨.

وأخرج الترمذي في كتاب التفسير من صحيحه ٥/٩٢ حديث رقم ٣٣٧٣: عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ الآية.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) لأن فيه محمد بن اسماعيل بن عياش. قال الذهبي في الميزان ٣/٤٨١: قال أبو داود لم يكن بذاك.

وراجع: المغني في الضعفاء ٢/٥٥٥ ترجمة رقم ٥٢٩٧. والخلاصة ٣٢٧.

(٥) مختلف في اسمه وكنيته. مات في خلافة عمر.

راجع: الإصابة ٤/١٧١. والخلاصة ٤٥٩.

عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس عدوك الذي إن قتلته كان لك نوراً، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن أعدى عدو لك ولدك الذي يخرج من صلبك، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك.

وروى الطبراني في الكبير والأوسط ـ بإسنادين أحدهما جيد ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله جنة عدن (بيده)[1]، ودلَّى فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل[2].

ورواه أبو بكر البزار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ موقوفاً ومرفوعاً ـ قال: خلق الله الجنة: لبنة من ذهب. ولبنة من فضة، وملاطها[3] المسك وغرسها. وقال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون. فدخلتها الملائكة فقالت: طوباك منزل الملوك[4].

ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه مطولا، ولفظه: خلق الله جنة عدن بيده: لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من

(١) ساقطة من د.
(٢) قال الهيثمي ١٠/٣٩٧: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد.
(٣) في د: بلاطها.
قال في النهاية ٤/٣٥٧: الملاط: الطين الذي يجعل بين سافي البناء، يملط به الحائط: أي يخلط.
(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٢٣٨: ثم قال البزار: لا نعلم أحداً رفعه إلا عدى ابن الفضل وليس هو بالحافظ، اهـ.
وعدى بن الفضل، هو: أبو حاتم التميمي البصري ـ متروك الحديث.
راجع: الخلاصة ٢٦٤. والمغني في الضعفاء ١/٤٣١. والميزان ٣/٦٢ والجرح والتعديل ٧/٤.

زبرجدة خضراء، ملاطها مسك[1]، حشيشها زعفران، حصباؤها اللؤلؤ، ترابها العنبر، ثم قال لها: انطقي. قالت: قد أفلح المؤمنون فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿[2] ومن يوق شح نفسه فأولئك همالمفلحون ﴾[3].

وروى أبو الشيخ عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ التغابن رفع عنه موت الفجاءة[4].

---

(١) في د: بلاطها.

(٢) الآية: ١٦.

(٣) هذا حديث ضعيف، لأن في سنده:

ا ـ محمد بن زياد الكلبي وهوضعيف، كان شاعراً لا علم له بصناعة الحديث.

راجع: الميزان ٣/٥٥٢، والمغني في الضعفاء ٢/٥٨١.

ب ـ سعيد بن أبي عروبة البصري، المتوفي سنة ١٥٦ وهو ثقة روى له مسلم في صحيحه إلا أنه كان قدرياً، وتغير واختلط في آخر حياته، ومما يدل على تغيره واختلاطه قول مسلم بن ابراهيم: قال لي سعيد بن أبي عروبة: مالك خازن النار، من أي حي هو؟.

راجع: الميزان ٢/١٥١، والمغني في الضعفاء ١/٢٦٤، والخلاصة ١٤١.

(٤) حديث أبي بن كعب حديث طويل في فضائل سور القرآن سورة سورة، وهو حديث موضوع كما قال الذهبي في الميزان ٤/٢٧٩ في ترجمة أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي واضع هذا الحديث.

وقد روى هذا الحديث بطوله من عدة طرق ذكرها السيوطي في اللآلىء ١/١١٧، وأشار إلى أن ابن عدى ذكر بعضها في الكامل وبين ما فيها من وهن وضعف. ثم قال السيوطي: وقد فرق هذا الحديث أبو اسحاق التغلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما خصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، وذكره أبو بكر بن أبي داود في فضائل القرآن، اهـ.

وممن صرح بوضعه الفتنى في تذكرة الموضوعات ص ٨٢.

سورة الطلاق

وتسمى : (سورة)[1] النساء القصرى.
مدنية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها إحدى عشرة آية في البصرى، وإثنتا عشرة في عدد الباقين.
اختلافها ثلاث آيات:
﴿ بالله واليوم الآخر ﴾[2]. عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.
﴿ يجعل له مخرجاً ﴾[2]، عدها المدني الأخير والمكي والكوفي، ولم يعدها الباقون.
﴿ يا أولى الألباب ﴾[3]، عدها المدني الأول، ولم يعدها الباقون.

---

(١) ليست بالأصل.
(٢) آية: ٢.
(٣) آية: ١٠.

وفيها ما يشبه الفاصلة، ولم يعد بإجماع، خمسة مواضع:

﴿ثلاثة أشهر﴾[1]، ﴿حساباً شديداً﴾[2]، ﴿عذاباً شديداً﴾[2] ﴿إلى النور﴾[3]، ﴿شيء قدير﴾[4].

وعكسه موضع واحد:

﴿له أخرى﴾[5].

ورويها أربعة أحرف، وهي: رق جم[6].

مقصودها

ومقصودها: تقدير حسن التدبير في المفارقة والمهاجرة بتهذيب الأخلاق بالتقوى، لا سيما إن كان ذلك عند الشقاق، لا سيما إن كان في أمر النساء، لا سيما عند الطلاق، ليكون الفراق على نحو التواصل والتلاق.

واسمها «الطلاق» أجمع ما يكون لذلك، فلذا سميت به.

وكذا سورة النساء القصرى، لأن العدل في الفراق بعض مطلق العدل، الذي هو محط مقصود سورة النساء[7].

---

(١) آية: ٤.

(٢) آية: ٨.

(٣) آية: ١١.

(٤) آية: ١٢.

(٥) آية: ٦.

(٦) الجيم: روى قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ٢﴾.
والقاف: ﴿قد أحسن الله له رزقاً ١١﴾.
والميم: ﴿وان الله قد أحاط بكل شيء علماً ١١﴾.
والراء: باقي آيات السورة.

(٧) هذه سورة الطلاق، يبين الله فيها أحكامه، ويفصل فيها الحالات التي لم تفصل في سورة البقرة التي تضمنت بعض أحكام الطلاق، وقد تضمنت هذه السورة بيان الوقت الذي يمكن أن يقع فيه الطلاق الذي يجري وفق سنة الله تعالى: =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الطبراني من طريق إسماعيل بن عمرو البجلي - قال الهيثمي: وهو ضعيف[1] - عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة، يأتكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة. ثم قال: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

وفي سورة الزمر حديث في فضلها[2].

وروى أحمد، وابن ماجة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[3]، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو هذهالآية: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ فجعل يرددها حتى

= ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾.
كذلك جاء فيها بيان حق المطلقة في البقاء في بيتها - يعني بيت مطلقها - فترة العدة لا تخرج - ولا تخرج - منه إلا أن تأتي بفاحشة مبينة:
﴿ولا تخرجوهن من بيوتهن، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾.
كما ذكرت ما يترتب على الطلاق من عدة ونفقة وسكني، وأجر للمرضع، وغير ذلك من الأحكام، فقد بينت عدة اليائس التي انقطع عنها دم الحيض لكبر أو مرض، وكذلك عدة الصغيرة، وعدة الحامل.
وفي خلال تلك الأحكام التشريعية تكررت الدعوة إلى تقوي الله، بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى، لكي لا يقع حيف أو ظلم من أحد الزوجين.
وختمت السورة بالتحذير من تعدي حدود الله، وضربت الأمثلة بالأمم الباغية، التي عتت عن أمر الله، وما ذاقت من الوبال والدمار. ثم أشارت إلى قدرة الله في خلق سبع سموات طباق، وخلق الأرضين، وكلها براهين ناطقة على وحدانية الله وقدرته.
راجع: الظلال ٦/٣٥٩٣. صفوة التفاسير ١٨/٦٩.

(١) مجمع الزوائد ٧/١٢٥.
(٢) راجع: ص.
(٣) ووافقه الذهبي في التلخيص ٢/٤٩٢.

نعست، فقال: يا أبا ذر، لو أن الناس أخذوا بها لكفتهم[١].

وروى أبو داود واللفظ له، والنسائي، وابن ماجة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في الدعوات، وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً[٢]، (ورزقه من حيث لا يحتسب)[٣].

ومدار أسانيدهم على الحكم بن مصعب، قال المنذري فيه: صويلح الحديث لم يرو عنه غير الوليد بن مسلم فيما أعلم، وذكره ابن حبان في الثقات، وفي الضعفاء أيضاً وقال: يخطىء[٤].

وروى آدم بن أبي إياس[٥] في تفسيره عن محمد بن إسحاق قال: جاء مالك الأشجعي إلى النبي ﷺ، قال: أسر ابني عوف، فقال له: أرسل

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٧٨/٥.
وسنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الورع والتقوي ١٤١١/٢ حديث رقم ٤٢٢٠.
والمستدرك للحاكم: كتاب التفسير، سورة الطلاق ٤٩٢/٢.

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في الإستغفار ٨٥/٢ حديث رقم ١٥١٨.
وسنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب الإستغفار ١٢٥٤/٢ حديث رقم ٣٨١٩.

(٤) الترغيب والترهيب ٥٦٩/٤. ومختصر السنن له ١٥٢/٢.
ولكن صحح الحديث الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند حديث رقم ٢٢٣٤، وبني تصحيحه هذا بناء على أن البخاري ترجم للحكم ولم يذكر فيه جرحاً فهو عنده ثقة.

(٥) هو أبو الحسن آدم بن أبي إياس عبد الرحمن بن محمد الخراساني المروزي العسقلاني أصله من خراسان، ونشأ ببغداد، وبها طلب الحديث، وكتب عن شيوخها، ورحل إلى الكوفة والبصرة، ومصر والشام والحجاز، ثم استوطن عسقلان، وكان ضابطاً للحديث مات بعسقلان سنة ٢٢٠ عن ثمان وثمانين سنة.
راجع: تذكرة الحفاظ ٤٠٩/١. وطبقات الحفاظ ١٦٨. وطبقات ابن سعد ١٨٦/٧. (٣) زيادة عن تفسير ابن كثير.

(إليه)[1] إن النبي ﷺ يأمرك أن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فأتاه الرسول فأخبره، فأكب عوف يقول: لا حول ولا قوةإلا بالله، وقد كانوا شدوه بالقد، فسقط القد عنه، فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها فأقبل فإذا هو بسرح القوم[2]، فصاح بهم، فأتبع آخرها أولهم، فلم يفجأ أبويه إلا وهو بنادي بالباب، فقال أبوه: عوف ورب الكعبة، فقالت أمه: واسوأتاه، وعوف كئيب متألم ما فيه من القد، فاستبق الباب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل، فأتى أبوه النبي ﷺ فأخبره بخبر عوف، وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بإبلك، ونزل: [3] «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبة» [4].

وهذا سند منقطع، فإن محمداً ابن إسحاق لم يدرك مالكاً الأشجعي.

وقد مضى آخر سبحان ما يشبه أن يكون متصلاً بهذا.

وروى أبو الشيخ والبيهقي، من رواية الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من انقطع إلى الله عز وجل كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا، وكله الله إليها [5].

قال المنذري: واختلف في سماع الحسن من عمران رضي الله عنه [6].

---

(١) زيادة عن تفسير ابن كثير.

(٢) في النهاية ٢/٣٥٨: السرح والسارح والسارحة: الماشية اهـ.

(٣) الآية: ٣٠٢.

(٤) قال ابن كثير ٤/٣٨٠: ورواه ابن أبي حاتم.
ورواه ابن جرير في تفسيره ٢٨/٨٩.

(٥) ورواه ابن أبي حاتم. (تفسير ابن كثير ٤/٣٨٠).
وفيه ابراهيم بن الأشعب خادم الفضيل، عن الفضيل بن عياض. وابراهيم ضعيف.
راجع ترجمته في الميزان ١/٢٠.

(٦) الترغيب: كتاب الزهد ٤/١٢٢.

سورة التحريم

وتسمى سورة النبي. مدنية إجماعاً.

وآيها اثنتا عشرة بالإجماع.

ولا اختلاف في تفاصيلها.

وفيها مما يشبه الفاصلة موضع: ﴿ وصالح المؤمنين ﴾[1].

رويها ثلاثة أحرف، وهي: رمن.

مقصودها

ومقصودها: الحث على تقدير التدبير في الآداب مع الله ومع رسوله، لا سيما للنساء اقتداء بالنبي ﷺ في حسن عشرته، وكريم صحبته، وبيان (أن)[2] الأدب الشرعي تارة يكون باللين، وأخرى بالسوط وما داناه، ومرة

(١) آية: ٤.

(٢) ساقطة من د.

بالسيف وما والاه واسماها «التحريم والنبي» موضح لذلك[1]

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى البغوي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه، إلى أن قال: دخلت عليه[2]، فقلت: يا رسول الله ما يشق[3] عليك من شأن[4] النساء. فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وما[5]، - تكلمت - وأحمد الله - بكلام

---

(1) سورة التحريم مدنية، وقد تناولت أحكاماً خاصة ببيت النبوة، وبأمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ.

ففي مطلع السورة يجيء الحديث عن تحريم ما حرمه رسول الله ﷺ على نفسه إرضاء لرغبة بعض أزواجه، وجاء العتاب له لطيفاً رقيقاً، يشف عن عناية الله بعبده ورسوله محمد ﷺ، وكيف يضيق على نفسه ما وسعه الله له.

ثم تناولت السورة أمراً مهما على جانب كبير من الخطورة، وهو إفشاء السر الذي يكون بين الزوجين، وضربت المثل على ذلك برسول الله ﷺ حين أسر إلى بعض أزواجه بسر واستكتمها إياه، فأفشته إلى إحدى ضرائرها، حتى شاع الأمر وذاع، مما أغضب الرسول ﷺ حتى لقد هم بتطليق أزواجه جميعاً.

كما حملت السورة حملة عنيفة على زوجات رسول الله ﷺ حين حدث ما حدث من التنافس، وغيرة بعضهن من بعض لأمور يسيرة، فتوعدهن الله بإبدال رسوله نساء خيراً منهن، انتصاراً لرسول الله ﷺ، واعلاء لشأنه.

ثم ختمت السورة بضرب مثلين: مثل للزوجة الكافرة في عصمة الرجل المؤمن، ومثلاً للزوجة المؤمنة في عصمة الرجل الكافر، تنبيهاً للعباد على أنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد، ولا ينفع نسب ولا حسب، إذا لم يكن عمل الإنسان صالحاً.

راجع: صفوة التفاسير ١٨/٧٧.

(2) عند مسلم في صحيحه: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب... الحديث.

(3) في د: شق.

(4) في د: أمر.

(5) في تفسير البغوي، وابن كثير ٤/٣٨٩: تبعاً لمسلم: وقلما.

إلا رجوت أن الله يصدق قولي الذي أقول. ونزلت هذه الآية:[1] ﴿ **عسى ربه إن طقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن** ﴾، و﴿[2] **إن تظاهرا عليه** ﴾ الآية[3].

وروى الحاكم وقال: صحيح الإسناد ـ قال المنذري: كذا قال (الحاكم[4] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال[5]): لما أنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾[6] تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه، فخر فتى مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك. فقال رسول الله ﷺ: يا فتى، قل: لا إله إلا الله، فقالها فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا يا رسول الله أمن بيننا[7]؟. قال: أو ما سمعتم قول الله[8] تعالى: ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾[9].

---

(١) آية: ٥.

(٢) آية: ٤.

(٣) تفسير البغوي على هامش الخازن ٨/١٠٠.
وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير المرأة لا يكون طلاقاً إلا بالنية ١٠/٨٣ مطولاً.

(٤) الترغيب والترهيب للمنذري: كتاب التوبة والزهد ٤/٢٣٣.

(٥) ما بين المربعين ساقط من د.

(٦) آية: ٦.

(٧) أي أن ذلك له خاصة دون من عداه من المؤمنين؟.

(٨) في د قوله.

(٩) سورة ابراهيم: آية: ١٤.

سورة الملك

وتسمى: تبارك. والمانعة، والواقية، والمنجية.

قال النسفي: قال ابن مسعود: كنا نسمي «تبارك الذي بيده الملك» على عهد رسول الله ﷺ المنجية، وهي في التوراة سورة الملك. انتهى.

وهي مكية.

وقيل: مدنية.

عدد آياتها

وآيها إحدى وثلاثون آية في المدني الأخير والمكي، وثلاثون فقط فيما عداهما.

اختلافها آية: ﴿قد جاءنا نذير﴾[1]. عدها المدني الأخير والمكي، ولم يعدها غيرهما. وعدها شيبة، ولم يعدها أبو جعفر.

---

(١) آية: ٩.

وفيها مما يشبه الفواصل، ثلاثة مواضع:

﴿ طباقا ﴾[1]، ﴿ للشياطين ﴾[2]، ﴿ يأتيكم نذير ﴾[3].

ورويها ثلاثة أحرف: رمن[4].

مقصودها

ومقصودها: الخضوع لله، لاتصافه بكمال الملك، الدال عليه (تمام القدرة، الدال عليه قطعاً إحكام)[5] المكونات، الدال عليه تمام العلم، الدال عليه مع إحكام المصنوعات، علم ما في الصدور، لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والفساد كما هي عادة الملوك، لتكمل الحكمة، وتتم النعمة.

واسمها «الملك» واضح في ذلك، لأن الملك محل الخضوع، من كل ما يرى الملك. وكذا «تبارك» لأن من كان كذلك، كان له تمام الثبات والبقاء، فكان له من كل شيء كمال الخضوع والاتقاء[6].

وكذا اسمها: المانعة، والواقية، والمنجية. لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة ومن لزمها نجا مما يخاف، ومنع من كل هول، ووقى كل محذور[7].

---

(١) آية: ٣.

(٢) آية: ٥.

(٣) آية: ٨.

(٤) الميم: روى الآية: ٢٢. واللآية: ٢٨.

والنون: روى الآية: ٢٣، والآية: ٢٤، والآية: ٢٥، والآية: ٢٦، والآية: ٢٧، والآية: ٢٩، والآية: ٣٠.

والراء: روى الآيات الباقية.

(٥) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٦) في د: وبالانقا. وفي م غير مقروءة.

(٧) سورة الملك من السور المكية، ومقصودها: معالجة موضوع العقيدة في أصولها الكبرى =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود، والترمذي وحسنه واللفظ له، والنسائي وأبو عبيد في الفضائل، وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من القرآن سورة ثلاثون آية ـ وفي رواية: إن سورة من القرآن ثلاثة آية ـ شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك[1].

= وقد تناولت ثلاثة أهداف رئيسية وهي: إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة، وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين، ثم بيان عاقبة المكذبين الجاحدين للبعث والنشور.

ابتدأت السورة الكريمة بتوضيح الهدف الأول، فذكرت أن الملك والسلطان بيد الله جل وعلا، وهو المهيمن على الكون والمتصرف فيه بالخلق والإيجاد، والإماتة والإحياء.

ثم تحدثت عن خلق السموات السبع، وما زيَّنها الله به من الكواكب الساطعة، والنجوم اللامعة، وكلها أدلة على وحدانية الله وقدرته.

ثم تناولت الحديث عن المجرمين بشيء من الإسهاب، وهم يرون جهنم تتلظى، وتكاد تتقطع من شدة الغيظ والغضب على أعداء الله، وقارنت بين مآل الكافرين والمؤمنين على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب.

وبعد أن ساقت بعض الأدلة والشواهد على عظمة الله وقدرته، حذرت من عذابه وسخطه أن يحل بأولئك المعاندين الجاحدين من مشركي مكة: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ الآيات.

ثم ختمت السورة بالإنذار والتحذير للمكذبين الذين كذبوا رسول الله ﷺ من حلول العذاب بهم في الوقت الذي تمنوا فيه موت الرسول وأصحابه: ﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾.

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في عدد الآي ٢/٥٧ حديث رقم ١٤٠٠.
وجامع الترمذي: كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الملك ٤/٢٣٨ حديث رقم ٣٠٥٣.
وسنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٢٤٤ حديث رقم ٣٧٨٦.
والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن ١/٥٦٥، وكتاب التفسير ٢/٤٩٧.
ومسند الإمام أحمد: ٢/٢٩٩، ٣٢١.

ورواه عبد بن حميد في مسنده ولفظه: إن سورةً من كتاب الله عز وجل، ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته من النار، وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك.

وللترمذي وقال: غريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر[١].

وللحاكم وقال: هذا إسناد عن اليمانيين صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: وددت أنها في قلب كل مؤمن. يعني: تبارك الذي بيده الملك[٢].

ورواه الطبراني في الكبير بسند فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو ضعيف[٣] ـ بلفظ: لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي، يعني: تبارك الذي بيده الملك.

وعند الحاكم أيضاً وصحح إسناده، والطبراني في الكبير، من طريق عاصم بن بهدلة ـ قال الهيثمي: وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال

---

(١) جامع الترمذي: كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الملك ٤/٢٣٨ حديث رقم ٣٠٥٢. وفي سنده يحي بن عمرو بن مالك النكرى ـ بضم النون وفتح الكاف ـ البصري متهم بالكذب، ورويت عنه أحاديث منكرة، وضعفه الذهبي بهذا الحديث.

راجع: الخلاصة ٤٢٦. والميزان ٤/٣٩٩. والمغني في الضعفاء ٢/٧٤١.

(٢) المستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/٥٦٥.

وإسناده ضعيف وليس كما قال الحاكم: صحيح، لأن فيه حفص بن عمر بن ميمون العدني قال ابن عدى: عامة ما يرويه غير محفوظ.

راجع: الخلاصة ٨٨. والميزان ١/٥٦٠، والمغني في الضعفاء ١/١٨٠.

(٣) راجع: ترجمته في الميزان ١/٢٧، والمغني في الضعفاء ١/١٢.

الصحيح[1] ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: يؤتي بالرجل في قبره، فتوتي رجلاه فتقولان ليس لكم[2] على ما قِبَلِنَا سبيل، فقد كان يقرأ علينا سورة الملك، ثم يؤتي من قبل صدره ـ أو قال: بطنه ـ فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ فيّ سورة الملك (ثم يؤتي من قبل راحته، فتقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ في سورة الملك)[3]. فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قام بها في ليلة فقد أكثر وأطنب[4].

ورواه عبد الرزاق موقوفاً على ابن مسعود[5] رضي الله عنه[6].

وفي رواية له وللطبراني ـ موقوفاً أيضاً ـ مات رجل فجاءته ملائكة العذاب، فجلسوا عند رأسه، فقال: لا سبيل لكم إليه، قد كان يقرأ في سورة الملك[7]. فذكر نحوه.

وهو في النسائي مختصراً بلفظ: من قرأ «تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ (نسميها) المانعة، وأنها في كتاب الله سورة، من قرأ بها في ليلة، فقد أكثر وأطاب.

ورواه الطبراني في الكبير والأوسط ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات[8] ولفظه: كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة، وأنها في كتاب الله سورة، من قرأ بها في ليلة فقد أكثر وأطنب[9].

(١) مجمع الزوائد ١٢٨/٧.
(٢) في مجمع الزوائد: لك.
(٣) ما بين المربعين ساقط من د.
(٤) المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة الملك ٤٩٨/٢.
في د: ابن عباس وهو خطأ، نقلاً.
(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣٧٨/٣ حديث
(٦) رقم ٦٠٢٤.
(٧) المصنف ٣٧٩/٣ حديث رقم ٦٠٢٥.
(٨) مجمع الزوائد ١٢٧/٧.
(٩) في مجمع الزوائد: أطيب.

ورواه أبو عبيد في الفضائل من طريق مرة الطيب[1] ومن طريق زر بن حبيش عن عبد الله قال: إن الميت إذا مات، أوقدت نيران حوله، فتأكل كل نار ما يليها، إن لم يكن له عمل يحول بينه وبينها، وأن رجلاً مات لم يكن يقرأ من القرآن إلا سورة ثلاثين آية، فأتته من قبل رأسه فقالت: إنه كان يقرؤ ني، فأتته من قبل رجليه فقال: إنه كان يقوم بي، فأتته من قِبَلِ جوفه، فقالت: إنه كان وعائي.

قال مرة: فنظرت أنا ومسروق فلم نجد سورة ثلاثين آية إلا تبارك.

وروى مالك في الموطأ، عن ابن شهاب، أن حميد بن عبد الرحمن أخبره: أن «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن، وأن «تبارك الذي بيده الملك» تجادل عن صاحبها في قبره[2].

وروى البيهقي عن الخليل بن مرة[3]، أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ تبارك. وحم السجدة[4].

---

(١) هو أبو اسماعيل مرة بن شراحيل العابد، الهمداني الكوفي، والملقب بمرة الطيب، ومرة الخير. روى عن أبي بكر وعمر، وجماعة من الصحابة. وروى عنه الشعبي وطلحة بن مصرف وطائفة، وكان ثقة. مات قبل سنة ٧٦.
راجع: الخلاصة ٣٧٢. والكاشف ١٣١/٣.

(٢) الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك ٢٠٩/١.

(٣) هو الخليل بن مرة الضبعي - بضم الضاد المعجمة، وفتح الباء - البصري الرقي المتوفي سنة ١٦٠. قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدى: ليس بمتروك.
راجع: الخلاصة ١٠٧. والميزان ٦٦٧/١. والمغني في الضعفاء ٢١٤/١.

(٤) حديث ضعيف لانقطاعه، وضعف الخليل بن مرة.
وأولى منه حديث جابر: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك.
أخرجه الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك ٢٣٩/٤ حديث رقم ٣٠٥٤. وكتاب الدعوات، باب ٢٢ ١٤٠/٥ حديث رقم ٣٤٦٥.
والدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل تنزيل السجدة وتبارك ٤٥٥/٢.
وفي سندهما ليث بن سليم، وهو ضعيف (الخلاصة ٣٢٣).

وللطبراني في الصغير والأوسط بسند ـ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح[١] ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي سورة تبارك[٢].

وقد مضى في آل عمران وغيرها، أن يحمل مثل هذا: أنه يأتي ثواب القرآن فيجادل[٣].

وعندي: أنه لا مانع من أن الله تعالى يخلق صورة من الصور، من رآها علم أنها تدل على السورة التي نسب إليها الكلام، ويطلق عليها القرآن، كما أن الله تعالى ألهمنا في هذه الدار إلى تصوير القرآن بالكتابة، ويطلق عليه أنه قرآن تجاوزا، أو بالاشتراك. كما في حديث: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو»[٤].

وقد مضى نحو هذا في السجدة، والله الموفق.

وروى ابن ماجة بإسناد ـ قال المنذري: حسن[٥] ـ، وابن خزيمة في صحيحه، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة تبارك وهو قائم يذكر بأيام الله، وأبو ذر رضي الله عنه يغمز أبي بن كعب رضي الله فقال: متى أنزلت هذه السورة إني لم أسمعها إلا[٦] الآن؟. فأشار* إليه أن: اسكت، فلما انصرفوا قال: سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني، فقال أبي رضي الله عنه: ليس لك اليوم من صلاتك معنا إلا ما

---

(١) مجمع الزوائد ١٢٧/٧.
(٢) المعجم الصغير للطبراني ١/١٧٦.
(٣) راجع: ج ٢: ١٠٩.
(٤) تقدم تخريجه ج ١: ١٤٦.
(٥) الترغيب والترهيب: كتاب الجمعة ١/٥٠٥.
(٦) في د: «الى»، وكذا في الترغيب والترهيب.

لغوت فذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالذي قال أبي رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: صدق أبي رضي الله عنه[1].

(١) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الإستماع للخطبة والإنصات لها ١/٣٥٢ حديث رقم ١١١١.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الجمعة، باب النهي عن السؤال عن العلم غير الإمام والإمام يخطب ٣/١٥٤ حديث رقم ١٨٠٧. وفيه: فقرأ النبي ﷺ سورة براءة.
وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٢٢٤٣ حديث رقم ٥٤٢٤ عن ابن شريح، عن رجل عن أبي سلمة بن عبد الله. وفيه: بينا النبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة إذ قرأ آية فسمعها أبو ذر. . . الحديث.

سورة ن

وتسمى: القلم.

مكية إجماعاً.

قال الأصفهاني: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن فيها من المدني: ﴿ **إنا بلوناهم** ﴾، إلى قوله: ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾[1]. وقوله: «فاصبر»، إلى قوله: ﴿ **من الصالحين** ﴾[2].

وقال أبو حيان: ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل بن هشام[3].

عدد آياتها

وآيها اثنتان وخمسون إجماعاً. ولا اختلاف فيها.

وفيها مشبه الفاصلة، ثلاثة مواضع:

(١) الآيات: ١٧ ـ ٣٣.

(٢) الآيات: ٤٨ ـ ٥٠.

(٣) البحر المحيط ٨/٣٠٧.

(ن)[1]، ﴿ كذلك العذاب ﴾[2]، ﴿ الحوت ﴾[3].

وعكسه موضعان:

﴿ مصبحين ﴾[4]، ﴿ ولا يستثنون ﴾[5].

ورويها حرفان، وهما: نم.

مقصودها

ومقصودها: إظهار ما ستر، وبيان ما أبهم، في آية: ﴿ **فستعلمون من هو في ضلال مبين**﴾[6] بتعيين المهتدي الذي برهن على هدايته، حيازته العلم الذي هو النور الأعظم، الذي لا يضل بمصاحبه، بتقبل القرآن، والتخلق بالفرقان، الذي هو صفة الرحمن.

وأدل ما فيها على هذا الغرض: (ن)[7]، وكذا: والقلم. فلذا سميت بكل منهما. وبالكلام على كل منهما يعرف ذلك.

وحاصله: (أن)[8] النون مبين محيط في بيانه كما يحيط ضوء الشمس بما يظهره، وكما تحيط الدواة بمدادها بآية ما دل عليه بمخرجه وصفاته، واستقراء الكلم الواقع فيها المعاني التي اشتركت في لفظه.

وأما القلم: فابانته للمعارف، أمر لا ينكر[9]

---

(١) ساقطة من د.

(٢) آية: ٣٣.

(٣) آية: ٤٨.

(٤) آية: ١٧.

(٥) آية: ١٨.

(٦) اية ٢٩ من سورة تبارك.

(٧) ساقطة من د.

(٨) ساقطة من د.

(٩) المحور الذي تدور عليه سورة القلم هو إثبات نبوة محمد ﷺ. فقد ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على رفعة قدر النبي ﷺ وشرفه، وبراءته مما ألصقه به المشركون من =

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى الطبراني في الكبير وقال: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلّا مؤمّل بن اسماعيل - قال الهيثمي: (مؤمل)[1] ثقة كثير الخطأ، وقد وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره، وبقية رجاله ثقات[2] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أن أول ما خلق الله القلم والحوت. فقال للقلم: اكتب. قال: ما أكتب؟. قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة. ثم قرأ: ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾[3]، فالنون: الحوت والقلم: القلم[4].

= اتهامه بالجنون، وبينت أخلاقه العظيمة ومناقبه السامية: وبراءته مما ألصقه به المشركون من اتهامه بالجنون، وبينت أخلاقه العظيمة ومناقبه السامية: ﴿ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون. وإن لك لأجراً غير ممنون. وإنك لعلى خلق عظيم﴾ الآيات.

ثم ضربت مثلاً لكفار مكة في كفرانهم نعمة الله العظمى ببعثة خاتم الأنبياء ﷺ إليهم، وتكذيبهم، ضرب لهم مثلاً بقصة أصحاب الجنة ذات الأشجار والثمار، حيث جحدوا نعمة الله عليهم، ومنعوا حقوق الفقراء والمساكين، فأحرق الله حديقتهم وجعل قصتهم عبرة وعظة للمعتبرين: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنّها مصبحين﴾ الآيات.

ثم تناولت القيامة وأحوالها وأهوالها، وموقف المجرمين في ذلك اليوم العصيب، الذي يكلفون فيه بالسجود لرب العالمين فلا يقدرون.

وختمت السورة بأمر رسول الله ﷺ بالصبر على أذى المشركين، وعدم التبرم والضجر بما يلقاه في سبيل دعوة الله عز وجل، كما حدث من يونس عليه السلام لما ترك قومه وسارع إلى ركوب البحر.

راجع: الظلال ٣٦٥٠/٦. صفوة التفاسير ١٤/١٩.

(١) ساقطة من د.

(٢) مجمع الزوائد ١٢٨/٧.

(٣) آية: ١.

(٤) لهذا الحديث شاهد من حديث عبادة بن الصامت ولفظه:

«أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم، ثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب. قال: =

وروى الشيخان وغيرهما، وأورده البغوي في تفسير: ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾(1) بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: العين حق(2).

وفي رواية عند أحمد وابن ماجة: يحضرها الشيطان، وحسد ابن آدم(3).

فاكتب ما يكون، وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة».

أخرجه: أحمد في المسند ٣١٧/٥ وفيه ابن لهيعة.

والترمذي: كتاب القدر، باب ١٦ ٣١/٣ حديث رقم ٢٢٤٤ وقال: هذا حديث غريب.

وأبو داود: كتاب السنة، باب في القدر ٢٢٥/٤ حديث رقم ٤٧٠٠.

وأخرجه رزين من حديث أبي بن كعب.

وراجع: جامع الأصول ١٨/٤ حديث رقم ١٩٩١.

(1) الآية ٥١ من السورة.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ليزلقونك بأبصارهم﴾ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٠٩/٤: أي يعينونك بأبصارهم، بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله عز وجل. كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة، اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره ٢٥٥/١٨٥: قال الهروي: أراد ليعتانونك بعيونهم فيزلقونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه، عداوة لك، اهـ.

(2) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب العين حق ٢٣/٧، وكتاب اللباس، باب الواشمة ٦٣/٧.

وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقي ١٧١/١٤.

وموطأ مالك: كتاب العين، باب الوضوء من العين ٩٣٨/٢.

وسنن أبي داود: كتاب الطب، باب ما جاء في العين ٩/٤ حديث رقم ٣٨٧٩.

وصحيح الترمذي: كتاب الطب، باب ما جاء أن العين حق والغسل لها ٢٦٨/٣ حديث رقم ٢١٤٠ من حديث حابس التميمي.

وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٤٥٩/٨.

(3) مسند الإمام أحمد ٤٣٩/٢.

وسنن ابن ماجة: كتاب الطب، باب العين ١١٥٩/٢ حديث رقم ٣٥٠٧ مقتصراً على قوله: العين حق.

وفي الحلية عن جابر: العين حق، تدخل الجمل القدر، والرجل القبر[1] وعن أسماء بنت عميس[2] رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن بني جعفر[3] تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟. قال: نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين[4].

---

(١) الحلية ٩٠/٧. قال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري، تفرد به معاوية، اهـ.

قلت: ومعاوية - هذا - هو ابن هشام القصار، أبو الحسن الكوفي الأزدي، مولاهم، المتوفى سنة ٢٠٤، وثقه أبو داود. وقال ابن معين: صالح وليس بذاك وقال ابن حبان: ربما أخطأ.

راجع: الخلاصة ٣٨٢. والميزان ١٣٨/٤. والكاشف ١٥٩/٣.

(٢) هي أسماء بنت عميس بن مَعْدٍ - بوزن سعد - بن الحارث الخثعمية من خثعم، أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ لأمها، وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس ابن عبد المطلب، وزوجة جعفر بن أبي طالب، أسلمت، ثم هاجرت مع جعفر إلى الحبشة ثم هاجرت معه إلى المدينة، ولما قُتل جعفر في غزوة موتة، تزوجها أبو بكر الصديق وكان يوم حنين وأنجب منها محمداً، ثم تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة أبي بكر، وأنجبت له يحي بن علي. روى عنها عمر بن الخطاب، وأبو موسى الأشعري، وابنها عبد الله ابن جعفر، وكثيرون، ولما مات ابنها محمد بن أبي بكر وبلغها أنه قتل، جلست في مسجدها وكظمت غيظها، حتى شخبت ثدياها دماً.

راجع: الإصابة ٢٢٥/٤، الإستيعاب على هامش الإصابة ٢٣١/٤، والخلاصة ٤٨٨ وأعلام النساء ٥٦/١، والكاشف ٤٦٤/٣. وتهذيب التهذيب ٣٩٨/١٢.

(٣) تعني أبناءها من جعفر بن أبي طالب، وهم: عبد الله، ومحمد، وعون، أنجبتهم لجعفر وهما بالحبشة. الإصابة ٢٢٥/٤.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٣٨/٦.

والترمذي: كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين ٢٦٧/٣ حديث رقم ٢١٣٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ في الفتح ٢٠١/١٠: وأخرجه النسائي من طريق عبيد بن رفاعة.

وله شاهد عند مسلم ١٨٥/١٤ من حديث جابر: أن النبي ﷺ قال لأسماء بنت عميس: مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة - يعني نحيفة - تصيبهم الحاجة؟، قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم. قال: ارقيهم.

سورة الحاقة

مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها إحدى وخمسون آية في البصرى والشامي، واثنتان في عدد الباقين.

اختلافها:

﴿ **الحاقة** ﴾[1] الأولى، عدها الكوفي ولم يعدها الباقون.

وأما ﴿ **ما الحاقة** ﴾ فهي آية بالاتفاق. قاله السخاوي.

﴿ **كتابه بشماله** ﴾[2] عدها المدنيان والمكي، ولم يعدَّها الباقون.

وفيها مشبه الفاصلة، ثلاثة مواضع:

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٢٥.

﴿ حسوما ﴾[1]، ﴿ صرعى ﴾[2]، ﴿ بيمينه ﴾[3].

قال أبو عمرو الداني: وقيل: إن البصرى يعد «حسوما» وليس بصحيح[4].

ورويها تسعة أحرف: منهل، أي، عقد[5].

مقصودها

ومقصودها: تنزيه الخلق ببعث الخلائق، لإحقاق الحق. وإزهاق الباطل، بالكشف التام بشمول العلم للكليات والجزئيات، وكمال القدرة على العلويات والسفليات، وإظهار العدل بين سائر المخلوقات، فيميز المسلم من المجرم بالمُلَذِّذ والمؤلم.

وتسميتها بالحاقة في غاية الوضوح في ذلك، وهو أدل ما فيها عليه[6].

---

(١) الآية: ٧.

(٢) الآية: ٧.

(٣) الآية: ١٩.

(٤) البيان لأبي عمرو: الورقة ٧٤.

(٥) الهمزة روى: ﴿والمؤتفكات بالخاطئة﴾ الآية: ٩.
واللام روى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ الآية: ٤٤.
وباقي الحروف مكررة في السورة.

(٦) هذه السورة تهدف إلى إثبات صدق القرآن الكريم، وبيان أنه كلام الله الحكيم العليم، وبراءة الرسول ﷺ مما نسبه إليه أهل الشرك والضلال من أنه اختلقه وافتراه.
ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القيامة وأهوالها، والساعة وشدائدها، وبيان أحوال المكذبين بها، وما عاقب الله به أهل الكفر والعناد.
ثم تناولت الوقائع والفجائع التي تكون عند قيام الساعة والنفخ في الصور؛ من خراب العالم ودك الجبال، وانشقاق السموات.
ثم ذكرت حال السعداء ومآل الأشقياء في ذلك اليوم العظيم، حيث يعطي المؤمن كتابه بيمينه، ويلقي الإكرام والإنعام، وأما الكافر فيلقي كتابه بشماله، ويلقي الذل والهوان. وبعد ذلك يجيء التوكيد بالقسم على صدق الرسول ﷺ، وصدق ما جاء به وبلغه عن الله تبارك وتعالى، ورد افتراءات المشركين الذين زعموا أن القرآن سحر =

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى الطبراني في الأوسط ـ وفي سنده السائب بن يسار الطائفي قال الهيثمي: لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات[١] ـ عن يزيد بن عامر السوائي رضي الله عنه أنهم بيناهم يطوفون بالطاغية إذ سمعوا متكلماً وهو يقول: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، ففزعنا لذلك فقلنا: ما هذا الكلام الذي لا نعرفه؟. فنظرنا فإذا النبي ﷺ منطلقاً.

وروى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ (قبل)[٢] أن أُسْلِمَ فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قلت: هذا والله شاعر، كما قالت قريش فقرأ: ﴿ **إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون** ﴾[٣] قال: فقلت: كاهن فقرأ: ﴿ **ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون، تنزيلٌ من رب العالمين** ﴾[٣] ـ إلى آخر السورة ـ فوقع الإسلام في قلبي كل موقع[٤].

قال ابن رجب: شريح[٥] لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

= وكهانة. ثم ذكرت البرهان القاطع على أمانة الرسول ﷺ في تبليغه الوحي كما نزل عليه بذلك التصوير الذي يهز القلب هزاً، ويثير في النفس الخوف والفزع.

وختمت السورة بتمجيد القرآن، وبيان أنه رحمة للمؤمنين، وحسرة على الكافرين: ﴿وإنه لتذكرة للمتقين. . . وإنه لحسرة على الكافرين، وإنه لحق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم﴾.

(١) مجمع الزوائد ٧/١٢٨.

(٢) زيادة عن مسند أحمد.

(٣) الآيات ٤٠ ـ ٤٣.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/١٧ ـ ١٨.

(٥) هو شريح بن عبيد بن شريح الحمصي، الحضرمي المقرائي ـ بضم الميم نسبة إلى مقراء قرية بدمشق ـ صدوق، وأرسل عن خلق مات سنة ١٠٨.

راجع: الخلاصة ١/٤٤٧. والكاشف ٢/٩.

سورة المعارج

وتسمى: سأل، والواقع.

مكية إجماعاً.

قال أبو حيان: قال الجمهور: نزلت في النضر بن الحارث[1] حين قال: ﴿[2] **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء**﴾[3].

---

(1) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، صاحب لواء المشركين في بدر، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، وهو ابن خالة النبي ﷺ، ولما ظهر الإسلام بقي على شركه، وآذى النبي ﷺ إيذاء كثيراً، وكان يحدث قريشاً بأساطير الفرس ويقول: أنا أحسن حديثاً من محمد، قتل في بدر بعد ما أسره المسلمون. «الأعلام ٨/٣٥٧».

(2) سورة الأنفال: آية ٣٢.

(3) البحر المحيط ٨/٣٣٢.

عدد آياتها

وآيها أربعون وثلاث آيات في الشامي، وأربع في عدد الباقين.

اختلافها آية:

﴿خمسين ألف سنة﴾[1] لم يعدها الشامي، (وعدها الباقون)[2].

وليس فيها ما يشبه الفاصلة، ولا عكسه.

ورويها تسعة أحرف، وهي: نجمع، بدلها[3].

مقصودها

ومقصودها: إثبات القيامة، وإنذار من كفر بها، وتصوير عظمتها بعظمة ملكها، وطول يومها، وتسلية المنذر بها لمن كذبه من الصغار، والذل والتبار.

ودل على وجوب وقوعها سابقاً، بما ختمه بتسميتها في السورة الماضية بالحاقة، تنبيهاً على أنه لا بد منها ولا محيد عنها.

ودل على ذلك: القدرة في أولها، والعلم في أثنائها، والتنزه عما في إهمالها من النقص في آخرها، ولا خَفَاء بِمَا أخبر من أنه أرسل جميع رسله بالتحذير منها. فأرسل نوحاً عليه السلام في الزمان الأقدم كما ذكر في سورته، عندما اختلف الناس بعدما كانوا عليه في زمان أبيهم آدم عليه السلام من الاتفاق على الدين الحق، فافترقوا إلى مصدق ومكذب، فعلم منه: أن من

---

(١) الآية: ٤.

(٢) ساقطة من د.

(٣) الباء: روى ﴿ونراه قريباً﴾ الآية: ٧.

والجيم: روى ﴿ذي المعارج﴾ الآية: ٣.

والدال: روى ﴿إنهم يرونه بعيداً﴾ الآية: ٦.

والباقي مكرر في السورة.

بعده أولى ذالك لقربهم منها. وأتبع ذلك الإعلام بأنه دعا إلى ذلك الجن الذين كان سبيلهم فيها سبيل الآدميين، واتبع ذلك بعد إرسال أول الرسل بها زماناً، آخرهم وأولهم نبوة، حيث كان نبياً وآدم بين الروح والجسد.

فبدأ في سورة المزمل بنبوته، وزيادة تزكيته وتقديسه ورفعته، والأخبار عن رسالته، والتحذير من مخالفته، وأتبع ذلك الإنذار بها، بالصدع بالرسالة، لمحو كل ضلالة.

فلما تقررت نبوته، وثبتت رسالته، جعل سورة القيامة كلها لها إعلاماً، بأن الأمر عظيم جداً يجب الاعتناء به، والتأهب له، والاجتهاد بغاية القوة، وإفراغ الجهد.

أتبع ذلك بذكر الإنسان دلالة على أنه المقصود بالذات من الأكوان، فليس من الحكمة أن يجعله سبحانه سدى.

ثم أقسم في المرسلات أن أمرها حق لا بد منه، ثم عجب في «عم» منهم في تساؤلهم وتعجبهم منها.

ثم أقسم على وقوعها في النازعات، وصور من أمرها وهزا هزها[1] ما أراد.

ثم أولى ذلك الدلالة في سورة عبس، على أن من الناس من طبع على قلبه فلا حيلة في تصديقه بها، مع ما تبين بالسورة الماضية، وغيرها من أمرها.

ثم صورها في كُوِّرَتْ، تصويراً صارت به رأى عين، لو كشف الغطاء ما ازداد الموقنون بها يقيناً.

ثم بين في الانفطار: أن الأمور فيها ليست على منهاج الأمور هنا، بل الأسباب كلها منقطعة والأسباب مرتفعة، إلا سبباً يدلي إلى رسول الله ﷺ،

(١) في د: بما.

والكل خاضعون مخبتون خاشعون، أعظمهم في الدنيا تجبراً، أشدهم هناك صغاراً وتحسراً، ثم أتبع ذلك من يستحق هنالك النكال والسلاسل والأغلال، ثم أولاه رفعة (أهل الإيمان الذين طبعهم على الإقرار بها والعرفان، فأعلم بذلك أن أكثر القرآن في شأنها)[1] العظيم، لأنه لا كتاب بعد القرآن ينتظر، ولا أمة أشرف من هذه تخص ببيان أعظم من بيانها.

وإذْنُ ذلك بأن الأمر قد قَرُب، والهول قددهم، والخوف قد فدح، ليستمر أهل الاختصاص في النجاة من عذابها، والخلاص حين لا مفر، ولا ملجأ ولات حين مناص.

نسأل الله العافية في يومها، والعيشة الراضية.

وعلى هذا المقصد دل كل من أسمائها: سأل، والواقع، والمعارج.

وهي أنسب ما فيها للدلالة على ذلك. والله الهادي.

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى الطبراني في الكبير عن القاسم، والحسن بن سعد[2] أنهما قالا: قيل لعبد الله رضي الله عنه: إن الله عز وجل يكثر ذكر الصلاة في القرآن: ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾[3]، و﴿ **الذين هم على صلاتهم يحافظون** ﴾[4]، قال: ذلك لمواقيتها، قالوا: ما كنا نراه إلا تركها، قال فإن تركها الكفر.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من د.

(٢) هو الحسن بن سعد بن معبد الهاشمي الكوفي، مولى الحسن بن علي، ويقال: مولى علي رضي الله عنه، روى عن ابن عباس، وابن عمر، وغيرهما، وثقه النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، وله حديث في مسلم.

راجع: تهذيب التهذيب ٢/٢٧٩، والخلاصة ٧٨.

(٣) الآية: ٢٣ من السورة.

(٤) الآية: ٣٤ من السورة.

قال الهيثمي: والحسن بن سعد والقاسم لم يسمعا من ابن مسعود رضي الله عنه[1].

وروى البغوي من طريق ابن لهيعة: حدثني يزيد بن أبي حبيب[2]، أن أبا الخير[3] أخبره قال: سألنا عقبة بن عامر رضي الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ أهم الذين يصلون أبداً؟. قال: لا، ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه، ولا عن شماله، ولا خلفه[4].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٢٩.

(٢) هو أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب المصري، مولى شريك بن الطفيل، ثقة كثير الحديث توفي سنة ١٢٨، قال الذهبي: وكان حبشياً ثقة من العلماء الحكماء الأتقياء.
راجع: الخلاصة ٤٣٠. وتهذيب التهذيب ١١/٣١٨. والكاشف ٣/٢٧٥.

(٣) هو أبو الخير مرثد بن عبد الله الجميري اليزني - بفتح الياء التحتية والزاي - المصري الفقيه مفتي أهل مصر، روى عن عقبة بن عامر، وعمرو بن العاص، وطائفة، مات سنة ٩٠.
راجع: الخلاصة ٣٧٢، والكاشف ٣/١٣٠.

(٤) تفسير البغوي على هامش الخازن ٨/١٢٦.
وأورده في شرح السنة ٣/٢٥٢ غير مسند.

سورة نوح عليه السلام

مكية إجماعاً.

عدد آياتها

وآيها عشرون وثمان في الكوفي، وتسع في البصري والشامي، وثلاثون في المدنيين والمكي.

اختلافها أربع آيات:

﴿ ولا سواعا ﴾[1] لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ ويعوق ونسرا ﴾[1]، عدها المدني الأخير والكوفي، ولم يعدها الباقون.

---

(١) الآية: ٢٣.

﴿ ولقد أضلوا كثيراً ﴾[1]، عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ فأدخلوا ناراً ﴾[2]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

ورويها ثمانية أحرف وهي: جر، تم، نطلق[3].

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على القدرة، على ما أنذر به آخر سأل، من إهلاك المنذرين، وتبديل خير منهم، ومن القدرة على إيجاد القيامة، الذي طال إنذارهم به، وهم عنه معرضون، وبه مكذبون.

وتسميتها بنوح عليه السلام، أدل ما فيها على ذلك، فإن أمره في إهلاك قومه بسبب تكذيبه في ذلك مشهور، ومقصوص في غير ما موضع ومذكور.

وتقرير أمر البعث في قصته في هذه السورة مقرر ومسطور.

فضائلها

وأما ما ورد فيها:

فروى البغوي من طريق البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب بعد؛ أما ود

---

(١) آية: ٢٤.

(٢) آية: ٢٥.

(٣) التاء: روى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ الآية: ١٧.
والطاء: روى ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ الآية: ١٩.
والقاف: روى ﴿سبع سموات طباقاً﴾ الآية: ١٥.
واللام: روى ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ الآية: ٢٤.
والميم: روى ﴿عذاب أليم﴾ الآية: ١.

فكانت لكلب بدومة الجندل[١]. وأما سواع فكانت لهذيل[٢]. وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف[٣] بالجرف[٤] عند سبأ. وأما يعوق فكانت لهمدان[٥]، وأما نسر فكانت لحمير[٦]؛ لآل ذي الكلاع[٧].

ثم قال: وكانت للعرب أصنام أخر[٨].

---

(١) دومة ـ بضم الدال وفتحها، ويقال: دوماء ـ الجندل موضع بين الحجاز والشام على عشر مراحل من المدينة، وعشر من الكوفة، وثمان من دمشق.
راجع: معجم ما استعجم ٢/٥٦٤، ومعجم البلدان ١/٤٨٧.

(٢) في فتح الباري ٨/٦٦٨: وزاد أبو عبيد: ابن مدركة بن الياس بن مضر، وكانوا بقرب مكة.

(٣) قال في الفتح ٨/٦٦٨: هو غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مراد.

(٤) قال في معجم البلدان ٢/١٢٨: الجرف: موضع قرب مكة.

(٥) في هامش فتح الباري ٨/٦٦٩: كان يعوق في قرية خيوان ببلاد همدان باليمن.

(٦) قوم باليمن ينتسبون إلى يعرب بن قحطان. «معجم قبائل العرب ١/٣٠٥».

(٧) تفسير البغوي على هامش الخازن ٨/١٢٩.
وصحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة نوح ٦/١٩٩.
وتمام الحديث ـ واللفظ للبخاري ـ: وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عبدت.

(٨) هذا من كلام البغوي بعد إيراده كلام ابن عباس.
قال: فاللات كانت لثقيف، والعزى لسليم وغطفان وجشم، ومناة لقديد، وأساف ونائلة وهبل لأهل مكة.
وراجع: كتاب «الأصنام» تأليف محمد بن السائب الكلبي ط الدار القومية للطباعة والنشر.

سورة الجن

وتسمى: قل أوحى.
مكية إجماعاً.

عدد آياتها

وآيها ثمان وعشرون، من غير خلاف في الإجمال.
واختلفوا عند التفصيل في آيتين:
﴿لن يجيرني من الله أحد﴾[١] عدها المكي، ولم يعدها الباقون.
﴿من دونه ملتحداً﴾[٢] لم يعدها المكي، وعدها الباقون.
هكذا[٣] رأيت في كتاب أبي عمرو الداني[٤].

---

(١) الآية: ٢٢.
(٢) الآية: ٢٢.
(٣) في د: هذا.
(٤) البيان لأبي عمرو: الورقة ٧٤.

ورأيت في كتابي الجعبري والسخاوي: أن الخلاف بين الشامي وغيره، لا بين المكي وغيره. فالله أعلم. ولا شيء فيها مما يشبه الفواصل.

ورويها أربعة أحرف، وهي: «قد، طب»[1].

مقصودها

ومقصودها: إظهار (شرف)[2] هذا النبي ﷺ، حيث لين له قلوب الجن والإنس وغيرهم، فصار مالكاً لقلوب المجانس وغيره. وذلك لعظمة هذا القرآن، ولطف ماله من عظيم الشأن.

هذا والزمان في آخره، وزمان لبثه في قومه دون العشر من زمن قوم نوح ـ عليهما السلام ـ أول نبي بعثه الله إلى المخالفين، وما آمن معه من قومه إلا قليل.

وعلى ذلك دلت تسميتها بالجن، وبقل أوحى، بتأمل الآية المشتملة على ذلك، وما فيها من لطيف المسالك[3].

---

(١) الطاء: روى الآية: ﴿على الله شططاً﴾ الآية: ٤.
والقاف: ﴿فزادوهم رهقاً﴾ الآية: ١٣.
﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ الآية: ١٦.
والباء والدال في السورة بكثرة.

(٢) ساقطة من د.

(٣) سورة الجن مكية، تتناول أصول العقيدة: الوحدانية، والرسالة، والبعث.
والمحور الأصلي للسورة يدور حول الجن وما يتعلق بهم من أمور خاصة، بدءاً من استماعهم القرآن إلى دخولهم في الإيمان، وقد تناولت السورة بعض الأنبياء الخاصة بهم، كاستراقهم السمع، ورميهم بالشهب المحرقة، واطلاعهم على بعض أسرار الغيب، إلى غير ذلك من الأخبار العجيبة.
ابتدأت السورة الكريمة بالإخبار عن استماع فريق من الجن للقرآن، وتأثرهم بما فيه من روعة البيان، حتى آمنوا به فور استماعه ودعوا قومهم إلى الإيمان به وبوحدانية من أنزله: =

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى الطبراني في الكبير، والبغوي في تفسيره ـ بسند فيه عبد الرحمن ابن اسحاق الكوفي وهو ضعيف[1] ـ عن كردم بن أبي السائب[2] رضي الله عنه قال: خرج أبي يريد مكة، وذلك أول ما ذكر النبي ﷺ فآوينا ـ وقال البغوي: فأوانا المبيت ـ إلى صاحب غنم، فلما انتصف الليل، جاء الذئب فأخذ حملاً[3] من غنمه، فوثب الراعي فقال: يا عامر

= ﴿قل أوحى إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾.

ثم انتقلت للحدي عن تمجيدهم وتنزيههم لله جل وعلا. وإفرادهم له بالعبادة، وتسفيههم لمن جعل لله ولداً.

ثم تحدثت السورة عن استراق الجن للسمع، وإحاطة السماء بالحرس من الملائكة، وإرسال الشهب على الجن بعد بعثة رسول الله ﷺ، وتعجبهم من هذا الحدث الغريب:

﴿وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾.

ثم تحدثت السورة عن انقسام الجن إلى فريقين: مؤمنين وكافرين. ولكل منهم مآل وجزاء. ثم انتقلت للحديث عن دعوة رسول الله ﷺ، وعن التفاف الجن حوله حين سمعوه يتلوا القرآن. ثم أمرت الرسول عليه السلام بأن يعلن استسلامه وخضوعه لله، ويفرده جل وعلا بإخلاص العمل، وأن يتبرأ من الحول والطول.

وختمت السورة ببيان اختصاص الله جل وعلا بمعرفة الغيب، وإحاطته وحده بجميع ما في السموات وما في الأرض، لا يطلع أحداً من خلقه على غيبه، إلا من ارتضاه هو سبحانه وتعالى.

راجع: الظلال ٦/٣٧٢٠. صفوة التفاسير ١٩/٤٧.

(١) مجمع الزوائد ٧/١٢٩.

(٢) هو كردم بن أبي السائب ـ وقيل: بن أبي السنابل ـ الأنصاري المدني، له صحبة. ترجمته في: الإصابة ٣/٢٧٣. والإستيعاب على هامش الإصابة ٣/٢٩٦ وتجريد أسماء الصحابة ٢/٢٨.

(٣) الحَمَلُ: ولد الشاة.

الوادي جارك. فسمعنا صوتاً، لا نرى صاحبه: يا سرحان أرسله، قال: فأتى الحمل يشتد ما به كدمة، حتى دخل في الغنم. قال: وأنزل الله على النبي ﷺ بالمدينة ـ وقال البغوي: بمكة ـ:[1] ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن** ﴾ الآية[2].

---

(١) الآية: ٦ من السورة.

(٢) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ١٢/٩.

وأخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٧٣/٣ في ترجمة كردم، وقال: وأخرجه ابن مردوية في التفسير من هذا الوجه، وأخرج له شاهداً من حديث معاوية بن قرة عن أبيه، اهـ. وأخرجه ابن أبي خاتم، كما ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٣٩/٤ ثم قال: وروى عن عبيد ابن عبير ومجاهد وأبي العالية، والحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي نحوه.

سورة المزمل ﷺ

مكية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلا آية من آخرها، وهي قوله تعالى: ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم** ﴾[1] إلى آخر السورة، فإنها نزلت بالمدينة.

وقال الأصبهاني: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مكية سوى آيتين منها، قوله: ﴿ **واصبر على ما يقولون** ﴾ والتي بعدها[2].

وقال ابن يسار ومقاتل: فيها آية مدنية: ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم** ﴾[3] إلى آخرها.

---

(١) الآية: ٢٠.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٤٣٩: هذه الآية - بل السور كلها - مكية ولم يكن القتال شرع بعد، فهي من أكبر دلائل النبوة، لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة.

(٢) الآيتان: ١٠ - ١١.

(٣) الآية: ٢٠.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها ثماني عشرة آية في المدني الأخير، وتسع عشرة في المكي والبصري، وعشرون عند الباقين. اختلافها ثلاث آيات:

﴿ يا أيها المزمل ﴾(١)، عدها الكوفي والمدني الأول والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ إلى فرعون رسولا ﴾(٢) لم يعدها المكي وعدها الباقون.

﴿ الوِلْدَان شيبا ﴾(٣)، لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقون.

وفيها مشبه الفاصلة، موضعان:

﴿ قرضاً حسناً ﴾(٤)، ﴿ وأعظم أجراً ﴾(٥).

ورويها ثلاثة أحرف، وهي: ملبّ.

مقصودها

ومقصودها: الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوحال، وتخفف الأحمال والأثقال ولا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليل، فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال، ومحو ظلل الضلال، والمُعين الأعظم على الصبر والاحتمال، لما يرد من الكدورات في دار الزوال، والقلعة والارتحال.

واسمها «المزمل» أدل ما فيها على هذا المقال(٦).

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ١٥.

(٣) الآية: ١٧.

(٤) الآية: ٢٠.

(٥) الباء: روى: ﴿الولدان شيبا﴾ الآية: ١٧. وباقي الأحرف مكررة في السورة.

(٦) سورة المزمل مكية، وهي تتناول جنبان من حياة الرسول ﷺ في تبتله وطاعته، وقيامه =

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى البغوي في تفسير: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾[1] من طريق البخاري عن أنس رضي الله عنه، أنه سئل: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟. فقال: كانت مدا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم[2].

وروى عبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت في بيت ميمونة رضي الله عنها فقام النبي ﷺ يصلي من الليل، فقمت عن يساره،

= الليل يصلي ويتلو كتاب الله عز وجل، ومحور السورة يدور حول الرسول ﷺ، ولهذا سميت «سورة المزمل».

فقد ابتدأت السورة بنداء الرسول ﷺ نداء فيه شفافية ولطف، يدل على لطف الله بعبده محمد ﷺ الذي أجهد نفسه في الطاعة والعبادة ابتغاء مرضاة الله جل وعلا.

ثم تناولت السورة موضوع ثقل الوحي الذي كلف الله به رسوله ليقوم بتبليغه للناس بجد ونشاط، ويستعين على ذلك بالإستعداد الروحي بإحياء الليل في العبادة.

وأمرته ﷺ بالصبر على أذى المشركين، وهجرهم هجراً طويلاً، فالله سبحانه كفيل بالإنتقام منهم بإهلاكهم وإبادتهم:

﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً، وذرني والمكذبين أولى النِّعمة ومهلهم قليلاً﴾.

وختمت السورة بتخفيف الله عن رسوله ومن معه من المؤمنين من قيام الليل، رحمةً به وبهم، ليتفرغ الرسول وأصحابه لبعض ضروراتهم المعيشية، فإن منهم المريض، ومنهم المجاهد في سبيل الله، ومنهم الذين يضربون في الأرض طلباً للرزق، وطلباً للقوت، لهم ولذراريهم.

راجع: صفوة التفاسير ١٩/٥٤.

(١) الآية: ٤ من السورة.

(٢) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٢٦.

وصحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة ٦/١١٢.

فأخذ بيدي، فجعلني عن يمينه، ثم صلى ثلاث عشرة ركعة، منها ركعتا الفجر، ثم حزرت قيامه في كل ركعة «يا أيها المزمل» [١].

وروى الجزجاني عن سعد بن ابراهيم [٢] قال: أتى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعشائه وهو صائم، فقرأ: ﴿ **إن لدينا أنكالاً وجحيماً، وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً** ﴾ فلم يزل يبكي حتى رفع طعامه، وإنه لصائم.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب في صلاة الليل ٢/٤٧ حديث رقم ١٣٦٥.

وفيه: ثم حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا أيها المزمل.

قال المنذري في مختصر السنن ٢/١٠٥: وأخرجه النسائي.

(٢) هو سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، روى عنه ابنه إبراهيم، والسفيانان، والحمادان، وأبو عوانة، وكان ثبتا فاضلاً يصوم الدهر، مات سنة ١٢٥، وسِنُّهُ اثنتان وسبعون سنة.

راجع: الخلاصة ١٣٣.

سورة المدثر ﷺ

مكية إجماعاً.

وقال الأصفهاني: قال مقاتل: فيها آية مدنية، ﴿ **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة** ﴾[1].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمسون وخمس آيات في المدني الأخير والمكي والشامي، وست في عدد الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **في جنات يتساءلون** ﴾[2] لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقون.

---

(١) الآية: ٣١.

(٢) الآية: ٤٠.

﴿ عن المجرمين ﴾[1] لم يعدها المكي والشامي، وعدها الباقون.
وفيها مما يشبه الفواصل:
﴿ والمؤمنون بهذا مثلاً ﴾[2]. ورويها ثلاثة أحرف، وهي: ندر، أو: رند.

مقصودها

ومقصودها: الجد والاجتهاد في الإنذار، بدار البوار، لأهل الاستكبار، وإثبات البعث في أنفس المكذبين الفجار، والإشارة بالبشارة لأهل الأذكار[3]، بحكم العزيز الغفار.

واسمها «المدثر» أدل ما فيها على ذلك. وذلك واضح لمن تأمل النداء والمنادى به والسبب[4].

---

(١) الآية: ٤١.

(٢) الآية: ٣١.

(٣) في د: الأكدار.

(٤) سورة المدثر مكية، وتشبه سورة المزمل في موضوعها، فقد تناولت بعض الجوانب الشخصية في حياة الرسول ﷺ، ولهذا سميت بالمدثر.

بدأت السورة الكريمة بتكليف الرسول ﷺ بأعباء الدعوة، والقيام بمهمة التبليغ بجد ونشاط، وتوجيه الإنذار للكفار، والصبر على أذاهم حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه: ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر﴾.

ثم توالت السورة في إنذار وتهديد أولئك المجرمين، بعذاب يوم عصيب، لا راحة لهم فيه، وإنما يلقون فيه الشدائد والأهوال.

وبعد ذلك تحدثت عن قصة ذلك الشقي الفاجر «الوليد بن المغيرة» الذي سمع القرآن وأيقن أنه كلام الله، ولكنه في سبيل الزعامة وحب الرياسة، زعم أنه سحر مما يعرفه البشر. كما تحدثت السورة عن النار التي أوعد الله بها الكفار، وعن خزنتها الأشداء، وزبانيتها الذين كلفوا بتعذيب أهلها، وبينت عددهم، وذكرت الحكمة من تخصيص هذا العدد. ثم تحدثت السورة عن الحوار الذي يدور بين المؤمنين والمجرمين، عندما =

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى الطبراني في الكبير، من طريق عطية[1] ـ قال الهيثمي: وهو ضعيف[2] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته يستمع[3] متى يؤمر، فقال أصحابه رضي الله عنهم: فكيف نقول؟. قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل[4].

وفي رواية: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **فإذا نقر في الناقور** ﴾[5].

وروى ابن أبي الدنيا عن معاوية بن قرة[6] قال: ما يسرني بهذه الآية الدنيا وما فيها «ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين ـ إلى قوله ـ:

= يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. وبأن سبب دخول الكفار عذاب الجحيم.

راجع: الظلال: ٣٧٥٢/٦.

صفوة التفاسير ٦٢/١٩.

(١) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي ـ بفتح العين المهملة، وسكون الواو ـ الكوفي التابعي، المتوفي سنة إحدى عشرة ومائة. ضعيف يتشيع ـ قال أبو حاتم: يكتب حديثه.

راجع: الخلاصة ٢٦٧. الميزان ٧٩/٣. والجرح والتعديل ٣٨٢/٦.

(٢) مجمع الزوائد ١٣١/٧.

(٣) في مسند أحمد: حنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر.

(٤) وأخرجه الطبراني ـ أيضاً ـ في المعجم الصغير ٢٤/١.

والإمام أحمد في المسند ٧/٣.

والترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الصور ٤٢/٤ حديث رقم ٢٥٤٨، وقال: هذا حديث حسن، وكتاب التفسير، سورة الزمر ٥٠/٥ حديث رقم ٣٢٩٤.

والحميدي في مسنده ٣٣٢/٢ حديث رقم ٧٥٤.

كلهم من حديث أبي سعيد الخدري، من طريق عطية العوفي.

(٥) الآية: ٨ من السورة.

(٦) هو أبو إياس معاوية بن قرة بن إياس المزني البصري، ولد يوم الجمل، وروى عن ابن عباس وابن عمر. وعنه شعبة وقتادة وأبو عوانة. وهو ثقة. مات سنة ١١٣.

راجع: الخلاصة ٣٨٢.

الشافعين»[1] ألا ترى: أن ليس فيهم خير.

وللحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن بهز بن حكيم[2] قال: أمَّنَا زرارة بن أوفى[3] رضي الله عنه في مسجد بني قشير[4]، فقرأ المدثر، فلما بلغ ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾[5] خر ميتاً[6].

---

(١) الآيات: ٤٢ - ٤٨.

(٢) هو أبو عبد الملك بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيـري البصري، وثقه ابن معين وابن المديني والنسائي.
راجع: الخلاصة ٥٣. والميزان ١/٣٥٣.

(٣) هو أبو عمرو زرارة بن أوفى النخعي. له صحبة، ومات في خلافة عثمان، رضي الله عنهما، وهو غير زرارة بن أبي أوفى التابعي، قاضي البصرة.
راجع: الإصابة ١/٥٢٨ الترجمة رقم ٢٧٩٣.

(٤) راجع: وفاء الوفا.

(٥) الآية: ٨ من السورة.

(٦) المستدرك: كتاب التفسير، سورة المدثر ٢/٥٠٦.

سورة القيامة

مكية إجماعاً.

عدد آياتها.

وآيها أربعون في الكوفي، وتسع وثلاثون فيما عداه.
اختلافها آية:
﴿ **لتعجل به** ﴾[1]، انفرد بها الكوفي.
قال الجعبري: وفيها مما يشبه الوسط، وهو رأس آية، موضعان:
﴿**بصيرة**﴾[2]، ﴿**معاذيره**﴾ [3].
ورويها سبعة أحرف، وهي: منبر لان، أو: مَنْ، بَرَّ، لان.

---

(١) الآية: ١٦.
(٢) الآية: ١٤.
(٣) الآية: ١٥.

مقصودها.

ومقصودها: الدلالة على عظمة المدثر، المأمور بالإنذار، ﷺ، **لعظمة** مرسله سبحانه، وتمام اقتداره بأنه كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان بعد الرسوم، بشرح آخر سورته من أن هذا القرآن تذكرة عظيمة، لما أودعه الله فيه من وضوح المعاني، وعذوبة الألفاظ، وجلالة النظم، ورونق السبك، وعلو المقاصد.

فهو لذلك معشوق لكل طبع، معلوم ما خفى من إشاراته، بصدق النية، وقوة العزم، بحيث يصير كأنه كان منسياً بعد حفظه فذكر، ﴿ **فمن شاء ذكره** ﴾ (1) وعلم معانيه، وتخلق بها.

وإنما المانع عن ذلك مشيئته، فمن شاء حجبه عنه أصلاً ورأساً، ومن شاء حجبه عن بعضه، ومن شاء كشف عنه الحجاب، وجعله منه على أعظم صواب، دون شك ولا ارتياب. كما كان المدثر ﷺ حين كان خلقه القرآن.

واسمها القيامة واضح في ذلك، وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره.

وإذا تؤملت الآية مع ما أشارت إليه لا النافية للقسم، من أنها من الوضوح في جد، لا يحتاج إلى إقسام عليه، لأنه لا يوجد أحد يَدَعُ مَنْ تَحتَ يَدِه يعدو بعضهم على بعض، ويتصرفون فيما حوله من غير حساب، فكيف بأحكم الحاكمين، الذي وكل بعبيده أضعافهم من الملائكة، فهم يديرون في كل لحظة فيهم كؤوس المنايا، ويأخذون من أمرهم به سبحانه إلى دار ﴿**البرزخ**﴾ للتهيئة للعرض، ويسوقونهم زمراً، بعد زمر، إلى العود إلى الأرض، حتى ينتهي الجمع في القبور، ويقيمهم بالناقور، والنفخ في الصور، إلى الحساب، للثواب والعقاب، ولم يحجب عن علم ذلك، حتى ضل عنهم

---

(1) الآية: 12 من سورة عبس.

أكثر الخلق، إلا مشيئته سبحانه بتغليب النفس الأمارة، حتى صارت اللوامة منهمكة في الشر، شديدة اللوم على الإقصار عن شيء منه.

كما أنه ما جلاه لنبيه ﷺ، حتى كان خلقه، ولمن أراد من أتباعه، إلا[1] إرادته شرف رسول الله ﷺ [2].

فضائلها.

وأما ما ورد فيها:

فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾[3] قال: كان النبي ﷺ يعالج[4] من

---

(١) في الأصل: «إلى» وهي لا تصح معنى.

(٢) سورة القيامة مكية. وموضوعها الأصلي: البعث والجزاء، الذي هو أحد أركان الإيمان، وتركز بوجه خاص على القيامة وأهوالها، والساعة وشدائدها، وعن حالة الإنسان عند الإحتضار، وما يلقاه الكافر في الآخرة من المصاعب والمتاعب، ولذلك سميت: سورة القيامة.

وفي أثناء السياق ذكرت طرفاً من علامات ذلك اليوم المهول. الذي يخسف فيه القمر، وبتحير البصر، ويجمع فيه الخلائق للحساب والجزاء.

وذكرت حال المرء وقت الإحتضار، حيث يواجه الشدائد والأهوال، ويلقي من الكرب والضيق ما لم يكن في الحسبان. وذكرت أحوال الناس في الآخرة، وأنهم ينقسمون إلى فريقين فريق سعداء تتلألأ وجوههم إعْرَاباً عن النعم الذي يلقونه ويوعدون به. وفريق علت وجوههم الظلمة والكآبة، دليلاً على ما ينتظرهم من المقت والهوان.

وفي أثناء السياق تتحدث السورة عن اهتمام الرسول ﷺ بضبط القرآن عند تلقيه وتحريك لسانه مع جبريل لكي يسرع في حفظه. فأمره الله بأن يريح نفسه من ذلك، وما عليه إلا أن يسمع، والله سبحانه وتعالى سيجمعه في قلبه ويبينه له.

وفي الختام تتحدث السورة عن خلق الإنسان، استدلالاً بذلك على قدرة الله عز وجل وبيان أنه قادر على إعادته وبعثه للحساب، كما قدر على إيجاده من ماء مهين:

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى. ألم يك نطفة من منيّ يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾.

(٣) الآية ١٦ من السورة.

(٤) قال الحافظ في الفتح ١/٢٩: المعالجة: محاولة الشيء بمشقة.

التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه فأنزل الله تعالى: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه ـ قال: جمعه في صدرك ثم تقرؤه ـ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ [(١)] قال: فاستمع له وانصت، ثم قال: إن علينا أن تقرأه. قال: فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ، كما أقرأه[(٢)].

وروى أبو داود ـ ومن طريقه البغوي والترمذي، وأحمد، وأبو بكر الشافعي في السابع من ﴿ **الغيلانيات** ﴾، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ منكم: ﴿ **والتين والزيتون** ﴾ فانتهى إلى آخرها: ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾[(٣)] فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾، فانتهى إلى قوله ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** ﴾[(٤)]، فليقل: بلى ـ وفي رواية الترمذي: بلى وعزة ربنا ـ . ومن قرأ: ﴿ **والمرسلات** ﴾، ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** ﴾ فليقل: بلى يا رب.

وإذا قرأ: ﴿ **والتين والزيتون** ﴾ ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾، فليقل: بلى يا رب. وإذا قرأ والمرسلات عرفا ﴿ **فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾[(٥)] فليقل: آمنا بالله[(٦)].

---

(١) الآيات: ١٦ ـ ١٨ من السورة.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٤/١. وكتاب التفسير، سورة القيامة ٧٦/٦. وكتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة ١١٢/٦. وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به ٢٠٨/٨.

وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الإستماع للقراءة ١٦٥/٤.

(٣) الآية: ٨.

(٤) الآية: ٤٠.

(٥) الآية: ٥٠.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود ٢٣٤/١ حديث رقم ٨٨٧.

=

وروى البغوي من طريق أبي داود عن موسى (ابن)[1] أبي عائشة[2] قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾[3]، قال: سبحانك بلى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ[4].

= وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة التين ٥/١١٣ حديث رقم ٣٤٠٥.

وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٦٨.

وفي سند هذا الحديث راوٍ لم يسم.

(١) ساقطة من د.

(٢) هو أبو الحسن موسى بن أبي عائشة، الكوفي المخزومي الهمداني، روى عن سعيد بن جبير وسليمان بن صرد، وعمرو بن شعيب وروى عنه شعبة والسفيانان، وأبو عوانة وغيرهم. وكان من الثقات.

راجع: تهذيب التهذيب ١٠/٣٥٢. والكاشف ٣/١٨٥.

(٣) الآية: ٤٠ من السورة.

(٤) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٦٨.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة ٢/٢٣٣ حديث رقم ٨٨٤. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٥/٤٥٢: تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك، اهـ.

لكنه حديث منقطع لأن موسى بن أبي عائشة لم يدرك أحداً من الصحابة.

سورة الإنسان

وتسمى: الأمشاج، وهل أتى، والدهر.

مكية.

وقال جابر بن زيد[1]: مدنية.

وقال الأصفهاني: قالت طائفة، منهم مجاهد وقتادة: مدنية كلها.

وقال ابن يسار ومقاتل - وحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما -: مكية.

وقالت طائفة: إن فيها مكياً ومدنياً، ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المكي منها آية، وهي: ﴿ **ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً** ﴾[2].

وباقيها جميعه مدني، قاله الحسن وعكرمة.

---

(١) هو أبو الشفاء جابر بن زيد الجوفي البصري الفقيه، روى عن ابن عباس وابن عمر، ومعاوية، وروى عنه قتادة وعمرو بن دينار وخلق، مات سنة ٩٣، وقيل: سنة ١٠٣، «الخلاصة ٥٩».

(٢) الآية: ٢٤.

وثانيها: (أولها)[1] مدني إلى قوله: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾،[2] ومن هذه الآية إلى آخرها مكي.

هكذا في نسختي من تفسير الأصفهاني.

ورأيت في تفسير البغوي عكس ذلك، فإنه قال: وقال الحسن وعكرمة: هي مدنية إلا آية، وهي قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾[3].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها.

وآيها إحدى وثلاثون آية اتفاقاً، ولا اختلاف فيها.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد اتفاقاً، ستة مواضع:

﴿السبيل﴾[4]، ﴿مسكيناً﴾[5]، ﴿ويتيماً﴾[6] ﴿قوارير﴾[7]، الثاني، ﴿مخلدون﴾[8].

وعكسه: ﴿قوارير﴾ الأول.

ورويها ثلاثة أحرف، وهي: رمل.

مقصودها.

ومقصودها: ترهيب الإنسان من الكفران، بما دل عليه آخر القيامة من العرض على الملك الديان لتعذيب العاص في النيران، وتنعيم المطيع في الجنان، بعد جمع الخلائق كلها الانس والملائك والجان، وغير ذلك من

---

(١) ساقطة من د.

(٢) الآية: ٢٣.

(٣) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٦٩.

(٤) الآية: ٣.

(٥) الآية: ٨.

(٦) الآية: ١٦.

(٧) الآية: ١٩.

(٨) الآية: ١٥.

الحيوان، ويكون لهم مواقف طوال، وزلازل وأهوال لِكُلٍّ منها أعظم شأن.

وأدل ما فيها على ذلك: الإنسان، بتأمل آيته، وتدبر مبدأه وغايته.

وكذا تسميتها بهل أتى، والدهر، وبالأمشاج، من غير ميل ولا اعوجاج.

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الم تنزيل﴾، وهل أتى على الإنسان[1].

ورواه مسلم أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[2].

قال ابن رجب: خرج الطبراني، وأبو نعيم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

نزلت: ﴿**هل أتى على الإنسان - إلى قوله -: رأيت نعيماً وملكاً كبيراً**﴾[3] ورجل من الحبشة عند النبي ﷺ، فقال: وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة، فقال النبي ﷺ: نعم، فاستبكى حتى فاضت نفسه، قال ابن عمر رضي الله عنهما: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته بيده[4].

وفي سنده أيوب بن عتبة، وهو ضعيف باتفاقهم[5].

قاله ابن رجب.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ١/٢١٤.
وكتاب سجود القرآن، باب سجدة تنزيل السجدة ٢/٣٢.
وصحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة ٦/١٦٨.

(٢) صحيح مسلم: الموضع السابق ٦/ ١٦٧.

(٣) الآيات: ١ - ٢٠.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٤٥٧: غريب جداً.
وذكره الذهبي في الميزان ١/٢٩١ في ترجمة أيوب مسنداً إلى ابن عباس، وضعف به أيوب.

(٥) قال الذهبي في المغني ١/٩٧: ضعفوه لكثرة مناكيره.
وراجع: الميزان ١/٢٩٠.

سورة المرسلات

مكية.

قال الأصفهاني: ويقال لها: سورة العرف[1].

وقال الأصفهاني: مكية كلها في قول الجمهور. وحكى عن ابن عباس وقتادة ومقاتل: إن فيها آية مدنية، وهي: ﴿**وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون**﴾[2].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها.

وآيها خمسون آية عند الجميع. ولا اختلاف فيها.

وفيها مما يشبه الفواصل، موضعان:

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٥/٣٤٤: العرف الذي هو نقيض النكر، أي أرسلت للمعروف والإحسان، وقيل: أرسلت متتابعة كتتابع شعر العرف.

(٢) الآية: ٤٨.

﴿ شامخات ﴾[1]، ﴿ عذراً ﴾[2].

مقصودها.

ومقصودها: الدلالة على آخر الإنسان، من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل، بعد جمع الأجساد، وبعث العباد، بعد طي هذا الوجود، وتغيير العالم المشهود، المحسوس المعهود، بماله سبحانه من القدرة على إنبات النبات، وإنشاء الأقوات، وإنزال العلوم، واتساع الفهوم، لإحياء الأرواح، وإسعاد الأشباح، بأسباب خفية، وعلل مرئية، وغير مرئية، وتطوير الإنسان، في أطوار الأسنان، وإيداع الإيمان، فيما يرضي من الأبدان، وإيجاد الكفران، في أهل الخيبة والخسران، مع اشتراك الكل في التبيان، في أساليب هذا القرآن، الذي عجز الإنس والجان على الإتيان بمثل آية منه، على كثرتهم وتطاول الأزمان.

واسمها المرسلات، وكذا العرف، واضح الدلالة على ذلك، لمن تدبر الأقسام، وتذكر ما دلت عليه من معاني الكلام[3].

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى الشيخان، البخاري ومسلم، وغيرهما عن أم

---

(١) الآية: ٢٧.

(٢) الآية: ٦.

(٣) العين: روى الآية ٧.
والقاف: روى الآية ٤.
والميم: روى الآية ٢٢.
وباقي حروف الروى مكررة في السورة بكثرة.

الفضل[1] رضي الله عنها، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات، وهي آخر صلاة صلاها[2] .

ورواه عبد الرزاق في جامعه، ولفظه: أنها رضي الله عنها قالت: آخر ما سمعت النبي ﷺ قرأ في المغرب سورة والمرسلات[3] .

ورواه البخاري وأبو داود، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها سمعته وهو يقرأ: ﴿ **والمرسلات عرفا** ﴾، فقالت: يا بني لقد أذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت النبي ﷺ يقرأ بها في المغرب[4] .

وللشيخين والنسائي، وأبي يعلى، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

---

(١) هي أم الفضل لبابة الكبرى، بنت الحارث بن حزن، الهلالية من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وأمها فاختة بنت عامر الثقفية، وأخت ميمونة بنت الحارث زوجة النبي ﷺ، تزوجت العباس بن عبد المطلب، فأنجبت له ستة رجال أكبرهم الفضل ابن العباس وبه تكني، أسلمت بمكة بعد إسلام خديجة بنت خويلد، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل عندها، وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس، روت عن النبي ﷺ ثلاثين حديثاً منها ثلاثة في الصحيحين، وماتت - رضي الله عنها - في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

راجع: الإستيعاب على هامش الإصابة ٤/٣٨٥، والإصابة ٤/٤٦١، وتلقيح فهوم أهل الأثر ص ٤٢١، والتجريد ٢/٣٠١. وأعلام النساء ٤/٢٧٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٥/١٣٧.
وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء ٤/١٨٠.
وسنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في المغرب بالمرسلا ٢/١٦٨.
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب القراءة في المغرب ١٠/١٩١ حديث رقم ٢٠٧.

(٣) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة باب القراءة في المغرب ٢/١٠٨ حديث رقم ٢٦٩٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب القراءة في المغرب ١/١٨٥.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب القراءة في المغرب ٢/٢١٤ حديث رقم ٨١٠.

كنا مع النبي ﷺ ليلة عرفة التي قبل يوم عرفة، في غار بمنى - وفي رواية: بالخيف من منى. وفي رواية: في مسجد الخيف - وقد أنزلت عليه: والمرسلات عرفا، فنحن نأخذها.

وفي رواية: وإنا نتلقاها من فيه رطبة)[1].

وفي رواية: وإن فاه لرطب بها. إذ وثبت علينا حية.

وفي رواية: إذ سمعنا حس الحية.

وفي رواية: إذ خرجت علينا حية، فقال رسول الله ﷺ: اقتلوها فابتدرناها[2] لنقتلها، فسبقتنا.

وفي رواية: فذهبت فدخلت جحرها.

وفي رواية: في شق جحر، فأدخلنا عوداً، فقلعنا بعض الجحر وأخذنا سعفة فأضرمنا فيها ناراً، فلم نجدها، فقال رسول الله ﷺ: دعوها، فقد وقاها الله شركم[3]، كما وقاكم الله شرها[4].

وعندي: أنه يؤخذ من هذا: أن قراءتها أمان من الحية.

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٦/٣٥٧: المراد بالرطوبة: رطوبة فيه، أي أنهم أخذوها عنه قبل أن يجف ريقه من تلاوتها.

(٢) قال الحافظ في الفتح ٨/٦٨٧: أي تسابقنا أينا يدركها، فسبقتنا كلنا.

(٣) هذا من مجاز المقابلة، لأن قتلهم إياها شر بالنسبة إليها وان كان خيراً لهم.
والمعنى: أن الله سلمها منكم، كما سلمكم منها.
راجع: الفتح ٤/٤١، ٦/٣٥٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب ٢/٢١٢.
وكتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم ٤/١٠٠، وكتاب التفسير، سورة المرسلات ٦/٧٧.
وصحيح مسلم: كتاب قتل الحيات وغيرها ١٤/٢٣٣.
وسنن النسائي: كتاب الحج، باب قتل الحية الحرم ٥/٢٠٨.

سورة عم

وتسمى: النبأ، والتساؤل.
مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها.

وآيها إحدى وأربعون في البصري، وأربعون فيما سواه. اختلافها آية: ﴿عذاباً قريباً﴾(1). عدها البصرى، ولم يعدها الباقون. وفيها مما يشبه الفواصل، ستة مواضع:

﴿يوم ينفخ في الصور﴾(2)، ﴿وفتحت السماء﴾(3) ﴿وسيرت

(1) الآية: ٤٠.
(2) الآية: ١٨.
(3) الآية: ١٩.

الجبال ﴾[1] ﴿ الرحمن ﴾[2] الأول. ﴿ اليوم الحق ﴾[3]، ﴿ وما قدمت يداه ﴾[4] ولا عكس له.

ورويها أحد عشر حرفاً، وهي: قفزت شمس بنجد[5].

مقصودها.

ومقصودها: الدلالة على أن يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعث النبي ﷺ في خلاف فيه مع المؤمنين، ثابت ثباتاً، لا يحتمل شكاً ولا خلافاً بوجه، لأن خالق الخلق ـ مع أنه حكيم قادر على ما يريد ـ دبرهم أحسن تدبير وبنى لهم مسكناً وأتقنه، وجعلهم على وجه يبقى به نوعهم من أنفسهم، بحيث لا يحتاجون إلى أمر خارج يرونه. فكان ذلك أشد لألفتهم وأعظم لأنس بعضهم ببعض، وجعل سقفهم وفراشهم كافلين[6] لمنافعهم.

والحكيم لا يترك عبيده ـ وهو تام القدرة، كامل السلطان ـ يمرحون، يبغي بعضهم على بعض، ويأكلون خيره، ويعبدون غيره، فكيف إذا كان حاكماً؟. فكيف إذا كان أحكم الحاكمين؟.

---

(١) الآية: ٢٠.

(٢) الآية: ٣٨.

(٣) الآية: ٣٩.

(٤) الآية: ٤٠.

(٥) الزاي: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ الآية: ٣١.
والسين: ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ الآية: ١٠.
والشين: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ الآية: ١١.
والفاء: ﴿وجنات ألفافاً﴾ الآية: ٦.
والميم: ﴿عن النبأ العظيم﴾ الآية: ٢.
وباقي حروف الروى مكرر في السورة بكثرة.

(٦) في د: كاملين.

هذا ما لا يجوز في عقل، ولا يخطر ببال أصلاً، فالعلم واقع به قطعاً. وكل من اسمائها واضح في ذلك، بتأمل آيته، ومبدأ ذكره وغايته.

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى الطبراني في الأوسط عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: لا يحفظ منافق سورة هود، وبراءة، والدخان، وعم يتساءلون.

سورة النازعات

وتسمى: الساهرة، والطامّة.
مكية إجماعاً.

عدد آياتها.

وآيها ست وأربعون في الكوفي، وخمس في ما سواه. اختلافها آيتان:

﴿ ولأنعامكم ﴾[1] لم يعدها البصري والشامي، وعدها الباقون.

﴿ فأما من طغى ﴾[2]، لم يعدها المدنيان والمكي، وعدها الباقون. ولا شيء فيها مما يشبه الفواصل.

ورويها سبعة أحرف، وهي: طار حمقه[3].

---

(١) الآية: ٣٣.

(٢) الآية: ٣٧.

(٣) الطاء: ﴿والناشطات نشطاً﴾ الآية: ٢.

مقصودها.

ومقصودها: الإقسام على بعث الأنام ووقوع القيام، يوم الزحام، وزلل الأقدام بعد البيان التام، فيما مضى من هذه السور العظام، تنبيهاً على أنه وصل الأمر في الظهور إلى مقام، ليس بعده مقام، وصور ذلك بنزع الأرواح بيدي الملائكة الكرام، ثم أمر فرعون اللعين، وموسى عليه السلام.

واسمها ﴿ النازعات ﴾ واضح في ذلك المرام. وإذا تُؤُمِّل القسم وجوابه المعلوم للأئمة الأعلام.

وكذا الساهرة والطامة، إذا تؤمل السياق، واشتدت العناية بالتدبر والوفاق.

فضائلها.

وأما ما ورد فيها:

فروى أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح[١]. والحاكم وصححه، والحارث بن أبي أسامة، والبغوي في التفسير، وعبد بن حميد في مسنده، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل - وفي رواية ثلثا الليل[٢] - قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله ذكراً كثيراً، جاءت الرادفة تتبعها الرادفة، جاءت الرادفة تتبعها الرادفة، [٣] جاء الموت

= والحاء: ﴿سبحاً﴾ الآية: ٣.
والراء: ﴿أمرا﴾ الآية: ٥.
والميم: ﴿ولأنعامكم﴾ الآية: ٣٣.
والباقي من حروف الروى مكرر في السورة.

(١) في صحيح الترمذي ٤/٥٣: «حديث حسن» ط عبد الرحمن محمد عثمان.

(٢) هذه رواية الترمذي.

(٣) جملة «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة» غير مكررة في الكتب التي نقل عنها، وإنما المكرر الجملة التي بعدها: «جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه».

بما فيه، قال أبي بن كعب رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله. إني أكثر الصلاة (عليك)[١]، فكم أجعل لك من صلاتي؟. قال: ما شئت. قلت: الربع؟. قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك، قلت: فالنصف؟. قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير. (قلت: فالثلثين؟. قال: ما شئت فإن زدت فهو خير)[٢]. قال: أجعل لك صلاتي كلها؟. قال: إذاً تُكفى همك، ويغفر لك ذنبك[٣].

وروى البيهقي في «الدعوات» عن ابن عباس رضي الله عنهما في المرأة يعسر عليها ولدها، (قال)[٤]: يكتب في قرطاس ثم تسقى: بسم الله الذي لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله (وتعالى)[٥] رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون**﴾[٦]، ﴿**كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها**﴾[٧].

هذا موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما[٨].

---

(١) زيادة عن الترمذي.

(٢) ما بين الحاصرين زياد عن صحيح الترمذي.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ١٤ ٤/٥٣ حديث رقم ٢٥٧٤.
ومسند الإمام أحمد ٥/١٣٦.
والمستدرك: كتاب التفسير، سورة النازعات ٢/٥١٣.
وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/١٠٢.

(٤) ساقطة من د.

(٥) ساقطة من د.

(٦) سورة الأحقاف: آية ٣٥.

(٧) سورة النازعات: آية ٤٦.

(٨) رواه ابن السني في اليوم والليلة ٢٣١ حديث رقم ٦٢٤ وزاد: ﴿ولقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ إلى آخر الآية.

سورة عبس

مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها.

وآيها أربعون آية في الشامي، وإحدى وأربعون عند أبي جعفر والبصري، واثنتان وأربعون في عدد الباقين. اختلافها ثلاث آيات:

﴿ **ولأنعامكم** ﴾[1]، لم يعدها البصري والشامي، وعدها الباقون.

﴿ **إلى طعامه** ﴾[2]، لم يعدها أبو جعفر وحده، وعدها الباقون وشيبة.

﴿ **فإذا جاءت الصاخة** ﴾[3]، لم يعدها الشامي، وعدها الباقون.

وفيها مشبه الفواصل، ثلاثة:

---

(١) الآية: ٣٢.

(٢) الآية: ٢٤.

(٣) الآية: ٣٣.

﴿ من نطفة خلقه ﴾[1]، ﴿ وعنباً ﴾[2]، ﴿ وزيتوناً ﴾[3].
وعكسه موضعان:
﴿ شيء خلقه ﴾[4] ، ﴿ وحبًّا ﴾[5].
ورويها ثمانية أحرف: وهي: بخله مارق.

مقصودها.

ومقصودها: شرح ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾بأن المراد الأعظم: تزكية القابل للخشية للتخويف بالقيامة، التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، وبكل من الإبتداء والإعادة لطعامه، والتعب ممن أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الإستغناء والترف أمارة الأعراب وعدم القابلية، والمهيء للكفر والفجور، وإلى أن المصائب أمارة الطهارة والإقبال، واستكانة القلوب وسمو النفس بشريف الأعمال.

واسمها «عبس» هو الدال على ذلك، لتأمل آياته، وتدبر فواصله وغاياته.

فضائلها.

وأما ما ورد فيها:

فروى أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً[6] قال له:

---

(١) الآية: ١٩.

(٢) الآية: ٢٨.

(٣) الآية: ٢٩.

(٤) الآية: ١٨.

(٥) الآية: ٢٧.

(٦) هو: نهيك ـ بفتح النون وكسر الهاء ـ بن سنان البجلي.
كذا سماه أبو وائل عند مسلم ١٠٤/٦. ونقله الحافظ في الفتح ٢٥٨/٢.

إني أقرأ المفصل[1] في ركعة، قال: أَهَذًّا كهذّ الشعر[2] ونثر الدقل[3]؟. لكن رسول[4] الله ﷺ كان يقرأ النظائر[5]؛ السورتين في ركعة: الرحمن والنجم في ركعة واقتربت والحاقة في ركعة. والطور والذاريات في ركعة، وإذا وقعت و«ن» في ركعة، وسأل سائل والنازعات في ركعة، وويل للمطففين وعبس في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات والدخان[6] وإذا الشمس كورت في ركعة[7].

قال المنذري في مختصر السنن: وقد أخرج مسلم[8] في صحيحه طرفاً منه[9].

وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً[10] قال له: قرأت المفصل البارحة في ركعة. فقال ابن مسعود: هذّا كهذّا الشعر؟. لقد

---

(١) أول المفصل: سورة ق، راجع ص ١٣٠.
وقد تقدم فيه القول مفصلاً، فراجعه.

(٢) الهذّ - بتشديد الذال المعجمة -: شدة الإسراع والإفراط في العجلة في قراءة القرآن، ونصب «هذا» على المصدر، والإستفهام فيه للإنكار.
راجا: شرح مسلم ١٠٥/٦، والفتح ٣٥٩/٢. وجامع الأصول ٣٥٣/٥.

(٣) الدقل: أردأ التمر، ومن طبعه: أن يكون مفرقاً مبعثراً، فلا يجمع ليبسه ورداءته. جامع الأصول ٣٥٣/٥.

(٤) في سنن أبي داود: النبي ﷺ.

(٥) المراد بالنظائر: السور المتماثلة في المعاني، كالموعظة، أو الحكم، أو القصص وليست المتماثلة في عدد الآيات. كما هو الظاهر من تعيين ابن مسعود.

(٦) الدخان ليست من المفصل، وسيأتي من رواية الشيخين: وسورتين من آل حم.

(٧) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٥٨/٢ حديث رقم ١٣٩٦.

(٨) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذّ ١٠٦/٦.

(٩) مختصر سنن أبي داود ١١٥/٢ حديث رقم ١٣٥٠.

(١٠) تقدم قريباً: أنه نهيك - بفتح النون وكسر الهاء - بن سنان البجلي.

عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن [1] بينهن، فذكر عشرين[2] سورة من المفصل وسورتين من آل حم[3].

(١) قال النووي في شرح مسلم ٦/١٠٧: هو بضم الراء.
وقال الحافظ في الفتح ٢/٢٥٩: بضم الراء وكسرها.

(٢) وقع في صحيح البخاري في فضائل القرآن منه، وصحيح مسلم: ثماني عشرة سورة.
قال النووي في شرح مسلم ٦/١٠٧: لا تعارض فيه، لأن مراده في الأولى: معظم العشرين من المفصل.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة والقراءة بالخواتيم. ١/١٨٨. وكتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٦/١٠١. وباب الترتيل في القراءة ٦/١١١.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذّ ٦/١٠٦.

سورة التكوير

مكية إجماعاً.

عدد آياتها.

وآيها تسع وعشرون إجماعاً، إلا عند أبي جعفر، فهي عنده وثمان.
اختلافها آية:

﴿ فأين تذهبون ﴾[1] لم يعدها أبو جعفر وحده، وعدها الباقون وشيبة. ولا شيء فيها مما يشبه الفواصل. ولا عكسه.

ورويها أربعة أحرف، وهي: تنسم، (أو تسنم)[2]، أو تسمن[3].

---

(١) الآية: ٢٦.

(٢) ساقطة من د.

(٣) السين روى الآيات: ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.
والميم: ٢٥، ٢٨.
والباقي مكرر في السورة بكثرة.

مقصودها.

ومقصودها: التهديد الشديد، بيوم الوعيد، الذي هو محط الرحال، لكونه أعظم مقام[1] لظهور الجلال، لمن كذب (بأن)[2] هذا القرآن تذكرة في صحف مكرمة، بأيدي سفرة. والدلالة على حقيقة كونه كذلك، بأن السفير به أمين في الملأ الأعلى، مكين لمكانته فيما هنالك[3]، والموصل له إلينا منزه عن التهمة، بريء من النقص، لما يعلمونه من حاله قبل النبوة، وما كانوا يشهدون له به من الكمال في صحبته لهم المتطاولة، التي نبههم بالتعليق بها على ما لا يشكون فيه من أمره، ولم يأتهم بعدها إلا بما هو شرف له، وتذكير بما في أنفسهم، وفي الآفاق من الآيات. وذلك كاف لهم في الحكم بأنه صدق، والعلم اليقين بأنه حق.

واسمها التكوير أدل ما فيها على ذلك، بتأمل الظرف وجوابه، وما فيه من بديع القول وصوابه، وما تسبب عنه من عظيم الشأن لهذا القرآن.

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى الترمذي، وأحمد ـ قال الهيثمي: بإسنادين رجالهم ثقات[4] ـ والطبراني بإسناد أحمد، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت، أحسب أنه قال: وسورة هود[5].

---

(١) في د: مقام الرجال.

(٢) ساقطة من د.

(٣) في د: هو لك.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٣٤.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة إذا الشمس كورت ١٠٤/٥ حديث رقم ٣٣٨٩. ولم يعقب عليه كما ذكر المنذري.
ومسند الإمام أحمد ٢٧/١، ٣٦، ١٠٠، وفيه: وسورة هود.

قال المنذري: لم يصف الترمذي هذا الحديث بحسن ولا بغرابة، وإسناده متصل ورواته ثقات (مشهورون)[1]، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[2].

وقال ابن رجب: وأخرجه الترمذي، ولم يذكر سورة هود[3]، وقال: حسن غريب.

قال النووي في التبيان: وقد روى ابن أبي داود بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ يحزِّنها شبه الرثاء، انتهى[4].

وروى مسلم وأبو داود والدارمي، وعبد الرزاق، عن عمرو بن حريث رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في صلاة الصبح إذا الشمس كورت[5].

ولفظ عبد الرزاق: يقرأ في الصبح: والليل إذ عسعس[6].

ولفظ أبي داود: كأني أسمع صوت النبي ﷺ يقرأ في صلاة الغداة ب

---

(١) زيادة عن الترغيب والترهيب للمنذري.

(٢) الترغيب ٢/٣٧٨.
والمستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة إذا الشمس كورت ٢/٥١٥.
ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٣) وكذلك الحاكم لم يذكرها، وإنما انفرد بها الإمام أحمد.

(٤) التبيان ص ٦٣.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب القراءة في الصبح ٤/١٧٨ بلفظ عبد الرزاق.
وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في الفجر ١/٢٣٩.
وبهذا اللفظ أخرجه النسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في الصبح بإذا الشمس كورت ٢/١٥٧.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ٢/١١٥ حديث رقم ٢٧٢١.

﴿لا أقسم بالخنس، الجوار الكنس﴾[1].

وتقدم في سورة هود ـ عليه السلام ـ من فضلها[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن (عبد الأعلى)[3] بن أبي عبدالله العنبري[4] قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة وراء حبشي يمشي، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رحمكم الله، حتى صعد المنبر، فخطب فقرأ **﴿إذا الشمس كورت﴾** فقال: وما شأن الشمس؟. **﴿وإذا النجوم انكدرت﴾** حتى انتهى **﴿وإذا الجحيم سعرت، وإذا الجنة أزلفت﴾** فبكى، وبكى أهل المسجد، وارتج المسجد بالبكاء، حتى رأيت أن حيطان المسجد تبكي معه[5].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب القراءة في الفخر ٢١٦/١ حديث رقم ٨١٧.

(٢) راجع: ص:

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل وزدناه عن كتاب البداية والنهاية لابن كثير.

(٤) لم أعثر على ترجمته.

(٥) انظر هذا الخبر في البداية والنهاية ٢٤٣/٩ ط مكتبة الأصمعي بالرياض.

سورة الانفطار

مكية إجماعاً.

وآيها تسع عشرة آية في جميع العدد، ولا اختلاف فيها. وفيها مشبه الفاصلة ستة مواضع:

﴿ ما قدمت ﴾[1]، ﴿ فسوَّاك ﴾[2]، ﴿ يعلمون ﴾[3]، ﴿ الأبرار ﴾[4]، ﴿ الفجار ﴾[5]، ﴿ لنفس شيئاً ﴾[6].

ورويها خمسة أحرف، وهي: مكنته.

---

(١) الآية: ٥.
(٢) الآية: ٧.
(٣) الآية: ١٢.
(٤) الآية: ١٣.
(٥) الآية: ١٤.
(٦) الآية: ١٩.

مقصودها.

ومقصودها: التحذير من الإنهماك في الأعمال السيئة اغتراراً بإحسان الرب وكرمه ونسياناً ليوم الدين، الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير، ولا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً.

واسمها «الإنفطار» أدل ما فيها على ذلك.

فضائلها

وأما ماورد فيها:

فروى الطبراني في معاجمه الثلاثة ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات(١) ـ عن مالك بن الحويرث(١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ: إذا أراد الله جل أسمه أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان اليوم السابع أحضر الله كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿ (٢) **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾(٣).

وروى أبو عبيد عن رجل قال: كنت بمكة، فلما صليت العشاء، إذا رجل أمامي قد أحرم في نافله(٤)، فاستفتح: «إذا السماء انفطرت»، فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر(٥)، فسألت عنه فقيل: سعيد بن جبير.

---

(١) مجمع الزوائد ١٣٤/٧.

وفي تفسير ابن كثير ٤٨١/٤: أن فيه مطهر بن الهيثم وهو متروك. هو مالك بن الحويرث ـ وقيل: ابن الحويرثة ـ بن أشيم بن زياد الليثي سكن البصرة، وله أحاديث في السنن والصحيحين. مات سنة ٧٤ بالبصرة.

راجع: الإصابة ٣٢٢/٣ الترجمة رقم ٧٦١٩. والإستيعاب على هامش الإصابة ٣٥٤/٣.

(٢) الآية: ٨ من السورة.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٤١/١.

(٤) أي أحرم بصلاة النفل التي اعتادها كل ليلة.

(٥) منادي السحر: الذي يؤذن الأذان الأول الذي يكون قبل دخول الفجر.

وروى أبو عبيد - أيضاً عن صالح بن مسمار[1] قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ - تلا هذه الآية: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾[2].

قال: جهله.

(1) هو أبو الفضل صالح بن مسمار السلمي المروزي، المتوفى سنة ٢٤٦. وقيل: سنة ٢٥٠. كان ثقة.

راجع: الخلاصة ١٧٢.

(2) الآية: ٦ من السورة.

سورة التطفيف

مكية. فيما قال جابر بن زيد.

وقال عكرمة: عن ابن عباس رضي الله عنهما: مدنية وهو الظاهر، لما يأتي في فضلها.

وقال النسفي في تفسيره: وقال مقاتل والواقدي[1]: تعد مكية، ونزلت بعد خروج النبي ﷺ - من مكة، قبل دخول المدينة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت بين مكة والمدينة، في مهاجره ﷺ -، فأضيفت إلى المدينة انتهى.

وقيل: نصفها مكي، ونصفها مدني.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الأسلمي بالولاء، المدني، قاضي بغداد، وصاحب «المغازي»، كان من أوعية العلم، رأساً في السير، وكان كاتباً لمحمد بن سعد صاحب الطبقات، ولكنه لا يتقن الحديث، ولذا فقد كذبه أحمد وابن معين - توفي سنة ٢٠٧ عن ثمان وسبعين سنة.

راجع: تذكرة الحفاظ ٣٤٨/١. الخلاصة ٣٥٣، ميزان الإعتدال ٦٦٢/٣.

وقال الأصفهاني: قال ابن مسعود والضحاك ويحي بن سلام[1]: مكية

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وعكرمة وقتادة، ومقاتل، مدنية لكن ابن عباس وقتادة قالا: فيها ثمان آيات مكيـة: ﴿ **إن الذين أجرموا** ﴾[2] إلى آخرها.

وقال مقاتل: فيها آية مكية وهي قوله: ﴿ **إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾[3]..

وذكر هبة الله بن سلامة (أنها)[4] نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة: نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة.

عدد آياتها

وآيها ست وثلاثون وفاقاً، ولا اختلاف في تفصيلها، ولا شيء فيها مما يشبه الفواصل ولا عكسه.

ورويها حرفان، وهما: نم.

مقصودها

ومقصودها: شرح آخر الانفطار، بأنه لا بد من دينونة العبـاد يوم التناد، بإسكان الأولياء أهل الرشـاد دار النعيم، والأشقياء أهـل الضلال والعناد دار الجحيم، ودل على ذلك بأنه مربيهم، والمحسن إليهم يعمـوم

---

(١) هو يحيى بن سلام البصري، حدث بالمغرب عن سعيد بن أبي عروبة، وحدث عن مالك وجماعة، قال ابن عدى: بكتب حديثه مع ضعفه.

راجع: الميزان ٤/٣٨٠. والمغني في الضعفاء ٢/٧٣٦.

(٢) الآيات: ٢٩ - ٣٦.

(٣) الآية: ١٣.

(٤) ساقطة من د.

النعمة، ولا يتخيل عاقل أن أحداً يربي أحداً من غير سؤال، عما حمله إياه، وكفله به.

واسمها «التطفيف» أدل ما فيها على ذلك[1].

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى ابن ماجة وابن حبان في صحيحه، والبيهقي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ - المدينة، كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويل للمطففين﴾، فأحسنوا الكيل بعد ذلك[2].

وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قرأ ﴿ويل للمطففين﴾ حتى بلغ: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾[3]،

---

(١) هذه السورة تعالج أمور العقيدة، وتتحدث عن الدعوة الإسلامية في مواجهة خصومها. فقد بدأت السورة بإعلان الحرب على أولئك الذين لا يخافون الآخرة، ولا يحسبون حساباً لوقوفهم أمام أحكم الحاكمين، وأعلم الحاسبين:
﴿ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾.
ثم تحدثت السورة عن الأشقياء الفجار، وبينت جزاءهم يوم القيامة، حيث يساقون إلى الجحيم، كما عرضت لذكر المتقين الأبرار، وما أعد الله لهم من نعيم وإثم.
وختمت السورة ببيان مواقف أهل الشقاء والضلال، في سخرهم واستهزائهم بعباد الله الأخيار لإيمانهم وصلاحهم:
﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروابهم يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين، وإذا رأوهم قالوا إنّ هؤلاء لضالون، وما أرسلوا عليهم حافظين، فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب التوفي في الكيل والوزن ٢/٧٤٨ حديث رقم ٢٢٢٣.

(٣) الآيات: ١ - ٦.

فبكى حتى خر وامتنع من قراءة ما بعده[1].

وروى الطبراني في الكبير - قال الهيثمي: ورجاله ثقات -[2] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ - تلا هذه الآية: ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾[3] فقال: كيف بكم إذا جمعكم الله عز وجل كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة، لا ينظر إليكم.

وروى البغوي عن المقداد[4] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ - يقول: إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد، حتى تكون قَدْرَ مَيْلٍ أو اثنين قال فتصهرهم[5] الشمس، فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه[6]، ومنهم من يلجمه إلجاماً، فرأيت رسول الله ﷺ - يشير بيده إلى فيه يقول: ألجمه إلجاماً[7].

---

(١) ورواه أبو نعيم في الحلية ١/٣٠٥، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/٢٣٥.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٣٥.

(٣) الآية: ٦ من السورة.

(٤) هو المقداد بن الأسود، كما جاء عند مسلم.

(٥) في د: فتضرمهم.

(٦) قال ابن الأثير في جامع الأصول. =/٤٠٣: الحقو: مشد الإزار عند الخصر.

(٧) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/١٣٩.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها. باب صفة يوم القيامة ١٧/١٩٦.
ولإمام أحمد في المسند ٦/٣.
والترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ٢ ٤/٣٧ حديث رقم ٢٥٣٦.
وأخرجه البخاري من حديث ابن عمر: كتاب التفسير، سورة ويل للمطففين ٦/٨١.
وكتاب الرقاق. باب قول الله تعالى: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ٧/١٩٦. وفيه عن أبي هريرة.

سورة الانشقاق

مكية إجماعاً.

عدد آياتها

وآيها عشرون وثلاث في البصري والشامي. وخمس في عدد الباقين.
اختلافها آيتان:

﴿ كتابه بيمينه ﴾[1]، ﴿ وراء ظهره ﴾[2]

لم يعد هما البصري والشامي، وعدهما الباقون.

ولا شيء فيها مما يشبه الفواصل.

---

(١) الآية: ٧.

(٢) الآية: ١٠.

ورويها ستة أحرف، وهي: من قهرت[1]

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على آخر المطففين، من أن الأولياء ينعمون، والأعداء يعذبون، لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث والعرض على الملك الذي أوجدهم ورباهم كما يعرض الملوك عبيدهم، ويحكمون بينهم، فينقسمون إلى أهل ثواب، وأهل عقاب. واسمها «الانشقاق» دال على ذلك.

فضائلها

وأما ما ورد فيها:

فروى الشيخان، وأبو داود، والترمذي، عن أبي مليكة، أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئاً إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ - قال: من حوسب - وفي رواية: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ - قال: من نوقش[2] الحساب عذب، قالت عائشة رضي الله عنها - وفي رواية: فقلت: أو ليس الله عز وجل يقول: ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً** ﴾[3]؟. قالت: فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك.

وفي رواية: وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا يهلك.

وفي رواية: وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك[4].

---

(١) الميم روى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ الآية: ٢٤.
والباقي من أ حرف الروى مكرر في السورة.

(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول. ١/٤٣٣: المناقشة في الحساب: تحقيقه وتدقيقه، والإستقصاء فيه.

(٣) الآيتان: ٧ - ٨ من السورة.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ١/٣٤، =

وللشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد في « إذا السماء انشقت » وقال: سجدت فيها خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه(١).

وفي رواية لمسلم والدارمي: في « إذا السماء انشقت »، و « اقرأ باسم ربك»(٢).

= وكتاب التفسير، سورة إذا السماء انشقت ٨١/٦، وكتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب ١٩٧/٧، ١٩٨.

وصحيح مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب إثبات الحساب ٢٠٨/١٧.

وسنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب عيادة النساء ١٨٤/٣ حديث رقم ٣٠٩٣.

وصحيح الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ٥ ٣٩/٤ حديث رقم ٢٥٤٣.

وكتاب التفسير: باب سورة إذا السماء انشقت ١٠٦/٥ حديث رقم ٣٣٩٣.

ومعنى قوله: ﴿عذب، أو هلك﴾. قال النووي: له معنيان:

أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب، والتوقيف عليها، هو التعذيب لما فيه من التوبيخ.

والثاني: أنه مفض إلى العذاب بالنار، وهذا الثاني هو الصحيح. ومعناه: أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء، اهـ.

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء. وباب القراءة في العشاء بالسجدة ١٨٦/١. وكتاب سجود القرآن، باب سجدة إذا السماء انشقت ٣٢/٢، وباب من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها ٣٤/٢.

وصحيح مسلم: كتاب المساجد، باب سجود التلاوة ٧٦/٥.

وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن ٢٠٥/١.

وأبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب السجود في ﴿إذا السماء انشقت﴾ واقرأ ٥٩/٢ حديث رقم ١٤٠٨.

والنسائي في سننه: كتاب الإفتتاح، باب السجود في ﴿إذا السماء انشقت﴾ ١٦١/٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب سجود التلاوة ٧٧/٥.

وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب السجود في ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ٢٨٢/١. =

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج ، عن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ - قرأ: « إذا السماء انشقت » وهو على المنبر، فلما بلغ السجدة التي فيها، نزل فسجد، فسجد الناس معه[1].

= وأخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب السجود في ﴿إذا السماء انشقت﴾ واقرأ ٢/٥٩ حديث رقم ١٤٠٧.

والنسائي: كتاب الإفتتاح، باب السجود في ﴿إذا السماء انشقت﴾ وباب السجود في اقرأ ٢/١٦١، ١٦٢.

والترمذي: كتاب الصلاة، باب في السجدة في ﴿إذا السماء انشقت﴾ و ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ٢/٤٣ حديث رقم ٥٧٠.

(١) مصنف عبد الرزاق: كتاب الجمعة، باب القراءة على المنبر ٣/١٩٤ حديث رقم ٥٢٨٦.

سورة البروج

مكية إجماعاً

عدد آياتها

وآيها اثنتان وعشرون اجماعاً ولا اختلاف في تفصيلها

قال أبو عمرو الداني: وليس فيها، ولا إلى سورة الليل، مما يشبه الفواصل شيء، انتهى[١].

ورويها سبعة أحرف، وهي: جد، طب، قرظ[٢].

---

(١) البيان للداني: الورقة ٧٧.

(٢) الجيم روى: ﴿والسماء ذات البروج﴾ الآية: ١.
والباءروى: ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ الآية: ١٩.
والطاء: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ الآية: ٢٠.
والقاف: ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ الآية: ١٠.
والراء: ﴿ذلك الفوز الكبير﴾ الآية: ١١.
والظاء: ﴿في لوح محفوظ﴾ الآية: ٢٢.
والدال روى أكثر آيات السورة.

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على القدرة على مقصود الانشقاق، الذي هو صريح آخرها من تنعيم الولي، وتعذيب الشقي، بمن عذبه في الدنيا ممن لا يمكن في العادة، أن يكون عذابه ذلك الا من الله وحده. تسلية لقلوب المؤمنين، وتثبيتاً لهم على أذى الكفار.

وعلى ذلك دل اسمها « البروج » بتأمل القسم، والمقسم عليه.

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى أبو داود، والترمذي وقال: حسن[1]، والنسائي والدارمي، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ - كان يقرأ في الظهر والعصر، بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق، ونحوهما من السور[2].

وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن رافع قال: قال رسول الله ﷺ: اليوم الموعود: يوم القيامة، والمشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة، ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا

---

(١) في صحيح الترمذي ط عبد الرحمن عثمان: حسن صحيح.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في صلاة الظهر والعصر ١/٢٩٦ حديث رقم ٨٠٥.

وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة في الظهر والعصر ١/١٩٠ حديث رقم ٣٠٦ وقال: حديث جابر بن سمرة حديث حسن صحيح.

وسنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في الأولين من صلاة العصر ٢/١٦٦.

وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في الظهر ١/٢٩٥.

وأخرج الإمام أحمد في المسند ٢/٣٢٦ من حديث أبي هريرة ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق. وفيه أبو المهزم - بكسر الزاي - التميمي يزيد بن سفيان البصري، وهو متروك.

راجع: ترجمته في الخلاصة ٤٦١.

يوافقها عبد مؤمن، يدعو الله فيها خيراً، إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شر[1] إلا أعاذه الله منه[2].

---

(١) في تفسير البغوي: من شيء.

(٢) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/١٥٧.

وأخرجه الترمذي: كتاب التفسير، سورة البروج ٥/١٦. حديث رقم ٣٣٩٦. وفي سندهما موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف منكر الحديث.

راجع ترجمته في: الضعفاء الصغير للبخاري ١٧. ميزان الإعتدال ٤/٢١٣.

والمغني في الضعفاء ٢/٦٨٥ ترجمة رقم ٦٥٠٩. والخلاصة ٣٩١.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٤٩١: وقد روى موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه.

سورة الطارق

مكية إجماعاً

عدد آياتها

وآيها ست عشر في المدني الأول، وسبعة عشر في عدد الباقين اختلافها آية:

﴿إنهم يكيدون كيداً﴾(1) لم يعدها المدني الأول، وعدها الباقون ورريها سبعة أحرف، وهي: دع، ظل، برق(2).

مقصودها

ومقصودها: بيان مجد القرآن في صدقه في الأخبار بتنعيم أهل الايمان، وتعذيب أهل الكفران، في يوم القيامة، حين تبلى السرائر، وتكشف الضمائر عن مثقال الذر، وما دون المثقال، وما دونته الحفظة في صحائف الأعمال، بعد استيفاء الآجال، كما قدر في أزل الآزال، من غير استعجال، ولا تأخير عن الوقت المضروب ولا إهمال.

---

(1) الآية: ١٥.

(2) الظاء: ﴿لما عليها حافظ﴾ الآية: ٤. والباقي في السورة مكرر.

واسمها « الطارق » أدل ما فيها على هذا الموعود الصادق، بتأمل القسم والمقسم عليه، حسب ما انساق الكلام إليه.

ما ورد فيها

وأما ما ورد فيها: فروى أحمد والطبراني، عن عبد الرحمن بن خالد العدواني عن أبيه - يعني: خالد بن أبي جبل[1] رضي الله عنه، وكان سكن الطائف - أنه أبصر النبي ﷺ في مشرق[2] ثقيف، وهو قائم على قوس، أو عصى حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، قال: فسمعته يقرأ: والسماء والطارق، حتى ختمها، قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيف، فقالوا: ما سمعت من هذا الرجل؟ .، فقرأتها عليهم؛ فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقوله حقاً لا تبعناه[3].

قال الهيثمي: وعبد الرحمن ذكره ابن أبي حاتم[4]، ولم يجرحه أحد وبقية رجاله ثقات[5].

---

(١) هو خالد بن أبي جبل - بفتح الجيم والباء الموحدة، وعند البخاري: جيل بكسر الجيم بعدها ياء تحتانية. وعند ابن عبد البر: حبل أو حيل، بحاء مهملة بعدها باء موحدة، أو ياء تحتانية - العدواني الطائفي، كان ممن بايع تحت الشجرة، وسكن الطائف، وهو منسوب إلى عدوان بن عيسى بن غيلان - روى عنه ابنه عبد الرحمن.

راجع: الإصابة ١/٤٠٢. والإستيعاب على هامش الإصابة ١/٤١٣. والجرح والتعديل ٣/٣٢٣ ترجمة رقم ١٤٥٠.

(٢) مشرق - بضم الميم وفتح الشين المعجمة، بعدها راء مهملة مشددة: مصلي العيد، وثقيف: قبيلةبأرض الحجاز تقع بين مكة والطائف.

راجع: معجم قبائل العرب ١/١٤٧، ومعجم ما استعجم ٤/١٢٣١.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/٣٣٥.

وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه: كتاب الجمعة، باب استحباب الإستثناء في الخطبة على القسي والعصا ٢/١٤٠ حديث رقم ١٧٧٨.

(٤) الجرح والتعديل ٥/٢٢٩ ترجمة رقم ١٠٨٠.

(٥) مجمع الزوائد ٧/١٣٦.

سورة الأعلى

وتسمى: سَبِّحْ.

مكية[1].

وقال الضحالك: مدنية.

وآيها تسع عشرة إجماعاً، ولا اختلاف فيها.

ورويها: الألف.

مقصودها

ومقصودها: إيجاب التنزيه للأعلى سبحانه عن أن يلحق ساحة عظمته

(١) والدليل على مكيتها ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرءان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ فما رلبت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ، فما قدم حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور من المفصل.

صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحاب المدينة ٢٦٣/٤.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٦٢/٧: ومقتضاه: أن ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ مكية.

شيء من شوائب النقص، كاستعجال في أمر؛ من إهلاك الكافرين، أو غيره، أو العجز عن البعث أو إهمال الخلق سدى يبغي بعضهم على بعض بغير حساب. أو أن يتكلم بما لا يطابق الواقع، أو بما يقدر أحد أن يتكلم بمثله، وعلى ذلك دل كل من اسميها: سبح، والأعلى.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، بسند صحيح، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر سبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، والإخلاص[1].

ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، والدارمي، عن عباس رضي الله عنهما نحوه[2].

ولأبي داود، والترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجة، وعبد الرزاق والحاكم وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، واللفظ له، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح أسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، ويقرأ في الوتر: قل هو الله

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الوتر ٢/٦٣ حديث رقم ١٤٢٣.
وسنن النسائي: كتاب قيام الليل، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين اخبر أبي بن كعب في الوتر ٣/٢٣٥.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيما يقرأ في الوتر ١/٣٧٠ حديث رقم ١١٧١.

(٢) صحيح الترمذي: أبواب الوتر، باب ما يقرأ في الوتر ١/٢٨٨ حديث رقم ٤٦٢.
وسنن النسائي: كتاب قيام الليل، باب ذكر الإختلاف في حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس في الوتر ٣/٢٣٦، ٣٧.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيما يقرأ في الوتر ١/٣٧٠ حديث رقم ١١٧٢.
وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب القراءة في الوتر ١/٣١١.

أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس[1].

وفي رواية: يقرأ في الوتر، في الأولى: بسبح أسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة: قل هو الله أحد، والمعوذتين.

وروى أحمد عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: سبح أسم ربك الأعلى[2].

وروى البيهقي في الدعوات واللفظ له، وعبد بن حميد، وعبد الزراق،

---

(١) المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعلى ٥٢٠/٢.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الوتر ٣٣/٣ حديث رقم ٤٦٩٨.
وسنن أبي داود ٦٣/٢ حديث رقم ١٤٢٤.
وصحيح الترمذي ٢٨٨/١ حديث رقم ٤٦٢.
وسنن ابن ماجة ٣٧١/١ حديث رقم ١١٧٣.
ومدار الحديث عند أبي داود والترمذي وابن ماجة على خصيف أبي عون بن عبد الرحمن قال المنذري في مختصر السنن ١٢٥/٢: قد ضعفه غير واحد من الأئمة.
وخصيف ـ هذا ـ هو الحراني الجزري، من موالي بني أمية، مات سنة سبع ـ أوثمان ـ وثلاثين ومائة، ترجم له:
الذهبي في الميزان ٦٥٣/١. وفي المغني في الضعفاء ٢٠٩/١.
(٢) مسند الإمام أحمد ٩٦/١.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٩٩/٤: تفرد به أحمد، اه.
وفي سنده ثوير بن أبي فاختة الكوفي مولى أم هانىء بنت أبي طالب، وصفه الثوري بأنه: ركن من أركان الكذب، وقال يونس: كان رافضياً.
وأما أبوه أو فاختة: فاسمه سعيد بن علاقة، من كبار التابعين، وكان من الثقات.
راجا: الميزان ٣٧٥/١.
والحديث سيذكره المؤلف بعيد قليل من رواية أحمد والبزار، ويصرح بضعفه.
وراجعه في مجمع الزوائد ١٣٦/٧ وفيه تضعيفه بثوير بن أبي فاختة.

عن سعيد[1] بن عبد الرحمن بن أَبْزَى، عن أبيه رضي الله عنه[2]، عن النبي ﷺ أنه كان يوتر بسبح أسم ربك الأعلى في الركعة الأولى، وفي الأخرى بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة: قل هو الله أحد، فإذا أراد أن ينصرف قال ـ وقال عبد الرزاق أن ينصرف من الوتر قال، وفي رواية: فإذا قعد في آخر الصلاة سلم ثم قال ـ : سبحان الملك القدوس، ثلاث مرات يرفع بها صوته في الثالثة[3].

وروى أبو بكر الشافعي في الجزء السادس والعاشر من «الغيلانيات» ولفظه: كان يوتر بسبح أسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد الله الصمد، والمعوذتين.

سر قراءة سورة الأعلى والكافرون والمعوذتين في الوتر

وسر ذلك ـ والله أعلم ـ أن المراد بصلاة الوتر: التذكير بوحدانية المعبود، والتقرير لذلك في آخر عبادة الليل، كما صنع ذلك في أول عباداته[4]، وجعل ذلك كالختم لصلاة النهار. والليل أشبه شيء بالموت، وأقرب إلى العدم، وأنسب شيء لذلك التنزيه والإخلاص. فشرع في آخر

---

(١) ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/٣٩ ترجمة رقم ١٧١ والبخاري في الكبير ٣/٤٩٤ ترجمة رقم ١٦٤٩، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا توثيقاً. وقال ابن حجر في التهذيب ٤/٥٤: قال النسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي، مولى نافع بن الحارث، روى اثنى عشر حديثاً وروى عنه الشعبي وابنه سعيد. قال البخاري: له صحبة. وقال ابن أبي داود: تابعي.

راجع: الخلاصة ٢٢٣.

(٣) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الوتر ٣/٣٣ حديث رقم ٤٦٩٦. وأخرجه النسائي: كتاب قيام الليل، باب نوع آخر من القراءة ٣/٢٤٤ عن سعيد عن أبيه عن أبي بن كعب. ورواه من طريق مالك عن سعيد عن أبيه مثل رواية المصنف. وفيه من طريق أبي داود أيضاً.

(٤) المراد بها: صلاة المغرب، لأنها عبادة الليل، وهي شبيهة بصلاة الوتر، لكونها ثلاث ركعات.

شفع فيه قراءة أعظم المسبحات، تنزيهاً في أولى الركعتين كما ابتدأت كلمة الإخلاص بالنفي، لأن التخلية قبل التحلية.

وقراءة إحدى سورتي الإخلاص(١) في الثانية وفي وتره، أعظم سور التوحيد ونهاية الإفصاح به، والإيضاح له. فلما تم ذلك على أحسن وجه، وكان الذي يعقب ذلك النوم الذي يخلع الحيوان من قواه، ويشغل عن التعوذ بالذكر، وما يثمره من المعارف الإلهية، والأسرار الربانية، شرع لذلك التعوذ بالمعوذتين، اللتين ما تعوذ متعوذ بمثلهما، توكلا على الحي الذي لا يموت، واعتصاماً بذى العزة والجبروت.

قراءتها في العيدين وسر ذلك

وروى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين: في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح أسم ربك الأعلى، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية(٢).

وسر ذلك: أن الأعلى فيها التنزيه، لئلا يظن أنه سبحانه محتاج إلى ما فرغ منه أهل العيد من العبادة، والحث على تزكية النفس والمال، والصلاة والذكر، والإعراض عن الدنيا، لأن العيد مظنة التهاون بذلك، والإنبساط إلى الدنيا.

والغاشية فيها الحث على الإخلاص، لئلا يكون العامل - مع تعبه في

---

(١) سورتا الإخلاص هما: سورة قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب العيدين، باب القراءة في الصلاة يوم العيد ٢٩٨/٣ حديث رقم ٥٧٠٥.

وأخرج الجماعة إلا البخاري عن النعمان بن بشير قال: كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين والجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية. وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما.

راجع: جامع الأصول ١٤٤/٦ حديث رقم ٤٢٥٢.

الدنيا ـ معذباً في الأخرى، والتذكير بما جرت عادة الناس أن يخرجوا إليه من عيدهم من الرياض والجبال ونحوها، ليكون نظرهم إليه اعتبار بالآيات، والحساب، وانقسام الناس إلى صنفين.

كما أن أهل العيد ينقلبون إلى منازلهم على وجهين:
محسن حائز للثواب.
ومسيء قد خاب، واستحق العذاب.

ولأحمد والبزار بسند ضعيف، عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يحب «اسم ربك الأعلى»[1].

ولأبي عبيد عن أبي تميم قال: قال رسول الله ﷺ: إني نسيت أفضل المسبحات، فقال أبي بن كعب رضي الله عنه: فلعلها «سبح أسم ربك الأعلى» قال: نعم.

ولمسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الصبح بأطول من ذلك[2].

قال النووي في التبيان:

وعن ابن عباس، وابن الزبير، وأبي موسى الأشعري، رضي الله عنهم: أنهم كانوا إذا قرأ أحدهم «سبح اسم ربك الأعلى» قال: سبحان ربي الأعلى[3].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول فيها: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات[4].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٦/٧: رواه أحمد وفيه ثوير بن أبي فاختة وهو متروك.
وتقدم تخريجه ص ٢٩١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح ١٧٩/٤.

(٣) وروى ابن جرير في تفسيره ٩٦/٣٠ عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحان ربي الأعلى.

(٤) التبيان ص ٦٩.

سورة الغاشية

مكية إجماعاً.

عدد آياتها.

وآيها ست وعشرون في جميع العدد، ولا اختلاف فيها.
وفيها مما يشبه الوسط، وهو رأس آية، موضعان:
﴿ ضريع ﴾[1]، ﴿ جوع ﴾[2].
ورويها ثمانية أحرف: ثبت في عمر.

مقصودها.

ومقصودها: شرح ما في آخر سبح، من تنزيه الله تعالى عن العبث[3]،

(١) الآية: ٦.
(٢) الآية: ٧.
(٣) في الأصل: البعث، وهو تصحيف.

بإثبات الدار الآخرة، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى، والدلالة على القدرة عليها.

وأدل ما فيها على هذا المقصود: الغاشية.

نعوذ بالله من القلب الغاشي، والبصيرة الغاشية، لئلاً يكون للغاشية علينا بسوء الأعمال ناشئة(١).

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: حسن صحيح، والدارمي، وعبد الرزاق، وابن الجارود في المنتقى، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقرأ في العيدين والجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية، وربما اجتمع فقرأ بهما(٢).

وفي رواية: وإذا اجتمع يوم عيد، ويوم جمعة، قرأ بهما فيهما جميعاً(٢)

---

(١) سورة الغاشية مكية، وقد تناولت موضوعين أساسيين:
الأول: القيامة وأحوالها وأهوالها، وما يلقاه الكافر فيها من العناء والبلاء، وما ادخره الله فيها للمؤمن من السعادة والهناء.
الثاني: عرض للأدلة والبراهين الشاهدة على وحدانية الله وقدرته، في خلق الإبل العجيبة، والسماء البديعة، والجبال الشاهقة، والأرض الواسعة الممتدة، وكلها شواهد على وحدانية الله وجلاله وسلطانه. وختمت السورة بتذكير الناس برجوعهم إلى الله، وإيابهم إليه جل وعلا للحساب والجزاء.

(٢) صحيح الترمذي. كتابُ العيدين، باب القراءة في العيدين، ٢٢/٢ حديث رقم ٥٣١.
وسنن الدارمي. كتاب الصلاة، باب القراءة في العيدين ٣١٥/١.
ومصنف عبد الرزاق. كتاب العيدين، باب القراءة في الصلاة يوم العيد ٢٩٨/٣ حديث رقم ٥٧٠٦.
والمنتقي لابن الجارود ص ١٠١ حديث رقم ٢٦٥.
وأخرجه مسلم. كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ١٦٧/٦.
وأبو داود. كتاب الصلاة باب ما يقرأ به في الجمعة ٢٩٣/١ حديث رقم ١١٢٢.
ومالك في الموطأ. كتاب الجمعة، باب القراءة في صلاة الجمعة ١١١/١.

وروى عبد الرزاق عن النعمان بن بشير ـ أيضاً ـ رضي الله عنهما أنه سئل: بأي شيء كان النبي ﷺ يقرأ في يوم الجمعة مع سورة الجمعة؟، فقال فهل أتاك حديث الغاشية.(١).

وروى ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون(٢) قال: مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ: هل أتاك حديث الغاشية، فقام يستمع ويقول: نعم قد جاءني(٣).

وذكر ابن رجب عن كتاب الزهد للإمام أحمد، عن عنبسة الخواص، أن محمد بن واسع(٤) كان يجعل ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ورداً يرددها ويبكي.

= والنسائي. كتاب صلاة العيدين باب القراءة في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية ٣/١٨٤.

قال بن الأثير في جامع الأصول ٦/١٤٤. أخرجه الجماعة إلا البخاري.

(١) مصنف عبد الرزاق. كتاب صلاة العيدين، باب القراءة في الصلاة يوم العيد ٣/٢٩٨ حديث رقم ٥٧٠٦.

وأخرجه مسلم. كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٦/١٦٧.

(٢) هو عمرو بن ميمون الأزدي يكني أبا عبد الله ـ وقيل: أبا يحيى ـ أدرك الجاهلية، وأسلم في حياة النبي ﷺ على يد معاذ بن جبل، ثم قدم المدينة، مات سنة ٧٤. وقيل: ٧٥.

راجع: الإصابة ٣/١١٨ ترجمة رقم ٦٥١٧.

(٣) وذكره ابن كثير في تفسيره ٤/٥٠٢ من رواية ابن أبي حاتم، ولم يعقب عليه.

(٤) هو أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري الزاهد، روى عن أنس والحسن وحديثه في مسلم، وهو ثقة، مات سنة ١٢٧. وقيل: ١٢٣. الخلاصة ٣٦٢.

سورة الفجر

مكية.

قال أبو حيان: في قول الجمهور[1].

وقال أبو عمرو الداني: وقال علي بن أبي طلحة[2]: مدنية[3].

عدد آياتها.

وآيها تسع وعشرون آية في البصري، وثلاثون آية في الكوفي والشامي، واثنتان وثلاثون في المدنيين والمكي.

اختلافها أربع آيات:

---

(١) البحر المحيط ٨/٤٦٧.

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي طلحة - واسم أبي طلحة سالم - الهاشمي مولاهم الجزري ثم الحمصي، له حديث في مسلم، ولكن ضعفه أحمد والفسوي، مات سنة ١٤٣.
راجع: الخلاصة ٢٧٥.

(٣) البيان للداني: الورقة ٧٧.

﴿ فأكرمه ونعمه ﴾[1]، ﴿ فقدر عليه رزقف ﴾[2]، عدهما المدنيان والمكي، ولم يعدهما الباقون.

﴿ يومئذٍ بجهنم ﴾[3]، لم يعدها الكوفي والبصري، وعدها الباقون.

﴿ في عبادي ﴾[4]، عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مشبه الوسط وهو آية، موضع:

﴿ عذاب ﴾[5].

ورويها عشرة أحرف: كبر، مدن، فتاي.

مقصودها.

ومقصودها: الإستدلال على آخر الغاشية: الإياب، والحساب بالثواب والعقاب. وأدل ما فيها على هذا المقصود: الفجر، بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات، وانبعاث الناس من الموت الأصغر: النوم بالإنتشار في ضياء النهار، للمجازات في الحساب[6].

---

(١) الآية: ١٥.

(٢) الآية: ١٦.

(٣) الآية: ٢٣.

(٤) الآية: ٢٩.

(٥) الآية: ١٣.

(٦) تتناول سورة الفجر ثلاثة موضوعات:

الأول: ذكر قصص بعض الأمم التي كذبت رسل الله وأنبياءه، مثل قوم عاد، وثمود وفرعون، وبيان ما حل بهم من العذاب والدمار بسبب طغيانهم وفسادهم.

الثاني: بيان سنة الله في ابتلاء العباد في هذه الحياة بالخير والشر، والغنى والفقر، وبيان طبيعة الإنسان وفهمه لهذا الإبتلاء، وهو في كلا الحالين ساهٍ وغافل عن طاعة ربه، وغير عارف بسننه في خلقه: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾، الآيات.

الثالث: بيان ما في الآخرة من شدائد وأهوال، وانقسام الناس فيها إلى سعداء وأشقياء، وبيان مآل الكافر ومآل المؤمن.

ما ورد فيها.

فأما ما ورد فيها: فروى أحمد والبزار ـ قال الهيثمي: ورجالهما رجال الصحيح، غير عياش بن عقبة وهو ثقة[1] ـ عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ **وليال عشر** ﴾[2] ـ قال: عشر الأضحى، ﴿ **والشفع والوتر** ﴾[3] قال: الشفع يوم الأضحى. والوتر يوم عرفة[4].

وروينا في جزء ابن عرفة[5] عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس رضي الله بالطائف[6]، فجاء طائر لم يُرَ على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر، لا يدري من تلاها:[7] ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة** ﴾[8].

---

(١) مجمع الزوائد ١٣٧/٧.

(٢) الآية: ٢.

(٣) الآية: ٣.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٢٧/٣.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٠٥/٤: وعندي أن المتن في رفعه نكارة اهـ. وأولى من هذا الحديث ما رواه الترمذي في التفسير من جامعه ١١٠/٥ وقال: غريب، والحاكم في المستدرك ٥٢٢/٢ وقال: . صحيح. ووافقه الذهبي: عن عمران ابن حصين رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سئل عن الشفع والوتر، فقال: هي الصلاة بعضها شفع، وبعضها وتر.

(٥) هو أبو علي الحسن بن عرفة العبدي البغدادي، روى عن ابن المبارك، واسماعيل ابن عياش، وغيرهما، وثقه ابن معين وأبو حاتم، مات سنة ٢٥٧.
راجع: الخلاصة ٧٩.

(٦) مات بالطائف سنة ثمان وستين، رضي الله عنه، وصلى عليه محمد بن الحنفية.
راجع: الإصابة ٣٢٢/١. تذكرة الحفاظ ٤٠/١. تاريخ بغداد ١٧٣/١. الخلاصة ٢٠٣. طبقات القراء ٤٢٥/١.

(٧) الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.

(٨) قال ابن كثير ٥١١/٤: ورواه الطبراني.

وقال ابن رجب: ويروي عن المنصور أنه قال لبعض أهل البصرة: عظني، فاستعاذ وسمى، ثم قرأ: والفجر وليال عشر ـ إلى قوله ـ: ﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد**﴾[1]. فبكى المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآية إلا تلك الساعة.

---

(١) الآيات: ١ ـ ١٤.

سورة البلد

مكية.

قال أبو حيان: في قول الجمهور[1].

وقال النسفي في تيسيره: وقيل: مدنية.

عدد آياتها.

وآيها عشرون آية في جميع العدد، ولا خلاف[2] فيها.

ورويها أربعة أحرف: مندب.

مقصودها.

ومقصودها: نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه الديان، وذلك هو معنى اسمها، فإن من تأمل أمان أهل الحرم، وما هم فيه من الرزق

---

(١) البحر المحيط ٨/٤٧٤.

(٢) في د: اختلاف.

والخير، على قلة الرزق ببلدهم، مع ما فيه غيرهم، ممن هم (أكثر منهم)[1] وأقوى، من الخوف والجوع، علم ذلك[2].

ما ورد فيها.

وأما ما ورد فيها: فروى البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فك رقبة ﴾[3] الآية، عن البراء بن عازب [4]رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة. قال: لئن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أَعْتِقْ النسمة، وفك الرقبة، قال: (يا رسول الله)[5] أوليسا واحداً؟. قال: لا، عتق النسمة: أن تنفرد

---

(١) ساقط من د.

(٢) هذه السورة تتناول أهداف السور المكية، من تثبيت العقيدة، والإيمان بالحساب والجزاء، والتمييز بين الأبرار والفجار.
فقد ابتدأت السورة بالقسم بالبلد الحرام، الذي هو سكن النبي ﷺ تعظيماً لشأنه وتكريماً لمقامه عند ربه، ثم تحدثت عن بعض كفار مكة، الذين اغتروا بقوتهم، فعاندوا الحق، وكذبوا رسول الله ﷺ وأنفقوا أموالهم في المفاخرة والمباهاة، ظناً منهم أن ذلك يدفع عنهم عذاب الله عز وجل.
ثم تناولت أهوال القيامة وشدائدها، وما يكون بين يدي الإنسان في الآخرة من مصاعب وعقبات، لا يستطيع أن يجتازها إلا بالإيمان والعمل الصالح: فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيماً ذا مقربة، أو مسكيناً ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة.

(٣) الآية: ١٣.

(٤) هو أبو عمارة ـ وقيل: أبو عمرو ـ البراء بن عازب بن الحارث بن عدى، الأنصاري الأوسي، له ولأبيه صحبة، لم يشهد بدراً لصغر سنه، وشهد ما بعدها من المواقع، مات سنة ٧٢ في إمارة مصعب بن الزبير.
راجع: الإصابة ١٤٦/١. والإستيعاب على هامش الإصابة ١٤٣/١.

(٥) زيادة عن مسند أحمد.

بعتقها، وفك الرقبة: أن تعين في ثمنها. والمنحة: الوكوف[1]، والفيء[2] على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وامر بالمعروف، وانْـهَ عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكُفَّ لسانك، إلا من خير[3].

---

(١) قال في اللسان ٣٦٣/٩: منحة وكوف: الغزيرة الكثيرة، اهـ.

(٢) قال في النهاية ٤٨٣/٣: أي العطف عليه، والرجوع اليه بالبر.

(٣) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٢١١/٩.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٠/٤: رواه أحمد ورجاله ثقات.

سورة الشمس وضحاها

مكية إجماعاً.

وآيها ست عشرة في المدني الأول، ويقال في المكي كذلك، وخمس عشرة في عدد الباقين. اختلافها آية:

﴿**فعقروها**﴾[1] عدها المدني الأول، والمكي بخلاف عنه، ولم يعدها الباقون. ورويها: الهاء.

مقصودها.

ومقصودها: إثبات التصرف في النفوس التي هي سرج الأبدان، تقودها إلى سعـادة أو كبـد ونكد وهوان. كما أن الشمس سراج الفلك، يتصرف سبحانه فيها بالإختيار إضلالاً وهداية، ونعيماً وشقاوة، كتصرفه في الشمس بمثل ذلك، من صحة واعتلال، وانتظام واختلال، وكذا في جميع الأكْوان، بماله من عظيم الشأن.

---

(١) الآية: ١٤.

واسمها «الشمس» واضح الدلالة على ذلك، بتأمل القسم والمقسم عليه، بما أعلم به، وأشار إليه[١].

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: حسن، النسائي، عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العشاء بالشمس وضحاها، ونحوها من السور[٢].

وروى الطبراني في الكبير بإسناد ـ قال الهيثمي: حسن[٣] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا هذه الآية: ﴿ **ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[٤]، وقف ثم قال: اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليُّها ومولاها، وخيرُ من زكّاها[٥].

---

(١) سورة الشمس مكية، وقد تناولت موضوعين اثنين، وهما:

١ ـ موضوع النفس الإنسانية، وما جبلها الله عليه من الخير والشر، والهدي والضلال وبيان استعداداتها الفطرية، ودور الإنسان في شأن نفسه، وتبعته في تحديد مصيرها.

٢ ـ موضوع الطغيان، ممثلاً في قصة ثمود الذين عقروا الناقة، فأهلكهم الله تعالى، وهي نموذج من الخيبة التي تصيب من لا يزكي نفسه، فيدعها للفجور ولا يلزمها تقواها.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة العشاء ١٩٢/١ حديث رقم ٣٠٨.

وسنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في العشاء بالشمس وضحاها ١٧٣/٢.

(٣) مجمع الزوائد ١٣٨/٧.

(٤) الأيتان: ٧ ـ ٨.

(٥) ورواه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة.

راجع تفسير ابن كثير ٥١٦/٤.

سورة الليل

مكية.

وقال ابن أبي طلحة[1]: مدنية.

وآيها إحدى وعشرون في جميع العدد، ولا خلاف في تفصيلها.

وفيها مما يشبه الفواصل موضع: ﴿ وأما من أعطى ﴾[2].

مقصودها.

ومقصودها: الدلالة على مقصود الشمس، وهو التصرف التام في النفوس بإثبات كمال القدرة بالإختلاف، وباختلاف الناس في السعي[3] مع اتحاد مقاصدهم، وهي[4] الوصل إلى الملاذ من شهوة البطن والفرج، وما يتبع ذلك من الراحة.

---

(١) هو عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري، حنكه النبي ﷺ، وكان ثقة قليل الحديث، «الخلاصة ٢٠٢».

(٢) الآية: ٥.

(٣) أخذاً من قوله تعالى في نفس السورة: ان سعيكم لشتى.

(٤) في د: وهو.

واسمها «الليل» أوضح ما فيها على ذلك، بتأمُّل القسم والجواب، والوقوع من ذلك على الصواب.

وأيضاً: الليل نفسه دال على ذلك، بأنه على غير مراد النفوس، بما فيه من الظلام(١)، والنوم الذي أخو الموت، وذلك صادر عن كثرة المرادات(٢)

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر بالليل إذا يغشى، وفي العصر بنحو ذلك، وفي الصبح أطول من ذلك(٣).

---

(١) في د: الظلال.

(٢) ابتدأت هذه السورة بالقسم بالليل عندما يغشى الخليقة بظلامه، وبالنهار إذا أنار الوجود بإشراقه وضيائه، وبالخالق العظيم الذي أوجد النوعين الذكر والأنثى، على أن عمل الخلائق مختلف: ﴿والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، وما خلق الذكر والأنثى، إن سعيكم لشتى﴾.

ثم وضحت سبيل السعادة وسبيل الشقاء، ورسمت الخط الواضح لطالب النجاة، وبينت أوصاف الأبرار والفجار: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى﴾.

ثم حذرت أهل مكة من عذاب الله وانتقامه، ممن كذب بآياته ورسوله، وأنذرهم ناراً حامية لا يذوق لظاها إلا من أعرض عن هداية الله: ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى، الذي كذب وتولى﴾.

وختمت السورة بذكر نموذج للمؤمن الصالح الذي ينفق ماله في وجوه الخير والبر، ليزكي نفسه، ويصونها من عذاب الله، وكل ذلك يلتقي حول إبراز صورة معينة، هي اختلاف سعي الناس في الحياة الدنيا.

---

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح ٤/١٧٩.

وأخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في صلاة الظهر والعصر ٢١٣/١ حديث رقم ٨٠٦.

والنسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في الركعتين الأوليين من صلاة العصر ١٦٦/٢.

وروى الشيخان عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه حين طَوَّل في صلاة الجماعة بمن تضرر بتطويله: يا معاذ إذا قمت بالناس، فاقرأ بالشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى، واقرأ باسم ربك، والليل إذا يغشى[1].

وروى أحمد في مسنده، وابن حيان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي من طريقه وهذا لفظه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من يوم طلعت شمسه إلا وكان بجنبتيها ملكان يناديان نداء يسمعه خلق الله كلهم غير الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، إن ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى ولا آبت الشمس ولا وكان بجنبتيها ملكان يناديان نداء يسمعه خلق الله كلهم غير الثلقين: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً، وأنزل الله في ذلك قرآناً، في قول الملكين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، في سورة يونس: ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾[2].

وأنزل الله في قولهما: اللهم أعط منفقاً خلفا، وأعط ممسكاً تلفا: ﴿[3] **والليل إذا يغشى ـ إلى قوله ـ: للعسرى** ﴾[4].

وقال ابن رجب: وذكر محمد بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب «سيرة عمر بن عبد العزيز»: أن عمر قرأ ذات ليلة: ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلى ١/١٧٣. وباب من شكا إمامه إذا طول ١/١٧٤. وكتاب الأدب، باب من لم يَرَ إكْفَارَ من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ٧/٩٧.
وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء ٤/١٨١.

(٢) الآية: ٢٦.

(٣) الآيات: ١ ـ ١٠.

(٤) مسند الإمام أحمد ٥/١٩٧.

فلما بلغ: ﴿ **فأنذرتكم ناراً تلظى** ﴾[1] خنقته العبرة، فلم يستطع أن ينفذها، فرجع، حتى إذا بلغها، خنقته العبرة، فرجع - يعني: الثالثة - حتى إذا بلغها خنقته العبرة، فلم يستطع أن ينفذها، فتركها وقرأ بسورة[2] غيرها[3].

---

(١) الآية: ١٤.

(٢) عند ابن الحكم: سورة.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٤٧.

سورة الضحى

مكية إجماعاً.

وآيها إحدى عشرة عند الكل، ولا اختلاف فيها.

ورويها ثلاثة أحرف وهي: رثي، أو: ثار[1].

مقصودها.

ومقصودها: الدلالة على آخر الليل، بأن أتقي الأتقياء الذي هو الأتقى على الإطلاق في عين الرضا دائماً، لا ينفك عنه في دنيا ولا في آخرة، لما تحلى به من صفات الكمال، التي هي الإيصال للمقصود، بمالها من النور المعنوي، كالضحى بماله من النور الحسى، الذي هو أشرف ما في النهار.

---

(١) الراء: ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾، الآية: ١٠.
والثاء: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ الآية: ١١.
وأما الألف فمكررة في السورة بكثرة.

وقد علم بهذا: أن اسمها دال على مقصودها(١).

ما ورد فيها.

وأما ما ورد فيها: فروى ابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ عشر آيات في ليلة، لم يكتب من الغافلين(٢).

---

(١) تتناول سورة الضحى شخصية الرسول ﷺ، وتبين ما أولاه الله به من الفضل والإنعام في الدنيا والآخرة.

فقد بدأت السورة بالقسم على بيان مكانة النبي ﷺ وأن ربه لم يهجره، ولم يبغضه كما زعم المشركون، بل هو عند الله رفيع القدر، عظيم الشأن والمكانة: ﴿والضحى والليل إذا سجى، ما ودّعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى﴾، ثم ذكرت بشارة الله له بجزيل العطاء في الآخرة، وما أعد له من أنواع الكرامات، ومنها الشفاعة العظمى في موقف الحساب.

ثم ذكّرته بما كان عليه في مطلع حياته من اليتم والفقر والحاجة، فآواه الله وأغناه وأحاطه بكلاءته وعنايته: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائِلاً فأغنى﴾.

ثم ختمت السورة بوصية الله له بوصايا ثلاث، مقابل تلك النعم الثلاث، وهي العطف على اليتيم، والرحمة بالمحتاج، والحنو على البائس المسكين، والتحدث بنعمة الله بالشكر عليها.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢/١٨١ حديث رقم ١١٤٤ من حديث عبد الله بن عمرو.

والمستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/٥٥٥ من حديث أبي هريرة.

وبالتأمل في هذا الحديث لا توجد مناسبة بينه وبين السورة، إذ لا علاقة تربط بينهما، لا سيما وأن الحديث حدد مقدار الآيات المطلوب قراءتها بعشر آيات، وسورة الضحى إحدى عشرة آية.

فالحديث عام ينطبق على أي عشر آيات من أي سورة من سور القرآن، فارتباطه بهذه السورة بعيد.

وروى الطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: بإسناد حسن، وفي الأوسط بإسناد فيه معاوية بن أبي العباس، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات[١] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كنزاً كنزاً[٢]، فسر بذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾[٣]، فأعطاه الله في الجنة ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم[٤].

وفي رواية في الأوسط، قال رسول الله ﷺ: عُرض عليَّ ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وللآخرة خير لك من الأولى**﴾[٥]، فذكره.

ويسنِ في قراءة المكيين: أن يكبر إذا بلغ «والضحى» إلى آخر القرآن.

وروى ذلك عن السوسي صالح بن زياد[٦]، عن أبي عمرو بن العلاء البصري، وذلك من أول «ألم نشرح».

قال شيخنا العلامة شمس الدين بن الجزري رحمه الله: وقد كان أئمة القراء يأخذون به عن جميع القراء[٧].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٣٩.

(٢) في مجمع الزوائد: كفراً. كفراً.

(٣) الآية: ٥.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٥٣٣: هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف.

(٥) الآية: ٤.

(٦) هو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن اسماعيل، السوسي الرقي، مقرىء ضابط ثقة، روى القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي، وحفص عن عاصم، وأخذ عنه النسائي الحافظ صاحب السنن، وجمع كثير، مات سنة ٢٦١.
راجع: طبقات القراء ١/٣٣٢. والنشر ١/١٣٤.

(٧) النشر: ٣/٣٨٠.

وكـل ذلك في وجـه البسملة، وانتهاؤ هـا أول ﴿ قـل أعـوذ بـرب الناس ﴾، لا آخرها، بناء على أن التكبير لأول السورة، ولفظه: الله أكبر، وزاد جماعة قبله التهليل.

روى الحاكم في مستدركه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، من طريق البزي (١) عن عكرمة بن سليمان (٢) قال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين (٣)، فلما بلغت «والضحى» قال لي: كبِّر حتى تختم، فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك، وأخبرني به عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب رضي الله عنهم، أن النبي ﷺ أمره بذلك (٤).

وذكر الإمام شمس الدين محمود الأصفهاني في تفسيره بغير سند فقال: عن ابن سليمان قرأت على اسماعيل (بن) (٥) عبد الله، فلما بلغت إلى: والضحى، قال لي: كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة، فإني قرأت على شبل بن عبَّاد، وعلى عبد الله بن كثير، فأمراني بذلك، قال: وعن عبد الله بن كثير: أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس

---

(١) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع اليزيدي المكي، مقرىء مكة، ومؤذن المسجد الحرام، أستاذ محقق ضابط متقن، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة، وتوفي سنة ٢٥٠، عن ثمانين سنة.
راجع: طبقات القراء ١/٢ ترجمة رقم ٥٥٣.

(٢) هو أبو القاسم عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر المكي، قال الذهبي: ما علمت أحداً تكلم فيه. كان إمام أهل مكة في القراءة بعد شبل وأصحابه، توفي قبيـل المائتين.
راجع: طبقات القراء ١/٥١٥.

(٣) هو أبو إسحاق اسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المخزومي، مولاهم، المكي مقرىء مكة، قرأ على ابن كثير وشبل بن عياد، وقرأ عليه الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وكان ضابطاً ثقة أميناً، ومات سنة ١٧٠ عن سبعين عاماً.
راجع: طبقات القراء ١/١٦٥ ترجمة رقم ٧٧١.

(٤) النشر ٣/٣٨٣.

(٥) في د: أبي.

رضي الله عنهما فأمره بذلك، وأخبر أن ابن عباس قرأ على أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه فأمره بذلك، وأخبره أبي أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك.

قال شيخنا ابن الجزري: وروينا عن الشافعي أنه قال: إن تركت التكبير، فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ (١).

وهذا يقتضي تصحيحه لهذا الحديث (٢).؟

وسبب وروده، وكونه من هذا الموضع: ما رواه الحافظ أبو العلاء الهمداني بإسناده عن أحمد بن فرح(٣)، عن البَزِّي، أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي، فقال المشركون: قَلَى محمداً ربُّه، فنزلت سورة الضحى، فقال النبي ﷺ: الله أكبر، وأمر النبي أن يكبر إذا بلغ الضحى مع خاتمة كل سورة حتى يختم(٤).

ونقل شيخنا عن شيخه الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير أنه قال: ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، انتهى(٥).

وقد ذكر البغوي هذا السبب في تفسيره، وجزم به(٦).

فاللّه أعلم.

---

(١) النشر: ٣/٣٨٥.

(٢) هذا من كلام ابن كثير كما صرح به ابن الجزري في النشر ٣/٣٨٦. وهو في تفسير ابن كثير ٤/٥٢١.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن فرح - بالحاء المهملة - بن جبريل، الضرير البغدادي المفسر، قرأ على الدوري، وكان ثقة كبيراً جليلاً ضابطاً، توفي سنة ٣٠٣ وقد قارب التسعين من العمر.

راجع: طبقات القراء ١/٩٥، والنشر ١/١٣٤.

(٤) النشر ٣/٣٧٥.

(٥) النشر ٣/٣٧٥، وتفسير ابن كثير ٤/٥٢١.

(٦) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٢٣٥.

سورة ألم نشرح

مكية إجماعاً.

كذا قال بعضهم وقال القرطبي: في قول الأكثرين[(١)].

وقال ابن عباس، وقتادة، : مدنية.

وآيها ثماني وفاقاً، ولا اختلاف في تفصيلها.

ورويها ثلاثة أحرف، وهي: بكر، أو: ركب.

مقصودها

ومقصودها: تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة، وبيان (أن)[(٢)] المراد بالتحدث بها: هو شكرها بالنصب في عبادة الله، والرغبة إليه بتذكر إحسانه، وعظيم رحمته بوصف الربوبية، وامتنانه.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/١٠٤.

وراجع: تفسير أبي حيان ٨/٤٨٧.

(٢) ساقطة من د.

وعلى ذلك دل اسمها « الشرح »(١).

ما ورد فيها

وأما ما ورد فيها: فروى البغوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية، ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾(٢) قال: قال الله عز وجل: إذا ذكرتُ ذكرت معي(٣).

وذكر ابن رجب عن كتاب الزهد للإمام أحمد عن حفص بن حميد(٤) قال: قال لي زياد ابن حدير(٥): اقرأ عليّ، فإني أجد لقراءتك لذة، فقرأت عليه: « ألم نشرح لك صدرك » فجعل يبكي، كما يبكي، الصبي ويقول: ويل ابن أم زياد، انقض ظهر رسول الله ﷺ ؟.

---

(١) هذه السورة تتحدث عن مكانة رسول الله ﷺ، ومقامه الرفيع عند الله تعالى، وقد تناولت الحديث عن نعم الله العديدة على عبده ورسوله محمد ﷺ، بشرح صدره بالإيمان، وتنوير قلبه بالحكمة والعرفان، وتطهيره من الذنوب والأوزار. وكل ذلك يحمل معنى التسلية لرسول الله ﷺ عما يلقاه من أذى كفار مكة.
ثم بينت أن الله أعلى منزلته ﷺ، ورفع مقامه في الدنيا والآخرة، حيث قرن اسمه باسمه تبارك وتعالى، وهذا ما يعنيه قوله عز وجل: ورفعنا لك ذكرك. وختمت السورة بدعوة الرسول ﷺ إلى التفرغ لعبادة الله بعد أن ينتهي من تبليغ الرسالة للقوم، شكراً على نعمه التي أولاها بها: ﴿فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب﴾. صفوة التفاسير ٢٠/٧٣.

(٢) الآية: ٤.

(٣) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٢٣٦.
قال ابن كثير ٤/٥٢٤: ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى، ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج، اهـ.

(٤) هو حفص بن حميد القمي ـ بضم القاف، وكسر الميم مشددة ـ نسبة إلى قُم، روى عن زيادة بن حدير، وعكرمة وشمر بن عطية، وغيرهم، ضعفه ابن المديني، ووثقه النسائي وابن حيان راجع: تهذيب التهذيب ٢/٣٩٩. والخلاصة ٢٣٧.

(٥) هو أبو المغيرة زياد بن حدير الأسدي، روى عن عمر وعلي وابن مسعود والعلاء بن الحضرمي، رضي الله عنهم أجمعين، وروى عنه الشعبي وحبيب بن أبي ثابت وكثير غيرهما، وثقه الدارقطني وابن حيان. راجع: تهذيب التهذيب ٣/٣٦١. والخلاصة ١/٣٤٢

سورة التين

مكية إجماعاً.

وآيها ثمان إجماعاً، ولا اختلاف فيها أيضاً.

ورويها حرفان: وهما: نم.

مقصودها

ومقصودها: سر مقصود ألم نشرح. وذلك هو إثبات القدرة الكاملة، وهو المشار إليه باسمها، فإن في خلق التين والزيتون من الغرائب، ما يدل على ذلك، وكذا فيها أشير إليه بذلك من النبوات، وضم القسم إلى المقسم عليه، وهو الإنسان، الذي هو المحب ما في الأكوان، واضح في ذلك(١).

---

(١) سورة التين مكية، وقد اشتملت على موضوعين أساسيين:

الأول: تكريم الله للإنسان.

الثاني: موضوع الإيمان بالحساب والجزاء.

فقد بدأت السورة بالقسم بالتين والزيتون، وبمكة بلد الله الحرام، على أن الله تعالى =

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى الشيخان، والترمذي وقال: حسن صحيح، وأبو داود وعبد الرزاق في جامعه، والبغوي في تفسيره وهذا لفظه: عن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في سفر، فقرأ العشاء الآخرة بالتين والزيتون في إحدى الركعتين[١].

وفي رواية الصحيحين: وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه[٢].

وروى أبو داود، والترمذي ـ قال النووي: بإسناد ضعيف[٣] ـ عن رجل أعرابي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ منكم بالتين والزيتون، فانتهى إلى آخرها ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾[٤]،

= كرّم الإنسان، فخلقه في أحسن صورة، وأبهى شكل وأبدعه، وهذا يقتضي منه شكر الله على نعمه، وإذا لم يشكر ربه فسيرد إلى أسفل سافلين.

وختمت السورة ببيان عدل الله بإثابة المؤمن، وعقوبة الكافر: ﴿فما يكذبك بعد بالدين، أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ وفي هذا تقرير للجزاء، وإثبات ليوم الحساب.

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان والجماعة، باب القراءة في العشاء ١/١٢٧، وكتاب التفسير ٦/٢١٤.

وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء ٤/١٨١.

وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة العشاء ١/١٩٣ حديث رقم ٣٠٩.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب قصر قراءة الصلاة في السفر ٢/٨ حديث رقم ١٢٢١.

ومصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء ٢/١١١ حديث رقم ٢٧٠٦.

وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٢٤٣.

(٢) راجع: الصحيحين: المواضع السابقة.

(٣) التبيان ص ٦٨.

(٤) الآية: ٨.

فليقل: وأنا على ذلك من الشاهدين[1].

قال النووي: وروى ابن أبي داود وغيره في هذا الحديث زيادة على ما في رواية أبي داود والترمذي: ومن (قرأ)[2]: لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى: ﴿ أليس ذلك بقادرٌ على أن يحى الموتى﴾[3]، فليقل: بلى، ومن قرأ: والمرسلات عرفاً فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾[4]، فليقل آمنا بالله[5].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود ١/٢٣٤ حديث رقم ٨٨٧.

وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة التين ٥/١١٣ حديث رقم ٣٤٠٥.

(٢) ساقطة من د.

(٣) الآية: ٤٠.

(٤) الآية: ٥٠.

(٥) التبيان ص ٦٨.

سورة اقرأ

وتسمى: العلق.

مكية إجماعاً.

وآيها ثماني عشرة آية في الشامي، وتسعة عشر في الكوفى والبصرى، وعشرون في المدنيين والمكى.

اختلافها آيتان:

﴿ **لإن لم ينته** ﴾[1] عدها المدنيان والمكى، ولم يعدها الباقون.

﴿ **أرأيت الذي ينهي عبداً** ﴾[2] لم يعدها الشامي، وعدها الباقون.

وفيها لم يشبه الفواصل، ولم يعده أحد موضعان:

﴿ **ناصية** ﴾[3]، ﴿ **كاذبة** ﴾[3].

---

(١) الآية: ١٥.

(٢) الآية: ٩ ـ ١٠.

(٣) الآية: ١٦.

وعكسه موضع: ﴿ ناديه ﴾[1].

ورويها سبعة أحرف: وهي: أهام بقى.

مقصودها

ومقصودها؛ الأمر بعبادة من له الخلق والأمر، شكراً لإحسانه، واجتناباً لكفرانه، طمعاً في جنانه، وخوفاً من نيرانه، لما ثبت من أنه يدين العباد يوم المعاد.

وكل من اسميها دال على ذلك، لأن المربي يجب شكره، ويحرم كفره. على أن « اقرأ » يشير إلى الأمر، والعلق يشير إلى الخلق، واقرأ يدل على البداية، وهي العبادة بالمطابقة، وعلى النهاية، وهي النجاة يوم الدين باللازم.

والعلق يدل على كل من النهاية والبداية بالالتزام، لأن من عرف أنه مخلوق من دم؛ عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب، فإن التراب أقبل للحياة من الدم، ومن صدق بالإعادة عمل لها. وخص العلق، لأنه مركب الحياة، ولذلك سمى نفساً، فكأنه إشارة إلى تحريم أكل الدم، لأن من أكله تطبع بطابع صاحبه، وصارت نفسه كنفسه.

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى الطبراني ـ قال الهيثمي: برجال الصحيح[2] ـ عن أبي رجاء العطاردي[3] قال: كان أبو موسى رضي الله عنه يقرئنا فيجلسنا

---

(١) الآية: ١٧.

(٢) مجمع الزوائد ١٣٩/٧.

(٣) هو أبو رجاء عمران بن ملحان ـ وقيل: ابن تيم، وقيل: ابن عبد الله العطاردى البصري، أسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ﷺ، وروى عن علي وعمر، وعائشة وحضر معها حرب الجمل، وعمَّر طويلاً، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ عن عمر يزيد على مائة وعشرين سنة.

راجع: الإستيعاب على هامش الإصابة ٢٣/٣. والإصابة ٧٤/٤. والخلاصة ص ٢٩٦ وفيه: أنه مات سنة ١١٧.

حلقاً، عليه ثوبان أبيضان، فإذا قرأ هذه السورة ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ قال: هذه أول سورة أنزلت على محمد ﷺ.

وروى البخاري في بدء الوحي ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم[1].

وتقدم في « إذا السماء انشقت » حديث السجود فيها[2].

ولأحمد ـ قال الهيثمي: أيضاً برجال الصحيح، وبعضه في الصحيح[3] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل فقال: ألم أنهك؟. فانتهره النبي ﷺ، فقال: لم تنتهرني يا محمد، فوالله لقد علمت ما رجل أكثر ناديا مني؟. قال: فقال له جبريل عليه السلام: فليدع ناديه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالله لو دعا ناديه، لأخذته الزبانية بالعذاب[4].

وروى مسلم في كتاب التوبة[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ١/٣، وكتاب التفسير، سورة اقرأ ٦/٨٧ وكتاب التعبير، باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ٨/٦٧.

وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي ٢/١٩٧.

(٢) راجع: ص ٢٨٢ من هذا الجزء.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٣٩.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٣٢٩.

وأخرجه البخاري مختصراً: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ٦/٨٩.

والترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة اقرأ ٥/١١٤ حديث رقم ٣٤٠٦.

(٥) هذا سهو من الشيخ رحمه الله، لأن الحديث في كتاب القيامة من صحيح مسلم، وليس في كتاب التوبة.

أبو جهل: (هل)[1] يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟. فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه فقيل له: مالك؟. فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهَوْلاً، وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لَوْدَنَا مني لا ختطفته الملائكة عضواً عضواً، وأنزل الله عز وجل ـ لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه ـ : كلاًّ إنَّ الإنسان ليطغي، إلى قوله: أرأيت إن كذب وتولى ـ يعني: أبا جهل ـ ألم يعلم بأن الله يرى إلى قوله: فليدع ناديه، يعني قومه. إلى آخر السورة[2].

---

(١) ساقطة من د.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغي أن رآه استغنى ١٧/ ١٣٩.

سورة القدر

قال ابن عباس ومجاهد، وعلى بن أبي طلحة - قال الأصفهاني: والضحاك ومقاتل - : مدنية.

وقال قتادة، وجابر بن زيد، وعكرمة، والحسن: مكية.

وقال النسفي في تفسيره: وقال الواقدي: هي أول سورة نزلت بالمدينة[1].

وقال الأصفهاني: والأكثر: أنها مكية.

وكذا قال أبو حيان: في قول الأكثر[2].

عدد آياتها

وآيها ست في المكي والشامى، وخمس عند الباقين.

اختلافها آية:

(1) راجع القرطبي ٢٠/١٢٩.

(2) البحر المحيط ٨/٤٩٦.

﴿ليلة القدر﴾ [1] الثالثة، عدها المكى والشامي، ولم يعدها الباقون.

ورويها: الراء.

مقصودها

ومقصودها: تفضيل الأمر الذي هو إحدى قسمي ما ضمنه مقصود اقرأ. وعلى ذلك دل اسمها، لأن ليلة القدر فضلت به، فهو من إطلاق المسبب على السبب، وهو دليل لمن يقول باعتبار تفضيل الأوقات، لأجل ما كان فيها، كما قال ذلك اليهودي في اليوم الذي (نزل)[2] فيه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[3] وأقره الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك. والله أعلم.

ما ورد فيها

وأما ما ورد فيها: فروى الطبراني في الأوسط والكبير ـ قال الهيثمي: وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجال الكبير ثقات[4] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان، إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل نجوماً[5].

قال: ورواه أيضاً في الكبير. والبزار باختصار، ورجاله رجال الصحيح، وفي سند الطبراني عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف[6].

---

(١) الآية: ٣.

(٢) ساقطة من د.

(٣) سورة المائدة: آية٣.

(٤) مجمع الزوائد ٧/ ١٤٠.

(٥) ورواه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة إنا أنزلناه في ليلة القدر ٢/ ٥٣٠.

ورواه عنه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٣٤.

(٦) مجمع الزوائد ٧/ ١٤٠.

ولفظ الطبراني: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» قال: أنزل القرآن جملة واحدة، حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ونَزَّله جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم[٤].

(١) وهو في المستدرك ٢/ ٥٣٠. والأسماء والأسماء والصفات ٢٣٥.

سورة لم يكن

وتسمى: القَيِّمَة، والبريَّة، والمنفكينَّ.

مدنية.

قال الأصفهاني: وقيل: مكية. وهو الذي قدمه الزمخشري[1]، واقتصر عليه البغوي[2]، وأبو حيان[3].

عدد آياتها

وآيها تسع في البصرى والشامى، ونقص غيرهما واحدة، فهي عندهم ثمان.

اختلافها آية:

---

(١) الكشاف ٤/٢٧٤.

(٢) تفيير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٢٦٥ وفيه: أنها مدنية.

(٣) البحر المحيط ٨/٤٩٨.

﴿ مخلصين له الدين ﴾[1]. عدها البصرى، والشامي على خلاف عنه، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد بإجماع، موضعان: « والمشركين »[2] في موضعين.

ورويها خمسة أحرف، وهي: مرنبي.

مقصودها

ومقصودها: الإعلام بأن هذا الكتاب القيم، من علو مقداره، وجليل آثاره، إن كان لقوم نُوراً وهدى، فهو لآخرين وَقْراً وعمى. فيقود إلى الجنة دار الأبرار، ويسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار.

وفي ذلك دل كل من أسمائها: الذين كفروا، والمنفكين، والبرية، بتأمل الآية في انقسام الناس إلى أهل الشقاوة، وأهل الهداية.

والقيِّمة: بانقسام أهل الدعوة[3] فيها بحسب الإرادة إلى القسمين: أهل الشقاورة وأهل السعادة[4].

---

(١) الآية: ٥.

(٢) الآيتان: ١، ٦.

(٣) في د: الدنيا.

(٤) سورة البينة تعرض عدة حقائق مهمة.

الحقيقة الأولى: أن بعثة الرسول ﷺ كانت ضرورة لتحويل الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين عما كانوا قد انتهوا إليه من الضلال والاختلاف، وما كانوا ليتحولوا عنه بغير هذه البعثة:

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة، رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة﴾.

والحقيقة الثانية: أن أهل الكتاب لم يختلفوا في دينهم عن جهالة، ولا عن غموض فيه، إنما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم، وجاءتهم البينة:

﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: حسن صحيح، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك «لم يكن الذين كفروا». وقرأ فيها: إن الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية، ومن يعمل خيراً فلن يكفره - وقرأ عليه - لو أن لابن آدم وادياً من مال لابتغى إليه ثانياً، ولو أن له ثانياً، لابتغى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب[1].

وروى الإمام أحمد، وابنه عبد الله في زوائد المسند - قال الهيثمي: وفيه عاصم بن بهدلة، وثقة قوم، وضعفه آخرون، وبقية رجاله رجال الصحيح[2] - عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله أمرني أن أقرأ عليك، قال: فقرأ عليّ «لم يكن الذين كفروا من أهل

= والحقيقة الثالثة: أن الدِّين في أصله واحد، وقواعده بسيطة واضحة، لا تدعو إلى التفرق والإختلاف في ذاتها وطبيعتها البسيطة اليسيرة:

﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾.

والحقيقة الرابعة: أن الذين كفروا بعد ما جاءتهم البينة، هم شر البرية، وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية، ومن ثم يختلف جزاء هؤلاء عن هؤلاء اختلافاً بيناً:

﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم شر البرية، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن..﴾.

راجع: الظلال ٦/٣٩٤٧ وما بعدها.

(١) صحيح الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل أبي بن كعب رضي الله عنه ٥/٣٧٠ حديث رقم ٣٩٨٨.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/٢٥٧: سنده جيد.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٤١.

الكتاب » حتى قال: من بعد ماجاءتهم البينة، إن الدين عند الله الحنيفية، غير المشركة[1]، ولا اليهودية، ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره.

قال شعبة[2]: ثم قرأ آيات بعدها، ثم قال: لو أن لابن آدم وادياً من مال لسأل وادياً ثانياً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، قال: ثم ختم ما بقى من السورة[3].

وفي رواية: عن أبي بن كعب رضي الله عنه أيضاً، أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى، أمرني أن أقرأ عليك القرآن فذكر نحوه. وقال فيه: ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه، لسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً.

والباقي بنحوه[4].

قال الهيثمي: وفي الترمذي بعضه. وفي الصحيح طرف منه[5].

قال شيخنا ابن حجر في شرح البخاري:[6] ورواه الحاكم من وجه آخر عن زربن حبيش، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ عليه: « لم يكن » وقرأ فيها: إن ذات الدين عند الله الحنيفية، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره[7] انتهى.

وللبزار بإسناد ـ قال المنذري: جيد[8] ـ عن بريدة رضي الله عنه قال:

---

(١) في د: المشركين.

(٢) في د: سعيد. وهو خطأ.

(٣) مسند الإمام أحمد ١٣٢/٥٠.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ٣٨٩/٣ حديث رقم ٢٤٤٠ من حديث أنس.

(٥) مجمع الزوائد ١٤١/٧.

(٦) فتح الباري ١٢٧/٧ في كتاب المناقب. وج ٧٢٥/٨ في كتاب التفسير، والذي يعنيه المؤلف هو الموضوع الأول.

(٧) المستدرك للحاكم: كتاب التفسير، تفسير سورة لم يكن ٥٣١/٢.

(٨) الترغيب والترهيب للمنذري ٥٤٢/٢.

سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الصلاة: لو أن لابن آدم وادياً (من ذهب)[١] لابتغى إليه ثانياً، ولو أعطى ثانياً، لابتغى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا بالتراب، ويتوب الله على من تاب.

ولأحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[٢] ـ والطبراني، عن أبي واقد[٣] الليثي رضي الله عنه قال: كنا نأتي النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي فيحدثنا، قال لنا ذات يوم: إن الله عز وجل قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وايتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان، ولو كان له واديان، لأحب أن يكون إليهما[٤]، ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب[٥].

ورواه أبو عبيد في كتاب الفضائل، عن أبي واقد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه أتيناه فعلمنا ما أوحى إليه. قال فجئته فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول: إنا أنزلنا المال. فذكره[٦].

---

(١) ساقطة من د.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٤٠.

(٣) أبو واقد الليثي، مختلف في اسمه، فقيل: الحارث بن مالك ـ وقيل: ابن عوف وقيل: عوف بن الحارث ـ بن أسيد بن جابر، من بني ليث بن بكر، قيل أسلم قديماً وشهد بَدْراً، وبه جزم ابن اسحاق وابن عبد البر، وقيل: هو من مسلمة الفتح وبه قال الزهري وصححه الحافظ ابن حجر في الإصابة، والذهبي في التجريد، مات سنة ٦٨، وقيل: سنة ٧٥، وبالأول جزم الذهبي في التجريد.
راجع: الإستيعاب على هامش الإصابة ٤/٢١١، والإصابة ٤/٢١٢، والتجريد ٢/٢١٠.

(٤) في د: «اليه»، وهو خلاف ما في المسند.

(٥) المسند ٥/٢١٩.

(٦) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/٢٥٨: وهذا يحتمل أن يكون النبي ﷺ أخبر به عن الله تعالى أنه من القرآن، ويحتمل أن يكون من الأحاديث القدسية، وعلى الأول فهو مما نسخت تلاوته جزماً وان كان حكمه مستمراً، ويؤيد هذا الإحتمال: ما أخرج أبو عبيد في «فضائل القرآن» من حديث أبي موسى قال: قرأت سورة نحو براءة فغبت وحفظت منها: ولو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى ثالثاً﴾ الحديث، اهـ.

وقال الهيثمي: وروى[1] أحمد ـ أيضاً ـ برجال الصحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه، فجعل عمر ينظر إلى رأسه مرة، وإلى رجليه أخرى، هل (يرى)[2] عليه من البؤس (شيئاً)[2]، ثم قال له عمر رضي الله عنه: كم مالك؟. قال أربعون من الأبل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قلت: صدق الله ورسوله، لو كان لابن آدم واديان من ذهب، لابتغى الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم التراب، ويتوب الله على من تاب، فقال عمر: ما هذا؟. فقلت: هكذا أقرأنيها أبي، قال: فمر بنا إليه. قال: فجاء إلى أبي فقال: ما يقول هذا؟. قال ابي: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ. قال: فأثبتها في المصحف؟. قال: نعم[3].

قال: ورواه أحمد أيضاً، ورجاله ثقات ـ والطبراني في الأوسط ـ[4] عن ابن عباس أيضاً رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه فقال: أكلتنا الضبع ـ قال مسعر: يعني: السنة ـ قال: فسأله عمر: ممن أنت؟. فما زال ينسبه حتى عرفه، فإذا هو موسر. فقال عمر رضي الله عنه: لو أن لابن آدم وادياً، أو واديين، لابتغى إليهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب[5].

قال الهيثمي[6]: ورواه ابن ماجة[7] غير قول عمر: [8] « ثم يتوب الله على من تاب ».

---

(١) في د: ورواه.

(٢) ساقطة من د.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/١١٧. ومجمع الزوائد ٧/١٤١.

(٤) مجمع ازوائد ٧/١٤١.

(٥) مسند الإمام أحمد ٥/١١٧.

(٦) مجمع الزوائد: الموضع السابق.

(٧) سنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الأمل والأجل ٢/١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٥ من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٨) بل هو موجود بلفظ: ﴿ويتوب الله على من تاب﴾ من قول رسول الله ﷺ، إلا إذا كان المرفوع في موضع آخر عند ابن ماجة غير ما ذكرته.

وروى أبو عبيد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: نزلت سورة نحو براءة، ثم رفعت، وحفظ منها: إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم، ولو أن لابن آدم واديين من مال، لتمنى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

وروى أبو عبيد أيضاً أمر الوادي من المال، عن زيد بن أرقم[1]، وجابر بن عبد الله وابن عباس، رضي الله عنهم.

وروى أبو عبيد - أيضاً - عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال لأبي بن كعب رضي الله عنه: أني أمرت أن أقرأ عليك: أو قال: إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا، فقال: أوسماني؟. قال: نعم، قال: فبكى.

وروى حديث أنس البخاري في (المناقب)[2] والتفسير، ومسلم في أواخر الصلاة والفضائل، ولفظه: أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب رضي عنه: إن الله أمرني أن أقرأ عليك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب.

وفي رواية: أن أقرأ عليك القرآن.

وفي رواية: أن أقرئك القرآن. قال: وسماني؟. قال: نعم. فبكى.

وفي رواية: قال أبي: (آلله)[3] سماني لك؟. قال: الله سماك لي

وفي رواية: قال وقد ذكرت عند رب العالمين؟. قال: نعم، فذرفت عيناه[4].

---

(١) هو زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر الخزرجي، شهد الخندق وغزا سبع عشرة غزوة، ونزل الكوفة، له تسعون حديثاً، اتفقا على أربعة منها وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بستة، ومات رضي عنه سنة ٦٦، وقيل: سنة ٦٨.
راجع: الخلاصة ١٢٥.

(٢) ساقطة من د.

(٣) زيادة عن البخاري ومسلم.

(٤) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب ٤/٢٢٨، وكتاب التفسير، سورة لم يكن ٦/٩٠.

وفي رواية عند الطبراني، عن أبي رضي الله عنه قال: نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى(١).

وفي رواية في الصحيح: فجعل رضي الله عنه يبكي(٢).

قال قتادة: فأنبئت أنه قرأ عليه «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب».

ولأبي عبيد في الفضائل، عن عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لأبي رضي الله عنه: إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أعرض القرآن عليك.

قال: أسماني لك ربك؟. قال: نعم. قال أبي: «بفضل الله وبرحمته، فبذلك فلتفرحوا، هو خير مما تجمعون(٣).

هكذا القراءة بالتاء(٤).

= وصحيح مسلم: كتاب المساجد، باب استحباب القرآن على أهل الفضل ٦/٨٥، وكتاب الفضائل، باب فضائل أبي بن كعب ١٦/٢٠.

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٥٣٦: هذا غريب من هذا الوجه.

(٢) هي رواية الصحيحين.

قال النووي في شرح مسلم ١٦/٢١: أما بكاؤه فبكاء سرور، واستصغار لنفسه، عن تأهيله لهذه النعمة، وإعطائه هذه المنزلة، والنعمة فيها من وجهين: أحدهما: كونه منصوصاً عليه بعينه، ولهذا قال: «وسمَّاني»؟. معناه: نص عليّ بعيني، أو قال: اقرأ على واحد من أصحابك. قال: «بل سمَّاك» فتزايدت النعمة.

والثاني: قراءة النبي ﷺ، فإنها منقبة عظيمة له، لم يشاركه فيها أحد من الناس.

وقال ابن حجر في الفتح ٧/١٢٧: قال أبو عبيد: المراد بالعرض على أُبَيٍّ ليتعلم أبي منه القراءة ويتثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وللتنبيه على فضيلة أبي بن كعب، وتقدمه في حفظ القرآن، وليس المراد أن يستذكر منه النبي ﷺ شيئاً بذلك العرض.

(٣) الآية: ٥٨ من سورة يونس.

(٤) قال القرطبي في تفسيره ٨/٣٥٤: وروى عن النبي ﷺ أنه قرأ فبذلك فلتفرحوا بالتاء وهي قراءة يزيد بن القعقاع ويعقوب، وغيرهما.

وفي المهذب في القراءات العشر ١/٢٩١: أنها قراءة رويس، وعند الباقين بالياء.

وقد طال السؤال عن الحكمة في قراءته ﷺ بخصوصه هذه السورة بخصوصها على أبي (رضي الله عنه)[1] بخصوصه.

فقال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر في شرحه للبخاري - وهو أجمع الشروح - قال[2] القرطبي: خص هذه السورة بالذات، لما احتوت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلية على الأنبياء، وذكر الصلاة والزكاة والمعاد، وبيان أهل الجنة والنار، مع وجازتها، انتهى[3].

(ولم يذكر)[4] في تخصيص أبي رضي الله عنه بالقراءة عليه شيئاً، والذي يظهر لي في (سبب)[5] تخصيصها: أنه بين فيها أن الكفار من أهل الكتاب وغيرهم لم يكونوا ليدعوا دينهم حتى تأتيهم البينة، وأن البينة هي الرسول، وأنه من عند الله، وأنه يتلو صحفاً مطهرة، وأن فيها كتباً قيمة، أي مستقيمة جداً، ثابتة استقامتها، لا يمكن أن يكون لها عوج، وأنهم مع ذلك لم يصدقوا، بل ما تفرقوا (إلا)[6] من بعد إتيان البينة.

وفيها الأمر بالإخلاص، والتحنف وهو: الميل عن العقائد الزائفة، وسهولة الانقياد مع الأدلة، ثم الإخبار بأن الكفار من أهل الكتاب المحرفين لكلام ربهم وغيرهم في النار، وأنهم شر البرية، وأن المؤمنين خير البرية، وأنهم في رضا الله حيث ما خافوه، فيها التحذير من الشك بعد البيان، وتقبيح حال مَنْ فعل ذلك، وأن حاله يكون حينئذ كحال الكفرة من أهل الكتاب وغيرهم، الذين هم شر البرية.

وسبب تخصيص أبي رضي الله عنه بهذا الوعظ على هذه الحالة: أنه لما

---

(١) ساقط من د.
(٢) في د: علي.
(٣) فتح الباري ٧/١٢٧.
(٤) ساقطة من د.
(٥) ساقطة من د.
(٦) ساقطة من د.

وجد مَنْ خالفه في القراءة فرفعه إلى النبي ﷺ فصوب كُلًا منهم - كما تقدم ذلك مستوفى في سورة النحل[1] وفي الفضائل العامة عند ذكر السبعة الأحرف[2] - وسوس له الشيطان (فيه)[3] وربما ظنه من وادي التحريف. فكأن الله تعالى يقول له: لا تكن ممن يتبع سنن مَنْ قَبْلُ من أهل الكتاب، في فراق دينهم، والاختلاف على نبيهم، وكن على بصيرة من أمر هذا الرسول الأمين والكتاب القيم المبين.

وقد تقدم في فضائل سورة النحل، أنها هي السورة التي وقع فيها الخلاف بين أُبَيٍّ وصاحبه رضي الله عنهما.

وفي سورة النحل التي وقع التنازع فيها: أن الله تعالى يبعث رسوله ﷺ يوم القيامة شهيداً، وأنه نَزَّلَ عليه الكتاب تبياناً لكل شيء (وهدى)[4] ورحمة، وأنه نزله[5] عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا، وأن اليهود اختلفوا على نبيهم في السبت فألزموا به.

فكانت سورة «لم يكن» على وجازتها حاوية لكل ما في النحل من ذلك على طولها بزيادة فأمر ﷺ بقراءتها عليه، تذكيراً بذلك كله، على وجه أبلغ وأخصر، ليكون أسرع لما ذكرت تصوراً، فيكون أرسخ في النفس، وأثبت في القلب، وأعشق للطبع.

وفي ذلك من المنقبة لأُبَيٍّ رضي الله عنه، أن الله تبارك وتعالى اختصه بالتثبيت، وأراد له الثبات، فهو من المريدين المرادين، لما وصل إليه قلبه ببركة ضرب النبي ﷺ لصدره، من كشف الحجب، والنظر إلى سبحات القدس، وشهود تلك الحضرة الشماء وصيرورته إلى أن يكون أصفى الصحابة

---

(١) راجع ج ٢.

(٢) راجع ج ١.

(٣) ساقطة من د.

(٤) ساقطة من د.

(٥) في د: نزل.

مراقبة لتلاوة النبي ﷺ، فيصير كلما قرأ هذه السورة الجامعة غائباً عن تلاوة نفسه، مصغياً بأذن قلبه إلى روح النبوة، يتلو عليه ذلك، فيدوم له حال الشهود، الذي وصل إليه بسرتلك الضربة[1].

ولثبوته في هذا المقام، قال النبي ﷺ: «أَقْرَؤُكُم أبي»، رضي الله عنه.

رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة، عن أنس رضي الله عنه[2].

وهو صحيح، وأوله: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» رضي الله عنه.

---

(١) ويراجع في تخصيصه رضي الله عنه بالقراءة عليه:

١ ـ تفسير الحافظ ابن كثير ٤/٥٣٦.

٢ ـ شرح مسلم للنووي ١٦/٢١.

وما فيهما قريب مما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/١٨٤، ٢٨١.

وصحيح الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم ٥/٣٣٠ حديث رقم ٣٨٧٩.

وسنن ابن ماجة: المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ١/٥٥ حديث رقم ١٥٤.

سورة إذا زلزلت

قال ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء ـ قال النسفي: ومجاهد والواقدي: مكية.

وقال قتادة: مدنية.

وكذا حكى كريب[1] عن كتاب ابن عباس رضي الله عنهما. وعزا[2] النسفي: هذا القول للجمهور[3].

(١) هو أبو رشدين كريب بن أبي مسلم، المتوفى سنة ١٨٠، كان مولى لابن عباس، فهو هاشمي بالولاء، قال أحمد والبخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدى: ومع ضعفه يكتب حديثه. راجع: التهذيب ٣/٢٧٩. والخلاصة ٣٢٢.

(٢) في د: وعن.

(٣) قال الشهيد سيد قطب في الظلال ٦/٣٩٠٢: هذه السورة مدنية في المصحف، وفي بعض الروايات، ومكية في بعض الروايات الأخرى، ونحن نرجح الروايات التي تقول بأنها مكية، وأسلوبها التعبيري وموضوعها يُؤَيِّدانِ هذا.

عدد آياتها

وآيها ثمان في المدني الأول والكوفى، وتسع في عدد الباقين.

اختلافها آية:

﴿ أشتاتاً ﴾[1] لم يعدها المدنى الأول والكوفى، وعدها الباقون.

ورويها أربعة أحرف، وهي: رملت.

مقصودها

ومقصودها: انكشاف الأمور، وظهـور المقدور أتم ظهـور، وانقسام الناس في الجزاء في دار البقاء، إلى سعادة وشقاء.

وفي ذلك دل اسمها بتأمل الظرف ومظروفه، وما أفاد من بديع القدر وصروفه.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة[2] العنزي[3]، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إذا زلزلت» تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون، تعدل ربع القرآن[4].

---

(١) الآية: ٦.

(٢) هو أبو حذيفة يمان بن المغيرة البصري العنزي، روى عن عطاء. ضعفه الدار قطني والنسائي وابن أبي حاتم. وقال البخاري: منكر الحديث.
راجع: الخلاصة ٤٣٨، والجرح والتعديل ٩/٣١١، والميـزان ٤/٤٦٠، المغني في الضعفاء ٢/٧٦١ ترجمة رقم ٧٢٢٣.

(٣) في الأصل: «الغنوي» وهو خطأ. والتصويب عن الترمـذي، والميزان الـذهبي، والجرح والتعديل، وتفسير ابن كثير. والمستدرك للحاكم.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص وسورة إذا زلزلت ٤/٢٢٠ حديث رقم ٣٠٥٩.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٦٦ من طريق يمان العنزي أيضاً.

ورواه الكلاباذي في « معاني الأخبار » من طريقه..

وذكر النووي في « الأذكار » عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: مَنْ قرأ في ليلة إذا زلزلت، كانت له كعدل نصف القرآن، ومن قرأ: قل يا أيها الكافرون، كانت له كعدل ربع القرآن، ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل ثلث القرآن (١)

وروى الترمذي نحوه عن أنس رضي الله عنه (٢).

ذكره عنه صاحب الفردوس، وقال: وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنه، وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وروى أبو عبيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه ما يخص الزلزلة.

وروى أبو عبيد أيضاً من وجه آخر، عن بكر بن عبد الله المزني قال: كانت إذا زلزلت تعدل بنصف القرآن.

ومثله لا يقال من جهة (٣) الرأي فحكمه حكم المرسل.

وسيأتي في سورة «الكافرون» حديث أنس عند الترمذي في أنها تعدل ربع القرآن.

وروينا في « سباعيات » الصيدلاني ولفظه:

---

(١) الأذكار ص ١٠٣.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت ٤/٢٣٩ حديث رقم ٣٠٥٧.
وعقب عليه الترمذي بقوله: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم.
وقال الذهبي في الميزان ٢/٤٩٣: هذا منكر، والحسن لا نعرفه، ولا روى عنه سوى محمد بن موسى الجرشي.
وكذا قال في المغني في الضعفاء ١/١٦٠.
وفي الخلاصة ٧٨: الحسن بن مسلم بن صالح العجلي، مجهول.
وأما محمد بن موسى الجرشي - ويقال: الجرشي، والحرسي - فقد ضعفه أبو داود.
راجع: الميزان ٤/٥٠، والخلاصة ٣٦١.

(٣) في د: وجه.

« أن النبي ﷺ سأل رجلاً من أصحابه: معك إذا زلزلت؟. قال: نعم قال: ربع القرآن ».

ولا تعارض، بل كل منهما ناظر إليها من جهة.

فأما كونها نصفاً[1]: فلأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة. وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالاً[2]، وزادت على القارعة بإخراج الأثقال وبحديث الأخبار.

وأما كونها ربعاً: فلأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان في الحديث الذي رواه الترمذي: عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، بعثني بالحق، (ويؤمن بالموت)[3]، ويؤمن[4] بالعبث بعد الموت، ويؤمن بالقدر[5].

فاقتضى هذا الحديث: أن الإيمان بالبعث الذي هو ربع الإيمان الكامل الذي دعا إليه القرآن. ذكره ابن الميلق.

وروى أبو داود بإسناد ـ قال النووي: صحيح[6] ـ عن معاذ بن عبد الله، وفي نسخة عبد الرحمن ـ الجهني. أن رجلاً من جهينة أخبره: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في الصبح: إذا زلزلت الأرض. في الركعتين كلتيهما، فلا أدري أنسى رسول الله ﷺ، أم قرأ ذلك عمداً[7].

---

(١) في د: نصفها.

(٢) في د: اجماعاً.

(٣) ساقط من د.

(٤) في د: ويشهد.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء أن الإيمان بالقدر خيره وشره ٣٠٦/٣ حديث رقم ٢٢٣٢.
وأخرجه الإما أحمد في المسند ٩٧/١، ١٣٣،وابن ماجة في سننه: المقدمة، باب في القدر ٣٢/١ حديث رقم ٨١.

(٦) المجموع ٣٨٤/٣.

(٧) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الرجل يعيد سورة واحدة في الركعتين ٢١٥/١ حديث رقم ٨١٦.

وروى أحمد، وأبو داود، والنسائي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله؟. فقال: اقرأ ثلاثا من ذوات «الر»، فقال: كبرت سناً، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: فاقرأ ثلاثا من ذوات «حم» فقال مثل مقالته. قال الرجل: يا رسول الله، اقرئني سورة جامعة[1]، فاقرأه رسول الله ﷺ «إذا زلزلت»، حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرويجل[2] مرتين[3].

ورواه أبو عبيد في الفضائل، ولفظه: قال: يا رسول الله أقرئنى شيئاً من القرآن، فقال له رسول الله ﷺ: أقرئك ثلاثا من ذوات الر، فقال: يا رسول الله اني قد كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، فقال له رسول الله ﷺ: اقرأ ثلاثا من المسبحات، فقال الرجل مثل مقالته الأولى، وقال: يا رسول الله أقرئني سورة فاذة جامعة قال: فقرأ إذا زلزلت، حتى فرغ من آخرها، فأدبر الرجل وهو يقول: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً، ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرويجل، مرتين أو ثلاثا.

وتقدم في يونس: أن ابن عبد الحكم أخرجه في كتاب «الفتوح» أتم من هذا[4].

وفي «جامع الأصول» عن أنس رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله. كبر سني، ورق عظمي،

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٨/٤٨٤: تجمع أسباب الخير وما يتوقع من البركة.

(٢) قال في جامع الأصول ٨/٤٨٤: القياس: رجيل. فأما «رويجل» فإنه تصغير على غير القياس، وقد جاء في العربية أشياء مصغرة على غير قياس.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢/١٦٩.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٢/٥٥ حديث رقم ١٣٩٣.
وفضائل القرآن للنسائي صـ ٨١ حديث رقم ٥٢.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٣٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين.
ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٤) راجع: جـ ٢/.

وغلظ لساني، فأقرئني سورة جامعة، فأقرأه إذا زلزلت، حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها ولا أنقص منها. فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرويجل، ثلاثا[1].

وروى الطبراني في الكبير بسند - قال الهيثمي: فيه الحسين بن الحسن[2] العوفي وهو ضعيف[3] - عن سعد بن جنادة رضي الله عنه قال: كنت أول من أتى النبي ﷺ فأسلمت وعلمني قل هو الله أحد، وإذا زلزلت الأرض زلزالها، وعلمني هؤلاء الكلمات: سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقال: هن الباقيات الصالحات.

وفي رواية: وقل يا أيها الكافرون.

وروى الطبراني من طريق حيى بن عبد الله المعافري - قال الهيثمي: وقد وثقه ابن معين وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح[3] - وابن أبي الدنيا عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: نزلت إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: لو أنكم لا تخطؤون، ولا تذنبون، لخلق الله أمة من بعدكم يخطؤون ويذنبون فيغفر لهم.

ورواه الطبراني في الأوسط عن شيخه موسى بن سهل - قال الهيثمي: والظاهر أنه الوشاء وهو ضعيف[4] - عن أنس رضي الله عنه قال: بينما أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأكل مع النبي ﷺ إذ نزلت عليه: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[5]، فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده وقال: يا رسول الله إني لراء ما عملت من مثقال ذرة من

---

(١) جامع الأصول ٨/٤٨٤ حديث رقم ٦٢٦٢.

(٢) في د: الحسين والحسن العوفي.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٤١.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٤٢.

(٥) الآيتان: ٧، ٨.

شر؟.، فقال: يا أبا بكر أرأيت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذرة الشر، ويدخر لك مثاقيل الخير حتى تَوَفَّاهُ يوم القيامة.

وروى أحمد ـ قال الهيثمي: متصلاً ومرسلاً، ورجال الجميع رجال الصحيح[1] ـ عن صعصعة بن معاوية[2] عم الفرزدق[3] رضي الله عنه، **أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾. قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها[4].**

---

(1) مجمع الزوائد ١٤١/٧.

(2) هو صعصعه بن معاوية بن حصين بن عبادة التميمي السعدي، عم الأحنف بن قيس مختلف في صحبته، وليس للفرزدق عم يسمى صعصعة، وإنما جده صعصعة بن ناجية الذي كان يفتدي المؤودات، وفيه يقول الفرزدق:

وجدى الذي منع الوائدات … وأحيا الوئيد فلم يوأد

راجع: الاستيعاب على هامش الإصابة ١٨٨/٢، والإصابة ١٧٩/٢.

(3) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال، والفرزدق لقب غلب عليه، وهو شاعر مشهور ذائع الصيت، من شعراء الدولة الأموية، واشتهر بمناقضاته مع جرير، وتوفى الفرزدق سنة ١١٠ بالبصرة.

راجع: الأغاني ٣٢٤/٩، خزانة الأدب ١٠٥/١، طبقات فحول الشعراء ٢٩٨/١.

(4) مسند الإمام أحمد ٥٩/٥.

سورة العاديات

مكية إجماعاً.

وقال الزمخشري وأتباعه: مختلف فيها[1].

وآيها إحدى عشرة في جميع العدد، ولا اختلاف فيها.

ورويها أربعة أحرف، وهي: رح، عد.

مقصودها

ومقصودها: الإعلام بأن أكثر الخلق يوم الزلزلة هالك، لإيثار الفاني من العز والمال على الباقي عند ذي الجلال، المدلول عليه بالقسم، وهو العاديات، والمقسم عليه، وما عطف عليه.

وقد علم: أن اسمها أدل شيء على ذلك[2].

---

(١) الكشاف ٤/٢٧٧.

(٢) سورة العاديات مكية، وهي تتحدث عن خيل المجاهدين الغازية في سبيل الله حين تغير على الأعداء، فيسمع لها عند جريانها مسرعة صوت شديد، وتقدح الحجارة =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ إذا زلزلت، تعدل نصف القرآن. والعاديات، تعدل نصف القرآن[1].

وللطبراني باسنادين - قال الهيثمي: في أحدهما جعفر بن الزبير، وهو ضعيف[2] - عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه ذكر عنده الكنود فقال: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده.

= بحوافرها فيتطاير منها نار متوهجة، ثم تثير الغبار والتراب.

وقد بدأت السورة بالقسم بخيل المجاهدين إظهاراً لشرفها، وبياناً لفضلها عند الله، والمقسم عليه هو كفر الإنسان لنعمة الله عليه، وجحوده، لآلائه، كما تحدثت عن طبيعة الإنسان في حبه الشديد للمال.

ثم ختمت السورة ببيان أن مرجع الخلائق إلى الله للحساب والجزاء، وأنه لا ينفع مال ولا جاه، وانما ينفع العمل الصالح.

راجع: الظلال ٣٩٥٧/٦.

صفوة التفاسير ٩١/٢٠.

(١) هذا حديث مرسل، وفي متنه غرابة.

(٢) مجمع الزوائد ١٤٢/٧، وعبارته هكذا:

في أحدهما جعفر بن الزبير وهو ضعيف، وفي الآخر من لم أعرفه.

سورة القارعة

مكية إجماعاً.

وآيها ثماني آيات في البصري والشامي، وعشر في المدنيين والمكي، وأحدى عشرة في الكوفي.

اختلافها ثلاث آيات:

﴿ القارعة ﴾[1] الأولى. عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

﴿ ثقلت موازينه ﴾[2]. و﴿ خفت موازينه ﴾[3]، لم يعدهما البصري والشامي، وعدهما الباقون.

وفيها مشبه الوسط، موضعان:

﴿ موازينه ﴾[4] كلاهما. ورويها خمسة أحرف، عي، شثن.

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٦.

(٣) الآية: ٨.

(٤) الآيتان: ٦، ٨.

مقصودها.

ومقصودها: إيضاح: يوم الدين، بتصوير أحواله، وتقسيم الناس فيه، إلى ناج وهالك. واسمها «القارعة» واضح في ذلك.

فضائلها.

وأما ما ورد فيها: فروى ابن أبي داود عن ابراهيم قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون السور الصغار في الفجر، في السفر.

وروى أبو يعلى الموصلي من طرق، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام، سأل عنه، فإن كان غائباً، دعا له، وإن كان شاهداً[1] زاره، وإن كان مريضاً عاده، ففقد رجلاً من الأنصار في اليوم الثالث، فسأل عنه، فقيل: يا رسول الله، تركناه مثل الفرخ، لا يدخل في رأسه، إلا خرج من دبره، يعني: فعاده رسول الله ﷺ، فسأله رسول الله ﷺ مم ذلك؟. قال: يا رسول الله مررت بك وأنت تصلي المغرب، فصليت معك، وأنت تقرأ هذه السورة: ﴿ **القارعة ما القارعة** ﴾ إلى آخرها: ﴿ **نار حامية** ﴾ فقلت: اللهم ما كان من ذنب أنت معذبي عليه في الآخرة فعجل لي عقوبته في الدنيا، فتراني كما تراني. قال رسول الله ﷺ: لبئس ما قلت، ألا سألت الله أن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ويقيك عذاب النار؟. فأمره رسول الله ﷺ فدعا بذلك، ودعا له النبي ﷺ، فقام كأنما نشط من عقال. فذكره.

وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، واتهم به عباد بن كثير.

قال شيخنا الحافظ شهاب الدين البوصيري: لم ينفرد به عباد، بل له طرق. يعني من غير طريقه.

---

(١) أي حاضراً، ومن قوله تعالى: ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ يعني: حضره.

سورة الهاكم

وتسمى: التكاثر.

مكية إجماعاً.

وآيها ثمان إجماعاً. ولا اختلاف فيها.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس بها، موضع: ﴿ كلا لو تعلمون ﴾[١].

مقصودها.

ومقصودها: التصريح بما أشارت إليه العاديات، من أن سبب الهلاك يوم الجمع الذي صورته القارعة، الجمع للمال، والإخلاد إلى دار الزوال.

وكل من اسميها واضح الدلالة على ذلك[٢].

---

(١) الآية: ٥.

(٢) تتحدث هذه السورة عن انشغال الناس بمغريات الحياة، وتكالبهم على جمع الأموال، واستمرارهم في ذلك حتى يأتيهم الموت فجأ، فينتقلون من القصور إلى القبور، ومن الدنيا إلى الآخرة. =

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى الحاكم عن عقبة بن محمد، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ألا يستطيع (أحدكم أن يقرأ)[1] ألف آية كل يوم؟، قالوا: ومن يستطيع ذلك يا رسول الله؟. قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ «الهَاكُم»[2]؟

قال المنذري: ورجال إسناده ثقات، إلا أن عقبة لا أعرفه[3].

وللترمذي وقال: حين غريب. عن هانىء[4] مولى عثمان بن عفان قال: كان عقمان رضي ا عنه إذا وقف على قبر بكى (حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي)[5] وتذكر القبر فتبكي؟. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه قال: وسمعت رسول

= وقد تكرر في السورة الإنذار للناس، والتخويف لهم، تنبيها لهم على خطئهم باشتغالهم بالفانية عن الباقية:

«كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون».

وختمت السورة ببيان المخاطر والأهوال التي سيلقاها أولئك الغافلون في الآخرة، والتي لا ينجو منها إلا المؤمنون الذين قدموا صالح العمل، مدركين أن الدار الآخرة خير وأبقى.

راجع: صفوة التفاسير ٢٠/٩٦.

(١) في د: أن يقرأ أحدكم.

(٢) المستدرك: كتاب فضائل القرآن، باب ألهاكم التكاثر تعدل ألف آية ١/٥٦٧.

(٣) الترغيب ٢/٣٧٩.

(٤) هو أبو سعيد هانىء البربري الدمشقي، مولى عثمان بن عفان، كان أعمى، وهو ثقة.

راجع: التهذيب ١١/٢٣، والكاشف ٣/٢١٨ ترجمة رقم ٦٠٣٩.

(٥) ما بين الحاصرين ساقط من د.

الله ﷺ يقول: ما رأيت منظراً قط، إلا والقبر أفظع منه[1].

قال المنذري: وزاد فيه رزين ما لم أره في شيء (من) [2] نسخ الترمذي: «قال هانىء وسمعت عثمان رضي الله عنه ينشد على قبر»:

فإن تنج منه تَنْجُ من ذي عظيمة وإلا فإنِّي لا أخالك ناجياً[3]

وروى مسلم في صحيحه ـ وعبد بن حميد في مسنده وهذا لفظه: عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير[4]، عن أبيه رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وقد أُنزِلَتْ عليه: «ألهاكم التكاثر»، وهو يقول: يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت[5]، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت[6].

قال الإمام ناصر الدين بن الميلق ما حاصله: في كونها تعدل ألف آية: أن القرآن ستة آلاف آية، ومائتا آية، وكسر[7].

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت ٣٧٨/٣ حديث رقم ٢٤١٠.

(٢) ساقط من د.

(٣) لترغيب ٣٦١/٤.

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير، العامري الحرشي ـ بفتح الحاء والراء المهملتين، بعدهما شين معجمة ـ من سادة التابعين، قال ابن سعد: ثقة، له فضل وورع، وعقل وأدب. ومات ـ رحمه الله ـ سنة ٩٥.
راجع: تذكرة الحفاظ ٦٤/١. الخلاصة ٣٧٨، طبقات ابن سعد ١٠٣/٧.

(٥) قال في النهاية ٣٣٩/٤ وجامع الأصول ٦١٠/١: أي أنفذت فيه عطاءك، ولم تتوقف فيه.
قال السندي في شرح النسائي ٢٣٨/٦: وأشار بقوله: ﴿ فأفنيت، فأبليت ﴾ إلى أن ما أكل أو لبس، فهو قليل الجدوى.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الزهد ٩٤/١٨.
وأخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة ألهاكم التكاثر ١١٧/٥ حديث رقم ٣١٢.
والنسائي في السنن: كتاب الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية ٢٣٨/٦.

(٧) راجع: الاتقان ٢٣١/١، والبرهان ٢٤٩/١.

فإذا تركنا الكسر، كان الألف سدس القرآن، وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن، لأن مقاصده ـ كما مضى في الفاتحة ـ ستة: ثلاثة مهمة، وثلاثة متمة. فأما الثلاثة المهمة: فمعرفة الله تعالى، ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم. والسدس الذي اشتملت عليه، هو التعريف بالجحيم، والسدس الثاني: دار النعيم، وهما ثلثا المقاصد المهمة.

والتعبير عن هذا المعنى بألف آية، أفخم وأجل وأضخم، من التعبير بالسدس، والله أعلم.

سورة العصر

مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها.

وآيها ثلاث، متفقة الإجمال.

واختلافها آيتان:

﴿ والعصر ﴾[1]، ولم يعدها المدني الأخير، وعدها[2] الباقون.

﴿ وتواصوا بالحق﴾[3] عدها المدني الأخير، ولم يعدها الباقون. (٤).

وفيها مما يشبه الفواصل، مواضع: ﴿ الصالحات ﴾[5].

(١) الآية: ١.

(٢) في د: ولم يعدها الباقون. وهو خطأ.

(٣) الآية: ٣.

(٤) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٥) الآية: ٣.

مقصودها

ومقصودها: تفضيل نوع الإنسان، المخلوق من علق، وبيان خلاصته[1] وعصارته وهم الحزب الناجي يوم السؤال، عن زكاة الأعمال، بترك الفاني، والإقبال على الباقي، لأنه خلاصة[2] الكون، ولباب الوجود.

واسمها «العصر» واضح في ذلك، فإن العصر يخلص روح المعصور، ويميز صفاوته. ولذلك كان وقت هذا النبي الخاتم، الذي هو خلاصة الخلق ﷺ وقت العصر وكانت صلاة العصر أفضل الصلوات.

ما ورد فيها

وأما ما ورد فيها: فروى عبد بن حميد عن الحارث، عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع سور من المفصل، في الركعة الأولى ألهاكم التكاثر، وإنا أنزلناه وإذا زلزلت الأرض، وفي الركعة الثانية: والعصر، وإذا جاء نصر الله، وإنّا أعطيناك الكوثر، وفي الركعة الثالثة: قل يا أيها الكافرون، وتبت، وقل هو الله أحد.

قال ابن رجب: وروى أبو نعيم عن الشافعي قال: لو أن الناس كلهم فكروا في سورة العصر نفعتهم. أو كما قال.

وروى الطبراني عن أبي مدينة الدارمي وكانت له صحبة[1]قال: كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: والعصر.

قال ابن المديني: اسم أبي مدينة عبد الله بن حصن.

---

(١) في د: خاصته.

(٢) في د: خاصة.

(٣) راجع الخلاف في صحبته واسمه في الإصابة ٢/٢٨٩ ترجمة رقم ٤٦٢٦.

سورة الهمزة

مكية إجماعاً.

وآيها تسع وفاقاً، ولا اختلافاً فيها.

وفيها مشبه الفاصلة موضع: «همزة».

ورويها ثلاثة أحرف وهي: زدم.

مقصودها

ومقصودها: بيان الحـزب الأكثر الخاسر، الذي ألهاه التكاثر، فبانت خسارته يوم القيامة، الخافضة، الرافعة.

واسمها «الهمزة» ظاهر الدلالة على ذلك.

ما ورد فيها

وأما ما ورد فيها: فروى أبو داود، عن عمر بن شعيب، عن أبيه، عن

جده رضي الله عنه، أنه قال: ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة، إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم بها الناس في الصلاة المكتوبة[1].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من رأي التخفيف في المغرب ٢١٥/١ حديث رقم ٨١٤.
ونسبه ابن الأثير في جامع الأصول ٣٤٩/٥ إلى الموطأ، حديث رقم ٣٤٦٧.

سورة الفيل

مكية إجماعاً.

وآيها خمس إجماعاً. ولا اختلاف فيها.

ورويها: اللام.

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على آخر الهمزة، من إهلاك المكاثرين، في دار التعاضد والتناصر بالأسباب، فعند انقطاعها أَوْلَى لاختصاصه سبحانه بتمام القدرة، دون المتمكن بالمال والرجال. واسمها «الفيل» ظاهر الدلالة على ذلك، بتأمل سورته، وما حصل في سيرة جيشه وصورته.

فضائلها

وأما ما ورد فيها:(١)

(١) كذا بالأصل. لم يذكر المؤلف فيها شيئاً، سوى العنوان.

سورة قريش

مكية إجماعاً.

وآيها أربع في الكوفي والبصري والشامي. وخمس في المدنيين والمكي.
واختلافها آية:

﴿ من جوع ﴾[1] عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

ورويها أربعة أحرف، وهي: شفعت.

مقصودها

ومقصودها: أن إهلاك الجاحدين المعاندين، لإصلاح المقرين العابدين، وهو بشارة عظيمة لقريش خاصة، بإظهار شرفهم في الدارين.

واسمها «قريش» ظاهر الدلالة على ذلك.

والتعبير بقريش، دون قومك والخمس مثلاً، دال على أنهم يغلبون

---

(١) الآية: ٤.

الناس بقوة، كما يدل عليه الإسم، وبغير قوة كما دل عليه [1] ما فعل لأجلهم، من قصة الفيل.

فضائلها

وأما ما ورد فيها: [2].

(١) في د: على.
(٢) كذا بالأصل. لم يذكر المؤلف فيها شيئاً سوى العنوان.

سورة أرأيت

وتسمى: الدين، والتكذيب، والماعون.
مكية.
(قال النسفي في تفسيره: عن ابن: مدنية[1]. عنه الواقدي.
وقال مقاتل بن حيان[2]: نصفها الأول مكي، ونصفها الباقي مدني.
وقال أبو حيان: هي مكية في قول الجمهور، مدنية في قول ابن عباس[3].

فخالف ما قاله النسفي، ثم قال: وقال هبة الله الضرير: نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق)[4].

---

(١) هكذا بالأصل، ربما كان: «رواه عنه الواقدي» أو نحو ذلك.
(٢) تقدمت ترجمته صـ .
(٣) البحر المحيط ٥١٦/٨.
(٤) ما بين الحاصرين ساقط من د.

عدد آياتها.

وآيها سبع في الكوفي والبصري، وست عند الباقين. واختلافها آية: «يراءون» عدها الكوفي والبصري، ولم يعدها الباقون.

ورويها حرفان، وهما: نم.

مقصودها

ومقصودها: التنبيه على أن التكذيب بالبعث لأجل الجزاء، أبو الخبائث، فإنه يجزي المكذب على مساوىء الأخلاق، حتى تكون الإستهانة بالعظائم خلقاً له، فيصير ممن ليس له خلاق وكل من أسمائها في غاية الوضوح في الدلالة على ذلك، بتأمل السورة، لتعرف هذه الأشياء المذكورة[١].

ما ورد فيها

وأما ما ورد فيها: فروى البغوي في تفسيره عن مصعب بن سعد، عن

---

(١) هذه السورة تتحدث بإيجاز عن فريقين من الناس، وهما:
الأول: الكافر الجاحد لنعم الله، المكذب بيوم الحساب والجزاء.
والثاني: المنافق الذي لا يقصد بعمله وجه الله، وإنما يرائي في أعماله وصلاته وكل ما يؤديه من عبادات.
أما الفريق الأول فقد ذكر الله تعالى من صفاتهم: انهم يهينون اليتيم ويزجرونه غلظة منهم، وقسوة عليه، لا يقصدون بذلك تأديبه وتقويمه، فلاهم يحسنون في طاعتهم لربهم، ولا يحسنون إلى الضعاف من خلقه.
وأما الفريق الثاني: فهم المنافقون، الغافلون عن أداء الصلوات، المراؤن بها. يؤدونها صورة فقط، وقد خلت من معنى الخضوع والخشوع لله رب العالمين.
وقد توعد الله كلا الفريقين بالويل والهلاك، وشنعت السورة عليهم أعظم تشنيع.
راجع: الظلال ٦/١٩٨٤.
صفوة التفاسير ٢٠/١٠٥.

أبيه رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن «الذين هم عن صلاتهم ساهون»؟. قال: إضاعة الوقت[1].

---

(١) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٩/٣٠٩.
قال الحافظ ابن كثير ٩/٣٠٩: وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن سنان بن فروخ، عن عكرمة بن ابراهيم به.
ثم رواه عن أبي الربيع، عن جابر عن عاصم، عن صعب، عن أبيه، موقوفاً، وهذا أصح إسناداً.
وقد ضعف البيهقي رفعه، وصحح وقفه، وكذلك الحاكم، ا هـ.

سورة الكوثر

مكية إجماعاً.

وهو عجيب. فإن حديث الصحيحين عن أنس رضي الله عنه يدل على أنها مدنية، لقوله: «بين أظهرنا في المسجد[1]».

ثم رأيت العلامة جمال الدين ابن النقيب[2] حكى في تفسيره قولين: الأول: أنها مكية وعزاه إلى ابن عباس والجمهور، والثاني: أنها مدنية، وعزاه للحسن وعكرمة وقتادة.

عدد آياتها

وآيها ثلاث إجماعاً، ولا اختلاف فيها.

ورويها: الراء.

---

(١) سيأتي بعيد قليل.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حسن البلخي المقدسي الحنفي، الإمام الزاهد المفتي المفسر، ولد بالقدس سنة ٦١١، ومات بها سنة ٦٩٨.

راجع: شذرات الذهب ٥/٤٤٢ وعصر سلاطين المماليك ٤/٥٢.

مقصودها

ومقصودها: المنحة للمنزل عليه ﷺ بكل خير يمكن أن يكون.

واسمها «الكوثر» واضح في ذلك. وكذا النحر لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب(1).

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد، إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟. قال: أنزلت عَلَيَّ آنفاً(2) سورة، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك(3) هو الأبتر» (ثم)(4) قال: أتدرون ما الكوثر؟. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي في الجنة، عليه حوضي.

---

(1) هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ كسورة الضحى، وسورة الشرح ـ يسرى عنه ربه فيها، ويعده بالخير، ويوعد أعداءه بالبتر، ويوجهه إلى طريق الخير. ومن ثم فهي تمثل صورة من حياة الدعوة، وحياة الداعية، في أول العهد بمكة.

صورة من الكيد والأذى للنبي ﷺ، وصورة من رعاية الله المباشرة لعبده ولمن معه من القلة المؤمنة.

كما تمثل حقيقة الهدى والخير والإيمان، وحقيقة الضلال والشر والكفران.

الأولى كثرة وفيض وامتداد، والثانية قلة وانحسار وانبتار. الظلال ٦/٣٩٨٧.

(2) يعني الآن والساعة.

قاله في جامع الأصول ٢/٤٣٧.

(3) الشانيء: المبغض والعدو.

والأبتر: المقطوع النسل الذي لا ولد له، وقيل: المنقطع من كل خير.

راجع: جامع الأصول ٢/٤٣٨. والنهاية ١/٥٠٣. والقرطبي ٢٠/٢٢٣.

(4) ساقطه من د.

وفي رواية: فيه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء فيختلج[1] العبد منهم، فأقول: رب انه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك[2]. وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكوثر: الخير الكثير، الذي أعطاه الله إياه[3].

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: حوض مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبداً.

وفي رواية: حوض مسيرة شهر، وزواياه سواء[4]، وماظه أبيض من الورق[5].

ولأحمد ـ قال المنذري: بإسناد حسن[6] ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: حوض كما بين عدن وعمان أبرد من الثلج، وأحلى

---

(١) قال في جامع الأصول ٤٣٨/٢: الاختلاج: الاستلاب والاجتذاب.

(٢) صحيح البخاري مسلم: كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة ١٢/٢.

وسنن أبي داود: كتاب السنة، باب الحوض ٢٣٧/٢ حديث رقم ٤٧٤٧، ٤٧٤٨.

وسنن النسائي: كتاب الصلاة باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ١٣٣/٣.

وصحيح الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير الجنة ١٧/٤ حديث رقم ٢٦٦٥، وكتاب التفسير، باب ومن سورة الكوثر ١١٩/٥ حديث رقم ٣٤١٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة إنا أعطيناك الكوثر ٢٢١/٣، وكتاب الرقاق، باب الحوض ١٤١/٤.

(٤) أي طوله كعرضه، كما في حديث أبي ذر: عرضه مثل طوله.

والمراد بالورق ـ بكسر الراء ـ: الفضة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ﴾.

راجع: شرح مسلم للنووي ٥٥/١٥.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب الحوض ١٤١/٤.

وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب حوض نبينا محمد ﷺ ٥٥/١٥.

(٦) الترغيب ٤٢٠/٤.

من العسل، وأطيب من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس عليه وروداً: صعاليك المهاجرين[1]. قال قائل منهم: ومن هم يا رسول الله؟. قال: الشعثة رؤوسهم، الشحبة وجوههم، الدنسة ثيابهم، لا تفتح لهم السدد[2] ولا ينكحون المتنعمات، الذين يعطون كل الذي عليهم، ويأخذون كل الذي لهم[3].

وقال الحافظ زين الدين ابن رجب في كتاب «الإستغناء بالقرآن»: ويروى عن أبي أمامة مرفوعاً: أربع آيات نزلن من كنز تحت العرش، ليس نزل شيء غيرهن: أم الكتاب، وآية الكرسي وخاتمة البقرة، والكوثر[4].

---

(١) يعني فقراءهم، كما في حديث ثوبان: أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين.

(٢) أي لا تفتح لهم الأبواب، كناية عن عدم احتفاء الناس بهم.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢/١٣٢.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/١٤٢ حديث رقم ٩٢٧ ونسبه إلى أبي الشيخ والضياء المقدسي وللطبراني في معجمه الكبير، ورمز له بالصحة ولكنه حديث ضعيف.
قال المناوي في فيض القدير ١/٤٦٩: وفيه عبد الرحمن بن الحسن أورده الذهبي في الضعفاء وقال: أبو حاتم: لا يحتج به.
والوليد بن جميل عن القاسم، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: قال أبو حاتم: روى عن القاسم أحاديث منكرة، ا. هـ.

سورة الكافرون

مكية، وقيل: مدنية،

وتسمى: الإخلاص، والمقشقشة.

روى الأصمعي[1] عن أبي العلاء قال: كانت تسمى: المقشقشة، أي أنها تبرىء من الشرك يقال: قشقش البعير، إذا نحرته.

عدد آياتها.

وآيها ست إجماعاً. ولا اختلاف فيها.

ورويها ثلاثة أحرف وهي: ندم، أو: مدن.

---

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب - بضم القاف وفتح الراء، وفي آخرها باء موحدة - بن عبد الملك بن علي، الأصمعي، أحد أئمة اللغة والأدب والملح والنوادر، روى عن أبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة وشعبة، وروى عنه ابن معين وكثير، وكان ثقة في الرواية، روى له أبو داود والترمذي، ومات سنة ٢١٣، وقيل: ٢١٥ وقيل: ٢١٦ عن ثمان وثمانين سنة.

راجع: بغية الوعاة ١١٢/٢، والخلاصة ٢٤٥. وتهذيب التهذيب ٤١٥/٦ وسير اعلام النبلاء ١٧٥/١٠، وتاريخ بغداد ٤١٠/١٠، والأنساب ٢٩٣/١.

مقصودها

ومقصودها: إثبات مقصود الكوثر، بالدليل الشهودي[1]، على أن منزلها كامل العلم، شامل القدرة، لأنه المنفرد بالوحدانية. فلذلك لا يقاوي من كان معه. ولذلك لما نزلت قرأها ﷺ عليهم في المسجد، أجمع ما كانوا.

وهذا المراد بكل من أسمائها.

أما الكافرون: فمن وجهين: ناظر إلى إثبات، وناظر إلى نفي.

أما المثبت: فمن حيث إنه إشارة إلى تأمل جميع السورة، من إطلاق البعض على الكل.

أما النافي: فمن جهة أنهم إنما كفروا بإنكار ما هو مقصودها إما صريحاً كالوحدانية وتمام القدرة. وإما لزوماً، وهو العلم، فإنه يلزم من نقص القدرة نقصه.

وأما الإخلاص: فلأن المنفذ لك، كان مؤمناً، مخلصاً، بريئاً من كل شرك، وكل كفر.

وأما المقشقشة: فلأنها أبرأت من كل نفاق وكفر، من قولهم: تقشقشت قروحه إذا تقشرت للبراء.

وعندي: أنه من الجمع، أخذاً من القش، الذي هو تطلب المأكول من ههنا وههنا. فإنها جمعت جميع أصول الدين، فأثبتها على أتم وجه. فلزم من ذلك: أنها جمعت جميع أنواع الكفر فحذفتها، ونفتها. (وتقدم)[2] تمام توجيه ذلك في براءة.

فأمرها دائر على الإخلاص. ومن المعلوم: أن من أخلص لله، كان من أهل ولايته حقاً فحق له ما يفعل الولي مع وليه.

ولذلك ـ والله أعلم ـ سنت قراءتها مع قل هو الله أحد، في ركعتي

---

(١) في د: المشهود.

(٢) ليست بالأصل.

الفجر، ليحوز فاعل ذلك ثمرة ما ورد من: «أن من صلى الصبح كان في ذمة الله»[(١)].

ومن كان كذلك، كان جديراً بأن ينال ما أشارت إليه السورتان اللتان بين سورتي الإخلاص من الفتح له والنصرة، والخيبة لعدوه والخسر والحسرة.

فضائلها.

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: حسن، عن سلمة بن وردان[(٢)]، عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: هل تزوجت يا فلان؟.. قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به. قال: أليس معك ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾؟ قال: بلى. قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾؟. قال: بلى، قال: ربع القرآن. قال: أليس معك ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾؟. قال: بلى قال: ربع القرآن. تزوج، تزوج[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب الرخصة عن الجماعة لعذر ٥/١٥٨ عن أنس.
والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة ١/١٤٢ حديث رقم ٢٢٢ عن جندب بن سفيان وقال: حسن صحيح.
وأخرجه الترمذي في الفتن، من حديث أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
وهذا الحديث بكل رواياته ورواته في جامع الأصول لابن الأثير ٩/٣٩٧ حديث رقم ٧٠٥٥.

(٢) هو أبو يعلي سلمة بن وردان الليثي مولاهم، المدني الجُنْدُعي، المتوفي في أواخر خلافة المنصور. روى عن أنس، ومالك بن أوس. قال أبو حاتم: عامة ما عنده عن أنس منكر، وقال أحمد: منكر الحديث. وضعفه ابن عدى بهذا الحديث.
راجع: الخلاصة ١٤٩، والميزان ٢/١٩٣، والمغني في الضعفاء ١/٢٧٦.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت ٤/٢٤٠ حديث رقم ٣٠٥٨.

قال المنذري: وقد تكلم في هذا الحديث مسلم في كتاب «التمييز»[1].

ورواه أحمد من هذا الوجه ـ قال الهيثمي: وسلمة ضعيف[2] ـ قال: أليس معك ﴿ قل هو الله أحد ﴾؟. قال: بلى. قال: ربع القرآن. ـ [3] وقال في آخره ـ: قال: أليس معك آية الكرسي؟. قال: بلى. قال: ربع القرآن)[4].

ورواه الترمذي ـ أيضاً ـ عن أنس رضي الله عنه، ولفظه:

«قال رسول الله ﷺ: من قرأ ﴿ إذا زلزلت ﴾ عدلت بنصف القرآن، ومن قرأ: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ عدلت بربع القرآن. ومن قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ عدلت بثلث القرآن[5].

وروى أبو عبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: قل يا أيها الكافرون، تعدل ربع القرآن.

قال الإمام ناصر الدين بن ميلق ـ ما حاصله ـ: إن التفاوت بينهما وبين ﴿ قل هو الله أحد ﴾ في كونها تعدل ربعاً، وتلك تعدل ثلثاً، مع أن كلا منهما تسمى الإخلاص: أن ﴿ قل هو الله أحد ﴾ اشتملت من صفات الله تعالى ما تشتمل عليه «الكافرون».

وأيضاً: فالتوحيد إثبات إلهية المعبود وتقدسه، ونفي الهية ما سواه، وقد صرحت الإخلاص بالإثبات والتقديس، ولوَّحت إلى نفي عبادة غيره، والكافرون صرحت بالنفي، ولوحت بالنفي، ولوحت بالإثبات والتقديس، فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين، ما بين الربع والثلث انتهى.

وسر كون آية الكرسي ربعاً: أنها ربع الإيمان بالله ورسوله وكتبه،

(١) الترغيب للمنذري ٢/٣٧٩.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٤٧.

(٣) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣/٢٢١.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت ٢/٢٤٠ حديث رقم ٣٠٥٩.

واليوم الآخر، ولم تكن ثلثاً كالإخلاص، لأنها بكونها سورة مستقلة، والله أعلم.

وروى أبو داود، والترمذي، والنسائي، والدارمي، وأبو عبيد في الفضائل، والبيهقي في الدعوات، عن نوفل بن فروة أبي فروة الأشجعي [(١)] رضي الله عنه، أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله إذا أويت [(٢)] إلى فراشي. قال: اقرأ ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾، ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك [(٣)].

وأخرجه الطبراني في الأوسط، في ترجمة أحمد بن يحيى الحلواني، من حديث جبلة [(٤)] ابن حارثة رضي الله عنه [(٥)].

---

(١) نوفل بن فروة الأشجعي، له صحبة، روى عن النبي ﷺ، ولم يرو عنه إلا أولاده: فروق، وسحيم، وعبد الرحمن، نزل الكوفة وأقام بها.
راجع: التجريد ٢/١١٩، والإستيعاب ٣/٥٠٩، والإصابة ٣/٥٤٣.

(٢) في د: أتيت.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم ٤/٣١٣ حديث رقم ٥٠٥٥.
وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام ٥/١٤٠ حديث رقم ٣٤٦٣.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل يا أيها الكافرون ٢/٣٢٩ حديث رقم ٣٤٣٠.
قال ابن عبد البر في الإستيعاب ٣/٥٠٩: هذا الحديث مضطرب الإسناد لا يثبت.
وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/٥٤٨: وليس كما قال، بل الرواية التي فيها عن أبيه أرجح وهي الموصولة، رواته ثقات، فلا يضره مخالفة من أرسله.
وشرط الإضطراب: أن تتساوى الوجوه في الاختلاف، وأما إذا تفاوتت فالحكم للراجح بلا خلاف، اهـ.
والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٨ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.
وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الدعاء، باب ما قالوا في الرجل إذا أخذ مضجعه ما يدعو به ١٠/٢٤٩.

(٤) ترجمته في الإصابة ١/٢٢٥، والإستيعاب على هامش الإصابة ١/٢٤٠.

(٥) قال ابن حجر في الإصابة ١/٢٢٥: هو في النسائي، متصل، صحيح الإسناد، من =

وأخـرجه الإمـام أحمد، ولفـظه: اقرأ عنـد منامـك ﴿قل يـا أيهـا الكافرون﴾، ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك[(١)].

وقال الإمام أحمد - أيضاً -: حدثنا أبو النضر، ثنـا المسعودي، عن مهاجر أبي الحسن[(٢)]، عن شيخ أدرك النبي ﷺ في سفر، فمر برجل يقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾. قال: أما هذا فقد بريء من الشرك، قال: وإذا آخر يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾، فقال النبي ﷺ: بها وجبت له الجنة[(٣)].

وفي رواية: أما هذا فقد غفر له[(٤)].

قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين، في أحدهما شريك وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح[(٥)].

ورواه الدارمي عن أبي الحسن مهاجر قال: قال: جاء رجل من زياد[(٦)] إلى الكوفة، فسمعته يحدث: أنه كان مع رسول الله ﷺ في مسير له، قال: وركبتي تصيب أو تمس - ركبته، فسمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ قال: غفر له[(٧)].

وقال ابن رجب: وروينا من حديث طلحة بن خراش[(٨)]، عن جابر

= رواية أبي إسحاق عن فروة، عن جبلة بن حارثة، اهـ.

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٤٥٦.

(٢) هو مهاجر أبو الحسن الصائغ، مولى بني تميم، روى ابن عباس والبراء بن عازب وزيد بن وهب، وروى عنه الثوري وشعبة، والمسعودي وشريك، وأبو عوانة، وهو ثقة. راجع: الجرح والتعديل ٨/٢٦٠، والتهذيب ١٠/٣٢٤، والكاشف ٣/١٧٨.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/٦٣، ٥/٣٧٦، ٣٧٨.

(٤) المسند ٤/٦٥.

وأخرجه بهذا اللفظ: النسائي في فضائل القرآن ص ٨٢ حديث رقم ٨٣.

(٥) مجمع الزوائد ٧/١٤٥.

(٦) زياد: عشيرة من قبيلة برقة الواقعة ناحية الشرق والممتدة حتى الوشم والقصيم.

راجع: معجم قبائل العرب ٢/٤٨٦.

(٧) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل يا أيها الكافرون ٢/٣٢٩.

(٨) هو طلحة بن خراش - بكسر الخاء المعجمة، وبعدها راء مهملة - بن عبد الرحمن بن =

ابن عبد الله رضي الله عنهما، أن رجلاً قام فركع[1] ركعتي الفجر، فقرأ في الركعة الأولى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ حتى انقضت السورة، فقال النبي ﷺ: هذا عبد عرف ربه، وقرأ في الأخيرة ﴿قل هوالله أحد﴾، حتى انقضت السورة، فقال النبي ﷺ: هذا عبد آمن بربه.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: لما قرأ قل يا أيها الكافرون: برىء من الشرك وقال ـ لما قرأ قل هو الله أحد ـ: قد غفر له.

أخرجه الكتاني[2] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ورجل من الصحابة رضي الله عنهم ـ غير مسمى.

ولأبي يعلى الموصلي، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك[3] بالله عز وجل؟. تقرأون ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ عند منامكم.

وروى الطبراني في الصغير ـ قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم ـ [4]عن سعد بن مالك ـ يعني ابن أبي وقاص رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فكأنما قرأ ربع القرآن[5].

وللطبراني ـ أيضاً ـ في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه عبيد الله بن

= خراش، الأنصاري المدني، روى عن جابر وجماعة، وثقه ابن حبان، وضعفه الأزدي وقال: روى عن جابر مناكير.

راجع: التهذيب ١٥/٥، والميزان ٣٣٨/٢، والخلاصة ص ١٧٩.

(١) يعني: فصلي. من باب الجزء على الكل. ومنه قوله تعالى: يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾. وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾.

(٢) هو الإمام المحدث أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي الدمشقي سمع الكثير، وألّف في الحديث والرجال، توفي سنة ٤٦٦.

راجع: تذكرة الحفاظ ١١٧٠/٣، والرسالة ص ١٧٢، وطبقات الحفاظ ٤٣٩.

(٣) في د: الشرك.

(٤) مجمع الزوائد ١٤٦/٧.

(٥) المعجم الصغير للطبراني ٦١/١.

زحر[1]، وثقه جماعة، وفيه ضعف[2]، وعزاه المنذري إلى الطبراني في الكبير أيضاً. وإلى أبي يعلى وقال: وإسناده حسن - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ قل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون، تعدل ربع القرآن. وكان يقرأ بهما في ركعتي الفجر، وقال: هاتان الركعتان فيهما رغب الدهر.

قال الهيثمي: وروى الترمذي عنه القراءة بهما في ركعتي الفجر[3]. ؟

قال النووي في الرياض: وقال: حديث حسن[4]. ولفظه: رمقت النبي ﷺ شهراً يقرأ في الركعتين قبل الفجر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد[5].

وروى أبو عبيد عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: من قرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ في ليلة فقد أكثر وأطاب.

وروى النسائي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: رمقت النبي ﷺ عشرين مرة يقرأ في الركعتين بعد المغرب، والركعتين قبل الفجر، قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد[6].

وروى عبد الرزاق منه أمر الفجر[7].

وروى عبد بن حميد عن ابن عمر - أيضاً - رضي الله عنهما قال: صلى

---

(1) بفتح الزاي المعجمة، واسكان الحاء المهملة.
قال الذهبي في الضعفاء ٢/٤١٥: وهو إلى الضعف أقرب.

(2) مجمع الزوائد ٧/١٤٨.

(3) مجمع الزوائد ٧/١٤٨.

(4) رياض الصالحين للنووي ص ٣٨٧.

(5) صحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر والقراءة فيها ١/٢٦١ حديث رقم ٤١٥.

(6) سنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب القراءة في الركعتين بعد المغرب ٢/١٧.

(7) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في ركعتي الفجر ٣/٥٩ حديث رقم ٤٧٩٠.

رسول الله ﷺ بأصحابه في سفر صلاة الفجر[1] فقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ وقال: قرأت بكم ثلث القرآن وربعه.

وروى عبد الرزاق عن هشام بن حسان[2]، عن محمد بن سيرين، عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَسَرَّ رسول الله ﷺ القراءة في ركعتي الفجر، وقرأ فيهما ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾[3].

وله عن معمر، عن يحيى بن سعيد، عن عمرة[4]، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقوم لركعتي الفجر، فأقول: هل قرأ فيهما بأم القرآن أم لا؟. لخفته[5] إياهما[6].

ورواه بسند آخر عن يحيى، عمن سمع عمرة[7].

وفي أمالي ابن مزدك تخريج الطبراني عن أبي بن كعب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: من قرأ قل يا أيها الكافرون، عند نومه، أمن من فزع النوم، انتهى.

---

(١) في د: الصبح.

(٢) هو هشام بن حسان الفردوسي - بضم القاف وإسكان الراء - الأزدي مولاهم، البصري، أحد الأعلام، روى عن محمد وحفصة ابني سيرين. وروى عنه السفيانان، وحماد بن سلمة، ضعفه القطان وقال أبو حاتم، صدوق، ومات سنة ١٤٨.
راجع: الخلاصة ٤٠٩. والميزان ٢٩٥/٤.

(٣) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في ركعتي الفجر ٥٩/٣ حديث رقم ٤٧٨٨. ورواه البيهقي في السنن: كتاب الصلاة، باب ما يستحب قراءته في ركعتي المغرب بعد الفاتحة ٤٣/٣.

(٤) هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة الأنصارية المدنية، الفقيهة سيدة نساء التابعين، روت عن عائشة وأم سلمة وأم حبيبة، وروى عنها أبو بكر بن حزم، وسليمان ابن يسار والزهري، وخلق، وكانت ثقة، وتوفيت سنة ١٠٦ عن سبع وسبعين سنة. راجع: الكاشف ٤٧٧/٣. والخلاصة ٤٩٤، والتهذيب ٤٣٨/١٢.

(٥) كذا بالأصل والمصنف، والمعنى: لتخفيفه إياهما.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في ركعتي الفجر ٦٠/٣. حديث رقم ٤٧٩٣.

(٧) المصنف: الموضع السابق، حديث رقم ٤٧٩٢. وسنن البيهقي الكبرى ٤٤/٣.

سورة النصر

مدنية إجماعاً.

نزلت أيام التشريق، كما تراه في[1] مسند عبد، وحكاه أبو حيان بصيغة « قيل » وصدر بقوله: نزلت في منصرفه ﷺ من غزوة حنين[2]، وعاش بعد نزولها سنتين[3].

عدد آياتها

وآيها ثلاث في جميع العدد، ولا اختلاف فيها.

ورويها ثلاثة أحرف، وهي: حجب، أو: بجح.

مقصودها

ومقصودها: الإعلام بتمام الدين، اللازم عن مدلول اسمها، اللازم

(١) في د: عن.

(٢) عند أبي حيان: خيبر.

(٣) البحر المحيط ٨/٥٢٣.

عنه موت النبي ﷺ اللازم عنه العلم، بأنه ما يرد إلى عالم الكون والفساد، إلا لإعلاء كلمة الله، وادحاض كلمة الشيطان، اللازم منه: أنه ﷺ خلاصة الوجود، وأعظم عبد للولي الودود.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الإمام أحمد بإسناد - قال المنذري: حسن[١] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، رنّ إبليس رنّة اجتمعت إليه جنوده فقال: ايأسوا أن تردوا أمة محمد ﷺ إلى الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم، وأفشوا فيهم النوح[٢].

وروى الإمام عبد الله بن أبي داود في كتاب «المصاحف» عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ بأقصر سورتين من القرآن ثلاث مرات[٣].

وفي رواية: أن تلك الصلاة: الصبح. فلما فرغ، أقبل علينا بوجهه فقال: إنما عجلت لتفرغ أم الصبي إلى صبيها[٤].

وله عن عمرو[٥] بن ميمون[٦] قال: لما طعن عمر رضي الله عنه، كادت الشمس أن تطلع، فقدموا عبد الرحمن بن عوف[٧] رضي الله عنه،

---

(١) الترغيب للمنذري ٤/ ٣٥٠.

(٢) لم أعثر عليه في المسند.

(٣) كتاب المصاحف ص ١٥٤.

(٤) المصاحف ص ١٥٥.

(٥) في د: عمر.

(٦) هو أبو يحيى عمرو بن ميمون الأودي الكوفي، روى عن عمر ومعاذ بن جبل، وروى عنه الشعبي وسعيد بن جبير وكان ثقة، مات سنة ٧٤.
راجع: الخلاصة ٢٩٤.

(٧) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف، الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان ثرياً وكثير التصدق، مات رضي الله عنه سنة ٣٢ على المشهور، وصلى عليه عثمان، ودفن بالبقيع. (الإصابة ٢/ ٢٤٠٨).

فأمهم بأقصر سورتين في القرآن: إذا جاء نصرالله والفتح، وانا أعطيناك الكوثر[١].

وروى عبد بن حميد عن أبي سعيد ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر سورتين في القرآن فقلت: يا رسول الله صليت بنا اليوم صلاة ما كنت تصليها؟. قال إني سمعت صوت صبي في صف النساء.

وللنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت « إذا جاء نصرالله والفتح » (إلى آخر)[٢] السورة. قال: نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة[٣].

وللبخاري والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان (عمر ابن الخطاب)[٤] رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم[٥]: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ قال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿ **إذا جاء نصرالله والفتح** ﴾؟ حتى ختم السورة ـ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرالله وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس كذلك تقول؟. قلت: لا. قال فما تقول؟. قلت: (هو)[٦] أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله به، ﴿ **إذا جاء نصرالله والفتح** ﴾ فتح مكة فذلك علامة أجلك.

---

(١) كتاب المصاحف ص ١٥٥.

(٢) ساقطة من د.

(٣) ورواه الطبراني من طريق أبي عوانة.

راجع: تفسير ابن كثير ٤/٤٦٢.

(٤) ساقط من د.

(٥) هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، كما صرحت به رواية الترمذي.

(٦) ساقطة من د.

﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾، فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تعلم[1].

ففهم عدة الإعلام[2] بعد ذكر ما لزم منه ظهور الدين[3]، من الأمر بالاستغفار، لأن الله تعالى جعل للأمة أمانين من عذابه، أحدهما: وجوده ﷺ فيهم.

والثاني: وجود الاستغفار. ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾[4].

فلما كرر الأمر بالاستغفار الذي هو الأمان الثاني في هذه السورة (التي نزلت عليه ﷺ في حجته بعد نزول ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾[5].

كان مشعراً بأن الأمان الأول انقضى زمانه، وأنه ينبغي للأمة المواظبة على الأمان الثاني[6]، والاجتهاد فيه، وأكد لهم الأمر بذلك، بتوجيه الخطاب فيه إلى النبي ﷺ خاصة، لأن أمر الرئيس أدعي إلى أمتثال أتباعه والله الموفق.

وروى عبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن هذه السورة أنزلت على رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق بمنى، وهو في حجة الوداع ﴿ **إذا جاء نصرالله والفتح** ﴾ حتى ختمها، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح ٩٤/٥ وكتاب التفسير، سورة إذا جاء نصر الله والفتح ٩٤/٦.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الفتح ١٢٠/٥ حديث رقم ٣٤٢٠.

(٢) كذا ما لأصل.

(٣) قال بأن كثير ٢٠٣/٤: أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض.

(٤) سورة الأنفال: آية ٣٣.

(٥) سورة المائدة آية ٣.

(٦) ما بين القوسين ساقط من د.

فأمر براحلته القصوى فرحلت له، فركب فوقف للناس بالعقبة، فاجتمع إليه الناس فذكر خطبته في ذلك الجمع الأعظم[1].

وقد ذكرتها كاملة في كتابي «الاطلاع علي حجة الوداع».

وقال البيهقي في «دلائل النبوة» في باب ما جاء في نعي النبي ﷺ: ويذكر عن أبي سعيد رضي الله عنه ما يدل على أنها نزلت عام الفتح. والله أعلم.

وروى الدارمي في أوائل المسند، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت «إذا جاء نصرالله والفتح» دعا رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها فقال:[2] قد نعيت إليّ نفسي، فبكت، لا تبكي فانك أول أهلي لاحق بي، فضحكت، فرآها بعض أزواج[3] النبي ﷺ، فقلنا: يا فاطمة رأيناك بكيت ثم ضحكت؟ قالت: أنه أخبرني أنه قد نعيت إليه نفسه فبكيت، فقال لي: لا تبكي فانك أول أهلي لا حق بي، فضحكت[4].

وقال رسول الله ﷺ: إذا جاء نصرالله والفتح، وجاء أهل اليمن هم أرق أفئـدة، والإيمان يمان، والحكمة يمانية[5].

---

(١) وذكرها الحافظ ابن كثير في البداية ٥/٢٢٧ من رواية الحافظ أبي بكر البزار، من طريق موسى بن عبيدة الربذي.

(٢) في د: هل.

(٣) في صحيح البخاري: أن التي سألتها عائشة رضي الله عنها.

راجع: صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/١٨٣ من حديث عائشة، وليس فيه: لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح.

(٤) مسند الدارمي: المقدمة باب وفاة النبي ﷺ ١/٣٧. وفي سنده عباد بن العوام، عن هلال بن خباب، وكلاهما فيه مقال. أما عباد فكان شيعياً مضطرب الحديث، كما في الخلاصة ص: ١٨٧ وأما هلال فقد تغير في آخر حياته، وقال ابن حبان: لا يجوز الإحتجاج به إذا انفرد، كما في الخلاصة ص: ٤١١.

(٥) رواه البزار عن ابن عباس، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٥٥: وفيه الحسين بن عيسى بن مسلم الحنفي وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور وبقية رجاله رجال الصحيح.

وللبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قل يا أيها الكافرون» تعدل ربع القرآن، و «إذا جاء نصر الله والفتح» تعدل ربع القرآن.

وروى مسلم في صحيحة عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة[1] قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: أتدري آخر سورة من القرآن نزلت جميعها؟. قلت: نعم، إذا جاء نصرالله والفتح. قال: صدقت[2].

وقال الإمام ولي الله الملوى: وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قول «سبحان الله وبحمده [3]، وأستغفر الله وأتوب إليه» قال: أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه» فقد رأيتها: إذا جاء نصرالله والفتح - فتح مكة - ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً[4].

وتقدم في سورة «الكافرون» حديث أنس في:[5] أنها تعدل ربع القرآن[6]. ولعل السر في ذلك: أنه لما كان مقصود القرآن، بيان هذا الدين، وبيان أحواله للمنزل عليه ﷺ في أول الأمر، ثم في أثنائه، ثم (في)[7] آخره عند تمامه، وموت المنزل عليه ﷺ، ثم بعد موته، بأخذه في التناقص[8] حتى

---

(١) هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، المدني، الضرير الفقيه، أحد الفقهاء السبعة. كان إماماً ثقة مأموناً جامعاً للعلم، مات سنة ٩٤ على خلاف في ذلك (الخلاصة ٢٥١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب التفسير ١٨/ ١٦٠.

(٣) في د: وبحمده الله.

(٤) أخرجه مسلم - بهذا اللفظ - كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٤/ ٢٠٢.

(٥) في د: في حديث أنس أنها.

(٦) بل تقدم قريباً في هذه السورة قبل حديثين فقط.

(٧) ساقطة من د.

(٨) في د: فأخذه بالتناقص.

يعود غريباً كما بدأ، وكانت هذه السورة مبينة لحاله عند تمامه، كانت ربعاً له بهذا الاعتبار.

وما نزل بمكة المشرفة بين مبدأه، وآيات الهجرة منه بيَّنت أول الوسط، وسورة الفتح المنبئة عن الفتح الأول، الذي هو سبب الفتح الأعظم، بينت أول التمام،

وهذه السورة - وهي سورة فتح الفتوح - بينت انتهاءه، و « ألهاكم التكاثر » - ونحوها لبيان حالة تناقص بالاقبال على الأموال[1]. والأولاد والجاه، وغير ذلك من سنن من كان قبلنا، الذي كان سبباً لارتداد أكثر من ارتد بعد موت النبي ﷺ، المشار اليهم بقوله: «انه كان تواباً » (أي)[2] على من يرتد من أمتك عقب وفاتك، حتى يردوا إلى الدين، ويفتح الله بهم البلاد اكراماً لك بسبب استغفارك لهم.

ولهذه الأسرار، وقع الترغيب في قراءة التكاثر، لأنها تعدل ألف آية ليحصل لقارئها ببركتها الكف عما حذرت منه.

وموت النبي ﷺ - وان كان خيراً لنا - فمن جهة أنا لم نستأصل بعذاب في حياته، وهو وهن لنا من جهة الافتراق، وانتشار الكلمة كما قال ﷺ: « أنا أمان لأصحابي، فإذا مت، أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة[3] لأمتي، فإذا مات أصحابي أتى أمتي ما يوعدون[4] ».

---

(١) في د: الأمور.

(٢) ساقطة من د.

(٣) قال ابن الأثير: الأمنة: جمع أمين، وهو الحافظ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب مؤاخاة النبي ﷺ وأصحابه ٨٢/١٦ من حديث أبي موسى الأشعري وأوله: «النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم، أتى السماء ما توعد».

قال النووي في شرح مسلم ٨٣/١٦: ومعنى الحديث: أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وَهَنَت السماءُ، فانفطرت وانشقت وذهبت اهـ. =

وقد حثت هذه السورة على الاقبال على الذكر بالتسبيح، وبـالحمد والاستغفار والتوبة، وتفريغ القلب لذلك، والاجتهاد فيه عند تمام الأشياء، تقييداً لنعمه بالشكر: « فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب ».

= وقال ابن الأثير في جامع الأصول ٨/٥٥٥: «أتى أصحابي ما يوعدون» إشارة إلى وقوع الفتن، ومجيء الشر عند ذهاب أهل الخير، فإنه لما كان ﷺ بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه، فلما فُقد جالت الآراء واختلفت، فكان الصحابة يسندون الأمر إلى رسول الله ﷺ في قوله أو فعل، أو دلالة حال، فلما فُقد الصحابة قَلَّ النورُ، وقويت الظلمة.

سورة تبت

وتسمى: المسد.
مكية إجماعاً.

عدد أياتها

وآيها خمس إجماعاً، وليس فيها اختلاف.
وفيها مشبه الفاصلة موضع: ﴿ أبي لهب ﴾[١].
ورويها حرفان، هما: دب.

مقصودها

ومقصودها: البتُّ، والقطع الحتم[٢] بخسران الكافر، ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين، اللازم عنه: أن شارع (الدين)[٣] له من العظمة

(١) الآية: ١.
(٢) في د: والقطع والحتم.
(٣) ساقطة مد.

ما يقصر عنه الوصف، فهو[1] يفعل ما يشاء، لأنه لا كقوله أصلاً، حتا على التوحيد من سائر العبيد.

وكذلك وقعت بين سورتي الإخلاص[2]، المقرن بضمان النصر، وكثرة الأنصار، واسمها «تبت» واضح الدلالة على ذلك، بتأمل السورة على هذه الصورة.

فضائلها

وأما ما ورد فيها: فروى البغوي عن ابن عمر، والبخاري عن ابن عباس، رضي الله عنهم قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال: يا صباحاه[3] فاجتمعت إليه قريش. فقالوا:[4] مالك؟، قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أما كنتم تصدقوني[5]؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب[6]: تَباً

---

(١) في د: فهل.
(٢) سورتي «الكافرون» وقل هو الله أحد.
(٣) قال في النهاية ٦/٣: هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة. لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو.
(٤) في د: قال.
(٥) قال الحافظ في الفتح ٥٠٣/٨ أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب، هـ.
والفعل أصله تصدقونني، فحذفت إحدى النونين للتخفيف، ولكراهة توالي الأمثال.
(٦) هو عبد العزي بن عبد المطلب بن هاشم، عم الرسول ﷺ وكان من أشد الناس عداوة للمسلمين ولرسول الإسلام ﷺ، ولُقب بأبي لهب لشدة حمرة وجهه، مات كمداً لما هزم المشركون في بدر، مات بعدها بأيام.
راجع: الروض الأنف ٢٦٥/١، والأعلام ١٣٥/٤.

لك[1] ما دعوتنا إلا لهذا؟. فأنزل الله عز وجل: «تبت يدا أبي لهب وتب» إلى آخرها[2].

---

(1) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٢/٢٨٩: البت: الهلاك، أي هلاكاً لـك وهو منصوب بفعل مضمر.

(2) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٩/٣٣٣.
وصحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب ذكر شرار الموتى ٢/١٠٨، وكتاب المناقب باب من انتسب إلى آبائه في الجاهلية والإسلام ٤/١٦١ وكتـاب التفسير، سـورة الشعراء ٦/١٦، وسورة سبأ ٦/٢٩، وسورة تبت ٦/٩٤.

سورة الإخلاص

وتسمى: قل هو الله أحد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مدنية.

وقال مجاهد وعطاء وقتادة: مكية.

ويؤيد هذا حديث[1] عبد الله بن سلام رضي الله عنه الآتي في فضلها.

ويمكن أن تكون لعظمها نزلت في كل من البلدين، كما تقدم مثل ذلك في الفاتحة.

وعكس النجم النسفي القولين، فقال مكية عند ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل، والواقدي، والحسين بن واقد.

وقال قتادة: هي مدنية.

عدد آياتها

وآيها خمس في المكي والشامي، وأربع في عدد الباقين.

---

(١) في د: الحديث.

اختلافها آية ﴿لم يلد﴾[1]. عدها المكي والشامي، ولم يعدها الباقون.

ورويها: الدال.

مقصودها

ومقصودها: بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد، للإخلاص في التوحيد، بإثبات الكمال، ونفي شوائب النقص والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات اللحا والاعتقاد في جميع الأحوال.

وعلى ذلك دل اسمها «الإخلاص»، الموجب للخلاص، وكذا «المقشقشة». قال في القاموس: المقشقشتان: الكافرون، والإخلاص. المبرئتان من النفاق والشرك، كما يقشقش، الهناء[2] الجرب[3].

الهناء: القطران.

وقال عبد الحق في كتابه «الواعي» كما يبرأ المريض من علته، إذا برأ منها، انتهى. وهو مأخوذ من القش بمعنى: الجمع.

فسميتا بذلك، لأنهما يتبعان الإنفاق بجميع أنواعه، وكذا[4] الشرك، فجمعتاه ونفتاه عن قارئهما حق القراءة.

وقد تقدم الكلام على هذا الأسم في براءة مبسوطا[5].

وهي أعظم مفيد للتوحيد في القرآن. قال الرازي: والتوحيد مقام

---

(١) الآية ٣.

(٢) في الأصل: «الهنا» مقصوراً، والتصويب عن القاموس واللسان.

والهناء: بكسر الهاء بعدها نون، ممدوداً، كذا في القاموس واللسان.

(٣) القاموس المحيط ٢/٢٩٥.

وراجعه في اللسان ٦/٣٣٧.

(٤) في د: وكذلك.

(٥) راجع ج ٢.

يضيق(1) النطق عنه، لأنك إذا أخبرت عن الحق، فهناك مخبر عنه، ومخبر به. ومجموعهما وذلك ثلاثة، فالعقل يعرفه، ولكن النطق لا يصل إليه.

سئل الجنيد(2) عن التوحيد فقال: معنى تضمحل فيه الرسوم، وتتشوش فيه العلوم، ويكون الله كما لم يزل.

وقال الجنيد ـ أيضاً ـ : أشرف كلمة في التوحيد ما قاله الصديق: سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته، إلا بالعجز عن معرفة.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى مالك في الموطأ واللفظ له، والترمذي، والنسائي، وأبو عبيد وقال: صحيح الإسناد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ. فسمع رجلاً يقرأ: ﴿ قل هو الله أحد ﴾، فقال رسول الله ﷺ : وجبت، فسألته: ماذا يا رسول الله؟. قال: الجنة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره، ثم فَرِقْتُ أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ فآثرت الغداء، ثم ذهبت إلى الرجل، فوجدته قد ذهب(3).

---

(1) في د: تطبيق.

(2) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، ولد ونشأ ببغداد وبها تعلم الفقه وسمع الحديث، وكان عالماً زاهداً عابداً مشهوراً ومن كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدي به وتوفي ـ رحمه الله سنة ٢٩٧ هـ.

راجع: طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٦٠ طبقات الحنابلة ١/١٢٧، شذرات الذهب ٢/٢٢٨.

(3) الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك الذي بيده الملك ١/٢٠٨.

وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الإخلاص ٤/٢٤١ حديث رقم ٣٠٦١.

وسنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد ٢/١٧١.

وهو عند الترمذي بدون قوله: « فأردت » إلى آخره. وقال: حسن صحيح غريب[1].

فرقت ـ بكسر الراء ـ: أي خفت.

ومن حديثه عند مسلم، والترمذي: أن النبي ﷺ قال: احشدوا[2] فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد مَنْ حشد، ثم خرج ﷺ فقرأ: « قل هو الله أحد »، ثم دخل فقال بعضنا لبعض: إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء، فذلك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن[3]

وعند مسلم والنسائي، والدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أيعجز أحدكم أن يقرأ في الليلة ثلث القرآن؟. قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟. قال: « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن[4]. وفي رواية: قال: إن الله عز وجل جزأ القرآن بثلاثة أجزاء، فجعل « قل هو الله أحد » جزءاً من أجزاء القرآن[5].

ولفظ الدارمي: أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة بثلث القرآن؟. قالوا: نحن أعجز وأضعف من ذلك، قال: إن الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعَل ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ثلث القرآن[6].

---

(1) راجع صحيح الترمذي: الموضع السابق.

(2) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٤٨٨/٨: الحشد: الجمع والإستكثار، أي اجتمعوا واستحضروا الناس.

وقال في النهاية ٣٨٨/١: احتشد القوم لفلان: تجمعوا له وتأهَّبوا.

(3) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب فضل قراءة قل هو الله أحد ٩٥/٤.

وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص ٢٤٢/٤ حديث رقم ٣٠٦٢.

(4) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب فضل قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ ٩٤/٦.

وسنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب الفضل في قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ ١٧١/٢.

(5) رواية مسلم: الموضع السابق.

(6) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ ٣٣٠/٢.

والمراد ـ والله أعلم ـ بتضعيف الأجر فيها: أنه يزاد على الحسنة بعشر إلى أن يبلغ إلى مقدار عشرين حزباً، من غير تضعيف، لا أن قارئها كمن قرأ عشرين حزباً، فإن هذا تضاعف له الحسنة بعشر أمثالها، فتصير العشرون مائتين.

وكذا ما قيل فيه: إنه كربع القرآن، أو كنصفه، أو غير ذلك، والله أعلم. وذلك أنها اشتملت على ثلث ما اشتمل عليه القرآن.

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي في جواهره: مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مهمة، وثلاثة متمة.

فالمهمة: معرفة الله تعالى، ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، انتهى.

والإخلاص مشتملة على معرفة الله تعالى، فكانت ثلثاً.

قال الناصر بن ميلق: ولا يلزم مساوات غيرها من آيات التوحيد لها، لعدم المساواة في ترتيب إسنادها، وترتيب ايرادها الكافل بما ترتب عليه الحكم،

والله أعلم.

وقال الإمام الغزالي في كتاب المحبة من الإحياء: فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور، وتعرف من الله تعالى إلى خلقه، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله، وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوة، ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة، وهي الإرشاد إلي معرفة ذاته، وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه، أو معرفة أفعاله وسننه مع عباده.

ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة، وهو التقديس، وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن، لأن منتهى التقديس في أن يكون واحداً في ثلاثة أمور:

يكون حاصلاً منه من هو من نوعه وسميه[1]، ودل عليه قوله: «لم

---

(١) في جامع الأصول: وشبهه.

يلد ». ولا يكون هو حاصلاً ممن هو نظيره وشبيهه، ودل عليه قوله: « ولم يولد ».

ولا يكون أحد في درجته، وإن لم يكن أصلاً له ولا فرعاً ممن هو مثله، ودل عليه قوله: « ولم يكن له كفواً أحد ».

ويجمع جميع ذلك قوله: « قل هو الله أحد ». وجملته تفصيل لا إله إلا الله. فهذه أسرار القرآن، ولا تتناهى أمثال هذه الأسراراً في القرآن، ولا رطب ولا يابس، إلا في كتاب مبين(١).

وعند الترمذي وقال: حسن، والنسائي عن أبي أيوب رضي الله عنه نحوه(٢). وكذا(٣) عند مالك، والبخاري، وأبي داود، والنسائي، عن أبي سعيد رضي الله عنه(٤).

ورواه أحمد من طريق(٥) ابن لهيعه، وفيه ضعف، عن عبد الله بن عمرو، عن أبي أيوب الأنصاري، رضي الله عنهم، أنه قال: إنها ثلث القرآن، فصدقه النبي ﷺ(٦).

وهو عند أبي عبيد والبخاري، وأبي داود، عن أبي سعيد رضي الله عنه، ولفظ أبي عبيد: أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي جاراً يقوم الليل، فما يقرأ إلا « قل هو الله أحد »، يعني: يرددها، كأنه يتقالُّها(٧)، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن(٨).

(١) نقله ابن الأثير في جامع الأصول ٨/٤٨٦.
(٢) صحيح الترمذي ٤/٢٤٠ حديث رقم ٣٠٦٠.
وسنن النسائي ٢/١٣٢.
(٣) في د: وكذلك.
(٤) الووطأ ١/٢٠٨.
وسنن أبي داود ٢/٧٢ حديث رقم ١٤٦١، وسنن النسائي ٢/١٧١.
(٥) في د: أبي، وهو خطأ.
(٦) مسند الإمام أحمد ٢/١٧٣.
(٧) قال الحافظ في الفتح ٩/٤٦٠ أي يعتقد أنها قليلة.
(٨) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ ٦/١٠٥ =

وفي رواية البخاري، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: أخبرني أخي قتادة بن النعمان[1] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلث القرآن في ليلة؟. فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟. فقال: ﴿ قل هو الله أحد، الله الصمد ﴾ ثلث القرآن[2].

ولأبي عبيد عن أبي مسعود[3] (الأنصاري)[4] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: قال: أيعجز أحدكم أن يقرأ القرآن في ليلة، الله الواحد الصمد[5].

وله عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه، وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه.

قال الهيثمي: بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، غير عبد الله بن أحمد وهو ثقة إمام[6].

وروى أبو عبيد، عن أبي بن كعب رضي الله عنه - أو رجل من الأنصار رضي الله عنهم - عن النبي ﷺ قال: من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن.

= وكتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ٧/٢٢١، وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ٨/١٦٤.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب سورة الصمد ٢/٧٢ حديث رقم ١٤٦١.

(١) قال الحافظ في الفتح ٩/٦٠: هو أخوه لأمه، أمهما أنيسة بنت عمرو بن قيس بن مالك، من بني النجار.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن. باب فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ ٦/١٠٥.

(٣) في د: ابن، وهو خطأ.

(٤) ساقطة من د.

(٥) قال الحافظ في الفتح ٩/٦٠: يحتمل أن يكون سمى السورة بهذا الإسم لاشتمالها على الصفتين المذكورتين، اهـ.

(٦) مجمع الزوائد ٧/١٤٨.

ورواه أحمد عن أبي، أو رجل من الأنصار (رضي الله عنهم)[1] - أيضاً[2]. قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[3].

وروى أبو يعلى: «أنها تعدل ثلث القرآن» عن أنس رضي الله عنه[4].

وروى نحوه البزار، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

قال الهيثمي: وفيه زكريا بن عطية[5]. وهو ضعيف[6].

ورواه الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قال الهيثمي: ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف[7].

ورواه البزار عن شيخه مفرح بن شجاع، وهو ضعيف، من حديث جابر رضي الله عنه.

وروى أبو عبيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا ابتدأت في سورة فأردت أن تحول منها إلى غيرها، فَتَحَوَّلْ إلى «قل هو الله أحد»، فإذا بدأت فيها فلا تحول منها حتى تختمها.

وعند الطبراني في الأوسط، عن يزيد بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ «قل هو الله أحد» في مرضه الذي يموت فيه، لم يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه على الصراط الى الجنة.

قال الهيثمي: وقال الطبراني: لا يروي عن النبي ﷺ الا بهذا الإسناد، وفيه نصر بن حماد الوراق وهو متروك[8].

---

(١) زيادة عن د.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٤١/٥.

(٣) مجمع الزوائد ١٤٧/٧.

(٤) قال الهيثمي ١٤٧/٧: وفيه عبيس وهو متروك.

(٥) قال في الميزان ٧٤/٢: منكر الحديث.

(٦) مجمع الزوائد ١٤٨/٧.

(٧) مجمع الزوائد: الموضع السابق.

(٨) مجمع الزوائد ١٤٦/٧.

وعند أبي داود، والترمذي وقال: حسن غريب[1]، والنسائي مسنداً ومرسلاً ـ قال النووي: بالإسانيد الصحيحة[2] ـ عن معاذ[3] بن عبدالله بن خبيب[4]، عن أبيه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: قل «قل هو الله أحد» والمعوذتين حين تصبح، وحين تمسي، ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء[5].

وفي رواية: أنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلي بنا ـ وفي رواية: لنا فأدركناه، فقال[6] لي: قل، فلم أقل شيئاً ثم قال: قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال»؟؟[7]: فقلت: يا رسول الله فما أقول؟، قال: «قل هو الله أحد» والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء[8].

وسيأتي في المعوذتين بسياق آخر.

ورواه النسائي عن عقبة رضي الله عنه قال: بينما[9] أنا أقود برسول

= وفي ترجمة نصر بن حماد ذكر الذهبي في الميزان ٤/٢٥٠: أن ابن عدى ذكر له مناكير، وعن ابن معين: أنه كذاب.

(١) قال الترمذي في مختصر السنن ٧/٣٤١ ـ نقلاً عن الترمذي ـ: حسن صحيح غريب.

(٢) راجع: الأذكار ص: ٧٢، ورياض الصالحين ص: ٤٧١، كلاهما للنووي.

(٣) وثقه أبو داود وابن معين، وتوفي سنة ١١٨ هـ.
راجع: التهذيب ١٠/١٩١، والكاشف ٣/١٥٤.

(٤) بضم الخاء المعجمة مصغراً.
وكذا ضبطه في الخلاصة ص: ١٩٥، والإصابة ٢/٢٩٤.

(٥) سنن النسائي: كتاب الإستعاذة ٨/٢٥٠.

(٦) في د: فقلنا.

(٧) ما بين القوسين ساقط من د.

(٨) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٤/٣٢١ حديث رقم ٥٠٨٢.

(٩) عند النسائي: بينا، وما في الأصل موافق لجامع الأصول.

الله ﷺ (راحلته)[1] في غزاة[2] فقال: يا عقبة قل، فاستمعت، (ثم قال: يا عقبة قل. فاستمعت)[3]، فقال[4] الثالثة فقلت، ما أقول؟. فقال: قل هو الله أحد. فقرأ حتى ختمها، ثم قرأ: قل أعوذ برب الفلق وقرأت معه حتى ختمها، ثم قرأ: قل أعوذ برب الناس فقرأت معه حتى ختمها، ثم قال: ماتعوذ بمثلها[5] أحد[6]. وستأتي بقية طرق هذا الحديث في المعوذتين، إن شاء الله تعالى.

ولابن داود بسند ـ قال النووي، على شرط مسلم[7] ـ عن ابراهيم النخعي قال: كانوا يعلمونهم إذا أووا إلى فرشهم[8] أن يقرأوا المعوذتين.

وفي رواية كانو يستحبون أن يقرأوا هؤلاء السور في كلى ليلة ثلاث مرات: قلّ هو الله أحد والمعوذتين.

ولأبي داود والترمذي والنسائي[9] وابن عبد الحكم في الفتوح، وغيرهم عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذتين دبر كل صلاة[10].

وفي رواية أبي داود: بالمعوذات.

---

(١) زيادة عن النسائي.
(٢) في النسائي: غزوة، وما في الأصل موافق لجامع الأصول.
(٣) ما بين القوسين زيادة عن سنن النسائي.
(٤) في النسائي: فقالها.
(٥) في النسائي: بمثلهن.
(٦) سنن النسائي في: كتاب الإستعاذة ٢٥١/٨.
(٧) التبيان للنووي ص ١٢٥.
(٨) في د: فراشهم.
(٩) في د: والنسائي والترمذي.
(١٠) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين ٢٤٤/٤ حديث =

فينبغي أن يقرأ: قل هو الله أحد. وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس قاله النووي (١).

وللترمذي وقال: غريب، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: من قرأ «قل هو الله أحد كل يوم مائتي مرة، محى عنه ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين (٢).

قال: ومن أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه، ثم قرأ «قل هو الله أحد» مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول (له) (٣) الرب: يا عبدي أدخل عن يمينك الجنة (٤). وضعفه المنذري (٥).

ولأحمد والطبراني - قال الهيثمي: وفيه علي بن يزيد (٦) وهو ضعيف (٧) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ برجل يقرأ «قل هو الله أحد» فقال: أوجب هذا، أو: وجبت له الجنة (٨).

ولأحمد والطبراني - أيضاً - وابن عبد الحكم في الفتوح، من طريق

= رقم ٣٠٦٧. وفتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٩٠.
وأما أبو داود والنسائي فلم يخرجا هذه الرواية.

(١) التبيان: الموضع السابق.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص ٤/٢٤١ حديث رقم ٣٠٦٢.
وفي سنده حاتم بن ميمون الكلابي البصري، أبو سهل. لا يحتج به، وضعفه الذهبي بهذا الحديث.
راجع: الميزان ١/٤٢٨. والخلاصة ٦٦.

(٣) ساقطة من د.

(٤) صحيح الترمذي: الموضع السابق.

(٥) الترغيب المنذري ١/٤١٦.

(٦) في الأصل: علي بن زيد والتصويب عن المسند ومجمع الزوائد.

(٧) مجمع الزوائد ٧/١٤٥.

(٨) المسند ٥/٢٦٦.

ذَبَّان[1]، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ «قل هو الله أحد» عشر مرات ـ قال ابن عبد الحكم: حتى يختمها ـ بني الله له بيتاً في الجنة، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذن نستكثر يا رسول الله؟. فقال رسول الله ﷺ: الله أكثر وأطيب[2].

قال الهيثمي: وقال أحمد في روايته: عن سهل بن معاذ أن أنس الجهني صاحب رسول الله ﷺ ورضي عنه عن رسول الله ﷺ ولم يقل: عن أبيه. والظاهر: أنها سقطت.

يعني: فإن سهلا لا صحبة له. قال: وفي إسنادهما رشدين بن سعد وزبان، وكلاهما ضعيف، وفيهما توثيق[3] (لين)[4].

ورواه الدرامي عن مرسل[5] سعيد بن المسيب: أن النبي ﷺ قال: من قرأ «قل هو الله أحد» إحدى عشرة مرة بنى له بها (قصر في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بنى له بها قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى بها)[6] ثلاثة قصور، فقال عمر بن الخطاب: إذن نكثر قصوراً[7]؟. فقال رسول الله ﷺ: الله أوسع من ذلك[8].

وللطبراني من طريق محمد بن قدامة الجوهري[9] ـ قال الهيثمي: وهو

(١) هو زبان ـ أوله زاي معجمة، بعدها باء موحدة ـ بن فايد، المتوفى سنة ١٥٥ ضعفه ابن معين، وقال أحمد أحاديثه مناكير.
راجع الميزان ٢/٦٥ ترجمة رقم ٢٨٢٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٤٣٧.
وفتوح مصر ٢٥٢.

(٣) زيادة عن مجمع الزوائد.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٤٥.

(٥) في د: مراسيل.

(٦) ما بين القوسين ساقطة من د.

(٧) عند الدرامي: إذن لنكثرن قصورنا.

(٨) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد ٢/٣٣٠.

(٩) هو أبو جعفر محمد بن قدامة الجوهري اللؤلؤي، البغدادي، المتوفى سنة ٢٣٧، قال أبو داود: ضعيف، لم أكتب عنه شيئاً قط. (الميزان ٤/٥ ترجمة رقم ٨٠٨٣).

ضعيف[1] ـ عن ابن الديلمي وهو ابن أخت النجاشي رضي الله عنه، وقد خدم النبي ﷺ، من قرأ «قل هو الله «أحد» مائة مرة في الصلاة، أو غيرها، كتب «الله له براءة من النار».

وللطبراني في الأوسط من طريق هانىء بن المتوكل ـ قال الهيثمي: وهو ضعيف[2] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: من قرأ: « قل هو الله أحد » (عشر مرات بني له قصر في الجنة، ومن قرأ عشرين مرة بني له قصران، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاث.

وللطبراني في الصغير بسند ـ قال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم[3] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ قل هو الله أحد[4]) بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة، فكأنما قرأ القرآن أربع مرات، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى[5].

وله في الصغير والأوسط ـ قال الهيثمي: عن شيخه يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات[6] ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ «قل هو الله أحد» في كل يوم خمسين مرة، نودي يوم القيامة من قبره: قم يا مادح الله فادخل الجنة[7].

وللدارمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ «قل هو الله أحد» خمسين مرة غفر (الله)[8] له ذنوب خمسين سنة[9].

---

(١) مجمع الزوائد ٩/١٤٥.
(٢) مجمع الزوائد ٧/١٤٥.
(٣) مجعع الزوائد ٧/١٤٦.
(٤) ما بين القوسين ساقط من د.
(٥) المعجم الصغير للطبراني ١/٦٢.
(٦) مجمع الزوائد ٧/١٤٦.
(٧) المعجم الصغير ٢/١٣٠.
(٨) ساقطة من د.
(٩) سنن الدرامي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد ٢/٣٣١.

وللطبراني في الكبير والأوسط، عن جابر رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله انسب لنا ربك، فنزلت «قل هو الله أحد» إلى آخرها.

ورواه أبو يعلى إلا أنه قال: إن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: انسب الله.

قال الهيثمي: وفيه مجالد بن سعيد[1]، قال ابن عدى: له عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه أحاديث صالحة، قال: قلت: وهذا منها، قال وبقية رجاله رجال الصحيح[2].

وروى الترمذي عن أبي كعب رضي الله عنه، أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك. فأنزل الله تعالى: «قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد» لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفواً أحد[3].

وفي أوائل السابع من الغيلانيات، عن سعيد، عن أبيه رضي الله

---

(١) هو مجالد بن سعيد الهمداني، المتوفي سنة ١٤٣، قال أحمد: يرفع كثيراً مما لا يرفعه الناس، ليس بشيء. «الميزان ٣/٤٣٨».

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٤٦.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الإخلاص ٥/١٢١ حديث رقم ٢٤٢٣.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/١٣٤ والحاكم في المستدرك ٢/٥٤٠. وفي سنده عندهم أبو جعفر الرازي واسمه عبس بن ماهان. وهو صدوق سيىء الحفظ «الميزان ٣/٣٢١».

قال ابن كثير في تفسيره ٤/٥٦٥: ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعد محمد بن مُيَسَّر، ا هـ.

قلت: ومحمد بن ميسر هو أبو سعد الصغاني البلخي الضرير، قال يحيى بن معين: كان جَهْمِيًّا شيطاناً ليس بشيء «الميزان ٤ /٥٢».

ورواه الترمذي من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي العالية مرسلاً ولم يذكر فيه أبي بن كعب وقال: وهذا أصح من حديث أبي سعد.

وقال الحافظ في الفتح ٨/٧٣٩: وصحح الموصول ابن خزيمة والحاكم، وله شاهد من حديث جابر عند أبي يعلى والطبري والطبراني.

عنه[1]، أن إنساناً قال لرسول الله ﷺ: آنسب لي ربك، فسكت رسول الله ﷺ، حتى نزل جبريل فأخبره، فقال: أين السائل عن نسبة الله عز وجل؟. قال: أنا هوذا. قال: «قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».

وللطبراني في الأوسط، من رواية الوازع بن نافع - قال الهيثمي: وهو متروك[2] - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل شيء نسبة، و (إن)[3] نسبة الله «قل هو الله أحد».

وعزا الملوي (إلى)[4] البيهقي من طرق مرسلة ومتصلة، ومن متصلها: عن أنس رضي الله عنه قال: غزونا مع الرسول الله ﷺ غزوة تبوك، فطلعت الشمس ذات يوم ونحن بتبوك، بنور وشعاع وضياء، لم نرها مثل ذلك فيما مضي، فجعل رسول الله ﷺ يعجب من ضيائها ونورها، إذ أتاه جبريل عليه السلام بالوحي، فسأل جبريل فقال: يا نبي الله مات اليوم معاوية بن معاوية الليثي، فبعث إليه سبعون ألف ملك يصلون عليه. قال: بم ذلك يا جبريل؟ قال: كان يكثر قراءة «قل هو الله أحد» قائماً وقاعداً، وماشياً، وآناء الليل والنهار، فهل لك يا نبي الله أن تصلي عليه ثم ترجع؟، فأقبض لك الأرض؟. ففعل، ثم صلى عليه فرجع.

وفي رواية: قال جبريل بيده: هكذا، ففرج له عن الجبال والآكام، فقام رسول الله ﷺ يمشي ومعه جبريل عليه السلام، ومع جبريل سبعون ألف ملك، حتى صلى على معاوية بن معاوية، فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل بم بلغ معاوية هذا؟ قال: بكثرة قراءة «قل هو الله أحد»، كان يقرؤها قائماً وقاعداً، وراقداً وماشياً وراكباً، فبهذا بلغ ما بلغ.

---

(١) في د: سعيد رضي الله عنه، عن أبيه.

(٢) مجمع الزوائد ١٤٦/٧.

(٣) ساقطة من د.

(٤) ساقطة من د.

قال النووي في الأذكار: وروينا في كتاب ابن السني، ودلائل النبوة للبيهقي، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام وهو بتبوك[1] فقال: يا محمد اشهد جنازة معاوية بن معاوية المزني رضي الله عنه، فخرج رسول الله ﷺ، ونزل جبريل عليه السلام في سبعين ألفا من الملائكة، فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت، ووضع جناحه الأيسر على الأرضين فتواضعت، حتى نظر إلى مكة والمدينة، فصلى عليه رسول الله ﷺ وجبريل والملائكة عليهم السلام، فلما فرغ قال: يا جبريل بم بلغ معاوية هذه المنزلة؟. قال: بقراءة « قل هو الله أحد » قائماً وراكباً وماشياً[2].

---

(١) تبوك ـ بفتح المثناة، بعدها باء موحدة، ثم واو ساكنة ـ موضع بين وادي القرى والشام، بينه وبين المدينة اثنتا عشرة مرحلة.
راجع: معجم البلدان ٢/١٤.

(٢) الأذكار للنووي صـ ٢٦٦
وعمل اليوم والليلة لابن السني صـ ٧٥ حديث رقم ١٧٩.
قال الحافظ ابن حجر في الاصابة ٣/٤١٦: وردت قصته من حديث أبي أمامة وأنس مسندة، ومن طريق سعيد بن المسيب والحسن البصري مرسلة، فأخرج الطبراني ومحمد بن أيوب بن الضريس في فضائل القرآن، وسمويه في فوائده، وابن منده، والبيهقي في الدلائل، كلهم من طريق محبوب بن هلال، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس، أ هـ.
قال الذهبي في الميزان ٣/٤٤٢ محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة، لا يعرف، وحديثه منكر.
وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ٣/٣٧٥: أسانيد هذه الأحاديث ليست بالقوية، ولو أنها في الأحكام لم يكن في شيء منها حجة، ومعاوية بن مقرن المزني وإخوته: النعمان، وسويد، ومعقل، وسائرهم وكانو سبعة ـ معروفون في الصحابة، مذكورون في كبارهم، وأما معاوية بن معاوية فلا أعرفه بغير ما ذكرت في هذا الباب.
وقال ابن كثير في تفسيره ٤/٥٦٩: وقد روى من طرق أخر، وكلها ضعيفة أ هـ مختصراً.

قال وروينا في سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، عن بريدة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال: سألت الله بالأسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب[١].

وروى أحمد والطبراني في الأوسط والدارمي ـ قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح[٢] ـ عن أم كلثوم بنت عقبة[٣] رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «قل هو الله أحد»، تعدل ثلث القرآن[٤].

وللطبراني عن حمزه بن يوسف، بن عبد الله، بن سلام: أن عبد الله

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء ٢/ ٧٩ حديث رقم ١٤٩٣.
وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ٥/١٧٨ حديث رقم ٣٥٤٢.
وسنن النسائي: كتاب السهو. باب الدعاء بعد الذكر ٣/٥٢.
وسنن ابن ماجة: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ٢/١٢٦٧ حديث رقم ٣٨٥٧.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٤٧.

(٣) هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأمها أروى بنت كريزبن ربيعة، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه، أسلمت قديماً، وهاجرت إلى المدينة المنورة مشيا على قدميها، وكان في الهدنة فلحق بها أخوها الوليد وعمارة ليرداها، فمنعها الله منها بالإسلام، ونزلت فيها أية الممتحنة، وقد كانت بلا زوج وقت هجرتها، فتزوجها زيد بن حارثة، فقتل عنها يوم مؤته، فتزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب، ثم طلقها، فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له ابراهيم وحميدا، وقيل: ومحمدا واسماعيل، ومات عنها. فتزوجها عمرو بن العاص، فمكثت عنده شهراً وماتت رضي الله عنها.
راجع الاستيعاب على هامش الإصابة ٤/٤٦٥. والإصابة ٤/٤٦٧.

(٤) مسند الأمام أحمد ٦/٤٠٣
وسنن الدرامي: كتاب فضائل القلأآن، باب ما جاء في فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ ٢/٣٣٠.

ابن سلام رضي الله عنه قال لأحبار يهود: إني أَحْدَثُ بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عهداً، فانطلق إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة، فوافاهم وقد انصرفوا من الحج فوجد رسول الله ﷺ بمنى والناس حوله، فقمت مع الناس، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: أنت عبد الله بن سلام؟. قال: قلت: نعم قال: أدن، فدنوت منه، قال: أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام أما تجدني في التوراه رسول الله؟ فقلت له، انعت لنا ربنا؟ قال: فجاء جبريل عليه السلام حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: ﴿ **قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحَد** ﴾ فقرأها علينا رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال الهيثمي: ورجاله ثقات، إلا أن حمزه لم يدرك جده عبد الله بن سلام رضي الله عنه، انتهى(١).

وهذا لا ينافي ما في الصحيح من أن إسلامه كان في المدينة الشريفة، لاحتمال أن يكون قصد النبي ﷺ قبل الهجرة فأسلم، وكان يخفي إسلامه خوفاً من اليهود، إلى أن هاجر النبي ﷺ، وأنه شهد له بالرسالة ولم يتابع، كما وقع ذلك لغيره من اليهود، فلما هاجر النبي ﷺ شرح الله صدره فأسلم. والله أعلم.

قال الشيخ محيى الدين النووي في الأذكار: وروينا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من نسى أن يسمى على طعامه فليقرأ «قل هو الله أحد» إذا فرغ(٢).

وروى البخاري في صحيحة تعليقاً، والترمذي في جامعه، والدارمى، عن أنس رضي الله عنه قال، قال رجل لرسول ﷺ: إني أحب هذه السورة «قل هو الله أحد» قال: حبك إياها يدخلك الجنة.

---

(١) مجمع الزوائد ١٤٧/٧.

(٢) الأذكار للنووي صـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

وفي رواية الدارمي: أدخلك الجنة[1].

وروى عبد بن حميد، عن أنس أيضاً رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله إن ها هنا رجلاً لا يصلي صلاة إلا قرأ فيها « قل هو الله أحد ». منها ما يفردها، ومنها ما يقرؤ ؤها مع مع سورة أخرى، فقال له النبي ﷺ: وما تريد إلى هذا؟. قال: يا رسول الله إني أحبها، قال حبها أدخلك الجنة.

وللشيخين، والنسائي، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه - فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سَلْهُ لأي شيء يصنع ذلك؟. فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وإني أحب أن أقرأها، فقال: أخبروه أن الله يحبه[2]

وللترمذي وقال: حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر بالكافرون و « قل هو الله أحد »[3].

وأخرجه النسائي وقال: رمقت إلى النبي ﷺ عشرين مرة يقـرأ في الركعتين قبل الفجر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد[4].

وقد تقدم في قل يا أيها الكافرون مثل هذا، من وجه آخر[5]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ١/١٢٨.
وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص صـ ٤/٢٤٣ حديث رقم ٣٠٦٥.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ٢/٣٣٠.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ١/١٢٨.
وكتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ٩/٩٣.
وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ٦/٩٥.
والنسائي، كتابُ الافتتاح، باب فضل قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ٢/١٧٠.

(٣) صحيح الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر والقراءة فيها ١/٢٦١ حديث رقم ٤١٥.

(٤) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب القراءة في الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ٢/١٥٥.

(٥) راجع ص ٣٧٧ من هذا الجزء.

سورة الفلق

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: مدنية.

وقال قتادة ـ قال الأصبهاني[1]: والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر بن زيد ـ: مكية.

قال: والأول أصح، ويدل عليه، أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة رضي الله عنها، فنزلت عليه المعوذتان.

وآيها خمس باتفاق العادين، ولا اختلاف فيها.

ورويها ثلاثة أحرف. وهي: دبق.

مقصودها

ومقصودها: الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن. وأسمها ظاهر الدلالة على ذلك.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، عن أبي

(١) في د: الأصفهاني.

سعيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما(١).

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن علي رضي الله عنه قال: لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي، فلما فرغ قال: لعن الله العقرب لا تدع مصلياً ولا غيره، ثم دعا بماء وملح. وجعل يمسح عليها ويقرأ: «قل يا أيها الكافرون، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»(٢).

وفي المسند للإمام أحمد، والسنن للنسائي، وأمالي أبي الحسين بن شمعون، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب، إذ قال: ألا تركب يا عقبة؟. فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه، ثم قال: ألا تركب يا عقبة؟. فأشفقت أن تكون معصية، فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنية ونزلت، وركب رسول الله ﷺ، وقدت به ثم قال: يا عقبة ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فأقْرأَني: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم أقيمت الصلاة، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مربي، قال كيف رأيت يا عقبة؟ اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت(٣).

وزاد النسائي في رواية: ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما(٤).

وفي المسند عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ، فابتدأته فأخذت بيده،

---

(١) صحيح الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين ٢٦٦/٣ حديث رقم ٢١٣٥.
وأخرجه ابن ماجة: كتاب الطب، باب من استرقى من العين ١١٦١/٢ حديث رقم ٣٥١١

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١١/٥: رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن.

(٣) مسند الإمام أحمد ١٤٤/٤.
وسنن النسائي، كتاب الاستعاذة ٢٥٣/٨

(٤) سنن النبسائي: كتاب الاسعاذة ٢٥٣/٨

قال: قلت: يا رسول الله ما نجاة المؤمن[1]؟. قال: يا عقبة أخرس - وفي رواية: أملك - لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك، قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني، فأخذ بيدي فقال: يا عقبة بن عامر، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم[2].

وفي رواية: ألا أعلمك سوراً ما (أنزل)[3] في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل[4] ولا في القرآن مثلهن؟. قال: قلت: بلى جعلني الله فداك قال: فأقرأني: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. ثم قال يا عقبة لا تنسهن، ولا تَبِتْ ليلة حتى تقرأهن، فما نسيتهن منذ قال: لا تنسهن[5] وما بت ليلة حتى أقرأهن، ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده، فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: يا عقبة صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض - وفي رواية - : واعف عَمَّنْ طلمك[6].

وفيه: وفي رواية - قال الهيثمي: رجالها ثقات[7] - أنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال لي: يا عقبة بن عامر ألا أعلمك سوراً ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل، ولا في القرآن، مثلهن، ولا تأتي ليلةٌ (إلا)[8] قرأت بهن فيها: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس[9].

---

(١) في د: المؤمنين.
(٢) المسند ١٤٨/٤
(٣) ساقطة من د
(٤) في د: ما في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور.
(٥) كذا في الأصل والمسند
(٦) المسند ١٥٨/٤
(٧) مجمع الزوائد ١٤٩/٧
(٨) ساقطة من د
(٩) المسند ١٥٠/٤

قال الهيثمي: وهو في الصحيح باختصار[1].

وفي المسند - أيضاً عن ابن عابس الجهني[2] رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال (له)[3] يا ابن عابس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟. قلت: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (قل)[4] أعوذ برب الناس وأعوذ برب الفلق، هاتين السورتين[5].

وفي المسند عن عقبة بن عامر رضي الله عنه (قال: أمرني)[6] رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة[7].

ورواه[8] أبو داود والنسائي، والترمذي وقال: حسن صحيح، وقال بالمعوذتين[9].

وروى مسلم والترمذي والنسائي[10] عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: ألم تر آيات أنزلت الليلة، لم ير مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس[11].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٤٩.

(٢) هو عقبة بن عامر بن عابس - وقيل: عبس - الجهني، رضي الله عنه.
راجع: الإصابة ٢/٤٨٢ وأسد الغابة ٦/٣٤١.

(٣) ساقطة من د.

(٤) زياد عن المسند.

(٥) المسند ٤/١٤٤، ١٥٣.
وأخرجه النسائي: كتاب الاستعاذة ٨/٢٥١.

(٦) ساقطة من د.

(٧) المسند ٤/١٥٥، ٢٠١.

(٨) في د: ورواه قال امرني أبو داود.

(٩) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين ٤/٣٤٤ حديث ٣٠٦٦

(١٠) في د: والنسائي والترمذي.

(١١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين ٦/٩٦.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين ٤/٣٤٤ حديث رقم ٣٠٦٦.
وسنن النسائي: كتاب الاستعاذة ٨/٢٥٤.

ولأبي داود، والنسائي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: بينا أنا **أسير مع النبي ﷺ بين الجحفة والأبواء، غشيتنا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: يا عقبة تعوذ بهما، فما تعوذ متعوذ بمثلهما. قال: وسمعته يؤمنا بهما في الصلاة**[1].

الجحفة: قرية كبيرة على سبع مراحل من المدينة الشريفة، وثلاث من مكة، وتسمى مهيعة[2] والابواء: جبل بين مكة والمدينة[3].

وروى أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، عن عبد الله بن خُبَيب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين، حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء[4].

و (قد)[5] تقدم في الإخلاص بلفظ آخر.

وروى النسائي، وأبو عبيد في الفضائل، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في طريق مكة ومعه أصحابه، فوقعت علينا ضبابة من الليل، حتى سترت بعض القوم عن بعض، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: قل يابن خبيب. فقلت: ما أقول يا رسول الله؟: قال: قل أعوذ برب الفلق، فقرأها، وقرأتها، حتى فرغ منها، ثم قال: ما استعاذ ـ أو استعان ـ أحد بمثل هاتين السورتين قط[6].

---

(١) سنن أبي داود: أبواب الوتر، باب في المعوذتين ٢/٧٣ حديث رقم ١٤٦٣.
وسنن النسائي: كتاب الاستعاذة ٨/٢٥٢.

(٢) على وزن: معيشة، ويقال: «مهيعة» بوزن مرحلة.
راجع: وفاء الوفا للسمهودي ٤/١٣١٦.

(٣) قال السمهودي: بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا فتكون على خمسة أيام من المدينة..
راجع: وفاء الوفا ٣/١١١٨.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٤/٣٢١ حديث رقم ٥٠٨٢.
وسنن النسائي: كتاب الاستعاذة ٨/٢٥٠.

(٥) ساقطة من د.

(٦) سنن النسائي: كتاب الاستعاذة ٨/٢٥٠.

هكذا هو في نسختي، وكأنه سقط ذكر سورة الناس.

وفي رواية النسائي قال: كنت مع رسول الله ﷺ بطريق مكة، فأصبتُ خلوة من رسول الله ﷺ، فدنوتُ منه، فقال: قل. قلت: ما أقول؟ قال: أعوذ برب الفلق، حتى ختمها، وقل أعوذ برب الناس، حتى ختمها. ثم قال: ما تعوذ الناس بأفضل منهما(١).

وللبزار - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح - عن عبد الله الأسلمي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في عمرة، حتى إذا كنا ببطن واقم(٢)، استقبلتنا ضبابة فأضلتنا الطريق، فلم نشعر حتى طلعنا على ثنية(٣)، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك. عدل إلى كثيب(٤) فأناخ عليه، ثم قام، وقام عليه من شاء الله، فما زال يصلي حتى طلع الفجر، فأخذ رسول الله ﷺ برأس ناقته، ثم مشى، وعبد الله بن الأسلمي إلى جنبه، ما أحد مع رسول الله ﷺ غيره، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره ثم قال: قل. قلت: (مأقول(٥)؟ قال: قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق، حتى فرغت منها، ثم قال: قل أعوذ برب الناس، حتى فرغت منها، فقال رسول الله : هكذا فتعوذ، فما تعوذ العباد بمثلهن قط.

وللبيهقي في الدعوات، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

---

(١) سنن النسائي: الموضع السابق.

(٢) قال في معجم البلدان ٣٥٤/٥: أطم من آطام المدنية سمي بذلك لحصانته، أ هـ بتصرف.

(٣) لعلها ثنية الوداع - وهي مكان مشرف على المدينة يمر به من يريد مكة. راجع: معجم البلدان ٨٦/٢.

(٤) الكثيب - جمع كثب بضم الكاف والثاء - تل من الرمل، ومنه قوله تعالى ﴿ وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴾. اللسان ٧٠٢/١.

(٥) ساقطة من د.

كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سوى ذلك(١).

وللنسائي، وابن حبان في صحيحه، عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: أقرأ يا جابر، قلت: وماذا أقرأ بأبي أنت وأمي؟، قال: اقرأ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، فقرأتهما، فقال: اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما(٢).

وللطبراني في الأوسط - قال الهيثمي: ورجاله ثقات -(٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: لقد أنزل عليَّ لم ينزل عليَّ مثلهن، المعوذتين(٤).

وللدرامي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: مشيت مع النبي ﷺ فقال لي: قل يا عقبة، فقلت: أي شيء أقول؟، قال: فسكت عني، ثم قال: يا عقبة قل. فقلت: قل. فقال: أعوذ برب الفلق، فقرأتها حتى جئت على آخرها، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: ما سأل سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلها(٥).

ورواه عبد الرازق بنحوه(٦). ورويا أيضاً عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لقد أنزل عليَّ آيات لم أر - أو لم ير - مثلهن(٧).

وقال عبد الرازق: لم أسمع مثلهن - أو لم أر مثلهن -: المعوذتين(٨).

---

(١) حديث أبي سعيد الخدري تقدم أول فضائل السورة مخرجا فراجعه.

(٢) سنن النسائي: كتاب الاستعاذة ٢٥٤/٩.

(٣) مجمع الزوائد ١٤٩/٧.

(٤) وأخرجه أحمد في المسند ١٤٤/٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ عن عقبة بن عامر.

(٥) سنن الدرامي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضائل المعوذتين ٣٣١/٢٨.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب المعوذات ٣٨٤/٣ حديث رقم ٦٠٣٩.

(٧) سنن الدرامي: الموضع السابق.

(٨) المعوذتين بكسر الواو - منصوب بفعل محذوف تقديره: أعني. راجع شرح مسلم ٩٦/٦.

ورواه أبو عبيد، ولفظه: أنزلت عليَّ آيات، لم ينزل عليَّ مثلهن قط: المعوذتان.

ولأبي عبيد، وابن عبد الحكيم في الفتوح، عن عقبة بن عامر الجهني - أيضاً - رضي الله عنه قال: اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه، فقلت: أقرئني من سورة هود، أو سورة يوسف، عليهما السلام فقال: (لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله[1] من «قل أعوذ برب الفلق»[2].

ورواه النسائي وقال: لي تقرأ شيئاً عند الله أبلغ من)[3] آيات أنزلت على أعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس[4].

وروى البغوي عن عقبة أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ (به)[5] المتعوذون؟. قلت: بلى. قال: قل أعوذ برب الناس[6].

ولأبي داود والنسائي عن عقبة - أيضاً - رضي الله عنه. أنه قال: كنت أقود بالنبي ﷺ ناقته في سفر، فقال لي: يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟، فعلمني «قل أعوذ برب الفلق»، «وقل أعوذ برب الناس» فلم يرني سررت بهما جداً، فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس، فلما فرغ رسول الله ﷺ التفت إليَّ فقال: يا عقبة كيف رأيت[7].

ولأبي عبيد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قال: من صلى

---

(١) في د: عند الله أبلغ.

(٢) فتوح مصر لابن عبد الحكم صـ ٢٥٤ وأخرجه أحمد في المسند ١٤٩/٤، ١٥٩.

(٣) ما بين القوسين ساقط من د.

(٤) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب الفصل في قراءة المعوذتين ١٥٨/٢.

(٥) زيادة عن البغوي.

(٦) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٣٥٧/٩.

(٧) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في المعوذتين ٧٣/٢ حديث رقم ١٤٦٢.
وسنن النسائي: كتاب الاستعاذة ٢٥٢/٨، ٢٥٣.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٣/٤.

الجمعة ثم قرأ بعدها قل هو الله أحد » والمعوذتين، حفظ ـ أو كفى ـ من مجلسه ذلك إلى مثله.

ومثله لا يقال بالرأي، فحكمه الرفع.

ورواه ابن السنى عن عائشة رضي الله عنها بصريح الرفع، قالت: قال رسول الله ﷺ: من قرأ بعد صلاة الجمعة: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، سبع مرات، أعاذه الله من السوء إلى الجمعة الأخرى(١).

ولمالك والشيخين، وأبي داود والترمذي، عن عائشة (أيضاً)(٢) رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه، نفث في يده وقرأ المعوذات، وقل هو الله أحد، ومسح بها وجهه وجسده(٣)، فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل به ذلك(٤).

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السنى صـ ١٤٥ حديث رقم ٣٧٧.
وفي سنده الخليل بن مرة الضبعي البصري، كان رجلاً صالحاً، ولكن ضعفه ابن معين، وقال البخاري: منكر الحديث.
راجع الخلاصة ١٠٧ والميزان ١/٦٦٧.

(٢) ساقطة من د.

(٣) في د: صدره.

(٤) موطأ الإمام مالك: كتاب العين، باب التعوذ والرقية في المرض ٢/٩٤٣.
وصحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات ٦/١٠٦ وكتاب الطب، باب النفث في الرقية ٧/٢٥، وكتاب الدعوات باب التعوذ والقراءة عند المنام ٧/١٤٩.
وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض ١٤/١٨١.
وسنن أبي داود: كتاب الأدب باب ما يقال عند النوم ٤/٣١٣ حديث رقم ٥٠٥٦.
وصحيح اترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام ٥/١٣٩ حديث رقم ٣٤٦٢.
قال النووي في شرح مسلم ١٤/١٨٢: وفي هذا الحديث استحباب الرقية بالقرآن وبالأذكار، وانما رقي بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن النفاثات في العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس، والله أعلم.

وفي رواية: كان ينفث على نفسه في المرض الذي توفى فيه بالمعوذات، فلما ثقل، كنت أنفث عليه بهن. وأمسح بيد نفسه لبركتها.

ورواه البخاري في الوفاة، والبيهقي في الدعوات، بلفظ: كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح بيديه، قالت: فلما اشتكى رسول الله ﷺ وجعه الذي توفى فيه، طَفِقْتُ أنفُثُ عليه بالمعوذات التي كان ينفث بها على نفسه، وأمسح بيد رسول الله ﷺ عنه[1].

ولفظ الموطأ وأبي داود: في رواية: كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما أشتد وجعه «كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده رجاء بركتها»[2].

ورواه أبو عبيد في أواخر كتاب الفضائل، عن عائشة أيضاً رضي الله عنها بلفظ: كان إذا مرض يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث[3].

وقال الشيخ محيى الدين في أواخر باب الغسل من شرح المهذب: ويقرأ عند المريض الفاتحة، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، مع النفخ في اليدين، ويمسحه بهما، ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله ﷺ[4].

وروى عبد بن حميد عنها أيضاً رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا أراد النوم يجمع يديه فينفث فيهما، ويقرأ بقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، يمسح بهما على وجهه ورأسه، (وسائر جسده. قال عقيل: ورأيت ابن شهاب يفعل ذلك)[5].

قال النووي: قال أهل اللغة: النفث: نفخ لطيف بلا ريق[6].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات ٢٢/٧، وباب المرأة ترقي الرجل ٢٦/٧. وكتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات ١٠٥/٦.

(٢) موطأ مالك: كتاب العين، باب التعوذ والرقية في المرض ٩٤٣/٢.

(٣) وسنن أبي داود: كتاب الطب، باب كيف الرقي ١٥/٤ حديث رقم ٣٩٠٢.

(٤) المجموع للنووي ١٧١/٢.

(٥) مابين القوسين ساقط من د.

(٦) شرح مسلم للنووي ١٨٢/١٤.

ولأحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[1] عن أبي العلاء، يعني يزيد بن عبد الله، بن الشخير، قال: : قال رجل[2] كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، والناس يعتقبون[3] وفي الظهر[4]قلة، فحانت نزلة رسول الله ﷺ ونزلت، فلحقني من بعدي، ٠فضرب منكبي فقال: قل أعوذ برب الفلق، فقلت: أعوذ برب الفلق، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه. ثم قال: قل أعوذ برب الناس، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، قال: إذا أنت صليت، فاقرأ بهما[5].

---

(١) مجمع الزوائد ١٤٨/٧.
(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٧٢/٤: الظاهر: أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر.
(٣) أي يتناوبون، كل جماعة يتناوبون الركوب على دابة واحداً بعد الآخر.
راجع النهاية ٢٦٨/٣.
(٤) المراد بالظهر: ما يركب من ابل أو خيل، ونحوهما.
(٥) مسند الإمام أحمد ٢٤/٥، ٧٩.

سورة الناس

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: مدنية

وقال قتادة: مكية.

عدد آياتها

وآيها سبع في المكى والشامي، وست في عدد الباقين. اختلافها آية: ﴿ **الوسواس** ﴾[1]، عدها المكي والشامي، ولم يعدها الباقون.

ورويها: السين.

مقصودها

ومقصودها: الاعتصام بالإله الحق، من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك، لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع. وأحسن[2] من هذا: أنها للاستعاذة من الشر الباطن، المأنوس به، المشروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي.

---

(١) الآية: ٤.

(٢) في د: وأكثر.

والناس: مشتق من الإنس، فإن أصله أناس، وهو أيضاً: اضطراب الباطن، المشير إليه الاشتقاق من النَّوس، فطابق حينئذ ـ الأسم المسمى.

ومقصود هذه السورة معادل[1] (لمقصود)[2] الفاتحة، الذي هو المراقبة، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول. والله المسؤول، في تيسير السؤْل، وتحقيق المأمول.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى مالك والشيخان، والأربعة، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[3].

وقد تقـدمت في الفلق بقية ألفاظه.

وروى أبو داود في السنن، والبيهقي في الدعوات، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقـرأوا بالمعوذات في دبر كل صلاة.

(وفي رواية أبي داود[4]: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة)[5].

وللبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ (قال)[6] لاينا من أحدكم حتى يقرأ ثلث القرآن، قالوا: يا رسول الله

(١) في د: مدلول.

(٢) ساقطة من د.

(٣) تقدم تخريجه صـ

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار د ٢/٨٦ حديث رقم ١٥٢٣.
قال المنذري في مختصر السنن ٢/١٥٣: وأخرجه الترمذي والنسائي.

(٥) ما بين القوسين ساقط من د.

(٦) ساقطة من د.

وكيف يستطيع أحدنا[1] أن يقرأ ثلث القرآن؟. قال: ألا يستطيع أن يقرأ: «قل هو الله أحد»، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس.

وروى البيهقي ـ أيضاً ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: مشيت مع النبي ﷺ فقال لي: يا عقبة قل، فقلت: إيش أقول؟. قال: فسكت عني، فقلت: (اللهم)[2] اردده عليَّ فقال: يا عقبة قل، فقلت: قل، فقال: أعوذ برب الناس، فقرأتها، حتى جئت على آخرها، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: ما سأل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها[3].

وروى أحمد عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن زِرٍّ قال: قلت لأبي رضي الله عنه: إن عبد الله رضي الله عنه يقول في المعوذتين؟. فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقال: قيل لي فقلت: فأنا أقول كما قال[4].

وروى أيضاً عن وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن زر قال: سألت أبي بن كعب رضي الله عنه عن المعوذتين، فقال: سألت النبي ﷺ فقال قيل لي، فقلت لكم، فقولوا: قال أبي رضي الله عنه؛ فقال لنا النبي ﷺ، فنحن نقول[5].

وأورده من طرق كثيرة، منها:

ما قال الهيثمي في مجمع الزوائد: إن رجاله الصحيح[6]، ووافقه عليه الطبراني عن زر قال: قلت لأبيٍّ رضي الله عنه: إن أخاك يحكهما من المصحف، قيل لسفيان: ابن مسعود رضي الله (عنه)، فلم ينكر، فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: قيل لي، فقلت، فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ[7].

(١) في د: أحدنا يستطيع.
(٢) ساقطة من د.
(٣) حديث عقبة بن عامر تقدم بكل رواياته في سورة الفلق.
(٤) مسند الإمام أحمد ٥/١٢٩.
(٥) المسند: الموضع السابق.
(٦) مجمع الزوائد ٧/١٤٩.
(٧) المسند ٥/١٢٩.

قال الهيثمي: وهو في الصحيح. غير حكهما من المصحف، انتهى[1].

ولفظ البخاري في الصحيح: أن زرا سأل أُبَيًّ بن كعب رضي الله عنه عن المعوذتين، فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: قيل لي فقلت. فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ[2].

قال شيخنا حافظ عصره ابن حجر في شرحه البخاري: القائل، فنحن نقول ـ إلي آخره ـ، هو أبي بن كعب رضي الله عنه، ووقع عند الطبراني في الأوسط: أن ابن مسعود رضي الله قال مثل ذلك، لكن المشهور: أنه من قول أبي ابن كعب، فلعله انقلب على روايه. انتهى[3].

وقال الشيخ بدر الدين الزركشي: وروى ابن حبان في صحيحه عن زر قال: قلت لأبي ذر رضي الله عنه: إن ابن مسعود رضي الله، لا يثبت في مصحه المعوذتين فقال: قال لي رسول الله ﷺ: قال لي جبريل عليه السلام: قل: أعوذ برب الفلق، فقلتها، وقال لي قل أعوذ برب الناس، فقلتها، فنحن نقول ما قاله رسول الله ﷺ[4].

وروى عبد الله بن الإمام أحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، والطبراني ورجاله ثقات[5] ـ عن عبد الرحمن بن يزيد ـ يعني: النخعي ـ قال: كان عبد الله يحك[6] المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى[7].

وروى البزار والطبراني ـ قال الهيثمي: ورجالهما ثقات ـ[8] عن عبد

---

(١) مجمع الزوائد ١٤٩/٧.
(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورتي الفلق والناس ٢٢٣/٣.
(٣) فتح الباري ٧٤٣/٨.
(٤) البرهان للزركشي ١٢٨/٢.
(٥) مجمع الزوائد ١٤٩/٧.
(٦) في د: يحكي.
(٧) المسند ١٢٩/٥.
(٨) مجمع الزوائد ١٤٩/٧.

الرحمن بن يزيد أيضاً عن عبد الله أنه كان يحك[1] المعوذتين من المصحف، ويقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما، وكان عبد الله لا يقرأ بهما.

قال البزار: لم يتابع عبد الله أحد من الصحابة[2]، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة، وأُثبتنا في المصحف، انتهى.

وعندي: أن ظاهر هذه الأخبار غير[3] مراد، وأن ابن مسعود رضي الله عنه إنما كان ينكر كلمة «قل» فقط في أولهما، ويحكهما من المصحف من المعوذتين، وأن قرءته كانت كذلك، وكان يستدل على صحة قراءته لهما التي أخذها عن النبي ﷺ، وسهو غيره في نقل قل، بأن النبي ﷺ أمر أن يتعوذ بهما، والمتعوذ لا يناسب أن يأمر من يتعوذ به بالقول.

وعلى ذلك ينطبق قول النبي ﷺ لما سئل: «قيل لي فقلت» أي كما قال (لي)[4] الملك، لا أسقط شيئاً مما نطق به، لأنه كلام الله، ولو كان عبد الله رضي الله عنه ينكر جميع المعوذتين، لم يطابق قول أبي رضي الله عنه: «سألت رسول الله ﷺ فقال: قيل لي فقلت» قول من سأله، وكذا قول أبي ذر رضي الله عنه من سأله، والله الموفق.

والحاصل: أنه يلزم على نسبته رضي الله عنه، إلى أنه ينكر جميع السورتين فسادان عظيمان.

أحدهما في حق أُبَيٍّ وأبي ذر رضي الله عنهما.

والثاني: في حق ابن مسعود رضي الله عنه، ولا يلزم على القول بأن المنكر إنما هو كلمة «قل» شيء.

أما الأول، وهو ما في حق أبي وأبي ذر، رضي الله عنهما: فلأنه يلزم أن يكون أستدلا لهما غير مفيد لمطلوبهما، لأنه لا يلزم في كل ما قيل للنبي ﷺ

---

(١) في د: يحكى.

(٢) أي لم يوافقه على ما ذهب اليه في أنهما ليستا من القرآن.

(٣) في د: خير.

(٤) ساقطة من د.

أن يكون(١) قرآناً، ولا يفيد الدليل أنهما قرآن إلا بدعوى ذلك.

وإن قيل: إن ذلك هو مرادهما، لأنهما في مقام الاستدلال، كان خروجاً عن الظاهر. لا لحاجة بل لإثبات فساد، وهو الفساد الثاني الذي يلزم في حق ابن مسعود رضي الله عنه.

لأنه لا يخلو حينئذ، أما أن يقال: إنه أقدم على حك السورتين كاملتين بعلم، أو بغير علم.

والمراد بالعلم: القطع، وهو الصفة التي توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض. فإن قيل بغير علم، لزم عليه نسبة هذا الصحابى الجليل الذي مناقبه ـ لا سيما في العلم بشهادة المصطفى ﷺ ـ أكثر من أن تحصى إلى هذا الأمر الفظيع، الذي يتحاشى عنه أحاد المسلمين.

وإن قيل: إن إقدامه على ذلك بعلم، لزم منه نفى كونهما قرآناً، ولا يخفى ما فيه من الشناعة والطعن على سائر الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين.

وأما إنه لا يلزم شيء على القول بأن المراد إنكار «قل» فلأنه يكون من إطلاق المعوذتين على كلمتين منهما مجازاً، بدلالة التضمن.

وقوله: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما ـ أي السورتين ـ دليل على حذف «قل»، لأن المتعوذ لا يقول لمن يستعيذ به: قل أعوذ، فيكون آمِراً بالتعوذ، لا متعوذاً.

والضمير في قوله: وكان عبد الله لا يقرأ بهما: للكلمتين، وليسا بأول ضميرين اتسقا، وعاد كل منهما على ما هو له بقرينة، وإقدامه على حكهما، لأن النبي ﷺ أقرأه السورتين بدونهما، كما هو ظاهر في إقرائه ﷺ لعبد الله الأسلمي رضي الله عنه حين قال له: قل أعوذ برب الناس، فقال: أعوذ برب الناس، فلم يلقنه «قل» وكذا إقراؤه لعبد الله بن الشخير، ولعقبة رضي الله عنهما في بعض الورايات كما مضى، فليستا في قراءة عبد الله رضي الله عنه.

---

(١) في د: يقول.

والدليل عنده قائم على ما فهمه على أنه لا معنى لإثباتها، بل يكون إثباتها ـ على ما فَهِمَ ـ مُخرِجاً عن التعوذ المقصود منها، إلى الأمر به.

وليستا بأول كلمتين سقطتا في قراءة، وثبتتا في أخرى[1] مع ما يؤيد ذلك عنده في قصد التعوذ، لا الأمر به، فهذا هو الحامل له على الإقدام على حَكِّهِما.

هذا في حق ابن مسعود رضي الله عنه.

وأما في جانب أُبَيٍّ، وأبي ذر، رضي الله عنهما: فلأن استدلا لهما على إثبات الكلمتين قرآناً بقول كل منهما: إن النبي ﷺ قال له، إلى آخره، تام مطابق لما ورد عليه من إنكارهما، وهو أنهما إنما قيلتا، مع أن المراد التعوذ، لأن النبي ﷺ قالها كما قالها جبريل عليه السلام مطابقة لما قال الله تعالى، فيصير إثباتها في غاية الدلالة على أنهما قرآن لا مطلق تعوذ.

ويفيض ـ أيضاً ـ التذكير بمن قيل له ذلك، وهو المنزل عليه ﷺ، ويفيد الإذعان لذلك، بركة التعوذ، ويحصل المقصود به، كما يفيد الإذعان لقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون البراءة.

وقوله: «قيل لي فقلت» ظاهر في أن المسؤول عنه، والمتنازع فيه إنما هو كلمة القول، والله أعلم.

وقد تبين بهذا براءة هذا السيد الجليل مما نسب إليه من إنكار السورتين، وأنه لا خلاف في شيء من كتاب الله.

وقد سبقني إلى تأويل كلامه القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني كما نقل عنه الإمام بدر الدين الزركشي، رحمهما الله تعالى[2]، وإن كانت سبيلي في ذلك غير سبيله، وتأويلي مُبايناً لتأويله.

ثم رأيت في شرح المهذب للإمام الرباني محيي الدين النووي في صفة الصلاة في آخر الكلام على القراءة في الصلاة ما نصه: وما نقل عن ابن

---

(١) في د: الأخرى.

(٢) البرهان للزركشي ٢/١٢٨.

مسعود رضي الله عنه في الفاتحة، والمعوذتين باطل، ليس بصحيح[1].

قال ابن حزم[2] في أول كتابه «المحلي»: هذا كذب على ابن مسعود رضي الله عنه موضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وفيها الفاتحة والمعوذتان. انتهى[3].

ولما قرب التقاء نهايتي الدائرة السورية، آخرها بأولها، اشتد تشاكل الرأسين، فكانت هذه السور الثلاث الأخيرة، مشاكلة للثلاث الأولى في المقاصد وكثرة الفضائل:

الإخلاص لسورة التوحيد: آل عمران، وهو واضح.

والفلق للبقرة، طباقاً ووفاقاً، فإن الكتاب الذي هو مقصود سورة البقرة خير الأمر، والفلق للعوذ من شر الخلق، المحصل[4] لكل خير، وفي البقرة ﴿ **أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾[5]، ﴿ **يعلمون الناس السحر** ﴾ الآيات[6]، ﴿ **وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم** ﴾الآية[7].

والناس للفاتحة، فإنه إذا فرغ الصبر الذي هو مسكن القلب، الذي

---

(١) المجموع للنووي ٣/٣٩٦.

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، اليزيدي الأموي، مولاهم، القرطبي الظاهري، كان شافعياً، ثم تحول إلى المذهب الظاهري، وتعصب له وكان ذا علم وزهد وورع، وإليه المنتهى في الحفظ والذكاء، وأجمع أهل الأندلس لعلوم الإسلام، وله كثير من المؤلفات المهمة في مختلف العلوم والفنون، مات في سنة ٤٥٧.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣/١١٤٦، شذرات الذهب ٣/٢٩٩، وفيات الأعيان ١/٣٤٠ طبقات الحفاظ ٤٣٦.

(٣) المحلي ١/١٦ ط عبد الفتاح مراد سنة ١٩٦٧.

(٤) في د: المتحصل.

(٥) الآية: ٦٧.

(٦) الآية: ١٠٢.

(٧) الآية: ١٠٩.

هو مركب الروح الذي هو معدن العقل، كانت المراقبة، فصار ذلك بمنزلة تقديس النفس بالتوحيد والإخلاص، ثم استعاذة من كل شر ظاهر، وكل سوء باطن، للتأهل لتلاوة سورة المراقبة وما بعدها من الكتاب على غاية من السداد والصواب، فاتصل الآخر بالأول أي اتصال بلا ارتياب، واتحد به كل الاتحاد، أن في ذلك لذكرى لأولى الألباب.

فإنه اكتفى - أولاً - بالاستعاذة المعروفة، كما يكتفي في أوائل الأمرور بأيسر مأمور، فلما ختم الخاتمة، جوزي بتعوذ من القرآن، ترقية له إلى مقام الإحسان.

هذا ما أردت ايداعه في هذا الكتاب، قد انتهى الإثبات له مع التحرير والانتخاب، على قدر الجهد والطاقة، والله الموفق للصواب.

(وكان ابتدائي فيه في نصف شوال سنة ٧٠، وكان فراغي من مسودته ليلة الجمعة، رابع عشر جمادي الأولى، من سنة احدى وسبعين وثمان مائة.

وكان فراغي من هذه النسخة ليلة الثلاثاء، رابع عشر من شعبان من السنة كل ذلك بمنزلي ومسجدي من رحبة العيد، من القاهرة المعزية، جبرها الله تعالى.

قال ذلك أحوج الخلائق إلى عفـو الخالق، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر، البقاعي الشافعي، لطف الله بهم أجمعين، آمين، آمين، آمين، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم)[١]، حسبنا[٢] الله، ونعم الوكيل.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من د.

(٢) في د: حسبي.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة الكهف

سورة الروم

سورة لقمان

سورة يس

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

فهرس الأحاديث

الحديث	الجزء	الصفحة
ألا من اشتاق إلى الجنة، فليستمع كلام الله	١	٢٩٧، ٢٩٨،
ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم	٣	٢٤٢
اللهم أعز الدين بأحب الرجلين إليك. . .	٢	٢٧٩
اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء	٢	٧٧
اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	٢	٧٣
ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة	١	٣٣٧، ٣٣٨
أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا السفينة أن يقولوا «بسم الله مجراها ومرساها»	٢	١٨١
أما هذا فقد برأ من الشرك	٣	٢٦٤
أمرت أن أقرأ القرآن سبعة أحرف	١	٤٠١
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننـزل الناس منازلهم.	١	٢٤١
أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم أن يقرأو آلم السجدة.	٢	٣٦٨
انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الذكاة	٣	٢٢٣
ان أبي بن كعب رضي الله عنه قرأ رجل من أهل اليمن سورة فرأى عنده قوساً. .	١	٣٥١
أنا النبي لا كذب	١	٣٠٤
إن أحسن الحديث كتاب الله	١	٢٢٩
إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتـه يقرأ رأيت إنه يخشى الله.	١	٣٣١
أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا فقالوا يا رسول الله حدثنا	٢	١٧٧
أن أصدق كلمة تكلمت بها العرب. . .	١	١١٣

همزة الوصل

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ك)

(م)

الحديث	الجزء	الصفحة
من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التـوراة والأنجيل	١	٤٦٣
من قرأ في ليلة إذا زلزلت كانت له تعدل نصف القرآن.	٣	٢٣٢
من قرأ في ليلة ألم تنزيل ـ السجدة، ويس ـ.	٢	٤٠٥
من قرأ في ليلة «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً	٣	٤١
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» كان له نور من عدن		
أبين ألى مكة	٢	٢٤٩
من قرأ في ليلة مائة آية كتب له قنوت ليلة	١	٣٤٢
من قرأ في ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن تلك الليلة.	١	٣٤٢
	٢	٣٣
من قرأ في مصبح أو ممسى «قل أدعو الله أدعو الرحمن» لم		
يمت قلبه في ذلك اليوم.	٢	٢٣٨
من قرأ القرآن، فقد استدرج النبوة بين جنبيه	١	٢٥٣
من قرأ القرآن، فكأنما شافهني وشافهته.	١	٢٥٥
من قرأ القرآن فقام به أثناء الليل والنهار.	١	٢٦١
من قرأ القرآن فأكمله وعمل به، ألبس والداه تاجاً يوم		
القيامة.	١	٢٨٥
من قرأ القرآن فأعربه، كانت له عند الله دعوة مستجابة.	١	٢٩٦
من قرأ القرآن، وعرف تأويله ومعانيه، ولم يعمل به تبوأ		
مضجعه من النار.	١	٢٦١
من قرأ القرآن ظاهراً، أو نظراً. . .	١	٢٨٢
من قرأ القرآن وعمل بما فيه، . . . بعث يوم القيامة مع		
السفرة والحطام.	١	٢٩٢
من قرأ القرآن يقوم به أناء الليل والنهار.	١	٢٦١
من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله، وحرم حرامه		
أدخله الله به الجنة.	١	٢٨٦

الحديث	الجزء	الصفحة
من قرأ القرآن في سبيل الله، كتب مع الصديقين والشهداء والصالحين.	١	٢٧٦
من قرأ القرآن واستظهره وحفظه، أدخله الله الجنة.	١	٢٩٥
من قرأ القرآن يتآكل به الناس.	١	٣٠٩
من قرأ القرآن فليسأل الله به	١	٣١٦
من قرأ القرآن في صلاة قائما كان له بكل حرف مائة حسنة.	١	٣٣٢
من قرأ «قل هو الله أحد» فكأنما قرأ ثلث القرآن.	٣	٢٦٥
من قرأ كل ليلة سورة الواقعة، لم تصبه فاقه أبداً.	٣	٥٤
من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة.	٢	٢٤٧
من قرأ من أول البقرة أربع آيات، وآية الكرسي.	٢	٥٧
من قرأ منكم التين والزيتون، فانتهى إلى آخرها «أليس ذلك بأحكم الحاكمين» فليقل: بلى.	٢	٤٠٠، ١٤١، ٢١٠
من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه.	٢	٤٠٠
من قرأ يس حين يصبح، أعطى يسر يومه حتى يمسي.	٢	٤٠٣
من قرأ يس في صدر النهار، قضيت حوائجه.	٢	٤٠١
من قرأ يس في ليلة، أصبح مغفوراً له.	٢	٤٧١
من قرأ يس في ليلة الجمعة، غفر له.	٢	٣٩٩، ٤٠٣
من قرأ يس في يوم أو ليلة ابتغاء وجه الله، غفر له.	٢	٣٩٩
من قرأ يس، والصافات ليلة الجمعة، ثم سأل الله تعالى أعطاه سؤاله.	٢	٤١١
من قرأ يس يريد بها وجه الله، غفر له.	٢	٤٠٠
من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً.	٣	٩٧
من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه.	١	٣٤٤

(ن)

(هـ)

فهرس الآثار

الأثـر	الجزء	الصفحة
قرأت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة	١	٤٢٧
قلت لعثمان رضي الله عنه: ما حملكم إلى أن عمدت إلى الأنفال وهي من المثانى، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما	١	٤٤٣
قلت لعثمان رضي الله عنه الآية التي في البقرة ﴿والذين يتوفون منكم﴾	١	٤٤٨
قلت لعلى؛ هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله	١	٣٨٠
قيل للنبي ﷺ: ههنا قوما يجهرون بالقراءة	١	٣٢٧
(ك)		
كان ابن مسعود رضي الله عنه يقرىء رجلاً، فقرأ الرجل: إنما الصدقات	١	٤٧٥
كان أبو بكر رضي الله عنه، إذا قرأ القرآن كثير البكاء	١	٣٥٥
كان أبو معاوية الأسود يقرأ في المصحف فذهب بصره	١	٢٦٨
كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قعدوا يتحدثون في الفقه	١	٣٨١
كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا	١	٣٦٨
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى رضي الله عنه قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده	١	٣٢٣
كان القراء أصحاب مجلس عمر	١	٢٤٠
كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يستمعون فيه الوحي	٢	٣٨١
كتب الينا عمر بن الخطاب أن تعلموا سورة التوبة وعلموا نساءكم سورة النور	٢	١٥٨، ٣١٣

فهرس القوافي

فهرس الاعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهـرس القبـائـل والأمم
والجماعات والهيئات

(أ)

(ب)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

فهرس الأيام والوقائع

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ل)

فهرس البلاد والأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ن)

فهرس الكتب

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

مراجع التحقيق

١ ـ **الآداب الشرعية والمنح المرعية**

للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن مفلح المقدسي الحنبلي

الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. طبعه سنة ١٩٧١.

٢ ـ **الإبانة عن معاني القراءات**

لأبي محمد مكي بن بن أبي طالب القبسي المتوفى سنة ٤٣٧.

تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان.

الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق. الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩.

٣ ـ **الإتقان في علوم القرآن**

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ.

تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر: مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣.

٤ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان
للأمير علاء الدين الفارسي، المتوفى سنة ٧٣٩.
تحقيق: عبد الرحمن عثمان.
الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠.

٥ ـ الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار
لأبي يحيي زكريا بن شرف النووى، المتوفى سنة ٦٧٦ هجرية.
الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٥.
القاهرة.

٦ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة
للأمام عز الدين ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠.
ط دار الشعب ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

٧ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب، على هامش الاصابة
لأبي عمر بن البر القرطبي، المتوفى
الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ـ سنة ١٩٣٩.

٨ ـ الأسماء والصفات
للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨.
مطبعة السعادة، القاهرة. بدون تاريخ

٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة
للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢
الناشر: المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٩٣٩.

١٠ ـ إعجاز القرآن
لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ.
تحقيق الأستاذ سيد أحمد صقر
الناشر: دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٤.

١١ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.
للأستاذ مصطفى صادق الرافعي
الناشر: المكتبة التجارية - القاهرة - الطبعة الثامنة سنة ١٩٦٥.

١٢ - الأعلام
للأستاذ خير الدين الزركلي
المطبعة العربية سنة ١٩٢٧.

١٣ - أعلام النساء
للأستاذ عمر رضا كحالة
الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧

١٤ - أعلام الموقعين عن رب العالمين
للامام ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١.
تحقيق الأستاذ طه عبد الرؤف سعد
الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨.

١٥ - الأغاني
لأبي الفرج بن الحسيني الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦
الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة ط سنة ١٩٢٣

١٦ - الأم
للامام محمد بن أدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤
تحقيق الأستاذ محمد زهري النجار.
الطبعة الثانية ١٩٧٣، بيروت

١٧ - إنباء الغمر بأبناء العمر
للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢
تحقيق الدكتور حسن حبشي
ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة سنة ١٩٦٩.

١٨ ـ **إنباء الغمر بأبناء العمر**
للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢
ط الهند سنة ١٩٧٦

١٩ ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**
للبيضاوي
على هامش الشهاب. ط بيروت، بدون تاريخ

٢٠ ـ **أيام العرب في الإسلام**
للأستاذين: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي
الناشر: دار الفكر، بيروت. الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣

٢١ ـ **البحر المحيط**
لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٦٥٤
الناشر: مكتبة النصر الحديثة، الرياض، بدون تاريخ

٢٢ ـ **البداية والنهاية**
للحافظ أبي الفدا اسماعيل بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤
الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. ط سنة ١٣٥١.

٢٣ ـ **البرهان في علوم القرآن**
للإمام بدر الدين الزركشي
تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة. الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢

٢٤ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**
للحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل أبراهيم
الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥

٢٥ - **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العـرب**
للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي
المطبعة الرحمانية، القاهرة. الطبعة الثانية سنة ١٩٢٤

٢٦ - **البيان في مباحث من علوم القرآن**
للمرحوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب غزلان.
مطبعة دار التأليف، القاهرة. بدون تاريخ

٢٧ - **التاريخ الكبير.**
للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦
الناشر: دار المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى سنة ١٣٦١.

٢٨ - **تأويل مختلف الحديث**
لابن قتيبه، عبد الله بن مسلم، المتوفى سنة ٢٧٦.

٢٩ - **الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط سنة ١٩٦٦.**

٣٠ - **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام.**
للإمام شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨
الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ط سنة ١٣٦٨.

٣١ - **تاريخ بغداد**
للحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣.
الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩.

٣٢ - **التبيان في آداب حملة القرآن**
للإمام محيي الدين النووى، المتوفى سنة ٦٧٦.
تحقيق الدكتور جمعة الخولي.
الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧.

٣٣ - **تجريد أسماء الصحابة**
للحافظ شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.
الناشر: دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ.

٣٤ - **تحذير العباد من أهل العناد.**
للإمام الحافظ برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، المتوفى سنة ٨٨٥.
تحقيق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل.
مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، سنة ١٩٥٣.

٣٥ - **التذكار في أفضل الأذكار**
لأبي عبد الله القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١.
الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥.

٣٦ - **تذكرة الحفاظ**
للإمام شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.
تحقيق الأستاذ عبد الرحمن بن يحيي العلمي.
الناشر: وزارة المعارف العثمانية بالهند. الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤.

٣٧ - **تذكرةالموضوعات.**
للعلامة الفتني، المتوفى سنة ٩٨٦.
طبعة بدون تاريخ.

٣٨ - **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.**
لأبي عبد الله القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١.
الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، طبعة بدون تاريخ.

٣٩ - **الترغيب والترهيب.**
للحافظ المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦
تحقيق الأستاذ مصطفى محمد عمارة

الناشر: دار أحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨.

٤٠ - **تلقيح فهوم أهل الأثر.**
للإمام أبي الفرج بن الحوزي، المتوفى سنة ٥٩٧
الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة،المطبعة النموذجية سنة ١٩٧٥.

٤١ - **تفسير البغوى، المسمى: معالم التنزيل.**
للإمام البغوى - المتوفى سنة ٥١٦.
على هامش تفسير ابن كثير، الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣٤٧

٤٢ - **تفسير البغوى**
على هامش تفسير الخازن.
ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٥٥.

٤٣ - **تفسير القرآن العظيم.**
للحافظ ابن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤.
الناشر: دار المعرفة، بيروت، سنة ١٩٦٩.

٤٤ - **التفسير الكبير، المسمى: مفاتيح الغيب.**
للإمام فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦.
طبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٥ - **التفسير والمفسرون**
للمرحوم الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي.
الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦.

٤٦ - **التفكير المنطقي**
للدكتور عبد اللطيف محمد العبد

٤٧ ـ **التقريب لحد المنطق**
لأبي محمد بن حزم الأندلسي، المتوفى سنة, ٤٥٦.
تحقيق الدكتور إحسان عباس.
الناشر: دار الحياة، بيروت، طبعة بدون تاريخ.

٤٨ ـ **تقريب التهذيب**
للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢
تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف.
الناشر: المكتبة العلمية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥

٤٩ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.**
للحافظ أبي عمر يو ف بن عبد البر الأندلسي، المتوفى سنة ٤٦٣.
تحقيق الأستاذين: مصطفى العلوي، محمد عبد الكبير البكري
المطبعة الملكية بالرباط سنة ١٩٦٣.

٥٠ ـ **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي**
للإمام برهان الدين البقاعي، المتوفى سنة ٨٨٥
تحقيق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل
مطبعة السنة المحمدية، مصر، سنة ١٩٥٣.

٥١ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**
للإمام محيي الدين النووى، المتوفى سنة ٦٧٦
طبعة بيروت المصورة، بدون تاريخ

٥٢ ـ **تهذيب التهذيب**
للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٣.
الناشر: دائرة المعارف النظامية بالهند. الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧

٥٣ ـ **تهذيب السنن والأثار**
لأبي جعفر ابن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.

تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر
طبعة جامعة الإمام محمود بن سعود الإسلامية، الرياض.
الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢، مطبعة المدني بالقاهرة.

٥٤ ـ **تهذيب سنن أبي داود**
للحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١
تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ حامد الفقي.
الناشر: المكتبة الأثرية، باكستان، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٩.

٥٥ ـ **تهذيب اللغة**
لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، المتوفى سنة ٣٧٠
تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.
الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. طبعة سنة ١٩٦٤.

٥٦ ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول**
للإمام مجد الدين أبن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦.
تحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناءوط، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠.

٥٧ ـ **جامع البيان عن تأويل القرآن**
للإمام أبي جعفر ابن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.
الناشر: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة. الطبعة الثانية سنة ١٩٥٤.

٥٨ ـ **الجامع الصحيح.**
للإمام الحافظ أبي عيسى الترمذي، المتوى سنة ٢٧٩.
تحقيق: عبد الرحمن عثمان
الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٨.

٥٩ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير.
للحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١.

٦٠ ـ الجرح والتعديل:
للإمام الحافظ ابن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧.
الناشر: دائرة المعارف العثمانية بالهند. الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٦١ ـ الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم.
للدكتور لبيب السعيد
الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، طبعة سنة ١٩٦٧.

٦٢ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة.
للحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١
تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.
الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧

٦٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.
الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣.

٦٤ ـ خزانة الآداب ولب لباب لسان العرب.
للعلامة عبد القادر بن عمر البغدادي، المتوفى سنة ١٠٩٣
تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد.
الناشر: دار العصور للطبع والنشر، القاهرة، طبعة سنة ١٩٢٩

٦٥ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال
للحافظ صفي الدين الخزرجي، المتوفى سنة ٩٢٣
الناشر: المكتب الإسلامي. الطبعة الثانية سنة ١٩٧١

٦٥ ـ خلاصة تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال.
للحافظ صفي الدين الخزرجي، المتوفى سنة ٩٢٣.
تحقيق الشيخ محمود عبد الوهاب فايد
الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٧١

٦٦ ـ خلق أمثال العباد
للإمام الحافظ أبي عبد الله البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦
تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة
الناشر: دار المعارف السعودية، الرياض، طبعة سنة ١٩٧٨

٦٧ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.
للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢
تحقيق الأستاذ محمد سيد جاد الحق
الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦

٦٨ ـ الرسالة المستطرفه لبيان مشهور كتب السنة المشرفة.
لمحمد بن جعفر الكتاني، المتوفى سنة ١٣٤٥، طبعة سنة ١٩٦٠.

٦٩ ـ الرد من الأنف
للحافظ عبد الرحمن السهيلي، المتوفى سنة ٥٨١.
المطبعة الجمالية بمصر، القاهرة، سنة ١٣٣٢.

٧٠ ـ رياض الصالحين
للإمام محيي الدين النووى، المتوفى سنة ٦٧٦.
تحقيق الأستاذ مصطفى محمد عمارة.
الناشر: مكتبة الغزالي، دمشق، طبعة سنة ١٩٥٥

٧١ - **زاد المسير في علم التفسير.**
لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧
الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥
تحقيق الأستاذ زهير الشاويش

٧١ - **زاد المعاد في هدى خير العباد**
للحافظ شمس الدين ابن أبي بكر بن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١
تحقيق الأستاذين: شعيب الأرناءوط، عبد القادر الأرناءوط.
الناشر: توسعة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩.

٧٢ - **الزهد.**
للإمام عبد الله بن المبارك، المتوفى سنة ١٨١.
تحقيق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي.
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة بدون تاريخ.

٧٣ - **سنن الدارمي**
للحافظ أبي محمد عبد الرحمن الدارمي، المتوفى سنة ٢٥٥
تحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان.
الناشر: دار أحياء السنة النبوية، طبعة بدون تاريخ.

٧٤ - **سنن الدارمي.**
افناشر: عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة.
مطبعة دار المحاسن، القاهرة، طبعة سنة ١٩٦٦

٧٥ - **سنن المصطفى**
للحافظ أبي عبد الله ماجه القزويني، المتوفى سنة ٢٧٥.
تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.
الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣

٧٦ - سنن أبي داود
للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥
تحقيق المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد
ط دار الفكر، بيروت. طبعة بدون تاريخ.

٧٧ - سنن النسائي
للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣.
الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠

٧٨ - السنن الكبرى
للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨
الناشر: دائرة المعارف العثمانية بالهند.
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦

٧٩ - سير أعلام النبلاء
للحافظ شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.
تحقيق الأستاذين: شعيب الأرناءوط، حسين الأسد.
الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١.

٨٠ - سيرة عمر بن عبد العزيز
لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم، المتوفى سنة ٢١٤
تحقيق الأستاذ أحمد عبيد
الناشر: المكتبة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٢٧.

٨١ - السيرة النبوية.
لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري، المتوفى سنة ٢١٨
تحقيق الأساتذة: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي
الناشر: دار الكنوز الأدبية، طبعة بدون تاريخ.

٨١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب
لابن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩
ط بيروت، بدون تاريخ

٨٢ ـ شرح السنة
لأبي محمد الحسيني بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦.
تحقيق الأستاذين: شعيب الارناءوط، زهير الشاويش
الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت. طبعة بدون تاريخ.

٨٣ ـ شرح سنن النسائي
للحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠.

٨٤ ـ شرح سنن النسائي
للعلامة نور الدين السندي، المتوفى سنة ١١٣٨ الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠.

٨٥ ـ شرح سنن ابن ماجه
للعلامة محمد بن عبد الهادي السندي، المتوفى سنة ١١٣٨ طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية بدون تاريخ.

٨٦ ـ شرح معاني الآثار
للإمام أبي جعفر الطحاوي، المتوفي سنة ٣٢١ تحقيق الأستاذ محمد سيد جاد الحق الناشر: مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، طبعة بدون تاريخ.

٨٧ ـ صحيح البخاري
للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل النجاري، المتوفى سنة ٢٥٦
الناشر: المكتبة الإسلامية، استانبول، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩.

٨٨ ـ صحيح البخاري
للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل النجاري، المتوفى سنة ٢٥٦ تحقيق الأساتذة: محمود النواوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد خفاجي الناشر: مكتبة النهضة الحديثة، مكتبة مكة المكرمة، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦.

٨٩ ـ صحيح ابن خزيمة
للحافظ أبي بكر ابن خزيمة، المتوفى سنة ٣١١. تحقيق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠.

٩٠ ـ صفوة التفاسير
للأستاذ محمد علي الصابوني الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١.

٩١ ـ الضعفاء الصغير
للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦ تحقيق الأستاذ: محمود إبراهيم زيدان الناشر: دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦.

٩٢ ـ الضعفاء والمتروكين
للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣ تحقيق الأستاذ: محمود إبراهيم زيدان الناشر: دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦.

٩٣ ـ طبقات الشافعية الكبرى
لتاج الدين السبكي، المتوفى سنة ٠٧٧١ تحقيق الأستاذين: عبد الفتاح الحلو، محمود محمد الطناحي الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦.

٩٤ ـ الطبقات الكبرى
لأبن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ ط ليدن سنة ١٩٠٥.

٩٥ ـ طبقات المفسرين
للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي، المتوفى سنة ٩٤٥ تحقيق الأستاذ علي محمد عمر الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢.

٩٦ ـ طبقات المفسرين
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ طبعة لبدن. بدون تاريخ.

٩٧ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
للإمام ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٠٧٥١ تحقيق الدكتور محمد جميل غازي مطبعة المدني، القاهرة، سنة ١٩٧٧.

٩٨ ـ العبر في خبر من عبر
للحافظ شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٠٧٤٨ تحقيق الأستاذ فواء سيد والدكتور صلاح الدين المنجد ط الكويت سنة ١٩٦٠.

٩٩ ـ عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي
للدكتور محمود رزق سليم الناشر: مكتبة الآداب. القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥.

١٠٠ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري.
للعلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني، المتوفي سنة ٨٥٥ طبعة محمد منير الدمشقي، القاهرة، بدون تاريخ.

١٠١ ـ عمل اليوم والليلة
لأبي بكر السني، المتوفى سنة ٣٦٤ تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا

الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩.

١٠٢ - **عوارف المعارف**

لشهاب الدين عمر السهروردي، المتوفى سنة ٦٣٢ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف الناشر: دار الكتب الحديثة. القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٧١.

١٠٣ - **غاية النهاية في طبقات القراء**

لشمس الدين بن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣ تحقيق ج جستراسر الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣.

١٠٤ - **غريب الحديث**

للإمام أبي عبيد المهروي، المتوفى سنة ٢٢٤ تحقيق الدكتور عبد المعيد حسان الناشر: دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦.

١٠٥ - **الفائق في غريب الحديث**

للإمام جار الله الزمخشري، المتوفى سنة ٥٨٣ تحقيق الأستاذين: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: عيسى الحلبي. القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

١٠٦ - **الفتاوى**

لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي وولده الطبعة المصورة سنة ١٣٩٨.

١٠٧ - **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**

للحافظ بن حجر العسقلاني. المتوفى سنة ٨٥٢ تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز. الناشر: سماحة إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٠٨ ـ **الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.**
للشيخ أحمد البنا الشهير بالساعاتي ط دار الشهاب ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

١٠٩ ـ **فتوح مصر وأخبارها**
لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم الناشر: مكتبة المثنى، بغداد، مطبعة ليدن سنة ١٩٣٠.

١١٠ ـ **فضائل القرآن**
للحافظ أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣ تحقيق الدكتور فاروق حمادة الناشر: دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى ١٩٨٠.

١١١ ـ **في ظلال القرآن**
للأستاذ الشهير سيد قطب الناشر: دار الشروق، الطبعة السابعة سنة ١٩٧٨.

١١٢ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**
للعلامة المناوي، الشافعي. الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢.

١١٣ ـ **القاموس المحيط**
لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، المتوفى سنة ٨١٧ المطبعة المصرية، القاهرة، طبعة سنة ١٩٣٨.

١١٤ ـ **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**
للحافظ شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ تحقيق الدكتور عزت عطية، والدكتور موسى محمد علي الموشي الناشر: دار الكتب الحديثة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢.

١١٥ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل**
لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، طبعة سنة ١٩٦٦.

١١٦ ـ **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**
للحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ المطبعة الأدبية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣١٧.

١١٧ ـ **اللباب في تهذيب الأنساب**
لعز الدين ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠ الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، طبعة سنة ١٣٥٧.

١١٨ ـ **لساب العرب**
لجمال الدين أبي الفضل بن منظور، والمتوفى سنة ٧١١ ط بولاق، القاهرة، سنة ١٣٠٠.

١١٩ ـ **لسان العرب**
لجمال الدين بن منظور، المتوفى سنة ٧١١ ط دار المعارف بمصر، القاهرة تحقيق الأساتذة: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، طبعة بدون تاريخ.

١٢٠ ـ **لسان الميزان**
للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ١٩٧٨ الناشر: مؤسسة الأعلمي بالهند، الطبعة الثانية سنة ١٩٧١.

١٢١ ـ **لمحات في أصول الحديث**
للدكتور محمد أديب الصالح الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩.

١٢٢ ـ **مباحث في علوم القرآن**
للأستاذ مناع القطاع الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة السادسة سنة ١٩٧٨.

١٢٣ ـ **المجرومين والمتروكين**
للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، المتوفى سنة ٣٥٤ه‍ الناشر: دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠.

١٢٤ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**
للحافظ نور الدين الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧ الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة سنة ١٤٠١.

١٢٥ ـ **مختار الصحاح**
لأبي بكر عبد القادر الرازي، المتوفي سنة ٦٦٦ الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة سنة ١٤٠١.

١٢٦ ـ **مختصر سنن أبي داود**
للحافظ المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦ تحقيق الأستاذين: أحمد محمد شاكر، محمد حامد الفقي الناشر: المكتبة الأثرية، باكستان، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٩.

١٢٧ ـ **مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**
لصفي الدين بن عبد الحق البغدادي، المتوفى سنة ٧٣٩ الناشر: عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤.

١٢٨ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**
لأبي المحاسن علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٦ تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦.

١٢٩ ـ **مسند الطيالس. المسمى: منحة المعبود في ترتيب مسند أبي داود**
للشيخ أحمد البنا الشهير بالساعاتي المطبعة المنيرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢.

١٣٠ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**
الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

١٣١ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**
شرح وتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر الناشر: دار المعارف. القاهرة، طبعة سنة ١٣٦٨.

١٣٢ ـ **المصاحف**
للحافظ أبي بكر بن أبي داود السجستاني تحقيق الدكتور آثر جفرى الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦. المطبعة الرحمانية، القاهرة.

١٣٣ ـ **المصباح المنير**
للعلامة أحمد بن محمد الفيومي، المتوفى سنة ٠٧٧٠ الناشر: مصطفي البابي الحلبي، القاهرة طبعة بدون تاريخ.

١٣٤ ـ **المصنف**
لأبي بكر بن أبي شيبة، المتوفى سنة ٢٣٥ تحقيق الأستاذ مختار الندوي الناشر: الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١.

١٣٥ ـ **المصنف**
للحافظ أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، المتوفى سنة ٢١١ تحقيق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧١.

١٣٦ ـ **المعارف**
لابن قتيبة عبد الله بن مسلم، المتوفى سنة ٢٧٦ تحقيق الدكتور ثروت عكاشة مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٦٠.

١٣٧ ـ معالم السنن
للحافظ أبي سليمان الخطابي البستي، المتوفى سنة ٣٨٨ تحقيق الأستاذين: أحمد محمد شاكر، محمد حامد الفقي الناشر: المكتبة الأثرية، باكستان، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٣.

١٣٨ ـ المعجم الصغير
للحافظ أبي القاسم الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨.

١٣٩ ـ معجم الأدباء
لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦. الناشر: أحمد فريد الرفاعي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة طبعة سنة ١٩٣٥.

١٤٠ ـ معجم البلدان
لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة سنة ١٩٠٦.

١٤١ ـ معجم المؤرخين الدمشقيين
للدكتور صلاح الدين المنجد الناشر: دار الكتاب الجديد، بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨.

١٤٢ ـ معجم المؤلفين
للأستاذ عمر رضا كحالة مطبعة الترقي، دمشق، طبعة سنة ١٩٥٧.

١٤٣ ـ معجم ما استعجم
لأبي عبيد الله البكري، المتوفى سنة ٤٨٧ تحقيق وستنفلد جوقا طبعة سنة ١٨٧٦.

١٤٤ ـ معرفة علوم الحديث
لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧.

١٤٥ ـ معرفة القراء الكبار
للحافظ شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ تحقيق الأستاذ محمد سيد جاد الحق الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧.

١٤٦ ـ المغازي
لمحمد عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧ تحقيق الدكتور ما رسدن جونسون ط دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٦٤.

١٤٧ ـ المغني في الضعفاء
للحافظ شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ تحقيق الدكتور نور الدين عتر طبعة بدون تاريخ.

١٤٨ ـ المغني في الفقه الحنبلي
للإمام أبي محمد عبد الله بن قدامة الحنبلي المقدسي، المتوفي سنة ٦٢٠ طبعة دار الافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية طبعة سنة ١٩٨١.

١٤٩ ـ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان
لشمس الدين محمد طولون، المتوفى سنة ٩٥٣. تحقيق الأستاذ محمد مصطفى الناشر: وزارة الثقافة بمصر سنة ١٩٦٢.

١٥٠ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة
لطاش كبرى زادة تحقيق الأستاذين: كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور الناشر: دار الكتب الحديثة طبعة بدون تاريخ.

١٥١ ـ **مقاييس اللغة**
لأبن فارس، المتوفى سنة ٣٩٥ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة. طبعة بدون تاريخ.

١٥٢ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**
للمرحوم الأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة. طبعة بدون تاريخ.

١٥٣ ـ **موارد الظمآن**
للحافظ نور الدين الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧ تحقيق الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة المدرس بالحرم المكي الناشر: المكتبة السلفية، القاهرة، طبعة بدون تاريخ.

١٥٤ ـ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**
لأبي العباس أحمد بن علي المقريزي، المتوفى سنة ٨٤٥ الناشر: دار صادر، بيروت، طبعة بدون تاريخ.

١٥٥ ـ **الموطأ**
للإمام مالك بن أنس، المتوفى سنة ١٧٩ تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة طبعة سنة ١٩٧٠.

١٥٦ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**
للحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ تحقيق الاستاذ علي محمد البجاوي الناشر: دار المعرفة بيروت الطبعة المصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣.

١٥٧ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**
لأبي المحاسن بن ثغري بردى، المتوفى سنة ٨٧٤ تحقيق الدكتور جمال الدين الشباك، والأستاذ فهيم محمد شلتوت. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة سنة ١٩٧٢.

١٥٨ ـ **النشر في القراءات العشر**
للإمام شمس الدين ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ تحقيق الدكتور محمد سالم محيسن الناشر: مكتبة القاهرة طبعة بدون تاريخ.

١٥٩ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**
للحافظ برهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥. تحقيق شرف الدين أحمد الناشر: دار المعارف والشئون الثقافية بالهند الطبعة الأولى سنة ١٩٨١.

١٦٠ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**
للأمام مجد الدين ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦ تحقيق الأستاذين: طاهر أحمد الزواوي، محمود محمد الطناحي. الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣.

١٦١ ـ **الوافي بالوفيات**
لصلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٣٦٤ تحقيق الدكتور وديع رينغ الناشر: جمعية المستشرقين الألمان ط استانبول سنة ١٩٣٦.

١٦٢ ـ **وفيات الأعيان**
لأبي العباس أحمد بن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ تحقيق الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الثقافة، بيروت طبعة سنة ١٩٦٩.

فهرس موضوعات الجزء الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
عدد آياتها	١٢٣
مقصودها	١٢٤
فضائلها	١٢٤
سورة الجن	١٢٦
عدد آياتها	١٢٦
مقصودها	١٢٧
فضائلها	١٢٨
سورة المزمل	١٣٠
عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها	١٣١
مقصودها	١٣١
فضائلها	١٣٢
سورة المدثر	١٣٤
عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها	١٣٤
مقصودها	١٣٥
فضائلها	١٣٦
سورة القيامة	١٣٨
عدد آياتها	١٣٨
مقصودها	١٣٩
فضائلها	١٤٠
سورة الانسان	١٤٣
عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها	١٤٤
مقصودها	١٤٤
فضائلها	١٤٥
سورة المرسلات	١٤٦
عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها	١٤٦
مقصودها	١٤٧
فضائلها	١٤٧
سورة «عم»	١٥٠
عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها	١٥٠

الموضوع	الصفحة
مقصودها	١٥١
فضائلها	١٥٢
سورة النازعات	١٥٣
عدد آياتها	١٥٣
مقصودها	١٥٤
فضائلها	١٥٤
سورة عبس	١٥٦
عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها	١٥٦
مقصودها	١٥٧
فضائلها	١٥٧
سورة التكوير	١٦٠
عدد آياتها	١٦٠
مقصودها	١٦١
فضائلها	١٦١
سورة الانفطار	١٦٤
مقصودها	١٦٥
فضائلها	١٦٥
سورة التطفيف	١٦٧
عدد آياتها	١٦٨
مقصودها	١٦٨
فضائلها	١٦٩
سورة الانشقاق	١٧١
عدد آياتها	١٧١
مقصودها	١٧٢
فضائلها	١٧٢
سورة البروج	١٧٥
عدد آياتها	١٧٥
مقصودها	١٧٦
فضائلها	١٧٦